إحياء العلوم 'Ihyâ 'ul'ulûm. The Vivification of Sciences, by Muḥammad ben Muḥammad Algazzâlî, the greatest of Muhammedan Theologians, the foundator of the present Islamitic Orthodoxy, who died A.H. 505. Edited in Four Parts by Muḥammad Muzhir, an Index being prefixed to each part; numerous Explanatory Notes (حواشى) in the margin. Four vols. in Two. Imp. 4to. pp. 197, 214, 225, 306, sewed. *Lukhnow*, A.H. 1281 (1864). £3 10s.

In the last pages the editor lays down the principles upon which this edition is founded, and gives a short biographical sketch of the author; after which follow several Chronosticha. The book was twice printed before in Cairo (فى مصر) (for this edition see our "Record," No. 38, page 290).—The present edition is made from a collation of six or seven MSS. with the Egyptian text. The editor further gives a list of those works to which he has recurred in deciding difficult points in the text, and in adding the explanatory passages, viz. Majma' albiḥâr the Commentaries Hisn alhasin Albeidhâwî, Kashshâf, Almadârik, Aljalâlain, Kâmûs, Almishâh Almunir, Assurâh, etc., etc.

Al Ghazzâlî's great work has never been printed except in this and the above-mentioned Cairo edition; a MS. of it was first discovered by Prof. Hitzig some years ago in the public Library of Bern, whither it had been brought by a Swiss officer who had captured it at Constantine in 1837; another MS. copy is to be found among the Wetzstein Collection at the Royal Library at Berlin. Hâdjî Khalfa speaks of it (Flügel's Transl. I. p. 180) in these terms: "Inter illos libros qui pietatis sensus excitant et aiunt unus et preciosissimorum est et maximorum, ita ut dicerent: Si libri de religione Islamica omnes perirent et Ih'yâ maneret, certe perditi non desiderarentur." He states the full name of the author to be:

حجّة الاسلام ابى حامد محمد بن محمد الغزالى

D'Herbelot mentions an extract of the Ih'yâ published by Ahmad ben Mussa Al Arbeli under the Title: Ruh al Ih'yâ. Also a commentary to the same, then in the Royal Library at Paris, sub. No. 902, entitled: Fatihat al 'ulûm.' Another extract is said to have been published by Al Gazzâlî's brother, Abu'l Futuh Muh. b. Muh. Ibn Ahmad Al Gazzâlî, under the title of Lobâb al Ihyâ (see for this Ibn Khallikân's Biogr. Dictionary). Prof. Gosche published a monography on Al Gazzâlî in the Berichte der Berliner Academie, 1852. See also the Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft Vol. I. p. 212, VII. 172, X. 314.

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون

قد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرف همهم الى الاشتغال بطبع هذا الكتاب

المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المؤيدة بالآيات البينات

والاخبار واثار السالكين الابرار الناطق بالصدق والداعي الى الحق والموصل الى الحق القويم

إحياء العلوم

التأليف الامام حجة الاسلام فخر الانام العالم العلامة المحقق المدقق الفهامة المشتهر في

المشارق والمغارب مقتدى كل مطلق وطابق شمس المفاخر والمعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب رضوانه

في المطبعة البهية المنشأة أدام الله سعادتها بطبع يختص الكمال بقول مشورة الخصال

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون

لقد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرفهم بما لهم الى الاشتغال بطبع هذا الكتاب

المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المؤيدة بالايات البينات

والاخبار واثار السالكين الابرار الناطق بالصدق والداعي الى الحق والموصل الى الحق القويم

إحياء العلوم

التالفه الامام حجة الاسلام فخر الانام العالم العلامة المحقق المدقق الفهامة المشتهر في

الشارق والمغارب مفتدى كل مطلق ومطلب شمس المفاخر والمعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب رضوانه

في طبع اصح طبع يختص الكمال نقوله اشرف اسمع احصاله

BIBLIOTHECA
REGIA
MONACENSIS.

فهرست الجزء الاول من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام محمد الغزالي رحمه الله تعالى

	صفحه		صفحه
خطبة الكتاب	٢	النوع الثاني فيما يحذف من البدن الاجزاء	٨٣
تاسيسه على اربعة ارباع	٣	فصل في اللحية عشر خصال مكروهة ويضعها اشد	٨٥
كتاب العلم	٤	**كتاب اسرار الصلاة ومهماتها**	٨٦
الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم فضيلة العلم	٤	الباب الاول في فضائل الصلوة والسجود والجماعة والاذان فضيلة الاذان	٨٦
فضيلة التعلم	٥	فضيلة المكتوبة فضيلة اتمام الاركان فضيلة الجماعة	٨٧
فضيلة التعليم	٦	فضيلة السجود فضيلة الخشوع	٨٨
الباب الثاني العلم المحمود والمذموم وما هو فرض عين وفرض كفاية وتفصيل علم الاخرة بيان العلم الذي هو فرض عين	٨	فضيلة المسجد وموضع الصلاة	٨٩
الباب الثالث في بقية العلوم المحمودة وترتيبها بيان علة ذم العلم المذموم	١٧	الباب الثاني في كيفية اعمال الظاهرة من الصلاة وما قبله القراءة والركوع والسجود والتشهد	٨٩
بيان ما يتدل من الفاظ العلوم	١٩	المنهيات تمييز الفرائض والسنن	٩١
الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل	٢٤	الباب الثالث في الشرط الباطنة من اعمال القلب بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب	٩٢
بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم الله تعالى	٢٥	بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة	٩٤
بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق	٢٦	بيان الدواء النافع في حضور القلب	٩٥
الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم اما المتعلم فآدابه كثيرة	٣٨	بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة	٩٦
بيان وظائف المرشد المعلم	٣٢	حكايات واخبار في صلاة الخاشعين رضي الله عنهم	١٠٠
الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الاخرة والعلماء السوء	٣٥	الباب الرابع في الامامة والقدوة	١٠١
الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه بيان شرف العقل	٤٩	الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها فضيلة الجمعة	١٠٢
بيان حقيقة العقل واقسامه	٥٠	بيان شروط الجمعة	١٠٣
بيان تفاوت الناس في العقل	٥٢	بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل	١٠٣
كتاب قواعد العقائد الفصل الاول في ترجمة حقيقة اهل السنة في كلمتي الشهادة	٥٣	بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق	١٠٧
الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	٥٥	الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج الى معرفتها	١٠٩
الفصل الثالث في لوامع الادلة للعقيدة	٦٢	الباب السابع في النوافل من الصلوات	١١١
فالركن الاول في معرفة ذات الله تعالى	٦٣	القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي	١١١
الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى	٦٥	القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الاسابيع	١١٣
الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى	٦٦	القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين	١١٥
الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم	٦٩	القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة	١١٦
الفصل الرابع في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان	٧٠	**كتاب اسرار الزكاة**	١١٩
كتاب اسرار الطهارة	٧٥	الفصل الاول في انواع الزكاة النوع الاول زكاة النعم	١٢٠
القسم الاول في طهارة الخبث	٧٧	زكوة المعشرات زكوة النقدين	١٢٠
القسم الثاني طهارة الاحداث آداب قضاء الحاجة وكيفية الاستنجاء	٧٩	زكوة التجارة الركاز والمعدن صدقة الفطر	١٢١
كيفية الوضوء	٧٩	الفصل الثاني في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة بيان الشروط الظاهرة	١٢١
فضيلة الوضوء كيفية الغسل كيفية التيمم	٨١	بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة	١٢٢
القسم الثالث من النظافة التنظيف عن الفضلات النوع الاول الاوساخ	٨١	الفصل الثالث في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه بيان اسباب الاستحقاق	١٢٧

بیان وظائف القابض	صفحہ ١٢٨
الفصل الرابع فی صدقة التطوع وفضلها وادابها واخذها واعطائها بیان فضیلة	١٢٩
بیان اخفاء الصدقة واظهارها	١٢٩
بیان الافضل من اخذ الصدقة او الزکاة	١٣١
کتاب اسرار الصوم	١٣١
الفصل الاول فی الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده	١٣٢
الفصل الثانی فی اسرار الصوم وشروطه الباطنة	١٣٣
الفصل الثالث فی التطوع بالصیام وترتیب الاوراد فیه	١٣٥
کتاب اسرار الحج ومهماته	١٣٦
الباب الاول الفصل الاول فی فضائل الحج وفضیلة البیت ومکة والمدینة شرفها الله تعالی	١٣٦
فضیلة الحج	١٣٦
فضیلة البیت	١٣٧
فضیلة المقام بمکة حرسها الله تعالی وکراهیته	١٣٨
فضیلة المدینة علی سائر البلاد	١٣٨
الفصل الثانی فی شروط وجوب الحج وصحته وارکانه وواجباته ومحظوراته	١٣٩
الباب الثانی فی ترتیب الاعمال الظاهرة من اول السفر الی الرجوع الجملة الاولی فی الهیئة	١٤٠
الجملة الثانیة فی اداب الاحرام الجملة الثالثة فی اداب دخول مکة الی الطواف	١٤١
الجملة الرابعة فی الطواف	١٤٢
الجملة الخامسة فی السعی الجملة السادسة فی الوقوف وما قبله	١٤٣
الجملة السابعة فی بقیة اعمال الحج	١٤٥
الجملة الثامنة فی صفة العمرة الجملة التاسعة فی طواف الوداع الجملة العاشرة فی	١٤٦
فصل فی سنن الرجوع	١٤٨
الباب الثالث فی الاداب الدقیقة والاعمال الباطنة بیان دقائق الاداب	١٤٨
بیان الاعمال الباطنة وهی الاخلاص فی النیة وطریق الاعتبار بذلک والتذکر لاسراره	١٥٠
کتاب اداب تلاوة القرآن	١٥٣
الباب الاول فی فضل القرآن واهله وذم المقصرین فی تلاوته فضیلة القرآن	١٥٤
فی ذم تلاوة الغافلین	١٥٥
الباب الثانی فی ظاهر اداب التلاوة	١٥٥
الباب الثالث فی اعمال الباطن فی التلاوة	١٥٨
الباب الرابع فی فهم القرآن وتفسیره بالرای من غیر نقل	١٦٣
کتاب الاذکار والدعوات	١٦٦
الباب الاول فی فضیلة الذکر وفائدته علی الجملة	١٦٦
فضیلة مجالس الذکر فضیلة التهلیل	١٦٧

فضیلة التسبیح	صفحہ ١٧٠
الباب الثانی فی اداب الدعاء وفضله فضیلة الدعاء آداب الدعاء	١٧٠
فضیلة الصلوة علی رسول الله صلی الله علیه وسلم وفضله صلی الله علیه وسلم	١٧٣
فضیلة الاستغفار	١٧٢
الباب الثالث فی ادعیة ماثورة ومعرفة الی اسبابها وادابها	١٧٥
الباب الرابع فی ادعیة ماثورة عن النبی صلی الله علیه وسلم وعن اصحابه رضی الله عنهم	١٧٧
الباب الخامس فی الادعیة الماثورة عند کل حادث من الحوادث	١٧٨
کتاب ترتیب الاوراد وتفضیل احیاء اللیل	١٨١
الباب الاول فی فضیلة الاوراد وترتیبها واحکامها	١٨١
بیان اعداد الاوراد وترتیبها اوراد النهار	١٨٢
بیان اوراد اللیل	١٨٦
بیان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال	١٩٠
الباب الثانی فی اسباب المیسرة لقیام اللیل واللیالی التی یستحب احیاؤها وفضیلة احیاء اللیل وما بین العشائین وکیفیة قسمة اللیل	١٩٢
احیاء ما بین العشائین	١٩٢
فضیلة قیام اللیل	١٩٣
بیان الاسباب التی بها یتیسر قیام اللیل	١٩٤
بیان طرق القسمة لاجزاء اللیل	١٩٦
بیان اللیالی والایام الفاضلة	١٩٧

تمت

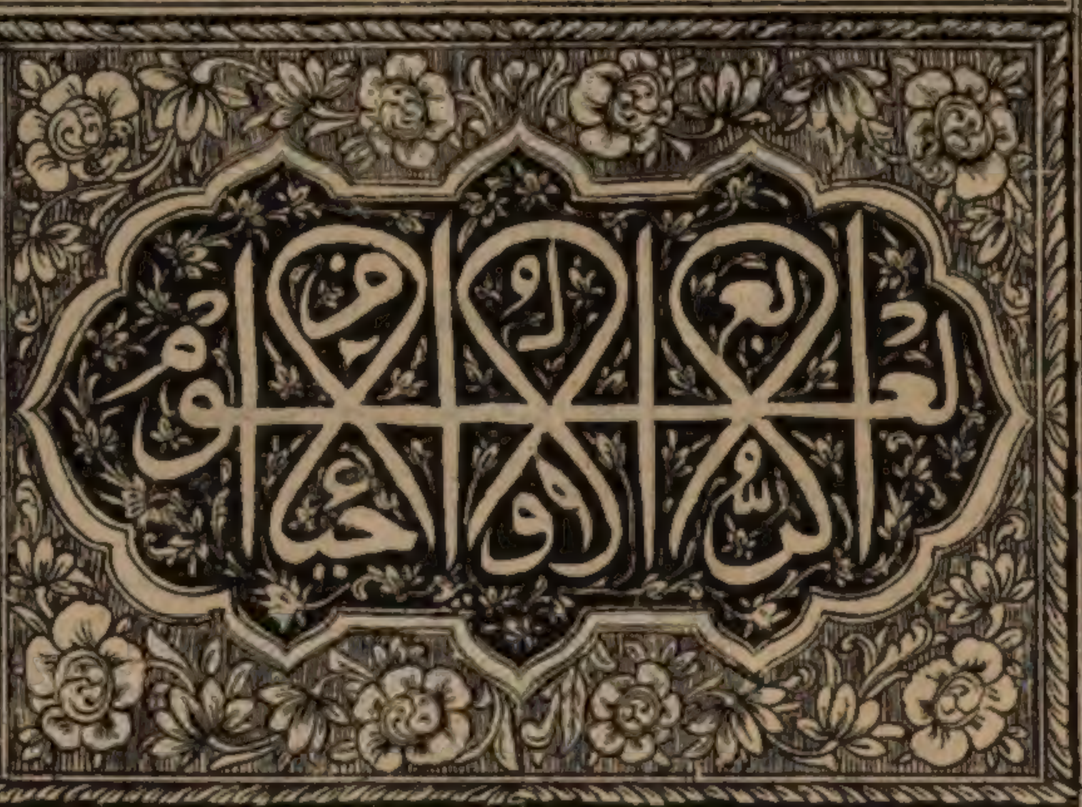
قد برز هذا من مشكوة رحمة ربه ونور هدى به

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون

قد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرف هممهم الى الاشتغال بطبع هذا الكتاب

المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المؤيدة بالايات البينات

والاخبار واثار السالكين الابرار الناطقة بالصدق والداعية الى الحق والموصلة الى الحي القيوم



الذي الفه الامام حجة الاسلام فخر الانام العلامة المحقق المدقق الفهامة المشتهر في

المشارق والمغارب مقتدى كل مطلق ومطلب شمس المفاخر والمعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب غفرانه

في المطبعة الكائنة في بلدة الله المنشأة أدام الله اسمها

طبع طبعا يختص الكمال نقله لشهور الخصال

كتاب الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اولا احمد كثيرا متواليا وان كان بقضاء ل دون حق جلاله حمد الحامدين + واصلى واسلم على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين + واستخيره تعالى ثالثا فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى احياء علوم الدين + وانتدب لقطع تعجبك رابعا ايها العاذل الغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين + المسرف فى التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين + فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوق قنى عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر عليه من نعى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من اثر التزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا فى نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس + واصلاح القلب وتدارك ما فوط من اضاعة العمر يائسا عن تمام التلافى والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه ولعمرى انه لا سبب لاصرارك على التكثير الا الداء الذى عم الجم الغفير + بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر اد + والمخطب جد + والاخرة مقبلة + والدنيا مدبرة + والاجل قريب + والسفر بعيد + والزاد طفيف والخطر عظيم + والطريق سبيد + وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رديء وسلوك طريق الاخرة مع كثرة العوائل من غير دليل ولا رفيق متعب فادح + فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان + ولم يبق الا المتزيون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان + واستغواهم الطغيان + واصبح كل واحد منهم بعاجل حظه مشغوفا + فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا + حتى ظل علم الدين منه دارسا ومنار الهدى فى اقطار الارض منطمسا + ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكمى تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام + او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام + اذ لم ير واما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام + وشبكة للحطام + فاما علم طريق الاخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه فى كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا + وصار نسيا منسيا + ولما كان هذا اثلما فى الدين مثلما + وخطبا مدلهما + رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما + احياء لعلوم الدين + وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين + وايضاحا لما هى العلوم النافعة عند النبيين + والسلف الصالحين + وقد استنه على اربعة ارباع وسميته بربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لا كشف ولا على العلم الذى تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وما يرقيه العلم النافع عن الضرار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحق منيل اهل العصر عن شاكلة الصواب + واتخاذهم سراب + واقتناعهم من العلوم بالقشور عن اللباب

١ ينتضل ٢ اى يتفوق ٣ اى يختص ٤ اى يتوب ٥ اى يتسل ٦ اى يتخير ٧ اى يتوب ٨ اى يتحرز ٩ اى يكف ١٠ اى يتخلص ١١ اى يتنزل ١٢ اى يتخير ١٣ اى يتحرز ١٤ اى يستعيذ ١٥ اى يتحرز ١٦ اى يتوب ١٧ اى يتوب ١٨ اى يتوب ١٩ اى يتوب ٢٠ اى يتوب ٢١ اى يتوب ٢٢ اى يتوب ٢٣ اى يتوب ٢٤ اى يتوب ٢٥ اى يتوب ٢٦ اى يتوب ٢٧ اى يتوب ٢٨ اى يتوب ٢٩ اى يتوب ٣٠ اى يتوب ٣١ اى يتوب ٣٢ اى يتوب ٣٣ اى يتوب ٣٤ اى يتوب ٣٥ اى يتوب

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب اسرار الطهارة وكتاب اسرار الصلاة
وكتاب اسرار الزكاة وكتاب اسرار الصيام وكتاب اسرار الحج وكتاب اداب تلاوة القرآن وكتاب الاذكار والدعوات وكتاب ترتيب
الاوراد فى الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب اداب الاكل والشرب وكتاب اداب
النكاح وكتاب احكام الكسب وكتاب الحلال والحرام وكتاب اداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب
اداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكتاب اداب المعيشة واخلاق النبوة واما ربع
المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوتين شهوة
البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات اللسان وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب
ذم الجاه والرياء وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة
وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضا
وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت + فاما ربع العبادات فاذكر فيه من
خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل فى
فن الفقهيات + واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها وخفايا الودع فى مجاريها فهى مما
لا يستغنى عنها متدين + واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه و
اذكر فى كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم اذكر سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التى عليها تترتب ثم العلامات التى بها تعرف
ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار + واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة
مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يقرب العبد من رب العالمين اذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب
وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تعرف وفضيلتها التى لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس
فى بعض هذه المعانى كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور + الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه + الثانى ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه
الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قردوه + الرابع حذف ما كرروه واثبات ما حرروه + الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض
لها فى الكتب صلا اذا الكل ان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لامر خفى يخصه ويغفل عنه رفقاؤه
او لا يغفل من التنبه له ولكن يسهو عن ايراده فى الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه محتويا
لجوامع هذه العلوم واما حملنى على تاسيس هذا الكتاب على اربعة ارباع امران **احدهما** وهو الباعث الاصلى
ان هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى لان العلم الذى يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم
المكاشفة واعنى بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل
به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لا رخصة فى ايداعها الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر العابدين
وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا فى علم الطريق والارشاد اليه + واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا
بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال على ما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء + فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسى
والاقتداء + ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر اعنى العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعنى العلم باعمال القلوب + والجارى على الجوارح اما
عبادة واما عادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فما الواجب نقسم هذا العلم الى
شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس ينقسم الى محمود
ومذموم فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الاقسام **الباعث الثانى** انى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة
فى الفقه الذى يصلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع
والمتزين بزى المحبوب محبوب + فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا فى استدراج القلوب + ولهذا تلطف بعض من رام استمالة
قلوب الرؤساء الى الطب فوشحه على هيئة تقويم النجوم + موضوعا فى الجداول والرقوم + وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا
لهم الى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب الى العلم الذى يفيد حياة الابد آهم من التلطف فى اجتذابها الى الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة

هذا العلم طب لقلوب والارواح المتوصل به الى حياة تدوم ابدا لا باد فتاين منه الطب الذى يعالج به الاجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد
فى اقرب الاماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه كريم جواد

كتاب العلم وفيه سبعة ابواب

الباب الاول فى فضل العلم والتعليم والتعلم **الباب الثانى** فى بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام
من علم الدين وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا **الباب الثالث** فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم
وقدره **الباب الرابع** فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل **الباب الخامس** فى آداب العلم والمتعلم
الباب السادس فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والاخرة **الباب السابع** فى العقل وفضله
واقسامه وما جاء فيه من الاخبار **الباب الاول** فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل **فضيلة العلم**
اما شواهد ذلك من القرآن فقوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه و
ثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالا ونبلا وقال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
قال ابن عباس رضى الله عنه للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل قل هل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال
الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال عز وجل وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل
صالحا بين ان حظ قدر الاخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول
والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه فى الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء فى كشف حكم الله وقيل فى قوله تعالى
يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم يعنى العلم وريشا يعنى اليقين ولباس التقوى يعنى الحياء وقال عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال عز وجل بل هو ايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان
وانما اذكر ذلك فى معرض الامتنان **واما الاخبار** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال
صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم
يستغفر للعالم ما فى السموات والارض وانى منصبت يد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون
بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم
ان الاخرة خير وابقى وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان
فانه ما اراد به الفقه الذى ظننته وسيأتى معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت
برشحاتها من النفاق والرياء وقال صلى الله عليه وسلم افضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه وقال صلى الله
عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما
اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة ايسر
من موت عالم وقال عليه الصلاة والسلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا وقال صلى الله
عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ على امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت
له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من حمل من امتى اربعين حديثا لقى الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما وقال صلى الله عليه وسلم
من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب قال صلى الله عليه وسلم اوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم
انى عليم احب كل عليم وقال صلى الله عليه وسلم العلماء امين الله سبحانه فى الارض وقال صلى الله عليه وسلم صنفان من امتى اذا صلحوا صلح الناس واذا
فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء وقال عليه السلام اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم
وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى فانظر كيف نزل العلم مقاربا
لدرجة النبوة وكيف حطر تبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم

ل ١ الاعمر كرة الغاية والمنتهى ٣ ق

ل ٢ فضيلة

ل ٣ شواهدها

ل ٤ ناهيك بمعنى حسبك ٣ ق النبل بالضم الذكاء والنجابة ٣ ق

ل ٥ الورق بكسر الراء المال الاحمر الخوافق

ل ٦ ق فقد قال

ل ٧ ق فيما هى فيه زهرى

ل ٨ ق يوم

ل ٩ ق فقه

ل ١٠ اعطاه كذا من عطاء اى منحه اى

ل ١١ ق الكتاب

فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء اعظم مرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله تعالى بشئ افضل من فقه في الدين وفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم ايسره وخير العبادة الفقه وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة وقال صلى الله عليه وسلم انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل اي الاعمال تريد قال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل نسأل عن العمل ونجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم نسأل الله حسن الخاتمة **واما الآثار** فقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وقال علي ايضا رضي الله عنه العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال رضي الله تعالى عنه نظما **نظم** ما الفخر الا لاهل العلم انهم + على الهدى لمن استهدى ادلاء + وقدر كل امرئ ما كان يحسنه + والجاهلون لاهل العلم اعداء + ففز بعلم تعش حيا به ابدا + الناس موتى واهل العلم احياء + وقال ابو الاسود ليس شئ اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هي العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بأكله فان الثور اوسع بطنا منه ولا بجماعه فان العصفور اقوى على الجماع فيرا منه بل لم يخلق الا للعلم ولم يشرف الا بذلك قال بعض الحكماء ليت شعري اي شئ ادرك من فاته العلم واي شئ فات من ادرك العلم وقال فتح الموصلي رحمه الله أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط اللوث عنه اعياء الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس الامن من خوفه والمفيق من سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله من يوم تكشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان احد اسم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه واحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تفتن قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل لرابد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رحمة الله عليه من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شئ حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف رحمه الله كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عزم يوطد بعلم فالى زوال مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا فلم اذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي يا عراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكى ذلك لابنه فقال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد رجعه ولا يفقد ذكره وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه الا ذكران الرجال + **فضيلة التعلم**

---

١ التقوى بالكسر كالتقية والتقوة وتقواته اتقاه ٢ الحفيز ان تضع رجلك في صدره وتمر ٣ ضمر الجيل تضميرا علفها القوت لجده السمن كالضمر بالتحريك الهزيل يضمر في الجيل وفي الفرس في شهر ٤ ان زكا الرجل تزكوا نما ٥ اولى الناس من حضر الغذاء كفاه يوم او ولا يحوجه الى التماس الناس او ميتة مسؤود فتاك ويحيا بالباء فان يكن لهم في اصلاح شئ بقاء فاحرين قال الطيبي الباء وفي بعض النسخ بدله اللام بمعناه اي لاجله ٦ ذهبه والعلم تخلقه في بعض النسخ وانشد ٧ العتب الكمر الحول والشمل من اي شئ كان وان ٨ قوله وقوتا او قوتا كسبة كالعتبة وفي بعض الاصول فتاكر كرضي وسمي الزبد كما في القاموس ٩ والعتبى بالضم الرضا واستعتبه اعطاه العتبى كما في القاموس ١٠ الفقر ان ١١ قال بعضهم قاموس ١٢ الاول الاول الاول ١٣ اي في الطالب ١٤ اي في القلب

اما الايات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وقوله عز وجل فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون + **واما الاخبار** + فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع وقال صلى الله عليه وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال عليه الصلاة والسلام العلم خزائن مفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال عليه الصلاة والسلام من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء فى الجنة درجة واحدة **واما الاثار** فقال ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابى مليكة رحمه الله ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة ثم قال بعض الحكماء انى لاحترم الرجل حتى لاحذ دجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه وقال ابو الدرداء رضى الله عنه لان اتعلم مسئلة احب الى من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضى الله عنه موت الف عابد قائم الليل وصائم النهار اهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعى رضى الله عنه طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتاب لاصلى فقال يا هذا ما الذى قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء رضى الله عنه من راى ان الغدو الى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رايه وعقله **فضيلة التعليم** + **اما الايات** فقوله عز وجل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقوله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة + **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اتى الله عالما علما الا واخذ عليه من الميثاق ما اخذ على النبيين ان يبينوه للناس ولا يكتمونه وقال صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ رضى الله عنه الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين نبيا صديقا وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال صلى الله عليه وسلم من علم علما فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله سبحانه وما والاه او معلما او متعلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وملائكته واهل سمواته وارضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال صلى الله عليه وسلم ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن يبلغه فبلغه وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه والثانى يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسئلون الله فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثنى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما وقال صلى الله

ل ان فقد قال النبى ... عن ... صلى العالمين م

ل اى كنت فيه لبيان كونه طالبا وصرت عند الآخر مطلوبا ١٢

ل قوله قال ... الجمع محركة ... كالصوف يستظل على وجوه الفحم والجمر والحمى ١٢ ق ١ ـ محركون لا وقارهم ١٢

ل الكلا الجمل العشب ... العشب بالضم الكلا الرطب ١٢ ق

ل القاع ارض سهلة ... فانفرجت عنها الجبال فالكام جمع نيج ونجوة ... وقيعان بكسر من ... ن

عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به او صدقة جارية او ولد صالح يدعو له بالخير وقال صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير وقال صلى الله عليه وسلم على خلفاء الى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله **واما الاثار** فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل اجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما معلم الناس الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وروي ان سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فمكث ولا يسئله انسان فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال اليس احد يسئلني عن شئ وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم الى انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه قال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد صلى الله عليه وسلم من ابائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على الدين والمصباح في السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء والسلاح على الاعداء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص اثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق **الشواهد العقلية** اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان يعلم وجود ها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهي الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله والمفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشئ كما يقال الفرس افضل من الحمار يعني انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليست من الكمال في شئ والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك ان للعلم فضيلة ان اخذته بالاضافة الى سائر الاوصاف كما ان للفرس فضيلة ان اخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال لله سبحانه وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشئ النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته واشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة للبدن عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المارب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الاخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال كيف لا وقد تعرف فضيلة الشئ ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما

١ في بعض النسخ ينتفع به بعد موته وفي بعض النسخ او ولد صالح يدعو له او علم نشره وتصنيفه ونحو ذلك مما انتفع به بعد موته ٢ هلكته ساقط من ن ٣ في بعض النسخ الصحيحة ان الحوت ٤ افتقص اثره قفا اثره ٥ يقوم بحفظها ضبطها ق ٦ في بعض النسخ ان العلم فضيلته لان فضيلته الاضافة الى سائر الحيوانات وبقوله قوة الاوصاف كما ان للفرس فضيلة الى اخره والمعنى ان العلم فضيلته لذاته ٧ الحبار الحمى واحد ما حصبه ق

سياتى بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها واما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعليمه طلبا للافضل فكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا والانتظام للدين الا بانتظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهى الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا ولم يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة اقسام + احدها اصول لاقوام للعالم دونها وهى اربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهى للتألف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها + الثانى ما هى مهيأة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلتها كالحلاجة والغزل فانهما تخدم الحياكة باعداد محلها + الثالث ما هى متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الا بعضى مثل اجزاء الشخص الا باضافة الى جملته فانها ثلاثة اضرب بعضها اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجى فى الدنيا والاخرة على اربع مراتب + الاولى وهى العليا سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا فى ظاهرهم وباطنهم + والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم + والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا نفع لهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهى قوتهم الى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع + الرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فاشرف هذه الصناعات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة امور اما بالالتفات الى العزيزة التى بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهى فقه طريق الاخرة انما تنال بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه اذ به تقبل امانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه واما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والعلم متصرف فى قلوب البشر وهى اشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياسته الى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو اجل خلافتا لله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو اخص صفاته فهو كالخازن لنفس خزانته ثم هو مأذون له فى الانفاق منه على كل محتاج اليه فاى رتبة اجل من ان يكون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم الى الله تعالى وتلقى سياسته اياهم الى جنة المأوى

الباب الثانى فى العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الكلام والفقه من علم الدين الى اى حد هو وتفضيل علم الاخرة

بيان العلم الذى هو فرض عين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم ففى فيه اكثر من عشرين فرقة والاطويل بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم اى علمنا فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله الحديث لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذى ينبغى ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو ان العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ اياها ثلاثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله

ج ١

ل فى اكثر النسخ بزيادة الخلفاء وسياسة الملوك والسياسة الوعاظ والواضح الثلثة الباقية فيضاد الشراح هم

ف فى ابن آدم لمتان لمة من الملك ولمة من الشيطان اى العزة والخطرة تقع فى القلب اراد اللمة الملك او الشيطان به والقرب منه اخطار مفرات او شره ١٢ فى البحر

وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحريا الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب وافه وطراب نفس
وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم
دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه اموره اء هذا فى الوقت بدليل
انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عز وجل غير عاص له وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل بتصور ان تنفك
عنها وتلك العوارض اما ان تكون فى الفعل واما فى الترك واما فى الاعتقاد + اما الفعل فبان يعيش من صحوة نهاره الى وقت الظهر فيتجدد عليه
بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا فكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو
اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب
العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى
غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والشرب والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال او شهادة عدلين فان تجدد له مال وكان يتمكن
عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه الا تعلم
زكاة الابل وكذلك فى سائر الاصناف فاذا دخل فى شهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور ولكن
ينبغى لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو ما لكا حتى يمارى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند
ذلك اذا حزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه ووجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل تعلمه ايضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين
وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الافعال التى هى فرض عين + واما
التراك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الاعمى تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم
من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه
وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا فى الغصب او ناظرا الى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس
ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل والشرب فيجب تعليمه حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك
وتلبيسه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه + واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التى تدل
عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله سبحانه قديم وانه ممتنع
وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر
بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من اهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى ان يضمن فى اول بلوغه عنها بتلقين الحق
خشية سبق الباطل فانه لو القى اليه الباطل لوجبت ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة
الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العمل الواجب وقت وجوبه
فقد علم العلم الذى هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدة ولمة الملك حق ايضا ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب على الانسان
ان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من هذه موبقات احوال القلب كالكبر والعجب
واخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات واذالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها الا بمعرفة حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها
فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الاعيان
وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعنى ومما ينبغى ان يزاد فى القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل من ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى
يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتى الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغى ان يفهم الرسالة التى هو مبلغها وهو ان من
اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فاذا انتهت الى هذا التدريج علمت ان مذهب الحق هو هذا وتحققت ان كل عبد هو فى مجارى
احواله فى يومه وليلته لا يخلو من وقائع فى عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من الخواطر ويلزمه المبادرة
الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين انه عليه الصلاة والسلام انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام فى قوله صلى الله عليه وسلم طلب
العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المسلمين غير فقد اتضح وجه التدريج فى وقت وجوبه والله اعلم + **بيان** العلم الذى هو

فرض كفاية + اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذى نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية
واعنى بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم
التى ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح امور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى
ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء
الابدان على الصحة وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عن يقوم بها حرج
اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا
من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم
للهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة
فالتعمق فى دقائق الحساب ودقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر
والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التى لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجرى مجراها + اما العلوم الشرعية
وهى المقصودة بالبيان + فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة + اما المحمودة فلها
اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهى اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهى اربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الامة
واثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل فى الدرجة الثانية وكذا الاثر فانه ايضا يدل على السنة لان الصحابة رضى الله عنهم
قد شاهدوا الوحى والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء
الاقتداء بهم والتمسك باثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثانى الفروع وهو ما فهم
من هذه الاصول لا بموجب لفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من الملفوظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام
لا يقضى القاضى وهو غضبان انه لا يقضى اذا كان حاقنا او جائعا او متألما بمرض وهذا على ضربين احدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والتكفل
به الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثانى ما يتعلق بمصالح الاخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو
مكروه وهو الذى يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعنى جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها وهو الذى
يحويه الشطر الاول من هذا الكتاب الضرب الثالث المقدمات وهى التى تجرى منه مجرى الالات كعلم اللغة والنحو فانهما الة لعلم كتاب الله تعالى وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى انفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب
وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة الة ومن الالات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو
تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك فى علم القرآن فانه ينقسم الى
ما يتعلق باللفظ كتعلم القرآن ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق
باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى اصول الفقه ويتناول السنة
ايضا واما المتممات فى الاخبار والاحاديث فالعلم بالرجال واسمائهم وانسابهم واسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم باحوالهم ليميز الضعيف
عن القوى والعلم باعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت
فلم ألحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله عز وجل اخرج ادم عليه السلام من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين
ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدأهم وهذه غايتهم
وهذه منازلهم وخلق الدنيا زاد المعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها
بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين
الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم فى الدنيا و
لعمرى انه متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين اصل
والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الخصومات بالفقه
وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة

ل
سخف بكسر متل
وفى عقله سخف اى
نقص وقال الخليل
السخف فى العقل
خاصة والسخافة
فى كل شئ
ح
حقن الرجل بوله حبسه
وجمعه فهو حاقن قال
ابن فارس ويقال
للجامع من لبن وشئ
حقين ولذلك سمى
حابس البول حاقنا
مصباح

ن الفقه
ن بالاخرة
ن القرآن

ح
السؤل ترا حكم
الفتحى والخروج فى
رفق والسؤال ما
يسأل من الشئ يرفق
ح
رشد الرجل
سيا شدا ورشدا
١٢ ق

فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذل نفقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شئ وسلوك الطريق الى الحج شئ ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شئ ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شئ رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندا الى ان يفتي الناس الا ثلاثة اميرا وماموراو متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المراءي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام ذلك في احكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها اظهر + اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد في شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان واما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه في الذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن شيمة ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاموال بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب كان خارجا عن فنه + واما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق لا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كثيرا نفع كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اذ ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير فاما الخشوع وحضور القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه + واما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع عن ادائها فاخذها السلطان قهرا حكم بانه برئت ذمته وقد حكي ان ابا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها اسقاطا للزكاة فحكي ذلك لابي حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار + واما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر + الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حواز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداءه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات + الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وان افتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في الاثم من صفات القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شئ من الطب والحساب والنحو وعلم الكلام وكما قد دخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفيان الثوري وهو اماما في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان التشرف في العلم ليعمل به فكيف يظن انه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال فان قلت لم سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه + احدها انه علم شرعي اي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع +

لك
جواز القلب حديث في
ابن مسعود يا جوز ما
يغلبها حتى تركب
ما لا تحتمله نفسه
حلا ترجع حلاوة دوي
الامور التي تحرس في
القلوب فتحك و
توثر وتخالج فيها
ان يكون مثاله
لتقدم الطبيعة
اليها اذ ق وردي
بزائين الاولى
مشتقة فعال من الخز
كذا في الجمع والخزازة
وجع في القلب من
غيظ ونحوه ولكان
سهل حزاز في القلب
وحك في الصدر
ويضم ١٢ ق ٥٤
القلوب وكرة النشاط
والكسر والتكبر والعجب
بالفتح وكراهة الشئ
فجر ان يستحق كالكبر
١٢ ان ٥٤ التقارف
المخالفة ١٢ ان ٥٤
والبعد من محبة ونحوها

والثانى انه لا يستغنى عنه احد من سالكى طريق الاخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم القليلون + والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الاخرة لانه نظر فى اعمال الجوارح ومصدر اعمال الجوارح ومنشأها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية فى الاخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى تصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشأهما صفات فى المزاج والاخلاط وذلك مرا وصاف البدن لا من اوصاف القلب فهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الاخرة الى الفقه ظهر ايضا شرف علم طريق الاخرة فان قلت فهل الى علم طريق الاخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة **فالقسم الاول** علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شئ من هذا العلم بداهة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق له وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره انه لا يذوق منه شيأ وهو علم الصديقين والمقربين اعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كثيرة كان يسمع من قبل اسماءها فيتوهم لها معان مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبافعاله وبحكمته فى خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه للاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ومعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قول تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملاء الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذى اعده الله لعباده الصالحين ملا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله عز وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى تتضح لجلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بفاذورات الدنيا وانما نعنى بعلم طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء صلوات الله عليهم فى جميع احوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب يحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها وبالتعلم وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله تعالى عليه بشئ منها الا مع اهله وهو للمشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفى الذى اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطق به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما منه فان الله عز وجل لم يحقر اذ اتاه العلم **واما القسم الثانى** وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضى والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ومعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التى بها تكتسب وثمراتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المفقود والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والتكبر والرياء والبغضاء والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وذل الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا لها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله سبحانه فى سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والغفلة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لقلة فهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش

Scanned by CamScanner

ومناسبات الاعمال المحظورة + واضدادها وهى الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدودها هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها
وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين فى فتوى علماء الاخرة فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة
هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء فى فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وشذا بالاضافة الى صلاح الاخرة
ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عين الذى فى
اهماله هلاكه فى الاخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج
الى شئ منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفى حفظه ودرسه يغفل عما هو مهم نفسه
فى الدين واذا رجع فيه قال شتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره فى تعلله الفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر فى
فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم
فما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا ترى احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء ممن
يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل
لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولى الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط
به على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان واليه الملاذ فى ان يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط
الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الامام الشافعى رضى الله عنه يجلس
بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله كيف يفعل فى كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول ان هذا وفق لما علمناه
وكان احمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسئلانه كيف نفعل وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده فى كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم
ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوما اذا قمت
من عندى فمن تجالس قلت المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورقه على المتكلمين ثم لما ولّيت سمعته يقول
جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر
بنفسه فان قلت فلم لم تورد فى اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة
التى ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات
الفرق وتطويل بنقل المقالات التى اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شئ منه بأبى فى
العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصادفة عن مقتضى القرآن والسنة وتبعت جماعة لفقوها
ورتبوا فيها كلاما موعا فاصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به للمبتدع اذا قصد
الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا ان شاء الله تعالى **واما الفلسفة** فليست علما برأسها بل هى اربعة
اجزاء + احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما
قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر وكما يصان حديث العهد
بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوى يندب الى مخالطتهم + الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشرطه ووجه الحد وشرطه
وهما داخلان فى علم الكلام + والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل فى الكلام ايضا والفلاسفة لم يزيدوا
فيها بنمط آخر من العلم بل انفرد وا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتماد ليس على ما برأسه بل على ما صحابه طائفة من المتكلمين وهم اهل البحث والنظر
انفرد وا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة + والرابع الطبيعيات بعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى اقسام العلوم وبعضها
بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص
من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون فى جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علماء هم فى
الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذا الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تمويهات المبتدعة وانما حدث
ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان الى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب

---

١ الاعمال المحظورة الخ المنوعة التى فى ارتكابها
٢ من ق
٣ السطوة الصولة والقهر ق
٤ الكبر وجود نسيان الحديث من ق
٥ الجهل بالفهم فهو فقد الوقع بالقول فى الشئ من ق

٥ فوق الثوب بالفوقانية ضم شقة الى اخرى فاطلاقها وتلفق به لحفة واحادث ملفقة كمنفعة من خرقة من ق

عنه وانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك المبتدع هذه الزيادة افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة ولم يكن من جملة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فان قلت فقد رددت حد المتكلم الى الحراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة القمشة الحجيج عن نهب العرب رددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا بكثرة صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه في تفخيمه وتعظيمه لا سبب له. ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم احد الا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان اذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب الى فلان الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتيا في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا حلة الصحابة فقال لم ار د علم الفتيا والاحكام انما اريد العلم بالله تعالى افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة اعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب ضبيعا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله وهجرهم وامر الناس بهجرهم واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء اخر فلقد كان شهرة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فكون الشهرة فيما هو للمهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه احد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد تقسموا فمنهم من اراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعلمهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله سبحانه وتعالى والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله عز وجل واقسام ما يتقرب به الى الله تعالى ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك ان تكون يوم القيامة في حزب علماء الله او عمال الله تعالى او في حزبهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا اهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل **شعر** خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل * على انا سنتقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله تعالى وقد شوهد من احوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نذكر من احوال فقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في اعمالهم

ع ١ اي بذكر الصلف والكبر والغفلة والضلال
ع ٢ اشارة الى السبق والغاية والاصرة
ع ٣ اي لا يخفى امره فيشق غباره ويدخل فيه وهذه كناية عن سبقهم في ميدان الفضيلة

وسيدهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعنى الذين كثر اتباعهم فى المذاهب خمسة الشافعى ومالك واحمد بن حنبل وابو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة رفيقها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمسة خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان اريد بها الآخرة فلاجلها للدنيا تشمر والها وادّعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات ان تقاس الملائكة بالحدادين فنورد الآن من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة **اما الامام الشافعى** رحمه الله تعالى فيدل على انه كان عابدا ما روى انه كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلوة وثلثا للنوم قال الربيع كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة وكان البويطى احد اصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة وقال الحسن الكرابيسى بتُّ مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين اية فاذا اكثر فمائة اية وكان لا يمر باية رحمة الا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر باية عذاب الا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين فانما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على تبحره فى اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب يزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته فى ذكر آفات الشبع ثم فى جده فى العبادة اذ طرح الشبع لاجلها ورأس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعى رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له الا تجيب رحمك الله فقال حتى ادرى الفضل فى سكوتى او فى جوابى فانظر فى مراقبته لسانه مع انه اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء واعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعى الينا وقال نزّهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شئ فى وعائه فيحرص ان يفرغه فى اوعيتكم ولو ردّت كلمة السفيه لسعد رادّها كما شقى بها قائلها وقال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب لها خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرّقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامى ما لا كثيرا وسقط سوطه من يده مرة فوقعه انسان اليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعى رحمه الله اشهر من ان تحكى ورأس الزهد السخاء لان من احب شيأ امسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة ما روى انه روى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت انا وعمر بن نبانة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر ما رايت اورع ولا انصح من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه خرجت انا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث تلميذ الصباح المزنى فافتتح يقرأ وكانت حسن الصوت فقرأ هذه الآية هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرمك ووجهك قال ثم قمنا وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط اتوضاء للصلاة اذ مر بى رجل فقال لى يا غلام احسن وضوءك احسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت فى وضوئى وجعلت اقفو اثره فالتفت الىّ فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله شيأ فقال لى علم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا فما ازيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى فما ازيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق الله تعالى فى جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعى فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله عز وجل فانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار

اذ حكم الاولين والآخرين موجود فيهما * واما كونه عالما باسرار القلب وعاوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روى انه سئل عن الرياء فقال على البديهة
الرياء فتنة عقدها الهوى وحبال يصيد بها قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي رحمه الله اذا انت خفت على
عملك العجب فانظر رضى من تطلب في اى ثواب ترغب ومن اي عقاب ترهب واى عافية تشكر واى بلاء تذكر فانك اذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر
في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعي رضي الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال رحمه الله من اطاع
الله تعالى بالعلم تفقه سره وقال ما ناظرت احدا الا احببت ان يظفر ويوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى ويحفظ وما كلمت احدا قط الا
احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى ويحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه
وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني احد على الحق ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه
العلامات هي التي تدل على ارادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف
خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور رحمه الله ما رايت ولا رأى الراؤون مثل الشافعي رحمه الله تعالى وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة
منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر الى انصاف الداعي درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار
وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه قال ابنه اي جد كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا
الدعاء فقال الحمد يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان احمد رحمه الله يقول ما مس احد
بيده محبرة الا والشافعي رحمه الله في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله
عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي
صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه ونفعنا وجميع المسلمين **واما الامام مالك رضي الله عنه**
فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين
تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل
الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما كلمت احدا قط الا
احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى ويحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه
وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت محبته ولا كابرني احد على الحق ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه
العلامات هي التي تدل على ارادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف
خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور رحمه الله ما رايت ولا رأى الراؤون مثل الشافعي رحمه الله تعالى وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة
منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر الى انصاف الداعي درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار
وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه قال ابنه اي جد كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا
الدعاء فقال الحمد يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان احمد رحمه الله يقول ما مس احد
بيده محبرة الا والشافعي رحمه الله في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله
عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي
صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه ونفعنا وجميع المسلمين **واما الامام مالك رضي الله عنه**
فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين
تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل
الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله
الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى * واما ارادته وجه الله تعالى
بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان واربعين مسئلة
فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي
رضي الله عنه اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم
دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا
في حديثه ولا يكذب الا متع بعقله ولم تصبه مع الهرم آفة ولا خرف * واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المؤمنين سأله فقال
له هل لك من دار فقال لا ولكن احدثك فيه حديثا سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه

ل التسريح تحسين الشعر
وازالة الوسخ
ثم للشعث ان
الرئيس والاخصائي
الدبيس لين ترس
بانكر بالاخبار وهو
الحاسوب تنش
ز ان كنتم وفرحوكم
فهو خرق ملكتم فر
سوء ق

ثلاثة آلاف دينار وقال اشتريها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد التخوص قال لمالك رحمه الله ينبغي ان تخرج معنا فاني خرجت ان احمل الناس
على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال له امّا حمل الناس على الموطاء فليس اليه سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
افترقوا بعده في الامصار فحدّثوا عند كل اهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة وامّا الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه الصلاة والسلام للمدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم
كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته الى احسنته الى فلا اؤثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه
على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره
للدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله انه قال رأيت على باب مالك كراعا من فراس خراسان وبغال مصر ما رأيت احسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما
احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني استحيي من الله تعالى ان اطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه
وسلم بحافر دابة وانظر الى سخائه اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره
للدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطاء قال فقلت اعز الله
مولانا الاميران هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عزّ وان انتم اذللتموه ذلّ والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس

وامّا ابو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه + فامّا كونه
عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة رحمه الله له مروّة وكثرة صلاة وروى حمّاد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف
الليل فمر يوما في طريق فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال الا ان هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال انا استحيي
من الله سبحانه ان اوصف بما ليس في من عبادته + وامّا زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة
عليه فاراده ان يكون حاكما على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب قال الحكم بن هشام الثقفي حدثت
بالشام حديثا في ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده السلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار هذا بهم له على صغار
الله تعالى وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه
قيل لابي حنيفة قد ولاك امير المؤمنين ابو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال فيه صلى
الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي منذ ساعة فقال
ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت دفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى
الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتنا ايا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك فلقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي
الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح لهذا فقيل له ان كنت صادقا فما اصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء + وامّا علمه بطريق الآخرة
وطريق امور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت
انه شديد الخوف لله تعالى وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن لاشتغال
بهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه نبذة من احوال الائمة الثلاثة **وامّا الامام احمد بن حنبل وسفيان
الثوري رحمهما الله تعالى** فأتباعهما اقل من اتباع هؤلاء وسفيان اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا
الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الائمة الثلاثة وتأمل لزهده الاحوال والاقوال
والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل ثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان او ثمرها علم الخ
اعلى واشرف منه وانظر ان الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء اصدقوا في دعواهم امرا +

الباب الثالث

في ما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذموما وبيان ترتيب اسامي العلوم وهو الفقه والعلم للتوحيد والتذكير والحكمة وعلم
القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها **بيان** علة ذم العلم المذموم + لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات
الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة **الاول**
ان يكون مؤديا الى ضرر مّا اما لصاحبه او لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين

الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل عليه السلام بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حرز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر

الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان مسير الشمس والقمر محسوب اذ قال عز وجل الشمس والقمر بحسبان وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو ايضا على استدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال صلى الله عليه وسلم اخاف على امتي بعدي ثلاثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر + وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه + احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القى اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا او مرجوا من جهتها وينحى ذكر الله سبحانه عن القلب فالى الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة الساقطة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب فهذا احد اسباب النهي عن النجوم + وثانيها ان الحكام النجوم تخمين محض ليس يدري في حق احاد الاشخاص يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يمحى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الاسباب لا تبدي وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فنادرة يصيب في تخمينه ونادرة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضا + وثالثها انه لا فائدة فيه فان قيل احوال النفوس في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو نفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال صلى الله عليه وسلم انما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فاما الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام مخطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قد ركان من الاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه وهو اكثر دلالته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة ولا خطر فيه

السبب الثالث الخوض في علم لا يستقل الخائض فيه فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون عليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوفاء على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس من البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم امرأته وانها لا تلد فحبس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك قال رأيتها سمينة وقد

انعقد التحم على فم رحمها فعلمت انها لا تخرج الا بخوف الموت فخوفها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة [illegible] ك على استشعار خطر بعض
العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحثا ثا عن علوم ذمتها الشرع وزجر عنها ولازم
الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الاشياء والاستقلال لا تكن التبيح برأيك معقولك
ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه فاي ضرر في التفكر في العلم فانما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شئ
تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته * واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في
المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم على سنتهم بعقولك فتهلك فكم
من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليها حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكتف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد
ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن
الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا عجائب
غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فنا العجائب والغرائب في العقائد والاعمال افادها
لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان
العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية معان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة معان التجربة غير متطرقة اليها
وانما كانت التجربة تتطرق اليها لورجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه
وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من نفعة العقل ان يهديك الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك مواد اشارته فاعزل
العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فانك لا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه
يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال ايضا صلى الله عليه وسلم قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها يثمر وما
اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع * **بيان** ما بدل من الفاظ العلوم * اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية
تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم
والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة فصارت الفاظ تنفر
تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد غلب في عرف اكثر الناس على التبحر في دقائق
والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق علمها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان
اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس
ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب وبذلك عليه قوله عز وجل ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة
فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري ان الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال
تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر كان
ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل
سعد بن ابراهيم الزهري رحمه الله اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم لله تعالى فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى
والاقضية وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من
روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى
طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم
ويعظ ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان وتتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القرآن وعد النعم
تفقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء
رضي الله عنه مع قوله يرفيل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وقد سأل فرقد السبخي الحسن عن شئ فاجابه فقال الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله

ل في اكثر النسخ بالياء الموحدة والجيم والحاء ومعناه الفرح كما في الصراح فتحة فتح وفي نسخة بالنون والجيم والحاء فيكون من وتلم اي الجمع او من وتر فكون من وتم وقال في النسخة المصححة على النسخة الصحيحة بالام ويمكن ان يكون بمعنى الخصوصة والحمل يستقيم في المعنى ١٠

ع التعثير اصول الادوية ١٠

ع اي مصير بمعنى القرب ١٠

ع اي بالام وهي كرضي ايضا وهو الداء او عجز وهو لا يطلق الا على الحمار وهي في النطق كرمي يقال بالكسر خثر ١٠ ق

ع اي ورد واد قوله ١٢ ق

ع صوت الحديث سردا اتبعه على الولاء ١٢ مصباح

ع اي يحمل الناس قائلا على نفسه ١٢

تكلتك امك فويقد وهل يا[illegible] بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم وقد قال فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول انى اسمى الفقيه بكونه متفننا فى الفتاوى فى الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له على علم الاخرة اكثر فشا ومن هذا التخصيص تلبيس بعض الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلوب وجد واعلى ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع به

اللفظ الثانى العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبافعاله فى عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه فى الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء اكثره فى العلماء بالله تعالى وباحكامه وبافعاله وصفاته وقد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب خير وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم

اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شئ فى العصر الاول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التى تسبق الاذهان الى قبولها فى اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاتته عن الاسباب الوسائط فلا يرى لخير والشر كلا الا منه جل جلاله فهذا مقام شريف من احدى ثمرات المتوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل ومن ثمراته ايضا ترك الشكاية من الخلق وترك التغضب عليهم والرضاء والتسليم لحكم الله تعالى وكانت احدى ثمراته قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه الا نطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضنى وقوله لآخر لما مرض فقيل له بماذا قال لك الطبيب فى مرضك فقال قال لى انى فعال لما اريد وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك ان شاء الله تعالى والتوحيد جوهر نفيس له قشران احدهما ابعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول هو ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى وكفروا به وقد يعتصم به من المنافق الذى يخالف سره جهره والقشر الثانى ان لا يكون فى القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاتته عن الوسائط وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى لكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد فى الارض عند الله تعالى هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوفات احد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر الى ما ذا حول وبأى قشر قنع وكيف اتخذ هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك كاملا من يصيح بكفره ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجهه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والارض حتى يكون التوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب بالمتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردد فى اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتحير فى طلب الحيل فى جمع الاموال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذى لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى وذكرهم فان الذكرى

ل
الكلم الطيب والشرقان جانبا فهم من باطن الحجاب ١٢

تنفع للمؤمنين وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفى الحديث ان لله تعالى ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون لا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات + اما القصص فمحدثة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى زمن ابى بكر ولا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروى ان ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال ما اخرجنى الا القصاص ولولا انى خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثورى يستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خير فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحيى فقال لم انا فى سنة وانت فى كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه اذ كان يتكلم فى علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الاخرة واحوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذى روى الحث عليه فى حديث ابى ذر رضى الله عنه حيث قال حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المتأخرون هذا الحديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى تتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب النافع بالضار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رحمه الله ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق بامور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست ارى به بأسا فليحذر الكذب وحكايات احوال تومى الى هفوات او مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويتعلل لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد المعاصى والاغترار ان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو اكبر منى ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدرى فبعد الاحتراز عن هذين للحذور دين فلا بأس به وعند ذلك يرجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح فى الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم ان قصده فيها دعوة الخلق الى الحق وهذا من تزيينات الشيطان فان فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع فى الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذى ينهضك الى لا قضيت حاجتك ابدا حتى تتوب فقد كان جاء فى حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة فى سجع بين ثلاث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين كيف ندى من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب واما الاشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم قال الله تعالى فى الشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف فى العشق وجمال المعشوق وتفرح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوى الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغى ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستئناس وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان اولئك لا يضرهم الشعر الذى يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كلما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فان اكثرهم لم يتكلم وما تراه اهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هؤلاء اصحابى انما اصحابى الذين صحبوا الخواص + واما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب

والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لاجل اطلاقه
كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما حكى عن ابى يزيد البسطامى انه قال سبحانى سبحانى وهذا فن من الكلام عظم ضرره فى العوام
حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك
المقامات والاحوال فلا نعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا
هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بما كاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار
فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشئ منه فقتله افضل فى دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح
عنه ما يحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدنى
فانه ما كان ينبغى ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف الثانى من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر بالغة وفيها عبارات هائلة
وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام
قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق
التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويذهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم
منها معانى ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفقهونه
الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه
صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا
الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ اخر من وضع الحكمة فى
غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذى حق حقه واما الطامات فيدخل فيها ما ذكرناه فى الشطح
وامر اخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كذا ب الباطنية فى التأويلات
فهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه
من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم
لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد اصحابها
الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب مستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على ما يهوونه كما حكينا
من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى
انه اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى وان الق عصاك اى كل ما يتوكاء عليه ويعتمد مما سوى الله
عز وجل فينبغى ان يلقيه وفى قوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان فى السحور بركة اراد به الاستغفار فى الاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من
اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب
فان فرعون شخص محسوس تواترت الينا وجوده ودعوة موسى له وكابى جهل وابى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما
لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا
وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى امور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك
حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على دعوة الخلق و
وعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه
تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغى ان يفهم منه انه
يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة
ويعلم ان جميعها غير مسموعة من النبى صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاءويلات مع علمه
بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسألة يراها حقا حديثا عن النبوة صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر فى تأويل هذه الالفاظ أعظم وأعم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والافهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامى فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرفت فى العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الالفاظ **اللفظ الخامس** الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يخرج القرعة على أكف السوداوية فى شوارع الطرق والحكمة هى التى اثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وقال صلى الله عليه وسلم الكلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا انقلبت وتسمى بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين اعظم من شر الشياطين اذ الشيطان بوسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا المعنى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق فى قال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس والبيان الخيرة فى ان تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم فذاك ومن ما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتى والذين يحيون ما اماته من سنتى وفى خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفى حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم فى الخلق اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثورى رحمه الله اذا رأيت العالم كثيرا الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة + اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه كما ان البذل كالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم + فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو الذى لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذى هو انفس ما عملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفائس مذموم ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل به

واما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته والتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حده الواجب فانه البحر الذى لا يدرك غوره وانما يخوض المخوضون على سواحله وطرفه بقدر ما يتيسر لهم وما خاض طرفه الا الانبياء والاولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب ويعين على التنبيه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم هذا فى اول الامر ويعين عليه فى الآخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالانبياء والاولياء ليتضح منه لكل سائح الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا بد فيه من الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها + واما العلوم التى لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهى العلوم التى اوردناها فى فروض الكفايات فان فى كل علم منها اقتصادا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد كما مر ذكره الى آخر العمر فكل احد رجلين اما مشغول بنفسك واما متفرغ عنها الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بإصلاح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذى هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم الذى اهمل الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدمامل والقمل بإخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا الى تطهير الباطن وقطع مواد الشر بافنائها ومنابتها وقلع مغارسها وهى فى القلب وانما فرع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولتها اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفرع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة للقرحة فى الباطن فلا يزال يتعب فى الطلاء ويرى انه فى المواد تتضاعف به الامراض فان كنت مريد الآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من المهلكات الابدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ثم يجربك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين واذا تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفرض الكفاية لا سيما وفى الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فى طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعى العقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة ليدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يفيده ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وهما ذلك ويدوم ذلك وعادة مستمرة فيك وما ابعد ذلك منك فاشتغل بفرض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه

ل ٥ من علم الله اذا ظهر علم الشئ اذا ظهر حتى ط ١٢ ق

ل ٥٢ سوداوية النسبة الى السوداء ١٢ صحاح

ل ٥٤ لا يستقصى فى الاستقصاء وتقصى فى الكفاية ١٢ ق

ل ٥٥ فلان من حشوة بنى فلان اى من سفلتهم ١٢ صحاح

ل ٥٦ الطرقية منسوبة الى الطرق جمع طريق اى الذين يجلسون فى الطرق او النسبة الى الطرقة بمعنى الحيلة ١٢

وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلافات ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليهما في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بما ذكرناه غيرها فالاقتصاد في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه على الواحدي النيسابوري (ما نروى) هو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا معدل الى انتهاء الحد واما الحديث فالاقتصاد فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير يعلم متن الحديث وما تلحظ اسامي الرجال فقد كفيت فيهما مؤنة عظيمة عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليه ما خرج عنهما مما اورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واسمائهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه على ما يجريه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي تبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات واما الكلام فمقصوده حماية للعقائد التي نقلها اهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك وطلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة يحصل برتبة الاقتصاد منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ فيه قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضته به عنه بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي فذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم واما للمبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيأ يسيرا فقل ما ينفع معه الكلام فان ان فحميته لم يترك مذهبه واحال القصور على نفسه وقد ان عنه جوابا هو ما جز عنه وانما انت ملتمس عليه بقوة المجادلة ولما العامي اذا مروه عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد به مثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم قع اليأس منهم اذ التعصب سبب ترسخ العقائد في النفوس وهو من افات العلماء السوء فانهم يباهون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار لتتبعث فيهم الداعي بالمكافأة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لانه موضع التعصب والتحقير لا بخصوصيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا باتباع ولا يسهل الاتباع الا بمثل التعصب والى الشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم والتهم دينا من الدين ينبغي على المسلمين فيه على التحقيق هلاك الخلق ودسوخ البدعة في النفوس واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والجدالات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك وان تخوض حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو لاء ذم الفقهاء كلهم الى الطلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وافاتها وهذا الكلام ربما يسمع من ناقص فيقال للناس اعداء ما جهلوا فلا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فما قبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وذاق فيه الا قليلا تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف حاله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات ابتدعها الاولون ولا الصحابة وكانوا اعلم بعلم الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لمذوق الفقه قال الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فتمرن ان افحمتيه لم يترك الجدل اذ عن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الادعاء الذي في الفقه انما يشتغل به من يشتغل بطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علم المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اذا جاءوا شياطين الجن من الكتب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد دلى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طارت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل في الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون في الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم اهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان امتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم وفي الخبر ما ذل قوم بعد عز الا احدثوا الجدل وقال علي بن بصير الحمصي عن ابيه قال رأيت الخليل بن احمد في النوم بعد موته فقلت ما الذي اعقل من الخليل اسأله فقال لي رأيت ما كنا فيه فما رأيت شيأ نفع من قول لا اله الا الله والله اكبر والله اعلم

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف والجدل وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشرحها باختصار

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نوعان احدهما الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا ائمة علماء بالله تعالى فقهاء في احكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الاقضية فكانوا لا يستغنون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتداولون الفتاوى فيما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما تقدم من سيرهم فلما انقضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوا بغير استحقاق وكان استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء المتابعين

ل فيه عن حريز وفي ع اي عن حريز وفي ع اي عن حريز وفي ع اي عن حريز والمتاضلة والتضال مراماة الاسهم وتناضلوا مراماة الاسهم وتناضلوا تراموا ١٢

ن ومنها ن ومنها

ن ومنها ن ومنها

ن ومنها ن ومنها

من هو مستو على الطراز الاول وملازم صفو الدين وواظب على حضرت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح فى طلبهم لتوليتهم القضاء والحكومات
فرأى علماء الاعصار اقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبت الطلب العلم توصلا الى نيل المراد ورتبة الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرضوا
اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمتجمل يخل عن ذل الطلب وبهانته الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن
السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله وقلما كان اكثر الاقبال فى تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها فى الولايات والحكومات
ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة فى الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه
التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات الى الكلام واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاستقلال
بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام
وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء و
تخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة فى الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعى وابى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك
الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وابى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان
واحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها
التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الان وليس يدرى ما الذى قدر الله
فيما بعد نا من الاعصار وهذا هو الباعث على اكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف
مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لما لوا يضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب
لهم سوى التقرب الى رب العالمين + **بيان** التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رحمهم
الله تعالى + اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب
والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسئلة الجد
والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من ازدحام المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه وكما نقل من مسائل
الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى واحمد ومحمد بن الحسن ومالك وابى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبيس
ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات + الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض
الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلوة فى نفسه ويتحرى فى تحصيل الثياب
ونسجها ويقول غرضى بذلك ستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر
التى عنها البحث فى الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هى فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام الى
الصلاة التى هى اقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب
الثانى ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم منها عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد
املكهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس
واذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال
بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملات لا قائم بها فاما الفتوى فقد قام
بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد فى اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد
شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء فى الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من
فروض الكفايات وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر فى مسئلة لا يتفق وقوعها قط
وان وقعت فربما جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى انس رضى الله عنه انه قيل لرسول الله
متى يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عليه السلام اذا ظهر الادهان فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه
فى اراذلكم + والثالث ان يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وابى حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذاهب ابى حنيفة ترك
ما يوافق رأى الشافعى وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما

ح
ك ١ اشرأبت اليه وقفة ينظر اليه اظهر توقين
ك ٢ فنقال تبر انزازى كردن باهم دادن
ك ٣ اجمعت الامة على والها نبى محمد ان
ك ٤ اطلاع دقوف دادن كسى را بر امرى فرود
ك ٥ الادهان بمعنى المحاباة فى غير حق اى الترك للامر بالمعروف مع الادهان المذمومين فى الكلام

يفتى فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاق فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها فطبل ربما يترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلبت مسئلة يكون الخلاف فيها مبلوثا والرابع ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا تر الى المناظرين مهتمين بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة بانها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار او لانها ليست من الطبول فلا يطول فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية الى القرب لا ان يطول + الخامس ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل ويلتمس اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة لجمع الهمم واحرى لصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع اكثر وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيبه فاذا ظهر متقدم او انتظم مجمع لم يعاود في قوس الاحتيال مرة حتى يكون هو المتخصص بالكلام + السادس ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه خطأه واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويفرح به ولا يكرهه فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فاجابه فقال الله يكذب كذلك يا امير المؤمنين ولكن كنا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال ابو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب فقال ابن مسعود وانا اقول ان قاتل فصابر فان الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون اصحاب طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج حالي ان يقال له اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري مانك اليوم كيف يسيء ادبه احدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يدل من افحم طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر + السابع ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فما له ولقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل اعتراضك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات والمحاورات حتى يقيس المستدل على امر ويعلله فيقال لم ما الدليل على ان الحكم ثابت في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منه واولى ان ذكره حتى انظر فيه فيصير المعترض يقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصير المعترض على ان لا يلزمه ويرجى بمجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرفه ولا اذكره لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى بتعرضه لنخطئه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه بنظر فيه وان كان قد يجيبه انكان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم والاخلاق ان اظهار ما علم من علوم الدين بسؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني ولا نهو لازم في الشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة وصفاء ضمائر السلف رضي الله عنهم هل سمعت فيها ما يشبه هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى اية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كلما يخطر لهم كما يخطر وكانوا يناظرون فيه الثامن ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم محترزون من مناظرة الفحول الاكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون في من دونهم طمعا في تمويه الباطل عليهم وراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر للعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو احدى حالاته ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب فساهم المصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق + **بيان** آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق + اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد للمباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين

الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الطعام والغلبة في
المناظرة وطلب الحكم والمباهاة به دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس ويجمع فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق وسيلتي ادلة منع تهاتم من الاحياء والايات في ربع
المهلكات ولكنا نشير الان الى جماع ما يجمعه المناظرة فمنها الحسد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر
عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يُغلب ويكره مجمل كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بخوف في العلم والنظر في الدنيا او يظن انه احسن منه كلاما و
اقوى منه نظرا فلا يدان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه والحسد نار محرقة فمن يبلى به فهو في العذاب الاليم في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد
واعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر
الترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى العظمة إزاري والكبرياء ردائي
فمن نازعني واحدا فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق فقلما ترى مناظرين يلتقيان تلوح على مجلس من المجالس تيها فسون فيه ويرتفعان
والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضائق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة علمه
وان المؤمن منهي عن ذل نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله عليه وسائر انبيائه بالذل وعن التكبر المنفور عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق
به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى و
لانه مناظر يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه على كلام خصمه ويقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار
الحقد وتهيئة في نفسه وغاية تمامه الاخذ بالنفاق ويتوصل منه الى الظاهر لا محالة في غائب لا عرو كيف ينفك عن حقد ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على
ترجيح كلامه وتحسين جميع احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه ادنى نسبة في قلة مبالاة بكلامه اغتر في صدره حقدا يقلقه تذكر الدهر الى الغير
العمر وهما الغيبة فقد شبههما الله باكل الميتة ولا يزال المناظر مشتاقا الى اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق فيما
يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصوره في كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فيهتك وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض
من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم
بمن اتقى وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك
في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المفتي في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة
على سبيل الصدق وتارة للحاجة الى تزويج كلامه ومعلوم ان الصدق والكذب مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وشيع عورات الناس فقد قال الله
ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عوراتهم خصوصا حتى انه يخرج من منزله مناظرا الى بلد فيطلب من يخبره باطن احواله ويستخرج
بالسؤال مقابحه حتى يعد ذلك غنيمة لنفسه في افتتاحه ويجعله اذا مست اليه حاجة حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه
لعساه يعثر على هفوة او على عيب من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة مرجحة عرض به ان كان متمالكا واستحسن ذلك منه وبعده من الطالب
التسبب ولا يمنع عن الافصاح به ان كان متحاميا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن قوم من اكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس
والغم لمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل بين الاقران فما يسوءه
من نقصان اقرانه واشكاله الذين يساهمونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما ان احدى الضرائر اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت وتصفر
واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا راى مناظرا لا بد لونه واضطرب عليه فكره فكانه يشاهد شيطانا مارد او سبعا ضاريا فاين الاستبشار
والاستراح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتشابه في السراء والضراء حتى قال الشافعي
رضي الله عنه العلم بين اهل الفضل والعقل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة فاطعة فضل
يتصور ان يستتب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة وهيهات هيهات وناهيك بالشر شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويريك عن اخلاق
المومنين والمتقين ومنها النفاق فلا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم بوجه
بد من التودد اليهم باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم ان ذلك كذب وزور
ونفاق وفي جوفه نهم منوطون باللسنة منبا غضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم اناس العلم وتركوا
العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح
ذلك بمشاهدة هذه الحالة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان البغض تعدى الى المناظر ان يظهر على لسان خصمه الحق

ومهما ظهر شئ من الجحد والانكار بأقصى جهده وبذل غاية امكانه في الخداعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب باللكم واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المتأدبين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الاختلاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلد واسبا معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشتماله الا قارب له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل احادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحمولة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما صلى وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الاخرة حتى تحسين العبارة وتجميع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها كل حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من موابق هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصد طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بعلم غير ثواب الله تعالى في الاخرة ولعلم لا يجهل العالم بل يهلكه هلاكا لا بد ولا يحييه حياة لا بد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه بضع ضرر مع انه لو ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلاك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع في سلامة الا رذال بل لا بد من لزوم اضخم الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم اذ لو لاحت لهم رياسة لاندرست العلوم فقد قلت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لو لا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصا فلم يرغب الصبيان في الكتب وذلك يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولو لاحت رياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم ان الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الامر ظاهر حال علماء السلف لكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحرق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار للحرفة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما هالك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله سبحانه ظاهرا وباطنا واما هالك نفسه ومسعد غيره وهو الذي يدعو الى الاخرة وقد فض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه ونظره من الاول الى الاخر مكنة ومن الثاني اشتغلت بالاعتدال فلا نظن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينبغي عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم نفائسها عشر جمل **الوظيفة الاولى** تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاح السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق ونجاسات الاوصاف قال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر الهدكة نجس فلم لم قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر في باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عما يجتنب ويطلب ابعد منه وخبث صفات الباطن اهم

بكلب جنابك فهما مهجتها في الحال مهلكان في مآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب القلب بيت هو منزل للملائكة
ومهبط انوارهم وهل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب اخوانها كلاب نابحة فان تدخل الملائكة
وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشاء وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون
عن الصفات المذمومة فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعلمون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طيبا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب
والكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع
تقريب الظواهر فغارت الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعتبر بما ذكر الى غيره فلا
يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بان يعتبر بها الى التنبيه لكونه ايضا عرضة لها ويكون الدنيا بصدد الانقلاب فهو
من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محسوسة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن
الكلب ايضا الذي انهم لصفته لا لصورته وهو فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره
الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على المال والتمزق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فتوى البصير يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم
غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الاخرة تنعكس المعاني وتتقلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الحريص على اعراض
الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم خنزيرا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهدت الاعتبار
عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من طالب رديء الاخلاق في حصل العلوم فيها ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب للسعادة
فمن اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم وقاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذي يشعه من المترسمين
حديثا يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى فليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم
نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشار الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض
المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله اي ان العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه
فان قلت اني ارى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم ينظفوا بها فيقال الخاء من
مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة فاستبن لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذ قصد به
التقرب الى الله تعالى وقد سبقت الى هذا اشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان واتضح ان شاء الله تعالى **الوظيفة الثانية** ان يقلل علائقه من
الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وهما مع تشعب الفكر قصرت
عن درك الحقائق واذا قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك وجدت من اعطائك اياك بعضه على خطر والمفكر المتوسعة على امور متفرقة
كجدول تفرق ماؤه فتشعث الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجمع ويبلغ الزرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم و
لا يتأبى على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لتعلم
ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل
بيت نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي لطالب العلم ان يتكبر
على العلم ومن تكبره على العلم ان يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين الشهوتين وهو عين الحماقة فان العلم سبب نجاته والسعادة ومن طلب
مهما من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهورا وخامل وضارق سباع النار بالجمال بالله تعالى اشد من ضراوة كل سبع
والحكمة ضالة المؤمن ينشدها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان فلذلك قيل شعر العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب
للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه
قلبا ان يكون قابلا للعلم فهما تام لا تضيعه القدسة على الفهم حتى يلقي السمع نحو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القي اليه بحسن الاصغاء
والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كمريض مشفق نالت مطارحة يراه مشربا بجميع اجزائها واذعنت بالكلية بقبوله وهما
اشار عليه المعلم بطريق في التعليم قليلة او مع له رأيه فان خطأ مرشد انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انها

يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراددته الى ان كان ذلك سببا لفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون في سؤال ما موقن به فما علمه انه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال الى ان دنا السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وبأوان الكشف عما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتاب عنده احدا ولا تطلب عثرته فان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظم لله تعالى ما دام يحفظ امر الله تعالى ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت لقومه الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض في العلم في مبدء الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويثبطه من الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الحميدة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحدث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء في ما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدروا ان وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من راني في البداية صار صديقا ومن راني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن روائب الفرائض فيرائي للناظرين انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فان مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبيه الضعيف بالقوي فيما يراه من ظاهره انه هفوة يقتضي اعتذارا ممن يلقى بجاسة يسيرة في كوز ماء ويعلل بان اضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر قوي يحمل النجاسة ما دام تنقلب النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله على صفتها ولمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى يجر الى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحادثين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه ونظر في البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال لانفكاكك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم * وقال الشاعر شعر ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به ماء الزلال * فالعلوم على درجاتها امام سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباط والثغور وكل واحد مثاب له بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تعالى **الوظيفة السادسة** ان لا يأخذ في فن من فنون العلوم دفعة بل يرتب الترتيب ويبتدئ بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشهة ويصرف جمام قوته في المبسوط من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني به الاعتقاد الذي يتلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق الى تحرير الكلام والمجادلة في تهذيب الكلام عن مرائي الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهره بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عنده ان ما يعتقده العامي ويربيه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في صنعة الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال

ل ١ الاخفاق عدم ادراك الحاجة تم طلبها ١٢

ل ٢ مرن كفرح بالفتح ومرن كنصر لغة ايضا ١٢ من

ل ٣ الغمرة الشدة ١٢

ل ٤ ذليل الخزيان الذي يأتي ويذهب كل ذلك في زبان وتخجل

ل ٥ اشارة الى الامر كنصر دعاه فتنحى

ل ٦ اي يكتفي بما يلوي التظرف

ل ٧ الهفوة المرة قوله التظرف اي اخذ قليلا من البقية ما كان يجب ويحصل التظرف في هذه الاشياء

ل ٨ الغرض الهدف

ل ٩ الرباط المداومة على الامر الحبس

ل ١٠ الفيل جمع فرقوب

ل ١١ يحفظ في الحروب

ل ١٢ من فسر في البيان

ل ١٣ الحبر العالم

ل ١٤ من كل شيء خياره

ل ١٥ الله العظمة

ل ١٦ يتقنه اي يأخذه

ل ١٧ الرواقة الصفاقة

من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدري ما يسمعه على حفظه ويزعم انه من رهان الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان يتأيد في
هذا فعندهم ضيعت راس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين وما يرشدك اليه الا حرصك في الطلب على الجملة
وشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وافضى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه
رئي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد احدهما رقعة فيها ان احسنت كل شيء فلا تظن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم
انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف الله تعالى اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب **الوظيفة السابعة**
ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج قال الله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اي لا يجاوزون فتاحتي يحكموا علما وعملا ولكن قصد في كل علم يتحراه الترقي الى ما هو فوقه فينبغي ان لا يحكم
على علم بالفساد لوقوع الخلف بين اصحابه فيه ولا بخطأ واحد او آحاد فيه ولا بجهلهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات
مشتغلين فيها بانها لو كان لها اصل لادركه ابرابها وقد مضى كشف هذه الشبه في كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه
من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لاخر والكل خطأ بل ينبغي ان يعرف الشيء في نفسه
فلا كل علم يستقل الا حاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف اهله **الوظيفة الثامنة** ان
يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة
احدهما الحياة الابدية وثمرة الاخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها وان نسب
الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا
تبين ان اشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب الا فيه وان تحرص الا عليه
الوظيفة التاسعة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملاء
الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب
الى مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي له ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة
وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات المتممات من ضروب العلوم التي هي فروض كفاية ولا تقصر من غلوانا في الثناء على علم الاخرة تجهين هذه العلوم
فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء وهم
الذين يحفظ دوابهم وشعثهم ولا ينفك احد منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم وكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال الله تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية وتختلف باختلاف الصناعات عند قياسهم بالملوك لا يدل على
حقارتهم اذا قيسوا بالكاسبين فلا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا الانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخون في
العلم ثم الصالحون على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة**
العاشرة ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد ليؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك لا شأنك في الدنيا والاخرة
واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابدا لا بادد
عند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد والمقصد لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره
الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى شقاء الله سبحانه والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموا دون ما يسبق الى فهم
والمتكلمين على ثلاث مراتب قسمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت واتممت وصلت الى
العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون
سعادة الملك فله ثلاثة اصناف من الشغل **الاول** تهيئة الاسباب لشراء النافة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة **والثاني** السلوك
ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل **والثالث** الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة
الاحرام وطواف الوداع يستحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى اخره ومن اول سلوك البوادي
الى اخره ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من ابتدأ باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد و
الراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء النافة وهو

علم الطب والفقه وما يتعلق بصلاح البدن فى الدنيا وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وهذه
تلك العقبات الشاغلة التى يحجز عنها الاولون والاخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكالاول
علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها لا يفى علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجرى
مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما ذكرناه فى زاجم علم المكاشفة وعلم النجاة وفى زاجم السعادة والنجاة
لكل سالك الطريق اذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة واما الفوز بالسعادة فلا ينال الا العارفون بالله فهم المقربون المنعمون فى جوار الله
بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون درجة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل فاما ان كان من المقربين فروح وريحان و
جنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينهض له او انتهض الى جهنم لا على قصد
الاستئناس بالعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين له نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند
العلماء الراسخين اعنى انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن هى اتم واجلى من مشاهدة الابصار وزوائد فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم
حال من اخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قنع بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان والسعادة وراء علم المكاشفة
وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الاخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وورا علم الصفات علم طريق
المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به
الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وكفايته فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى تكفية الفقيه واما اسباب الصحة فهى تناولها
الطبيب فمن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار به الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم الغريبة الباطنة فان قلت
لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان السائر الى الله تعالى لا ينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعنى بالقلب اللحم المخصوص بل
هو سر من اسرار الله عز وجل لا يدرك الحس لطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى
لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهم مضنون به بل لا رخصة فى ذكره
وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهى كما قال الله تعالى عن الروح قل الروح من
امر ربى وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبة اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فالله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق و
هذا الجوهر النفيس الحامل لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارض والجبال اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر وما
تفهم من هذا تعريضا بقدرها فان قائل يقدم الروح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده
والمقصود ان هذه اللطيفة هى الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطية التى يركبها ويسعى
فالبدن لها فى طريق الله كالناقة للبدن فى طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر اليه البدن فكل عمل مقصده مصلحة البدن فهو من
جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه فى حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه
يفارقه فى انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل
طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس
وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد
الاخلاط من داخل والطب يحفظ الاعتدال فى الاخلاط المتنازعة من داخل والسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج وعلم طريق
اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال احوال الناس فى المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه
والطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذ لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره فى
دقائق المسائل التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الاسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين
لطريق اصلاح القلب لمن وصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالكى طريق الحج او بلا يسير كانه فنقول هذا اولا واقبل النصيحة مجانا
ممن قام عنيه عالم الدنيا بعد جهد جهيد شديد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى الترفع عن تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر
كاف فى وظائف المتعلم ببيان وظائف المرشد المعلم * اعلم ان للانسان فى علمه اربعة احوال كما له فى اقتناء الاموال اذ لصنا المال حاله
بنفادة فيكون مكتسبا وحال ادخاره لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال البذل

لغيره ويكون رئيسا متفضلا ومواشرفا حواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل ثم من السوال وحال يشبه صاحبه وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما في ملكوت السموات فانه كالشمس تضئ لغيرها وهى مضيئة في نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب الذى يعلم ولا يعمل به كالدرهم الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم والمس الذى يتحذ غيره ولا يقطع والابرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبابة المصباح تضئ لغيرها وهى تحترق كما قيل شعر ما ابالة نصبت تضئ الناس وهى تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ اداب ووظائفه الوظيفة الاولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما تحصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعنى معلم علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد الاخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد الثواب والتواد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهوتها منازل الطريق والتزاحم في الطريق بين المسافرين الى الاصقاع سبب التواد والتحاب فكيف لسفر الى الفردوس الاعلى والتزاحم في طريقه ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الاخرة تنازع ولا وسمة في سعادة الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والتعادي الطالبون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الوظيفة الثانية ان يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افادة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة لهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعير ارضه لازرع فيها فنفسك زراعة فتنفعك بها تريد على منفعة صاحب الارض فكيف تقابل منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم لما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله عز وجل قال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا ان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب لعلم المال كان كمن صعد السطح ليتوصل به الى بيته فاخذ السلم بوجهه بقاسة به لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذى يقوم في الغرض الاكبر مع المجرمين فاكسى رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للعلم فانظر كيف اشتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما تعلموا فيه من علم الفقه والكلام والتدليس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يحتفل اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصره ويعادى عدوه وينهض حمارا في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه وخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيى من ان يقول غرضي من هذا ليس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الاعمار حتى ترى ضروب الاغترارات الوظيفة الثالثة ان لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على ان يطلب العلوم للتقرب الى الله تعالى دون الرياسة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الاخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلموا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الاخرة ومعرفة احلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلم الطالب وقصد الدنيا فلا بأس ان يذكره فانه ينشط لطلبها في الوعظ والاستتباع ولكن فد تنبه في اثناء الامر او اخره اذ فيه العلوم التي فتح من الله تعالى للحرقة للدنيا العظمة الاخرة وذلك يوشك ان يودى الى الصواب في الاخرة حتى يتعظ بما يتعظ به غيره ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا مشوق في هذه العلوم وما الخلاف بان الحصة وجهاد لان الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته او مزج به غيره من

العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبروا واستبصروا لتشاهدوا تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد
رُوِّي سفيان الثوري رحمه الله حزينا فقيل له مالك فقال حزنا متحيرا لابناء الدنيا يلين منا احدهم حتى اذا تعلم جعل قاضيا او عاملا او قهرمانا **الوظيفة**
الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ
فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل
معلم لو منع الناس عن قتّ البعر لفعلوه وقالوا ما نُهينا عنه الا وفيه شيء ونبّهك على هذا قصة آدم وحوّاء عليهما السلام وما نهيا عنه فاذكرك
القصة سمعا لتكون سمرا بل لتتنبّه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الزكية الى استنباط معانيه فيفيه
فرح المقطر لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يغرب عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي ان لا يقبح في نفس
المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان
العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فان ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق
مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعليم في غير وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي
التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ولا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه
عقله فقد اساء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم فليبث
اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله
عنه واشار الى صدره ان ههنا لعلوما لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم
كل ما يعلم الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في
اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجواهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل الكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم
منه وينتفع بك ولا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب لمن جاء من يفقهه وكتمنه فليلجمني فقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى لبين الظلم في اعطاء غير المستحق باكل من الظالم في منع المستحق **شعر** ان تردّ درّ بين سارح النعم
فصح محرز ونابر عية الغنم * لانهم امسوا جاهلين لفضله * فلا انا ذا اضحى لطوقه البهم * فان لطف الله اللطيف بلطفه * وصانه اهلا
للعلوم وللحكم * نشرت مفيدا واستفدت ثمودة * والا فمختزن لدي ومكتتم * فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم
الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا دقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك ينفره عنه
في الحال ويشوش عليه قلبه ويوهمه اليه البخل به عنه اذ ينظر كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو اضن عن الله سبحانه في كمال
عقله واشدهم جاهة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من غفل من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف
من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان تُشوّش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته
فانه لو ذكر له تاويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي فيقلب شيطانا
مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة والصناعات
التي هم بصدده وتملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما خلقت الشبهة بقلبه
ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص
الوظيفة الثامنة ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وارباب
الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم
عليه فيقولون لو لا انه الطيب لاستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف
ينقش الطين بما لا نقش فيه وكيف استوى الظل والعود اعوج واذا اعوج العود اعوج الظل ولذلك قيل في المعنى **شعر** لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم * وقال الله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر من وزر الجاهل
اذ يزل بزلته عالم ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه فهم ظهري رجلان

عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله اعلم

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين فضلهم من العلم التنعم بالدنيا والتعظيم الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كثر علما عند قوم الجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم انا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال قيل وما ذاك فقال من الائمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمتكبرين وانتم مقيمون مع المفسدين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما مفرط لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم فقد حوم السلامة ان لم يدرك السعادة **واما الآثار** فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم فقالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عقبة اي الناس اطول ندما قال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اني لارحم ثلاثة غريب قوم ذل وغني قوم افتقر وعالم تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وانشدوا

ومن يشتري دنياه بالدين اعجب * واعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فذاك من غبن اعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به اهل النار استطاعا ما اشد عذابا اراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم لمعصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من المضاري مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا انهم انكروا البعث فاذا قال الله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى في قصة بلعام ابن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث فذلك العالم الفاجر فمن بلعام اوتي كتاب الله تعالى فخلد الى الشهوات فشبه بالكلب الذي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تشير الى ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات * فمنها * ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين من مهما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت عن الاخر وانهما كالضدين احدهما مملوء والاخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الاخر حتى يمتلئ يفرغ الاخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بآلامها ثم انصرام ما تصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع

بينما طمع فى غير مطمع فهو جاحل بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفى اخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى يا داود لا تشل عالما فاسكر ثم الدنيا فيصدك عن طريق محبتى واولئك قطاع الطريق على عبادى يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما يا داود من زهد الى ما يا كتبته جهبذا ومن كتبته خهبذا لم اعذبه ابدا وقال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله اذا ذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلبت الدنيا بهما وقال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رايتم العالم يغشى الامراء فهو لص وقال عمر رضى الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرات فى بعض الكتب السالفة ان الله تعالى يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتى من قلبه وكتب جل الى اخيه انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى لاهل العلم فى نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصيتكم قيصرية وبيوتكم كسروية وانوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية وسراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية وما تكلم جاهليتم ومذاهبكم شيطانية فاين الشريعة المحمدية قال الشاعر * وراعى الشاء يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب * وقال آخر شعر يا معشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد * وقيل لبعض العارفين انهم ان من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله فقال لا شك ان من تكون الدنيا عند اكبر همه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظن ان ترك المال يكفى فى الخروج من علماء الاخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا فحاسمت لرجل يقول حدثنا فما يقى لى او سعوالى ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر مابين قنطرة وقرية وقد صح من الكتب التى كان يقول الا استغنى ان تحدث ولوجه هيب عن شهوة الحديث تحدث وهو وغيره اذا اشتهيت ان احدث فسكت فاذا لم تشته فحدث وهذا لان التصدر بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم لذة من كل نعم فى الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا ولذلك قال التوسى فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلصون على خطر حتى يدرى ما ذا يختم لهم به وقال ابو سليمان الدارانى رحمه الله اذا طلب الحديث او تزوج او سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسباب الغالبة او طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه وطلب الاخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من سبيله الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليتجبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصرى ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنياء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال تعالى فى علماء الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء ثلثة فمن فى زمرة الانبياء والقضاة ثلثة فمن فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياى يخادعون وبى يستهزءون لاتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان رجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا قليلا فذلك تصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدمون على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل اتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا فذلك ياتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى منادٍ على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان اتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباده واخذ به طمعا واشترى به ثمنا قليلا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روى ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نبى الله حدثنى موسى كليم الله حتى اثر فيه وكثر ماله فتفقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه لا يعلم

موسى له خبرا حتى جاء رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال لموسى عليه السلام اتعرف فلانا قال نعم فقال هو هذا الخنزير فقال موسى يارب اسالك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيما اصابه هذا فاوحى الله عز وجل اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تفيهق وزيادة ولا يتوقى على صاحبه الخطاء وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يختزن علمه فلا يجاب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او تهون شيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطاء والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغرب به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مرقوة وينبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستنكف الزهد والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار وعليك بالصمت فيه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب وتمشي في غير ارب وفي خبر اخر ان العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل عليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق الكرز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذا كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له وعن جابر رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا عند كل عالم الا الى عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن الاية فشرف اهل العلم بايثارهم الاخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم قال تعالى واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي رحمه الله شكت النوار ليس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغني ان الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم رحمه الله ليس في القيامة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو فنجوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا وانظم يا واعظ الناس قد اصبحت متهما * اذ عبت منهم امورا انت تاتيها * اصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا * فالموبقات لعمري انت جانيها * تطيب دنيا وناسا راغبين لها * وانت اكثرهم رغبة فيها * وقال اخر شعرا لانه عن خلق وتاتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم * وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا اطيه مكتوب انت بما علم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرئ على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ عن ايات الله وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب قال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يعمل به كمثل امرأة

زينت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفتضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد وقال مسادرحمه الله احذروا
زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتذبذبون على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضي الله عنه ثلث
يهدم الزمان احداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا
متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها نظر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا
ويثارها على الاخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حتى تلقاه انه يخشى الله بلسانه ولم تجد
ظاهر في عمله فما اخصب الالسن يومئذ وما اجدب القلوب يومئذ فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين
تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعملوا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه انكم في زمان من ترك
فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة النطاعين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال صلى الله عليه
وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب رحمه الله يكون في
اخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على
الاخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا
جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم فانلا وللعمل مستوفا حتى يموت وما عمل وقال
سري السقطي اعتزل رجل للعبادة وكان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي انكم تضيعون العلم ضيعك
الله حتى لا احفظه فقال ان حفظت العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية
انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك
رحمه الله ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين يصبح الى حين يمسي فلا تؤثر عليه شيئا وقال
ابن مسعود رضي الله عنه اترك القرآن ان تعمل به فتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل الفناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض
الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها مع قوله وفي مثله قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما اخاف
على امتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن ومنها ان تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة فتجتنب العلوم التي يقل
نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا
في وقت ضيق يخشى فوته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مواظبته به وذلك محض السفه
وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم فقال وما راس العلم قال
صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم
قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم
من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما انه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت
مني في هذه المدة قال ثمانية مسائل قال شقيق له انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمانية مسائل قال لا استاذ لي العلم غيرها واني
لا احب ان اكذب فقال هات هذه الثمان المسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا
وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت
على طاعة الله تعالى الثالثة انى نظرت الى هذا الخلق فرأيت ان كل من معه شئ له مقدار وقيمة عند عرضه وحفظه وادخر ثم نظرت في قول الله
عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع في يدي شئ له مقدار وقيمة وجهته الى الله ليبقى لي عنده الرابعة ان نظرت الى هذا الخلق
فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لا شئ ثم نظرت الى قول الله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا
كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من

عند الله سبحانه فترك عداوة الخلق على الاساسة نظرت الى هذا الخلق بعضهم على بعض وقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عز
وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذره منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو فتركت عداوة
الخلق غيره الثالثة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكنيف فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما عند الله تعالى وتركت ما عنده
الرابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صنعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق
متوكل على مخلوق مثله فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه متوكلت على الله عز وجل فهو حسبي. قال شقيق يا حاتم وفقك الله
تعالى قد نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم وهي تدور على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة
فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الاخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويجعلون امثال هذه
العلوم التي بعث الله بها الانبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك ابن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم ما يتعلمون الا الكلام
ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يوثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه
بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما زاد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الاخرة محله
وليشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الحواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع شقيق الرى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج
وعليهم الرى مائتان وليس معهم جراب لاطعامهم فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد
قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة وانا ايضا اجيء معك و
كان العليل محمد بن مقاتل قاضي الرى فلما جئنا الباب اذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم فدخلوا
فاذا دار حسناء قوراء واسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند راسه
غلام وبيده مذبة فضة الزائر عند راسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فاومأ اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة قال نعم
فقال وما هي فقال مسئلة استلك عنها قال سل قال قم واستوجابا حتى اسألك فاستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من اين اخذته فقال من الثقات
حدثوني به قال عن من قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من قال عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم ففيما اداه جبرائيل عليه
السلام عن الله عز وجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه
الثقات اليك بل سمعت فيه من كان في داره اشراف وكانت سعرتها اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت
من زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله المنزلة قال له حاتم فانت بمن اقتديت يا النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله امر بفرعون وغروم وول من بنى بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يا ايها الجاهل
المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة اولا اكون انا شر امنه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما
جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقرويين كثر تؤسا منه فسار حاتم اليه متنكرا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل اعجمي جئت
لتعلمني سبتا ديني ومفتاح صلاتي كيف توضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثم قال هكذا
فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى اتوضأ بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه
اربعا اربعا فقال الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم فيما ذا قال غسلت ذراعيك اربعا فقال حاتم يا عجبا لله العظيم انا في كف من ماء اسرفت
انت في جميع ما ترى فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع
اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل اعجمي وليس يكلمك احد الا قطعته فمن اين لك ثلاث خصال اظهر بمن على خصمي افرح اذا
اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك الامام احمد بن حنبل فقال سبحان الله ما اعقله فقوموا بنا اليه فلما
دخلوا عليه قالوا له يا ابا عبد الرحمن السلامة من الدنيا قال يا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تعفر للقوم جملهم
وتمنع جملك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال
يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما

كان له بيت لا طئ بالارض قال فاين فتهى اصحابه رضى الله عنهم قالوا فما كان لهم بيوت لا طئة بالارض قال حاتم يا فتى فتهدم
فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ودع ذلك حاتم لا تعجل على انا رجل اعجمى غريب
دخلت البلد فظننت مدينة مرهذه فقالوا لا مدينة فرعون فقلت فاين قصره قصره ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان
لكم فى رسول الله اسوة حسنة فانتم من تاسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فتخلوا عنه وتركوه فهذه
حكاية حاتم الاصم رحمه الله تعالى وسياتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه والتحقيق فيه ان التزين
بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة اسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب
المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومرآتهم وامور اخر هى محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة
مبذولة من الخوض فيها لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب فى اثناء الخطبة الى غير
ذلك مما سياتى بيانه * وقد حكى ان يحيى بن يزيد النوفلى كتب الى مالك بن انس رضى الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله
محمد فى الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغنى انك تلبس الدقيق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطى
وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطى وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا
مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام * فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام الله عليك اما بعد فقد وصل الى كتابك فوقع منى موقع النصيحة فى
الشفقة والادب وامتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسال الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاما ما ذكرت
لى انى آكل الرقاق والبس الدقيق واجلس على الوطى فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده
والطيبات من الرزق وان لا علم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا ندعنا من كتابك فلستا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف
مالك اذ اعترف ان ترك ذلك خير من الدخول فيه وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك فى منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف و
الاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى نفسه ايضا على الوقوف على حد المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات
واما غيره فلا يقدر عليه فالتغرير على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية
التباعد من مظان الخطر ومنها ان يكون مستقصرا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغى ان يحترز عن
مخالطتهم وان جاء اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدى السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم ومسامحة قلوبهم
مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان ينتفت الى تجملهم فيزدرى
نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم او يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح
او ان يطمع فى ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسياتى فى كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من
الاموال والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا
يعنى من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن قال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم و
تنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع العبد الله تعالى قيل افلا نقاتلهم قال صلى الله عليه وسلم لا ما صلوا وقال
سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة يا كم ومواقف الفتن قيل وما هى قال ابواب الامراء يدخل احدكم على
الامير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا
السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش قد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك
فقال لا تجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقى لا يفلح منه الا القليل ولذلك قال
سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله تعالى من
عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقى
رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سفيان
ما استحب للعالم ان يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال هو عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على

دينكم حتى جربت ذلك اذ ما دخلت قط على السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج وذاكرتها الدنك وانتم تغلطون وتزدن ما الفاه به
من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولودت ان النجو من الدخول عليه كفافا مع اني لا اخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال و
علماء زماننا هذا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه فيه نجاته لاستثقلهم وكرهوا دخولهم
عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عبد الله بن المبارك عنى به سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال وكان لا يغشى السلاطين فينفر عنهم فقال لبنيه يا بني هؤلاء من ليس هو
مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني ان الدنيا جيفة وقد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذن نهلك
هزلا قال يا بني لان اموت مومنا منهزلا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان الذئاب يأكل اللحم والسمن ودين الايمان في هذا
اشارة الى ان الدخول على السلطان لا يسلم فيه احد من النفاق والتبعة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا
تصيب شيئا من دنياهم الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام
حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم وتزجرهم عن الظلم وتقبيح شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم
من الدين ثم اذا دخل به يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا
عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن اما بعد فاشغل باقوام ستين
بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلا يريدونك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان
يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره
ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط ينكلمون في علماء
الدنيا من اهل مكة والشام وغيرهم اما لميلهم الى الدنيا واما لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما
وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله او بنص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري
وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي
اخبار العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري قال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل
اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب
الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال حنبل
العالم لا ادري فان اخطأها فقد اصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم وسكت بعلم يقول انظروا
ان هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم قوة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا
وجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله رضي الله
عنهما برجل يتكلم على الناس فقالا هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انا العالم الذي اذا سئل عن المسألة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول
ترديدون ان نجعلوا ظهرا تغدرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عنه السؤال ان يقال له يوم القيامة من
اين اجبت وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم نجد واغيرنا حتى احتجنا الى وكان ابو العالية الرياحي وابراهيم النخعي وابراهيم
ابن ادهم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري
ابتبع يكعون ام لا وما ادري ذو القرنين نبي ام لا ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع في الارض وشرها قال لا ادري حتى
ينزل عليه جبرائيل عليه السلام فسأله فقال لا ادري الى ان اعلمه الله عز وجل ان خير البقاع المساجد وشرها السوق وكان ابن عمر رضي
الله عنهما يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة و
كان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن
الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم احد يسأل
عن حديث او فتيا الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر وترد عليه الى الآخر حتى تعود الى الاول
وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم رأس مشوي وهم في غاية الضر فبعث به الى الآخر والى الآخر الى الآخر حتى رجع الى الاول فنظر

ج ٤ ص ٩٩

الآن كيف انعكس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسندا عن بعضهم انه قال لا يفتي الناس الا ثلاثة اميرا او مامورا او متكلفا وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشياء الامامة و الوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتيا اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة اشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الاية ورأى بعض العلماء واحدا من اصحاب الرأي بالكوفة في المنام فقال ما فعل بك فقال ما زلت ينكت علي من الفتيا والرأي فكرم وجهه واعرض عنه وقال ما وجدنا شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الحديث اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاسباب الظاهرة او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم اصحاب الزوايا المنفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل جملة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقيل اذا كثر العلم قل الكلام واذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان الى ابي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد اخى بينه وبينه ما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك اتخذت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فكلمني فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فانك الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس رضي الله عنه اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن و كان ابن عباس رضي الله عنهما اذا سئل يقول سلوا جابر بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صاحبي في حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره و حسن حفظه فاخذ الصحابي كتابه رجع فيه ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الجبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه تعلم علم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة ودقائق علوم القلوب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب واما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومبنع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يفد على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومنوفر على العمل ومراقبة القلب ففتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به الى الارض ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ويأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي باب الرحمن يلين قلوبكم وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الاية ولو لا ان اديم الله قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تنكشف على قلب المتجردين للذكر والفكر يخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين ولا ينكشف ذلك الا للمريد المراقب فلو عرض ذلك على المفسرين يستحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه و بحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق ومحبة العلم دين يدان به يكتسب به الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعده فانه العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء احياء باقون

ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاها ان ههنا علما لو وجدت له حملة بل اجد طالبا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه وبستظهر بحجه على خلقه او منقادا لاهل الحق لينرع الشك من قلبه بادل عارض من شبهة لا بصيرا له الا لاذا اولاذاك فمنهوم باللذات سلس القياد في ظلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهوى اقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا ماتت حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجته اما ظاهرا مكشوفا واما خائفا مقهورا لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم واين اولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة واشخالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله في خلقه واما في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكرناه اخيرا هو وصف علماء الاخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثر من العمل والمواظبة على العبادة ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله فلا بد من تعلم علم اليقين يعني اولا ثم يتقوى طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم يقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما تقوى بقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم ما من آدمي الا وله ذنوب لكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار الله تعالى في القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على ان اليقين هو الرابطة بالنجاة والسعادة فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتحصيله فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين المختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات * الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثاني ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه يعيبه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة يسمى ظنا الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو خطر بالبال تابى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التامل والاصغاء الى التشكيك والتجويز لتشعث نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ ارسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تشق بصحة مذهبها واصابة امامها وتجزم ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ امامه نفر عن قبوله * الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا امتنع وجود الشك فيه وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق بالبداهة لان القديم غير محسوس كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم ازلي اولياضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب وفيها حادث بلا سبب وذلك محال فما يؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة فان الاقسام ثلاثة وهي ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديم وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يودي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث او الاول * وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء وسواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم

باستحالة حادث بلا سبب وبتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان السقمونيا المطبوخ مسهل وبدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق هذا الاسم
عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عندهم وعلى هذا يوصف اليقين بالضعف فلا تفاوت في نفي الشك * الاصطلاح الثاني
اصطلاح الفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بالى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال
فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا يأتيه فهما مالك لنفس الى التصديق
بشيء وغلبته ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون
في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على
قلبه حتى استغرق همته بالاستعداد له ولم يتمادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما ازداد يقينا لا شك
فيه اشبه بشك لا يقين فيه بالموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن انما اردنا بقولنا ان من شان علماء الاخرة
صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها
فاذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا اذا قلنا ان اليقين ينقسم ثلاثة اقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء (وشيء وشيء) اما بالقوة و
الضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت
الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما في ما يتطرق اليه التجويز فلا
ينكر اتفاق الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فلان
مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود عيسى عليهما السلام مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما جميعا التواتر ولكن
نرى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما قوي وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة
بالادلة فانه ليس يتضح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالادلة الكثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي
يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما
يقال فلان اكثر علما من فلان اي معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين
في بعضه فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات
اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب فاني اعرف ما يطلب فيه اليقين لاقف على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين فان
اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة المعلوم التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعضها وهي اصنافها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب
ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها في المصدر بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع
الايمان غلبة ازالت عنه الغضب على الوسائط والرضى عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم
بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يرى بهما اثنين مسخرين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف
وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان في كل مخلوق فهي مسخرات
بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضاء والتسليم وصار
بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك باتيه وان ما قدر له سيأتي اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان محمولا في
الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته وانمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان
يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعة
الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا
فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك تجتنب المعاصي
قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين واما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا
اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين اغلب
كان الاحتراز اشد والتشمير ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهو اجس ضميرك وخفايا

خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو علم الشك واما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به
الصديقون وثمرته ان يكون الانسان فى خلوته متأدبا فى جميع اعماله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا فى جميع
اعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب ويكون فى مكرته الباطنة كهو فى اعماله الظاهرة اذا تحقق ان الله تعالى مطلع
على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالية اشد من مبالغته فى تزيين
ظاهره لسائر الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق
المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى
القلب مثل الاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار وكالانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين
هو الاصل والاساس وله مجارى وابواب اكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات ان شاء الله تعالى وهذا القدر كاف فى تفهيم
معنى اللفظ الان ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونظره وسكوته
لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فهو الجواد عينه فواره وعلماء الاخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة
والدلة والتواضع وقد قيل ما البس الله عبدا لبسة احسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الانبياء وسيماء الصالحين الصديقين والعلماء
واما التباين فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من اثار البطر والامن والغفلة عن
عظيم عقاب الله تعالى وشديد بطشه وهو دأب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قال سهل
التسترى رحمه الله عالم بامر الله تعالى لا بايام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله تعالى لا بامر
الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبامر الله تعالى وبايام الله تعالى وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم
واراد بايام الله انواع عفوه وبأسه الماضية فى امم الخلق السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه
وظهر خشوعه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه وليتواضع لكم
من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال ما اتى الله عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق وفى
ذلك هو العلم النافع وفى الاثر من اتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفى الخبر ان من خيار امتى قوما يضحكون
جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم فى الارض وقلوبهم فى السماء ارواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الاخرة فاولئك
بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال شيبان بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم تقرب
الى الله تعالى بغيضه فانه ممقوت فى السماء والارض ويروى فى الاسرائيليات ان حكيما صنف ثلثمائة وستين مصحفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم
فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض بقاقا ولم تزدنى من ذلك بشئ وانى لا اقبل من قائل شيئا فندم الرجل وترك ذلك
وخالط العامة ومشى فى الاسواق واكل مع بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الان وفقت لرضائى وحكى الاوزاعى
رحمه الله عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطى فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للحكمة المتشوقين الى الرياسة
فلا يمقتهم وهم احق بالمقت من ذلك الشرطى وروى انه قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله
تعالى قيل فاى الاصحاب خير قال صلى الله عليه وسلم صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيته ذكرك قيل فتى الاصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم
صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاى الناس علم قال اشدهم لله خشية قيل فاى خيارنا بخيارنا لسهم قال صلى الله
عليه وسلم الذين اذا رؤا ذكر الله قيل فاى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم العلماء اذا فسدوا و
قال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس لنا يوم القيامة اكثرهم فكرا فى الدنيا واكثر الناس ضحكا فى الاخرة اكثرهم بكاء فى الدنيا واشد الناس
فرحا فى الاخرة اطولهم حزنا فى الدنيا وقال على رضى الله عنه فى خطبة له دنئ دهينة وانار علوه يعيج على النقى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى
سيخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما اغار فى اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وادادهم
عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء اجن واكتفى من غير طائل جلس للناس مفتيا التخليص
ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها من رأيه حشوا لرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى
اخطأ ام اصاب فان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل فى جهالته خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء ويستحل

بقضائه الفروج الحرام لا والله بأصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فوض اليه اولئك الذين حلت عليهم المثلات
وحقت عليهم النياحة والبكاء ايام احياة الدنيا وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل
فتمجه القلوب وقال بعض السلف لعالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا ثبت النعمة بها على المتعلم الصبر
والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا ثبت النعمة بها على المعلم العقل والادب واحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي
ورد بها القرآن لا تنفك عنها علماء الاخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنه لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى
الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فنعلم حلالها وحرامها وامرها وزواجرها وما ينبغي ان يوقف عنده منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم
القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما امره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل
معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون
حدوده ويقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات
علماء الاخرة مفهومة من خمس اياث من كتاب الله عز وجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الاصل فاما
فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله
تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
قيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسد الاعمال ويشوش القلوب
وهي الوساوس كثيرة الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه وهو
لان الاعمال الفعلية قريبة وامراضها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر فيه
ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه ويعم به البلوى في سلوك طريق الاخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات
في الحكومات والاقضية ويتبعون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع ابدا وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان في القائمين بها كثرة
ويزكون ما يلازمهم وينكد عليهم اثناء الليل واطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من بلغ مهمه نفسه
اللازم بهم غيره النادر ايثار التقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرهك في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا عالما بالدين وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد يوم القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده
من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء عليهم الصلاة
والسلام واقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس
النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن اين اخذته قال من حذيفة
ابن اليمان وقيل لحذيفة ترانا تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته قال خصني رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس
يسألونه عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي
لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن الاعمال وفضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما فيسلكذا
وكذا فلما رأى اني لست اسأله عن فوات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه ايضا قد خص بعلم المنافقين واقرد بمعرفة علم النفاق
واسبابه وقد فاق الفن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن افراد العام والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر
بعدد من يبقى منهم ولا يخبر باسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فيبرأه من ذلك وكان عمر
رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ينظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فلغاية بمقامات
القلب واحوال القلوب اشبه علماء الاخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض
العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا ازوى المذكرين فن التحقيق ويرون ان التحقيق في دقائق الجهاد كان ولقد صدق
من قال اشعار الطرق نشتي وطرق النحي مفرحة + والسالكون طريق الحق افراد + لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم + فهم على

مهمل يعيشون فرادى # والناس في غفلة عما يراد بهم # فجاههم عن سبيل الحق رقود # وعلى الجملة فلا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق بطبائعهم
وان الحق مزلة الوقوف عليه صعب ادراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك
نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يتلمس
الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما
في الوعظ والتذكير ولم يكن ممن تكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيح وعبد الرحيم
وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى فالى هؤلاء عدد يسير فكل ما يجاوز العشرة لان النفس المزين لا يصلح الا لاهل الخصوص وما
يبذل للعموم فهو قريب ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما
يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث ان
فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا اقلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقي اقواله وافعاله
بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد و
ان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما وبذلك
كان يقال فلان من اوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء و
استنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من احد الا يوخذ من علمه
ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال
قال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنا خذ منه
ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقهم في
قلوبهم امورا ادركت بالقرائن مستندة بهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحجبهم في
الاكثر عن الخطاء واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف
محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدث بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة
من التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب
لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم
تشكل القرآن في الصحف وقالوا كيف نفعل شيئا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا ان ترك القرآن يثقل على
بعضهم عن بعض بالتلقين والاقراء ليكون همة اشغالهم وهمتهم حتى اشار عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس و
تكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فتشرح صدر ابي بكر رضي الله عنه لذلك
فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطا ويقول لا تبدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم وقيل اول
كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة ثم كتاب معمر
بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا ما ثورة نبوية ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع
حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم
المتقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك ليشتغر علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض
عن ذلك جميع الناس الا الاقلون فصار يسمى الجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام
المستمعون ايهم فكان لا يميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سنة الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفونها
بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الاخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام
الا على الخواص منهم كانوا اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان يقولون فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم
وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزماننا بهذا وقد انتهى الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف
لنسبته الى الجهل فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد النفي من محدثات الامور ولن يتفق عليه الجمهور

فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر
همهم كان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وقبول الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشير
ام كان في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر الباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفوس و
مكائد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان علم اهل الزمان وافرهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فهم
اخذا الدين ولذلك قال علي رضى الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي لمن تكثرت مخالفة اهل العصر في موافقة اهل
عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس اذا رأيتهم فيه ليل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من
الجنة فهو دعوة لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثات احدثها في الاسلام رجل ذو رأي سوء زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومنزف يبيد الدنيا
لها يغضب لها يرضى واياها يطلب فارفضوها الى النار وان رجلا صبح في هذه الدنيا بين منزف يدعو الى دينه وصاحب هوى يدعو الى هواه وقد عصمه الله فيما
منهما يحرى السلف الصالح يسأل عن اضالهم ويقتفي اثارهم متمرض لاجر عظيم فكذلك كونوا وقد روى عن ابن مسعود رفعه موقوفا ومسندا انه قال انما
اثنان الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وابا كم ومحدثات الامور فان شر
الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس
باتٍ وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة و
جانب اهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله و
امسك الفضل من قوله وسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن احدكم في اخر الزمان خير من كثير من
العمل وقال انتم في زمان خير كثير فيه الساكت في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يقف
في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم وعليه خاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه اعجب من هذا ان معروف اليوم
منكر زمان قد مضى وان منكر اليوم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فكثر معروف
هذه الاعصار منكر في عصر الصحابة رضى الله عنهم اذ من غرر المعروف في زماننا تزيين المساجد وتجصيصها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش
البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قل ما يجلسون بينهم وبين التراب حاجزا
وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم اهل الزمان ويزعمون انه من اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في القرآن
والاذان ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر
ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه قال انتم اليوم في زماننا الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان
احمد بن حنبل يقول تركوا السنة واقبلوا على الغرائب ما اقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس رحمه الله لم يكن الناس فيما مضى يسألون
عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن اذكيائهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه انهم كانوا يحملون من
الناس في دقائق الكراهة والاستحباب فاما الحرام فكان يجتنبه ظاهرا وكان مسلم بن عروة يقول لاشياخهم اليوم سمعا احدثوا بانفسهم فانهم قد
اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل به
حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان كل مبتدع من الاراء قد وقع الاسماع وعلق بالقلوب ودبما يشوش صفاء القلب
فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد
الخدري رضى الله عنه فقال لمروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال
ابو سعيد والله لا تأتوني بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك عليه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح
خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصى لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد وفي خبر اخر من غش امتي
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة ويعمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف
السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قتل ولده بالنسبة الى من خالف امره في خدمة معينة وذلك قد يعفو له فما
قتل ولده فلا وقال بعض العلماء انكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وكل غير ما الحق ثقيل من

جاوز ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه التالى ويرتفع اليه الغالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما الضلالة لها حلاوة فى قلوب اهلها وقال الله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكلما احدث بعد الصحابة رضى الله عنهم عما جاوز قدر الضرورة والحاجة ففيه من اللعب واللهو وحكى عن ابليس لعنه الله انه بشر بعض ذريته فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما ضيعنا منهم شيئا وما تبعونا فقال انكم لا تقدرون عليهم فرجعوا نبيهم وسنتهم وانتزيل دينهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بدأت جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا اعجب من هؤلاء ما منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا كان آخر النهار اختم لهم بالاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم وانابتهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقرأ عينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم وان لا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات فان جاء قوم بعد القرون الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فما استحلوها واختاروها دينا لا يستغفر الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم اين شاؤا فان قلت من اين عرف هذا يا فلان (القول) ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الوارد عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الامثلة كما يكون فى المنام وهذا اعلى الدرجات وهى من درجات النبوة التالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة واياك ان يكون حظك من هذا العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك فيه حملا للمحال المحض على ما قاله بعض العلماء الزاعمون انهم احاطوا بعلوم المعقول فما جهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن انكر ذلك لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما انقطع الابدال فى اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وبهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التسترى رضى الله عنه ان من اعظم المعاصى الجهل بالجمل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خائض فى الدنيا فلا ينبغى ان يصغى الى قوله بل ينبغى ان يتهم فى كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويمدح ما يوافق هواه ولذلك قال الله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العمى اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المستفيدين انهم من العلماء لان العالم العاصى معترف بتقصيره وبتوبيخ هذا الجاهل الظالم انه عالم فهو مشتغل بما من العلوم التى هى وسائله الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واما غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لدينى الدين الحياط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشى ما طهنك بمن يفنى لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما او كانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهلا ولا يجد صديقا فان مخالطة الناس لا تخلو عن غيبة او سماع غيبة او سكوت على منكر وان احسن احوال الانسان ان يعتزلهم الا عالما او مستفيدا ولو تأمل علم ان الاستفادة انما يريد بها ان يتوصل بذلك الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشرف فيكون هو مسئولا على ذلك ورده او ظهيرا ومعينا لا سباب كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق فانه يعلم كما السيف صلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الاخرة يجمع كل واحد منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تطلب الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراشدين وتلتهى بجهلك وانكارك بزمرة العالمين الا بسين فتوقعك الله من جنود الشيطان فيها هلك

الجمهور فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لا يؤثر الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف فى اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والاخرة او كيف يشتبه فيه وبه يمتاز الانسان عن البهيمة مع قصوره عن تمييز ما تختص به العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها مسطورة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره بما يستولى عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ فى قومه كالنبى فى امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه وانما ذلك لقوة عقله ولذلك لا يزال الانسان يزداد وقارا بزيادة عقله لا بزيادة قوته بل تزايد قوته مع نقصان عقله مذموم عند الخلق ومع قرب منزلتهم من رتبة البهائم

وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا فى نفسه بطون العقل ونور العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة
وانما الفضلان نورا ما وردت به الاخبار والآيات فى ذكر شرفه وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد
منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال سبحانه او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وحيث ذكر
النور سمى الظلمة اوادبه العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل
تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه يحبكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنى المنزلة رث
الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا ظريفا لفرة والخازباز اعقل عند الله ممن
عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر
فادبر ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اكرم على منك بك آخذ وبك اعطى وبك اثيب وبك اعاقب فرقيت فهذا العقل ان
كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه ولا يتميز فى علم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم
المعاملة وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة وعن انس رضى الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل قالوا نخبرك عن اجتهاده فى العبادة واصناف الخير ونسألنا عن عقله فقال صلى الله عليه وسلم ان
الاحمق يصيب بجهله اكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات النزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى او ما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله
وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يثمر رجل حسن خلقه حتى يثمر له عقله فعند ذلك تم ايمانه و
اطاع ربه وعصى عدو ابليس وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن
عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول اهل النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وعن عمر رضى الله عنه انه قال لتميم الدارى
ما السؤدد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السؤدد
فقال العقل وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شئ مطية و
مطية المرء العقل واحسنكم دلالة ومعرفة بالجمة افضلكم عقلا وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان اشجع من فلان وفلان اشجع ما لم يقل فلان وفى هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
فلا علم بكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم وبينهم على قدر عقولهم
فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله
عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم فاعمالهم بطاعة الله
عز وجل اوفرهم عقلا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ثم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل
قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله عز وجل من العقل فبقدر ما اعطوا
من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ آلة
وعدة وان آلة المؤمن وعدته العقل ولكل شئ مطية ومطية المرء العقل ولكل شئ دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد
العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت فيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة
وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينتسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينتسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين
العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فاحسن عمل ايام حياته
فذلك وبخ وقال صلى الله عليه وسلم اعمركم عقلا اشدكم لله تعالى خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا **بيان** حقيقة العقل و
اقسامه اعلم ان الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته ودخل الاكثرون عن كون هذا الاسم مشتركا مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والخطاء فيه ان العقل اسم يطلق للاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى ان يطلب لجميع اقسامه
حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه **فالاول** الوصف الذى يفارق به الانسان سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير
الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى اراده الحارث بن اسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكانه توهم

فى القلب يستعد لادراك الاشياء ولو ينصف من انكرهذا ورد العقل الى مجرد القوة الفطرية فان الغافل عن المعلوم والنائم بسيمان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما الا ان الله تعالى يحكم اجراء العادة بخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة ويقال لا فرق الا ان الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا مثلا لوجب ان نقول بان كل حركة نشاهدها منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لو لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات الا بغريزة اختصت بها عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان للبهيمة فى ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام فى حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية ونسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة نسبة قولنا الكتابة العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغى ان تفهم هذه الغريزة **الثانى** العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز كجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاشياء اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عنا بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح فى نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميها عقلا ظاهر وانما الفاسد تسمية تلك الغريزة وبقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث** علوم تستفاد من التجارب كالعلم بان الاحوال التى من حنكته التجارب هذبته المذهبية يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال غبى او جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا **الرابع** ان تنشأ فى قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان فالاول هو الاس والاساس والمنبع والثانى هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثانى اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهو النهاية القصوى فالاولان بالطبع والاخران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه **شعر** رايت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع * والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله عز وجل خلقا هو اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس بابواب البر والاعمال الصالحة فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى الدرداء رضى الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابى انت وامى فكيف لى بذلك فقال صلى الله عليه وسلم جانب محارم الله تعالى وادّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك عز وجل القربة والمنزلة وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابى بن كعب وابا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال صلى الله عليه العاقل فقالوا فمن اعبد الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العاقل فقالوا فمن افضل الناس فقال العاقل فقالوا اليس العاقل من تمنّت مروته وظهرت مناحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقى وان كان فى الدنيا خسيسا دنيئا قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم فى اصل اللغة لتلك الغريزة وكذلك فى الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشئ بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها الا فى القسم الاول والصحيح وجودها بل هى الاصل وهذه العلوم كلها متضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر فى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست لشئ وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء فى الارض فانه يظهر بحفر القفى ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليه شئ جديد وكذلك الالوان فى اللون وماء الورد فى الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا الى اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والى اشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله بل معظمهم ان اعتبرت احوالهم شهدت بهذا نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التى فطر الناس عليها اى كل آدمى فطر على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الاشياء على ما هى عليه لعنى انها كالمتضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس الى فسيحين الى من اعرض فنسى وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل لعلهم يتذكرون وليذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به ولقد سيرنا القرآن للذكر فهل من مذكر وتسمية هذا الخط

التذكر ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود والاخر ان يذكر صورة كانت مطمئنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة قبلة على من مُنِعَ روحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب في ظنه عليه حتى ينظر اليها بعين الاستخفاف ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما هذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في البصر وكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين وسمى ضدة عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه وهذه حقائق ما يطلق اسم العقل عليها بيان

تفاوت الناس في العقل * قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان يقال ان التفاوت ينطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدرك ادراكا كشفيا من غير شك ولم الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء الهوى على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غيره عليه من الشباب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد تكون نسبة التفاوت في العلم المعرفي لمعالجة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة انه مضر ولكن لما كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جنده للعقل وعونا له في قمع الشهوات او كسرها وكذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضر المعاصي وداعي به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسة واصحاب الهندبان فان كان التفاوت من جهة الشهوة فمرجعه الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا ايضا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية فيه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد واما القسم الثالث وهو علم التجارب فتفاوت الناس فيه لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوت في الغريزة واما تفاوت في الممارسة فان الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى حجره فانه مثل نور يشرق على النفس يطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموه حتى يتدرج حتى التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك بين الاعمش وبين الحاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج والايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات فمن انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه ينكر تفاوت بقية العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل احاد السودان او اجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من احاد السودان وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس في فهم العلوم ولما فهم واحد من الف بليد الا بعد تعب طويل من التعلم والتفكر يفهم بادنى رمز واشارة والكامل ينبعث من نفسه حقائق الامور دون التعلم كما قال تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يفيض لهم في بواطنهم امور عامضة من غير تعلم وسماع وعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر لذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع وقد رجحان الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر ولا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا وليا ولا كل من عرف النحو واللغة كان تقيا وانفع الناس الى من يتنبه من نفسه ويفر الى

من لا يفهم الا بتنبيه و تعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانفساد الارض الى ما يحتقن فيه الماء فيفسد فينفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى الفوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض فى صفاتها وكذلك هذا الاختلاف فى النفوس فى غريزة العقل * ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى ان عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا ربنا هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط به علما هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فانى خلقت العقل اصنافا فاشتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطى جبلة ومنهم من اعطى جبلتين ومنهم من اعطى الثلاث والاربع ومنهم من اعطى فرقا ومنهم من اعطى وسقا ومنهم من اعطى اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس تقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة و المناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقدروا عندهم انكم احتقرتم البهيمية اذ كان ذلك لا يجدى عن قلوبهم بعد تداول الالسنة به ورسوخه فى القلوب ذموا العقل والمعقول وهو المسمى نورا عندهم فانه نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يصح ذمه فقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذى بعد الحق الا الضلال فان كان المحمود هو الشرع فبم عرفت صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بنور اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما نريد بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الادمى عن البهائم حتى ادرك بها حقائق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل قوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الالفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله اعلم * تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء ثم كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده اولا وآخرا *

كتاب قواعد العقائد وهو الكتاب الثانى من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

وفيه اربعة فصول **الفصل الاول** فى ترجمة عقيدة اهل السنة فى كلمتى الشهادة التى بها احد مبانى الاسلام فنقول وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدئ المعيد * الفعال لما يريد * ذى العرش المجيد * والبطش الشديد * الهادى صفوة العبيد * الى المنهج الرشيد * والمسلك السديد * المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد * بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والتزييد * السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء اثر صحبه الاكرمين المكرمين بالتنائيد والتسديد * المتجلى لهم فى ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التى لا يدركها الا من الفى السمع وهو شهيد * المعرف اياهم فى ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء ولا ينفصل بصره الامد وانقراض الاجال بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن **التنزيه** وانه ليس بجسم مصور ولا بجوهر محدود ومقدر وانه لا يماثل الاجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون ولا السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شئ الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الارض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما انه رفيع الدرجات عن الارض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الان على ما عليه كان وانه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تغريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار فى دار القرار وتماما منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **الحياة والقدرة** وانه تعالى حى قادر جبار قهار لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت والسلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه

والخلائق مقهورون فى قبضته وانه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم
لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يهرب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه عالم بجميع المعلومات
محيط بما يجرى من تحت تخوم الارضين الى اعلى السموات وانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء
على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر فى جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر
بعلم قديم ازلى لم يزل موصوفا به فى ازل الازال لا بعلم محدث حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه مريد للكائنات من الحادثات
فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسران زيادة او نقصان طاعة او
عصيان الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما
يريد لا راد لامره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمشيئته وارادته فلو اجتمع الانس
والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وان ارادته فثبتت بدلائله فى جملة
صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا فى ازله لوجود الاشياء فى اوقاتها التى قدرها فوجدت فى اوقاتها كما اراده فى ازله من غير تقدم ولا تاخر
بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير ولا بداء ولا نشوء رأى ولا عزوب فكر ولا يتزجى فى مكان فلذلك لم تشغله شأن عن شأن **السمع**
والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يغرب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا بعد
ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصماخ واذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه
صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق **الكلام** وانه تعالى متكلم آمر ناه واعد منوع بكلام ازلى قديم قائم بذاته لا يشبه
كلام الخلق فليس بصوت يحدث من بين انسلال هواء او اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحرك لسان وان القرآن والتوراة
والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وانه مع ذلك
قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير
صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى فى الاخرة من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا
سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه الا وهو حادث
بفعله وقضائه من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم فى افعاله عادل فى اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد
يتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يتصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من
انس وجن وملك وشيطان وسماء وارض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض وملك ومملوك محسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم
اختراعا وانشأه انشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان فى الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته و
تحقيقا لما سبق من ارادته ولما علم فى الازل من كمله لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب
متطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب
ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وانه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات
بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له اذ لا يجب عليه لاحد شئ فضل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه فى الطاعات واجب
على الخلق بايجابه على السنة انبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره
ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به **معنى الكلمة الثانية** وهو الشهادة للرسل بالرسالة وانه بعث
نبينا الامى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشريعته الشرائع الا ما قرر منها
وفضله على سائر الانبياء وحيله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول
وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه فى جميع ما اخبر عنه من امور الدنيا والاخرة وانه لا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما
اخبر عنه بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسئلانه
عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان يؤمن
بعذاب القبر وانه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح على ما يشاء وان يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم انه

مثقال لبقات السموات والارض وزن بقية الاعمال بقدرة الله تعالى والصحف ويؤمن بثقل الذرة والخردل بحقيقتهما ويضع الميزان العدل ونطوي صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله ونطوي صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف واد في من الشعر نزل عليه اقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوي بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين بفضل الله فيسارعون الى دار القرار وان يؤمن بالحوض المورود حوض نبينا صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط مرقد من منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عددها بعدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر وان يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال وان يؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار موحد وان يؤمن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن لم يشفع للمؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وان افضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين فكل ذلك مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق وهط الضلال وخرب البدع فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته انه ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

الفصل الثاني في

وجه التنبيه الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد اعلم ان ما ذكرناه في رتبة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوئه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا في بداوة الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوئه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام انما حصلت بالتلقين المجرد والتعليم المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد خاليا عن نوع من الضعف والابتداء على معنى انه يقبل الازالة بتقيض ما ألقي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل تشغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه وتشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يستطلع عليه من اخوار العبادات ووظائفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وحياتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء البذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى وينتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحترس سمعه من الجدل والكلام غاية الاحتراس فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويتها بالجدل ايضا ضرب للشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر اجزاءها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب في المشاهدة تكفيك في هذا بيانا فانا هيأنا بالعيان برهانا فمن عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والجادلين شبه اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس لاعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تقيضه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما يتلقف نفس الاعتقاد تقليدا لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستقلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوؤه على هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم يخل له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد اهل الحق اذ لم يكلف الشرع اجلا في العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعدته التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة نورا الهيا يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعد الله عز وجل اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في قلب ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك الستر بالكلية لا يراد لها درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى في الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد في

اختلاف الفطر في الذكاء والفطنة فكما لا تحصر تلك الدرجات فكذلك هذه **مسئلة** فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو مباح أو مندوب اليه فاعلم ان الناس في هذا خلطوا وأسرفوا في أطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية أو على الاعيان وانه افضل الاعمال والمقربات فانه مختص بعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف قال ابو عبد الله رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوما ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب خلا الشرك بالله خير له من ان يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا ما اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال نسئل عن هذا حفص الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب عما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام لا دين له قال الزعفراني قال الشافعي حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل ويابى فيه حتى يخرج حارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك لست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم اتدع الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الرد والبحث وقال احمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة وقال مالك رحمه الله ارايت ان جاء من هو اجدل منه بدين يخالف دينه كل يوم الدين خصومات يعني ان اقوال المتجادلين تتقاوم وقال مالك رحمه الله ايضا لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تاويله اذا اراد باهل الاهواء اهل الكلام على مذهبكم نعم وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا اهل الاهواء ولا تخاصموهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا يحصر ما نقل عنهم من الشنعة بذلك فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقائق واصح قلوبا وافصح بيانا لا لفائدة من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا عن القدر وعلى هذا اسقر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلموهم الاستاذون والتفذق وتخرص الاثبات والنفاة واما الفرقة الاخرى فاحتجوا بان قالوا ان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهد في الصحابة رضي الله عنهم فلا مرية في وجوب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعديد وفساد الوضع الى جميع الاسئلة التي ترد على القياس لما كانوا يفهمونه فمحدثات عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كمحدثات آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب للعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه هو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم وقال عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وقال تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وقال ان عندكم من سلطان بهذا اي حجة وبرهان وقال تعالى قل فلله الحجة البالغة وقال تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر فاخذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم وجادلته والجادلته خصومة وعرض الثناء عليه وقال عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال تعالى في قصة فرعون ومارب العالمين الى قوله لقد اوتيت بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن من اوله الى آخره محاج مع الكفار بعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي النبوة وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وفي البعث قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى غير ذلك من الايات والادلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن فان الصحابة رضي الله عنهم ايضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون

ج ٢

ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة فى زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق على ابن ابى طالب رضى الله عنه اذ بعث
ابن عباس رضى الله عنهما الى الخوارج يكلمهم فقال انتفتنون على امامكم فالوا فاتل ولو نسيبك لم يفعلوا فقال ذلك فى قتال الكفار ارأيتم لو سبيت عائشة
رضى الله عنها فى يوم الجمل فوقعت عائشة رضى الله عنها فى سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وبيا متكم فى نص الكتاب
فقالوا لا فرجع منهم الى الطائفة بجادلته الفان وروى ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر على بن ابى طالب كرم الله وجهه رجلا
من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد بن عميرة فى الايمان فال عبد الله لو قلت انى مؤمن لقلت انى فى الجنة فقال له يزيد
ابن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقسيم الصلاة و
الصوم والزكاة ولنا ذنوب نرجو انها تغفر لنا لعلمنا اننا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن
مسعود رضى صدقت والله انها منى زلة فبقى ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس
واتخاذه صناعة فيقال اما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لو تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية اتمام الخصم
واعتراضه وانكتاف الحق وازالة الشبهة فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال لامحالة الزامهم وما كانوا يقيدون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد
الشروع فيه واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دابهم فى الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع اصول
النادرة التى لا تتفق الا عند الندرة واما ادخار اليوم وقوعها وان كان نادرا او تشحيذ الخواطر فنحن ايضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بها
شبهة او مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال
هذا ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه فى كل حال وذمه فى كل حال خطأ بل لكل
فيه من تفصيل فاعلم اولا ان الشئ قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعنى بقولى لذاته ان علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا
سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر لاساغة لقمة غص بها ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر
والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك المسلم فى وقت الخيار والبيع وقت الندا وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر
قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كاسم الذئب يقتل قليله وكثيره والى ما حرمته عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان
كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شئ تقابلت فيه
الاحوال فالاولى والاقرب عن الالتباس ان نفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع
حلال او مندوب اليه او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار محله حرام واما مضرته فاثارة الشبهات و
تحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره
فى الاعتقاد الحق وله ضرر آخر فى تاكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيتها فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار
عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل ولذلك فى المبتدع العالم يمكن ان يزول اعتقاده بالتلطف فى اسرع زمان
الا اذا كان نشوه فى بلاد يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى و
التعصب يغض خصومة المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله تعالى لك
الغطاء ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذى استطار فى البلاد والعباد
وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه وهيهات فليس فى الكلام
وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوى ربما خطر ببالك
ان الناس على ما جهلوا فاسمع هذا من خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى
التعمق فى علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمرى لا ينفك الكلام عن كشف و
تعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور فى امور جلية تكاد افهام فبل التعمق فى صنعة الكلام بان معرفته شئ واحد وهو حراسة العقيدة
التى ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العلم ضعيف ليندفع جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضته
الفاسدة بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التى قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجمع السلف الصالح
عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تجمعات الظلمة والغصاب واذا وقعت الحاجة

بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء المخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مما تلقوه الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب بالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب لقريب من سياق ادلة القرآن والحديث المروج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدال الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة من الجدال يغلبها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب فرد ان المجادلين من اهل مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا من وقع في شك اذ يجب ان ينبه باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام وتعنقصاء الجدل انما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا ينجيه منها الا دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه وهذا في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على تزجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يفرض للادلة ويزيد نقص وقوع شبهة فان وقعت تدرك بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا بأس ان يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب اختصارا فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال او ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة الخفية وظهر الداء فلا بأس ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد الى غير ذلك من مباحثة المتكلمين فان نفعه ذلك كف عنه وان لم ينفعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له والقدر الذي يحويه ذلك الكتاب في جنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه واما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الاكوان وعن الادراكات وعن الخوض في ان الرؤية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان كل واحد هو منع عن جميع ما لا يرى او ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع مجسب علمه الى غير ذلك من الاذهان المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في عين تلك القواعد وزيادة اسئلة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من لم ينفعه ذلك القدر وقرب كلام يزيد الاطناب والتقرير غموضا ونوعا من ثقل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيها فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كهو له لعب لشطر نج يشحذ الخاطر فهو من الدين ايضا وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي تذم فيها والحال التي تحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدعة والان قد تارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا ينبغي ان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق وكالقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء بلبث ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه والبحث عنه ايضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة وان كانت ماسة اليه وعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبهة المبتدعة الذين تارو في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يختص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال احداها التجرد للعلم والحرص عليه فان الحرف يمنعه الشغل عن الاتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق يجادل نشبهة يخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يتخذها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان هذا الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات

والدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها مشعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس وذا قابله مثله في الصنعة فهو سه
وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي ينبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس رضي الله
عنه من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر في محل الحاجة وذلك محمود في كل
حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق
النضال عنها وحفظها فما ازالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما عليه وادراك الاسرار التي يتوجهها ظاهر الفاظ هذه العقيدة
فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله عز
وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب ذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله

مسئلة فان قلت هذا الكلام يشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة و
الطلب لحيثيت والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر و
باطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون
الذين ما تيقظوا في اوائل الصبى شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم همة في الى شأو العلماء ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال
صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها
حملة وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث احدا
قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال صلى الله عليه
وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العالمون بالله تعالى الحديث الى آخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا فلم منع من افشائه لنقصور الافهام عن ادراكه او لمعنى آخر فلم يذكره لهم
ولا شك انهم كانوا يصيخون لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال ابو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعاءين اما احدهما فبثثته واما الآخر لو بثثته لقطع هذا البلعوم وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام و
لا صلاة ولكن بسر وقر في صدره رضي الله عنه ولا شك في ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين
لم يكن خافيا بطواهرها على غيرها وقال سهل التستري رضي الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر بيذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره
الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة
وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور افهامهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض فيه وان الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وهذا الورع النبوي **مسئلة** فان
قلت هذه الايات والاخبار يتطرق اليها تأويلات فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال
الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن ثم الباطن وان
كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا
عظيما ويجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان الفائدة التي ذكرناها من اعمال القلوب فهذه
تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولو لا انه
من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولو لا انه عمل بظاهر القلب لا عمل بباطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي
هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا جر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فنقول
قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها
ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام **القسم الاول** ان يكون الشيء في نفسه دقيقا
لا تكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله فيضيق ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم
عن الادراك واخفاء سر الربوبية وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه

وتقصر الاوهام عن تصوركنهه ولا تظن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء لكنهم يتفاوتون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن درکه ولو يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة نوموا بها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق عما يناسبه بعض المناسبة شئ لم يفهموا بل الذة الجماع اذا ذكرت للصبي والعنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه وما هي حاضرة له في الحال او عما كانت له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفضل والعلم والقدرة وغيره من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظما لتخويله على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى انى اعجز عن البغيد عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته * ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد اقسام ما تكل الافهام عن ادراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره **القسم الثاني** من الخفيات التي تمتنع للانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم عن افشائه من هذا القسم فلا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش كما تضر رياح الورد بالجعلان وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور كلها بقضاء الله تعالى وارادته ومشيئته حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ توهم ذلك عندهم انه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو افشي اوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأ النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف فلو اعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو لم يخف وقوعه فيكون مثالا لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون الشئ بحيث لو ذكر وصرح بالفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب له مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يفلي اللذة في اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فلستمع قد يسبق الى الفهم ظاهر والحق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه درة ولا كان في موضعه خنزير تفطن لذلك السر الباطن فيتفاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر في المعنى **شعر** رجلان خياط وآخر حائك * متقابلان على السماك الاعزل * لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر * ويخيط صاحبه ثياب المقبل * فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصور التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد وكونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة فلم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته كلونه وشكله بل بخاصيته وهو البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن قلوب المومنين فلسنا فيها اصابع فعلم انها كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار من

هذا الفصيل في كنايته عن الاقتدار قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان
خطابا مع الشئ قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما
كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما الممتنع بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه
يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية ان معنى الماء ههنا هو القرآن و
معنى الاودية هي القلوب وان بعضها احتملت شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فانه وان ظهر طفا
على وجه الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعتقد جماعة قولوا ما ورد في الاخرة من الميزان والصراط
وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** ان
يدرك الانسان الشئ جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر و
الثاني كاللباب والاول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم
فاذا رآه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما في العلم ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم و
الايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن يختلفه به عند الوقوع اكمل من تخلفه
قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلاثة احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده
قبل وقوعه والثاني عنده وقوعه والثالث بعد ضربه فان تخلف بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم
الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك فرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام
الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شئ منها باطن ينافض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتم اللب القشر والسلام **القسم الخامس** ان يعبر
بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نظفا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد
لم تشقني قال سل من يدقني فلم يدعني ورأى الجرح الذي رآني فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى ثم استوى الى
السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فليس يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حيوة وعقلا وفهما للخطاب و
خطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه ابناء عن كونهما
مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فليس يفتقر فيه الى ان يقدر للجمادات حياة وعقلا
ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله يتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا
بواحدانية الله سبحانه كما يقال **شعر** وفي كل شئ له اية * تدل على انه واحد * وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير
وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شئ الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم
اوصافه ويرجده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتشاد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا
الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف وافتصاد
فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين واكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شئ وكذلك الخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والصراط
والحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله زعموا ان ذلك كله بلسان الحال وغلا
آخرون في جسيم الباب منهم احمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجه
من الله تعالى في كل لحظة لعبد كون كل ممكن حتى سمعت بعض اصحابه يقول انه حتم باب التاويل الا لثلاثة الفاظ قوله صلى الله
عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله صلى الله عليه
وسلم اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والطن باحمد بن حنبل رحمه الله انه علم ان الاستواء ليس
هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب وعاية لصلاح الخلق فاذا افتح الباب انشعب الخرق على الراقم وخرج الامر عن الضبط

ب اتساع
الخرق كذا في نسخة
باب الترقيع
١٢

وجاوز حد الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر وينبغي له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال
مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد
ففتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا من التأويل فيه وهم الاشعرية وزاد
المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفاته تعالى الى آخره واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب
القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الآخرة ولكن اقروا بالحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشروبات والمشمومات
والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد
الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الآخرة ورد الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس و
انها تكون معذبة او منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة
دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليها نظروا
الى السمع والالفاظ الواردة فيها وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالفه ولو قاما من يأخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا
ينسقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف ولا يليق بالمنتصر على السمع المجرد مقام احمد ابن حنبل رحمه الله والآن فلنكشف الغطاء عن حد الاقتصاد
في هذه الامور اعلم ان هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر وخالفته له فهذا انكشف
بهذه الاقسام الخمسة امور كثيرة واذا رأينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها فانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة
الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعرض لشيء مما ذكر في
هذا الكتاب تلك اللوامع ونقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب

الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فنقول *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي مد عضد السنة بانوار اليقين * واثر رهط الحق بالهداية الى رهط الدين * وجنبهم زيغ الزائغين وضلال المبتدعين * ووفقهم للاقتداء
بسيد المرسلين * وسددهم للتأسي بصحبه الاكرمين * ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين * حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن
سير الاولين * وعقائدهم بالمنهج المبين * فجمعوا في القبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بالشهادتين وبما
محمد رسول الله للبرية كافة ولا حصول لها ان لم يتحقق الاحاطة بما تدل عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة
على ايجازهما تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسل فعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة
وبكل ركن منها على عشرة اصول **الركن الاول** في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه
وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه مرئي وانه واحد **الركن الثاني** في
صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام و
العلم والارادة **الركن الثالث** في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد و
انها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له تعالى تكليف ما لا يطاق وان له ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا وجوب
الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات **الركن الرابع** في السمعيات ومداره
على عشرة اصول وهي اثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة وان فضل الصحابة
على حسب ترتيبهم وشروط الامامة والمحرم بعضها **الركن الاول** من اركان الايمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وان الله تعالى واحد ومداره
على عشرة اصول **الاصل الاول** في معرفة وجود تعالى واولى ما ينتضاء به من الانوار ويسلك من طرق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن
فليس هو بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا
وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به
الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون . وقال تعالى الم تر الى ربك كيف خلق الله

سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى أفرأيتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة من عقل اذا تأمل بادنى فكر مضمون هذه الايات و ادار نظره على عجائب خلق الله فى الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع بديع وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى أفى الله شك فاطر السموات والارض فما بعثت الانبياء كلهم بدعوة الخلق فى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما أمروا ان يقولوا انا الله وللعالم اله فان ذلك كان مجهولا فى فطرة عقولهم من مبدأ انشائهم وفى عنفوان سنهم ولذلك قال عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا فى فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغنى عن اقامة برهان ونكتا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بديهة العقول ان الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغنى فى حدوثه عن سبب اما قولنا ان الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب فجلى فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز فى العقل تقديره وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فنى هذا البرهان ثلاثة دعاوى الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمبين الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا الثانية قولنا انهما حادثان يدل على ذلك تناقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الاجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث بطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتى بيانه وبرهان امكان بقاء الصانع تعالى وتقدس الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو محدث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لاستحال الوصول الى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن ان تكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا وعحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفى والاثبات اذ فى اثبات احدهما نفى الآخر وفى نفى احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد وكيف يعقل ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعقل ما واحد مع انه لا نهاية لاعدادها ومحال ان يكون لا شفعا ولا وترا اذ له نهاية فيحصل من هذا ان السالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة الاصل الثانى العلم بان الله تعالى قديم لم يزل ازلى ليس لوجوده اول بل هو اول كل شئ وقبل كل ميت وحى وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهى الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم وسببه وبارئه ومحدثه ومبدعه الاصل الثالث العلم بانه تعالى مع كونه ازليا ابديا ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شئ يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شئ بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب باطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده فى يتقدم ومعه ضده فان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده الدفع اهون من القطع والقديم اقوى واولى من الحادث الاصل الرابع العلم بانه تعالى ليس بجوهر متحيز قابل متقبل من عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيز ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة او السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديما لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسمّ جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى الاصل الخامس العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وابطل كونه جوهرا مخصوصا متحيزا بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يتقدمها صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشئ آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا فى الاسم مع الاصابة فى نفى معنى الجسم

الاصل السادس العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لامحالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهره واعراضه اجسامه فذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ بل هو القيوم الحي الذي ليس كمثله شئ وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته **الاصل السابع** العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهات ثما فوق واما اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والاخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وسمى جهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين بيصر من احدهما يتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن لها بان خلق الانسان وتعالى عن ان يكون له فوق اذ تعالى عن ان يكون له راس والفوق عبارة عما يكون جهة الراس او خلق العالم تحته وتعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل وكان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجواهر ومختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فمعلوم انه قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو موصوف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها لقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء **الاصل الثامن** من العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدث والفناء وهو الله اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر **بيت** قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق * واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حملوا ذلك بالاتفاق على الاحاطة بالعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن منه جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر منه او اصغر وذلك محال وما يودي الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والانطباع مرئي بالابصار في الدار الاخرة دار الظهور لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الارباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البداع والاهواء من الجهلة الاغبياء اولى من الجهل بالانبياء صلوات الله عليهم واما وجه اجراء آية الرؤية على الظاهر فهو انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز ان يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة **الاصل العاشر** العلم بان الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يشابهه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فان اراد الثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقصورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى فى قوله وهو على كل شئ قدير صادق لان العالم محكم فى صنعته ومرتب فى خلقته ومزين ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه وهيئته لا استطاعة اوعن انسان لا فدنة له كان مخلعا عن غريزة العقل ومخرطا فى سلك اهل الغباوة والجهل **الاصل الثانى** العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يغرب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء صادق فى قوله وهو بكل شئ عليم ومرشد الى صدقه بقولنا لما لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم بانك لا تشك فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشئ الحقير الطفيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكر الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف **الاصل الثالث** العلم بكونه عز وجل حيا فان من تتاب علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصورت فى عالم فاعل ما تردد ان يكون حيا لجاز ان يشك فى حياة الحيوانات عند تزحدها فى الحركات والسكنات بل فى حياة ارباب الحرف والصناعات والمنقبين فى البلاد والفلوات والمسافرين فى اقطار الارض للتجارات وذلك انفاس فى غمرة الجهالات والضلالات **الاصل الرابع** العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو المبدئ والمعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تتساوى الضدين والوقتين متناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده لجاز ان يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده فيه **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى سميع بصير لا يغرب عن رؤيته هو جس الضمير فى خفايا الوهم والتفكير ولا يشغله عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا وهو المتصف بالسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون الخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اسنى واتم من الصانع وكيف تشتمل الشبهة عليهما ورفع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته او كيف نشتغل بحجة ابراهيم صلى الله عليه وسلم على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ولو انقلبت ذلك عليه فى معبوده لاضمحت حجته وداحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروف كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التباس هذا على طائفة من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم شعر

ان الكلام لفى الفؤاد وانما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ونهاه نهاه عن ان يقول لشئ حادث ولكن ما يحدث فيقدر الحادثة قديمة فقطع عن عقله ظلمك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شئ وان الباء قبل السين فى قوله بسم الله فلا يكون السين المتاخر عن اباء قديما فقد زل عن الانصاف اليه فتبارك الله سبحانه سترى فى ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن ابعد ان يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر ان يرى فى الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الان لم ير غيره فليعقل فى حاسة السمع ما عقله فى حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع والارضين وكون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحديقة من غير ان تحل ذات السموات والارض والجنة والنار فى الحديقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالالسنة محفوظا فى القلوب مكتوبا فى المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها فى الورق ولا حرق **الاصل السابع** ان الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت سفير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تغيره التغيرات ولا تعتريه الحوادث بل لم يزل ولا يزال موصوفا بجامد الصفات ولا يزال فى ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما تثبت نعت الحدث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلبها من الصفات

فكيف يكون خالقا مشاركا لها في قبول التغير ويبتني على هذا ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه
وكما عقل قيام طلب التعلم واراداته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما مشتقا بما في
قلب ابيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي
دل عليه قوله عز وجل اخلع نعليك بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك
الطلب وسمع لذلك الكلام القديم **الاصل الثامن** ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته وما تحدثه
المخلوقات لو تجدد له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علما بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم
تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي ان يفهم فلم
علم الله تعالى **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة وفي القديم تتعلق باحداث الحوادث في اوقاتها اللائقة بها على وفق سبق
العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محلا للحوادث ولوجدت في غير انه لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك و
كيف ما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث
ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر** ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم
بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم
وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالفعل والمفعول والقائل فكما لا يتصور فاعل بلا فعل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل
كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض
فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم ولا فرق بين هذه الاوصاف

الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم
واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته وتصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله تعالى والله
خلقكم وما تعملون وفي قوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز
في اقوالهم وافعالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بمواردها واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة
لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد والحركات متماثلة وتتعلق القدرة بها لذاتها فالذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون
البعض مع تماثلها او كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع وبعيد من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما تتحير فيه
عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات
هيهات ذلت المخلوقات وتفردت بالملك والملكوت جبار الارض والسموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله سبحانه باختراع حركات
العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والتمكن
جميعا فالقدرة توصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها
خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت الحركة نسبة الى صفة اخرى للشيء قدرة فشيء باعتبار تلك النسبة كسبي وكيف تكون
جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك الفرق بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما
بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى
اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع
فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وبي عنه الاختراع متعلقة به نوعا آخر
من التعلق فبه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل الثالث** ان فعل العبد وان كان كسبا
للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لمحة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره
وبارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد و
الطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

ويدل عليه من النقل قول الامة فى طبقة ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصى والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هى جارية على وفق ارادة العدو ابليس لعنه الله مع انه عدو لله سبحانه والجارى على وفق ارادة العدو اكثر من الجارى على وفق ارادته تعالى فليت شعرى كيف يستجيز المسلم ان يرمى ملك الجبار ذى الجلال والاكرام الى ربقة لو ورد ان اليها رياسة او ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يشم العدو الزعيم فى القرية اكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وبرىء عن ولايته والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله صح انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يأمر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اشرح هذا لاتبه بمشهد من السلطان فهو يأمر بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان مهما ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال **الاصل الرابع** ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهى وكيف يتهيأ لايجاب ويتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذى فى تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة او عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذى يؤدى عدمه الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدى الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثانى فهو المسلم اذ لا بد من سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يفض ترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى ثم ان مصلحة العباد فى ان يخلقهم فى الجنة فما بالهم خلقهم فى دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يعذبهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما فى ذلك غبطة عند ذوى الالباب **الاصل الخامس** انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال رفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وكان الله تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه فى جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه فرق فى انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجود **الاصل السادس** ان الله عز وجل ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف فى ملكه ولا يتصور ان يعذب ويتصرف فى ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير اذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يتصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان خرج البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الآدميين لم يعد منها جريمة فان قيل ان الله تعالى يعيدها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه فمقول من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة ووطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على الآلام فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصفه الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد انه يقضى بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم فاذا خرج عن البيانى المذكورة للواجب **الاصل السابع** انه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه سبحانه شئ بل لا يعقل فى حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله ان الاصلح واجب عليه على مسئلة نفرضها عليه وهو ان نفرض منا ظفرا فى الآخرة بنبى صبى مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبى لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلى فلو قال الصبى يا رب لم رفعت منزلته على فيقول لانه بلغ واجتهد فى الطاعات فيقول الصبى انت امتنعت على الصبى فكان يجب عليك ان تديم حياتى حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل فى التفضل عليه بطول العمر له دونى فلم فصلته فيقول الله تعالى لانى علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت فى الصبى هذا عند المعتزلى عن الله عز وجل وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون يا رب اما علمت انا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا فى الصبى فانا رضينا بما دون منزلة الصبى المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب

كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى انه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض
احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياءه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال
اذ لا غرض له فلا ينصور منه قبيح كما لا ينصور منه ظلم اذ لا ينصور منه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض
الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشهي يشهد بخلافه ما قد فوضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه
العالم بحقائق الاشياء القادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح وانما الحكيم منا يراعي الاصلح
نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الاخرة ثوابا او يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال **الاصل الثامن**
ان معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل وان اوجب لطفا فلا يخلو
اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب لعبثا واما ان يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود
وذلك محال في حقه تعالى فانه يتقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه
تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في
المآل الا الثواب والعقاب ومن اين يستم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه
يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا به لاحدهما اختصاص وانما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين
الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم
يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يثبت قبل ورود الشرع فما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل لم يوجب علي النظر والشرع
لا يثبت عندي الا بالنظر ولست اقدم على النظر اذ هي ذلك الى اقدام الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا هذا يضاهي قول القائل
للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تتزحزح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدق
فيقول الواقف لا يثبت صدقك لم التفت وراءي ولا التفت وراءي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا
وتهافته للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية
والنيران المحرقة ان لم تأخذوا منها حذركم اهلكتكم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم
يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجوب السعي لما الضار
بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقول في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا
ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التحذر للضرر بعد الموت عند ابالغ
الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثير هما في تقرير الواجب ونعني بالخوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب
الا ما يرتبط بتركه ضرر في الاخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في
بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى
الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة **الاصل العاشر** ان الله سبحانه قد ارسل
محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات
الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة
العرب القرآن العظيم فانهم مع تمييزهم بالفصاحة والبلاغة نهدوا في السبيه ونهبه وقتله واخراجه كما اخبر الله عز وجل عنهم
ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه
اميا لا يحسن الكتب ولا القراءة عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وجه
دلالة المعجزة على صدق الرسول ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعل الله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم
ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك
ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا وافعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع فى السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومدارك على عشرة اصول

الاصل الاول الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لانه فى العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كالابتداء الانشاء قال الله تعالى قل من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة فاستدل بالقدرة على الاعادة وقال عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول **الاصل الثانى** سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستند على استحالة العادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذى به فهم الخطاب وذلك ممكن فى نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك ببباطنه من الالام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبرائيل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فذلك غير لهم السمع والرؤية ثم يدركون **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك كالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها **الاصل الرابع** الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه الاية ووجهه ان الله تعالى يحدث فى صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب او الفضل فى العفو لتضيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعر وأحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير فى الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس** ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله تعالى اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر ولا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون **الاصل السابع** ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم لم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من غضبه احاد الولاة والامراء على الجيوش فى البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا واذا ظهر فكيف اندرس حتى لم يثقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة ولا تقدير النص على غيره فهو نسبة الصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لم يتجرء على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الامامة اذ ظن على رضى الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى الى اضطراب امر الامامة فى بدايتها فرأى التأخير اصوب وظن معاوية ان تأخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالائمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال ان افضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة على رضى الله عنه ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة رضى الله عنهم على حسب ترتيبهم فى الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد فى الثناء على جميعهم آيات واخبار كثيرة وانما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدة من الوحى والتنزيل بقرائن الاحوال ودقائق التفضيل فلو لم يسلم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كان لا تأخذهم فى الله لومة لائم ولا يصدهم عن الحق صارف **الاصل التاسع** ان شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واذا اجتمع عدة من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانتظام الى الحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان فى صرفه اثارة فتنة لانطفاء حكمنا بانعقاد امامته لا نابين ان تحدث فتنة بالاستيلاء فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى ثبتت لتزية المصلحة فلا يهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذى يبتغى قصرا ويهدم مصرا وبين ان تحكم بخلو البلاد عن الامام بفسقه الا فضية

الاشارة
له عطف على قوله بين ان تحكم

ذلك محال وفي نقض بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم ليس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يسدد نا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

الفصل الرابع من قواعد العقائد في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل **مسئلة** اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه او مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنتجشم الان على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة والبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث الاول** في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد والتصديق عمل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا **البحث الثاني** عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سئله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره وسئله عن الاسلام فاجاب بذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد ابن ابي وقاص انه صلى الله عليه وسلم اعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم او مسلم فاعاد عليه سعد فاعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التداخل وروي ايضا انه سئل فقيل له اي الاعمال افضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال اي الاسلام افضل فقال صلى الله عليه وسلم الايمان وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو اوفق الاستعمالات في اللغة لان الايمان عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام وهو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كلها غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم يطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد او مسلم لان فضل احدهما على الاخر ويزيد بالاختلاف تفاضل المسميين واما التداخل فهو ايضا موافق للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا اخرج قوله الايمان في جواب قول السائل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله فيه على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسلم

لعله من تتمة ما قبله بالجزء الذي بتاريخ ١٢ كتبه

ح ١٢ ظ

قد اتفق النسخ الموجودة عندنا على ما في المتن الا نسخة المصححة فان فيها ما في الحاشية

بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكل الايمان ويكون التصرف فى الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر فى معناه وهو
جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل المسامحة فيصير
بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين

البحث الثالث عن الحكم الشرعى والاسلام والايمان حكمان اخرويان ودنيوى اما الاخروى فهو الاخراج من النار ومنع التخليد
اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا فى ان هذا الحكم على ماذا يترتب
وعبروا عنه بان الايمان ماذا وهو فمن قائل يقول انه مجرد العقد ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا
وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف فى ان مستقره الجنة وهذه درجة والدرجة
الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فعند هذه المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل فى الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد فى النار وهذا باطل كما
سنذكره * الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا فى حكمه فقال
ابو طالب المكى العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه استدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل فى حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع فى هذا
ومع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر احدا بذنب لما اقربه وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر
والقائل بهذا قائل بان مذهب المعتزلة اذ يقال له مرصديق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو فى الجنة فلا بد ان يقول نعم
وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقى حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات او زنى ثم مات فهل يخلد
فى النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة
به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلى ولا يقدم على شئ من الاعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وما
عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر
اصلا * الدرجة الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب قبل ان ينطق باللسان او لشتغل بالاعمال ومات فهل يقول مات مؤمنا بينه وبين
الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج
من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلب طافح بالايمان فكيف يخلد فى النار ولم يشترط فى حديث جبرائيل عليه السلام
للايمان الا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الاخر كما سبق * الدرجة الخامسة ان يصدق بالقلب بساعده من العسر
محملة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن
غير مخلد فى النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد ان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجم
اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان هو عبارة عن التصديق بالقلب وقد
قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا يتعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب
كما لا يتعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ ليس كلمتا الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد آخر
واتيان بشهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان
عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم * الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدقه
بقلبه فلا نشك فى ان هذا فى حكم الاخرة من الكفار وانه مخلد فى النار ولا نشك فى انه فى حكم الدنيا التى تتعلق بالائمة والولاة
من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه فى قلبه وانما نشك فى امر ثالث وهو
الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت له فى هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتى يقول
كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الان فى يدى فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى او نحكم بسلمه ثم يصدق
بقلبه هل تلزمه اعادة النكاح هذا فى محل النظر فيحتمل ان يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا
ويحتمل ان يقال بينا طبا الظاهر فى حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله

تعالى والاظهر والعلم عند الله تعالى انه لا يحل له ذلك للميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقى عن الحرام ايضا في جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وليس هذا منافضا لقولنا ان الارشد حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات والقياسة فلا ينبغى ان يظن القاصد القاصر في العلوم ان المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة باير اده في فن الكلام الذى يطلب فيه القطع فما اقل من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القرآن اما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى بكل المعاصى لقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون الآية ولقوله تعالى كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ فقوله كلما القى فيها عام فينبغى ان يكون كل من القى في النار مكذبا ولقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفى ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون فالايمان رأس الحسنات ولقوله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه الآيات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى اراد به من جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله تعالى كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها اى فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع للاشعرى وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ظهور قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغى ان تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقوله تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا فقوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اجر اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا اى لايمانه وقد دل على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمله ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسليمات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل لفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف بعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اى ليس تاما له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية + **مسئلة** فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فاقول السلف هم الشهود والعدول وما لا حصر لقولهم مما ذكروه وحيث اما الشأن في فهم وتخيله دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشئ لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب في اللسان فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خطة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة اوجه **الاول** انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص من هذا الاعتقاد عقدة على القلب

الخطة بالضم الحال والامر الخطير ومنه الحديث لا يسألون عن خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اى ما ابالى ان كثرت

تارة تشتد وتقوى تارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لا يمكن نزعها منه بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصرانى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله من اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه طير شاك فى عقده كالاقل ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم وهذا موجود فى الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته كما يوم تسقى الماء فى نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادهم ايمانا وقال تعالى فزادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروى فى بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات فى القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه فى اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت فى السكون الى عقائد الايمان فى هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه علا مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس واعنى بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو عالم الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعدديهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال

رباعى دق الزجاج ورقت الخمر + وتشابها فتشاكل الامر + فكانما خمر ولا قدح + وكانما قدح ولا خمر + وامزج الى القصوى

فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة الى علوم المعاملة الى ان تكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال على كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم الاية + **الاطلاق الثانى** ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن واذا دخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك فى زيادة الايمان الذى هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه يؤثر فيه + **الاطلاق الثالث** ان يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف والشراح الصدور والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكنى اقول الامر اليقينى الذى لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك فى واحد منهما بل اليقينيات تختلف فى درجات الايضاح ودرجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر فى جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفى الاخبار انه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وفى بعض المواضع فى خبر اخر مثقال دينار فاى معنى لاختلاف مقاديرها ان كان ما فى القلب لا يتفاوت + **مسئلة** فان قلت ما وجه قول السلف انا مؤمنون ان شاء الله والاستثناء شك والشك فى الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون عنه فقال سفيان الثورى رحمه الله من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مؤمن حقا فهو مبتدع فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا عند الله كما ان من كان طويلا او شيخا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واى فرق بين ان يقول امنا بالله وما انزل الينا وبين ان يقول انا مؤمن وقيل للحسن امؤمن انت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثنى يا ابا سعيد فى الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمننى ان يكون الله سبحانه قد اطلع على بعض مساويكم فمقتنى وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا اعمل فى غير معمل وقال ابراهيم بن ادهم اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك فى الايمان وسؤالك اياى بدعة وقيل لعلقمة امؤمن انت قال ارجو ان شاء الله وقال الثورى نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب ان هذا الاستثناء صحيح ولها اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا فى اصل الايمان ولكن فى خاتمته وكماله ووجهان لا يستندان الى الشك + الوجه الاول الذى لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس

قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها تنقل من عرب التزكية كماية قال للانسان انت طيب وتقيه او سفسر فيقول نعم ان شاء الله لاني معرض لتشكيك ولكن لاحراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة التردد والتضعيف لنفس الخبر بمعناه التضعيف الملازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذميم يحسن له الاستثناء + الوجه الثاني التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وحالة الامور كلها الى مشيئة الله سبحانه فقد ادب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين وكان الله سبحانه عالما بانهم يدخلون لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال صلى الله عليه وسلم لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه فلكن مقتضى الادب في ذكر الله تعالى ربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله يفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكك الى معنى الرغبة وكذلك العدول الى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف ما كان الامر + الوجه الثالث مستند الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى للقوم مخصوصين بأعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال انما العمل قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى اولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الاية وقال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا مما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب والغدير ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب حكم له بها وفي لفظ اخر غلب عليه ذهب به وقال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى الان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة للمنافقون اليوم اكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد كمال الايمان وهو خفي وابعد الناس منه من يخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن البصري يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرق وقال هو او غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطلع على الارض بادمنا وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا يسمع اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعده هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الاخرة وقال ايضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه اني اخاف الله ان اكون منافقا وقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن من النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل هو الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم اري على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انهم ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه اللهم انى استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنى والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت فى كفة السيئات وقال سرى السقطى لوان انسانا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا فى يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكرنى المنافقين وقال ابو سليمان الدارانى سمعت من بعض الامراء شيأ فاردت ان انكره فخفت ان يأمر بقتلى ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبى التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفائه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يقضى بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه واصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون + الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدرى ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخرة ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر فى اثناء نهاره بصدق تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من اخر النهار وكما ان النهار وبقاءه ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل اخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان بكاء اكثر الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التى لا تظهر الا بظهور المقضى به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر فى الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذى يدرى انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل فى معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اى بالسابقة يعنى اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله ما من احد يأمن ان يسلب ايمانه الا سلب به وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لانى لا ادرى ما يعرض لقلبى من التغيير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بينى وبينه ساعة ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفى الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل فى قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا صدقا فى الوعد وعدلا فى الوعيد فالمؤمن مات على الايمان وعدله لمن مات على الشرك وقد قال تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل ينقدح ان يسأل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيقى هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا فى القبول ذيمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب جل جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الايمان وهى اخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

كتاب اسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة + وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه + واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة + والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى اطرافه العالية واكنافه وعلى اله الطيبين الطاهرين صلاة تحمينا بركاتها يوم المخافة + وتنتصب حجة بيننا وبين كل افاكة + اما بعد فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال النبى صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان قال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فقطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بالماء وتخريب الباطن وابقائه مشحونا بالاخباث والاقذار وهيهات هيهات فالطهارة لها كما ان

المرتبة الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات **المرتبة الثانية** تطهير الجوارح عن الجرائم والاثام **المرتبة الثالثة** تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة **المرتبة الرابعة** تطهير السر عما سوى الله تعالى وهو طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فان الغاية القصوى فى عمل السر ان ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان فى قلب ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه واما عمل القلب فى لغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم يتنظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهير احد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التى هى كالقشرة الاخيرة الظاهرة بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع اوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة للمطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى امر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضاء من ماء فى جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحونها باصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين الارض حاجزا فى مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء وقال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل اصابعنا فى الحصباء ثم نفركها فى التراب ونكبر وقال عمر رضى الله عنه ما كنا نعرف الاشنان فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بطون ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ادبع للمناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلهم بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة فى النعلين افضل اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله فى صلوته باخبار جبرائيل عليه السلام له ان بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء اليها فاخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم فى هذه الامور بل كانوا يمشون فى طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون فى المساجد على الارض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يدابس بالدقاق وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات ولم ينقل قط عن احد منهم سؤال فى دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الان الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هى مبنى الدين فاكثروا فاتهم فى تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر ومشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير خلاف للقدم من ادم او توضأ من اناء عجوز او رجل غير متعسف فاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التى هى من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وحله فان قلت فقول ان هذه العادات التى احدثها الصوفية فى هيئاتهم ونظافتهم من المخطورات او المنكرات فما قولك حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل ولكنى اقول ان هذا التنظيف والتكلف واعداد الاوانى والآلات واستعمال خلاف القدم والايثار للقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهى من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحة فى نفسها فلا يخفى ان صاحبها متصرف بها فى ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيرها منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين اما كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزين وان لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة

عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن به شئ من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن
لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصوف لاوقات فيه لاشتغلوا بنوم وحديث فيما لا يعنى فيصير شغلهم به اولى لان الاشتغال بالطاعات
يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به اذا لم يخرج الى منكر او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغى ان يصرفوا من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة
فالزيادة عليه منكر فى حقهم وتضييع العمر الذى هو انفس الجواهر واعزها فى حق من قد تعلق الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيئات
المقربين ولا ينبغى للبطال ان يترك النظافة ويتكرى على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم فى ازالة الشعث اولى منه كما قيل لداود
الطائى لم لا تسرح لحيتك قال انى اذا فارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للعامل ان يضيع وقته فى غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة توهما
بالقصار تقصيره فى الغسل فقد كانوا فى العصر الاول يصلون فى القراء المدبوغة وكم من الفرق بين المقصورة والمدبوغة فى الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون
النجاسة اذا شاهدوها ولم يدققوا نظرهم فى استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأثمون فى دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثورى لرفيق
له كان يمشى معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له
على الاسراف فكانوا يعدون بهمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لانى احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو
افضل فانه بالاضافة الى التساهل على خير وذلك العامى ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل المباح فى نفسه فيمتنع عليه المعاصى
فى تلك الحال والنفس ان لم تشتغل بشئ شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوق العالم اشرف من ان
يصرفه الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت العامى ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذه المثال لنظائره من الاعمال
وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب فى حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق فى امور الدنيا بحذافيرها
واذا عرفت هذه المقدمة واستبانت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم ان فى هذا الكتاب لسنا نتكلم الا فى المرتبة الرابعة وهى نظافة الظاهر لانا
فى الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات
البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم الاول فى طهارة الخبث** والنظر فيه يتعلق بالمزال
والمزال به والازالة **الطرف الاول فى المزال** وهى النجاسات والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات اما الجمادات فظاهرة
كلها الا الخمر وكل مسكر مشتد والحيوانات طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمى والسمك والجراد
ودود التفاح وفى معناه كل ما يستحيل الى فيه من الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شئ منها
فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميتة والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس + الثانى الرطوبات الخارجة
من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كاللبن
والبيض واما القيح والدم والروث والبول فنجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شئ من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة + الاول اثر
النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج + والثانى طين الشوارع وغبار الروث فى الطرق يعفى عنه مع يقين النجاسة بقدرها
يتعذر الاحتراز عنه وهو الذى لا ينسب المتلطخ به الى تفريط وسقطة + الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا تخلو الطرق عنها فيعفى عنها بعد
الدلك للحاجة + الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك او فى ثوب غيرك فلبسته + الخامس دم
البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد وذلك ان ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفى معناه ما يترشح من بطون
الدمامل التى تدوم غالبا وكذلك اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو
الانسان عنها فى لحوائه ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك ان زمام الطهارة على التساهل وما ابدع فيها وسوسة **الطرف الثانى فى المزال به** + وهو اما جامد واما مائع اما الجامد فيجزى الاستنجاء وهو مطهر تطهيرا تخفيف بشرط ان يكون صلبا
طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا تزال النجاسات بشئ منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه
ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه اولونه او ريحه فان لم يتغير بملاقاة النجاسة طعمه اولونه او ريحه وكان قريبا
من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل بر طل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار
نجسا عند الشافعى رضى الله عنه هذا فى الماء الراكد واما الماء الجارى اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان
جريات الماء متفاصلة ولكن النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان

---

١ زرد وپستين فارسى كه جامه وبرس بجام لكوك مى شويد وكلمات وجمعها ملا ٢ اى يقلل الافطار والاستحداد استعمال النورة لموسى حلق العانة ٣ المراد بالجهة هنا السبيل نفس حيوانى سواء كان ناقضا او غيره ٤ اشتداد واستوار غليان بوزن الحصير صلابة ٥ الكلب بش السباع عند الحنفية ٦ النفس الريح والدم والمائعات ما لا يجمد لا يخلو الماء وان النجاسة ٧ النجو الخارج من البطن من ثقل او غائط ٨ استجمار ازالة نجاسة بسنگ ريزه وامثال آن ٩ البثر خراج صغير فى بدن الانسان ١٠ ق ١١ الدليل فيما ١٢ نقض الوضوء ١٣ الخنثى فى الاصل الرخو ١٤ الخنثى فى الاصل الرخو ١٥ الخنثى فى الاصل الرخو ١٦ الخنثى فى الاصل الرخو ١٧ الخنثى فى الاصل الرخو

كان يجرى الماء اقوى من مجرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل منها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع فى حوض وقد رقلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك رضى الله عنه فى ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ويثار الوساوس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمرى سبب المشقة ويعرفه من يجس به ويتأمله ومما لا شك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعذر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر اصحابه لم تنقل واقعة فى الطهارة والسؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية وهذا كالصريح فى انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالبة تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال فى تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر رضى الله عنه دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تعظيمهم الاوانى فيها بعد ان يرى انها تأكل الفأرة ولم يكن فى بلادهم حياض تبلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل فى الابار والرابع ان الشافعى رضى الله عنه نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت واى فرق بين ان يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واى معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء فى اجانة فيها ثوب نجس وطرح الثوب النجس فى الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد فى غسل الثياب الاوانى والخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف فى مذهب الشافعى رضى الله عنه انه اذا وقع بول فى ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضى به وان كان قليلا واى فرق بين الجارى والراكد وليت شعرى الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة ايجرى فى المياه الجارية فى انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع فى مجرى الماء من الاوانى على الايدان وهى ايضا جارية ثم البول اشد اختلاطا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة اذا قضى بان ما يجرى عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع فى مقعر قلتان فاى فرق بين الجامد والمائع والماء والعهد والاختلاط اشد من المجاورة والسادس انه اذا وقع رطل من البول فى قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغرف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعرى تعليل طهارته بعلم التغير اولى وبقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها والسابع ان الحمامات لم تزل فى الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتفشفون ويغمسون الايدى والاوانى فى تلك احياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شئ الا ما غير طعمه او لونه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع فى الملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع فى الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصف بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب تعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا للعيار وقد اشار الشرع اليه فى الماء القوى على ازالة النجاسة وهو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهورا ان يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفى الغسالة وفى الماء الجارى وفى اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا اذ لو كان كذلك لكان كاثرا الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور فى الماء القليل واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا فهو فى نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال انه اراد به انه فى الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التى ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفى الحمل اى يقلبه الى صفة نفسه كما يقال للملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اى ينقلب فى ذلك لان الناس قد يستنجون فى المياه القليلة فى الغدران ويغمسون الاوانى النجسة فيها ثم يتردد ون فى انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة فان قلت فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلى فى امور النجاسات المعتادة الى التساهل فهما من سيرة الاولين وجسما لمادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل.

الطرف الثالث فى كيفية الازالة

والنجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لها جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا ان يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشئ له رائحة فالرائحة بعسر ازالتها فالدلالة والعصورات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين

ل ٥ الاصغاء الاصاخة والاصاء
م ٥ ولغ فى الاناء ولغا ولوغا اذا شرب فيه منه بلسانه ولغ يلغ يلغ
ن ٥ لاصغاء الاناء للهرة
س ٥ اصغى الاناء للهرة
ع ٥ انجوبة بيان دوبيجو فى اى افراد انبوب الشيت مجرى والانابيب الرئة مخارج النفس منها
ف ٥ المتفشفون التاركون للنظافة وغسل الثياب
ص ٥ المساهلة
ق ٥ بحث الفرك الدلك اضغم الانسان بالصبغ حتى تزيل الـ

فيما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معها ولا ينبغي ان يتوضأ بالاستنباطات الى تقدير النجاسات **القسم الثاني طهارة الاحداث**
في ذاته ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع اداتها وسننها ومبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجتان
شاء الله تعالى * **باب آداب قضاء الحاجة** ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يشم عوده
قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول ايضا عنها في البناء المعد وان
استتر في الصحراء برحلته جاز وكذلك بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وان يتقي الموضع
الصلب ومهاب الرياح في البول لاستنزاها من رشاشه وان يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج
ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه رأني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة رضي الله عنه انه عليه السلام بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ
ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال صلى الله عليه وسلم عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيئا عليه اسم
الله تعالى او رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم
وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي
بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه
الامر وما يجس به من بلل فيقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوي في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس
وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم فعل اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول وقال بعض الصحابة
من الاعراب قد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك واني بها لحاذق ابعد الاثر وأمد المدر واستقبل الريح واقعي اقعاء
الظبي واجفل اجفال النعلم * الشيخ بلت طيب الرائحة تكون باليادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة
ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك * **كيفية الاستنجاء**
ثم ليستنج لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعة فان انقى والا استعمل خامسة لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام
من استجمر فليوتر ويأخذ الحجرة بيساره ويضعها على مقدم للقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخر
كذلك ويمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة فان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى المؤخرة اجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه
والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلاث مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة
في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة ولا يتأخر ثم ينتقل من ذلك الموضع
الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بجس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن
فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة مما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم
النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش وبدلك
يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء والحجر * **كيفية الوضوء**
اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال صلى الله
عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل
صلاة وقال صلى الله عليه وسلم مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة
للرب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم
وكيفيته ان يستاك بخشب لا دسم له او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا وليستحب السواك عند كل

وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير الرائحة بالنوم او طول الاكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى او لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلها الاناء ويقول اللهم انى اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم يتمضمض
رفع الحدث او استباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه وان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بان يرد
الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لانفه ويستنشق ثلاثا ويبعد
الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول فى الاستنشاق اللهم ارحنى رائحة الجنة وانت عنى راض وفى الاستنثار اللهم انى اعوذ بك من روائح
النار ومن سوء الدار وان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يعرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول
ومن الاذن الى الاذن فى العرض ولا يدخل فى حد الوجه الزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما
يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثانى على زاية الجبين ويوصل
الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والاهداب لانها خفيفة فى الغالب والعذاران هما ما يوازيان الاذنين من مبتدأ
اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعنى ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك
ثلاثا ويفيض الماء على ظاهرها استرسل من اللحية ويدخل الاصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى انه عليه السلام
فعل ذلك ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل مضمضة ويقول عنده اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود
وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة
ويرفع الماء الى اعلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام من استطاع ان يطيل غرته
فليفعل وروى ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمين ويقول اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال
اللهم انى اعوذ بك ان تعطينى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس اصابع يده اليمنى باليسرى
ويضعهما على مقدمة الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشنى برحمتك وانزل على
من بركاتك واظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه فى صماخى اذنيه ويديرهما
بهامتيه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم
اسمعنى منادى الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتى من
النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر
من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم يوم تزل الاقدام فى النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمى على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين
فى النار ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسى ستغفرك اللهم واتوب اليك فاغفر لى وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلنى
من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من
قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة + ويكره فى
الوضوء امور منها ان يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وان يسرف فى الماء توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه
الامة يعتدون فى الدعاء والطهور ويقال من علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور وقال ابراهيم بن ادهم يقال ان اول ما يبتدى الوسواس من قبل
الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس فى الوضوء يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم فى اثناء الوضوء وان يلطم
وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ رضى الله عنه انه عليه السلام مسح وجهه
بطرف ثوبه وروت عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كانت له منشفة ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة ويكره ان يتوضأ من اناء
صفر وان يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روى عن ابن عمر وابى هريرة رضى الله عنهما كراهية اناء الصفر وقال بعضهم اخرجت
لشعبة ماء فى اناء صفر فابى ان يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وابى هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلاة
فينبغى ان يخطر بباله انه ظهر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغى ان يستحيى من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه

ل الازم القطع والصحيح ق
ع البزق الفم ولفظه والتخمين والدفع رفع النخامة
ص عليه وسلم ان الشيطان
بالبول على الجوز ق ان من البول
الشياطين زغانة ١٢ مجمع
ف التغضغض ثلثا
بالخرقة الواحدة فقد كان
وعند الحنفية تثليث مياه ١٢
ظ المختصة راس الحلقوم ق
ر الزعتان على جانبى
الراس عما الاشعر من
الزعتان بى البياضان
المكتنفان للناصية ١٢ صحاح
الزعة محركة موضع الزع
وهو الخلو الشعر من جانبى
الجبهة ١٢ ق
ش اجفان العين ١٢ ق
ت الهدب
ث العنفقة تختص الشئ
ومنه العنفقة شعر بين الشفة
السفلى والذقن ١٢ ق
خ مجمع بالفتح وكسر الجيم بستان و
حيث خانه ١٢ فراج
ذ الرمص محركة وسخ ابيض يجتمع
فى الموق وربما صلب وبيض
١٢ ق
ض جمع احد من الغرة
بياض فوق جبهتهم بتحجيل الغرة
ومجلسين اى بياض محاسن الوجه
من الايدى والاقدام كالمستعار
لاثر الوضوء البياض فى
وجه الفرس ويديه ورجليه
المحجل من الخيل هو الذى
يرتفع البياض فى قوائمه
الى موضع القيد ويجاوز
الركبتين والعرقوبين
هو اخطأ خيل التحجيل
ما كان دون الركبة
والعرقوب
ك بالفتح الماء الذى تغسل
به الميت ١٢ صحاح
ل الطهور بالضم ما يتطهر به
يتعدد فقال سيبويه
والمصدر مما يأتى

وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة والتخلق بالاخلاق الحميدة اولى وان من يقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدره بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه اعلم +

فضيلة الوضوء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم ايضا الا ادلكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين اتاه الله اجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليلي ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كالحث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من بين اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من اذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم قال عليه الصلاة والسلام من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه +

كيفية الغسل وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا الا غسل القدمين فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم على راسه ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس واللحية ويوصل الماء الى منابتها ما كثف منه وما خف وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد ما طهر من البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا بد منه لسالك طريق الاخرة من علمه وعمله وما عداه من المسائل التي يحتاج اليها في عوارض الاحوال فليرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل امران النية واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب اربعة الغسل بخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة اغسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول وللكافر اذا اسلم غير الجنب والمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال الماء لفقده من بعد الطلب ولمانع له عن الوصول اليه من سبع او حابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او لعطش رفيقه او كان ملكا لغيره ولم يبعه الا باكثر من ثمن المثل او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لا تين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بها جميع وجهه مرة واحدة وينوي عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خفت او كثف ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية ويفرج فيها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احد الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعهما على ظاهر ساعده الايمن الى الموفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الايمن ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه وغرض هذا التكلف تحصيل الاستيعاب الى الموفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب بضربتين وزيادة واذا صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف يشاء فان جمع بين فريضتين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله اعلم +

القسم الثالث من النظافة

التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء +

النوع الاول الاوساخ والرطوبات المتراكمة وهي ثمانية + الاول ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل

والترجيل والتدهين ازالة للشعث والتفث عنه فكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ويقول عليه السلام ادهنوا غبا وتال
عليه الصلاة والسلام من كان له شعر فليكرمها اى ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس شعث اللحية فقال ما كان لهذا دهن يسكن به شعره
ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان + الثانى ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر صماخ اذنيه فينبغى ان ينظف
برفق عند الخروج من الحمام فان كثيرا من ذلك يعمى السمع + الثالث ما يجتمع فى داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها
بالاستنشاق والاستنثار + الرابع ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما + الخامس ما يجتمع فى
اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم كان لا يفارقه المشط و
المدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب وفى خبر غريب انه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية
وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأ ما بين منكبيه وفى حديث اغرب منه قالت عائشة
رضى الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع فى احب يسوى من راسه ولحيته فقلت او تفعل ذلك
يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل بما يظن ان ذلك من جب الزين للناس قياسا على اخلاق غيره
وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم امر نفسه فى قلوبهم كيلا
تزدريه نفوسهم ويحسن صورته فى اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على
كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله عز وجل وهو ان يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الامور على النية فانها اعمال
فى انفسها تكتسب الاوصاف من القصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث فى اللحية اظهار الزهد وقلة المبالاة بالنفس محمود وتركه
شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى
هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون
ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور
فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من النبهرج فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر + السادس وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل
كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم + السابع
تنظيف الرواجب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب وهى رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا يحضرها المقراض فى كل
وقت فتجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما لكنه امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء فى الاثر ان النبى صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبرائيل عليه السلام قال له كيف ننزل
عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلما لا تستاكون مرة تمتك بذلك والاوت وسخ الظفر والنتف وسخ الاذن وقوله عز وجل فلا تقل
لهما اف اى لا تتخهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر + الثامن الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق
وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام + دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن و
يذكر النار وروى ذلك عن ابى الدرداء وابى ايوب الانصارى رضى الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا التعرض
لآفته وذلك لا يحرم بملكه ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات + فعليه واجبان فى عورته
وواجبان فى عورة غيره اما الواجبان فى عورته فهوان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك
من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفى اباحة مس ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين فى التحريم بالنظر فكذلك
ينبغى ان تكون بقية العورة اعنى الفخذين والواجبان فى عورة الغير ان يغض بصره نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهى عن المنكر واجب عليه ذكر ذلك
وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر لا لخوف ضرب وشتم او ما يجرى عليه مما هو حرام فى نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى معاشرة
حرام اخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز
عند التعيير بالمعاصى وذلك يؤثر فى تقبيح الامر فى عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الاوقات اذ لا تخلو
عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحرير لها ولهذا يستحب تجلية
الحمام وقال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام وروى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب

ف التفث — ف الصماخ — ف التفوث — ف الخاصرتين

١ التفث ما يفعله المحرم بالحج اذا حل كقص الشارب والاظفار ونتف الابط وحلق العانة ١٢ نهاية
٢ قلم ازدى فى دكان ١٢ فتح الكتاب
٣ وسخ بيم ودينار كرشوت وسحت وانزام وجرمان ١٢ فتح الكتاب
٤ نفخ الفاء وسكون السين الشطب بالفتح شيء ١٢
٥ المدرى والمدراة شيء يسوى من حديد او خشب على شكل سن من اسنان المشط والاول منهى عنه التشبه وليستعمل من لا شعر له ١٢ منه
٦ اى كثير الشعر ١٢ ق
٧ جب بجاء مهملة ثم جيم ثم باء موحدة ١٢ جامعت ٣ من
٨ جبجبا بالضم يقوز الشعر ١٢ جامعت ٣ من
٩ الغضن بالخاء والغين المعجمتين كل شيء ثنى من ثوب او جلد او نحوه ١٢ ق

عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعوده وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه * واما السنن فعشرة فالاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل نيّ ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزيّنا للصلاة ثم يعطى الحمامى الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامى فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه ان لم يكن فى الحمام الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للتأمل فى العورات ثم لا يخلو الانسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى اطراف الازر فيقع البصر على العورة من حيث لا يدرى ولاجله عصب ابن عمر رضى الله عنه على عينيه يغسل الخناجرين عنه الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامى لكرهه لا سيما الماء الحار فانه مؤونة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا فى البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له فى كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر الى السقوف يتأمل كيفية تركيبها والبناء ينظر الى الحيطان يتأمل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الاشياء شيئا الا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر الى شئ الا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر به ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر به افاعى جهنم وان نظر الى صورة قبيحة شنيعة تذكر به منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة ردّ او قبول فى سوق او دار تذكر ما ينكشف من اخراموه بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنها الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام فى الدنيا الى مدة المقام فى الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان اجاب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام فى الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن اسباط أوصى بأن يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه ولكنى فى الحمام مرة فأردت ان اكافئه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بى ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسأل عنه وقال ابن عمر رضى الله عنهما الحمام من النعيم الذى احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل النورة فى كل شهر مرة تطفئ الحرارة وتنقى اللون وتزيد فى الجماع وقيل بولة فى الحمام قائما فى الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا احكم الرجال * واما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفى البيت مستحمّ وانه حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة دخول الحمام الا نفساء او مريضة ودخلت عائشة رضى الله عنها حماما من سُقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بميزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه * **النوع الثانى** مما يحذف من البدن الاجزاء وهى ثمانية * الاول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن اراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا اذا تركه قزعا اى قطعا وهو دأب اهل الشطارة او ارسل اللذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا الثانى شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم قصّوا الشارب وفى لفظ اخر جزوا الشوارب وفى لفظ اخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى اى جلوها حفافا فى الشفة اى حسما وحاف الشئ حوله ومنه وترى الملائكة حافين من حول العرش وفى لفظ اخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله عز وجل ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا اى يستقصى عليكم واما الحلق فلم يرد الا حفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين رجلا أحفى شاربه فقال ذكرنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة بن شعبة نظر الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربى فقال تعالِ فقصّه لى على سواك ولا بأس بترك سبالتيه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى اى كثروها وفى الخبر تأتى اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق وراه بدعة * الثالث شعر الابط ويستحب نتفه فى كل اربعين يوما مرة وذلك

ق الشوارب

ل ثم ملائكة موكلون بحمام الزنى ويبعثون الوفا فتنهم يفتنون الناس الى النار ١٢

ل قحمته الفرس القته تقحما وقحمت به دابته القحمته به ١٢

ل الاجزاء جمع قولهم النوع الثانى فى المانع من بيان النوع الاول من الاوساخ شرع فى بيان النوع الثانى وهو الاجزاء ١٢

ل الفتح كذا فى اكثر النسخ المصححة وفى بعضها بضم الفاء وتشديد الحاء المكسورة وهو غير مفهوم ١٢

ل شطارة بالفتح اى بالكسر ١٢ مرتضى

ل من نسخة بخط المؤلف ١٢

سهل على من تعوّد نتفه فى الابتداء فاما من تعوّد الحلق فيكيفيه الحلق اذ فى النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ فى خلالها
ويحصل ذلك بالحلق * الرابع شعر العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغى ان تتأخر عن اربعين يوما * الخامس الاظفار وتقليمها
مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اقلم اظفارك فان الشيطان يقعد على
ما طال منها ما لو كان تحت اظفرك وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتسامح فيه للحاجة لا سيما فى اظفار الرجل
وفى الاوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الانامل والابدى للعرب واهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم وينكر عليهم
ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلاة ولو امر به لكان فيه فائدة اخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار فى الكتب
خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام
وفى اليمنى من المسبحة الى الخنصر والختم بابهامه اليمنى ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف
ابتداء الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من الفعل بعد نقل الفعل اليه فالذى لاح لى فيه والعلم عند الله سبحانه انه لا بد
من قلم اظفار اليد والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى اشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هى المشيرة
فى كلمتى الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغى ان يبتدأ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين وان وضعت ظهر الكف
على الارض فالابهام هو اليمنى وان وضعت الكف فالوسطى هى اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمين
الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار بجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع فى حكم حلقة دائرة
فيقتضى ترتيب الدور والذهاب عن يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم وانما
قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الاصابع كالاشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع
ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الارجل فالاولى عندى ان لم يثبت فيها نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم
بخنصر اليسرى كما فى التخلل فان المعانى التى ذكرناها لا تتجه ههنا اذ لا مسبحة فى الرجل وهذه الاصابع فى حكم صفّ واحد ثابت على الارض
فيبدأ من جانب اليمنى فكن تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص بأن الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوة فى لحظة
واحدة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا واذا ذكرنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه بما يتيسر لنا
بما عاينه صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاته كانت خارجة
عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التى يتردد فيها الفاعل بين قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى
يقتضى الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعانى سجية اولياء الله تعالى وكل ما كانت حركات
الانسان وخطراته الى الضبط اقرب عن الاهمال وتركه سدى ابعد كان قربه الى رتبة الانبياء والاولياء اكثر وكان قربه من الله عز وجل اظهر
اذ القريب من النبى صلى الله عليه وسلم وهو قريب من الله لا بد وان يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله ان يكون نظام حركاتنا
وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فانه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنين فيبدأ
باليمنى لشرفها وتفاوته فى العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغى ان يخلو فعل العبد من مناسبة لو صف
من اوصاف الله تعالى ولذلك يستحب الايتار فى الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان للمرة الواحدة لا تسوى
اصول الاجفان بالكحل وانما خصص اليمنى بالتفضيل لان به منه للايتار واليمين افضل فهى بالزيادة احق فان قلت فلما اقتصر على اثنين فى اليسرى وهى
زوج فالجواب ان فى ذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحد وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار فى مجموع الفعل وهو فى حكم الخصلة
الواحدة احب من رعايته فى الاحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل فى كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك فى الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت
استقصر دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم فى حركاته لطال الامر فنقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبى صلى الله عليه وسلم الا اذا
اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم الا درجة واحدة وهى درجة النبوة وهى الدرجة الفارقة بين الوارث
والمورث اذ المورث هو الذى حصل المال واستقل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله
لنا مثال هذه المعانى مع سهولتها بالاضافة الى الاخوار والاسرار لا يتأتى ذكرها فى ابتداء الامر الا للانبياء وكذا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه
الانبياء عليها الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء عليهم السلام * السادس السابع زيادة السرة وقلفة الخشفة اما السرة فتقطع فى اول الولادة

واما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء وينبغي ان لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسر للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لماء الوجه ودمه والحسن في جماعها فانظر الى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية والى اشراق نور النبوة من مصلح الاخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى مصلح الدنيا حتى انكشف له وهو اتقى من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فبهذا من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بين بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم + الثامنة ما طال من اللحية وانما اخرناها لتلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية احب لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والامر في هذا قريب ان لم يفته الى تقصيص اللحية تدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمخ العقل **فصل** وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد كراهة من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبيها بالصالحين + اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر والنهي عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فتصنع خضابه وظهر شيبه فرفعه اهل المرأة الى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب وليست عليهم شيبك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رايحة الجنة + الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو وذلك لا بأس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة + الثالث تبييضها بالكبريت استجلابا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حدث السن على اكابر الصحابة ويسألهم وقال ابن عباس رضي الله عنه ما اتى الله عز وجل عبده علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال الباز اهيلم وقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقوله تعالى واتيناه الحكم صبيا وكان انس رضي الله عنه يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن قال لم يشنه الله بالشيب فقيل اهو شين فقال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريدان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها فافحمه وروي عن مالك رحمه الله انه قال قرأت في بعض الكتب لا تغتروا بكم اللحى فان للتيس لحية وقال ابو عمرو بن العلاء اذا رايت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس وقال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلاء ايحسن من الشيخان يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد راه يمشي خلف بغلة الشافعي يا ابا عبد الله تركت حديث سفيان تعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له احمد لو عرفت لكنت تمشي مع اجانب الاخران علم سفيان ان فاتني بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول + الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيبة وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور + الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة شهد عند

عمر بن عبد العزيز رجلا كان ينتف فنكيه فرد شهادته وردّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابن ابى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما
نتفها فى اول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فان الله سبحانه ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى هو من تمام
الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل فى غريب التأويل اللحية هى المراد بقوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء قال اصحاب الاحنف بن قيس ود دنا ان نشترى
للاحنف لحية ولو بعشرين الفا وقال شريح القاضى ود دت ان لى لحية بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار
والرفع فى المجالس واقبال الوجوه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يُعرّض باللحية ان كان للمشتوم لحية وقد قيل ان اهل الجنة مرد
الا هارون اخو موسى صلى الله عليهما وسلم فان لحيته الى سرّته تخصيصا له وتفضيلا + السادس تقصيصها كالتعبية طاقة للتزين للنساء
والتصنع قال كعب يكون فى آخر الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرفون بنعالهم كالمناجيل اولئك لا خلاق لهم + السابع الزيادة فيها وهو
ان يزيد فى شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهى الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح + الثامن تبييضها
لاجل الناس قال بشر فى اللحية شرك كان تسريحها لاجل الناس وتركها منقلة لاظهار الزهد + التاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب
وذلك مذموم فى جميع اجزاء البدن بل فى جميع الاخلاق والافعال على ما سيأتى بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل
من ثلاثة احاديث من سنن الجسد اثنا عشر خصلة خمس منها فى الراس فوق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك وثلاثة فى
اليد والرجل وهى القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب اربعة فى الجسد وهى نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد ودد ت الاخبار
بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق ان فضلات الباطن واوساخه التى يجب
التنظيف منها اكثر من ان تحصى وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله عز وجل + تم كتاب اسرار
الطهارة بحمد الله تعالى وعونه ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب اسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

كتاب اسرار الصلاة ومهماتها وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه الذى بالنزول عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدق عواطفه
فارق للملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بتر غيب الخلق فى السؤال والدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين
بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد فى المناجاة بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف
بالترغيب فى الدعوة وغيره ممن ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى
سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى وخليه المجتبى وعلى اله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما +
اما بعد فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وراس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا فى فن الفقه فى بسيط المذهب ووسيطه
ووجيزه اصولها وفروعها صادفين جمام العناية الى تفاديعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومعوّلا اليها يفزع ويرجع
ونحن الان فى هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية فى
معانى الخشوع والاخلاص والنية مالم تجر العادة بذكرها فى فن الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب + **الباب الاول** فى فضائل الصلاة **الباب الثانى**
فى تفضيل الاعمال الظاهرة من الصلاة **الباب الثالث** فى تفضيل الاعمال الباطنة منها **الباب الرابع** فى الامامة والقدوة **الباب**
الخامس فى صلاة الجمعة وآدابها **الباب السادس** فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى **الباب السابع** فى التطوعات وغيرها

الباب الاول فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والاذان وغيرها **فضيلة الاذان** قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على
كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا يناله فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وامّ بقوم وهم به راضون ورجل
اذن فى مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلى بالرِّق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت
المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل فى تفسير قوله
عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت فى المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك

محبوب مستحب الا فى الحيعلتين فانه يقول فيهما لاحول ولاقوة الا بالله وفى قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها مادامت السموات والارض وفى التثويب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته انك لاتخلف الميعاد وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملائكة * **فضيلة المكتوبة** قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شئ قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشئ من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل صلى الله عليه وسلم اى الاعمال افضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلاة ولو كان شئ احب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر اى قارب ان يخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال للمفازة البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال ابو هريرة رضى الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاته ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان أعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطا وروى ان اول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة وكان ابو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى نيرانكم التى اوقدتموها فاطفئوها * **فضيلة اتمام الاركان** قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها مونونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتى ليقومان الى الصلاة ويركعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الصلاة لوقتها واسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعتنى ضيعك الله حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم شر الناس سرقة الذى يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضى الله عنه وسلمان رضى الله عنه الصلاة مكيال فمن اوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين * **فضيلة الجماعة** * قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجمع تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال لقد هممت ان امر رجلا يصلى بالناس ثم لخالف الى رجال يتخلفون عنها فاحرق عليهم بيوتهم وفى رواية اخرى ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا او مرماتين حسنتين لشهدها يعنى صلاة العشاء وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة فى جماعة فقد ملئ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا فى المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهى من الدنيا الا ثلاثة اخا ان تعوجت قومنى وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وروى ان اباء بيدة ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بى انفا حتى اديت ان لى فضلا على غيرى لا اؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال المحتسى مثل الذى يؤم الناس بغير علم كمثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى ابو اسحاق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال

لعله الفرد الكثير الذى تقدم فى اول الورقة ١٢
لعله يقتضى ايراد تقدير فى بلاد تقدم ١٢
لعله الدرن الوسخ ١٢
لعله العتمة وقت صلاة العشاء وقيل الثلث الاول من الليل صحاح

لعله سمى تكبيرة الاحرام تحريمة لانه يحرم بها ما كان حلالا قبلها من الكلام والعمل فى الصلاة ١٢
لعله اى كفر الذنوب بالصلاة ١٢
لعله التفت نقص الكمال ١٢
لعله المراة فعلت الشاة وقيل ما بين فخذيها وتكسر ميمى تفتح ١٢
لعله فخرا لصدر اسلام وهو موضع القلادة ١٢
لعله العقول المال والجليلة وخيار الشئ وما حسن منه ١٢
لعله الشيبة ما نبت اللحية من نواحى الخدين ويومن المحدثين وهو من نبتت الرجل كمنع اذا نبتت لحيته ١٢

ابن عباس رضی اللہ عنہ من سمع المنادی فلم یجب لم یرد خیرا ولم یرد بہ وقال ابوھریرۃ رضی اللہ عنہ کان تملاء اذن ابن ادم رصاصا مذابا خیر لہ من ان یسمع النداء ثم لا یجیب ویروی ان یحیی بن مھران اتی المسجد فقیل لہ ان الناس قد انصرفوا فقال انا للہ وانا الیہ راجعون لفضل ھذہ الصلاۃ احب الی من ولایۃ العراق وقال صلی اللہ علیہ وسلم من صلی اربعین یوما الصلوات فی جماعۃ لا تفوتہ فیھا تکبیرۃ الاحرام کتب اللہ لہ براءتین براءۃ من النفاق وبراءۃ من النار ویقال انہ اذا کان یوم القیامۃ یحشر قوم وجوھھم کالکوکب الدری فتقول لھم الملائکۃ ما کان اعمالکم فیقولون کنا اذا سمعنا الاذان قمنا الی الطھارۃ لا یشغلنا غیرھا ثم یحشر طائفۃ وجوھھم کالقمر فیقولون بعد السؤال کنا ننتوضاء قبل الوقت ثم یحشر طائفۃ وجوھھم کالشمس فیقولون کنا نسمع الاذان فی المسجد ورد ان السلف کانوا یعزون انفسھم ثلاثۃ ایام اذا فاتتھم التکبیرۃ الاولی ویعزون سبعا اذا فاتتھم الجماعۃ ✻ **فضیلۃ السجود** قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ما تقرب العبد الی اللہ بشیء افضل من سجود خفی وقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ما من مسلم یسجد للہ سجدۃ الا رفعہ اللہ بھا درجۃ وحط عنہ بھا سیئۃ وروی ان جبلا قال لرسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ادع اللہ ان یجعلنی من اھل شفاعتک وان یوزقنی مرافقتک فی الجنۃ قال صلی اللہ علیہ وسلم اعنی بکثرۃ السجود وقیل ان اقرب ما یکون العبد من اللہ تعالی ان یکون ساجدا وھو معنی قولہ عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سیماھم فی وجوھھم من اثر السجود فقیل ھو ما یلتصق بوجوھھم من الارض عند السجود وقیل ھو نور الخشوع فانہ یشرق من الباطن علی الظاھر وھو الاصح وقیل ھی الغرۃ التی تکون فی وجوھھم یوم القیامۃ من اثر الوضوء وقال صلی اللہ علیہ وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدۃ فسجد اعتزل الشیطان یبکی ویقول یا ویلاہ امر ابن ادم بالسجود فسجد فلہ الجنۃ وامرت انا بالسجود فعصیت فلی النار ویروی عن علی بن عبد اللہ بن عباس انہ کان یسجد فی کل یوم الف سجدۃ وکانوا یسمونہ السجاد ویروی ان عمر بن عبد العزیز رضی اللہ عنہ کان لا یسجد الا علی التراب وکان یوسف بن اسباط یقول یا معشر الشباب بادروا الی الصحۃ قبل المرض فما بقی احد احسن الا رجل یتم وکوعہ وسجودہ وقد حیل بینی وبین ذلک وقال سعید بن جبیر ما آسی علی شیء من الدنیا الا علی السجود وقال عقبۃ ابن مسلم ما من خصلۃ فی العبد احب الی اللہ عز وجل من رجل یحب لقاء اللہ عز وجل وما من ساعۃ العبد فیھا اقرب الی اللہ عز وجل منہ حیث یخر ساجدا وقال ابوھریرۃ رضی اللہ عنہ اقرب ما یکون العبد الی اللہ عز وجل اذا سجد فاکثروا الدعاء عند ذلک ✻ **فضیلۃ الخشوع** ✻ قال اللہ تعالی واقم الصلاۃ لذکری وقال تعالی ولا تکن من الغافلین وقال عز وجل لا تقربوا الصلاۃ وانتم سکاری حتی تعلموا ما تقولون قیل سکاری من کثرۃ الھم وقیل من حب الدنیا وقال وھب المراد بہ ظاھرہ ففیہ تنبیہ علی سکر الدنیا اذ بین فیہ العلۃ فقال حتی تعلموا ما تقولون وکم من مصل لم یشرب خمرا وھو لا یعلم ما یقول فی صلاتہ وقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم من صلی رکعتین لم یحدث نفسہ فیھما بشیء من الدنیا غفر لہ ما تقدم من ذنبہ وھو مذکور فی الصحیح وقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم انما الصلاۃ تمسکن وتواضع وتضرع وتباؤس وتنادم وترفع یدیک فتقول اللھم اللھم فمن لم یفعل فھی خداج وروی عن اللہ سبحانہ فی الکتب السالفۃ انہ قال لیس کل مصل اتقبل صلاتہ انما اتقبل صلاۃ من تواضع لعظمتی ولم یتکبر علی عبادی واطعم الفقیر الجائع لوجھی وقال صلی اللہ علیہ وسلم انما فرضت الصلاۃ والحج والطواف واشعرت المناسک لاقامۃ ذکر اللہ تعالی فاذا لم یکن فی قلبک للمذکور الذی ھو المقصود والمبتغی عظمۃ ولا ھیبۃ فما فیہ ذکرک وقال صلی اللہ علیہ وسلم للذی اوصاہ واذا صلیت فصل صلاۃ مودع حای موقع لنفسہ موقع لعموہ سائر الی مولاہ کما قال عز وجل یا ایھا الانسان انک کادح الی ربک کدحا فملاقیہ وقال تعالی واتقوا اللہ واعلموا انکم ملاقوہ وقال صلی اللہ علیہ وسلم من لم تنھہ صلاتہ عن الفحشاء والمنکر لم یزدد من اللہ الا بعدا والصلاۃ مناجاۃ فکیف تکون مع الغفلۃ وقال بکر بن عبد اللہ یا ابن ادم اذا شئت ان تدخل علی مولاک بغیر اذن وتکلمہ بلا ترجمان دخلت قیل وکیف ذلک قال تسبغ وضوءک وتدخل محرابک فاذا انت قد دخلت علی مولاک بغیر اذن فکلمہ بغیر ترجمان وعن عائشۃ رضی اللہ عنہا قالت کان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یحدثنا ونحدثہ فاذا حضرت الصلاۃ فکانہ لم یعرفنا ولم نعرفہ اشتغالا بعظمۃ اللہ عز وجل وقال صلی اللہ علیہ وسلم لا ینظر اللہ الی صلاۃ لا یحضر الرجل فیھا قلبہ مع بدنہ وکان ابراھیم الخلیل اذا قام الی الصلاۃ یسمع وجیب قلبہ علی میلین وکان سعید التنوخی اذا صلی لم تنقطع الدموع من خدیہ علی لحیتہ ورای رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم رجلا یعبث بلحیتہ فی الصلاۃ فقال لو خشع قلب ھذا لخشعت جوارحہ ویروی ان الحسن نظر الی رجل یعبث بالحصی ویقول اللھم زوجنی الحور العین فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العین وانت تعبث بالحصی وقیل لخلف بن ایوب الا یؤذیک الذباب فی صلاتک فتطردھا قال لا اعود نفسی شیئا یفسد علی صلاتی قیل لہ وکیف تصبر علی ذلک قال بلغنی ان الفساق یصبرون تحت اسواط السلطان لیقال فلان صبور ویفتخرون بذلک فانا قائم بین یدی ربی افا تحرک لذبابۃ ویروی عن مسلم بن یسار انہ کان اذا اراد الصلاۃ قال لاھلہ تحدثوا انتم فانی لست اسمعکم ویروی عنہ انہ کان یصلی یوما فی جامع البصرۃ فسقطت ناحیۃ من المسجد فاجتمع الناس لذلک فلم یشعر بہ حتی انصرف من الصلاۃ وکان علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ وکرم وجھہ

اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له مالك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملتها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال ما ود صلى الله عليه وسلم في مناجاته الهي من يسكن بيتك ومن تقبل الصلاة فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن بيتي واقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس ازدحاني لبيته وان سألني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في اعلى الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم رضي الله عنه انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلاتي واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت وراء ي واظنها آخر صلاتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا اتحزن واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس رضي الله عنه ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلاة + قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل في بعض الكتب ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان لا يقول الا خيرا ويروى في الاثر والخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء وقال علي كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال انس ابن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم لا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم اويلعنهم

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبلها فينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويرسل بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله عز وجل الصافنات الجياد هذا ما يراعى في رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما رأسه ان شاء تركه على استوائه القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب للخشوع واغض للبصر وليكن بصره محمورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليجمع نيته على ان يجاوز اطراف المصلى وحد الخطوط بين هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقبالا واطرافه كذلك فليقرأ اعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه اؤدي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله اؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يغرب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمتي اذنيه وبرؤس اصابعه رؤس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها

اذ نقل فى الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى واذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على
ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بأن تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر
والبنصر على كوع اليسرى وقد روى ان التكبير مع رفع اليد ومع استقرارها ومع الارسال فكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال ألیق فانه كلمة العقد
ووضع احدى اليدين على الاخرى فى صورة العقد ومبدأه الارسال واخره الوضع ومبدأ التكبير الالف واخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل
والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغى ان يرفع يديه الى قدام دفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما
عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفى بعض الرواية انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا كبر ارسل يديه واذا اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغى ان يضم الهاء من قوله
الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين اللام والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر وهمزته الفا كأنه يقول
اكباد ويجهر براء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه + **القراءة** + ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهى الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك
ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد فى الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدئ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء ويقول امين
فى اخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل امين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون مأموما ويجهر بالتأمين
ثم يقرأ السورة او قدر ثلاث ايات من القرآن فما فوقها ولا يصل اخر السورة بتكبيرة للهوى بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرأ فى الصبح من السور
الطوال من المفصل وفى المغرب من قصاره وفى الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفى الصبح فى السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية وهو فى جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه فى اول الصلاة + **الركوع ولواحقه** +
ثم يركع ويراعى فيه امورا وهو ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على
ركبتيه فى الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه ورأسه
مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافى مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربى العظيم
ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن فى الاعتدال ويقول
ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد ولا يطول هذا القيام الا فى صلاة التسليم ويقنت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات
الماء ثورة قبل السجود + **السجود** + ثم يهوى الى السجود مكبرا يضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه
مع غير الركوع وينبغى ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على
الارض وان يجافى مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وان يكون فى سجوده مخويا ولا تكون المرأة مخوية
والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذاء منكبيه وان لا يفرج بين اصابعهما بل يضمها ويضم الابهام اليها
وان لم يضم الابهام فلا بأس ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهى عنه وان يقول سبحان ربى الاعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا ان
يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع
منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ولا يطول هذه الجلسة الا فى سجود
التسليم ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منهما جالسا جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم
احدى رجليه فى حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث يكون هاء الله سبحانه عند
استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء اكبر فى وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ فى وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير
فى وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه وهو اقرب الى التعظيم ويصلى الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ فى الابتداء + **التشهد** + ثم يتشهد
فى الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه اليمنى الا المسبحة
ولا بأس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين
وفى التشهد الاخير يستكمل الدعاء الماء ثور بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس فى الاخير على وركه

١ الكوع بالضم طرف الزند الذى يلى الابهام منه

٢ الهوى السقوط والراوى من الركوع

٣ لا يخفى ان المصنف قد ذكر فى المذهب ان فى بعض ما ذكره من المسائل خلاف الحنفية فالتفصيل يطلب من كتب الفقه

الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج رأس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه
ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن ومن وراءه من الجانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي
الخروج من الصلاة بالسلام وينوي بالسلام من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويحذف التسليم ولا يمده مدا
فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد * ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته الا بقدر ما يسمع روحه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم
ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة ويستديم الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح
واولتي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا ويسكت الامام
سكتة عقيب الفاتحة ليثوب اليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم
السورة في الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام ويقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث في
تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الاول بعد قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول على
القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الاخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم والملائكة
وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه لا الاولى ان يثبت ان كان خلفه الرجال
نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء من يمينه وشماله واليمين احب الي ولا يخص الامام نفسه بالدعاء
في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا ويجهر به ويؤمن القوم ويرفعون ايديهم حذاء الصدور ويمسح الوجه عند ختم الدعاء لحديث نقل فيه والاقياس ان لا يرفع اليدين كما في آخر التشهد * **المنهيات** * نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناهما
عن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والغضبان
وعن التلثم وهو ستر الوجه * أما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب كعبتيه ويجعل يديه على الارض كالكلب وعند اهل الحديث
ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض منه الا وركاه وصدور اصابع الرجلين والركبتان وأما السدل فذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه
ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد
ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب
واما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال
وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل رضي الله عنه ان يأتزر فوق القميص في الصلاة وراءه
من الكف * واما الاختصار فان يضع يديه على خاصرتيه * واما الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام * واما
المواصلة فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام وركوعه بقراءته واثنان على المأموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبير الامام
ولا تسليمه بتسليمه واخذه بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما * واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق
صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت
الصلاة فابدؤا بالعشاء الا ان يضيق الوقت او ان يكون ساكن القلب في الخبز لا يدخل احدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان
وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الحديث سبعة اشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب
والحكاك والالتفات والعبث بالشئ وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية
الحصى وان تصلي بطريق من يمر بين يديك ونهى ايضا عن ان يشبك اصابعه او يفرقع اصابعه او يسدر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما
بين فخذيه في الركوع وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتطهير وان يسوي الحصا
فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط فان استند بحيث لو سل ما يستند اليه لسقط
فالاظهر بطلان صلاته والله اعلم * **تمييز الفرائض والسنن** * جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد
طريق الاخرة أن يراعي جميعها * فالفرض من جملتها اثنا عشر خصلة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع على ان تنال راحتاه ركبتيه مع
الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم الاولى قائما وتأنية الخروج فلا تجب ما عدا هذا قيل نواجب بل هي سنن وهيئات فيها * وفي الفرائض * أما السنن فمن

الافعال اربعة رفع اليدين فى تكبيرة الاحرام وعند الهوى الى الركوع وعند الارتفاع الى القيام والجلسة للتشهد الاول فاما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهى هيئات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات القيام فى تحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنة فى الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة فى نفسها ولذلك لم تفرد بذكر + واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله امين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه على النبى صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء فى اخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر اربعة منها بسجود السهو + واما من الافعال فواحدة وهى الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلاة فى اعين الناظرين حتى يعرف بها انها هل باعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر فى تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض فقيل الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو الا تلاوة القنوت والتشهد الاول والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا تغير صورة العبادة + واما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركها ظاهر التاثير + واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء فى التشهد الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مدا لاعتدال فى الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمدة مع التشهد جلسة للتشهد الاول فيبقى هذا قياما معتادا ليس فيه ذكر واجب فى الممدود احترازا عن غير الصبح وفى خلوه عن ذكر واجب احترازا عن اصل القيام فى الصلاة فان قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب لا عقاب فى ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكهما فى الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة والمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفوات بعضها وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والاهداب وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض فى اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة حدودها الشرع وتعبدنا باكتسابها فائز وحيها وحياتها الباطن الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتى ونحن الان فى اجزائها الظاهرة والركوع والسجود والقيام وسائر الاركان يجرى منها مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التى ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجرى من الصلاة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف + واما الهيئات وهى ما وراء السنن فتجرى مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما لطائف الاداب فى تلك السنن فهى مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يمد بها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك فى يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسأت فعليها ولا ينبغى ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فان ذلك يضاهى قول الطبيب ان فقأ العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يهدى ويجاء المتقرب فى قبول السلطان اذا اخرجه فى معرض الهدية فهكذا ينبغى ان تفهم مراتب السنن والهيئات والاداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتنى فطالما اخبار التى اوردناها فى كمال اركان الصلاة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث فى الشروط الباطنة من اعمال القلب

ولنذكر فى هذا الباب استباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر للعلم الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغى ان يحضر فى كل ركن من اركان الصلاة لتكون صلاة لزاد الاخرة + **بيان** اشتراط الخشوع وحضور القلب + اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى اقم الصلاة لذكرى وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهى وظاهر التحريم

ج ١

ف من تحقيق

ف الوصيف كالخادم والخادمة كالوصيفة

ف عبق به الطيب كفرح عبقا وعباقة لزق به والمكان اقام به او لزق به

وقوله عزوجل حتى تعلموا ما تقولون تعليل النهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوساوس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم انما
الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتمحيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام انما الشفعة فيما لم
يقسم الحصر والاثبات والنفى وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزد من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع عن الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم
حظه من صلاته التعب والتعذيب وما اراد الا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها والتحقيق فيه ان المصلى مناج ربه عزوجل
كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكاة ان غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة
على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة القوى التى هى آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج
افعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة
وركوع وسجود وقيام وقعود فاما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عزوجل فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود
منه الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة
اخراج الزكاة وانقطاع المال المعشوق ولا يشك فى ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان
من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاى
سؤال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة
لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثنى عليه واسئله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على
هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا فى
يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا فى قلبه فلو كان تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى بياض النهار الا انه
غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولا شك فى ان المقصود من القراءة
والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عزوجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب
ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتثقيل القلب وتجديد ذكر الله عزوجل ورسوخ عقد الايمان
بها هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل + واما الركوع والسجود المقصود بهما
التعظيم قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله عزوجل بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون
معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة للظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان
به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ادرى ان هذه
العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا
والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اى الصفة التى استولت على القلب
حتى حملته على امتثال الاوامر وهى المطلوبة فكيف الامر فى الصلاة ولا ارب فى افعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان
حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت به اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد
تقدم فى كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة بل يبنون ظاهر احكام الدين على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كافت
لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما انه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما
رواه عنه ابو طالب المكى عن سفيان الثورى قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى
العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو فى الصلاة فلا صلاة له وروى ايضا مسندا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا المنقول عن غيره يجعل مذهبا فكيف
لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجتمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجزاء وما نقل من هذا الجنس عن
الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآثار وظاهر فى هذا الشرط الا ان مقام الفتوى
فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب فى جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا
الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما يطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة واولى الاوقات بهذه اللحظة

التكبير فاقصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجرا بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة ويتهاون فاذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة المفتى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا فى الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احدا الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الان وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح فى اجزاء الصلاة وكم من حى لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل فى جميعها الا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون + **بيان** المعانى الباطنة التى بها تتم حياة الصلاة + اعلم ان هذه المعانى تكثر العبارات عنها ولكن نجمعها ستة جمل وهى حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج فى اكتسابها + اما التفاصيل + فالاول حضور القلب ونعنى به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما وهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن غيه غفلة عن كل شئ فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى اردنا بالتفهم وهذا المقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات وكم من معانى لطيفة يفهمها المصلى فى اثناء الصلاة ولم يكن قد حضر قلبه ذلك قبل ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع عن الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هى عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال + واما الرجاء فلا شك انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغى ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما انه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل + واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب + واما اسباب هذه المعانى الستة + فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب فيه شاء ام ابى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمه مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة فى علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الاخرة خير وابقى وان الصلاة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهما تما حصل من مجموعهما حضور القلب فى الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدى بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الان فى تقوية الايمان وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع + واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتفهم لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعنى الفروع عن تلك الاسباب التى تجذب الخواطر اليها ومهما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيأ اكثر ذكره فذكر المحبوب يجرى على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو له صلاة من الخواطر واما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين احداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا ينفك النفس لعظمته الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيجابر عنه بالتعظيم ومهما تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغنى عن غيره الا من على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن به

ل نزدیک برکسی و کشیدن باجزی کردن ن خاضعون ن فی قلبه

واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجرى على الانبياء والاولياء من انواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسياتى اسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات * واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة تصديقه فى وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل فى جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيل فعلا جاحضار سببه ففى معرفة السبب معرفة العلاج وبالجملة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاءها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب لذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روى ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتنى فاذكرنى وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا واذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق وروى ان الله تعالى اوحى اليه قل لعصاة امتك لا يذكرونى فانى اليت على نفسى ان من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب تنقسم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بما بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعاف مشاهد فى هموم اهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه بمهمة ثم يخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همته به عن ثوبه والحاضرين حواليه وكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقف نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه * **بيان** الدواء النافع فى حضور القلب اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله عز وجل وخائفا منه ورجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشئ الا بدفع سببه فلنعلم سببه وسبب تواردها اما ان يكون امرا خارجا او امرا فى ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يخطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلى فى بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ويجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة فى ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يدع فى موضع السجود مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه * واما الاسباب الباطنة فهى اشد فان من تشعبت به الهموم فى اودية الدنيا لم ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنى فان ما وقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرأه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريمة بان يجدد على نفسه

ل
وعظ الرجل باطن امره
وكذلك الرجل ظهر الرجل
وكرها ١٢

ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهو للمطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا
يلتفت اليه خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن ابى شيبة انى نسيت أن اقول لك ان تخمر القدر الذى فى البيت فانه لا ينبغى ان
يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل
الذى يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر فى الامور الشاغلة الصارفة عن احضار القلب فلا شك انها تعود الى مهمات
مهمات بشهواته فيعاقب نفسه بالتجرع من تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه
فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص منه باخراجه كما روى انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى اتاه بها ابوجهم وعليها علم وصلى بها
نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى انفا عن صلاتى وائتونى بانبجانية ابى جهم وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صلاته اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى
نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى عز وجل كى لا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا رضى الله عنه ان يشترى له
نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظرة اليه
ونظرة اليكم وروى ان ابا طلحة صلى فى حائطه فيه شجر فاعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل اخر انه صلى فى حائطه والنخل مطوقة بثمرها
فنظر اليها فاعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين الفا فكانوا
يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغنى
غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التى لا تشغل
الا حواشى القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلاتك فى
شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود الى فكره
فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السوانى ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات اذا
تشعبت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول فى دفعها فان الذباب
كلما ذب آب لاجله سمى ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة
واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شئ منها لا لتزود منها ولا ليستعين به على الآخرة فلا يطمعن فى ان تصفو له لذة
المناجاة فى الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف كل همته
اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغى ان يترك المجاهدة وردّ القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته
الطباع وبقيت العلة مزمنة ومهما الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عن ذلك
فاذا لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها او ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة
الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان + **بيان** تفصيل
ما ينبغى ان يحضر فى القلب عند كل ذكر وشرط من اعمال الصلوة + فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التى فى شروط
الصلاة وادكارها + اما الشرط والسوابق فهى الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن
فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون يا لطف يوم
العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اى ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم واما الطهارة فاذا اتيت بها فى مكانك
وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهو غلافك الاقرب فى بشرتك وهو قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فجهد لتطهيره بالتوبة
والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك + واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية متاع
بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى حورات باطنك وفضائح سرائرك الذى لا يطلع عليه الا ربك عز وجل فاحضر
تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما كفارة الندم والحياء والخوف فتستفيد بالحضور ما

فى قلبك انبعاث وجود الخوف والحياء من مكانها فتذل به نفسك ويستكين تحت انجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عزوجل قيام العبد المجرم المسئ الابق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف + واما الاستقبال فهو صرف ظاهرك وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب من سائر الامور الى أمر الله عزوجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب فانها اذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عزوجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عزوجل الا بالتفرغ عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عزوجل انصرف كيوم ولدته امه + واما الاعتدال قائما فانما هو متوصل بالشخص والقلب بين يدى الله عزوجل فليكن راسك الذى هو ارفع اعضائك مطرقا منطاطئا مستكينا وليكن رفع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عزوجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم فى الحال انك قائم بين يدى الله عزوجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب فى ان يعرفك بالصلاح فانه تهدى عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعى معرفة الله وحبه افلا تستحيى من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشى الناس ولا تخشاه وهو احق ان تخشاه ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحى منه كما تستحى من الرجل الصالح من اهلك + واما النية فاعزم على اجابة الله عزوجل فى امتثال امره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقربا اليه منه باذنه اياك فى المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى وكيف تناجى وبماذا تناجى وعند هذا ينبغى ان يعرق جبينك من انجلال وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا انطق به لسانك فينبغى ان يكذبه قلبك فان كان فى قلبك شئ هو اكبر من الله سبحانه فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما يشهد على المنافقين فى قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله عزوجل وانت اطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته الهك وكبرته فينوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه + واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذى تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه الى امانيه ودنياه فى البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك ان تكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف وجهه الى الله تعالى الا بانصراف همه عما سواه فاجتهد فى الحال فى صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغى ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد فى ان تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفى فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا انزل فى من يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عزوجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عزوجل وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عزوجل لا بمجرد قولك فان من قصده سبع او عدو فليفترسه او فليقتله فقال اعوذ منك بهذا الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عزوجل من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال عزوجل فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى امن من عذابى والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه فما من اتخذ الهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله عزوجل واعلم ان من مكايده ان يشغلك فى صلاتك بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات

ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم ان كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها وانما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه فرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب لا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم ان معناها ان الامور كلها بالله سبحانه وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله سبحانه بشكره لا من حيث انه مسخر من الله عز وجل فقد نقص تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك جميع انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاءك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جرد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجرد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه لا يتيسر طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والضالين والصابئين ثم التمس الاجابة وقل امين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فنا هيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأه من السورة كما سياتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخباره وانبائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء وروى ان زرارة بن ابي اوفى لما قرأ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير تخر ميتا وكان ابراهيم النخعي اذا سمع قوله تعالى اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فبها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتأمل ويفرق بين نعماته في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد كان النخعي اذا مر بمثل قوله عز وجل ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يخفض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء لا يليق به وروي انه يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية تقرأ بها واما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع وما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كانه وتد وابن الزبير رضي الله عنه كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا ينتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة في قوله عز وجل الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين + قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه + واما الركوع والسجود فينبغي ان تجد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه

ل
انفقت النسخ على زيادة
من او في غير ترك فتقول ان
فلانا تحوبا ثبات ترو ذكر
على ما شرفنا به
وبوبوه ما وقع في اسماء
الرجال في التقريب زيادة
بعض او ابن ابي لاوفى
العامري الحرشي صحابي
وابوه مختوحتين ثم مهملة
ابو حاجب البصري تابعي ثقة
مات سنة ثلاث وتسعين
ثا وقد صحف فقد بريدة
صوابه ما في
كان غلبه الحزن والبكاء
اي لا يقرأ متتابعا
بل يقف بعد آيات
الاستجمال الترتيل
١٢

لم تستانف لها ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعزوفك واتهامك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك فى قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتوكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكد الرجاء فى نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اى اجاب الله لمن شكره ثم تردد ذلك بالشكر المتقاضى للمزيد فتقول بذلك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الارض ثم تهوى الى السجود وهو اول درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب ان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع واد ل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها وردت الفرع الى اصله وانك من التراب خلقت واليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربى الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى نحمة الله فان رحمته تسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك اعز مما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك + واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصح بأن جميع ما تتلى به من الصلوات والطيبات اى من الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات واحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وليتصدق املك فى انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تامل ان يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتى الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع فى اخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك فى دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها وقال صلى الله عليه وسلم للذى اوصاه صل صلاة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلاتك فى وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بكرمه وفضله كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم بمناجوت الله على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذى تيسر له منه ينبغى ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغى ان يتحسر فى مداواة ذلك ينبغى ان يجتهد واما صلاة الغافلين فهى محظورة الا ان يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلاة عن الافات واخلاصها لوجه الله عز وجل واداءها بالشرط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار فى القلوب يكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون فى الصلاة لا سيما فى السجود اذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب فانما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشئ بعينه وينكشف لبعضهم الشئ مثاله كما ينكشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله وبعضهم من افعاله وبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعانى فى كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شئ معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراءى الا فى المرائى الصقيلة وكانت المرائى كلها مهدية تاحتجبت عنها الهداية لا بخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث مرائى القلوب على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود الانسان فى متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز لما در بما انكر ما ذكرناه العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان فى كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغى ان ينكر كل احد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله عز وجل فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففى الخبر ان العبد اذا قام فى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلى ليستر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه وينادى منادى لو علم هذا المناجى من يناجى ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله عز وجل يباهى ملائكته بمصل صدق فتفتح ابواب السماء ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذى ذكرنا

وفی التوراة مکتوب یا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بین یدی مصلیا باکیا فانا الله الذی اقتربت من قلبك وبالغیب رایت نودی قال فکانزی ان تلك الرقة والبکاء والفتوح الذی یجده المصلی فی قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب واذا لم یکن هذا الدنو هو القرب بالمکان فلا معنی له الا الدنو بالهدایة والرحمة وکشف الحجاب ویقال ان العبد اذا صلی رکعتین عجب منه عشرة صفوف من الملائکة کل صف منهم عشرة آلاف یباهی الله به مائة ألف ملك وذلك ان العبد قد جمع فی الصلاة بین القیام والقعود والرکوع والسجود وقد فرق الله ذلك علی اربعین الف ملك فالقائمون لا یرکعون الی یوم القیامة والساجدون لا یرفعون الی یوم القیامة وهکذا الراکعون والقاعدون فان ما رزق الله تعالی الملائکة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر علی حال واحد لا یزید ولا ینقص ولذلك اخبر الله عنهم انهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملائکة فی الترقی من درجة الی درجة فانه لا یزال یتقرب الی الله تعالی فیستفید مزیدا اذ باب المزید مسدود علی الملائکة علیهم السلام ولیس لکل واحد الا رتبته التی هی وقف علیه وعبادته التی هو مشغول بها لا ینتقل الی غیرها ولا یفتر عنها ولا یستحسرون یسبحون اللیل والنهار لا یفترون ومفتاح مزید الدرجات هی الصلوات قال الله عز وجل قد افلح المؤمنون الذین هم فی صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الایمان بصلاة مخصوصة وهی المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحین بالصلاة ایضا فقال تعالی والذین هم علی صلواتهم یحافظون ثم قال تعالی فی ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذین یرثون الفردوس هم فیها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وما عندی ان هذه رمة اللسان مع غفلة القلب تنتهی درجته الی هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل فی اضدادهم ما سلککم فی سقر قالوا لم نك من المصلین فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالی والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم نسأل الله ان یجعلنا منهم وان یعیذنا من عقوبة من تزینت اقواله وقبحت افعاله انه الکریم المنان القدیم الاحسان وصلی الله علی کل عبد مصطفی +

حکایات واخبار فی صلاة الخاشعین رضی الله عنهم

+ اعلم ان الخشوع ثمرة الایمان ونتیجة الیقین الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه یکون خاشعا فی الصلاة وفی غیر الصلاة بل فی خلوته وفی بیت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالی علی العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصیر العبد فمن هذه المعارف یتولد الخشوع ولیست مختصة بالصلاة ولذلك روی عن بعضهم انه لم یرفع رأسه الی السماء اربعین سنة حیاء من الله سبحانه وخشوعا له وکان الربیع بن خثیم من شدة غضه لبصره واطراقه یظن بعض الناس انه اعمی وکان یختلف الی منزل ابن مسعود عشرین سنة فاذا رأته جاریته قالت لابن مسعود هذا یقك ذلك الاعمی قد جاء فکان یضحك ابن مسعود من قولها وکان اذا دق الباب تخرج الجاریة الیه فتراه مطرقا غاضا بصره وکان ابن مسعود اذا نظر الیه یقول وبشر المخبتین اما والله لو رآك محمد صلی الله علیه وسلم لفرح بك وفی لفظ آخر لاحبك وفی لفظ آخر لضحك ومشی ذات یوم مع ابن مسعود فی الحذادین فلما نظر الی الاکوار تنفخ ذالت النیران تلتهب صعق وسقط مغشیا علیه وقعد ابن مسعود عند راسه الی وقت الصلاة فلم یفق فحمله علی ظهره الی منزله فلم یزل مغشیا علیه الی مثل الساعة التی صعق فیها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه یقول هذا والله الخوف وکان الربیع یقول ما دخلت فی صلاة قط فاهمنی فیها الا ما اقول ومایقال لی وکان عامر بن عبد الله من خاشعی المصلین وکان اذا صلی یمر ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما یردن فی البیت فلم یکن یسمع ذلك ولا یعقله وقیل له ذات یوم هل تحدثك نفسك فی الصلاة بشیء قال نعم بوقوفی بین یدی الله عز وجل ومنصرفی الی احدی الدارین قیل له فهل تجد شیئا مما تجده من امور الدنیا فقال لا ان تختلف الاسنة فی احب الی من ان اجد فی صلاتی ما تجدون وکان یقول لو کشف الغطاء ما ازددت یقینا وقد کان مسلم بن یسار منهم وبلغنا انه لم یشعر بسقوط اسطوانة المسجد وهو فی الصلاة وتاکل طرف من اطراف بعضهم واحتیج فیه الی القطع فلم یمکن منه فقیل انه فی الصلاة لا یحس بما یجری علیه فقطعت وهو فی الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الاخرة فاذا دخلت فی الصلاة خرجت من الدنیا وقیل لآخر هل تحدث نفسك بشیء من الدنیا فی الصلاة فقال لا فی الصلاة ولا فی غیرها وسئل بعضهم هل تذکر فی الصلاة شیأ فقال وهل شیء احب الی من الصلاة فاذکره فیها وکان ابو الدرداء رضی الله عنه یقول من فقه الرجل ان یبدأ بحاجته قبل دخوله فی الصلاة لیخلص فی الصلاة وقلبه فارغ وکان بعضهم یخفف الصلاة خیفة الوسواس وروی ان عمار بن یاسر صلی صلاة فأخفها فقیل له خففت یا ابا الیقظان فقال هل رایتموني نقصت من حدودها شیأ قالوا لا قال انی بادرت سهو الشیطان ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان العبد لیصلی الصلاة لا یکتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وکان یقول انما یکتب للعبد من صلاته ما عقل منها ویقال ان طلحة والزبیر وطائفة من الصحابة رضی الله عنهم کانوا اخف الناس صلاة وقالوا انما دهمنا وسوسة الشیطان وروی ان عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال علی المنبر ان الرجل لیشیب عارضاه فی الاسلام وما اکمل لله تعالی صلاة فقیل وکیف ذلك قال لا یتم خشوعها وتواضعها واقبال

ف قوله لا یستحسرون الی لا یفترون لم نر از استثناءات از قرآن شریف بر مذکور سابق و در بعضی نسخ فقط لا یتکلمون من عبادته ولا یستحسرون الخ دیده شده ۱۲

ف للمذکر مرتبة اللام ومرتبة الفوق ۱۲ ق

ف اخبات فروتنی کردن ۱۲

ف اکل الخضوع العود کفرح وانکل وتاکل اکل بعضه بعضا والاکلة کثمرة داء فی العضو یاکل ۱۲ ق

عز وجل فيها وسئل ابو العالية عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو عن صلاته فلا يدرى على كم ينصرف على شفع ام على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذى ان صلاها فى اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن اول الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها بِرًّا ولا تأخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة فى الصورة لا تتجزى ولكن لذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث ذوات جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفى الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا منى عبدى وبالنوافل تقرب الى عبدى وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى الا باداء ما افترضته عليه وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ما لى اراكم تقرأون (الصرف من صورة ٣) ما قرأت فسكت القوم فسأل ابى بن كعب رضى الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندرى انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابى ثم اقبل على الآخرين فقال ما بال قوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بنى اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم ان قل لقومك تخضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عنى بقلوبكم باطل ما يذهبون اليه وهذا يدل على ان استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان الرجل ليسجد السجدة عندنا انه تقرب بها الى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على اهل مدينة لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين وتدل هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان الاصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد والله اعلم نسأل الله حسن التوفيق بلطفه انه لطيف توّاب

الباب الرابع فى الامامة والقدوة وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة وفى اركان الصلاة وبعد السلام

امّا الوظائف التى هى قبل الصلاة فسنة اولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفى الحديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه واقرأ منه الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شئ من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما ما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روى من مدافعة الامامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه ايثارهم من رأوه اولى بها او خوفهم على انفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعوّد ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوّش عليه الاخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لا سيما فى جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب من هذا الجنس الثانية اذا خير المريد بين الاذان والامامة فينبغى ان يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغى ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قائلون الاذان اولى لما نعلناه فى فضيلته الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيه خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفى الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفى الخبر من امّ فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن احتسابا دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضى الله عنهما والائمة بعدهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ايوم من ذى سلطان عادل افضل من عبادة ستين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل فى الافقه وقال صلى الله عليه وسلم ائمتكم شفعاؤكم او قال وفدكم الى الله فان اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل من الائمة للصلين لان هؤلاء قاموا بين الله عز وجل وبين خلقه بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة فى تقديم ابى بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا لاحتجاجا بانه رضيه للاذان وما روى انه قال له رجل يا رسول الله دلنى على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع فقال صل بآراء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم بعد ذلك توهم انه ربما يقدح عليه + الثالثة انه يراعى الامام اوقات الصلوات فيصلى فى اوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه ففضل اول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث ان العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها

ل موتمن اى يؤتمن الناس على صلوتهم وصيامهم ونحو ذلك فى نسخة ٢ ل ٣ ل اى يلزم لهما بالتهمة للاجل ان فيه خطر الضمان ٤ ل الوفد قوم يجتمعون ويردون البلاد والواحد وافر وكنا من يقصد الامراء بالزيارة اقال الاسترفاد والانجاح وفيدا ناخطب اذا وفد روى انهم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم والشيخ لهم اذا وردوا الى الرجل يقول

ولم تفته ولما فاتته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يترك خير الصلاة لانتظار كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظروه وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا ابا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في الصلاة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن ولعل على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره * الرابعة ان يؤم مخلصا لله عز وجل مؤديا امانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته اما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلاة فهي ولي بان لا يؤخذ عليها اجر فان اخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بامامة او من السلطان او احاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض اشد منها في التراويح وتكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلاته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة وقال سفيان صلِّ خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسوق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عيار فاسق * الخامسة ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتعاهدون بالمناكب ويتضاهمون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس للصلاة ففي الخبر ليفهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمتغوط من اعتصاره وذلك لانه نهي عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب * السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليأخر المأموم تكبيره عن تكبير الامام فيبتدئ بعد فراغه والله اعلم * **واما وظائف القراءة فثلاثة** * اولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح والاوليين للعشاء كذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي رضي الله عنه اجهر * الثانية ان يكون للامام في القيام ثلاث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولاها عند اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب ذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرأ الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده او كان في السرية فلا باس بقراءته السورة * الثالثة ان يقرأ في الصبح سورتين من المئين او ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس بان يقرأ في الثانية باواخر السور نحو الثلاثين او العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روى انه صلى الله عليه وسلم قرأ في الفجرية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت واسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال خلط الطيب بالطيب فقال احسنت يقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين اية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل واخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه * فقالوا انافق الرجل فشكوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر

ل الترجيح الترجيح وحسن القيام من اكثر من بعاقر ثمرها وبلازمه الانتظار فحم مجمع

ك المعتمر من يؤدي بقول الحافظ ١٢ مجمع

ع قيل ي السورة التي تقرأ في الثنين وتزيد على الفصل كان الثنين جعلت بمنزلة والتي تليها ثنتين قالوا اول القرآن الى آخر الطوال ثم ذوات الثنين اي ذات ما يقرأ ثم المثاني ثم المفصل ١٢ زين مجمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فقال أفتان انت يا معاذ اقرأ سورة سبح اسم والسماء والطارق والشمس وضحاها + **وظائف الاركان ثلاثة** اولها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد روى عن انس انه قال ما رايت احدا اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام نعم روى بينما ان انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت وراء احد اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروى مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده + الثانية المأموم ينبغي ان لا يسابق الامام في الركوع والسجود بل يأتي بعده فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام الى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة اقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الامام وقد اختلف في ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل ليتال به فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا بأس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر الحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم + الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفرلنا ولا يقول اغفرلي فتذكره للامام ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في التشهد بالكلمات الخمس الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها + **واما وظائف التحلل فثلاثة** + اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة + الثانية ان يثب عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام + الثالثة اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والزبير رضي الله عنهما انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلاتك واتمها الا شيء واحد انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن صلاتكم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوات واما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين او صدقت وبررت وما اشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في اخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وذلك ان للايدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لها ههنا فلا يبعد ان يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء والله اعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة والله الموفق +

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها + فضيلة الجمعة

+ اعلم ان هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال باسباب الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فهدي فواعته وهدانا الله تعالى له واخر لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اول الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبرائيل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله سبحانه اياه او ليس له قسم ذخره له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله عز وجل من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا افيح من المسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم قال صلى الله عليه وسلم خير يوم

١ اقتصاصات اي المنتثر من الدين ١٢ مجمع

٢ اي في تكميل الاركان وخشوع ١٢

٣ اي يمين من موضع صلوته الفريضة ١٢

طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان الله عز وجل في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا في يوم الجمعة فانه صلاة كلها وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر * **بيان** شروط الجمعة * اعلم انها تشارك الجمع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط * الاول الوقت فان وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه ان يتمها ظهرا اربعا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف * الثاني المكان فلا تصح في الصحاري والبراري وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل تجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استئذانه * الثالث العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اثناء الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الاخر * الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام يتمها ظهرا * الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة واربعة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريمة اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا ففي المسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى * السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرائض التحميد وانه الحمد لله والثانية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه والرابعة قراءة اية من القرآن وكذا فرائض الثانية اربعة الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الاربعين * **واما السنن** فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا وشمالا ويشغل يديه بقائمة السيف والعنزة كيلا يعبث بهما او يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرأ اية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والامام يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والامام بالجواب حسنة ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والقر والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم تأخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امرأة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر والله اعلم * **بيان** آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل * الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لافضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله عز وجل فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويقلم اظفاره ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا ولكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه ويشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينبغي ان يتنظف فيها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل بجسده وبهذا يتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف وفي الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ودعاها من الامس واختسها نصيبا من اذا اصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها * الثاني اذا اصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهده بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب

على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان اهل المدينة يتسابّون بينهم فيقول احدهما للاخر انت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب ما اعدّه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعدان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله عنه وبما روى انه صلى الله عليه وسلم قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرّة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على والده وقد اغتسل فقال الجمعة فقال بل عن الجنابة فقال اعد غسلا ثانيا وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح فى الوضوء ايضا وقد جعل للجمعة فى الشرع قربة فلا بدّ من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك * الثالث الزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى فى ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقصّ الشارب وسائر ما سبق فى كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله عز وجل منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام فى الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب فى هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين فى جواده واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه روى ذلك فى الاثر وقال الشافعى رضى الله عنه من نظف ثوبه قلّ همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاجبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله تعالى البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة فى هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان اكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع فى وقت السعى من المنزل الى الجمعة وفى وقت الصلاة وعند صعوده الامام المنبر فى خطبته * الرابع البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغى ان يكون فى سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف فى المسجد الى الصلاة فانه يعد الصادر الى جواب نداء الله عز وجل الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شئ والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى تمضى الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل فى طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة وقال احمد بن حنبل رضى الله عنه افضلهن الغدو الى الجمعة وفى الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء فى الخبر ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسئل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذى اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرّغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى فى القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون بها الى الجامع كايام العيد حتى التمس ذلك فقيل هو اول بدعة حدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الاسواق للبيع والربح فلم لا يسابقهم طلاب الاخرة ويقال ان الناس يتفاوتون فى قربهم عند النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه الجامع بكرة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبا لها رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد * الخامس فى هيئة الدخول فينبغى ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يتم بين ايديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد فى تخطى الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا قال يا نبى الله قد سمعت فقال النبى صلى الله عليه وسلم اوما آذيت

تتخطار قاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفى حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلى معنا قال اولم ترنى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم رايتك انيت واذيت اى تأخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فلا ان يتخطار قاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة (اى الحاضرين ١٢) فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن فى المسجد الا من يصلى فينبغى ان لا يسلم لانه تكليف جواب فى غير محله * السادس ان لا يمر بين يدى الناس ويجلس هو الى قريب من اسطوانة او حائط حتى لا يمرون بين يديه اعنى بين يدى المصلى فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم لان يقف اربعين سنة خيرا له من ان يمر بين يدى المصلى فقال صلى الله عليه وسلم لان يكون الرجل وما اداومد ناتذروه الرياح خيرا له من ان يمر بين يدى المصلى وسوى فى حديث آخر بين المار والمصلى حيث صلى على الطريق او قصر فى الدفع فقال لو يعلم المار بين يدى المصلى وما عليهما فى ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خيرا له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد المصلى فمن اجتاز به فينبغى ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعد عليه عند مروان فيخبره ان النبى صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده * السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفى الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام وفى لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل فى طلب الصف الاول عن ثلاثة امور اولها انه اذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من التبختر من الامام او غيره او صلى فى سلاح كبير ثقيل شاغل او سلاح مذهب وغير ذلك مما يجب عليه الانكار فلما خر له اسلم واجمع الهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحارث نراك تتبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفيان الثورى الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابى جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبى قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد قال يا ابا عبد الله اليس فى الخبر اذن فاستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صليت قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها قال نعم الا ان هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر لمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ذلك فمن تأخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب الا فتذكره بعض العلماء دخول المقصورة وكان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة ورأيا انها قصرت على السلاطين وهى بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرهوا ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع لا توجب كراهية وثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثورى يقول الصف الاول هو الخارج بين يدى المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى فى كراهة الصلاة فى الاسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب * الثامن ان يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بسجود عند قيام المؤذنين ولا يثبت له اصل فى اثر ولا خبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس ان يمد الدعاء لانه وقت فاضل لا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا يثبت تحريمه وقد روى عن على وعثمان رضى الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزدان ومن لم يسمع ولغا فعليه وزد واحد وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب انصت اوصه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغى ان يكون باشارة اورمى حصاة لا بالنطق وفى حديث ابى ذر انه لما سأل ابيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابى اذ هب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابى وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغى ان يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضى الى هينمة حتى ينتهى الى الساقعين ولا يجلس فى حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان تكرم الصلاة فى وقت خطبة الامام فالكلام اولى بالكراهية وقال على

ل
ذرت الريح التراب ذروا واذرته وذرته اطارته واذريته ١٢

ك
اى غفر له ومن وراءه كما هو فى نسخة ١٢

كرم الله وجهه تكره الصلاة فى اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب + التاسع ان يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا روى عن بعض السلف ان من تعذر عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من دوم على هذا الدعاء اغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى على وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ستا والكل صحيح فى احوال مختلفة والاكمل افضل + العاشر ان يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعنى فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا لله عز وجل مفكرا فى آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغى ان يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم امر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم + **بيان** الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار وهى سبعة امور الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلوة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير فى كلامهم ولا ينبغى ان يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير ولا ينبغى ان يحتقر الحلاق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالتشذكر بايام الله ويفقه فى دين الله يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع فى الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة قال انس بن مالك فى قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ فى الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى العلم فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من افضل القربات والصلاة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يواظبون عليه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر رضى الله عنهما الى مجلسه فى المسجد الجامع فاذا قاص يقص فى موضعه فقال قم من مجلسى فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه وهو كان ذلك من السنة لما حل اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروى ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضى الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده + الثانى ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففى الخبر انها شهود ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئا الا اعطاه وفى خبر آخر لا يصادفها عبد يصلى واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ فى الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل آخر وقت العصر اعنى وقت الاختيار وقيل قبيل غروب الشمس وكانت فاطمة رضى الله عنها تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها ان تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن ابيها صلى الله عليه وسلم وعليها وقال بعض العلماء هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها وقيل انها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغى ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها يوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغى ان يكون العبد فى جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع من وساوس الدنيا فعساه يحظى بشئ من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها فى آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى وكانت حين صلاة فقال كعب لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو فى الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت ابو هريرة وكان كعب ما ئلا الى ان هذه رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق اليوم واوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما + الثالث يستحب ان يكثر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى على حتى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وقصد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضى ولحقه اداء واعطه الوسيلة

ل شرط وشرطى يكون الاسير بالكاف شخنه ١٢ منه

ع بحجتها نسخ عوارج نسخه دوى گرفتند وغارت كردند ١٢ منه

ع صادف وجده والغيبة بالضم والكاف وبالخاء كدورة النفاق والخطر من الخير ١٢ منه

ه دلالت حين صلوة اى ليس الحين حين صلوة بل الحين حين الشروع فى الصلوة ١٢ منه

ل السيفاوى الوسيلة الدرجة العالية والمنزلة الجليلة وفى الحديث والامام احمد عن ابى سعيد مرفوعا الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة ١٢ منه

وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جازيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين
يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان اراد ان يزيد
فى الصلاة المأثورة فقال اللهم اجعل نفائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به
الاولون والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله
واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابيض حجته وارفع فى اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من اهل شفاعته
واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين امين رب العالمين
وصلى الله على كل اسم اتى به من الفاظ الصلاة ولو المشهورة فى التشهد كان مصليا وينبغى ان يضيف اليه الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب فى هذا اليوم الرابع
قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وابى هريرة رضى الله عنهما من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة
اعطى نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة
وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن فى يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر ان قرأ
بالليل او فى ركعتى للمغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة
ويقال ان من قرأها فى عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله الحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست فى يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ سورا
باعيانها الا فى يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرأ فى صلاة العشاء
الاخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما فى ركعتى الجمعة وكان يقرأ فى الصبح يوم الجمعة سورة سجدة
لقمان وسورة هل اتى على الانسان + الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلى اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتى
مرة فى كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتى
التحية وان كان الامام يخطب لكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفى حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى
فرغ فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ويستحب فى هذا اليوم او فى ليلته ان يصلى اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس
فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور فى ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن
القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب ان يصلى صلاة التسبيح كما سيأتى فى باب التطوعات كيفيتها
وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس صلها فى كل جمعة وكان ابن عباس رضى الله عنه لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان
يخبر عن جلالة فضلها والاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار
السادس الصدقة مستحبة فى هذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب فكان يتكلم فى كلام الامام فهذا مكروه قال صالح
ابن احمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابى فاعطى رجل ابى قطعة لبن فاولها اياها فلم يأخذها منه ابى وقال ابن مسعود اذا سأل
الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا
ان يسأل قائما او قاعدا فى مكان من غير تخطى وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين
يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم انى اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ان تسأل
الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم
الحى القيوم اسئلك ان تغفر لى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم رد ما بدا له استجيب له + السابع ان يجعل يوم الجمعة للاخرة فيكف فيه عن جميع اشغال
الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روى انه من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت
وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء يشربه او يسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد فان البيع والشراء فى المسجد مكروه وقالوا لا بأس لواحد
القطعة خارج المسجد ثم شربه سبل فى المسجد ويجوز ينبغى ان يزيد فى الجمعة فى اورادها وانواع خيراته فان الله سبحانه اذا احب عبدا استعمله فى الاوقات
الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعبده فى الاوقات الفاضلة ببشع الاعمال ليكون اوجع فى عقابه واشد لمقته يحبانه بزلة الوقت انتهى كذا حرره الوقت

ل ١ الرشاشة النبوة اى الماء الرشرشة ١٢
ل ٢ خاصة اليه فاقضى اى حكما وعينى ١٢
ل ٣ وابلغه بتشديد الباء بمعنى اوضح ١٢
ل ٤ ن البلجة بالفتح والضم بمعنى ضوء الصبح ١٢
ل ٥ الديلمى خراج ودجل كبير ترى فى الجوف فتقتل صاحبها غالبا تصغير دبلة ١٢
ل ٦ سورة سجدة لقمان اى السورة التى وقعت بعد سورة لقمان ولما كان اطلاق سورة السجدة على سورة فصلت ايضا نبه فيه لقمان للتعريف ١٢
ل ٧ سبيلا جعل فى سبيل الله ق

ويستجب في الجمعة دعوات وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات ان شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى +

الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه

مسئلة الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة او ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يديه وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها فيخذفها ثم يطرحها وقال مجاهد لاحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فتفسد علي صلاتي وقد سمعت ان الفساق بين يدي الملوك يصبرون على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشى فينبغي ان لا يرفع راسه الى السماء وان سقط رداءه فلا ينبغي ان يسويه وكذلك لطرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة + **مسئلة** الصلاة في النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في اخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا قال صلى الله عليه وسلم ان جبرائيل عليه السلام اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل بهما وقال بعضهم الصلاة في النعلين افضل لانه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه صلى الله عليه وسلم سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا اقبل فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغي ان يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركه وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليه ولعل من رأى الصلاة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما فلا امام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلا نه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة + **مسئلة** اذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وروي عنه صلى الله عليه وسلم فيه قال بعض الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد نخامة فتغضب غضبا شديدا ثم حكها بحجر ثم كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا وقال يكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا احد قال فان احدكم اذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ اخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليفعل به هكذا ودلك بعضه ببعض + **مسئلة** لو قوف المقتدي سنة وفرض + اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهة واما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى ان يعرف افعال الامام + صلى ابو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق او صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وكفى بهما رابطة اذ يصلي فعل احدهما الاخر وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لائط في المسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ممن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء + **مسئلة** المسبوق اذا ادرك اخر صلاة الامام فهو اول صلاته فليوافق الامام فليبن عليه وليقنت في الصبح في اخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقد دعا لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر وجلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر تكبيرة الاحرام قائما ثم يكبر تكبيرة الانتقال محسوبة ولتكبيرات الانتقالات الاصلية في الصلاة حالتان

بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن فى الركوع والامام بعد فى حدّ الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد مجاوزة الامام حدّ الراكعين فاتته تلك الركعة + **مسئلة** من فاتته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اوّلا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزاه ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى فان صلى منفردا فى اوّل الوقت ثم ادرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت والله سبحانه يحتسب اكملهما فان نوى فائتة او تطوّعا جاز وان كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة اخرى فليتنو الفائتة او النافلة فاعادة المؤدّاة بالجماعة مرة اخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة + **مسئلة** من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة فى اثناء الصلاة رمى بالثوب وتمّ والاحب الاستئناف واصل هذا قصة خلع النعلين حيث اخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة + **مسئلة** من ترك التشهد الاوّل او القنوت او ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الاول او فعل فعلا سهوا وكان تبطل الصلاة بتعمده او شك فلم يدر اصلى ثلاثا ام اربعا اخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسى فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام واحدث بطلت صلاته فانه لما دخل فى السجود كانه جعل سلامه نسيانا فى غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فكذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد وبعد طول الفصل فقد فات + **مسئلة** الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل او جهل بالشرع كان استثمال امر الله عزّ وجلّ مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى كان سفيها فى عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما اذا قام لشغل اخر او فى غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا اداء فرضا فى كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال والوجه على الداخل وانتفاء باعث اخر سواه فى قصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بدّ وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلى فى وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه المقصود وهذه العلوم يجمع فى النفس فى حالة واحدة ولا تكون مفصلة الا احاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشئ فى النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للغروب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن جملة معانى حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم وان التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم قط او التأخر والعدم او تقدم العدم او تأخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله انى اعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة تثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر فى قلبه الظهرية والادائية والفرضية فى حالة واحدة فيفصلها بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله سبحانه فى النية كامتثال امر غيره ثم زيد عليه على سبيل التسهيل والترخص واقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل فى نفسه الا امتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك فى اثناء التكبير من اوله الى اخره بحيث لا يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باوّل التكبير واخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت النية للموسوس ينبغى ان يقنع به حتى يتعوّد ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فى الوسوسة وقد ذكرنا فى الفناء وجوها من التحقيق فى تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء الى معرفتها اما العامة فربما يضرّها سماعه ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناه + **مسئلة** لا ينبغى ان يتقدم المأموم على الامام فى الركوع والسجود والرفع منهما وفى سائر الاعمال ولا ينبغى ان يساوقه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساوقه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فان تقدم عليه بركن ففى بطلان صلاته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء فى الفعل لا فى الموقف فالتبعية فى الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا للمتابعة فى الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدى به ان يتقدم فالتقدم عليه فى الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير فيه وقال اما يخشى الذى يرفع راسه قبل الامام ان يحوّل الله رأسه راس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر الى هذا الحدّ

ل عدم استيناف من صلى الى نجاسة علم بها بعد صلاته لان فيه حرجا ولدلالة على جواز الصلوة فى النجاسة ثانيا يحتمل عدم بلوغ النجاسة فى الثانية الى قدر الدرهم وهذا لا يوجب الاستيناف فافهم

فى الاستيناف فى ابطال العمل من غير سبب نعم اذا ثبت كون النجاسة قدر الدرهم يحصل التقصير ١٢ واللّٰه اعلم

الخجل فما دون الاعضاء والفالج ويحرك فيهما بالتحريك المحزون ويفتح ١٢ منه

والتباعد عن الحق ١٢ منه

ف الخ

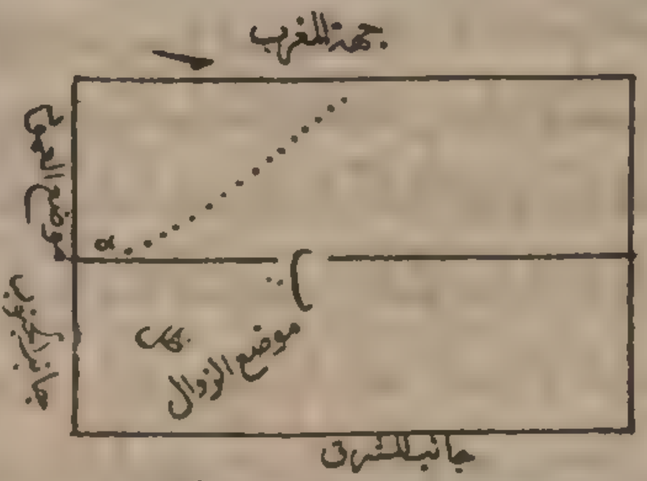
مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثانى وهو بعد لم يسجد السجود الاول + **مسئلة** حق على من حضر الصلاة اذا رأى من غيره اساءة فى صلاته ان يغيره وينكر عليه وان صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضى الله عنه من رأى من يسئ صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اظهرت فلم تغير اضرت بالعامة وجاء فى الحديث ان بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب اعراقيبهم بالدرة وعن عمر رضى الله عنه قال تفقدوا اخوانكم فى الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب نكار على ترك الجماعة ولا ينبغى ان يتساهل فيه وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى ومن دخل المسجد ينبغى ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد خلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه عن الصف ويدخل فيه اعنى اذا لم يكن بالغا وهذا ما اردنا ان نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى والله الموفق بكرمه وسيأتى احكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى +

الباب السابع فى النوافل من الصلوات +

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلاثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعنى بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعنى بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله فى صلوات الايام والليالى فى الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعنى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد فى عينه اثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب فى مناجاة الله عز وجل بالصلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الاقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع لم نر بنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة فى الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته فى الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق بأوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام +

القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالى وهى ثمانية + خمسة هى رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى واحياء ما بين العشاءين والتهجد **الاولى** راتبة الصبح وهى ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير فى اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر فى ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل على الصبح ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤها قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض فى وقته وانما الترتيب بينهما سنة فى التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقينا اداء والمستحب ان يصليهما فى المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلى ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلى الى ان يصلى المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس لا حب فيه الذكر والفكر الا قصارا على ركعتى الفجر والفريضة + **الثانية** راتبة الظهر وهى ست ركعات ركعتان بعدها وهى ايضا سنة مؤكدة واربع قبلها وهى ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون

حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح فى هذه الساعة فاحب ان يرفع لى فيها عمل رواه ابو ايوب الانصارى وتفرد به ودل عليها ايضا ما روت ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت فى الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر رضى الله عنهما احفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة رضى الله عنها الا ركعتى الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتنى اختى حفصة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين فى بيتها ثم يخرج وقال فى حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملتها لاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلة الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع فى جانب المغرب مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل فى الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لا تترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقى من الظل الذى منه يأخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدى ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالى بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذى يليه من اللوح لتمام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اى لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين ثم ينتصب عمودا على اللوح نصبا مستويا فى موضع علامة وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح فى اول النهار مائلا الى جهة المغرب فى صوب خط ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على حظ ب بحيث لو مد راسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل الى احدهما فاذا ابطل ميله الى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل من الخط الذى على اللوح الى جانب المشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا فى وقت هو قريب من اول الزوال فى علم الله تعالى ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته فى علم الزوال ومعرفته



الثالثة راتبة العصر وهى اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى قبل العصر اربعا فعلق ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحبا استحبابا مؤكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر + **الرابعة** راتبة المغرب وهى ركعتان بعد الفريضة ثم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كابى بن كعب وعبادة بن الصامت وابى ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة وغيره كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السوارى يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسأل اصليتم المغرب وذلك يدخل فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له فى ذلك فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل فى بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار فى الاراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها فى جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب للمبادرة فى صلاة المغرب خاصة وان اخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق وقع اداء ولكنه مكروه واخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين + **الخامسة** راتبة العشاء الاخرة وهى اربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بعد العشاء الاخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الاخرة وهو الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير

بيان اين صورت چنان كه دو خطى را بهم اين نحو يك ضلع ممتد مثل ضلع شرقى و يك ضلع جانب مغرب ضلع بطن وقبله شمال وضلع بجانب جنوب مثل ضلع شرقى چنانكه اگر فرض كنند سوزن كه بهم از نقطه شمالى بر روى زمين واز ان جا خطى مستقيم تا ضلع كما بين لوح فرض كنند يا ضلع شمالى آن خط متقاطع على القوائم باشد واين خط را نامند جنوبى لوح كه بيايد بر روى كه آن جانب جنوبى مقابل جانب شمالى واقع است ودر انجا خطوطى قائم كنند از انجا دريابند صورت فلانست و نماد هشته وان آنخطرا مقنب گويند خطى ديگر نيز بكشند تا بر خط مقنب عمود شود و تقاطع بر ان خط بر اين لوح راست آيد مسمى شود بدو شاخص بر روى اول طلوع سايه بر جانب مغرب خطى ديگر بجانب مغرب جنوبى بكشند بر خط مقنب منطبق بر خط كه آن سايه بر روى كه آن جانب مغرب بود چون آفتاب ارتفاع كند آن سايه بر روى كه آن جانب مغرب بود باشد تا آنكه منطبق بر خط مقنب شود و آن وقت نصف النهار گويند و چون ظل بجانب شرق از خط مقنب ميل كند وقت ظهر گذشته باشد و آن وقت را استوا نيز گويند و چون ظل از جانب مغرب بجانب شرق ميل كند وقت عصر باشد و ان را تانى الزوال گويند بدان كه علاوه بيان نفى الزوال يكى بيش از نصف النهار است و آن عمود و شاخص است و ديگرى بعد از نصف النهار است و آن مقصود است و ديگرى بعد از نصف النهار است و آن مقصود است و ديگرى بعد از نصف النهار است و آن مقصود است

موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فرائضه من غير جابر + **السادسة** الوتر قال انس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار اذا اراد ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت الارض وسورة التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة وثلاث وخمس وهكذا ابالا وتارا الى احدى عشرة ركعة والرواية متردده في ثلاث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سمينا جملتها وتراصلاة بالليل وهو التهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف فقيل الايتار بركعة فردة افضل لانه صح انه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصولة افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما لامام اذ قد يقتدي به من يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء او بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موتر الغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر ولا ركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح قبل العشاء لانه خرق لاجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى بهما التهجد او سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر ان ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والاخر ان ينشأ ليجعل وترا لما بعده فيكون مجموع الثلاث وترا والركعتان من جملة الثلاث الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي بهما الوتر والركعة الثالثة وترا في نفسها بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا توتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون اخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد + **السابعة** صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيها ثماني ركعات روت ام هانئ اخت علي بن ابي طالب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثماني ركعات طالهن وحسنهن ولم ينقل احد العدد غيرها فاما عائشة رضي الله عنها فانما ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه فلم تحد الزيادة الا انه كان يواظب على الاربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات واما وقتها فقد روي علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سيأتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب المشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد رمح والثاني اذا مضى من النهار ربعه باذاء صلاة العصر فان وقته ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب وهذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة + **الثامنة** احياء ما بين العشاءين وهي سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او بقرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافها اهل الارض لوسعهم وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى + **القسم الثاني** ما يتكرر بتكرر الاسابيع + وهي صلوات ايام الاسبوع وليالية لكل يوم ولكل ليلة + **اما الايام فنبدأ فيها بيوم الاحد** روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب و امن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل ضرير او ضريرة حسنات واعطاه الله ثواب حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حدثنا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين يقرأ

ل فاذن جبريل جزاء بما ان كان الامر كذلك يجوز ان يقال فاذن جبريل فاذن فانا وقفت على اذن ايلت من فوذ اذا انفا ١٢

ل٥٢ يجوز ان يقصد على وزن يضرب كتبته الى جانب يمينه وقد يعني الى جانب يساره ويلبس ذا العكس

ل٥٣ زحف الصبي اذا دب

ل٥٤ حمر النعم بضم ما ورد وسكون ميم اي اقواها واجلدها الى غير ذلك من ان تقتنى وقيل ان تقتنيها واي المال هو في نفس امرك للعرب فجعلت كناية عن خير الدنيا كلها

ل٥٥ انفقت الفرج للكثرة على افطار ربعا يعني العبارة كذا كان يصلي الضحى اربعا في وقتين فيستفاد في وقتين منتفل يصلي الضحى وفي كل وقت ركعتان وقد روي يصلي الضحى والمعنى انه صلى الله عليه وسلم يصلي صلوة الضحى اربعا فانه صلى الشرع عليه وسلم كان يصلي في وقتين اولهما ركعتان وهو صلوة الاشراق والثانية اربعا وهي التي تسمى صلوة الضحى فالراوي ذكر الصلوتين قبل الظهر واتى الضحى منهما لصلاتها في وقت الضحى ١٢ منه

ل٥٦ يقال طيبا قرع ١٢ منه

ل٥٧ جبريل الغاية ١٢ منه

فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله سبحانه حاجته كان حقا على الله ان يقضى حاجته **يوم الاثنين** روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسى مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها وروى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتى عشرة مرة واستغفر الله اثنتى عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فاقل ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور تتلألأ **يوم الثلاثاء** روى يزيد الرقاشى عن انس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفى حديث اخر عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعاء** روى ابو ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء ثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات وللمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبى +

يوم الخميس عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب مرة واية الكرسى مائة مرة وفى الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلى على محمد مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من امن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة +

يوم الجمعة روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الجمعة صلوة ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضأ واسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائتى سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله سبحانه له فى الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له فى الجنان ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتى عشرة ركعة كتب الله له الفا ومائتى حسنة ومحا عنه الفا ومائتى سيئة ورفع له فى الجنة الفا ومائتى درجة وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له **يوم السبت** روى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ اية الكرسى كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف لجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء + **واما الليالى ليلة الاحد** روى انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجاء الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان ادم صفوة الله ونظرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عز وجل يوم القيامة مع الامنين وكان حقا على الله تعالى ان يدخله الجنة مع النبيين + **ليلة الاثنين** روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات يقرأ فى الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين مرة وفى الثالثة الحمد لله وقل هو الله احد ثلاثين مرة وفى الرابعة الحمد لله وقل هو الله احد اربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سال الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله ما سأل وهى تسمى صلاة الحاجة + **ليلة الثلاثاء** يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة اية الكرسى واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة + **ليلة الاربعاء** روت فاطمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ست ركعات بثلث تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الاية تين فاذا فرغ من صلوته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين

ن قال يوم الجمعة صلوة كذا

له زاد فى نسخة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم مائتى مرة وسبعين

سه كذا فى النسخ الصحيحة بعد قوله فى الثالثة ومن صلى ليلة الثلاثاء الخ وفى نسخة الصحة بعد قوله ومن قال يوم الثلاثاء الخ

من شر ليلتهم زاد بعد قوله ختم الله خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم واجر جسيم روى عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد اصبح مرات امن الله روعته ومن النار وكان ممن يشفع فانه وجب له الجنة

وكتب له براءة من النار ورد وى ايضا عن النبى عليه السلام انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الثانية بعد الفاتحة قل اعوذ برب الناس عشر مرات ثم اذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات لم ينزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة + **ليلة الخميس** قال ابو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كانا حيا فاحسنا واعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء + **ليلة الجمعة** قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنى عشر ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى عشرة مرة فكانما عبد الله تعالى ثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الاخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد وللمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيى ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة + **ليلة السبت** قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنى عشر ركعة بنى له قصر فى الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له

القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين + وهى اربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وصلوة شعبان **الاولى صلاة العيدين** وهى سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغى ان يراعى فيها سبعة امور + الاول التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح التكبير ليلة الفطر الى الشروع فى صلاة العيد وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى اخر النهار يوم الثالث عشر وهذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض اكد + الثانى اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة والرداء والعمامة هو افضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج + الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من طريق اخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور + الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة فى المسجد ويحوز فى يوم الضحوان يأمر الامام رجلا يصلى بالضعفة فى مسجد ويخرج بالاثقال مكبرين + الخامس يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى اخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم + السادس فى كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين فى الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل للناس التنفل ثم ينادى منادى الصلاة جامعة ويصلى الامام ركعتين يكبر فى الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق فى الاولى بعد الفاتحة واقتربت فى الثانية والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرات القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها + السابع ان يضحى بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش ونبح بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا منى وعن من لم يضح من امتى وقال صلى الله عليه وسلم من رأى هلال ذى الحجة وأراد ان يضحى فلا يأخذن من شعره ولا من اظفاره شيئا قال ابو ايوب الانصارى كان الرجل يضحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته ويأكلون ويطعمون وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة ايام فما فوق. ذلك وردت فيه الرخصة بعد النهى عنه وقال سفيان الثورى يستحب ان يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة + **الثانية التراويح** وهى عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهى سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا فى ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضى الله عنه الناس عليها فى الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحى قيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضى الله عنه ولان للاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل فى الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد اولى ولم تشرع فيها جماعة وقد خرج العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد

كتفضيل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت وروى انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا تفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما الا الله عز وجل وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما اراه عمر رضي الله عنه فان بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعائر التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكذلك قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا يراءي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان + **اما صلاة رجب** فقد روي باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى اله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في سبع مائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا تبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلاة العيد لان هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكن رأيت اهل القدس يجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها + **واما صلاة شعبان** فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد احدى عشرة مرة وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها ويربما صلوها جماعة روي عن الحسن انه قال حدثني ثلاثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة + **القسم الرابع** من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة * كصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول اليه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الان + **الاولى صلاة الخسوف** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة قال ذلك لما مات ولده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته + والنظر في كيفيتها ووقتها + اما الكيفية فاذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة او غير مكروهة نودي الصلاة جامعة ويصلي الامام بالناس في المسجد ركعتين ويركع في كل ركعة ركوعين واطولهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرأ في الاولى من قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وال عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة او مقدار ذلك من القرآن من حيث شاء ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سورة قصيرة فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين ولكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل لخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية + واما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس خاسفة ويفوت خسوف القمر بان يطلع فجر الشمس اذ بطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثناء الصلاة اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول + **الثانية صلاة الاستسقاء** فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت القناة فيستحب للامام ان يأمر الناس اولا بصيام ثلاثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة لقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة ايضا متميزين لم يمنعوا اذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فيصلي بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير ازر ثم يخطب خطبتين ويبينهما

ل كذا في الشافعي وهو مذهب الحنيفة بركوع واحد مثل سائر الصلوات ١٢

م الغور في الماء في الارض ثم ن البناء هو قناة فارسي معرب ١٢

س والقناة ما يحفر تحت الارض حتى يرى الماء يسقى به الارض ١٢

ع رتع البهائم سرحت ١٢

ف كذا في اربعة نسخ من النسخ الموجودة ١٢

جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا افعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل علاه اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة ثم ان يستقبلهم فيختم الخطبة ويكبرون اردية بهم محولة كما هي حتى ينزعونها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء اللهم امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا بأس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات + **الثالثة صلاة الجنائز** وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء مأثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون انا ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم تبق للقيد وة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطيل بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ثم بيان ان فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتمالها على ذي دعوة مستجابة لما روي كريب عن ابن عباس انه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته قال يقول هم اربعون قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله عز وجل فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر اودخلها ابتداء قال السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منه بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه + **الرابعة تحية المسجد** بركعتين فصاعدا سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الامام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وان اشتغل بفرض او قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا اكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل جلس وجلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات يقال انها تعدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا تكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له ما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فاقاد هذا الحديث فائدتين احداهما ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها او ان ضعف الاسباب قضاء النوافل اذا اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهية باضعف الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي لذلك لا تكره صلوة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات كان لها اسبابا الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وفيه اسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن قد سكت ولا معنى لان نقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت اخر كيلا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه صلى الله عليه وسلم قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل فيقصد به ان لا يتبرد وام عمل وردت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا عز وجل عبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل فليحذر ان يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت الابعاد لما سلطت الملالة عليه + **الخامسة ركعتان بعد الوضوء** مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها

اقرن الكتب بالذنب اتاه وفعل وقارن وقارب ١٢ ازق ٥٢ الزل بفتحتين النزل وما يهيأ للضيف ان ينزل عليه كالنزل ١٢ ان ٥٣ صبر شاغسل خطايا بالماء الثلج والبرد ونقها من خطاياها على فاعلها ان تستعمل او لم تنقها الا يدي ولم تخصها الا الرجل ج وخص الثوب مبالغة ١٢ مجمع ٥٤ شيع فلانا خرج معه ليودعه ويلقم منزله ١٢

الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيأ الا اني لا احدث وضوأ الا صليت عقيبه ركعتين او كما قال + **السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه** + روى ابو سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكريره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء اداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب + **السابعة صلاة الاستخارة** فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه او الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فقدره لي ثم يسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله واجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير اينما كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم ليسلم الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب + **الثامنة صلاة الحاجة** فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه او الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل هذه الصلوة رواها ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم + **التاسعة صلاة التسبيح** وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روي عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا اصبك بشيء اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الا خير وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلاث مائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسليم قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي

لا في كل امر ذي بال لم يبدأ بحمد الله البال الحال والشان ذو بال اي شريف يهتم له ع

لا ليس العزاي اليه من الصفات المختصة به تعالى كما يختص الجاه بالمتجاسر وذو الكبرياء الكبر بالكسر ردائي قوله قال في المجمع العرب تجعل القول عبارة عن جميع الافعال تحو قال بيده اي اخذ وقال برجله مشى وقالت العينان سمعا وطاوعتها اي ابتدرت وقال بثوبه اي رفعه وكوكبة تجارة يجبى اليها اي تجبى اموال التجارة وتحضر اليه غلبك ع

لا وفي اسألك لعاقد العز من عرشك اي بخصال استحق بها العرش العز او لواضع انعقادها منه وحقيقته بعز عرشك ولي ابي حنيفة يكرهون هذا اللفظ ان ورد ويقصد ذكره الدعاء بالمأثور ويقيم على الاول التعلق بعرشه وعلى الثاني يقيم التعلق بالكرسي ولكن جوازه لا اثر ١٢ مجمع

لا وعظمتك ردا لمجد اعظاؤك اي صار مجدا لك والغنى ١٢ مجمع

لا منحك الفتحة بالكسر ١٢ ق

لا جبا فلانا اعطاه بلا جزاء ولا سؤال ومنه جباية الاموال واصبك اعطاك كثيرا ١٢ ق

العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك فى بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شئ من هذه النوافل فى الاوقات المكروهة تحية المسجد وما اوردناه بعد التحية من ركعتى الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل الا استخارة فلان النهى مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى فى الاوقات المكروهة ركعتى الوضوء وهو فى غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب لوضوء فينبغى ان يتوضأ ليصلى لا انه يصلى لانه توضأ وكل محدث يريد ان يصلى فى وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغى ان ينوى ركعتى الوضوء كما ينوى ركعتى التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كما لا يتعطل وضوؤه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض تبع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتى الوضوء فيستحيل ان ينوى بالصلاة الوضوء بل ينبغى ان ينوى بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم ان يقول فى وضوئه اتوضأ لصلاتى وفى صلاته يقول اصلى لوضوئى بل من اراد ان يحرس وضوؤه عن التعطيل فى وقت الكراهية فليتوضأ ان كان يجوز ان يكون فى ذمته قضاء صلاة تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضاء الصلوات فى اوقات الكراهية غير مكروهة فامانية التطوع فلا وجه لها ففى النهى فى اوقات الكراهية مهمات ثلاثة احدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس والثانى الاحتراز من انتشار الشياطين اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوات فى هذه الاوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكى طريق الاخرة لا يزالون يواظبون على الصلوة فى جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات تورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى والانسان حريص على ما منع منه ففى تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتبليغ والاستظهار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع اخر ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل تركبت العبادات من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشئ الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة فى النهى عن اوقات الكراهة الى غير ذلك من اسرار اخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه للمهمات لا تترك الا باسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغى ان يهدم بها مقصود النهى هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم + كمل كتاب اسرار الصلاة من كتاب احياء علوم الدين يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب اسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عليه توكلت وبه اعتصمت واليه انيب واليه المصير وهو على كل شئ قدير +

كتاب اسرار الزكاة وهو الكتاب الخامس من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اسعد واشقى + وامات واحيى + واضحك وابكى + واوجد وافنى + وافقر واغنى + واضر وانفع + الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى + ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى + وخصص بعض عباده بالحسنى + فافاض عليهم من نعمه ما ايسر به من شاء واستغنى + واحوج اليه من اخفق فى رزقه والكدى + اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين اساسا ومبنى + وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى + ومن غناه زكى ماله من زكى + والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى + وشمس الهدى وعلى اله واصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم كثيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام + واردف بذكرها الصلوة التى هى اعلا الاعلام + فقال تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج حق الزكاة قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر ابوذر فقال بشر الكافرين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفى رواية انه يوضع على حلمة ثدى احدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل فقال ابوذر فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رانى قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا او هكذا من بين يديه

ف ٢ وقيل الشمس تطلع بين قرنى الشيطان اى تاميني له وقيل القرن القوة اى حين تطلع يتحرك الشيطان ويتسلط فيكون لها العين لها وقيل بين قرينه اى امته الاولين والاخرين وكل قبيل لين يسجد لها كان الشيطان سهل الى ذلك فاذا سجد لها كان كان الشيطان مقترن بها ٣ ع ٣ ضاف قال الله تعالى كيف ضيف اضافه الله ١٢ ق

ف ٣ اضافه ارضاه واعطاه ٤ ع ٤ ايسر ايسارا صار ذا غنى ١٢ ق ٥ ع ٥ الاخفاق ان يغزو فلا يغنم شيئا وكذلك كل طالب حاجة اذا لم تقض له ٦ انباء ٦ ع ٦ الكدى فلان بخيل وقيل فيه وقيل اعطاه قليلا ١٢ ق ٧ ع ٧ الحمر الشوال فى وسط الندى ١٢ ق ٨ ع ٨ النغض بالضم وقد يفتح عرضوف الكتف ١٢ ق

ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليلها هم مامن صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدي الزكاة وقابضها ويتكشف ذلك في اربعة فصول **الفصل الاول** في انواع الزكاة واسباب وجوبها **الثاني** في اداتها وشروطها الظاهرة والباطنة **الثالث** في القابض وشروط استحقاقه واداب قبضه **الرابع** في صدقة التطوع وفضلها **الفصل الاول** في انواع الزكاة واسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر

النوع الاول زكاة النعم ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ والعقل بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه واما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال + الشرط الاول كونه نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها + الثاني السوم فلا زكاة في معلوفة واذا اسيم في وقت وعلف في وقت تظهر مؤنته فلا زكاة فيه + الثالث الحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى من هذا نتاج المال فانه يشتمل عليها حكم المال وتجب الزكاة فيها بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول او وهب انقطع الحول + الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغنى ما يفضل عن الحاجة + الخامس كمال النصاب

اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم تكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلاثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون + **واما البقر** فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ثم فيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع **واما الغنم** فلا زكاة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضأن او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصاب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة تفرقها شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترطان يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا ويكون جميعا من اهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ملكم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد في السن مالم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا يؤخذ في الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا عذاء المال **النوع الثاني زكاة المعشرات** فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي يقتات وفي التمر والزبيب يعتبران يكون ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة بجميعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قد الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب لا يابس والحب لا يابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف + **النوع الثالث زكاة النقدين** فاذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة

ج ١

ع ١ في الثور والكبش اصابه بقرونه ١٢ ق

ع ٢ الخلف بالكسر للبقرة والشاة والناقة وربما سمي بها الفحل لانها بمنزلة الفحل لنا جمعه خلوف والخلاوات ق

ع ٣ النعم وقد يكون مفرده الابل والشاء او خاص بالابل جمعه انعام ١٢ ق

ع ٤ الركز واحد الركاز وهو ما ركزه الله تعالى في المعادن اي غرسه كالركيزة وقيل اهل الجاهلية وقع الذهب والفضة من الاثنين ١٢ ق

ع ٥ وعند الحنفية العقل والبلوغ ايضا شرط

ع ٦ والسوام والسائمة الابل الراعية واسامها ارعاها قاموس والسائمة شرعا هي المكلفة بالرعي المباح في اكثر العام ١٢

ع ٧ سيجيء كذا مرة على وجه الارض فالتحق الحيوان ١٢ ق

ع ٨ بيتا فيه عديم الحساب كما كان من الاول والتفصيل في كتب الفقه

ع ٩ ولا تجب الزكوة عند الحنفية في نصاب شريك من سائمة ومال تجارة الا ان يبلغ نصيبا حد نصاب ١٢

ع ١٠ السمح المال الراعي وسوم المال الرعي ١٢ ق

ع ١١ الصحيح من ربا يربو اذا زاد

ع ١٢ الاكولة التي تسمن للاكل ١٢ وتمامه

ع ١٣ الماخض والحامل التي في بطنها ولد يرجع الولادة ١٢ ق

ع ١٤ الربى التي تربي ولدها الحديث ١٢ نهاية

ع ١٥ الفحل الذكر من الابل ١٢ ق

ع ١٦ عذاء المال صغاره ١٢ ق

ع ١٧ ضرب من الشعير اجود من الشعير ١٢ نهاية

ع ١٨ الاداوي المطر يبقى في الغدران ١٢ نهاية

فيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة ويجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة ويجب الزكاة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على مليء ولكن تجب عند الاستيفاء ان كان مؤجلا فلا تجب الا عند حلول الاجل + **النوع الرابع زكاة التجارة** وهي كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والاولى ان تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في اخر الحول وجب الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستانف له حول كما في النتاج وأموال المضاربة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل اعني حصته وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس + **النوع الخامس الركاز والمعدن** والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا كان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس بعيدا لان مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يختص على الصحيح بالنقدين واما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطرح والتحصيل ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان وان شبهه والعلم عند الله تعالى ان يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خرج عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها مخطر لتعارض الاشباه + **النوع السادس صدقة الفطر** وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من غالب قوت البلد من جنس قوته او من افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكاة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والمسوس ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من تجب عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عن من تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزأتها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم ادى عن احدهم واولاهم بالتقديم من كانت نفقته اكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للفتى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار + **الفصل الثاني** في الاداء وشرطه الباطنة والظاهرة بيان الشروط الظاهرة اعلم انه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة امور **الاول** النية وهو ان ينوي بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان لمال غائب فقال هذا عن مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز كما لو لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه وينبغي الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك للممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الاخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستأنف الزكاة واذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية + **الثاني** البدار عقيب الحول وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من اخر يوم من رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كل من اخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بصدقة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين وهما عجل فمات المساكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف من مال المالك او مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراعيا اخر الامرين وسلامة العاقبة + **الثالث** ان لا يخرج بدلا عن اعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما بعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للمحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في

وصول الحصا اليها فمقصود الشرع فيه الابتداء بالعمل لظهر العبد رقه وعبوديته بفعل لا يعقل له معنى كان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحوائج المعبود فقط لا لمعنى اخر ولهذا اكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استئناس العقل منه بما يميل الـ ـه ويحث عليه القسم الثانى من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الادميين ورد المغصوب فالاجرام لا يعتبر فيه فعل ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى درکهما جميع الناس + والقسم الثالث هو المركب الذى يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم فى نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغى ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والا سترقاق بسبب جلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعى رضى الله عنه فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق الى الافهام وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة الصلاة والحج فى كونها من مبانى الاسلام ولا شك فى ان على المكلف تعبدا فى تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سيأتى والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب فى خمس من الابل شاة فعدل من الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود فى ايدى العرب بطل بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين فلم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ان كانت الثياب والامتعة كلها فى معناها فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا اشارة الغلط فيه **الرابع** ان لا ينقل الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين فى كل بلدة تمتد الى اموالها وفى النقل تخييب للمظنون فان فعل ذلك اجزاه فى قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة ثم لا بأس ان يصرف الى الغرباء فى تلك البلدة **الخامس** ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين فى بلده فان استيعاب الاصناف واجب عليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية فانه شبيه بقول المريض انما ثلث مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك فى التمليك والعبادات ينبغى ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان فى اكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد فى جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعنى ابناء السبيل وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم زكاة ماله بخمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم بثلاثة اسهم فما فوقها اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين احاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف من ثلاثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عشر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه + **بيان** دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف **الوظيفة الاولى** فهم وجوب الزكاة ومعناه ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مبانى الاسلام مع انه تصرف مالى وليس من عبادة الابدان وفيه ثلاث معانى + **الاول** ان التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بانفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب باستنزلوا عن المال الذى هو محبوبهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بايجاد وهو مسامحة بالمهجة تشوقا الى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى فى بذل الاموال انقسم الناس الى ثلاثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فابوا ان يتعرضوا للوجوب بالزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضى الله عنه بجميع ماله وعمر رضى الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما ذا ابقيت لاهلك فقال مثله فقال لابى بكر رضى الله عنه

ل وهذا الحقيقة لا يجب استيعاب الاصناف بل ان ادى الى صنف او صنفين جاز

ن النقل

ن فان

ن تزلت عن الحق زكاته

ن يبقى

ن المهجة الدم او دم القلب او الروح

ماذا ابقيت لاهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثانى درجتهم دون درجة هؤلاء وهم المسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهه وهؤلاء لا ينقصون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد قال الشعبى بعد ان قيل له هل فى المال حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله عز وجل وآتى المال على حبه ذوى القربى الاية واستدلوا بقوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا انه متى ادهمت حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله فى الحال ولا يجوز له الاقتراض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهى درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الوجوب فلا يزيدون عليه ولا ينتقصون منه وهى اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للاخرة قال الله تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اى يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معانى امر الله سبحانه عباده ببذل الاموال * المعنى الثانى التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصى عنه وانما تزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشئ لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا والزكاة بهذا المعنى طهرة اى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى * المعنى الثالث شكر النعمة فان الله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدى شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله * **الوظيفة الثانية** * فى وقت الاداء ومن آداب ذوى الدين المعجل عن وقت الوجوب اظهار الرغبة فى الامتثال وايضا لا للسر قرالى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان يعوق عن الخيرات وعلما بان فى التاخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اشرع تقبله والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب كل لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق فيه وكان فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهى العشر الاول والايام المعدودات وهى ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذى الحجة العشر الاول * **الوظيفة الثالثة** * الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روى ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفى الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطت يمينه وفى الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب قال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مرائ ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ فى قصد الاخفاء جماعة حتى اجتهد وا ان لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد اعمى وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يصرة فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرف شخص واحد فتسليمه الى وكيل يسلم الى المسكين وللمسكين لا يعرفنا ولى اذن فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت

الشهوة مقصودة له حبط عمله كان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك
في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم للمثال عقربا لدغا وصفة الرياء تنقلب افعى من الافاعي وهو مأمور بتضعيفهما او قتلهما ادفع اذاهما او تخفف
اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب موتا للحية فيفقد ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان
لكان الامر اهون عليه وقوت هذه الصفات التي به قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها
فاي فائدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وستاتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة**
الرابعة ان يظهر حيث يعلم ان في اظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرص بستره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة
الرياء في كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ان تبدوا الصدقات فنعما هي ذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل
انما سأل على ملاء من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من رياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ ستره عن الرياء بقدر الامكان
وهذا الان في الاظهار محذور ثالث سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتاذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السؤال فهو
الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا اللمعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من يتستر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتياب بذكره منهي عنه فاما من
اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد
قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية تدب الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه
الفائدة بالمحذور الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف
الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال + **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى
قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسد صدقته
فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى
ان ينهره او يوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان + وعندي ان المن له اصل ومغرس هو من احوال القلب وصفاته
ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح فاصل المن ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله عز وجل
منه الذي هو طهرته وبه نجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض
حق الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله عز وجل حقه
والفقير اخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته الى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسان فاحال به صاحب الدين عبده او خادمه الذي
هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه اما هو قائما يقضي
الدين الذي لزمه بثراء ما اجبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة
او احدها لم ير نفسه محسنا اذ الى نفسه اما بتبذل ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا
للمزيد وكيف ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما جهل هذا الجهل بان رأى نفسه محسنا اليه تفرع منه على
ظاهره ما ذكرنا في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم
في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه + واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام
وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه امران احدهما كراهته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على
نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير لسبب حاجته اخس رتبة منه وكلاهما منشأه الجهل اما
كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضى الله عز وجل
والثواب في الدار الآخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهة لا وجه لها واما
الثاني فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون
الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة فقال ابو ذر ومن هم قال هم الاكثرون اموالا
الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى سخرة له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه لمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم
الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يفتنه لو سلم اليه والغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والزام الشاق

ل ان يعفو عن الحسن الخ
باخذه ويريد انه اصطلح
واوجب عليه حقا وكانوا
يقولون اذا صنعتم صنيعة
ما تمتموها ولبعضهم
وان امرأ اسدى الى كريمة
وذكرتها مرة للكريم
نوابغ الكلم ومنه ان من
ما تم ومن كتم وهو
ومنها ثم الاداء الى المن
والاذى ان يتطاول عليه
بسبب ما نزل اليه
ن الرجل زوجه كما تقدم ق ١٢
ن قد اتفق النسخ هنا
هكذا الا نسخة واحدة فقط
ما رد وذلك لا معنى له على كون
انا بتاء ان حق العبارة تقديم
قوله ويبذل الخ على
بقوله محسنا او تاخير وفيكون
مستقيما بقوله الظهار او محو ما يا
ن قد تقدم في ربع
زوجي في قبض ق ١٢
ند وورش كردن ١٢ فمراد
ن سخرة كنمه سخريا
بالكر ويقهم كلفوه ما لا يطيقه ١٢
قهره ويبوسخرة لي ١٢ ق

وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكلها اعداؤه فانما مهما انفقت الكراهية وتبدلت بالرد والفرح بتوفيق الله تعالى له على ادا الواجب في تقبيضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان تقدير ان الفقير لو جنى عليه جناية او ما لا عدتا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض لا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فبالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب في ان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها المتقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسئله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين هو يستشعر مع ذلك كراهية لو ردوه كان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب بابنه عبد الله رضي الله عنهما فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك ومن حيث العلم لا يعالج القلب الا بمجموع العلم والعمل وهذه الشرائط من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها وثبت هذا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها وبراءة ذمته عنه دون هذا الشرط فحديث اخر قد اشرنا الى معناه في كتاب الصلاة + **الوظيفة السادسة** ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله عز وجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد ورباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير فانه قد تنعم لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل انه من اين له للمال والى ما ذا يصرفه فالمال لله عز وجل والمنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو جدير ان حق الله سبحانه وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الاخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء البخيل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عز وجل فيكون هيئته الانكسار والخجلة كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الاحب عند الله سبحانه وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال عز وجل فيحفكم تبخلوا + **الوظيفة السابعة** ان يتنقى من ماله الجيد واجله واطيبه فان الله تعالى طيب لا يتقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس طوبى لمن انفق من مال مكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد اثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر بذلك صدره هذا ان كان نظره الى الله عز وجل وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى والذي يأكله قضاء وكرى والمال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي ما لا تاخذوه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من اجل ماله واجوده فيصدق ذلك عن الرضى والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز وجل بشئ مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصرف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال حقا ان لهم النار اي كسبهم جعلهم الله ما يكرهون النار + **الوظيفة الثامنة** ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوص صفات فلير اعى خصوص تلك الصفات وهي ستة + الصفة الاولى ان يطلب الاتقياء للمعرضين عن الدنيا المتجردين للتجارة

هذا الكتاب وقف لله تعالى على طلبة العلم الشريف بالقاهرة المحروسة حماها الله تعالى وصانها ولا يباع ولا يشترى ولا يوهب ولا يرهن ولا يغير عما هو عليه الآن بشرط الواقف المؤرخ في سنة ١٣٠٠ هـ

الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وهذا لان المتقي يستعين به على التقوى فتكون شريكه في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ اخر اضف بطعامك من تحبه في الله تعالى وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال لا هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله عز وجل احب الي من ان اعطي الفا من همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه فقال هذا ولي من اولياء الله تعالى فقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد ما لا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل يقعد لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه الصفة **الثانية** أن يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل + **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى ان النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله سبحانه وهو ان يرى ان النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل اذ سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فأعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله عز وجل في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فهما قوى الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف المترددة عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن يتيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب ويتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء كثير وشكره فذلك حركة لسان يقل فيها الكلفة واعانته مثل هذا للوحد لا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الابتلاء واحواله متفاوتة وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك علم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر وقال صلى الله عليه وسلم علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قضى التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله وحده ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الافك قال ابو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمده الا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ اخر انما رضي الله عنها قالت لابي بكر رضي الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك مع ان الوحي دل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيتها لاشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين فقال الله تعالى وَاِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوْبُ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ وَاِذَا ذُكِرَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهٖ اِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَ + ومن تسلم بباطنه عن رؤية الوسائط لا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله سبحانه في تصفية توحيده عن ذلك وعن الشرك وشوائبه + **الصفة الرابعة** ان يكون متسترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا اي لا يلحون في السؤال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب الصدقة على المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال + **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محموسا بمرض او سبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف بهذه الاسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال + **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد فان احد الجرين في الحال تطهير نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه واعتياده

ان الطعام

ان التعليم وان بعض النفع

لا

الفواكه ما يلزم اداؤه

كالغرم بالضم اه قاموس

والغرم مصدر وضع موضع

الاسم اه ٣

بعض نحو فرض بمعنى مفروض

انتهاض كذلك اه ح

٣

قصة قضاء من بارقتل

تغلبة اه مصباح ٣

السبب الجلي وهو ما يتوصل

الى الاستغلال ثم عمم

كل شيء يتوصل به الى امر من

الامور اه مصباح ٥

القطيع كامير الطائفة من الغنم

والنعم ٦ عيلة وعيلولة

مجهول كذلك اه ص

في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله عز وجل والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب العباد بيد الله يثيبها اثابة في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطأ حصل الاول دون الثاني فهذا معنى تفاضل اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله اعلم **الفصل الثالث** في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه ✦ **بيان** اسباب الاستحقاق ✦ اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم لا يملك شيئا ولا مطلوبا بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة الكافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي او مطلوبي اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض لهما من صفات الاصناف الثمانية **الصنف الاول الفقراء** والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال لكسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فانه يخرجه عن الفقر وان قدر على الكسب بالة فهو فقير ويجوز ان يشترى له الة وان قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا اعتبار بقدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة واراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وان كان مكفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب فليس بفقير **الصنف الثاني المساكين** والمسكين هو الذي لا يغني مخلة مخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك الا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج اليه لثلاثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الاخرة ولا يحتاج اليه في الدنيا الا لمجرد التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر وتمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب المعلم والمدرس باجرة فهذه آلته فلا يباع في الفطرة كادوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا يباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كاذخاره كتب طب ليعالج بها نفسه او كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب واعظ فهذا مستغن عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغن عنه فان فضل من قوت يومه شئ لزمته الفطرة فاذا قد حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا يباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الى احداهما فان قال احداهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كان لنسختان من علم واحدا حداهما بسيطة والاخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بجنس هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقاديرها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حد ومحدودة ولكن الفقيه يجتهد فيه برأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ فيه بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط والله اعلم **الصنف الثالث العاملون** وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سواء كانوا من الخليفة او القاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شئ من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح ✦ **الصنف الرابع المؤلفة** قلوبهم على الاسلام وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطائه تقريبه على الاسلام وترغيب نظرائه واتباعه ✦ **الصنف الخامس المكاتبون** ويدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه يعد عبدا له ✦ **الصنف السادس الغارمون** والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة واطفاء فتنة ✦ **الصنف السابع الغزاة** الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو ✦ **الصنف الثامن ابن السبيل** وهو الذي في شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد الحر اعطي بقدر بلغته فان قلت بم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الاخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يحسن اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني عازم فان لم يف استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة

ل وعند الحنفية لا يجوز ان كان ابعد مملوكا ومديونا او كان مملوكا في مكاتب والاجانب ١٢

ع وعند الحنفية الفقير من لا يملك نصابا اي دون نصاب او قدر نصاب فارغ مستغرق في الحاجة والمسكين من لا شئ له ١٢ ق

ع الناس الذي ليس له شئ ١٢ ق

ع العاملين كالمبشر ومن تعرف اصابته بجمع عرفاء والعريف رئيس القوم يعرف بذلك والنقيب بمعنى العريف الرئيس ١٢ ق

ع في الدر المختار سكت عن المؤلفة قلوبهم لسقوطهم اليوم وان العلة وهي ضعف المسلمين لم تعد في اظهر الاقوال عندنا من اغنائهم وردها الى فقرائهم ١٢

ل ارتزاق الجند كرزق الشرط ورواتب العمال ١٢ ق

ل باقي من مصرف

فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسيأتي ✦ **بيان** وظائف القابض وهي خمسة ✦ **الاولى** ان يفهم ان الله عز وجل اوجب عليه
اليه ليكفي همه في تحصيل مؤونتهما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات لكن اموال الدنيا في ايدي عباده لتكون
الله لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه (اي جعل له المال الكثير الفتنة) من الخطر ومنهم من احبه فحماه من الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضوله
وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد
لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويحقق ان فضل الله عليه فيما
زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه وتعالى عونا على الطاعة ولتكن نيته فيه ان
يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله عز وجل فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت
من الله سبحانه **الثانية** ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه
اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد
اثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله
قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم
تستطيعوا فادعوا له حتى تروا ان قد كافأتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع
ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض ثقل المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه
اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي بملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه فلا اخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فان من
لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا ✦ **الثالثة** ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حلة توزع عنه ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من اموال الاتراك والجند وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من
الحرام الا اذا اضطر الامر عليه وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالك معين فله ان يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سيأتي
في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكاة اذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهذا حرام ✦ **الرابعة** ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه
في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ الا المقدار المباح ولا يأخذ الا ما تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذ بالكفاية او الغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وان كان
يأخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ
الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس لاحد ولكن ازاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالسكينة فلينظر
اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر
يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة فمن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاحتمادي هذا على قول الاخذ ظاهر او
للمحتاج في تفاوت الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسيع وهو
ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجة فلا يأخذ ما لا كثيرا بل ما يتم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت
اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حق الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهر او حاجة يومه فهو
اقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد واجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسكوا باخبار روي
سهل ابن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال صلى الله عليه وسلم غداء وعشاء وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى
نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله تعالى الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما لما روي ابن مسعود
انه صلى الله عليه وسلم قال من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش قيل يا غناه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب وقيل اوقية ليس بقوي وقال قوم
اربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا انه صلى الله عليه وسلم قال من سأل وله اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له ان يأخذ مقدار ما يشتري
به ضيعة فيستغني به طول عمره او يمشي بضاعة ليتجر بها ويستغني لان هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان يأخذ
بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل ابو طلحة ببستانه عن الصلاة قال اجعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله في
قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر رضي الله عنه اراضيا نافقة معها طرفها فهذا ما حكي فيه فاما التقليل الى قوت اليوم

ل فهم في اللام كفر قوما الى بغيه فجاءوه تائبين وفحمة تفحيما وافتحمه اقتحاما واقتحم اقتحاما والفحم والفحمة ما يتحلب من الارض وارتفع في الاعبر يا لبعض العرب كالبعير وقد اعبر اعبارا ونزوا وزيا ونزويا وازوى اذا تنحى واعبر اذا مضى واعبر اذا مات واختلف في اسم ابيه فقيل

م الاوقية بالضم وفتح سبعة مثاقيل او اربعون درهما او مائتا درهم

ع الخموشة الخدوش والاثر من الخدش والمقل والتصغير خميشة ولا تقل خمويشة وجمعه كعنب ورجال وفتيات وحرفة الرجل وصناعته وتجارته

ع الظرف بكسر الظاء وسكون الراء وعاء ما يوضع فيه فيوزن او يعد او يذرع

ع الاحتفاء المبالغة في السؤال

ن فاضل الفدن فدن

او الاولية فذلك ورع وكراهية السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها او ترقى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الامرات والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير يجزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا لاثم حواز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيأ مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لقاءهم قيود ومطلقات من الضرورات فيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين بطريق الآخرة **الخامسة** ان يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذ منه فانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يعرف الى الاثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما بجهل واما لتساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآدابها في اخذها واعطائها

بيان فضيلة الصدقة + **من الاخبار** قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم ما احسن عبد صدقة الا احسن الله عز وجل الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم ما الذي اعطي من سعة بافضل الجزم من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التقرب للدين فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا قال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل صدقة لآل محمد انما هي اوساخ الناس وقال رد واما مذمة السائل ولو بمثل راس الطائر من الطعام وقال صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من ردّه وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا من بيته لم تغشه الملائكة تلك البيت سبعة أيام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة + **الآثار** قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقوع وقال مجاهد في قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فقالوا يطعمونهم يشتهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عندي حيارنا لعلهم يعودون به علي في الحاجة منا وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سترها على علانيتها بسبعين ضعفا وانما التفكة تحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه بر خيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال القمان لابنه اذا خطا خطيئة فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب رفعه مسندا وقال عمر رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال عبيد ابن عمير يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله عز وجل اشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كساه الله عز وجل كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا ارى باسا بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس ترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة + **بيان** اخفاء اخذ الصدقة واظهارها + قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى ان الاظهار افضل ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه + **اما الاخفاء ففيه خمسة معان** الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان أخذ ظاهر هتك ستر المروءة وكشف عن الحاجة وخرج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحجبهم الجاهل غنيا من التعفف + الثاني انه اسلم لقلوب الناس ولالسنتهم فانهم ربما يحسدونه وينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر

وصيا انتهوا عن هذه الجرائم اولى وقال ابو ايوب السختياني انى لاترك لبس الثوب تحديث خشية ان يحدث فى جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشئ لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه رئى عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كساني اخي خيشة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته * الثالث اعانة المعطى على استار العمل فان فضل الستر على الجهر فى الاعطاء كثير والاعانة على تمام المعروف معروف والكتمان لايتم الا باثنين فهما اظهر هذا انكشف امر المعطى دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا فى السر فقبله فقيل له فى ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فى اخفاء معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه فى عمله فرددت عليه عمله واعطى رجل البعض الصوفية شيئا فى الملاء فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقيل لبعض العارفين فى السر شيئا كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم اكعونا ك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على بر وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته * الرابع ان فى اظهاره الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول انى فى اظهاره اذلا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذى ادفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله * الخامس الاحتراز عن شبهة الشرك قال صلى الله عليه وسلم من اهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فانفراده بما يعطى فى الملاء مكروه الا برضى جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة * **اما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة** الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمزاة الثانى اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت اخذا فانك لا تخلو عن احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل تزداد فى قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذى يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سببا مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا ينظر له الا الى الله عز وجل والستر والعلانية فى حقه واحد فاختلاف الحال شرك فى التوحيد قال بعضهم كنا لا نعيب بدعاء من يأخذ فى الستر ويرد فى العلانية والالتفات الى الخلق حضر والام غابوا نقصان فى الحال بل ينبغى ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد حتى ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين ذلك فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما امرنا به الشيخ وقال ذلك المريد لم اقدر عليه فان الله كان يرانى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله عز وجل * الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران للنعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا فى السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر فى امور الآخرة افضل فلذلك قال بعضهم اذا اعطيت فى الملاء فخذ ثم رد فى السر والشكر فيه محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والشكر قائم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه بما هو اهله حتى تعلموا ان قد كافأتموه ولما قال المهاجرون فى الشكر يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم تاسمونا الاموال حتى خفنا ان قد ذهبوا بالاجر كله فقال صلى الله عليه وسلم كلا ما شكرتم واثنيتم به عليهم اى هو مكافاة فالان اذا عرفت هذه المعانى فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو لاختلاف حال فكشف الغطاء فى هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء او التجمل فى كل حال والاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغى ان يكون المخلص لما قبا نفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا يخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار مع ان له مدخلا فى كل واحد منهما فاما مدخل الخداع فى الاستار من ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين وبه يتمكن فى النفس الشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى تتسلسل المعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر واحد وهو ان يكون تأله بانكشاف اخذه للصدقة كتأله بانكشاف صدقة اخذها بعض نظرائه وامثاله فانه ان كان ينبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او ينبغى انتهاك الستر واعانة المعطى على الاستار او صيانة العلم عن الابتذال وكل ذلك انما يهم بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى اغاليط وابا طيل من مكر الشيطان وخدعه واذا زال العلم محذور من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مذموم لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن تحذر الاحوال [illegible] الشيطان عنه والا لا يزال كثير النفس قليل الحظ واما عالم ظاهر مائل الى [illegible] من حيث انه تطيب القلب

المعطى واستحقارك له على مثله واظهاره عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصد الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطى وكالى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة في الشكر فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطى فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي لا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصر على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع انه صلى الله عليه وسلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال صلى الله عليه وسلم في اخر اذا جاء كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وقال صلى الله عليه وسلم اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايت في ذلك نعمة من الله عز وجل علي فاشكره لا فلا تشكر فقد فاتك هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وسمانة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل فعلى الجملة فالاخذ في الملاء والرد في الستر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويق الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي الستر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر الذي يتحدث به ولا يرى نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكاة ؛ كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون باخذ الزكاة دون الصدقة اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكاة لاثموا ولانه لا منة فيه وانما هو حق واجب لله سبحانه رزقا للعباد المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان للتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة وابعد من التكبر اذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنغيص على قول الاخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة من تصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان يأخذ الزكاة فاذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى غير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه فليأخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع للمساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والاثم فيهما متفاوت واخذ الزكاة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال والله اعلم ؛ تم كتاب اسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب اسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين من اهل السموات والارضين وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب اسرار الصوم ومهماته وهو الكتاب السادس من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعظم على عباده للته ؛ بما دفع عنهم كيد الشيطان وفتنه ؛ وتداوله وخيب ظنه ؛ اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنته ؛ وفتح لهم به ابواب الجنة وزحزحهم ازوسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة ؛ وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ؛ طاهرة الشوكة في تصميم خصمها قوية المنة ؛ والصلاة على محمد قائد الحق وممهد السنة ؛ وعلى اله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المزججة ؛ وسلم تسليما كثيرا **امابعد** فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وهو مميز بخاصية اضافة الصبر الى الله تعالى من بين سائر الاعمال كما قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه تقدير المقدرين وحساب الحاسبين وفي معرفة فضل قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا

الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه وقال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وسلم لكل شئ باب وباب العبادة الصوم وقال صلى الله عليه وسلم نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى منادى يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر اقصر وقال كيسان فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية هى ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد فيقول ايتها الشاب التارك شهوته لاجلى المبتذل شبابه لى انت عندى كبعض ملائكتى وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم يقول الله عز وجل انظروا يا ملائكتى الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى وقيل فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصابر جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات يشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله عز وجل فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد والثانى انه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها داومى قرع باب الجنة قالت بماذا قال صلى الله عليه وسلم بالجوع وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شهوة الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا للسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله عز وجل ففى قمع عدو الله نصرة الله سبحانه ونصرة الله تعالى للعبد موقوف على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهى مرتع الشياطين ومراعهم فما دامت مخصبة لم ينقطع تردد هم وما داموا يتردد ون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال صلى الله عليه وسلم لو لا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ويتبين ذلك بثلاثة فصول **الفصل الاول** فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافسادها + **اما الواجبات الظاهرة فستة** + **الاول** مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعنى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضى به فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه واذا رأى الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب **الثانى** النية ولابد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذى عنينا بقولنا لكل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذى عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة لان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل وكذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب حال كالشك فى الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا الليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال فى وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه تردد باللفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها + **الثالث** الامساك عن ايصال شئ الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل فى الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذباب يسبق الى جوفه او ما يسبق الى جوفه فى المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ فى المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذى اردنا بقولنا عمدا فاما ما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسى فانه لا يفطر اما من اكل عامدا فى نظر فى النهار ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقى على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغى ان يأكل فى طرفى النهار الا بظن واجتهاد **الرابع** الامساك عن الجماع وحده تغيب الحشفة وان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا واحتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع فى الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة **الخامس** الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المنى قصدا بعمل او بغير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او ما لكا لاربه فلا بأس بالتقبيل وتركه اولى وان كان من يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المنى افطر

ل صفحه بصفحه شده واو ثقه كما صفحه و صفحه ١٢ ان

ك افرغت الشئ صببته اذا كان سيلا من جمد ذا بيت مصباح

ج الجزاف بيع الشئ لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده جازف مجازفة من باب قاتل والجزاف بالضم خليج من القياس وبوغاز معرب كزاف ويقال لمن يرسل فى كلامه ارسالا من غير قانون جازف فى كلامه فاقبح نحو لهو ابعد مقام الكيل والوزن ١٢ مصباح

ش شره كفرح غلب حرصه ١٢ ن

ق قمعه ذله وقهره بالقمع ١٢ مصباح

خ الخضب بالكسر الحمرة والشعر فاقه ليعيز وبابه ضرب بالكسر والخضاب مخضب كمحسن فى كلامه ومقدم ١٢ ن

ح حام الطائر حول الماء حوما ناداره ١٢ مصباح

و وعند الحنفية لا اختلاف الطباع على فساد الذبيحة وعليه اكثر المشايخ وعليه الفتوى

ف فى الله المختار فتح او اصوم رمضان والنذر المعين والنفل بنية من الليل غلا فصح قبل الزوال وبعده لا عنده الى الظهر الكبرى لا بعدها ولا عندهما اعتبارا لاكثر اليوم ويطلق النية بعد الصوم وبينه نقل لعدم الازدحام وبخطأ فى وصف كنفلا آخر فى اداء او واجب آخر فى اداء رمضان فخطأ شامى ١٢

ه عند الحنفية ان سبق فى المضمضة شئ الى الجوف خفيا فيفطر ولا بل يتبين بعد المضمضة وعند الحنفية ان صبر ولم يجر كفر ولم يفطر لانه كفارة ١٢

لتقصيره **السادس** الامساك عن اخراج القيء فالاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه واذا ابتلع نخامته من حلقه او صدره لم يفسد رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك **واما لوازم الافطار** فاربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبيها بالصائمين **اما القضاء** فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا **واما الكفارة** فلا تجب الا بالجماع واما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم شهرين متتابعين وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا **واما الامساك** بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بالغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا الرفيق لا يطيق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما **واما الفدية** فتجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا **واما السنن** فست تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر والماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائل في الزكاة ومدارسة القران والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير في عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب وادأب اهله اي ادأبوا النصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه الاوتار ليلة احدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان لم يعتكف او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة او شهادة او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضأ في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل اخر وكان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسئل عن المريض الا مارا ولا ينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالطيب وعقد النكاح ولا بالاكل والنوم وغسل اليدين في الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان صلى الله عليه وسلم يدني راسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فاذا عاد ينبغي ان يستانف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا وهو الافضل مع ذلك التجديد

الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الاثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الاخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الاخرة وليس من الدنيا حتى قال ابو تراب القلوب اذا تحركت همته للتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور **الاول** غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله اثابه الله عز وجل ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن النبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة **الثاني** حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القران فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وجاء في الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال صلى الله عليه وسلم قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأ اناه فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحوم هم **الثالث** كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع واكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقال عز وجل لولا ينهاهم الربانيون

ج ١

والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى ايضا انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم **الرابع** كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو لكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذى يفطر على الحرام وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام **الخامس** ان لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يملأ فاه ومعاء البطن الى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه فى الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل فى عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم لخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة من ضحوة نهارها الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وابتعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى القود الى الشر ورول يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان يأكل اكلته التى كان يأكلها كل ليلة لولم يصم فاما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عنده ذلك قلبه وليستيقظ فى ليله قدرا من الضعف حتى يخف عليه التهجد واوراده وعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شئ من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر ومن حجل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لو تخلى همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الامر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الاطعمة ان شاء الله عز وجل **السادس** ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين ولكن لذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن ابى الحسن البصرى انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوام ففازوا وتخلف قوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسئ باساءته اى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى اعد لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه اهون من الصبر على عذابه هذه هى المعانى الباطنة فى الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هى اضعف من هذه الادلة التى اوردناها فى هذه الشروط الباطنة لا سيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الاخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان يتبتة فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله عز وجل والذى يقتدى بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب قربا بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاى جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم ولذة من ذوى يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمقارفة الآثام كمثل من مسح على عضو من اعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى انظار العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه لجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه

ل الصوم والقصد والتقرب
ل والعطش والجوع والرفع
ل الصوم الذى
ل انما كم
ل فازوا وخابوا
ل فاز وخاب

عن الكاره لمن غسل اعضاءه مرة مرة فضلا ته متقبلة ان شاء الله لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما لمن غسل كل عضو ثلاثا
مرات جمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الصوم امانة فليحتفظ احدكم بامانته ولما تلا قوله عز وجل ان الله يأمركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا ان من امانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم فليقل
انى صائم اى انى اودعت لسانى لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة
طبقات فاليك الخيرة الآن فى ان تقنع بالقشر عن اللباب وتتميز الى غمار ارباب الالباب **الفصل الثالث** فى التطوع بالصيام وترتيب
الاوراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتاكد فى الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل
اسبوع **اما فى السنة** بعد ايام رمضان: فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر
الحرم مظان الصوم وهى اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه لم يفطر رمضان وفى الخبر
افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم لانه ابتداء السنة فبناؤها على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم
يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلاثين من شهر حرام وفى الحديث من صام ثلاثة ايام من شهر
حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة سبعمائة عام وفى الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب
ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان
يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلاثة الا ان يوافق ورده فكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان والاشهر
الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه
الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليس
من اشهر الحج وفى الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله عز وجل من ايام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة
منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل الا من عقر جواده واهريق دمه **واما**
ما يتكرر فى الشهر: فاول الشهر واوسطه واخره ووسط الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر **واما فى الاسبوع**
فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هى الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات **واما صوم**
الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما
ان لا يفطر فى العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والاخر ان يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب
ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فاذا لم يكن شئ من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة
والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد
تسعين ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس وهو
فى قهرها وقد ورد فى فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا ولكنى
الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صوم اخى
داود صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصوم وهو يقول
انى اريد افضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك وقد روى انه
صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم
يوما ويفطر يومين واذا صام ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الاخر فهو ثلث وواقع فى الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين
والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيلة فالكمال فى ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب
وتفريغ الهم لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضى حاله دوام الصوم ويقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الافطار بالصوم
واذا فهم المعنى وتحقق حده فى سلوك طريق الاخرة ومراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روى انه
صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب
ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان يوالى بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق

و ذكروا ان ذلك يقسى القلب و يولد ردىء العادات و يفتح ابواب الشهوات و لعمرى هو كذلك فى حق اكثر الخلق لا سيما من يأكل فى اليوم و الليلة مرتين
هذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به و الله اعلم بالصواب تم كتاب اسرار الصوم و الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها و ما لا نعلم
على جميع نعمه كلها ما علمنا منها و ما لا نعلم و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم و كرم و على كل عبد مصطفى من اهل الارض و السماء يتلوه
ان شاء الله تعالى كتاب اسرار الحج و الله المعين لا رب غيره و ما توفيقى الا بالله و حسبنا الله و نعم الوكيل

كتاب اسرار الحج و مهماته و هو الكتاب السابع من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا و حصنا و جعل البيت العتيق مثابة للناس و امنا و اكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا و تخصيصا
و منا و جعل زيارته و الطواف به محاجا بين العبد و بين العذاب و مجنا و الصلاة على محمد نبى الرحمة و سيد الامة و على آله و صحبه قادة الحق
و سادة الخلق و سلم تسليما كثيرا اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام و سائر عباده العمر و خاتم الامر و تمام الاسلام و كمال الدين به
انزل الله عز و جل اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا و فيه قال صلى الله عليه و سلم من مات و لم يحج
فليمت ان شاء يهوديا و ان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال و يساوى تاركها اليهود و النصارى فى الضلال و اجدر
بها ان تصرف العناية الى شرحها و تفصيل اركانها و سننها و آدابها و فضائلها و اسرارها و جملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز و جل فى ثلاثة ابواب
الباب الاول فى فضائلها و فضائل مكة و البيت العتيق و جمل اركانها و شرائط وجوبها الباب الثانى فى اعماله الظاهرة على الترتيب من مبدأ
السفر الى الرجوع الباب الثالث فى آدابها الدقيقة و اسرارها الخفية و اعمالها الباطنة

فلنبدأ بالباب الاول و فيه فصلان الفصل الاول فى فضائل الحج و فضيلة البيت و مكة و المدينة حرسهما الله تعالى و شد الرحال الى المشاهد

فضيلة الحج قال الله عز و جل و اذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق قال
قتادة لما امر الله عز و جل ابراهيم صلى الله عليه و سلم و علينا و على كل عبد مصطفى ان يؤذن فى الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله عز و جل
بنى بيتا فحجوه فاسمع الله نداءه كل من يريد الله ان يحج من الذرية الى يوم القيمة و قال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة فى الموسم
و الاجر فى الاخرة و لما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم و رب الكعبة و قيل فى تفسير قوله عز و جل لاقعدن لهم صراطك المستقيم اى طريق
مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها و قال صلى الله عليه و سلم من حج البيت فلم يرفث و لم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه و قال ايضا
صلى الله عليه و سلم ما رأى الشيطان فى يوم اصغر و لا ادحر و لا احقر و لا اغيظ منه يوم عرفة و ما ذاك الا لما يرى من نزول الرحمة و تجاوز الله
عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة و قد اسند جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر بعض
المكاشفين من المقربين ان ابليس لعنة الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوف الظهر فقال
له ما الذى ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بالتجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزننى ذلك قال فما الذى احل جسمك قال صهيل
الخيل فى سبيل الله عز و جل و لو كانت فى سبيلى كان احب الى قال فما الذى غير لونك قال تعاون الحاج على الطاعة و لو تعاونوا على المعصية كان
احب الى قال فما الذى قصف ظهرك قال قول العبد اسالك حسن الخاتمة اقول يا ويلتى متى يجب هذا بعلة اخاف ان يكون قد فعل و قال صلى الله
عليه و سلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة و من مات فى احد الحرمين لم يعرض و لم يحاسب و قيل
له ادخل الجنة و قال صلى الله عليه و سلم ايضا حجة مبرورة خير من الدنيا بما فيها و حجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة و قال صلى الله عليه و سلم الحاج
و العمار وفد الله عز و جل و زواره ان سالوه اعطاهم و ان استغفروه غفر لهم و ان دعوا استجيب لهم و ان تشفعوا شفعوا و فى حديث مسند
من طريق اهل البيت عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لم يغفر له و روى ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه و سلم انه قال ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة و عشرون رحمة ستون للطائفين و اربعون للمصلين و عشرون للناظرين و فى الخبر استكثروا
من الطواف بالبيت فانه من اجل شىء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة و اغبط عمل تجدونه و لهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج و لا عمرة و فى الخبر من
طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة و من طاف اسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه و يقال ان الله عز و جل اذا غفر لعبد ذنبا فى
الموقف غفر لكل من اصابه فى ذلك الموقف و قال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة و هو افضل يوم فى الدنيا و فيه حج رسول الله

صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل عليه قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال اهل الكتاب لو انزلت هذه الاية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت هذه الاية في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ويروى ان علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافئك بها يوم القيامة فاخذ بيدك فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا اقدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان وعقيب غزو او عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسئلوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال لا خر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا وعظمت غما شديدا وهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما قضيت من عرفة وبت عند المشعر الحرام فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيأتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه ايضا رضي الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تتقبل حجه قال فرايت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تتسخى علي فانا خلقت السخاء والاسخياء وانا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته **فضيلة البيت** ومكة المشرفة قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت ان يحج في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله عز وجل بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروى انه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا كرم الله وجهه ورضي عنه فقال يا ابا الحسن ها هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال علي رضي الله عنه يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه ان صوم يوم فيها بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذلك كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح عمرة في رمضان تعدل حجة معي وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق الارض عنه ثم اتى اهل البقيع فيحشرون معي ثم اتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان ادم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الاثر ان الله عز وجل ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن راه طائفا غفر له ومن راه مصليا غفر له ومن راه قائما مستقبل القبلة غفر له وكوشف بعض الاولياء رضي الله عنهم قال اني رايت لثغور كلها تسبح الا عبادان ورايت عبادان ساجدة جمعة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال فلا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به احد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سببا لغور الماء من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها اثرا وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض ملوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته

ثم اخرب الدنيا على اثره **فضيلة المقام** بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة
الاول خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ولهذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا
ويقول يا اهل اليمن عينكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه منع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت
ان يبسأ الناس بهذا البيت **الثانى** تهيج الشوق بالمفارقة لينبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وامنا اى يثوبون
ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم لا تكون فى بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان
تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد اخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى
عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عزوجل **الثالث** الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحرى ان يورث مقت الله
عزوجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد المكى قال كنت ذات ليلة فى الحجر اصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله
اشكو ثم اليك يا جبرائيل ما القى من الطائفين حولى من تفكههم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتقضن انتقاضة يرجع كل
حجر منى الى الجبل الذى قطع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اى انه على مجرد الارادة ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله
عنه يقول الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم وقيل الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الى من ان اذنب ذنبا واحدا
بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ونحو ذلك انتهى بعض المقيمين الى ان لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة
وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور دور مكة وقال تظن ان كراهة المقام تناقض فضل
البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فنعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اى بالاضافة الى مقام مع
التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة
وقال انك لخير ارض الله عزوجل واحب بلاد الله تعالى الى ولولا انى اخرجت منك لما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات
فيها مضاعفة كما ذكرناه **فضيلة المدينة** على سائر البلاد ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالاعمال فيها ايضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة
بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذا سائر الاعمال وروى ابن عباس عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة فى مسجد المدينة بعشرة الاف صلاة وصلاة فى المسجد الاقصى بالف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف
صلاة وقال صلى الله عليه وسلم لو يصبر على شدتها ولاوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية الا التفاوت فان المقام بها للمرابطة
فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء
الى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما بينى لى ان الامر كذلك بل الزيارة ما مور بها قال صلى الله
عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديث انما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد لان المساجد بعد
المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد اخر واما المشاهد فالمتشاوى بل بركة زيارتها على قدر رجائهم عند الله
عزوجل نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحل الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم لبيت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد
الرحال الى قبور الانبياء عليهم السلام مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة فاذا جوز هذا فقبور الاولياء
والعلماء والصلحاء فى معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة اما المقام فالاولى
بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم
للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله عزوجل والخلق عباده فاى موضع رايت فيه رفقا فاقم
واحمد الله تعالى وفى الخبر من رزق من شئ فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت سفيان وقد جعل
جرابه على كتفه واخذ قلته بيده فقلت الى اين يا اباعبد الله قال الى بلد املاء فيه جرابى بدهم وفى حكاية اخرى يلغى عن قرية فيها رخص اقيم فيها
قال فقلت وتفعل هذا يا اباعبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يومن فيه

ع ١ ر ١ بفتحتين ويسكن ثانيه ويضم ثم سين مهملة ثم راء ثم هاء
ع ٢ ثلثة ارض الكوفة وقيل
ع ٣ كصرح ما ارتفع من الارض
ع ٤ ما يجعل فيه الزرع
ع ٥ ما وبا الرجل ما يبوء
وبا الامر ما يبوء
ع ٦ ما تبوأ من الارض
ع ٧ ما تهيأ لك من الارض
ع ٨ اخطب الدار بالخاء المعجمة
ع ٩ الشمال ريح تهب
ع ١٠ الاولى بالمعنى
ع ١١ فصل زراعة

ثانيا تضاعف
من صبر على شدتها ولاوائها

على الخامليين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عن انه قال والله ما ادرى اى البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل مكة قال امكنة تذيب الكيس والبدن وقال الرجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فاوصنى قال اوصيك بثلاث لا تصلين فى الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه لشهرته فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع **الفصل الثانى** فى شروط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته **اما الشرائط** فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبى ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة وجميع السنة وقت للعمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغى ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى **واما شروط** وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبى او العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة او بمزدلفة وعادا الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاساءة وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الاسلام لا الوقت **واما شرط** وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فهو براءة ذمته عن حجة الاسلام فالحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن افسده فى حالة الرق ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه **واما شروط** لزوم الحج فخمسة البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولو يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج **واما الاستطاعة** فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب ما فى نفسه فالصحة واما فى الطريق فبان تكون خطته آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر واما فى المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة وان يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة وان يملك ما يقضى به ديونه وان يقدر على راحلة او لها محمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما النوع الثانى فاستطاعة المغصوب بماله وهو ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب لزم من صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج فى تركته حج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى قال عمر رضى الله عنه لقد هممت ان اكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله عز وجل رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت قال الحج **واما الاركان** التى لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف والسعى بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن ترك وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمى فيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب **واما وجوه** اداء الحج والعمرة فثلاثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثانى القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض فى الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شئ عليه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضرى المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلوة الثانى ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان تكون عمرته فى اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج قبل يوم النحر متفرقا او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن ان لم يصم الثلاثة حتى

رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران **واما** محظورات الحج والعمرة
فستة الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكعبان فان لم يجد ازارا فسراويل
ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرم في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يمس
فان احرامها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية عن دم
شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان
بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في
الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر عني ما يؤكل او هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله
من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل **الجملة الاولى** في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي
ثمان **الاولى** في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده
من الودايع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء
ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف ويكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير
ليحصل رضاه فيه **الثانية** في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه لمن نسي ذكره وان ذكر اعانه وان حبن شجعه وان عجز قواه وان
ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين ولخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في ادعيتهم خيرا والسنة في الوداع
ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه وزودك الله التقوى وجنبك
الردى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت **الثالثة** في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين ويقرأ في الاولى بعد الفاتحة
قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر
وانت الخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب حفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم
انا نسالك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا السلامة في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك
محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك
ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك **الرابعة** اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله
رب اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لو خرج اشرا او بطرا او رياء ولا سمعة
بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك
توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه **الخامسة**
في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم الى وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت
حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا نهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور **السادسة** في النزول والسنة ان لا ينزل حتى
يحمي النهار ويكون اكثر سيره بالليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقل نومه بالليل حتى يكون ذلك عونا على السير
ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب
الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرهم
فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا اجن عليه الليل يقول
يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن
البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم **السابعة** في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة

لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في اخر الليل نصب ذراعه نصا و
جعل راسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره لانه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون مما يفوته
من الصلاة افضل مما ينالة من الحج والاحب في الليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الاخر فهو السنة فان قصد عدو
او سبع في ليل او نهار فليقرأ اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله
لا يأتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله
قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم رحمانا بقدرتك
علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافتك ورحمتك انك انت ارحم الراحمين **الثامنة** مهما علا او اشرف
من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبحك ومهما خاف الوحشة في سفره
قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت **الجملة الثانية** في اداب الاحرام من الميقات الى
دخول مكة وهي خمسة **الاول** ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام يعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يجرم الناس منه ويتم غسله بالتنظيف و
بسرح لحيته ورأسه وبقلم اظفاره ويقص شاربه وليستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة **الثاني** ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام
فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض من ثياب احب الى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا باس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد روي ان عمر
المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام كما كان استعماله قبل الاحرام **الثالث** ان يصلي بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته
ان كان راكبا او يبدأ بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن
السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك
وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد **الرابع** اذا انعقد احرامه بالتلبية
المذكورة فيستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين
استجابوا لك وامنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج
اللهم قد احرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الاخرة ومن
الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها **الخامس** يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق
وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول افعالها صوتة بحيث لا يجهد حلقه ولا يبحه فانه لا يتاتى اصم ولا غائبا كما ورد في الخبر
ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها منظنة المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا ترفع
فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الاخرة **الجملة الثالثة** في اداب دخول مكة الى الطواف
وهي ستة **الاول** ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسال المستحب المسنون في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف
القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم بمزدلفة ثم لطواف الزيارة ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمار الثلاث والاغتسال لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع وليس
الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود الى سبعة **الثاني** ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة
اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وامني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك **الثالث**
ان يدخل مكة من اعلاها من ثنية كداء بفتح الكاف على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها والثانية به اولى واذا خرج خرج من
ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا **الرابع** اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل الا اله الا الله
والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام وذلك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم
فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه او اعتمره تكريما وتشريفا اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم
الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع
انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسالك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري
الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك

والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك واسالك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك **السادس** ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسيدك اليمنى وتقبله وتقول اللهم امانتى ادیتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك فلا يدرج على شئ دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف **الحالة الرابعة** فى الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما القدوم واما لغيره فينبغى ان يراعى امور استة **الاول** ان يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه ابلح فيه الكلام فليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيخرج طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التى سنذكرها **الثانى** اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا لئلا يكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر الجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بارض ويلتبس والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف فى البيت والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد ان ضيق على الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف **الثالث** ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمى ودمى على النار وامنى من اهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والاخرة ثم يسير الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول اللهم انى اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقنى بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظمأ بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامى قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليمانى قال اللهم انى اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزى فى الدنيا والاخرة ويقول بين الركن اليمانى والحجر الاسود اللهم ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر الاسود قال اللهم اغفر لى برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط فيدعو بهذه الادعية فى كل شوط **الرابع** ان يرمل فى ثلاثة اشواط ويمشى فى الاربعة الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا وهو دون العدو فوق المشى المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد والا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع القرب من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف ويرمل ثلاثا ثم يقرب الى البيت فى المزدحم ويمشى اربعا وان امكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الاحب وان منعته الزحمة اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من بين سائر الاركان وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليمانى ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل والتعفير فى الركن اليمانى على الاستلام اعنى اللمس باليد فهو اولى اذ هو الاشهر فى الرواية **الخامس** اذا توالى طواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتى من النار واعذنى من الشيطان الرجيم واعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما اتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلنى من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لو اليه تنحوا عنى حتى اقول لربى بذنوبى **السادس** اذا فرغ من ذلك ينبغى ان يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا ايها الكافرون وفى الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهرى مضت السنة ان يصلى لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل السبوع طواف وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى واغفر لى فى الاخرة والاولى اللهم اعصمنى بالطاعة حتى لا اعصيك واعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببنى الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى الى الاسلام فتبتنى عليه بالطافك وولائك واستعملنى طاعتك

وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف فان صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة وهذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدئ بالحجر بحيث يجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات **الجملة الخامسة** في السعي: فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجا في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل ترقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحق ثم فينبغي ان لا يخلها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يستقبل البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا دائما وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجة عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعي وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينته حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو اول ما يلقاه اذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة وليسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان **الجملة السادسة** في الوقوف وما قبل الحاج اذا انتهى الى عرفات فلا يفرغ طواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابراهيم عليه السلام الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي بما منت به على اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني واقضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابراهيم عليه السلام فصلوا في الوادي واخريانه من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بحجرات كبار فوضت ثم والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقلع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكبر على الدعاء اخرى وينبغي ان لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي العام الاتي وليكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء فمن مثل ذلك البقعة

ومثل ذلك يجهر ترجى به الدعوات والادعاء المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن السلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري
نورا وفي لساني نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري وليقل اللهم رب لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي و
مماتي واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدور وشتات الامور وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل
وشر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني
بالهدى واغفر لي في الاخرة والاولى ياخير مقصود واليسر منزول به والكرم مسئول ملديه اعطني العيشة افضل ما اعطيت احدا من خلقك وحجاج
بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رافع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسمرات سمعت اليك الاصوات بضروف اللغات تسالك
الحاجات وحاجتي ان لا تنساني في دار البلاء اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شئ
من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل
وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك
رب شقيا وكن لي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهي من مدح لك نفسه فاني لائم نفسي الهي خرست لمعاصي لساني فما لي وسيلة
من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي انا علم ان ذنوبي لو تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ
رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني ورحمتك وسعت كل شئ وانا شئ الهي انح ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها
لي يا كريم الهي انت انت وانا انا العوّاد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تحببت
عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي عنك و
فقري اليك وغناك عني لا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام اتوسل اليك فاغفر لي
جميع ذنوبي واصرفني عن موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالتك وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني
الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقرلك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك من عملة تائب اليك من اقترافه
مستغفرلك من ظلمه متنصل اليك في العفو عنه طالب اليك في نجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن
احسن فبرحمتك يفوز ومن اخطأ فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك نحن واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك
رجونا ومن عذابك اشفقنا واليك بالثقل الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب
يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يرشى يا من لا يزداد على كثرة السوال الا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا
واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل داع
ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفى ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر
العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت النفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت
بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اوليائك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت السموات والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى
خضعت كل شئ لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت وان احسنوا تفضلت وقبلت وان عصوا سترت وان اذنبوا عفوت
وغفرت واذا دعونا اجبت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين
فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيها نقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا
ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو
عن من ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك
عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله شان عن شان ولا سمع عن سمع لا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه
المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر
ولوالديه وجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شئ وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من

اجمل وقال بكر المزني قال رجل يا نظرت الى اهل عرفات لظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم **الجملة السابعة** في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف: فاذا افاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار ويجتنب وجيف الخيل ويفعل الابل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله سيروا سيرا جميلا لا توطئوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها الان المزدلفة من الحرم فليحذر ان قد دخل وقت دخوله ما شيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا لها باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب العشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض فاذا جاز ان يؤدى النوافل مع الفرائض لتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولا ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز اداته على الراحلة لما ومأتاليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولو بيت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم اذا انتصف الليل ياخذ في التاهب للرحيل ويتزود الحصى منها فيها احجار خوة فياخذ سبعين حصاة فالها قدر الحاجة ولا بأس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليها طراف البراجم ثم ليغتسل بصلاة الصبح وليأخذ في المسير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام ابلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب له ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا يشغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبلي القبلة في الجادة والرامي مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر من مواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح وكيفيته ان يقف مستقبلا القبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي بسبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة الله اكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك واوبك واليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابراهيم والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة او البقرة والضأن افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كانت من هدى التطوع ولا يضحيين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقى اي لا مخ لها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثب لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه وبهما حلق بعد رمي جمرة العقبة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحذورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف الركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر والآخر لا وقت له بل له ان يأخر الى اي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بالعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير بهذه الثلاث مع الدم

ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم غني الحجاج بعد خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على متن الجادة ويرمي اليها بسبع حصيات فاذا تعداها اخرف قليلا عن متن الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا اصلى الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي يوم النفر الثاني احدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم وليتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يترك حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه **الجملة الثامنة** في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع: من اراد ان يعتمر قبل حجه او بعده كيف ما اراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخلها حافيا ما وقر وقيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيت بنى فكيف اراهما اهلا لان اطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليكثر منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له اي ليشفي ما قصد به **الجملة التاسعة** في طواف الوداع: مهما عزم على الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من تمام الحج والعمرة فليتجهز ولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل اخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم ان البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضى والا فمن الان قبل نباعدي عن بيتك هذا واوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم صحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ابدا ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والاخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا اخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته اخر عهدي فعوضني عنه الجنة ولا ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه **الجملة العاشرة** في زيارة المدينة وادابها قال صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله سبحانه ان اكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد ويجتهد ان يصلي في المسجد الاول قبل ان يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعد اقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك

يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا
القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام
عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين
السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك
يا هادي الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام
عليك وعلى اصحابك الطيبين وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته
وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر وصلى
على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
انك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرتك من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة وادّيت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك
وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وان كان قد اوصى
بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رأسه
منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس عمر رضي الله عنه عند منكب ابي بكر رضي الله عنه ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي
الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده
بامور الدين تتبعانه في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم وليستقبل القبلة ويحمد الله عز وجل ويمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
يقول اللهم انك قد قلت وقولك الحق ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد
سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من تلبسنا معترفين بخطايانا
وتقصيرنا فتب اللهم علينا واشفع نبيك هذا فينا وارفعه بمنزلة عندك وحقق عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء
ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده
على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان يأتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء
فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج
كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه ايضا
قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك كلها بالبقيع ويستحب له ان يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عدل عمرة ويأتي بئر اريس يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل
فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد
والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ
منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم
قال صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه
لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر الشريف و
يعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل ان يرزقه العودة اليه ويسأل السلامة في سفره ثم يصلي
ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا
ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحطا وزاري بزيارته واصحبني في سفري السلامة وبلغني رجوعي الى اهلي و
وطني سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا

فصل فی سنن الخروج من السفر: کان رسول الله صلی الله علیه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة یکبر علی کل شرف من الارض ثلاث تکبیرات ویقول لا اله الا الله وحده لا شریک له له الملک وله الحمد وهو علی کل شیء قدیر آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفی بعض الروایات وکل شیء هالک الا وجهه له الحکم والیه ترجعون فینبغی ان یستعمل هذه السنة فی رجوعه فاذا اشرف علی بلده حرک الدابة ویقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم لیرسل الی اهله من یخبرهم بقدومه کی لا یقدم علیهم بغتة فذلک هو السنة ولا ینبغی ان یطرق اهله لیلا فاذا دخل البلد فلیقصد المسجد اولا ولیصل رکعتین فهو السنة کذلک کان یفعل رسول الله صلی الله علیه وسلم فاذا دخل بیته قال توبا توبا لربنا اوبا لا یغادر علینا حوبا فاذا استقر فی منزله فلا ینبغی ان ینسی ما انعم الله به علیه من زیارة بیته وحرمه وقبر نبیه صلی الله علیه وسلم فیکفر تلک النعمة بان یعود الی الغفلة واللهو والخوض فی المعاصی فمن ذلک علامة الحج المبرور بل علامة ان یعود زاهدا فی الدنیا راغبا فی الاخرة متاهبا للقاء رب البیت بعد لقاء البیت

الباب الثالث فی الاداب الدقیقة والاعمال الباطنة **بیان** دقائق الاداب وهی عشرة **الاول** ان تکون النفقة حلالا وتکون الید خالیة من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتی یکون الهم مجرد الله تعالی والقلب مطمئنا منصرفا الی ذکر الله تعالی وتعظیم شعائره وقد روی فی خبر من طریق اهل البیت اذا کان آخر الزمان خرج الناس الی الحج اربعة اصناف سلاطینهم للنزهة واغنیاؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفی الخبر اشارة الی جملة اغراض الدنیا التی یتصور ان یتصل بالحج فکل ذلک مما یمنع فضیلة الحج ویخرجه عن حیز الحج الخصوص لا سیما اذا کان متجردا بنفس الحج بان یحج لغیره باجرة فیطلب الدنیا بعمل الاخرة وقد کره الورعون وارباب القلوب ذلک الا ان یکون قصده المقام بمکة ولو لم یکن له ما یبلغه فلا باس ان یاخذ ذلک علی هذا القصد لا لیتوصل بالدین الی الدنیا بل بالدنیا الی الدین فعند ذلک ینبغی ان یکون قصده زیارة بیت الله عز وجل ومعاونة اخیه المسلم باسقاط الفرض عنه وفی مثله ینزل قول رسول الله صلی الله علیه وسلم یدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصی بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخیه ولست اقول لا تحل الاجرة او یحرم ذلک بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولکن الاولی ان لا یفعل ولا یتخذ ذلک مکسبة ومتجرة فان الله عز وجل یعطی الدنیا بالدین ولا یعطی الدین بالدنیا وفی الخبر مثل الذی یغزو فی سبیل الله عز وجل ویاخذ اجرا مثل ام موسی علیه السلام ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن کان مثاله فی اخذ الاجرة علی الحج مثال ام موسی فلا باس باخذه فانه یاخذ لیتمکن من الحج والزیارة فیه ولیس یحج لیاخذ الاجرة بل یاخذ الاجرة لیحج کما کانت تاخذ ام موسی لیتیسر لها الارضاع بتلبیس حالها علیهم **الثانی** ان لا یعاون اعداء الله سبحانه بتسلیم المکس الی المصادین عن المسجد الحرام من اوباش مکة والاعراب المترصدین فی الطرق فان تسلیم المال الیهم اعانة علی الظلم وتیسیر لاسبابه علیهم فهو کالاعانة بالنفس فلیتلطف فی حیلة الخلاص فان لم یقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترک التنفل بالحج والرجوع عن الطریق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة حدثت وفی الانقیاد لها ما یجعلها سنة مطردة وفیه ذل وصغار علی المسلمین ببذل جزیة ولا معنی لقول القائل ان ذلک یوخذ منی وانا مضطر فانه لو قعد فی البیت ورجع من الطریق لم یوخذ منه شیء بل بما یظهر اسباب الترفه فتکثر مطالبته فلو کان فی زی الفقراء لم یطالب فهو الذی ساق نفسه الی حالة الاضطرار **الثالث** التوسع فی الزاد وطیب النفس بالبذل والانفاق من غیر تقتیر ولا اسراف بل علی الاقتصاد واعنی بالاسراف التنعم باطائب الاطعمة والترفه لیشرف انواعها علی عادة المترفین فاما کثرة البذل فلا اسراف فیه اذ لا خیر فی السرف ولا اسراف فی الخیر کما قیل وبذل الزاد فی طریق الحج نفقة فی سبیل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضی الله عنهما من کرم الرجل طیب زاده فی سفره وکان یقول افضل الحاج اطیبهم زادا واکثرهم نفقة واحسنهم یقینا وقال صلی الله علیه وسلم الحج المبرور لیس له جزاء الا الجنة فقیل یا رسول الله ما بر الحج فقال طیب الکلام واطعام الطعام **الرابع** ترک الرفث والفسوق والجدال کما نطق به القران والرفث اسم جامع لکل لغو وخنا وفحش من الکلام ویدخل فیه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشان الجماع ومقدماته فان ذلک یهیج داعیة الجماع المحظور والداعی الی المحظور محظور والفسوق اسم جامع لکل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة فی الخصومة والمماراة بما یورث الضغائن ویفرق فی الحال الهمة وینافض حسن الخلق وقد قال سفیان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلی الله علیه وسلم طیب الکلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طیب الکلام فلا ینبغی ان یکون کثیر الاعتراض علی رفیقه وجماله وعلی غیرهم من اصحابه بل یلین جانبه ویخفض جناحه للسائرین الی بیت الله عز وجل ویلزم حسن الخلق ولیس حسن الخلق کف الاذی بل احتمال الاذی وقیل سمی السفر سفرا لانه یسفر عن اخلاق الرجال ولذلک قال عمر رضی الله عنه لمن زعم انه یعرف رجلا اهل صحبته فی السفر الذی یستدل به علی مکارم الاخلاق قال لا قال ما ارانک تعرفه **الخامس** ان یحج ماشیا ان قدر علیه فذلک افضل وصی عبد الله ابن عباس رضی الله عنهما عند موته فقال یا بنی حجوا مشاة فان للحاج الماشی بکل خطوة یخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قیل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب فی المشی فی المناسک والتردد من مکة الی الموقف والی منی اکد منه فی الطریق وان اضاف الی المشی الاحرام من دویرة اهله فقد قیل ان ذلک من اتمام

ل الطواف الزیارة ن الزیارة
ل المفاوزة الزیارة ن الزیارة
ب بالیل ظاهر ن الزیارة
ب بالیل ظاهر ن الزیارة
ل الکسل النقص والشلل فی
ل کانت تدخل فی الحاجات ویروی
الاسواق فی الحاجات ویروی
ل ان یاخذه المتصدق بعوض
ل ان الصدقة ن کذا فی
ل مصرعین کذا فی
ل وفرعه ضعفا بنفقاته
ل وصفاته التنعم للتوسع
ل للترفه التنعم وهو انسب
ل الدنیا وهو انسب
ل جاور
ل الفقیر والمراد
ل الفقیر
ل ورویزة الدار الحجرة
ل من دار الحجرة

الحج قاله عمر رضى الله عنه وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عز وجل وأتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الاتعاب والمؤنة ولانه ابعد عن ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغى ان يفصل ويقال من سهل عليه المشى فهو افضل فان كان يضعف ويؤدى به ذلك الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم للمسافر افضل والمريض مالم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة امشى فيها او يكترى حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشى وان كان المشى اشد عليه كالاغنياء فالمشى له افضل فكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل لمن يمشى ويصرف ذلك الدرهم الى خير هو اولى من صرفه الى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه

السادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة ان لا يستمسك عليها العذر وفيه معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثانى اجتناب زى المترفين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديته وشمائله وقال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكروها فروى سفيان الثورى عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل ومارايت فى جميعهم لا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحجاج من الزى والحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا انفع من الحجاج **السابع** ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب فى ديوان المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والترفاهية فى حديث ضمامة بن عبيد وفى الحديث انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤا شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاخبار وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغى ان يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كانت على العموم فقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان فى سفره فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال صلى الله عليه وسلم ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا افقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل **الثامن** ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الظهور دوابكم كراسى ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى بشرط ان لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى وكل من اذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم احملك فوق طاقتك وعلى الجملة فى كل كبد حراء اجر فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استأمر الجمال فانى قد اكريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا **التاسع** ان يتقرب بما اقتدر وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل منه ان كان واجبا قيل فى تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا يغالون فى ثلاثة ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروى ابن عمر ان عمر رضى الله عنهما اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلثمائة دينار رقيمة ثلاثين بدنة وفيها لكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثرة العدد او قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عمل آدمى يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراق دما وانها تاتى يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا به نفسا وفى الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة مزج منها حسنة وانها التوضع فى الميزان فابشروا وقال صلى الله عليه

وسلم استجد واهدايا كوفاها مطايا كو يوم القيامة **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدى وبما اصابه من خسران ومصيبة
في مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم وهو
بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شئ عند الله عز وجل ويقال ان من علامة قبول الحج ايضا
ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة **بيان** الاعمال الباطنة و
وجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى الخره اعلم ان اول الحج افهم
اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير
في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد
الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه و
طهارة باطنه وغزارة فهمه **اما الفهم** علم انه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضروريات
فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق والحازوا الى قلل الجبال واثروا التوحش
عن الخلق لطلب الانس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة واثنى الله عز وجل عليهم في
كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل و
فتروا عنها بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فساله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في
فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله
عز وجل على هذه الامة بان جعل الحج رهبانيتهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه تعالى ونصبه مقصد العباد وجعل ما حوالية حرما لبيته تفخيما
لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وآله حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق و
من كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه بيت
او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم وانهم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيما اعم الاناس بها النفوس ولا هتدى
الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفق
ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة وبالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة
تواضع لله عز وجل بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله عز وجل فاما تردد السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ
للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب
الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون في ذلك الميل
معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحجر على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا
ورقا ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد
الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان مما يهتدي الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس فصرفها
عن مقتضى الطباع والاخلاق مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبد
وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج ان شاء الله تعالى **واما الشوق** فانما ينبعث بعد الفهم والتحقيق بان البيت بيت الله عز وجل وانه وضع
على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائره وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يطيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في
ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا يتهيأ لها القبول نور النظر الى وجه الله
عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الاخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر و
الابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت لحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله عز وجل يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا
مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله عز وجل فالحري ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل
ما وعد عليه من الثواب الجزيل **واما العزم** فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة
بيت الله عز وجل فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم ولم يجل

ع غزارة لغة غزر وفاه قزره
ع الاسباب والمصالح
ع النعمة والمصدر والزيادة والربح
ع الاجر والثواب
ع الخبر عن الغيب
ع السياحة بالكسر
ع السبح والسبوح والسجان و
ع الساحل والصائم للازم
ع الاوب الطريق والرجوع
ع يكون بحق كما يعبد الله ويذل له بحق وذل
ع الفس من الملك ضد العز
ع حكمة بمعنى الاتقان
ع سنن طريقه

عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير **واما قطع العلائق** فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه تقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومحمل لما ولا تستحي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فقدم رد المظالم وتب اليه الا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما ورائك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك الا الا النصب والشقاء واخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاولاده واهله فان المسافر لعلي قلت لعله الا ما وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخرة فان ذلك بين يدي على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر **واما الزاد** فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الاخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متخيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان يكون اعماله التي هي زاده الى الاخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير **واما الراحلة** اذا حضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى الدار الاخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الاخرة وليتنظر ليصلح سفره على هذا المركب لان يكون زاد الله لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما ابعد لعل الموت قريب ويكون ركوبه الجنازة قبل ركوبه الجنازة وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فليحتط في اسباب السفر المشكوك فيه وليتظهر في زاده وراحلته وليجمل امر السفر المستيقن **واما شراء ثوب** الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب الذي فيه مخيط كما في الكفن **واما الخروج** من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله عز وجل في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين وفدوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول اذ لا يأتي له في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه اذا لم يصل اليه وادركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وفدا اليه اذ قال جل جلاله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله **واما دخول** البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سوال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبور وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا للمخاوف القبر **واما الاحرام** والتلبية بالميقات فليعلم ان معناه اجابتك نداء الله عز وجل فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فان وقت التلبية مو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولو يستطيع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال الخشى ان يقال لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني رضي الله عنه حين اراد الاحرام فلم يلب حتى هزنا ميلا واخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلام من ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله فلبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما ظنك ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات اجابته لنداء الله عز وجل اذ قال وأذن في الناس بالحج ندا الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في

اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون اييسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا **واما دخول مكة** فليذكر عندها انه قد انتهى الى حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم جانيا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير الالائذ غير مضيع **واما وقوع** البصر على البيت فينبغي ان تحضر عنده عظمة البيت في القلب وتقدر كانك مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمك اياه وارج ان يرزقك الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انتصاب الناس في القيامة الى جهة الجنة املين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول ومصروفين فانقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الاخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الاخرة **واما الطواف** بالبيت فاعلم انه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدئ الا بذكر الله ولا يختم الا به كما يبتدئ الطواف من البيت ويختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لذلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدخل الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله سبحانه وتعالى **واما الاستلام** فاعتقد عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله عز وجل في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه **واما التعلق** باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لان البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجاء له منه الا اليه ولا مفزع له الا كرمه وعفوه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل **واما السعي** بين الصفا والمروة في فناء البيت فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك فخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران **واما الوقوف بعرفة** فاذكر ما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في التردد حول المشاعر اقتفاء لهم سير السير تهم في عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله عز وجل فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تنصب من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا يفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله سبحانه ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغايته مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد **واما رمي الجمار** فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاض المجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله عز وجل ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهدته فلذلك رميته واما انا فليس يعرض

الى الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذى القاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهى العبث فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم انف الشيطان واعلم انك فى الظاهر ترمى الحصا الى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصمه به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ النفس والعقل فيه واما ذبح الهدى فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فاكمل الهدى واجزاءه وارج ان يعتق الله بكل جزء منه جزأ منك من النار فهكذا ورد الوعد فيما كان الهدى اكبر واجزاءه اوفر كان فداؤك من النار اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته والهادار التى شرع فيها وانشر دين عز وجل وسنته وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده ثم مثل فى نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موضع اقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه فى سكها وتصور خشوعه وسكينته فى المشى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه واحاطه عمل من تملك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما منّ الله تعالى به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تاسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضى الله عنهم ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وانك من رؤيته فى الاخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم يرفع الى اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابى فيقول انك لا تدرى ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن ان يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى ان تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر مجردا لذلك لما فاتك رؤيته فما احد ذلك بان ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر لها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وآثر فواضل الله سبحانه واول ما اقمت فى تلك العرصة والها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم امالك فى الله سبحانه ان يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن ابى سليمان انه قال حججا ويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم فغشى عليه فلما افاق قال اخرجونى فليس يليق بى ان اتى بلدة فيها محمد صلى الله عليه وسلم مدفون واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغى ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة فى ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد مائلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك مثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا الى لقائه والكفاء بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة عرصته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف فى الحضور لزيارته بعد نثر تراب منبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبى صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل فى قلبك طلعته انتهيت قائما على المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل ان لا يفرق بينك وبينه فى القيامة وظيفة القلب فى اعمال الجوارح فاذا فرغ منها كلها فينبغى ان يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وانه ليس يدرى اقبل منه حجه واثبت فى زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين ولتعرف ذلك من قلبه واعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله تعالى ووجد اعماله قد اثمرت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكيف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله فاذا ظهر ذلك عليك دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظك من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك تم كتاب اسرار الحج يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن

كتاب آداب تلاوة القرآن وهو الكتاب الثامن من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتن على عباده ببنيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى انسخ على اهل الانكار طرق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما فى الصدور ومن خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم فى غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضى عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند اهل العلم تحديد ولا تخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذى ارشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فكل من آمن به تقدد وفاز ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقد قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك مما لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده فى اربعة ابواب الباب الاول فى فضل القرآن واهله الباب الثانى فى آداب التلاوة فى الظاهر الباب الثالث فى الاعمال الباطنة عند التلاوة الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره

الباب الاول فى فضل القرآن واهله وذم المقصرين فى تلاوته

فضيلة القرآن قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة تنزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسئلتى اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا يناله حساب حتى يفرغ فى ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل امّ بقوما وهم به راضون وقال صلى الله عليه وسلم اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته

الآثار قال ابو امامة تعلموا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرأوا القرآن فانكم توجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم وقال ايضا من قرأ القرآن فهذا درجة النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامى يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظى اذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيمة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغى لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم ينبغى ان تكون حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثورى اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع اهل الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض الشاربة ما لك ههنا احد تستأنس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم

السواك والصيام وقراءة القران **فى ذم تلاوة الغافلين** قال انس بن مالك رب تالى القرآن والقرآن يلعنه وقال ميمنة العرب هو القرآن فى جوف الفاجر وقال ابو سليمان الدارانى الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القران وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن ادم القرآن ثم خلط ثم عاد يقرأ قيل له مالك والكلامى وقال ابن الرماح ندمت على القران لانه بلغنى ان اصحاب القرآن يسئلون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغى لحامل القرآن ان يعرف بليل اذا الناس ينامون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغى لحامل القران ان يكون سكيتا ليتا ولا ينبغى له ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا ضحابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقى هذه الامة قراؤها وقال صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن ما انهاك فاذا لم ينهك فلست تقرؤه وقال صلى الله عليه وسلم ما انس بالقران من استحل محارمه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك فقال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القران فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ويقول الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القران مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرأ القران من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفى حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما لقد عشنا دهرا واحدنا يوتى الايمان قبل القران فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما ينبغى ان يقف عنده منها ثم لقد رايت رجالا يوتى احدهم القران قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما امره ولا زاجره ولا ما ينبغى ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد فى التوراة يا عبدى اما تستحى منى يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شئ منه وهذا كتابى انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنا فلست اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدى يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه او مأت اليك لكف وها انا ذا مقبل عليك ومحدثك وانت معرض بقلبك عنى افجعلتنى اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثانى فى ظاهر اداب التلاوة وهى عشرة **الاول** فى حال القارى وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكئ ولا جالسا على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى اوستاذه وافضل الاحوال ان يقرأه فى الصلاة قائما وان يكون فى المسجد فذلك من افضل الاعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض فاثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل الا ان فرغ للقلب قال ابو ذر الغفارى رضى الله عنه ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل **الثانى فى مقدار القراءة** وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم القرآن باليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم فى الشهر مرة واولى ما يرجع اليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرء القرآن فى اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يعيد القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولاسكت وامر النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان يختم القرآن فى كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابى بن كعب رضى الله عنهم ففى الختم اربع درجات الختم فى يوم وليلة وقد كره جماعة والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكانه مبالغة فى الاقتصار كما ان الاول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما فى الاسبوع مرة والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر او بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب او بعدهما ليستقبل اول النهار واول الليل بختمتيه فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليهن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل فى مقدار القراءة انه ان كان من العابدين

السالكين بطريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع والكل من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر ومن المشتغلين بنشر العلم فلا باس ان ينقص في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة التردد والتامل **الثالث في وجه القسمة** اما من يختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة احزاب فقد خرب الصحابة رضي الله عنهم القرآن احزابا فروى ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى يونس وليلة الاحد بيونس الى مريم وليلة الاثنين بطه الى الشعراء موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسم سبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشر سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق الى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل ان تعمل الاخماس والعواشر والاجزاء فما سوى هذا محدث **الرابع في الكتابة** ليستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطاء واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهولاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محظور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد معونة فلا باس به ولا يمنع ذلك من كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح انها من محدثات عمر رضي الله عنه وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة ويكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرأ من المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نوره ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الاي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلم بالعربية قال اما اعراب القرآن فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين وابنه يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك حين احضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموها الى ثلاثين جزأ والى اقسام اخر **الخامس الترتيل** هو المستحب في هيئة القرآن لانا نستبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس رضي الله عنه لان اقرأ البقرة وال عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرها احب الي من ان اقرأ البقرة وال عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلوة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرأ البقرة فقط وقرأ الاخر القرآن كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لاجل التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن ليتحبب له في القراءة ايضا الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال **السادس البكاء** البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه حصار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن له لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب **السابع** ان يراعي حق الايات فاذا مر باية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشر سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالاية التي قرأها مثل ان يقول له تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او عملي او بيانك واذا قرأ قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من البا كين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على الطهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريمة ثم يكبر للهوي للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زايدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فان ورد السلام

فى السجود فليتبع فيه الاسم وتكبيرة الهوى اقرب للبداية وما عدا ذلك فيه بعد ثم الماموم ينبغى ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه اذا كان ماموما **الثامن** ان يقول فى مبدأ قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحى القيوم وفى اثناء القراءة اذا مر بآية تشبيه سبح وكبر واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بما فيه سؤال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا الخ هنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة الا سأل ولا بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية تنزيه الا سبح فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله لى حجة يا رب العالمين **التاسع فى الجهر بالقراءة** ولا شك فى انه لا بد وان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فاقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بان يسمع غيره فهو محبوب على وجه مكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ما روى ان صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة وفى الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى وفى الخبر لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال الغلامه اذهب الى هذا المصلى فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف لكعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من اصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلى فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من اصحابه رضى الله عنهم مختلفى الاحوال فمر على ابى بكر رضى الله عنه وهو يخافت قائلا عن ذلك فقال ان الذى اناجيه هو يسمعنى ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم كلكم قد احسن واصاب فالوجه فى الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعلق بغيره فالخير المتعدى افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف ليسمعه ولانه يطرد النوم بدفع الصوت ولانه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره يتيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط لسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمتى حضره شئ من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكو اعمال الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر اجور ولهذا نقول قراءة القرآن فى المصاحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر فى المصحف ايضا عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرؤن فى المصاحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى شغلكم الفقه عن القرآن انى لاصلى العتمة واضع المصحف بين يدى فما اطبقه حتى اصبح **العاشر** تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال عليه السلام ما اذن الله لشئ اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراده به الترنم وترديد الالحان بره وهو اقرب عند اهل اللغة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رضى الله عنها فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم مولى ابى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى امتى مثله و استمع صلى الله عليه وسلم ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان

يقرأ القران غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال
صلى الله عليه وسلم اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان ولما استمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى
فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القاري رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام قال فقال لي انت الهيثم الذي تزين القران بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القران وقد كان عمر يقول لابي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط
فيقال يا امير المومنين الصلاة الصلاة فيقول اولسنا في صلاة اشارة الى قوله عز وجل ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى اية من كتاب الله
عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصد الرياء والتصنع

الباب الثالث في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع
الفهم ثم التخصيص ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري **الاول** فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش
جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك
الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى افهام صفات الله عز وجل الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه
جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى
عليه السلام لما اطاق لسماع كلامه كما لو يطيق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا
عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف وان الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على حرف
الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله
عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد اتى بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجتها الى فهم الانسان وتثبيته
مع قصور رتبته وضرب له مثلا لو يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء عليهم السلام فسال الملك عن امور فاجاب بما يحمله
فهم فقال الملك رايت ما ياتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم ان الناس
الناس لما اراد وان يفهموا بعض الدواب الطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراى الدواب يقصر تمييزها عن فهم
كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم وتواصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات
يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها التي تطيق حملها وكذلك الناس معجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته
فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولو يمنع ذلك معاني
الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان يشرف الكلام اي الاصوات لشرفها ويعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة
للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة
قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة
كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا ابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم
ينالون من ضوء عين الشمس ما يحيي بها ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس الغزيرة
الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها هو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه
لم يمت ودواء الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة
فينبغي ان يقتصر عليه **الثاني** التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه
ليس من كلام البشر وان في تلاوته كلام الله عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف ورقه محروس
عن ظاهر بشرة الملامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ودنس
بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح للمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ومثل هذا التعظيم كان
عكرمة ابن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم
يتفكر في صفاته وجلاله وافعاله فاذا احضر بباله العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان

ب

الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل فى قبضته قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذى يقول هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى وهذا غاية العظمة والتعالى فبالتفكر فى امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل فى تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اى بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشئ فقال او شئ احب الى من القرآن حتى احدث به نفسى وكان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستانس به ولا يغفل عنه ففى القرآن ما يستانس به القلب ان كان التالى اهلا له فكيف يطلب الانس بالتفكر فى غيره وهو فى متنزه ومتفرج والذى يتفرج فى المتنزهات لا يتفكر فى غيرها فقد قيل ان فى القرآن مياديين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميادين والرابيات بساتين القرآن والروابات مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ فى الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه فى الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يغرب قلبه ولم يتفرق فكره **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل فى الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال على رضى الله عنه لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان فى تسبيح الركوع وهو متفكر فى آية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روى عن عامر بن عبد قيس انه قال لوسواس يعترينى فى الصلاة فقبل فى امر الدنيا فقال لا ان تختلف فى الا سنية احب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى عز وجل وانى كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم دينى ولكن يمنعه عن الافضل وما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنت صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا ويروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها وعن ابى ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم انى لافتتح السورة فيوقفنى بعض ما اشهد فيها من الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبى فيها لا اعدها ثوابا وحكى عن ابى سليمان الدارانى انه قال انى لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال وخمس ليال ولولا انى اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقى فى سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا يقول الفت نفسى مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومساهة **الخامس التفهم** وهو ان يستوضح عن كل آية ما يليق بها اذا القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر افعاله وذكر احوال الانبياء وذكر احوال المكذبين بهم وانهم كيف هلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله عز وجل فكقوله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وكقوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معانى هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معانى مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار على رضى الله عنه بقوله ما اسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن فان فيه علوم القرآن تحت اسماء الله عز وجل وصفاته اذ لم يدرك الكثر الخلق منها الا امورا لا تقة بافهامهم ولو بحثوا على غوارها واما افعاله تعالى فلذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى ان يشهد الفعل ويذهل عن الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شئ اذ كل شئ فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه فى كل ما يراه فكالذى ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شئ ما خلا الله باطل وان كل شئ هالك الا وجهه لا انه سيبطل فى ثانى الحال بل هو الان باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادى علم المكاشفة ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله عز وجل افرايتم ما تحرثون أفرايتم ما تمنون افرايتم الماء الذى تشربون افرايتم النار التى تورون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتامل فى المنى وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم يتفكر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل اعضائها

بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكفر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع **واما احوال** الانبياء عليهم السلام فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل وللمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله عز وجل واراءته لنصرة الحق **واما احوال** المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يكن استقصاء ما فيهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر وزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم ليفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منها النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد **السادس** التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولو يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم انه لو خرج من مخرج لهذا يكون تاما له مقصورا على مخارج الحروف فاني تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان ممن كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا للمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه من ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد بادر الى معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابائك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ومثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب واراد وا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها الى عوام الناس فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده في ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لاخرج الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه وهو كالجنبة على المرآة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه يحجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب ثقال الذنب قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي وقال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكر وقال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال عز وجل وما يتذكر الا من ينيب وقال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب فالذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب ولذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب وسلبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتى الله العبد فهما في القرآن

وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود لتعتبر به ولنأخذ من تضاعيفه ما نحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها الفائدة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده بما يقص عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وقال عز وجل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الاحاد هذا الواحد القارئ مقصود فيما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال الله تعالى واوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكانما كلم الله واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عملا بل يقرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل ربنا عز وجل بعضها الى بعض فنتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا **الثامن** التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل واني لغفار لمن تاب واتبع ذلك باربعة شروط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربعة شروط وحيث يقتصر ذكر شرط جامعا فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من تصفح القرآن من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا اكثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد تقيد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كاد يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطامن خضوعا لجلاله واستشعار العظمة وعند ذكر الكفار وما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث باطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتح سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الان وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الايات لمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما اذيتمونا فليكن حاله الصبر والعزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة لسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله عز وجل وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وفي قوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الايات وكان اخلا في معنى قوله عز وجل ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وقوله عز وجل وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الايات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن فانما يناداه الله تعالى من مكان بعيد ولكلامي وانت معرض عني ادع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق

المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت مافيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل بما اراد بقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم وانتم لاجلود كم فاذا اختلفتم فلستم تقرأونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال الله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والاقل قوة في تحريك اللسان بحروف خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جلت القراءة على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر ماذا يأمرك وماذا ينهاك ولهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال والاعمال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف في اثنين منهم وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه وانما الغرض مثل تلك الحالة التي عين الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب وهمه الآية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان للعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله عز وجل كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته هو ان يتجاوز فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالازجار والائتمار فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ

التاسع الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه لمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبلها درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرء القرآن فلا اجد لحلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة ونعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ففروا الى الله ولقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر ومن لم يره في كل شيء فقد راى غيره وكل ما التفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله عز وجل

العاشر التبري واعني به ان يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضاء والتزكية فاذا تلى آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق ان يلحقه الله عز وجل بهم واذا تلى آية المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقد راعى المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا ادعو استغفر الله عز وجل عن تقصيري سبعين مرة فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من اشهده البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الخوف الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن اشهده القرب في البعد مكر به لامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه لم يشاهد الا الله تعالى في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمان بن ابي سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان اخا له ان يحفظ عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيا خوه

كشف لسر الملكوت

من الغد فقال له وعدتني انك تقطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادي معك لما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك الا اني لا امن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت الى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو ايات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العنيف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصاف اذ منها الرحمة واللطف والاشفاق والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقارنها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يمل

الباب الرابع

في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستجيب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المفسرين المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر وان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم بردا لخلق كافة الى درجته التي هي حده ومخطاه بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه لان يأتي الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقال بعض العلماء لكل اية ستون الف فهم وما بقي من فهمها اكثر وقال الحبر القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم وما أتى علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا اذ لكل واحد ظاهر وباطن ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبر باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهرا لا يحتاج مثله الى تكرير وقول ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وافعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيلها لجة لا تدرك وقعر لا يسبر وبحر لا ينزف فكيف يفهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات مما في القرآن اليه موزود لآلات عليه يختص اهل الفهم بدركه فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث علي كرم الله وجهه والذي بعثني بالحق نبيا لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره اضل الله عز وجل هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق لكثرة الترديد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما ذا تامرني ان ادركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فما عدت ذلك عليه ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فضنه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر جمل العلم اشار به الى ان القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال عز وجل ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسمى ما اتاه ما علما وحكما وخصص ما افرد به سليمان بالفضل باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذا الا مو تدل على ان في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وراء المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه وفيه عنه صلى الله عليه وسلم وقول ابي بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي الى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستدلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون في ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه وذلك مما لا يصدق

الا فى بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس و ابن مسعود من انفسهم فينبغى ان لا يقبل و يقال هو تفسير بالرأى لانهم لو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم والثانى ان الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقى فتبين على القطع ان كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباط حتى قالوا فى ١٦٦
الحروف التى هى اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل ان الرحمن حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء
رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال اللهم فقهه
فى الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال عز وجل لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع فى التاويل
وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما النهى فانه يتنزل على احد وجهين احدهما ان يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه
وهواه فيتاول القران على وفق رائه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح من القران ذلك المعنى وهذا تارة يكون
مع العلم كالذى يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالاية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن
اذا كانت الاية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برايه اى رايه هو الذى حمله على ذلك
التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به
كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان فى السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد
به الاكل وكالذى يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومى الى انه المراد بفرعون
وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة
لتغرير الناس ودعوتهم الى مذاهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رأيهم ومذاهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون
احد وجهى (قريب ٢ دون ٣) المنع من التفسير بالراى ويكون المراد بالراى الراى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراى يتناول الصحيح والفاسد والموافق
للهوى قد خصص باسم الراى والوجه الثانى ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القران
وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى
بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالراى فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير اولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع
الفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع فنون كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ
التفسير الظاهر اولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ
الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب ويدعى فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم مقاصد لغة الترك فان ظاهر التفسير بمجرى مجرى
تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومما لا بد فيها من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد بان الناقة كانت مبصرة ولو تكن عمياء ولو يريد
كم من يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان فى السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد
بالاكل وكالذى يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومى الى انه المراد بفرعون
وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة
لتغرير الناس ودعوتهم الى مذاهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رأيهم ومذاهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مرادة به فهذه الفنون
احد وجهى (قريب ٢ دون ٣) المنع من التفسير بالراى ويكون المراد بالراى الراى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراى يتناول الصحيح والفاسد والموافق
للهوى قد خصص باسم الراى والوجه الثانى ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القران
وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى
بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالراى فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير اولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع
الفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع فنون كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ
التفسير الظاهر اولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ
الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب ويدعى فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم مقاصد لغة الترك فان ظاهر التفسير بمجرى مجرى
تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومما لا بد فيها من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد بان الناقة كانت مبصرة ولو تكن عمياء ولو يريد
الهم بما اذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم اى حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات اى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز
فى فصيح اللغة وقوله تعالى واسئل القرية التى كنا فيها والعير والاهل محذوف مضمر وقوله عز وجل ثقلت فى السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات
والارض والشئ اذا خفى ثقل فابدل اللفظ به واقيم فى مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم وقوله
عز وجل أتانا ما وعدتنا على رسلك اى على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر اراد القران وما سبق له ذكر وقال عز وجل
حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اى يقولون ما نعبدهم
وقوله عز وجل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون ان يقولوا
ما اصابك من حسنة فمن الله فان لو يريد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله ويسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب
كقوله تعالى وطور سينين اى طور سيناء سلام على ال ياسين اى على الياس وقيل ادرسين لان فى حروف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر
القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من

آل ياسين

دون الله شركاء الا الظن و قوله عز وجل قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام و قوله تعالى يسئلونك كانك حفي عنها اى يسئلونك عنها كانك حفي بها و قوله عز وجل لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اى فصارت انفال الغنائم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه الا ية ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرء والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق و قوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اى لا مر بالعدل والاستقامة و قوله عز وجل فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف في اوان الاستحقاق و قوله عز وجل ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون اى من غير خالق فربما يتوهم بانه يدل على انه لا يخلق شيء الا من شيء واما القرء كقوله عز وجل وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار اراد به الملك الموكل به و قوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله والامة الدين قال الله عز وجل انا وجدنا اباءنا على امة اى على دين والامة الحين و الزمان كقوله عز وجل الى امة معدودة و قوله عز وجل و ادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اى القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اى ام زيد والروح ايضا ورد في القران على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اى اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغرن بجمعهم و قوله تعالى فانزلنا به الماء يعني بالسحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء وامثال هذا في القران لا تحصر ومنها التدريج في البيان كقوله عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القران اذ لم يظهر به انزل ليلا ولا نهارا وبان بقوله عز وجل انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يضمر به انه في اى ليلة فظهر بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله مما لا يعنى فيه الا النقل والسماع و القران من اوله الى اخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز و تطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القران ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فقد داخل فمن فسر القران برايه مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورائه اليه فاذا سمعه في موضع اخر مال برأيه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثرة ما يتبين هذا ما لا يمكن ان يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله عز وجل قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فان اثبات الرمي ونفي الرمي ضدان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله عز وجل وكذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه وهو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عن ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح علوم كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القران الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة اعلى منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه ميل الى البعد واقتراب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضى والسخط وصفات الشر زاد قربه

فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجاء الى الثناء فاثنى بقوله لا احصى ثناء عليك فرعلم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تتحف الارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم ثم اكتاب اداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبده مصطفى من كل العلمين وعلى اله محمد وصحبه وسلم يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه

كِتَابُ الْأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ وَهُوَ الْكِتَابُ التَّاسِعُ مِنْ رُبْعِ الْعِبَادَاتِ مِنْ كُتُبِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الشامل لكافة العالم رحمته الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى اذكرونى اذكركم ورغبهم فى السؤال والدعاء بامره فقال ادعونى استجب لكم فاطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والامانى بقوله فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى والصلاة على محمد سيد انبيائه وعلى اله واصحابه خيرة اصفيائه وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تودى باللسان افضل من ذكر الله تعالى ودفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه واداب ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة الباب الاول فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا الباب الثانى فى فضيلة الدعاء واداب وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب الثالث فى ادعية مأثورة ومعزية الى اصحابها واسبابها الباب الرابع فى ادعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة الباب الخامس فى الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الاول فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى فاذكرونى اذكركم قال ثابت البنانى رحمه الله انى اعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرنى وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضى الله عنه اى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى فى ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس رضى الله عنه له وجهان احدهما ذكر الله تعالى لكم اكبر من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات **واما الاخبار** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل فى الفارين وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالحى بين الاموات وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن ادم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا ولا ايا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى افضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير من ملائه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله فى خلاء ففاضت عيناه من خشية الله وقال

ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين **واما الاثار** فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال ابن آدم اذكرنى بعد العصر ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكرى لويت مسايسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر اهل الجنة على شئ الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها والله تعالى اعلم **فضيلة** مجالس الذكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه فيه ولم يصلوا على النبى الا كانت عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى اذا رايتنى اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفى الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة رضى الله عنه ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابى هريرة رضى الله عنه دخل السوق وقال الذاكر ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثا يقسم قال فما رايتم قالوا راينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة وابى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيحفون بهم الى السماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى على اى شئ تركتم عبادى يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويعبدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل راونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو راونى فيقولون لو راوك لكانوا اشد لك تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من اى شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل راوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول الله عز وجل فاى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل راوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول جل جلاله فانى اشهدكم انى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى بهم جليسهم **فضيلة التهليل** قال صلى الله عليه وسلم افضل ما قلت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور كانى انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم ايضا لابى هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من فى ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له ذلك وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء قال صلى الله عليه وسلم هى اهدم واهدم وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لتدخلن الجنة كلكم الا من تابى وشرد على الله عز وجل شراد البعير على اهله فقيل يا رسول الله من الذى تابى عن الله قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهى كلمة الاخلاص وهى كلمة التقوى وهى الكلمة الطيبة وهى دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة

وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان فى الدنيا قول لا اله الا الله وفى الاخرة الجنة وكذا قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وروى البراء بن عازب ان صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كان له عدل
رقبة او قال نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال قال صلى الله عليه وسلم من قال فى يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شئ قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر رضى الله عنه من قال فى سوق
من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير كتبت له الف الف حسنة ومحيت عنه الف الف
سيئة وبنى له بيت فى الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله انت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها
وفى الصحيح عن ابى ايوب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر
مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسماعيل صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لى غفر له او دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته **فضيلة التسبيح** والتحميد وبقية الاذكار
قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حطت
خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وما ذاك يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلى الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله
تعالى الى يوم القيامة تملك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت
ما بين السماء السابعة الى الارض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطه وقال رفاعة الزرقى كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوته قال صلى الله عليه وسلم لقد ابتدر بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الباقيات الصالحات هن لا اله الا الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض
رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى
النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده يتعطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل
يذكرن بصاحبهن اولا يحب احدكم ان لا يزال عند الله يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر احب الى مما طلعت عليه الشمس وفى رواية اخرى زاد لا حول ولا قوة الا بالله وقال هى خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى
الله تعالى اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعرى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر تملأن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان
والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فموبقها او مشترى نفسه فمعتقها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اى الكلام احب الى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما اصطفى الله سبحانه لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله
كتبت له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى اخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله
وبحمده غرست له نخلة فى الجنة وعن ابى ذر رضى الله عنه انه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلى
ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة
صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة وبضع احدكم اللقمة فى فى امله فهى له صدقة وفى بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول
الله ياتى احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال صلى الله عليه وسلم ارايتم لو وضعها فى حرام اكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك ان وضعها فى الحلال

ج

كما له فيها اجر وقال ابو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق اهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفقت من بعدك لا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر اربعا وثلاثين وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رايته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذ شهدا انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيامة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية والذكر اول واخرها وله يوجب الانس والحب واخره يوجب الانس والحب ويصدر عنه والطف ذلك الانس والحب فان المريد في بداية امره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الهوسواس الى ذكر الله عز وجل فان واظب للمداومة تأنس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف ولا صار مضطرا الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه اخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير المتكلف طبعا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا وبمكابدة كله ويواظب عليه فيصير موافقا للطبع حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف هي النفس ما عودتها تتعود اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا آخرا فاذا حصل الانس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله عز وجل وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله عز وجل فان كان قد انس به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان يفنى في نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس تتزايد بالعبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا يتذكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول انه عدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما لحفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وبقوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوه الحديث

ف ١ الفصل بالانف بالاذن بالعين وبالفم
ف ٢ بالعين وبالاذن وبالفم وبالانف
ف ٣ الفصل والفصيلة بالاصابع بالاذن بالعين
ف ٤ بفصيلة بفصيلة
ف ٥ مستنطقات بفصيلة
ف ٦ الفصول اي شمائلها اشارة الى قول اول
ف ٧ بفصيلة
ف ٨ الفصيلة بالكف بالرجل
ف ٩ والرجع بالفتح والرجع بالضم
ف ١٠ بفصيلة
ف ١١ وفي بعض النسخ بالفصيلة
ف ١٢ بالفصيلة
ف ١٣ الفصيلة بالكف بالرجل
وقد اراح وعافت الخيل تخيف
اشترت بالكوفة وبغداد ق

في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فاما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش
وهذه الحالة وما اشير لهذه الالفاظ اليها لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولاجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب
الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على ان يجعل همته مستغرقا
بالله عز وجل فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن محبوبته واهله وماله وولده بل من الدنيا بكلها فانه
يريد هلاك حياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وصلب مهناته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من الفضائل
ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى ابشرك
الله بالخير قال ان الله عز وجل احيا ابالك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ان تردني
الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال عز وجل سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم
يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان
الزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر الدنيا واستولى عليه و
ارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه وبتمني الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء
على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه وسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك
كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا
الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود سوى معبود وكل معبود اله
هذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشيئة الله عز وجل لا المؤمن في حصة الخطر
ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع انه يصدق
بالاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة فسأل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا
وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله تعالى احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله
لقاءه هذه اشارة الى معالي الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وقال تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال عز وجل
وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم الآية وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة وروى ابو هريرة ان صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ اكرم على
عز وجل من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر رضي الله
عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله تعالى من فضله فان الله تعالى يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج

آداب الدعاء وهي عشرة **الاول** ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الاشهر ويوم الجمعة من الاسبوع
ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الاخير فيقول عز وجل من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب صلى الله عليه وسلم انما قال سوف استغفر لكم ربي
ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر واراده يؤمنون خلفه فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء **الثاني** ان يغتنم
الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة
المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذان
والاقامة لا يرد وقال صلى الله عليه وسلم ايضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجح شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء
القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا هو السبب

شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا جدير بالاجابة قال ابو هريرة رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا فيه من الدعاء وروى ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى نهيت ان اقرأ القرآن راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم **الثالث** ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولا يشير باصبعيه وروى ابو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مر على انسان يدعو ويشير باصبعه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم احد احد اى اقتصر على الواحدة وقال ابو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الايدى قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغى ان يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه فهذه هيأت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء لتخطفن ابصارهم **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى ان ابا موسى الاشعرى قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذى تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اى بدعائك وقد اثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية **الخامس** ان لا يتكلف السجع فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وقد قال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى فى دعائه فيسأل ما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه فى الخبر لولا ان العلماء يحتاج اليهم فى الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء حسب احدكم ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو ويسجع فقال له اعلى الله تبتاغ اشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو وما يزيد على قوله اللهم جلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية ووراءه وكان يعرف ببركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم فى الدعاء على سبع كلمات تمادوها ويشهد له الخبر فى سورة البقرة فان الله تعالى ذكر فى موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا فهى الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات وليتجنب تكلف السجع **السادس** التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** ان يعزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له وقال صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله اذ قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين **الثامن** ان يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا وينبغى ان لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انى اسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وانا ارجو الاجابة سألت الله تعالى ان يوفقنى لترك ما لا يعنينى وقال صلى الله عليه وسلم اذا سأل احدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه شئ من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال **التاسع** ان يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتح فقال سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدؤا بالصلوة على فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي **العاشر** وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة و رد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة ويروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فاوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام اني لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله عز وجل يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا الى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فارسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبني اسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء او لنؤذينه قيل له وليف تقدر ان تؤذيه وهو في السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون في ذلك اذى له فارسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من الخرابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال فيكون ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الى انبيائهم عليهم السلام لو شئتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم لكم باكيا حتى ترد والمظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله عز وجل الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى بابدان نجست وترفعون الى اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الان قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فرمقته ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر السنتم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم انا قد سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة ويروى ان عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقي فلما اصحروا قال لهم عيسى عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق في المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى عليه السلام اما لك من ذنب فقال والله ما علمت من شيء غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزتني ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها و اتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع حتى او من على دعائك فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختار واثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان تعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توراتك ان تعتق ارقاءنا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت في توراتك ان لا ترد للسائلين اذا وقفوا ببابك اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الينا فقال يا عطاء اهذا يوم النشور وبعثرما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ارضية ام بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمى السماء ببصره وقال الهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما لوت الحجب من الاك الا ما اسقيتنا ماء غدقا فرانا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول

اقلق الزاهدون والعابدونا ... اذلولاهم اجاعوا البطونا ... اسهروا الاعين العليلة فيه ... فالتقضي ليلهم وهم ساهرونا ... شغلتهم عبادة الله حتى ... قيل في الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم اذا قبل غلام اسود عليه قطعتا خبيش قد اتزر باحداهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي خلقت الوجوه وحسنتها وعندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد جئت عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا فقلت امر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه

ج
ه ك ل ن ي ا و م ح ف ع ز ب ت ث ق ر س
ه ك ل ن ي ا و م ح ف ع ز ب ت ث ق ر س
ه ك ل ن ي ا و م ح ف ع ز ب ت ث ق ر س
ه ك ل ن ي ا و م ح ف ع ز ب ت ث ق ر س

قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجهت القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغيثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارخت السماء مثل الجبال **فضيلة الصلاة** على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال صلى الله عليه وسلم انه جاءني جبرائيل عليه السلام فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة وقال صلى الله عليه وسلم بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة علي يوم الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي من امتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الارض ملائكة سياحين ينبغوني عن امتي السلام وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وقيل يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى اله وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان يخبرك بالذنب فقال تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذلك بأعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك بأعجب من البراق حين سري عليه الى السماء السابعة لو صليت الصبح مع ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت الذراع لا تاكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فما بيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ولقد امن بك الكثير وما امن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوالك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوالك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوالك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وارددفت خلفك ووضعت طعامك على الارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم وقال بعضهم كنت اكتب الحديث واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيدولا اسلم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي اما تتم الصلاة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت عليه وروى عن ابي الحسن الشافعي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بما جزى الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وسلم جزى عني انه لا يقاس للحساب **فضيلة الاستغفار** قال الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم في كتاب الله عز وجل ايتان ما اذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل الا غفر الله تعالى له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الآية وقوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال

عز وجل فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال تعالى وللمستغفرين بالاسحار وكان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم و
بحمدك اللهم اغفرلى انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى واتوب اليه فى اليوم سبعين مرة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم
كان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حتى انى لاستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه
وسلم من قال حين يأوى الى فراشه استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت
مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان
فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلى فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلنى لسانى النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم
فاين انت من الاستغفار فانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت
بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى الاستغفار اللهم اغفرلى
خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى وخطاى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفرلى ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شئ قدير وقال على رضى الله عنه كنت رجلا اذا
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل به ما شاء ان ينفعنى منه واذا حدثنى احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته
قال وحدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى
ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر الله له ثم تلى قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن
اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكر الله عز وجل
فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى
الجنة فيقول يا رب انى لى هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلنى من الذين
اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفرلى فيقول الله عز وجل اذنب عبدى
ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدى اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم
سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يا رب فاغفرلى فقال الله عز وجل قد غفرت لك وقال صلى الله
عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا عبادى كلكم مذنب الا من عافيته
فاستغفرونى اغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالى وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى
فانه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كمد البحر وروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربى وانا عبدك خلقتنى وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء على نفسى بذنبى فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفرلى ذنوبى ما قدمت
منها وما اخرت فانه لا يغفر الذنوب جميعها الا انت **الآثار** قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان احب عبادى الى المتحابون بجلالى والمعلقة قلوبهم
بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم
على دائكم ودوائكم اما دائكم فالذنوب واما دوائكم فالاستغفار وقال على كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقول اللهم انت سبحانى
عبدك الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلنى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال
الربيع بن خثيم رحمه الله لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون بذا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب على وقال الفضيل رحمه الله استغفار بلا اقلاع
توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا
بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع اعرابى وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفارى مع اصرارى للؤم وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك
لعجز فكم تحبب الى بالنعم مع غناك عنى وكم ابغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك
يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الورّاق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى
اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل
اردت به وجهك فخالط غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل

ذنب لتثبتني في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

الباب الثالث في ادعية مأثورة ومغزية الى اسبابها واربابها مما يستحب ان يدعو به المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة **فمنها** دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنه بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتى وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رائي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رائي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الله تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا **دعاء عائشة** رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك ما قضيت من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين **دعاء فاطمة** رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله **دعاء ابي بكر** الصديق رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك ورحمة ابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وبكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غنى اغنيته او فقير افقرته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على موسى صلى الله عليه وسلم واسالك باسمك الذي تثبت به ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت واسالك باسمك الذي وضعته على الجبال فارست واسالك باسمك الذي استقل به عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من الفوز المبين واسالك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك ونور وجهك الكريم ان ترزقني القرآن والعلم به وتخلط بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعملني بجسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين **دعاء بريدة** الاسلمي رضي الله عنه: روي انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لو لبثهن اياه ابدا قال فقلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقوني في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير فاغنني **دعاء قبيصة** بن المخارق اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بهن فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء كثيرة كنت اعملها فقال عليه السلام اما الدنيا فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانك اذا قلتهن امنت من الغم والجذام والبرص والفالج واما الاخرة فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم اما انه اذا اوى الى فراشه من كل ليلة فقالهن عبد يوم القيامة لو بدد غمهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء **دعاء ابي الدرداء** رضي الله عنه: قيل لابي الدرداء رضي الله عنه قد

احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه أت
فقال يا ابا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من يقول هؤلاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش
العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء
عددا اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم **دعاء الخليل** ابراهيم عليه الصلوة و
السلام كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتح على بطاعتك واختم لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها
وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى شكر يومه **دعاء**
عيسى صلى الله عليه وسلم: كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت
مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ لي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني
يا حي يا قيوم **دعاء الخضر** عليه السلام: يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا في كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلاث مرات اذا
اصبح امن من الحرق والغرق والسرق ان شاء الله تعالى **دعاء معروف الكرخي** رضي الله عنه: قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي
رحمه الله الا اعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عند من قلت اكتبها لي قال لا ولكن اردد ها
عليك كما رددها علي بكر بن خنيس رحمه الله حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الخليل القوي لمن بغى علي حسبي الله
الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان
حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن ابي الدرداء انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان توفي
فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما اهمه من امر آخرته صادقا كان او كاذبا **دعاء عتبة الغلام**
وقد رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات انهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر
العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين
دعاء آدم عليه الصلاة والسلام: قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله عز وجل ان يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا و
هو يومئذ لبن ثم بنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤالي وتعلم ما في نفسي
فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي فارضني بما قسمته لي يا ذا الجلال والاكرام
فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولم يأتني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه وتزعت
الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها **دعاء علي** بن ابي طالب رضي الله عنه: رواه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يجدد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا
انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا الوالد والولد اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور اني انا الله لا اله الا انا مبدئ كل شيء واني يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار والواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكبير اهل الثناء والمجد عالم السر واخفى
القادر الرازق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك انت الله لا اله الا انت كذا
وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب
العابدين في السموات والارضين **دعاء ابي المعتمر** وهو سليمان التيمي وتسبيحاته رضي الله عنه: روي ان يونس بن عبيد راى رجلا
في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله عز وجل عجبا وهي هذه سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملاء ما خلق و
ملأ ما هو خالق وملأ سمواته وملأ ارضيه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته وسبلغ رضاه
حتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات

ل اي على شرط ان لا يكون في الكلمات الصدق في الوعد وقطع الانفاق بل ان لا يكون في نفي هذه للقصر وقال لبيان نفي الكلمات كذا بالسواد وبياض بعضه
ل ذكر كذا وبا ١٢ ل اقال عشر بعضه
ل ١٢ من ربوة ل ١٢ ربوة ل ١٢ ربيه
ل ١٢ في بعض النسخ على ربوة حمراء
ل ١٢ القرب
ل ١٢ كان نصبه قبالة القرب ١٢
ل ١٢ الخليقة الطبيعة والخلق والطبع
ل ١٢ كما خلق ١٢ ق
ل ١٢ اخبت خشع وتواضع ١٢ ق
ل ١٢ يقال هو بمكان كذا اي عز عزه ورفع القدر عند اهله ١٢

وشم ونفس من الانفاس وابد من الاباد من الابد الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة والكثر من ذلك لا ينقطع ابدا ولا ينفد ابدا دعاء ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه روى ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد كتبنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا وعن ذنبي مستغفرا ولربوبيته الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله الذي لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وانك تبعث من في القبور على ذلك حيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم اني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك اتاب اليك والميك استغفرك واتوب اليك امنت اللهم بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الامي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين امين رب العلمين اللهم اوردنا حوض محمد واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا حي يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها سبحان من سبحت له الجبال باصداف اهاو سبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان ببلغاتها وسبحان من سبحت به نجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الشجر باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شئ من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك يا حي يا قيوم يا عليم يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شئ قدير *

الباب الرابع في ادعية ماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم مخذوفة الاسناد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الاتية كما سيأتي ذكره في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الاخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم في ما دعا به فقل في مفتتح دعواتك عقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو كل على شئ قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسئلك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واقلني عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلاث مرات وقل اللهم اني اسئلك الرضى بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسئلك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسألك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شئ قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسئلك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واسالك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقربني الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واسالك خشيتك

في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة
وفتنة مُضِلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما
تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم امتعنا بأسماعنا وابصارنا وقوانا ما احييتنا واجعله الوارث منا
ما تذل به جبارا حنا لخدمتك واجعلك اللهم احب الينا ممن سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه
فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة واخره مكرمة ومغفرة الحمد لله الذي تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته وخضع كل شئ
لملكه واستسلم كل شئ لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شئ لهيبته وظهر كل شئ لحكمته وتصاغر كل شئ لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى ال محمد و
ازواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى اله وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك النبي الامي رسولك
الامين واعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا
ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك
على تب علي انك انت التواب الرحيم واحلمك عني اعف عني انك انت الغفار الحليم وبعلمك بي ارفق بي انك انت ارحم الراحمين وبملكك لي ملكني
نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت بي ان
لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني بما صالحا تقبله مني اسألك
العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك ربنا افرغ
علينا صبرا وتوفنا مسلمين انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ربنا انتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا اتنا في الدنيا حسنة الاية ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان الى
قوله عز وجل انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا الغ الاية رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين
والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

انواع الاستعاذة

المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان اُرَدّ الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا و
اعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب
لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن
ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا اوّاهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم اني اسألك
عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ
بك من الغم والغرق والحرق والهدم واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك من ان اموت لطلب الدنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت
ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة
الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي و
بصري وشر لساني وقلبي وشر منيي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة و
العيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون
والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك
من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم
اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من بئس العمر وفتنة الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين
وغلبة العدو وشماتة الاعداء

الباب الخامس

في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا

ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي نورا وامامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسئلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسئلك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا ردها الله عليك انما بنيت المساجد لما بنيت له صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل بسم الله اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء عن اخره كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان اجبت قل سبحان ربي العظيم ثلاث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملأ السموات وملأ الارض وملأ ما شئت من شئ بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك امنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وتقول سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير بسم الله اللهم اني اسئلك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والبر والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربي وربك الله وتقول هلال رشد وخير امنت بخالقك اللهم اني اسالك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله اولا ثلاثا واذا هبت الريح فقل اللهم اني اسئلك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فان رايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك فاذا امطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم فاذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري فبك اقاتل واذا طبت اذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكرك الله من ذكرني بخير فاذا رايت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت فقل الحمد لله على كل حال واذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسالك ان تغفر لي واذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي

نور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله همه وابدله مكان فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها فاذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا ليشفى سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يتالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر فاذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم فان اردت النوم فتوضأ وضوءك للصلوة ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى اربعا وثلاثين وسبح ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك اللهم اني لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم يا سميك احيا واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان احييتها فاغفرلها وان اميتها فاحفظها اللهم اني اسالك العافية في الدنيا والاخرة باسمك ربي وضعت جنبي فاغفرلي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا الخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسالك فتعطيني واستغفرك فتغفرلي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسالك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نخرج فيه سوءا او نجره الى مسلم فاذا قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسالك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال ذلك الا ان يقول امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم واذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسالك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا هممت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله لك في اهلك ومالك اذ قال صلى الله عليه وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان القضاء يرد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وان لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت البذر وان لم يسبق لم ينبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر او هو اقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر دفعه سببا فلا تناقض بهذا الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل الا عند الم حاجة او رهق مهلكة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فلحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب البطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى

ل النون في الاصل ساقطة من هنا وهي ثابتة في الرياض ١٢

ع بسم الله الى تربة ارضنا ساقطة من الاصل

ف بزيادة واو بعد الراء في الاصل

ص لبعضنا الى بعضها ثم تمسحه على الجريح

ق بلا واو في الرياض

ك اختلف الرواة في ترتيب هذه الكلمات

ر التسبيح والحمد والتكبير ثلاثا ثلاثا وثلاثين في الاصل

ش في نسخة التسبيح اولا

ت في نسخة التكبير اولا

ث نظر الاسم الى النطق

خ في نسخة مقدم الاسم على الصباح

ذ في نسخة بالاسم الجليل بدل اسم الله

ض اللهم اني اسالك خير هذا اليوم الخ ساقط

ظ والميت ينزل الملائكة الخ ساقط

غ ان كل شيء الخ ساقط

ب ان يجعل الانسان على ما لا يطيقه الخ ساقط

ه الانسان الافضل الخ ساقط

ان راه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات فى الاكل والسفر وعيادة المرضى وغيرها فستاتى فى مواضعها ان شاء الله تعالى وعلى الله التكلان تم كتاب الاذكار والدعوات بحمد الله يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

كتاب ترتيب الاوراد وتفضيل احياء الليل وهو الكتاب العاشر من كتب احياء علوم الدين وباختتام ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على الائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر فى القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلى على نبيه محمد الذى بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اجيب كل واحد منهم نجيا فى الدين هاديا وسراجا منيرا **اما بعد** فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيه ودون منها زاد الى محلهم فى سفرهم الى اوطانهم ويكتنزون منها لحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير لهم مير السفينة براكبها فالناس فى هذا العالم سفر واول منازلهم المهد واخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فمنهم مراحله وشهور قوافسخ وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربح الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسران البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم فى دار الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا احسب تردد الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار والسعى الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الاخرة تفصيل القول فى كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التى سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول فى فضيلة الاوراد وترتيبها فى الليل والنهار الباب الثانى فى كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الاول فى فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هى الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا ان لا نجاة الا فى لقاء الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام التفكر فيه وفى صفاته وافعاله وليس فى الوجود سوى الله تعالى وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار فى وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السامة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغتر بالاستقبال لنقلها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسما مختلفة فالذكر والفكر ينبغى ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مائلة الى ما لاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات رجح جانب الليل الى الدنيا لموافقته للطبع اذ يكون الوقت متساويا فى بقاء ما فى الطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو فى طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا فى بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته فى الطاعة ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما ينكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبس نور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال سبحانه وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطئا واقوم قيلا وقال تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال عز وجل واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده بما اذاقهم فقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما

وقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون اي فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه هذا كله يبين
لك ان الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات ومعارضتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون
الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فلا تظنن
ان المقصود من سير الشمس والقمر حساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الاوقات
فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الاخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف
احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر ويبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار اميتين فمحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان** اعداد الاوراد و
ترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر
وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل يقسم باربعة اوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى
طلوع الفجر فقد ذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به **فالورد الاول** من طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله
اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدح به اذ قال فالق الاصباح وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق والمراد القدرة بقبض الظل فيما ذكر قال تعالى
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
فاما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه
النشور الى اخر الادعية والايات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته
امتثالا لامر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء وسمعة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة الى بيت الماء ويدخل الخلاء الايسر
ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يشتغل بالسنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية التي
ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آداب العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه الترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر
اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين سواء اداهما في البيت او المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس
رضي الله عنهما ويقول اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج
الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة سعيا بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر ولا يشبك بين اصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى و
يدعو بالدعاء المأثورة لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب
الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا
للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما
زيادة فضل فقد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلي فيه
الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة ورفعت له بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة
وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة الف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف
دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فالفيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من ذلك
في هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى او قال مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال الا تصليان قال علي فقلت
يا رسول الله انما انفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان
اكثر شيء جدلا ثم ينبغي ان يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب الباطنة

والظاهرة فى الصلاة والقعدة فاذا فرغ منها قعد فى المسجد الى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سترتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد فى مجلس
اذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق اربع رقاب وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد فى مصلاه
حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين اى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول اذكر من رحمة ربه يقول الله تعالى قال يا ابن ادم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما واذا ظهر فضل
ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغى ان تكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعيته واذكار ويكررها فى سبحته وقراءة قرآن وتفكر اما الدعية
فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام
وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربى العلى الاعلى
الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله اهل النعمة
والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدأ بالادعية التى اوردناها فى الباب الثالث والرابع
من كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليها ويحفظ من جملتها ما يراه اوفق بحاله وارق لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار المكررة فهى كلمات
ورد فى تكرارها فضائل لو تطول بايرادها واقل ما ينبغى ان يكرر كل واحد منها ثلاثا او سبعا واكثره مائة او سبعون او سطه عشر فليكررها
بقدر فراغه وسعته وقته وفضل الاكثر الاكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فواجد بان يداوم عليه وخير الامور اوسطها وان قل
وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا فى القلب من كثير ما مع الفترة ومثال القليل الدائم
كقطرات ماء تتقاطر على الارض على التوالى فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات
متفرقة متباعدة الاوقات فلا يبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت
وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله
سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واسأله التوبة
السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين
الثامنة قوله بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك و
رسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين و
اعوذ بك رب ان يحضرون فهذه العشرة كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان
لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حيالها وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وامن من الملل
فاما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الايات وردت اخبار بفضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسى وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد
الله وقل اللهم مالك الملك الايتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله
سبحانه وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشرة التى اهداها الخضر عليه
السلام الى ابراهيم التيمى رحمه الله ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روى
عن كوز بن ويرة رحمه الله وكان من الابدال قال اتانى اخ لى من الشام فاهدى لى هدية وقال يا كوز اقبل منى هذه الهدية فقلت يا اخى
من اهدى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابراهيم التيمى قلت افلم تسأل ابراهيم من اعطاه اياها قال بلى قال كنت جالسا فى فناء الكعبة وانا فى التهليل
والتسبيح والتحميد فجاءنى رجل فسلم علىّ وجلس عن يمينى فلم ار فى زمانى احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا ولا اطيب ريحا منه فقلت
يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت فى اى شئ جئتنى فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك فى الله وعندى هدية اريد ان اهديها
اليك فقلت ما هى قال ان تقرأ قبل طلوع الشمس وقبل ان تبسط رجلك على الارض وقبل الغروب سورة الحمد وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق
وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسى كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلى
على النبى صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا واجلا فى الدين
والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة و
عشية فقلت احب ان تخبرنى من اعطاك هذه العطية العظيمة فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرنى بثواب فى ذلك فقال اذا لقيت محمدا

ا ل الاستغفار للوالدين ونحوه قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولو كان ابويه كافرين او احدهما او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد زنا او ولد لعان او ولد ملاعنة او ولد

صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة وارى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما راه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان المخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولو يرى مثل الذي رايت في منامه هل يعطى شيئا مما اعطيت فقال والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل لهذا وان لو يرى اني ولو يرى الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل لهذا الامر خلق الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا لهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن او اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان يتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة واما الافكار فليكن ذلك احد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب في ظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين: الفن الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر الآئه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الاله واستغنائه ويزيد خوفه منها والكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ومما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة امر من احدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضائله وخصاله الجميلة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالعباد للمواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى الا امورا جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا لا يحيط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب. ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون حجابا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه دل بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر راى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان احاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل انما كان ذلك باوائل نظرهم فما اضل العوام لا يضل الخليل والحجب المسماة انوارا لما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من يفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك ايضا مما يغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الاربع اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار وهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى لذلك فلا باس به **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس

الى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنى عشر ساعة وهو الربع وفى هذا الربع من النهار وظيفتان نوافلتان احداهما صلاة الضحى وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة وان الاولى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى اربعا اوستا اوثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذى اراد الله تعالى بقوله ليسبحن بالعشى والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التى على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل اذا يغشى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك يقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت افضل صلاة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس وطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء فاسم الضحى يطلق على الكل وكان ركعتى الاشراق تقع فى مبتدأ وقت الاذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية فى هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شئ من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التى قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الان فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن اراده واما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر **الوِرد الثالث** من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث ساعات ام بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث اخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث اخرى فالمغرب فمنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفترض لانه وقت اكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة فى هذا الوقت لاقسام الاربعة ويزيد ام ان احدها الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغى ان يتجر بصدق واما ان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مجاهدا على ان يكتسب فى كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود للاخرة فان الحاجة الى زاد الاخرة اشد والتمتع به ادوم والاشتغال بكسبه امم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يجد المؤمن الا فى ثلاث مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصرون اليه ويجمعون ما لا ياكلون ويدخرون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثانى القيلولة وهى سنة ليستعين بها على قيام الليل كما ان السحور ليستعين به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم نوشيتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذ كان لا ينبعث نشاط للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة اذ فى النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم كم من عابد احسن حاله النوم وذلك اذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثورى رحمه الله كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذا نوم على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قوية ولكن ينبغى ان يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو افضل وفات النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحدهما يغنى عن الاخر وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اى يخلف احدهما الاخر فى الفضل والثانى ان يخلفه فيتدارك ما فات فى احدهما **الوِرد الرابع** ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر والتهيئة لها وهذا اقصر وراد النهار واقلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن بالاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذى اراد الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل فى هذا الوقت اربع ركعات لا ينبغى ان ينقص بتسليمة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء ان يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الروايات فهكذا نقله بعض العلماء ومذهب الشافعى رضى الله عنه ان يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل وهو الذى صح به الاخبار وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء

كما اوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوع وليقرء فيها سورة البقرة وسورتين من المائين او اربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بخاشعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغى ان يدعها ثم يصل بعد
الظهر ركعتين ثم اربعا اذكره ابن مسعود ان تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ فى هذه النافلة اية الكرسى وخواتيم سورة البقرة والايات التى
اوردناها فى الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس**
ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة او فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا من فضائل الاعمال
انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة
فان كان ببيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل فى حقه فاحياء هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا
الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع والنوم
بالنهار من غير سهر وبالليل والحد فى النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فان
نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرين
سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الابدان وكما ان العلم والذكر
غذاء القلب لو لم يكن قطعه عند وقد الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد تمرن نفسه عليه
من غير اضطراب وهذا الورد من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصائل التى ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا
وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات **الورد السادس**
اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى اقسم الله تعالى به اذ قال تعالى والعصر هذا احد معنى الاية وهو المراد بالاصال فى احد
التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله وعشيا وفى قوله بالعشى والاشراق وليس فى هذا الورد صلاة الا اربع ركعات بين الاذان والاقامة كما
سبق فى الظهر ثم يصلى الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة فى الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه ان يمنع
عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج فى هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلاثة **الورد**
السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطى نورها الغبارات والبخارات التى على وجه الارض وترى صفرة فى ضوئها دخل
وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشى منهم لاول النهار وقال
بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار الدنيا واخره للاخرة فيستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه فى الورد الاول مثل ان
يقول استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده ماخوذ من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد
ربك بالعشى والابكار والاستغفار على الاسماء التى فى القرآن احب كقوله استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله ان كان توابا رب اغفر وا
ارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرأ قبل غروب الشمس وضحاها
والليل اذا يغشى والمعوذتين ولغروب الشمس عليه وهو فى الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك والاصغاء كما سبق
ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهى اوراد النهار فينبغى ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة
فان ساوى يومه امسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يوما لا يزداد فيه خيرا فان يرى فى نفسه
متوفرا على الخير جميع نهاره مقتنعا عن التحشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وليسدد بدله اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار
فليغتنم على تلافى ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره وطول الليل ليشتغل
بتدارك تقصيره وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له كنحو نهار فيه شمس الحياة فلا يكون له بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار
فليس العمر الا اياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء احادها **بيان** اوراد الليل وهى خمسة: الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب و
اشتغل باحياء ما بين العشاءين فان فى هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعنى الحمرة التى بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا
اقسم بالشفق والصلاة فيه هى ناشئة الليل لانها اول نشوء ساعاته وهو اتى من الاناء المذكورة فى قوله تعالى ومن اناء الليل فسبح وهى صلاة
الاوابين وهى المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسند ابن ابى زياد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل

عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة بين العشائين ثم قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتذهب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس رحمه الله عن من ينام بين العشائين قال لا تفعل فانها الساعة المغفلة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليهما في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وان عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان امنا من التصنع والرياء **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء الاخرة الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويتسق اي يجمع ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعا قبل الفرض لحياء ما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعا ويقرأ فيها من القرآن الايات المخصوصة كاخر البقرة واية الكرسي واول الحديد واخر الحشر وغيرها والثاني ان يصلي ثلاثة عشر ركعة اخرها الوتر فانه الكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل والاكياس يأخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من اخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صادف ذلك عادة له فاخر الليل افضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلاثمائة اية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلاث احاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها اية افضل من الف اية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات الثالث الوتر ويوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال ابو هريرة رضي الله عنه اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلاة الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت عائشة رضي الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني اذا بصيرت وترا بما مضى وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من اخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون اخر صلاتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه صلى الله عليه وسلم قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت والهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبري وافراد العبادة لله تعالى فقيل ان استيقظ قام مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر بواحدة في اخر صلاة الليل وكذا صار ما مضى شفعا لها وحسن لمستيقاف الوتر واستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلاثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من اخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انها لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وبطل وتره الاول فكونه مشفعا ان استيقظ خير من شفع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايثاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتها وترا بمعناها فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روي انه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان الكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما **الورد الثالث** النوم لا باس ان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت اداب احتسب عبادة فقد قيل ان العبد اذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويده في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل جمع لا انام منه شيئا واتقوى القرآن فيه تقوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك واداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق هذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب الثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام

للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعل بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل
نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر لهم الطهارة كانوا يستحبون مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة ويشتغل بالذكر والدعاء والتفكر
في آلاء الله تعالى وقد رتب على ذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى
يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند راسه فانه لا يامن القبض
من النوم فان من مات من غير وصية لم تؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يتزاوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض
هذا المسكين مات من غير وصيته وذلك مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالظلم
الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وسلم
من اوى الى فراشه لا ينوى ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك ويقتصد
فيه وكان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها
نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجد ر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا
استجلابا له الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في اخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبة النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله
عنه يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابد الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى
عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال صلى الله عليه وسلم تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لن يمل حتى تملوا
وقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين اليسره وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي فاذا نام يصوم فلا نام ولا نطر قال لكني اصلي واصوم
وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك
عبادة الله السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه و
اخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على شقه الايمن من الدعاء
عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى اخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب ان يقرأ الايات
المخصوصة مثل اية الكرسي واخر البقرة وغيرها ويقرء قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله لقوم يعقلون يقال ان من قرأها عند النوم
حفظه الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الايات ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الى قوله قريب
من المحسنين واخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الايتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن في يديه
ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي عن فعل رسول الله صلى الله عليه وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من اخرها وهذه الاي للاستيقاظ
لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما ارى ان رجلا مستكملا لعقله ينام ان يقرأ الايتين من اخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة قال التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ
نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقال وهو الذي يتوفاكم بالليل فسماه توفيا وكما ان المستيقظ ينكشف
له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهدته حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ
بين الدنيا والاخرة قال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تتنبه
فكما انك تتنبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك
فانها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يقول
انه مت في ليلتي تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء الى اخره كما ذكرنا في الدعوات فحق
العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ما ذا ينام وهو الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب
عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب ومع احب العاشر الدعاء عند التنبه فليقل في يتيقظاته وتقلباته متى ما تنبه من نومه كان يقوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون اخر ما يجري على قلبه
عند النوم ذكر الله تعالى واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في حالتين الا ما هو الغالب عليه

فيحرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم
قال الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ **الورد الرابع** يدخل بعض النصف الاول من الليل الى بقى من الليل
سدسه عند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط
النهار وبه اقسم الله تعالى فقال والليل اذا يسجى اى اذا سكن وسكونه وهدوءه فى هذا الوقت فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تاخذه سنة
ولا نوم وقيل اذا يسجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه وسلم
الهى انى احب ان اتعبد لك فاى وقت افضل فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام لخره ومن قام لخره لم يقم اوله ولكن
قم وسط الليل حتى تخلو بى واخلو بك وارفع الى حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وفى آخر الليل
وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ
من الادعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوء اكما سبق لسننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد الله عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة
وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء
السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك
حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك
خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت
نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدنى لاحسن الاعمال فانه لا يهدى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها
الا انت اسالك مسالة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين وقالت
عائشة رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب و
الشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة و
يصلى ركعتين خفيفتين ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح
ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين
قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلاث عشر ركعة وسئلت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر فى قيام الليل ام يسر فقالت ربما
جهر وربما اسر وقال صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلاة المغرب اوتر صلاة النهار فاوتروا صلاة
الليل والكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل ثلاث عشر ركعة يقرأ فى هذه الركعات من ورده من القرآن او من السور المخصوصة مما خف
عليه وهو فى حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير من الليل **الورد الخامس** السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار
هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذى هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد امر بهذا الورد
سلمان لخاه ابا الدرداء رضى الله عنهما ليلة زاره فى حديث طويل قال فى آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم
فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه
وذلك ان امراة ابى الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له قال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه
يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة فى هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت اوراد الليل ودخلت اوراد النهار فيقوم و
يصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تعالى فسبحوه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة الى آخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به
لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة واسأله حفظها حتى يتوفانى عليها
اللهم احطط بها عنى وزرا واجعل لى بها عندك ذخرا واحفظها على وتوفنى عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذه ترتيب الاوراد للعباد وقد
كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففى الخبر من جمع بين هذه
الاربع فى يوم غفر له وفى رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان يمضى اليوم ولم يتصدقوا
ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة

ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت مالكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستجيبون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأل احد شيئا فقال لا ولكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلاث مائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل فرقال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله او تجمعن لك ذلك كله **بيان** اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحوث الاخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما والٍ واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول** العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرنا نعم لا يبعد ان تختلف وظائفه بان يستغرق الكثير اوقاته اما في الصلاة او في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر الفا تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلاث مائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم الكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم او الليلة في التفكر في اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين بحسب ذلك فكان عشرة فواتح ويكون مع كل سبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فواتح فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك ترى الاصوات لا تزال الخلوتي توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا او احس بها بوقع في قلبه فليواظب عليه لتكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيا يا قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد في قلبه وقعا فليلازمه واين ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه **الثاني** العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف وترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتامل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الاخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلي بها عبادة عمره ولو لو يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا والعلم الذي يعينهم على سلوك طريق الاخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ابعاضا فان استغراق الاوقات في تربية العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى ضحوة النهار في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد عليه لاجل الاخرة وان لم يكن فيصرف الى الفكر وتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على انقطاع الشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما اضرا بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل لسان او جوارح مع حضور القلب في الجميع واما بالليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلثا للمطالعة وتربيته لعلم وهو الاول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الاخير وهذا سهل في ليالي الشتاء فاما الصيف فبما لا يخل ذلك الا

اذا كان اكثر النوم بالنهار فهذا ما ستحبه من ترتيب اوراد العالم **الثالث** المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكم حكم العالم فى ترتيب الاوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب اوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام حضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم افضل من اشتغاله بالاوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الاوقات فهى حديث ابى ذر رضى الله عنه ان حضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار رضى الله عنه لو ان ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى امارة امارته وكل ذى سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن رحمه الله اشكو اليك قساوة قلبى فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى عمار الراهب مسكينة الطفا ويتيمة فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنا فقال هيه وقالت ما تسأل عن من ابيح لها الجنة جذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما يخل عن القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة اشرف والنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا **الرابع** المحترف الذى يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات فى العبادات بل وردده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغى ان لا ينسى ذكر الله تعالى فى صنعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا ان يكون ناطورا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى ان يعود الى ترتيب الاوراد وان دام على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من سائر الاوراد التى ذكرناها لان العبادة المتعدية فائدتها النفع من الناحيتين والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقرب الى الله تعالى ثم تحصيل به فائدة الغير ويتجذب اليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الاجر **الخامس** الوالى مثل الامام والقاضى والمتولى للنظر فى امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم حتى وفى المشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعله اذ قال مالى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه ان يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة ويفضل سائر العبادات بتعديه فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه **السادس** الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى اصبح وهمومهم واحد فلا يحب الا الله تعالى ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شئ الا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى توزيع الاوراد واختلافها بل كان وردده بعد المكتوبة بات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر ببالهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله تعالى فهؤلاء جميع احوالهم تصلح ان تكون سببا لاندياد هم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله عز وجل كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته والية الاشارة بقوله انى ذاهب الى ربى سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغى ان يغتر المريد بما يسمع من ذلك فيدع عمله نفسه ويفتر عن وظائف عباداته فذلك علامة ان لا يهجس فى قلبه وسواس ولا يخطر فى قلبه معصيته ولا تزعجه هواجم الاهوال ولا تستفزه عظائم الاشغال والى ترزق هذه الرتبة لكل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى من بعض وفى الخبر الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل فكل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصراط اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون فى درجات القرب لا فى اصله واقربهم الى الله تعالى اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون لعبدهم لذ فرغ عرفه فلم يعبد غيره وهو الاصل فى الاوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة والجاه الاعمال بقلة آثارها بل الاحسن بآثارها واغا يترتب الاثر

ظاهر الوقف

على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يرد في بثان وثالث على القرب الذي اثر الاول وكان ما الفقيه يريد ان يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان هو السبب في صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدي به وتركته عائشة وام سلمة رضي الله عنهما فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية فاعلم ان المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس والسجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدي به صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احياء ما بين العشائين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روت عائشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب وفضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة وروت ام سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة او كانما صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف تفسر ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافها اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر رضي الله عنه اذا نكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من اول سورة البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله لله ما في السموات وما في الارض الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة وصف من ثوابه في الحديث فانجرح عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا اعمله في كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشاء لا تكلم فيما بين ذلك من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلاثا فاذا فرغت من صلاتك فانصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستوجالسا وادفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا الله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم توجه حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وآدم عليه الصلاة حتى يذهب بك النوم فقلت لم احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحى اليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى اباه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت الا وراته يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم الدهر واتعشى بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال جمع بينهما فقلت ان لم يتيسر قال افطر وصل ما بينهما

فضيلة قيام الليل **اما من الآيات** قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى

من تلثى الليل الاية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ وقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى امن هو قانت
اناء الليل الاية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه
على مجاهدة النفس **ومن الاخبار** قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة
عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس
والا اصبح خبيث النفس كسلان وفى الخبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل حتى اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى اذنه وفى الخبر ان للشيطان
سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا لعق ذرب لسانه بالشر واذا ذر نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان
يركعهما العبد فى جوف الليل الاخير له من الدنيا وما فيها ولولا انى اشق على امتى لفرضتهما عليهم وفى الصحيح عن جابر ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرا الا اعطاه اياه وفى رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والاخرة وذلك
فى كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له اما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى
الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وانت تريد رضاء ربك يا ابا هريرة
صل فى ذوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين
قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرء تكون
له صلاة بالليل فغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لابى ذر لو اردت سفرا اعددت له عدة
قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة الا انبئك يا اباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابى انت وامى قال صم يوما شديدا لحره ليوم النشور وصل
ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وورد فى
انه كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يا رب
النار اجرنى منها فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فأذنونى فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا
رسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال اخبر فلانا ان الله قد اجاره من النار وادخله الجنة
ويروى ان جبرائيل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم
بعدها على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيقوم يصلى انه ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى
يطلع الفجر وقال على بن الحسين شيخ يحيى ابن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن وردة حتى اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك
من دارى ام وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لاذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت
الى جهنم اطلاعة لاذاب شحمك ولبكيت الى الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد الموشح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالليل
فاذا اصبح سرق فقال سيزجره ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم ايقظ امرأته فصلت فان ابت نضح فى وجهها الماء ورحم
الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت فى وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وايقظ امرأته فصليا
ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه
وسلم من نام عن حزبه او عن شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كانما قرأه من الليل **الاثار** روى ان عمر رضى الله عنه كان يمر بالاية
من وردة بالليل فيسقط حتى يعاد منها اياما كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح
ويقال ان سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس رحمه الله اذا اضطجع
على فراشه ينقلب عليه كما ينقلب الحية فى المقلى ثم يثب ويصلى الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا اشد من مكابدة
الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره
فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعده على فراش ابدا وكان عبد العزيز بن ابى رواد اذا جن عليه الليل يأتى فراشه فيمر يده عليه ويقول
انك للين ووالله لفى الجنة الين منك ولا يزال يصلى الليل كله وقال الفضيل انى لاستقبل الليل من اوله فيهولنى طوله فاقتح الفراش فاصبح وما قضيت
منى وطرى وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم بسببه قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك

وكان صلة بن اشيم رحمه الله يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء
اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت
الجارية فقالت يا اهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة قالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني
من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع مكثت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا اليسيره وقال ابو الجويرية لقد
صحبت ابا حنيفة رضي الله عنه ستة اشهر فما رايته ليلة وضع جنبه على الارض وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل
كله فقال اني اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى انه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار رضي الله عنه قام بهذه
الآية ليلة حتى اصبح ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقال المغيرة بن حبيب صحبت مالك بن دينار
فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من
ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهرت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا
في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي الحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها ألهتك اللذائذ والاماني عن البيض
الاوانس في الجنان ؛ تعيش مخلدا لا موت فيها ؛ وتلهو في الجنان مع الحسان ؛ تنبه من منامك ان خيرا ؛ من النوم التهجد بالقران ؛ وقيل حج
مسروق ثمانين حجة لا ساجدا ويروى عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من
انت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني
ان تحت العرش ملكا في صورة ديك برائنه من لؤلؤ وصئصئته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال
ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلي
فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم وقيل ان وهب بن منبه اليماني لما وضع جنبه على الارض
ثلاثين سنة وكان يقول لئن ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى في بيتي وسادة لانها تدعوا الى النوم وكانت له مسورة من
ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى الصلاة وقال بعضهم رايت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي
وجلالي لاكرمن مثوى سليمان التيمي فانه صلى الغداة بوضوء العشاء الاخرة اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خالط القلب
بطل الوضوء وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك سبحان

الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروط الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما
الظاهر فاربعة امور **الاول** ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة و
يقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن
ثقل الطعام **الثاني** ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيي بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم
الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على القيام بالليل **الرابع** ان لا يحقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب
ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك
وكان الحسن رحمه الله اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر
بذنب اذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن برة وهو يبكي فقلت اتاك نعي
بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك فقال اشد قلت فما ذاك قال باب مغلق وستري مسبل ولم اقرأ حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب
احدثته وهذا الان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني لا يفوت احدا
صلاة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر
فان العبد لياكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول
الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك
قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد لياكل الاكلة ويفعل الفعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا بديور فبقيت سجانا نيفا وثلاثين سنة اسئل

عن كل ما خوف بالليل انزهل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لاهذا التنبيه على ان بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر واما المبشرات الباطنة
فاربعة امور **الاول** سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لايتيسر له القيام وان قام
فلا يتفكر فى صلاته الا فى مهما تمر ولا يحول الا فى وسأوسه وفى مثل ذلك يقال **شعر** يخبرنى البواب انك نائم ؛ وانت اذا استيقظت ايضا فنائم
الثانى خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر فى اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم جزعه كما قال طاؤس ان ذكر جهنم طيّر
نوم العابدين وكما حكى ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا
اذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل للغلام اخرو هو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى فلا اقدر ان انام وقال ذو النون
المصرى رحمه الله **شعر** منع القرآن بوعده ووعيده ؛ مقل العيون بليلها ان تهجعا ؛ فهموا عن الملك الجليل كلامه ؛ فوقا لهم ذل لكيما تخضعا ؛
وانشدوا ايضا **شعر** يا طويل الرقاد والغفلات ؛ كثرة النوم تورث الحسرات ؛ ان فى القبر ان نزلت اليه ؛ لرقادا يطول بعد الممات ؛ و
مهادا مهدالك فيه ؛ بذنوب عملت او حسنات ؛ امنت البيات من ملك الموت وكم نال امنا بيات **الثالث** ان يعرف فضل قيام الليل
بسماع هذه الايات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان كما حكى ان بعض
الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها فجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى اصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما فقد
صليت الى الصبح قال والله انى كنت اتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فتممت طول ليلتى شوقا اليها **الرابع** وهو
اشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه فى قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك
الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله تعالى احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغى ان يستبعد
هذه اللذة اذ يشهد له العقل والنقل فاما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله انه كيف يتلذذ به فى الخلوة
ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله تعالى لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان
فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر دون الطمع فى امر آخر سواه وكان ينعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه يسمع منه و
ان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى فاعلم انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت
عنه فقد بقيت له ايضا لذة فى عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والمولى يسمع من الله تعالى كلما يرد على خاطره فى اثناء مناجاته فيتلذذ
به وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء انعامه والرجاء فى حق الله تعالى اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما
عند غيره وكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم لكما
يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف بت الليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال اخر انا و
الليل فرسا رهان مرة يسبقنى الى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انامها بين حالتين لوح بظلمته اذا جاء
واغتم بفجره اذا طلع ما لوحى به قط وقال على بن بكار منذ اربعين سنة ما آخرنى شئ سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس
فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال ابو سليمان اهل الليل فى ليلهم الذ من اهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما
احببت البقاء فى الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من ثواب اعمالهم وقال بعض
العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من
الدنيا انما هى من الجنة اظهرها الله تعالى لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان
والصلاة فى الجماعة وقال بعض العارفين ان الله تعالى ينظر فى الاسحار الى قلوب المتيقظين فيملأها انوارا فترد الفوائد فى قلوبهم فتستنير
ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى
واحبهم ويشتاقون الىّ واشتاق اليهم ويذكرونى واذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم فان جذبوت طريقتهم احببتك وان عدلت عنهم
مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها
فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم وافترشوا وجوههم وناجونى بكلامى وتملقونى بانعامى فبين
صارخ وباك وبين متأوه وشاك يعينى ما يحملون من اجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى اول ما اعطيهم اقذف فى قلوبهم نورى فى قلوبهم فيخبرون
عنى كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل وجهى عليهم فترى

من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل و كانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والانوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستاتي الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله عز وجل اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب لك بايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يختلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا سيدي تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب و اندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله اعلم **بيان** طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب **المرتبة الاولى** احياء كل الليل وهذا شان الاولياء الذين تجردوا للعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردّ والمنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان لذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاؤس وموهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الدارانى وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وقيس بن المنهال وكان يختم في الشهر لستين ختمة ومالوعيهم رجع وقرأ مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم **المرتبة الثانية** ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طرق قيام بنام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه وهو الافضل **المرتبة الثالثة** ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من اخر الليل فان كانت لي حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت ايضا رضي الله عنها ما الفيته السحر الا على الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة رضي الله عنه وكان نوم هذا الوقت سببا للكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارتياح القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود صلى الله عليه وسلم **المرتبة الرابعة** ان يقوم سدس الليل وخمسه وافضل ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه **المرتبة الخامسة** ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله لي عينا فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثا او ثلثيه وسدسه يختلف ذلك في الليالي ويدل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروي عن واحد انه قال راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فقام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضا وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة **المرتبة السادسة** وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليتخير المريد لنفسه ما راه ايسر عليه و

يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى ان يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذى بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدعه الصبح نائما ويقوم بطوفى الليل وهذه هى الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجرى امرهما فى التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة **بيان** الليالى والايام الفاضلة: اعلم ان الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتاكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخر من ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر دنياه واخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو فى معصية واما ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما اوردناه فى صلاة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم من احيى ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام الفاضلة ففى تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهى عشر من ذى الحجة والايام المعدودات وهى ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه فى الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناه فى الاخرة واراد بها العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام فى الاسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام فى كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين؛ تم الربع الاول من كتاب احياء علوم الدين ويتلوه الربع الثانى مفتتحا باداب الاكل بحمد الله تعالى وعونه

شد تمام شد

فهرست الجزء الثانی من کتاب احیاء علوم الدین لحجة الاسلام ابی حامد الغزالی رحمه الله تعالی

	صفحه
الباب الاول فیما لابد للمنفرد حین الاکل منه	۲
القسم الاول فی الاداب التی تتقدم علی الاکل	۲
القسم الثانی فی آداب حالة الاکل	۳
القسم الثالث ما یستحب بعد الطعام	۴
الباب الثانی فیما یزید بسبب الاجتماع والمشارکة فی الاکل	۴
الباب الثالث فی آداب تقدیم الطعام الی الاخوان الزائرین	۵
الباب الرابع فی آداب الضیافة وفضیلتها	۶
فصل یجمع آدابا طبیة وشرعیة متفرقة	۹
کتاب آداب النکاح	۱۰
الباب الاول فی الترغیب فی النکاح والترغیب عنه	۱۱
آفات النکاح وفوائده	۱۲
الباب الثانی فی مراعاة حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد	۱۷
الباب الثالث فی آداب المعاشرة وما یجری من دوام النکاح والنظر فیما علی الزوج وفیما علی الزوجة	۲۰
القسم الثانی من هذا الباب النظر فی حقوق الزوج علیها	۲۶
کتاب آداب الکسب والمعاش	۲۸
الباب الاول فی فضل الکسب والحث علیه	۲۸
الباب الثانی فی علم الکسب بطریق البیع والربا والسلم والاجارة والقراض والشرکة وبیان الشروط فیها	۳۰
العقد الاول البیع	۳۰
العقد الثانی الربا	۳۲
العقد الثالث السلم	۳۳
العقد الرابع الاجارة	۳۳
العقد الخامس القراض	۳۴
العقد السادس الشرکة	۳۴
الباب الثالث فی بیان العدل واجتناب الظلم فی المعاملة	۳۵
القسم الاول فیما یعم ضرره	۳۵
القسم الثانی ما یخص ضرره المعامل	۳۶
الباب الرابع فی الاحسان فی المعاملة	۳۸
الباب الخامس فی شفقة التاجر علی دینه فیما یخصه ویعم اخرته	۴۰
کتاب الحلال والحرام	۴۳
الباب الاول فی فضیلة الحلال ومذمة الحرام وبیان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجاته	۴۳
اصناف الحلال ومداخله	۴۵
درجات الحلال والحرام	۴۶
الباب الثانی فی مراتب الشبهات ومثاراتها وتمییزها عن الحلال والحرام	۴۸
الحلال المطلق	۴۸
المثار الاول الشک فی السبب المحلل والمحرم	۴۹
المثار الثانی للشبهة شک منشاء الاختلاط	۵۱
المثار الثالث للشبهة ان یتصل بالسبب المحلل معصیة	۵۶
المثار الرابع الاختلاف فی الادلة	۵۹
الباب الثالث فی البحث والسوال والمجوم والاهمال ومظانها	۶۱
المثار الاول احوال المالک	۶۱
المثار الثانی ما یستند فیه الشک الی سبب المال لا فی حال المالک	۶۲
الباب الرابع فی کیفیة مخرج التائب من المظالم المالیة	۶۷
النظر الاول فی کیفیة تمییز ذلک المال واخراجه	۶۷
النظر الثانی فی مصرفه بعد اخراجه	۶۹
الباب الخامس فی ادرارات السلاطین وصلاتهم وما یحل منها وما یحرم	۷۱
النظر الاول فی جهات الدخل علی السلطان	۷۱
النظر الثانی من هذا الباب فی قدر الماخوذ وصفة الاخذ	۷۰۷
الباب السادس فیما یحل من مخالطة السلاطین الظلمة ویحرم وحکم غشیان مجالسهم والدخول علیهم والاکرام لهم	۷۵
الباب السابع فی مسائل متفرقة یکثر مسیس الحاجة الیها وقد سئل عنها فی الفتاوی	۸۲
کتاب آداب الاخوة والصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق	۸۵
الباب الاول فی فضیلة الالفة والاخوة وفی شروطها ودرجاتها وفوائدها	۸۵
بیان معنی الاخوة فی الله وتمییزها عن الاخوة فی الدنیا	۸۷
بیان البغض فی الله	۹۱
بیان مراتب الذین یبغضون فی الله وکیفیة معاملتهم	۹۲
بیان الصفات المشروطة فیمن تختار صحبته	۹۴
الباب الثانی فی حقوق الاخوة والصحبة	۹۶
الباب الثالث فی حق المسلم والرحم والجوار وللک وکیفیة المعاشرة مع من یجمعه الاسم	۱۰۹
حقوق المسلم	۱۰۹
حقوق الجوار	۱۱۸

	صفحہ
حقوق الاقارب والرحم	١٢٠
حقوق الوالدين والولد	١٢٠
حقوق الملوك	١٢١
كتاب اداب العزلة	١٢٢
الباب الاول فى نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فيه	١٢٣
ذكر حجج المائلين الى المخالطة	١٢٣
ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة	١٢٤
الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق عن فضلها	١٢٥
آفات العزلة	١٣١
كتاب اداب السفر	١٣٦
الباب الاول فى الاداب من اول النهوض الى اخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته	١٣٧
الفصل الاول فى فوائد السفر وفضله ونيته	١٣٧
الفصل الثانى فى اداب المسافر من اول نهوضه الى اخر رجوعه	١٤١
الباب الثانى فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات	١٤٤
القسم الاول العلم برخص السفر	١٤٤
القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر	١٤٨
كتاب اداب السماع	١٥٠
الباب الاول فى ذكر اختلاف العلماء فى اباحة السماع وكشف الحق فيه	١٥١
بيان الدليل على اباحة السماع	١٥٢
بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها	١٦٠
الباب الثانى فى آثار السماع واداب	١٦١
كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر	١٧٣
الباب الاول فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى اهماله	١٧٣
الباب الثانى فى اركان الامر بالمعروف وشروطه	١٧٦
الركن الاول المحتسب	١٧٦
الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة	١٨٤
الركن الثالث المحتسب عليه	١٨٦
الركن الرابع نفس الاحتساب	١٨٧
بيان اداب المحتسب	١٩٠
الباب الثالث فى المنكرات المالوفة فى العادات	١٩١
الباب الرابع فى امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر	١٩٦

	صفحہ
كتاب اداب المعيشة واخلاق النبوة	٢٠٥
بيان تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمد صلى الله عليه	
وسلم بالقرآن	٢٠٦
بيان جملة من محاسن اخلاقه التى جمعها بعض العلماء	
والتقطها من الاخبار	٢٠٧
بيان جملة اخرى من اخلاقه واٰدابه	٢٠٧
بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم	٢٠٨
بيان اخلاقه واٰدابه فى الطعام	٢٠٩
بيان اٰدابه واخلاقه فى اللباس	٢٠٩
بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة	٢١٠
بيان اغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه	٢١١
بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وسلم	٢١١
بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم	٢١١
بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم	٢١١
بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم	٢١٢
بيان معجزاته واٰياته الدالة على صدقه	٢١٢
تمت	

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون

لقد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرف همهم الى الاشتغال بطبع هذا
الكتاب المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المؤيد بالآيات
البينات والاخبار وآثار السالكين الابرار الناطق باصدق الدلالة على الحق وسبيله
وصولي الى المتيم

الشاهد

للشيخ الفقيه الامامجة الاسلام فخر الانام العالم العلامة المحقق المدقق الفهامة المشتهر في المشارق
والمغارب مقتدى كل مطلق ومقيد شمس المفاخر والمعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزي
قدس الله سره ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب رضوانه

في طبع المطبع بمحفل الجمال نزول سور الاحفال بسم

جزء ثان من كتاب الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احسن بديع الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات فاخرج به الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالمأكولات في الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات بأكل الطيبات والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى اله واصحابه صلاة تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ولا طريق الى الوصول للقاء الله الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه ينبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه هملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تطهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وان كان فيها او في حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليوجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته وانما ذلك لدارضها بالدين والدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وهاانا ارشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيئاتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها **الباب الاول** فيما لا بد للاكل من مراعاته وان انفرد بالاكل **الباب الثاني** فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل **الباب الثالث** فيما يخص تقدير الطعام الى الاخوان الزائرين **الباب الرابع** فيما يخص الدعوة والضيافة واشباههما

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه

القسم الاول في الآداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سيأتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل الباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الى قوله ولا تقتلوا انفسكم الآية فالاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين **الثاني** غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل بقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقيد عليه ما يجري سنه مجرى الطهارة من الصلاة **الثالث** ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعله على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع كان لم يكن فعلى السفرة فانها تذكر السفر وتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس بن مالك رحمه الله ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ما ذا كنتم تأكلون

قال على السفرة وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل
على المائدة منهى عنه نهى كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهى وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا بل المنهى بدعة تضاد
سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل و
امثال ذلك مما لا كراهة فيه والاربع التي جمعت فانها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة والاشنان
اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لانهم كانوا مشغولين باموار اهم من المبالغة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكان
منادي لهم آخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم يفض الى التنعم المفرط واما المائدة فتيسير للاكل
وهو ايضا مباح ما لم يفض الى الكبر والتعاظم واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتخريب الاد واني البدن فليدرك التفرقة بين هذه المبتدعات

الرابع ان يجلس الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجثو للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما
نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل
ناعما ومتكئا الا ما ينتقل به من الحبوب روي عن علي كرم الله وجهه انه اكل كعكا على تمر وهو مضطجع ويقال ينبطح على بطنه والعرب تفعله **الخامس** ان
يقوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل قال ابراهيم بن شيبان ما شبعت منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا لشهوتي ويعرف
مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصده نفسه الا باكل هادون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة
هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام
وثلث شراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد منه قبل الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع
ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتي فائدة تمام الاكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات **السادس** ان يرضى بالموجود من الرقيق
والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار المدم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكلما يديم الرمق و
يقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة وان حضرت قربها اذا كان في الوقت متسع قال صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء
والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه وهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الحاضر فالاولى
تقديم الصلاة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلاة وكان في التاخير ما يرد الطعام او ينوش من فقد ما احب عند اتساع الوقت تاقت النفس او لم تتق لعموم الخبر ولان
القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا **السابع** ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وسلم
اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل وحده وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام ما كثرت عليه الايدي

القسم الثاني في آداب حالة الاكل

وهو ان يبدأ ببسم الله في اوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشبع الشره عن ذكر الله تعالى
ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة
ويجود مضغها ولا يبتلعها حتى يمد اليد الى الاخرى فان ذلك عجلة في الاكل وان لا يذم ما كولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ما كولا كان اذا اعجبه اكله والا تركه وان
ياكل مما يليه الا الفاكهة فان ان يجيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكهة وقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان
لا ياكل من زورة القصعة ولا من وسط الطعام بل ياكل مما بين يديه اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع باسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهي عنه وقال انه مشوم ويشاو
يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يوكل به قال صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله تعالى انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال صلى الله عليه وسلم اذا
وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة و
ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله ويأكل من الثمر وترا سبعا او احدى عشرة او احدى وعشرين مما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق
ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ما له عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا
يلتبس على غيره فيأكله وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد قيل ان ذلك مستحب في الطب انه دباغ المعدة **واما الشرب**
فاد به ان يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشرب مصا لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوا عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا
فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما وروي انه صلى الله عليه وسلم شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعى اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل
الشرب ولا يتحشى ولا يتنفس في الكوز بل يتنحى عنه ويبدأ بالحمد ويختم بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم
يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا والكوز كلما يدار على القوم يدار بيمينه وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وابو بكر رضي الله عنه عن شماله وامر ان يعطي عن يمينه

ناحية فقال عمر رضي الله عنه اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في ثلاثة انفاس يحمد الله في اولها وآخرها ويسمي الله في اوائلها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني رب العالمين وفي الثالث الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب دلت عليها الاخبار والآثار *

القسم الثالث في يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال صلى الله عليه وسلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجمع من اصول اسنانه بلسانه اما الخارج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه اثر عن اهل البيت عليهم السلام وان يلعق القصعة ويشرب ماءها ويقال من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مجلبة للحور العين وان يشكر الله تعالى قلبه على ما اطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا نعمة الله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات تنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك وتقرأ بعد الطعام قل هو الله احد لايلاف قريش ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع او لا فان اكل الطعام الغير فليدع له وليقل اللهم اكثر خيره وبارك له فيما رزقته وليسر له ان يفعل فيه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من الشاكرين وان افطر عنده قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ويطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو وليقل اذا اكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه وان اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعمومه ونفعه ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي ولا يكفي منه شيء الطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا فاجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معصيتك واما غسل اليدين بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان في كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يتمم غسل الفم بأصبعه وبباطن اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك الماء ثم يدلك بقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله

الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل وهي سبعة

الاول ان يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو للتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل او اجتمعوا له **الثاني** ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها **الثالث** ان يراقب رفيقه في القصعة فلا يقصد ان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن بمواطاة الرضاء رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ويأكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك واستأذنهم فان قلل رفيقه نشاطه ورغبته في الاكل وكمل الكل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم يكره الكلام ثلاثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعامون من ان يحلف عليه **الرابع** ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلا من لا يحوج صاحبه الى ان يتفقدا في الاكل ويحمل عن اخيه مؤونة القول ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة شيئا ولكن يعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان ترك في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان بعد النوى يعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر ابن محمد رضي الله عنهما احب اخواني الى اكثرهم لي اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تعهده في الاكل وكل هذه اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله ايضا تبين جودة الرجل لاخيه بجودة اكله وفي منزله الخامس ان غسل اليد في الطست لا بأس به وله ان يتنعم فيه ان اكل وحده وان اكل مع غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك فاذا قدم الطست اليه غير اكراما له فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام فقدم انس الطست اليه وامتنع ثابت فقال انس اذا اتاك الاكرام فخذه قبل ان يرد اليك فاقبل كرامته ولا ترده فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال صب به امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجلالته فجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا بأس ان يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي

ان نصيب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم وقيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار
لا يرفع الطست من بين يدي قوم ملأ مملوءة ولا تشبهوا بالعجم وقول ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي
يصب الماء على اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه وفي انه صب على يد احد خادم جالسا فقام المصبوب عليه
فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد ان يكون قائما وهذا لانه اسير للصب والغسل واقرب الى تواضع الذي يصب واذا كان السنة فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكدير فان العادة
جارية بذلك في الطست اذا تبعه آداب ان لا يترفق فيه وان تقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقدم وان يدير الماء ويجمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون
الخادم قائما وان تبح الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك
بالشافعي رضي الله عنهما في اول نزوله عليه وقال لا يرفع عني ما رأيت عني في هذه الضيف وغض **السادس** ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل
يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يخشون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل
الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم فان امتنع لسبب يليق عذرهم دفعا
للخجلة عنهم **السابع** ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا يفض يده في القصعة ولا يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه
عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة التي عضها في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكره غيره اللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذر

الباب الثالث في آداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين +

تقديم الطعام الى الاخوان فيه فضل كثير * قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسبون عليكم من اعماركم
وقال الحسن رحمه الله كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحي ان يسأله عن ذلك
هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض
علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا
ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك فانا احب ان استكثر مما اقدمه اليكم لنا كل فضل ذلك وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم
يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده وفي الخبر ثلاثة لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لان
اجمع اخوتي على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة رضي الله
عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذوق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية
مع الانس والالفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاءك اخوك المسلم فلم
تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم الزائر فاكرموه وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها
بذل الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من اطعم الطعام وقال صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يروى
بعد الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام **واما آدابه** فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة
ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الاكل فان ذلك من المفاجات وقد نهى عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على طعامهم
لا ياكل حتى يؤذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعدهم ان كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل
اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت اكله فلا باس به فقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل
ابي الهيثم ابن التيهان وابي ايوب لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على جائزة ثواب الاطعام وهي
عادة السلف وكان عون بن عبد الله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة والاخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر والاخر سبعة يدور
عليهم في الجمعة فكان اخوانهم معلومهم مهديا لاعراسهم وكان قيامهم اولئك بهم على قصد التبرك بعبادتهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا
بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه اذا المراد من الاذن الرضاء لا سيما في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل صريح بالاذن و
يحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لو يأذن واكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة
واكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك وكذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استئذان
اكتفاء بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلا بد من الاستئذان ولا اثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون

ج ٢

بغير اذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كانوا وروى عن الحسن رضي الله عنه انه كان قائما يأكل من متاع بقال في السوق يأخذ من هذه الجونة
تنبيه ومن هذه قصة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الوقت تأكل متاع الرجل بغير اذنه فقال بالكم أتى على اية الاكل فتلا الى قوله تعالى او صديقكم فقال
قمر الصديق يا ابا سعيد قال ان استرخت اليه النفس واطمأن اليه القلب ومشى قحم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا التنانير وانزلوا السفرة وجلسوا
يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول لهم كرمتم في اخلاق السلف هكذا كانوا وذكر قوم بعض التابعين ولم يكن عندهم ما يقدمونه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه
في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك كله فحمله كله فقدمه الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقيل له قد اخذ
فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال يا اخي ان عادوا فعد فهذه آداب الدخول **واما** آداب التقديم فترك التكلف اولا * وتقديم ما حضر فان لم يحضره
شيء ولم يملك فلا يستقرض لاجل ذلك فيشوش على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدم * دخل بعضهم على
زاهد وهو يأكل فقال لولا اني اخذته بدين لاطعمتك منه وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تأكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة
وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف عوا حدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني فاني لا اتكلف له انما
اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف لي ففلت له انك لا تأكل وحدك هذا ولا انا فسبانا اذا اجتمعنا
اكلنا فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع لحبي فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم ربي
ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال على اجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر شيئا في البيت ولا تجحف بعيالك وكان بعضهم يقدم من كل ما
في البيت فلا يترك نوعا الا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت
للزيارة فقد ما حضر وان استرزت فلا تتوقف ولا تتردد وقال سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضر وفي حديث
يونس النبي صلى الله عليه وسلم انذار اخوانهم فقدم اليهم كسيرات وجرتهم بقلا كان يزرعه ثم قال لهم كلوا فلولا ان الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك رضي الله عنه
وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحقر ما قدم اليه او الذي يحقر ما عنده ان يقدمه

الادب الثاني هو للزائر ان لا يفرح ولا يتكلم بشيء يعينه وربما يشق على المزور احضاره فان خير اخويه بين طعامين فليتخير ايسرهما عليه كذلك السنة ففي
الخبر انه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين الا اختار ايسرهما وروى الاعمش عن ابي وائل انه قال ضيفت مع صاحبي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير
وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال
سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا علموا تعذر ذلك على اخيه او كراهته له فان علم انه ليسر بافتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له
الاقتراح فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني اذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية
فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق بها لونا اخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون انكره وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه الرقعة فلما رأى خط الشافعي
فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه وقال ابو بكر الكاتب دخلت على السري فجاء بفتيت واخذ يجعل نصفه في القصعة فقلت
له اي شيء تعمل وانا اشتهي كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا افضل لك من رجحة وقال بعضهم الاكل على ثلاثة انواع مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط
ومع ابناء الدنيا بالادب **الادب الثالث** ان يشهي المزور اخا الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن
وفيه اجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف في مراجعه شهوة غفر له ومن سر اخاه المؤمن فقد سر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم فيما روى
جابر من لذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة واطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن
وجنة الخلد **الادب الرابع** ان لا يقول لاهل المنزل قدموا لك طعاما بل ينبغي ان يقدم ما كان قال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل له اتاكل او اقدم اليك و
لكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهر هم عليه او يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تأكله
فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقراء فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقهاء فسئلوهم عن مسئلة فاذا دخل القراء فدلوهم على الحرير

الباب الرابع في آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل حتى الانصراف والتقدم على شرحها ان شاء الله تعالى **فضيلة الضيافة** قال صلى
الله عليه وسلم لا تكلفوا للضيف فتبغضوا فان من بغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله فقد ابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيف ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا لهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو
رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي لا

ا ترجمة الجم غفير من خلق
ب وجعل لكم وقرى وقواه
ج بفتحتين وقد يسكن الثاني
د اصل السنن في اللغة الطريق
ه اي اقبل الكل وقيل حسبنا ابو السلام
و بين ثنايا ثانية
ز اي الاكل
ح مخففا
ط بالتحريك ارواء القوة
ي الخشن
ك بالتحريك الغلظ من الارض
ل اي يعطيه
م اي الا بعضي
ن بفتح الراء وكسرها الفقير
١٢

والله لا اسلفه الا برهن فاخبرته فقال والله انى لامين فى السماء امين فى الارض ولو اسلفنى لاديته فاذهب بدرعى وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات
الله عليه وسلامه اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى الضيفان ويصدق بنيته فيه دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضى
ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الان ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الايمان افضل
اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام و
طيب الكلام وقال انس رضى الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة فى فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر ادابها اما
الدعوة فينبغى للداعى ان يعمل بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم اكل طعامك الابرار وفى دعائه لبعض من دعاه له وقال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام
ولا ياكل طعامك الا تقى ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء وينبغى ان لا يهمل اقاربه
فى ضيافته فان اهمالهم اليها وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب فى اصدقائه ومعارفه فان فى تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين وينبغى ان لا يقصد بدعوته المباهاة
والتفاخر بل يتمالا قلوب الاخوان والتاسى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغى ان لا يدعو امن يعلم انه
يشق عليه الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من لا سبابا وينبغى ان لا يدعو الا من يجب اجابته قال سفيان من دعا احدا الى الطعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة
وان اجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان ياكله واطعام التقى اعانة على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق قال
رجل خياط لابن المبارك انا الخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من اعوان الظلمة قال انما اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن
الظلمة انفسهم * واما الاجابة فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدى الى ذراع لقبلت
وللاجابة خمسة اداب الاول ان لا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال
انتظار المرقة ذل وقال اخر اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذللت له رقبتى ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه و
سلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين وسمر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض فى الرمل و
هم ياكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض
واكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبونى قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضر وافقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم واما قول القائل ان من وضعت
يدى فى قصعته فقد ذللت له رقبتى فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك لله
على المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه ان الداعى له يتقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والاخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به
انه يستثقل الاطعام وان ما يفعل ذلك سباها وتكلف فليس من السنة اجابته بل الاولى ان لا تعلل وبذلك قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وادى اليه سلمك
وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه وقال سرى السقطى رحمه الله آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا للخلوق فيها منة فاذا
علم المدعو انه لا منة فى ذلك فلا ينبغى ان يرى وقال ابو تراب النخشبى رحمة الله عليه عرض على طعاما فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبته
وقيل لمعروف الكرخى رضى الله عنه كل من دعاك ثم اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلونى **الثانى** انه لا ينبغى ان يمتنع من الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعى
وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة لا ينبغى ان يمتنع لاجل ذلك يقال فى التوراة او بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة
اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا فى الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حق الحى فهو اولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى
كراع الغميم لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغه وقصر عند ذى سفرة **الثالث** ان لا يمتنع لكونه
صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب فى افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب فى الصوم وافضل فى ذلك صوم التطوع وان لم يتحقق سروره
فليصدقه بالظاهر وليفطر فان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لاخيك وتقول انى صائم وقد قال ابن عباس رضى
الله عنهما من افضل الصنائع اكرام الجلساء بالافطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والحمرا والحديث
الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد الفرائين **الرابع** ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة والموضع او الثياب المفروش من غير حلال او كان يقام فى الموضع منكر
من فرش دنيا او اناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شئ من المزامير والملاهى او التشاغل بنوع من اللهو والطرف والمزح واللعب او استماع الغيبة والنميمة والزور و
الكذب او شبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الاجابة او يستحب بها ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذلك اذا كان الداعى ظالما او متبدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طلبا للمباهاة
والفخر الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا فى ابوان الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للاخرة وذلك بان تكون نيته
الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لو دعيت الى كراع لاجبت ويتوى الحذر من معصية الله بقوله صلى الله عليه وسلم من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله

* استخوان پاى گوسفند *

ويبقى اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن فكانما اكرم الله ويبقى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه
وسلم من سر مؤمنا فقد سرالله ويبقى مع ذلك نيته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتباذل لله وقد حصل
البذل من احد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه ايضا ويبقى صيانة نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على
تكبر او سوء خلق او استحمار اخ مسلم او ما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق اجانبه بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب
ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله و
رسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات
فلا فانه لو نوى ان يسر اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام اخر لم تنفع النية ولو جاز ان يقال الاعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة
وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح وانما المرد دبين وجوه الخيرات وغيرها يلتفت بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث
واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان
على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه البتة فانه قد يكون صاحب في نفسه موضع كل واحد فيخالفه تشوش عليه وان اشار اليه بعض
الضيفان بالارتفاع اكراما فليتواضع فقال صلى الله عليه وسلم ان من التواضع لله الرضاء بالدون من المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب الحجرة التي للنساء وستورهن ولا كثير
النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويحض بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا دخل ضيف للبيت فليعرف صاحب المنزل عنه الدخول القبلة ويبقى الماء
وضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت ولا لانه يدعو الناس الى كرامه فحكمه ان يتقدم
بالغسل وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل لينتظر ان يدخل من يأكل فيأكل معه واذا دخل فراى منكرا غيره ان قدر ولا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعماله
او اني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات لوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد رحمه الله اذا رأى المكاري معها
مغضض ينبغي ان يخرج ولم يأذن في الجلوس لانه في مظنة وقال اذا راى كلة فينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذلك قال
يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكتريت بيتا فيه صورة او دخل الحمام ورأى صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج وكلما ذكرت صحيح و
انما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذا الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذان حرام على ذكور امتي
حل لاناثها وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته لموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله لا سيما في وقت الزينة اذا
لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال ينتفعون بالنظر اليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر الى الديباج مما لبسه الجواري والنساء فان الحيطان في معنى
النساء اذ ليس موصوفا بالذكورة واما احضار الطعام فله اداب خمسة **الاول** تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله و
اليوم الاخر فليكرم ضيفه وهما حضرا الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتاخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق اولئك في التاخير الا ان يكون
المتاخر فقيرا ويكسر قلبه بذلك فلا باس في التاخير واحد المعنيين في قوله تعالى اهل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله
تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والرغاث الذبابة وقيل في خفيه وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة
من الشيطان الا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في
الوليمة قيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء **الثاني** ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك وفق في الطب فانها اسرع
استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة
اللحم والثريد فقد قال عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فان جمع اليه حلاق بعد فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم
قوله تعالى في ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون اي انتم عندي الاكرام عندي تقديم اللحم قال تعالى في وصف طيبات انزلنا عليكم المن والسلوى من العسل
والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من
طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاق من الطيبات قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه اكل الطيبات توجب الرضاء عن الله وتتمة هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر
على اليد عند الغسل قال المامون شرب الماء بثلج يخلص الشكر وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة
واتفق بعضهم درهم تحميتا فقال بعض الحكماء لم تكن تحتاج الى هذا اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاق بعد الطعام خير من
كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فتلك بهيمة مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة وفي الخبر المائدة التي نزلت
على بني اسرائيل كان عليها من كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عندها خل وعندها بملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن

الشره غلبة الحرص ١١
الفضة كانت تتخذ كالدخان ١٢
الكبا بالكسر الرماد الرقيق وغشاء رقيق يتوقى به من البعوض ١٣
الشاة تحنذ شويها بالحجل وهما حجارة محماة تنضجها في عجين او بصوانها الكبار بتقطيعه بعد الشي ١٤
الزينة ما يتخذ من جهز لغرض في قصعة فنسيها مرق ١٥
فترا اي بكمون وزره فسهو فاتره ١٦
الحرمية طعام يتخذ من الحمص والتمر بالكرنول قبل النضج ١٧
البورانية طعام ينسب الى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المامون ١٨
تبوس ١٩
تجي معناه تجيء ٢٠

الموافقة **الثالث** ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الاكل بعد وعادة المترفين تقديم الغليظ ليتناول فيه حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين ان يقدموا اجلة الالوان دفعة واحدة ويصفون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكروا ليستوفوا منه ولا ينتظروا الطيب منه ويحكى عن بعض اصحاب المروات انه كان يكتب بنسخة بما يستحضر من الالوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشائخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا آخرا فقال وكذا عندنا بالشام لم يكن له لون غيره فجعلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوان من الرؤس المشوية طيخا وقديدا فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونا او حملانا فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان من المزاح ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤسا بلا ابدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتياتنا الى السحور فلهذا ينبغي ان يقدم الجميع او يخبر بما عنده **الرابع** ان لا يبادر الى رفع الالوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يعفوا الايدي عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما استحضر او بقيت فيه حاجة الى الاكل فيتغص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال انها خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد قطع الاستجمال ويحتمل ان يكون اراد به سعة المكان حكي عن المستوري وكان صوفيا مزاحا حضر عنده واحد من ابناء الدنيا على مائدة فقدم اليهم حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال لغلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام المستوري بعد وخلف الحمل فقيل له الا تأكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وامر برد الحمل ومن هذا القبيل ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون آخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا فاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه **الخامس** ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع ومراءاة لا سيما اذا كانت نفسه لا تسمح بان يأكلوا الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب لنفس لو اخذوا الجميع وسوغ ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث انه لا يحاسب عليه الخضر ابراهيم ابن ادهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال لسفيان يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضي الله عنه غيبنا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكم جماعة من الصحابة اكل طعاما لباها ومن ذلك كان يوقم من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعامه قطعا نهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبغي ان يعزل او لا نصيب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتستطيل في الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الاطعمة فليس للضيف اخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض وعلم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يوخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما يخصه او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء **فاما الاول** فله ثلاثة آداب **الاول** ان يخرج مع الضيف الى باب الدار وهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه الصلاة والسلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلام من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافئهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي رضي الله عنه ما اكرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد ابن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن ابن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا **الثاني** ان يقصر الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي بعض السلف رسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضروا كانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لو تبق قال فالفدام قال قد غسلتها فانصرف فيحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال لقد حسن الرجل دعانا بنية ورددنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق * وحكي ان استاذ ابي القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرد الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلبه بالانصراف فهذا نفوس قد خلقت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت لا تشاهد في كل رد وقبول غيره فيما بينه وبين ربه فلا تنكسر بما يجري من العباد من الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم انا لا اجيب لدعوة الا لاني اتذكر بها طعام الجنة اي هو طعام طيب يحمل عناكدة ومؤنته وحسابه **الثالث** ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ورأى قلبه في قدر الاقامة واذا انزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة ايام فربما يثقل به ويحتاج الى اخراجه قال صلى الله عليه وسلم الضيف ثلاثة ايام فما زاد فصدقة ونعم ما الحرب لبيت عليه عن خلوص قلب فله القيام اذ ذاك ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش لامرأته وفراش للضيف والرابع للشيطان * **فصل** يجمع آدابا ومنا طبية وشرعية متفرقة * **الاول** حكي عن ابراهيم النخعي انه قال لا كل في السوق دناءة واسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسنادا غريبا وقد نقل على صدقة عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن

ورأى بعض المشائخ من المتصوفة المعروفين بالحمق في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق واكل في البيت فقيل له ادخل المسجد قال استحي اذ خل بيته لم لا اكل فيه ووجه الجمع
ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بشأنه عمله حمل الدناءة
على قلة المروة وفرط الشرة وقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع احواله واعماله وفي ترك التكلف كل ذلك منه تواضعا **الثاني** قال علي رضي الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله
عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتل كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب و
الشفارجات تعظم البطن وتورخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن
والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليبكر بالغداء وليقل العشاء وليلبس الحذاء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخف الرداء
وهو الدين **الثالث** قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال لا تتزوج من النساء الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى ينيم نضجه
ولا تشربن دواء الا من علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكل طعاما الا اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشربن عليه فاذا شربت فلا تأكلن عليه شيئا ولا
تحبس الغائط والبول فاذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب لتغدمة تعش تمشن بغير تمدد كما قال الله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى
اي يتمطط ويقال ان حبس البول يفسد في الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه **الرابع** في الخبز قطع العرق وسمنه وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك
العشاء يذهب بشحم الكاذة يعني الالية وقال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حملك الى معدتك اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو ايضا اقل لشهوتك لما يضرك
في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من لحم اضرها سهل فيك قال من اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بجام بنفسج والبس الكتان **الخامس** الحمية تضر بالصحيح كما
تضر بالمريض هكذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من البرء وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا واحدى
عينيه رمدة فقال اتأكل التمر وانت ترمد فقال يا رسول الله انما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** ان يستحب ان يحمل طعاما الى اهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن ابيطالب
فقال عليه السلام ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون فذلك سنة واذا قد ذلك الى الجمع حمل الاكل منه لا ما يهيأ للنوائح والمعينات بالبكاء والخرع فلا ينبغي
ان يؤكل منه **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعاما ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الطيب وبعض المزكين شهادة من حضر طعاما سلطانيا فقال كنت مكرها فقال رأيتك تتصدى لطيب
وتكثر اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان اكل ولخلع التزكية وانا كي ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري جلس
فلم يأكل اياما في البحر وكانت له اخت في الله فبعثت اليه طعاما من مغزلها على يد الشجان فمنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به
يد الشجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي رحمه الله انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر رغيفا فدفعه لاحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما طيبا وادما
طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت ليعمل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فانه شتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه فاكل واخذ لبا فقال
الله درك قلت اشتري طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر لله درك ولم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل لتدرك لم حملت ما هي لانه اذا صح التوكل لم يضر
الحمل وحكي ابو علي الرودباري رحمه الله عن رجل انه اتخذ ضيافة وقدم فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكلما اوقدته لغير الله فاطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على
اطفاء واحد منها فانقطع واشترى ابو علي الرودباري احمالا من السكر وامر الحالبين حتى نبوا جدار من السكر عليه شرف ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا
الصوفية حتى هدموها وانتهبوها **التاسع** قال الشافعي رضي الله عنه الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وثلاث اصابع من البسنة وباربع
وخمس من الشره واربعة اشياء تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل بغير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق
وكثرة اكل الحموضة واربعة تقوي البصر الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف الملابس واربعة توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب
والنظر الى فرج المرأة والقعود في استدبار القبلة واربعة تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء فنوم على
القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه
هو نوم الشياطين واربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة العلماء والصالحين واربعة تهرم من العباءة لا يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم السواد
كثرة قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم بادر الاكل كيف لا يموت وقال ما رأيت شيئا انفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشم والله اعلم بالصواب

كتاب آداب النكاح وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تضاف به اوهام الاوهام في عجائب صنعه بحر ولا تزجم العقول عن اوائل ابتهاجها الا والهة خيرى ولا تنال الطائف نعم على العالمين تترى فهي تتوالى
عليهم اختيارا وقهرا من بدائع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة بحرا واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا
عظم امر الانساب وجعل لها قدرا في الحرم بسببها الى السفاح وبالغ في تقبيحه وعد وزرا واجل اقتحامه جريمة فحشة وامرا مرا وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من

ن ونخنف
ل فرالوت ١٢
ل لان تيمين
النواح منهي عنه ١٢
ن سجان كنز ٦ ونقاية
ن بي از ابي بن
ل الادم والادم
بالتوتم وهو بالفارسية
ن قوريش ١٢
ل القرن النفض
بسبب الاكل بامر صبح
مورث لمنت اليه و
عقبه ل
الجرح بتقديم مهروذه
بالفارسية تره ١٢
ل ترى متابعة
وهمزة بعد واو
تنون ولا تنون
في الاصل وترى كانت
الفها للتانيث لا تنون
وان كانت للالحاق
تنون ١٢ صراح
ل الامر بالكسر
الامر العجب نوادر
لقد جئت شيئا
امرا اي منكرا
منكرا ١٢

كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذر النطف في اراضي الارحام وانشأ منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا تنبيها على ان بحار المقادير فياضة
على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة على محمد المبعوث بالانذار الى البشر وعلى اله واصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا و
سلم كثيرا **اما بعد** فان النكاح معين على الدين ومهيع للشياطين حصن ورغد والله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فلما احراه
بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وابوابه والفذ المهم من احكامه بكشف في ثلاثة ابواب **الباب الاول في**
الترغيب فيه وعنه الباب الثاني في الاداب المرعية في العقد والعاقدين الباب الثالث في آداب المعاشرة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف اخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة
الله هما لم تتوق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال اخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب مخطوة واخلاق
النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح
وتركه في حق كل من سلم من غوائله ولم يسلم منه **الترغيب في النكاح** اما من الايات قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن
هذا منع من العضل ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان و
اظهار الفضل ومدح اولياءه بسوال ذلك في الدعاء فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الاية وقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء
الا المتاهلين فقالوا ان يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى عليه السلام فانه سينكح
اذا نزل الارض ويولد له **واما الاخبار** فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن احب
فطرتي فليستن بسنتي وقال ايضا صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فاني ابالي بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط وقال ايضا عليه السلام من رغب عن سنتي فليس مني
وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا الاصل للترك وقال صلى الله عليه وسلم من
كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف
الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم
من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه وسلم من نكح لله وانكح لله
استحق ولاية الله وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة بتحصين الفساد
فان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزوج احدهما وقال صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ادم ينقطع الا ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى
هذا الا بالنكاح **واما الاثار** فقال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عاجز او فاجر فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عمر
رضي الله عنهما لا يتم نسك امرئ حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم النسك
الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود
رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا ومات مرثد بن ابي مرثد الغنوي رضي الله عنه في الطاعون وكان هو ايضا
مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول
ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج
فقال يا رسول الله اني فقير لا شئ لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاتبا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بما يصلحني في
دنياي واخرتي وما يقربني الى الله مني ولئن قال لي الثالثة لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله وجئني قال اذهب الى بني فلان فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شئ لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به الى القوم فانكحني فقال اولموا و
جمعوا له من الاصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض العباد في الامم السالفة
فاق اهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لو لا انه تارك لسنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي عن ذلك فقال
انت تارك للتزويج قال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال انا ازوجك بنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته وقال بشر ابن الحارث فضل على
احمد ابن حنبل ثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقه عنه ولانه نصب اماما للعامة وقال ان احمد رحمه الله تزوج في اليوم
من امرأة ام ولد عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا وما بشر فانه لما قيل له ان الناس يكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو مشغول

ع التوفيق والعون
ع اي قوله تعالى الخ
ع اي بعد ان
ع اي الفضل
ع اي نفل
ع اي الباءة
ع اي الجماع
ع اي الجماع
ع اي الجماع

بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال لم يمنعنى من التزويج الا قوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف فقد كرذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه فعد على مثل حد السنان و
مع ذلك فقد روى انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وادخلنى الجنة واشرف بى على مقامات الانبياء ولم ابلغ منازل المتاهلين وفى رواية قال لى
ما كنت احب ان القى ربى عزبا فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقى بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبرى على بناتى والعيال وقال سفيان ابن
عيينة كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق
من اخلاق الانبياء وقال رجل لابراهيم بن ادهم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال لو وقعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه قال فما
الذى يمنعك من النكاح فقال مالى حاجة فى امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسى وقيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين
ركعة من عزب **واما ما جاء فى الترغيب عن النكاح** فقد قال صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا اهل له ولا ولد وقال صلى
الله عليه وسلم ياتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك وفى
الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين وسئل ابو سليمان الدارانى عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ما
الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد متاهل وقال مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلاث من طلبهن فقد سكن الى
الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب حديثا وقال الحسن رحمه الله اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال وقال ابن ابى الحوارى تناظر جماعة فى هذا الحديث
فاستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل ان يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابى سليمان الدارانى ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشئوم
وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب فى النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده

آفات النكاح وفوائده وفيه فوائد خمسة الاولى كسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بحقهن **الفائدة الاولى الولد**
هو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل فى اخراج البذر وبالانثى فى التمكين
من الحرث تلطفا بهما فى السياق الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير فى جلب الحب الذى يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت الفدية الازلية غير قاصرة عن اخراج الانفس
ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لبهجة الصنعة وتحقيقا لما سبقت به الكلمة
وحقت به القلم وفى التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هى الاصل فى الترغيب فيه عندها من بين سائر الشهوات حتى لم يجب احدهم ان يلقى الله عزبا **الاول**
موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان **والثانى** طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير من به مباهاة **والثالث** طلب
التبرك بدعاء الولد الصالح بعده **والرابع** طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله **اما الوجه الاول** فهو احد الوجوه والبعد ملحوظ عن افهام الجماهير وهو احقها
واقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجاريه حكمة وبيانه ان السيد اذا اسلم الى عبده البذر والات الحرث وهيأ له ارضا هيأة للحراثة وكان العبد
قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل الة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد دفع الموكل عن نفسه نوع من الحمالة كان مستحقا للمقت
والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة فى الفقار وهيأ لها فى الانثيين عروقا ومجاريا وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة
وسلط منتظرا الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الاصناف والالات تشهد بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى ارباب الالباب بعجائب ما اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق تعالى
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال تناكحوا تناسلوا فكيف قد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل
لما خلق الله من الالة للعمل وجاء على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس بثم حروف واصوات يقرؤه كل من له بصيرة
ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر فى القتل الاول وفى الوأد دلالة منع لتمام الوجود واليه اشار من قال الفرد لم احد الوترين فالناكح متعاط
فى اتمام ما احب الله تعالى اتمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا فان قلت فقد علمت ان بقاء النسل والنفس محبوب وبهم ارفناها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالاضافة الى ارادة الله تعالى ومعلوم ان الكل
بمشيئة الله وان الله غنى عن العالمين فما الذى يتميز عنده موتهم عن حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم فاعلم ان هذا الكلام حق اريد بها باطل فان ما ذكرناه لا ينافى اضافة الكائنات
كلها الى ارادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلامنا لا يضاد ان الارادة قد ترد مكروها وربما ترد محبوبا فالمعاصى مكروهة و
هى مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهى مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر
فكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله وكراهته كالبقاء فانه تعالى يقول ما ترددت فى شئ كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له من الموت
فقوله لا بد من الموت اشارة الى سبق الارادة والقدر المذكور فى قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفى قوله تعالى الذى خلق الموت والحيوة ولا مناقضة بين قوله نحن قدرنا
بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق فى هذا يستدعى تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فان السابق الى الافهام منها

١ اشرف عليه ١١ اطلع
٢ عليه من فوق ١٢
٣ ١١ الحرية فى الحرية
من لا اهل له ١٢
٤ عزبة ١٢ قوله
٥ راغ الرجل
والثعلب ، وغالا
وحاد عن الشئ ،
اراد وطلب ١٢
٦ الحاذ الظهر
خفيف الحاذ قليل
المال والعيال ١٢
٧ الفحل بالفتح
الذكر من الحيوان و
الوقاع الجماع ١٢ تكملة
المصباح ١٢
٨ عظام الفقار ١٢
٩ ذلق اللسان
كفرح وكرم فهو
ذلق ، وذلق بالفتح و
كتف وكرم فهو
ذلق اى حاد
بفتح ١٢ قاموس
١٠ الوتد الوتد بفتحتين
١١ من عسل
عن السرية اى
سرح عنها حين
الانزال من فرقه
العسكر بالوتد
١٢

امور تناسب ارادة الخلق ومجتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات
الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراء سر القدر الذي
منع من افشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نحن فيه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله ويحيى من ادم
صلى الله عليه وسلم عضوا بعد عضو الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود ادم عليه السلام على نفسه فمات ابتر لا عقب له
ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوجتي لا القى الله عزبا فمن قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فهو قول الجاهل
يحصل الوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار انما المعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد اتى
ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان بعض الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع
الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرد الموتى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الان وقد
كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم وضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب
في حق القادر على الحرث وعز يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تطويل المرأة وتضييرها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى
هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة **الوجه الثاني** التعرض لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد
صح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجود كما مر وروي عن عمر رضي الله عنه انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما
من الاجنبيات في مذمة المرأة العقيم اذ قال عليه السلام لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل
على ان طلب الولد داخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان يبقى بعده ولد
صالح يدعو له كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن ادم منقطع الا ثلاث فذكر ان ولدا الصالح وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على الطباق من نور وقول القائل ان الولد اذا لم يكن صالحا
لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا اعزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لابويه مقبول كان او فاجرا فهو شاب على دعواته و
حسناته فانه من كسبه وغير مواخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا
اولادهم مزيدا في حسناتهم **الوجه الرابع** ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة و
في بعض الاخبار يأخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محنظلا اي ممتلئا غيظا و
غضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي خبر آخر ان الاطفال يحتجون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة
اذهبوا بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم من جاء بذرية المسلمين ادخلوا الجنة احتسابا عليكم فيقولون فاين اباؤنا وامهاتنا فيقول الخزنة ان آباءكم لم يكونوا مثلكم
ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على بوابي الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم بهم ما
هذه الضجة فيقولون ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع اباءنا فيقول الله تعالى لخالق الجميع فخذوا بايدي اباءهم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له
اثنان من الولد فقد احتظر حظارا من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث دخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال
واثنان ** حكي ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزوج فيأبى فمرض مرضا فنبه من نومه وقيل له تزوج وقال زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني
ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كان القيامة قد قامت وكنت في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلائق
في شدة العطش والكرب فتحرك كل اثنين ذكر وانثى ان يختلطوا للجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يختلفون
الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمد عنقي الى احدهم وقلت اسقني فقد آجمد ني العطش فقال للمبرك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت ومن انتم فقالوا نحن ممن مات من اطفاله
المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى فانى احرتكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح راجع
كونه سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصن من الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله عليه السلام من لم
قد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء اكثر ما نقل من الآثار والاخبار ناظرا
الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان الشهوة موكلة بالطبع فتحصيل الولد في النكاح كالتابع لشغله ودافع لجعله وصارف لشره سطوته وليس من يجب مولاه رغبة في تحصيل رضاه
كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط ولكن يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة
من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولكن في الشهوة حكمة اخرى سوى الارتفاق الى الايلاد وهو ما في قضاء
من اللذة التي لا تواتيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع

او الصبى فى لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب واحدث فوائد لذات الدنيا الرغبة فى دوامها فى الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر
الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التغيبة الالهية كيف غيبت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء
ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هى الحياة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة لسرعة الانصرام تحرك الرغبة
فى اللذة الكاملة بلذة الدوام فيفتح على العبد بشدة الرغبة فيها تيسير المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان ومن ثمرات
ملك الانسان باطنا وظاهرا بل من ثمرات ملكوت السموات والارض الاطلاع على طائفة من طرائف الحكمة وعجائبها مما يحار العقول فيها ولكن انما ينكشف القلوب الطاهرة
بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين اكل من لا يؤمن عن عجزه وعنة وهم غالب الخلق فان
الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى حرك الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله عليه السلام عن الله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى
فهو محتاج الى ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسوسة والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لانزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور
الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه فى اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك فى اثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من امور الوقاع ما لو صرح به بين يديه اخس الخلق لاستحيى منه والله
مطلع على قلبه والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق وراس الامور المريدين فى سلوك طريق الاخرة قلبه والمواظبة على الصوم تقطع مادة الوسوسة فى حق اكثر الخلق الا ان يضاف اليه ضعف
فى البدن وفساد فى المزاج ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه جملة عامة قل من يتخلص منها قال تعالى فى معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اى لا تغلمنا وعن
عكرمة ومجاهد انها لا تهى معنى قوله تعالى خلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقال فياض ابن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلثا دينه وفى تفسير عن ابن
عباس رضى الله عنه ومن شر غسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة اذ لها حيلة لا يقاومها عقل ولا دين ويهى مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحيائين كما سبق
فى اقوى آلة الشيطان على بنى آدم واليه اشار عليه السلام بقوله ما رايت من ناقصات عقل ودين اغلب لذوى الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله
عليه وسلم فى دعائه اللهم انى اعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر قلبى ومن شر منيتى وقال سالك ان نطهر قلبى ونحفظ فرجى فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يخوض الناس
فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكره النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدى
الله تعالى جلسة او وقف بين يديه موقفا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا ليصبنا من ذلك كثير فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد
ثم وجدت بكنى ما خطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى الا فذته فاستريح وارجع الى شغلى ومنذ بعت سنة ما خطر على قلبى معصية وانكر بعض الناس حال الصوفية فقال لبعض
ذوى الدين ما الذى تنكر منهم قال ياكلون كثيرا قال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما ياكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينيك
وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى الفوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
من وقع نظره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم راى امراة فدخل على
زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم ان المراة اذا اقبلت اقبلت بصورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل
الذى معها وقال عليه السلام لا تدخلوا على المغيبات وهى التى غاب ازواجها فان الشيطان يجرى من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله
اعاننى عليه فاسلم قال سفيان بن عيينة فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانما كان يحفظ نفسه
من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخرج عدة الشيطان منه وروى انه جامع ثلاثا من جوارى فى
شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ولانه لما كان الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد لاجل فراغ القلب بالنكاح
نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق الولد هو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد لهوى من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحياة على الوالد مدة
وفى افحاش الفاحشة تفويت الحياة الاخروية التى تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من ايامها وروى انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح
فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم ارحنى ان اسال مسالة فاستحيت من الناس وانا الان لهابك واجلك فقال ابن عباس العالم بمنزلة الوالد فما كنت افضيت به الى
ابيك فافضى اليه فقال انى شاب لا زوجة لى وربما اشتهيت الغلمان على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اقرا وقف نكاح الامة
خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على ان العزب المغلم مرحوم بين ثلاثة شرور اذا ما نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد وافحشه الزنا
ولم يطلق ابن عباس الاباحة فى شئ منه لانهما محذوران يفرع اليهما حذرا من الوقوع فى محذور اشد منه كما يفرع الى تناول الميتة حذرا من هلاك
النفس فليس ترجيح احد هذين الشرين فى معنى الاباحة المطلقة ولا فى معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكلة من الخيرات وان كان يوخذ فيه عند اشراف النفس
على الهلاك فكذا فى النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث فى حقه
ويبقى ما سبق من امر الولد وان ذلك عام الا للمسوح وهو نادر من الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المراة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة

ج ٢ ١٢

ك ٥ فتح اللام كخرج وضرب وعلم لغة فيه وقد قرئ بها قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ونحن نرزقهم وايانكم
ك ٦ قرئ بفتح الواو وضمها لغتان
ك ٧ قرئ بفتح الغين وضمها لغتان
ك ٨ الغسق بالغين المعجمة والقاف شدة الظلمة والليل اذا غاب شفقه وقيل غسقه اول ظلمته وقيل اقباله وقيل اوله مطلقا
ك ٩ اى اذا اقبل الليل واظلم
ك ١٠ الاستمناء طلب خروج المنى بالكف والعادة السرية
ك ١١ المسوح الذى لا شعر على ذكره ولا على عانته
ك ١٢ العنت الزنا والاثم
ك ١٣ الغلمة شدة الشهوة

على الواحدة الى الاربع فان لم يرا لله له مودة ورحمة اطمأن قلبه بهن والا فليستبدل فقد نكح علي رضي الله عنه بعد فاطمة عليها السلام بسبع ليال و
يقال ان الحسن بن علي كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة وكان يعقد على اربع في وقت واحد ربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه الصلوة
والسلام للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال صلى الله عليه وسلم حسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احدا اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى وهما كان الباعث معلوما فينبغي ان يكون العلاج بقدر
العلة فاذا اريد تسكين النظر فلينظر اليه في الكرة والقلة **الفائدة الثالثة** تروح النفس وانباسها بالمجالسة والنظر والملاعبة راحة للقلب تقوية له
على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها لجمحت وتابت واذا فرحت باللذات في بعض الاوقات قويت نشطت في
الاستبقاء بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويريح القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات والله تعالى يسكن اليها وقال علي رضي الله عنه روحوا
القلوب ساعة فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بحظه و
مشربته فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله فلينظر آخرا لا يكون العاقل طامعا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقال عليه الصلوة
والسلام لكل عابد شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته على سنتي فقد اهتدى والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة و
كان ابو الدرداء يقول اني استجم نفسي بشيء من اللهو لا تقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل عليه السلام
ضعفي عن الوقاع فدلني على المريسية وهذا ان صح لا يحمل الا على الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فانه استثار الشهوة ومن علم الشهوة علم الاكثر من هذا الامر وقال
عليه الصلوة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب النساء وقرة عيني في الصلاة فهذه ايضا فائدة لا ينكرها من جرب انغاب نفسه في الاكتساب والاذكار وصنوف الاعمال
وهي خارجة عن الفائدتين اللتين اسبقتهما حتى انها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان هذه الفائدة تجعل النكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقد يقصد بالنكاح ذلك
وانما قصد الولد وقصد قمع الشهوة وامثالها فهو مما يكثر ثمن رب شخص يستأنس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها ولا يحتاج الى تزويج النفس بمجادثة النساء و
ملاعبتهن متخيلة هذا خلاف الاحوال والاشخاص فليتنبه له **الفائدة الرابعة** فراغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب
المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع شغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة
للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب منغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة
الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك للاخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى ربنا
آتنا في الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلوة والسلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته فانظر كيف
جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما اعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من
امرأة صالحة وان منهن غنما لا يجد منه ومنهن غلا لا يفك منه وقوله لا يجدك لا يعتاض عنه بعطاء وقال عليه الصلوة والسلام فضلت على آدم بخصلتين كانت
زوجته عونا له على المعصية وزوجاتي اعوان لي على الطاعة وكان شيطاني كافرا وشيطان مسلم لا يأمرني الا بخير فهذه معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوائد
التي يقصدها الصالحون لا انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر لهم الا تدعو الى امرأتين بل الجمع ربما يفضل العيشة ويضطر به امور المنزل ويدخل في هذه الفائدة
قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل الاصهار فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل خذل من لا ناصر له ومن حسد من يدفع عنه
الشر وسلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الله يشوش القلب والمرء بالكثرة وانما لذلك **الفائدة الخامسة** مجاهدة النفس وبإضاتها بالرعاية والولاية والقيام
بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربيته الاولاد فكل هذه
اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والاصل فيه قول عليه
الصلوة والسلام لامير يوم من وال عادل افضل من عبادة ستين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره كمن
اشتغل باصلاح نفسه فقط وكم حبيس على الاذى كمن رقه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال البشر فضل على احمد بن حنبل بكثرة
احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلوة والسلام ما انفقه الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها الى امرأته وقال بعضهم
لبعض العلماء من كل عمل اعطاك الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك فسحة مع
اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما خرجنا فيه قالوا انا لا نعلم ذلك قال انا اعلم قالوا فما هو قال رجل منخرف وعاد فقام من الليل فنظر الى صبيانه نيام متكشفين فسترهم وغطاهم
بثوبه فعمله افضل مما خرجتم فيه وقال صلى الله عليه وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث
آخر ان الله يحب الفقير المتعفف ذا العيال وفي الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفر عنه وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب

لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمتي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي وقال لمن ورائه هذا هو المشؤوم فيقول الاخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فحثت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي اخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من هذا المشؤوم الذي تقولون اليه فقال انت فقلت ولم ذاك قال كان رفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فما ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان وثلاث وفي اخبار الانبياء عليهم السلام ان قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فاضافوهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله تعالى وقلت ما انت معاقبي به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه والمشاكس لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف له اطن عيوبه فخير على سالك طريق الاخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات وتعاطي الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وتتراض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة وتراض به نفسه واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب فانما عمله عمل الجوارح بصلاة اوحج او غيره فحمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو ممكن فيها واما العبادة في العمل بالكسب فالعلم افضل من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اكثر من ذلك واعم واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة

اما آفات النكاح فثلاث الاولى

اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله والمغرب في امن من ذلك واما المتزوج فغير آمن لكثرة مداخل السوء فيبتاع هو وزوجته وبيع اخرته بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن الدرهم الذي اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يغلق بالرجل في القيامة اهله وولده فيوقفون بين يدي الله تعالى ويقولون ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نحمل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وقال عليه الصلوة والسلام لا يلقى الله احد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه آفة تمنع من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال فيقيه ويأهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفة او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات بأحتطاب او اصطياد او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على ان يعامل به اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا هذا لمن رزق شبقا غالبا مثل الحمار في الاتان فلا ينهى عنها بالضرورة لحيلك نفسه فان ملك نفسه فتركه اولى

الآفة الثانية

القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا اكثر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والفتيا بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلوة والسلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي ان المرء ليرفع له عمله فيقول يا رب من عيالي فيقال له بمنزلة العبد المملوك الذي لا تقبل له صلوة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما قي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق واضافت الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء ان كثر كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى كما قيل شعر لن تسع الفارة في جحرها * علقت المكنس في دبرها * وكذلك اعتذر ابراهيم بن ادهم رحمه الله وقال لا غراض عن نفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن واما عمن واما عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اصير جلادا على الجسر ورؤي سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت في اعيال الفلس وكان سفيان يقول يا حبذا المعزبة والفناح * ومسكن تخرقه الرياح * لا صخب فيه ولا صياح * فهذه آفة عامة ايضا وان كانت دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداريهن بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم

الآفة الثالثة وهي

ل ١ ان الايام ٢ اي بنا ٣ فيما تقدم ١٢ ٤ الجمع فيهم الجمع ما يجتمع والمراد السباع لا فرسها ٥ اي الفارة فيها تنهشها الحية ٦ علقت بفتحتين كل ما يؤكل كالرطب ونحوه والمكنس الزبل ٧ فتوا على الاول فتنوا ١٢ ٨ على الاول ١٢ ٩ الخ الاول ١٢ ١٠ الوحدة ١٢ ١١ سوء الخلق والقسوة والخشونة في الكلام ١٢

الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له الى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من اهل ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الاقسام الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء وموانستهن والاسعاف في التمتع بهن وشيء من النكاح انواع من الشواغل عن هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله من تعوق افخاذ النساء لم يعبأ منه بشيء وقال ابو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا غض عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتفاوت هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان اتفقت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله بل مع ذلك شأنه محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد فان اتفقت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامران او هو الاغلب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط خط تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة واظهر الآفات الحاجة الى الكسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت آفة الحاجة الى الكسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا في نقصان هذين الامرين امر الولد فان النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك رجاء والدين راس مال وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخروية وذهاب راس المال ولا تقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين واما اذا اضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في راسه وخاف على نفسه الزنى فالنكاح له اولى لانه مترددبين ان يقتحم الزنى او ياكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيان وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يحصله وبنصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف من قضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا في الحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على قمع الافكار الشاغلة للقلب او الى ترك النكاح كان عمل القلب الى العفو اقرب وانما مراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام واكله والطعام به مهلك فينبغي ان توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة وترغيب عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فما من الآفات فما الافضل له التخلي لعبادة الله او النكاح فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى وقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة او الحج او ما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدابير الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهمهم غير غافلة عن همها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو رتبته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امراته ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير الوحي في ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى صلى الله عليه وسلم فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل ويتعذر معها طلب الحلال او كان يتخير فيما الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة وتخلى للعبادة وهم اعلم باسرار الامور واحكام اعصارهم في طيب المكاسب والخلاص من عوائل النكاح وما له فيه وهما كانا لا يحويان شيئا حتى يكون النكاح في بعضها افضل وترك في بعضها افضل فحقنا ان ننزل الافعال الانبياء على الافضل في كل حال والله اعلم

الباب الثاني في ما يراعى حالة العقد من احوال المراة وشرط العقد

اما العقد فركنه وشرطه لينعقد ويفيد الحل اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فلسلطان الثاني رضاء المراة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا ولكن زوجها غير الاب

والجد * الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للجاحة * الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن آدابه ان يلقى امر الزوج لسمع الزوجة وان كانت بكرا فذلك احرى واولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يدوم بينهما ومن الآداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومنه ان يتولى بالنكاح اقامة للسنة وغض للبصر وطلب للولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصد مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك من هذه النية فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا وافق الحق الهوى فهو النبل بالرسيا ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب العقد في المسجد وفي شهر شوال لقول عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال واما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما للحل والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها للحل وهو ان تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة للغير الثاني ان تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطء شبهة او كانت في استبراء وطء عن ملك يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة الكفر الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنتسب الى نبي وكتاب ومنهم المعتقدات لمذهب لا باحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده السادس ان تكون كتابية قد انت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الخصلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادرا على طول الحرة او غير خائف من العنت الثامن ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين التاسع ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعد اصل واعني بالاصول الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعد اصل العمات والخالات وبأولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن يحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر المحرم بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او حفدتها او ملك بعقد او شبهة عقد من قبل او وطئهن بالشبهة في عقد او وطئ امها او احد جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المرأة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطء او يكون قد نكحها ابن او ابنه قبل الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة الثالث عشر ان تكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والاخرى انثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذه الناكح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له حتى تطأ بنكاح صحيح بعد زوج غيره الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعنها فانها تحرم عليه ابدا بلعنة اللعان السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا يعقد النكاح الا بعد تمام التحلل السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها او دخل بها فانها امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة اما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتوفر مقاصده ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة * الاولى ان تكون صالحة فان دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها اثرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهما ونابذا بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها فقال اني احبها قال امسكها واتما امره بامساكها خوفا عليه بانه اذا طلقها اتبعها نفسه وفسد هو ايضا معها فرأى ما في دوام نكاحها من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاكه ماله او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكره كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان انكر وخاصم تنغص لعمره ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين فقال تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك وفي خبر آخر من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة لجمالها فعسى جمالها ان يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها ولأمة سوداء ذات دين افضل وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المرأة

ضب المرأة ظفرة بالكسر عاما الى التشديد وضب الثالب على الذم وذلك الكلام ايضا ضبا ضبا من باب قتل

الاول بالفتح الفضل والقوة والغنى والسعة الحت الوقوع في الاثم

الاعجمي الذي لا يفصح

ذات الدين بالنصب على الاغراء

وفي الاصل بياض قدر كلمة

الرغام بالضم التراب

تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب القراغة والاستعانة على الدين فان اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة لا اتانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا احدا قزا ولا براقة ولا شداقة اما الاتانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح المريضة او نكاح المتعار لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول منعت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوج اخر ولدها من زوج اخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شئ بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا تاكل الا وحدها وتشتغل بتطييبها من كل شئ وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين وحكي ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزويج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح اربعا المختلعة والمباراية والعاهرة والناشزة اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير بأس والمباراية المباهية بغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال الله تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال والناشزة العالية من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها واتقت كل شئ فلم تخرج من بيتها خفيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح * الثالثة حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن وطيب الطبع لا يكتفى بالذمية غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يقترنان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المجرد مع الفساق الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا وقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤوم بينهما اي يؤلف بينهما من وقوع الادامة على الادامة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه السلام ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكح كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال من القبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فصلى خضابه فاستدعت عليه اهل المراة الى عمر وقالوا خدعنا شابا فاوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان ترددونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيضاح وينبغي ان يقيد ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يجسمها فيقصر فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغراء اغلب والاحتياط فيه مهم لمن تحشى على نفسه التشوف الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لكنه على الجملة امر الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شئ حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك احدهم ان يتزوج بيتمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسئل عن اعقلهما فقيل العوراء فقال تزوجني اياها فهذا لو امر لم يقصد التمتع فاما من لا يامن على دينه فالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حظ للدين وقد قيل اذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون خجلة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء اهل الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسنات الاخلاق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا العروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء الواسعة العين وقال عليه السلام خير نسائكم من اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها ومالها وانما يسر بالنظر اليها اذا كانت محبة للزوج * الرابعة ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهى عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد وجرة وسادة من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدين من تمر وملاك

من سويق وكان عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة في الصداق ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيل قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة رضي الله عنه على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا باس به وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها وقال ايضا ابركهن اقلهن مهرا وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المراة فيكره السوال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي ان يكن طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج وقال اي شيء للمراة فاعلم انه لص واذا اهدى اليهم فلا ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة واما النهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر تحت قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فان الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح ينبغي التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح **الباب الخامسة** ان تكون المراة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع عن تزويجها قال عليه السلام عليكم بالولود الودود فان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيرجع صحتها وشبابها فانها تكون ولودا والجامع لهذين الوصفين **السادسة** ان تكون بكرا قال عليه السلام ايا كم والثيبات فتزوجوا ابكارا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلاث فضائله احداها ان تحب الزوج وتالفه فيورثها معنى الود وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالود والطبع مجبولة على الانس بالمالوف اما التي اخبرت الرجال وعاينت الاحوال فربما ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلى الزوج الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع منها يذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة انها لا تحن الى الزوج الاول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا **السابعة** ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها فان لم تكن مودبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال عليه السلام اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع **الثامنة** ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك الثاني في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب على العاقل ايضا ان يراعي خصال الزوج وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن به خلقة او خلق او ضعف دينه او قصر في الفقه بحيث لا يكافئها او كان لا يكافئها في نسبها قال عليه السلام الكفاءة الرق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال وهما زوج ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال عليه السلام من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها **الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والاخذ** في اثنا عشر امرا في الولية والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب في النشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق **الادب الاول الوليمة** وهي مستحبة قال انس رضي الله عنه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امراة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق وقال صلى الله عليه وسلم طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به لم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن وينددن من قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها **الادب الثاني** حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لنقصان عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المراة واخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم لانكم تكلفونهم ما لا يطيقون اتقوا الله في النساء فانهن عوان عندكم في ايديكم يعني اسراء اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امراة فرعون ☆ واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت نساؤه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر رضي الله عنه

عمر فی الکلام فقال انی اراجعینی یا لکعاء فقالت ان ازواج رسول الله صلی الله علیه وسلم یراجعنه وهو خیر منك فقال عمر خابت حفصة و
وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتری بابنة ابن ابی قحافة فانها حِبّ رسول الله صلی الله علیه وسلم وخوّفها من المراجعة وروی انه
دفعت احداهن فی صدر رسول الله صلی الله علیه وسلم فزبرّتها امها فقال علیه السلام دعیها فانهن یصنعن لکثر من ذلك وجری بینه
وبین عائشة کلام حتی ادخلا بینهما ابا بکر رضی الله عنه حکما واستشهدا فقال لها رسول الله صلی الله علیه وسلم تکلمین او اتکلم فقالت
بل تکلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها ابو بکر حتی مرّی فوها وقال یا عدوة نفسها اویقول غیر الحق فاستجارت برسول الله صلی الله علیه وسلم وقعدت
خلف ظهره فقال له النبی صلی الله علیه وسلم لم ندعك لهذا ولا اردنا منك هذا وحلت له مرة فی کلام غضبت عنده انت الذی تزعم انك
نبی الله فتبسم رسول الله صلی الله علیه وسلم واحتمل ذلك حلما وکرما وکان یقول لها انی لاعرف غضبك من رضاك قالت کیف تعرف قال اما رضیت
قلت لا والله یهم واذا غضبت قلت لا والله ابراهیم قالت صدقت انما اهجر اسمك ویقال ان اول حب وقع فی الاسلام حب النبی صلی الله علیه وسلم
لعائشة رضی الله عنها وکان یقول لها کنت لك کابی زرع لام زرع غیر انی لا اطلقك وکان یقول لنسائه لا توذینی فی عائشة فانه والله ما نزل
علی الوحی وانا فی لحاف امراة منکن غیرها وقال انس رضی الله عنه کان رسول الله صلی الله علیه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبیان **الثالث**
ان یزید علی احتمال الاذی بالمداعبة والمزح والملاعبة فهی التی تطیب قلوب النساء وقد کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یمزح معهن وینزل الی درجات
عقولهن فی الاعمال والاخلاق حتی روی انه صلی الله علیه وسلم کان یسابق عائشة فی العدو فسبقته یوما وسبقها فی بعض الایام فقال علیه السلام
هذه بتلك وفی الخبر انه کان صلی الله علیه وسلم مزاحا مع النساء وقالت عائشة رضی الله عنها سمعت صوات اناس من الحبشة وغیرهم وهم
یلعبون فی یوم عاشوراء فقال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم اتحبین ان تریْ لعبهم قالت قلت نعم فارسل الیهم فجاؤا وقام رسول الله صلی الله
علیه وسلم بین البابین فوضع کفه علی الباب مدیدا ووضعت خدی علی یده وجعلوا یلعبون وانظر وجعل رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول احسبك
واقول اسکت مرتین او ثلاثا ثم قال یا عائشة حسبك فقلت نعم فاشار الیهم فانصرفوا فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم اکمل المومنین ایمانا احسنهم
خلقا والطفهم باهله وقال علیه السلام خیرکم خیرکم لنسائه وانا خیرکم لنسائی وقال عمر رضی الله عنه مع خشونته ینبغی للرجل ان یکون فی اهله
مثل الصبی فاذا التمس ما عنده وجده رجلا وقال لقمان رحمه الله ینبغی للعاقل ان یکون فی اهله کالصبی اذا کان فی القوم وجد رجلا وفی تفسیر الخبر المروی ان الله یا
الجعظری الجواظ قیل هو الشدید علی اهله المتکبر فی نفسه وهو احد ما قیل فی معنی قوله تعالی عتل بعد ذلك هو الفظ اللئیم الغلیظ القلب علی اهله وقال علیه السلام لجابر
هلا بکرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت له عربیة تزوجها وقد مات فقالت والله لقد کان ضحوکا اذا ولج سکیتا اذا خرج اکلا ما وجد غیر مسائل عما فقد **الرابع** ان ینبسط
فی الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الی حد یفسد خلقها ویسقط بالکلیة هیبته عندها بل یراعی الاعتدال فیه فلا یدع الهیبة ولا انقباض مهما رأی منکرا
ولا یفتح باب المساعدة علی المنکرات البتة بل مهما رأی ما یخالف الشرع والمروة نمرها واستعصی قال الحسن والله ما اصبح رجل یطیع امراته فیما تهوی الا کبه الله فی النار وقال عمر رضی الله
عنه خالفوا النساء فان فی خلافهن البرکة وقد قیل شاوروهن وخالفوهن وقد قال علیه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها فی هواها فهو عبدها
وقد تعس فان الله ملکه المراة فملکها نفسه فقد عکس الامر وقلب القضیة واطاع الشیطان لما قال ولآمرنهم فلیغیرن خلق الله اذ حق الرجل ان یکون متبوعا لا تابعا وقد تهدم
الله الرجال قوامین علی النساء وسمی الزوج سیدا فقال تعالی والفیا سیدها لدی الباب فاذا انقلب السید مسخرا فقد بدل نعمة الله کفرا ونقض الامر علی مثال نفسك ان رسلت
عنانها قلیلا اجمحت بك طویلا وان ارخیت عنانها شیرا اجذبك ذراعا وان کبحتها وشددت یدك علیها فی محل الشدة ملکتها قال الشافعی رضی الله عنه ثلاثة الا
اکرمهم اهانوك وان اهنتهم اکرموك المراة والخادم والنبطی ادبه ان محضت الاکرام ولم تمزج غلظك بلینك وفاظتك برفقك وکانت نساء العرب یعلمن بناتهن خبایا
الازواج کانت المراة تقول لابنتها اختبئی لزوجك قبل الاقدام والجراءة علیه ازعی زجّ رمحه فان سکت فقطعی اللحم علی ترسه فان سکت فکسر العظام بسیفه فان سکت
فاجعلی الاکاف علی ظهره وامتطیه فانما هو حمارك وعلی الجملة قبائح النساء اکثر من ان تحصر وانما یحتاج الی ضبطهن بالاقتضاء فی
المخالفة والموافقة وتتبع الحق فی جمیع ذلك لیسلم من شرهن فان کیدهن عظیم وشرهن فاش والغالب علیهن سوء الخلق ورکاکة العقل فلا یعتدل
ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسیاسة وقال علیه السلام مثل المراة الصالحة فی النساء کمثل الغراب الاعصم بین ما ئة غراب الا عصم یعنی ابیض البطن و
فی وصیة لقمان لابنه یا بنی اتق المراة السوء فانها تشیبك قبل الشیب واتق شرار النساء فانهن لا یدعون الی خیر وکن من خیارهن علی حذر وقال علیه السلام
استعیذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المراة السوء فانها الشیبة قبل الشیب وفی لفظ اخر ان دخلت علیها اسبتك وان غبت عنها خانتك وقد قال علیه السلام
فی خیرات النساء انکن صواحبات یوسف الا ان صرفکن ابا بکر عن التقدم فی الصلاة میل منکن عن الحق الی الهوی قال الله تعالی وما افشین سر رسول الله
صلی الله علیه وسلم ان تتوبا الی الله فقد صغت قلوبکما ای مالت وقال ذلك فی خیر ازواجه وقال علیه السلام لا یفلح قوم تملکهم امراة وقد

رضي الله عنه امرأته لما راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما انت فاذا فيهن شر وفيهن ضعف في السياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر الداء فلينظر الرجل لولاه الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها الخامس الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادئ الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان تبتغ العثرات للنساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا فتخالفوهن فنبقا فر لكل واحد في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المرأة كالضلع ان قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم ان من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة لان ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك اما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان ياتي الرجل ما حرم عليه وقال عليه السلام اتعجبون من غيرة سعد انا والله اغير منه والله اغير مني ولاجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدح من الله ولاجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي في الجنة قصرا وفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فاردت ان ادخله فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال عليك اغار يا رسول الله وكان الحسن يقول للمخنثين نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبحهم الله من لا يغار وقال عليه السلام ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل وقال عليه السلام اني لغيور وما من امتي الا يغار الا منكوس القلب والطريق للمتغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته وفاطمة عليها السلام اي شيء خير للمرأة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدون الكوى والثقب في الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضربها ورأى امرأته قد دفعت الى غلامه تفاحة فاكلت منها فضربها وقال عمر رضي الله عنه اعروا النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج في المشية الرثة وقال عليه السلام عودوا النساء الكرى البيوت وكان قد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المسجد والصلاة الآن المنع الا للجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا وتقول بلى وانما استجر اعلى المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضاء ازواجهن والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن الفضل اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التي لبست مهمة تقدح في المروة وربما تفضي الى الفتنة فاذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال والنساء تقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه بل هو كوجه الصبي لا مرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كان وجه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة **السادس** الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري الكل واحدة في كل ربعة ايام لحمها بدرهم وقال الحسن رضي الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب في الاثاث والثياب مقاتير قال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعيل اهله في كل جمعة فالفاكهة وان لم تكن من المهمات لكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير والمرأة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير تصريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستأثر عن اهله بأكول طيب فلا يطعمهم منه فان في ذلك عما يورث الصد ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فليأكل بخفية بحيث لا يعرف اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فينبغي العيال كلهم على مائدته فقد قال سفينة رضي الله عنه بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت يأكلون جماعة وانهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل عليه اهل السوء لاجلها فان في ذلك جناية عليها لاهمالها وقد وردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح **السابع** ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام الصلاة وما يقضى منها وفي الحيض وما لا يقضى فذلك امر ربما يغفل عنه التقي فقوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة

وينزل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ويخوفها في الله ان تسامحت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فانه لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها ربما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الزوج قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وان قصر علم الزوج ولكن ناب عنها في السؤال فاخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الزوج ان منعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل لا بد منه ومهما اهملت المرأة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الزوج خرج معها وشاركها في الاثم الثامن اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امرأة بليلها قضى لها في القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وانما عليه العدل في العطاء والمبيت واما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت اختياره قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا املك يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها احب نسائه اليه من بين سائر من في ذلك وكان يطأ بها محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول اين انا غدا فعلمت لذلك امرأة منهن فقالت انما يسأل عن يوم عائشة فقال يا رسول الله قد اخذنا لك ان تكون في بيت عايشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيت بذلك فقال نعم قال فحولوني الى بيت عائشة ومهما وهب واحدة ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألت ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه فاقرها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين وتسعا ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا آلمت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها جامعها طاف في يومه او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه في ليلة واحدة وعن انس انه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحى نهار

التاسع في النشوز وهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقلة على اصلاحها فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما ضلاة بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فما الرجل واحسن النية وتلطف بهما فاصلح بينهما واما اذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذا اذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتخويف والتحذير فان لم ينجع ولا ما ظهرة في المضجع او الفرح عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة الى ثلاث ليال فان لم يرجع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسرها عظما ولا يدمي لها جسما ولا يضرب وجهها فتلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المرأة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا في البيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى عشرين وأكثر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارسل الى زينب بهدية فردتها عليه فقال لها التي هي في بيتها لقد اقمأتك اذا ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم انتراهون على الله ان تقيمني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن العاشر في آداب الجماع ويستحب ان يبدأ باسم الله ويقرأ قل هو الله احد ولا يكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كتبت قدرت ان تخرج ذلك من صلبه وقال عليه السلام لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا الاية وكان بعض اصحاب الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي راسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يخرج ان تخرج العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وسلم لا يقعن احدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جارية او زوجته فيصيبها قبل ان يحدثها ويوانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه ويكره الجماع في ثلاث ليال من الشهر الاول والاخر والنصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن علي ومعاوية وابي هريرة رضي الله عنهم ومن البلهاء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقا لاحد التاويلين من قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من غسل واغتسل الحديث ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي ايضا نهمتها فان اثار لها ربما يناخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها

والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر فمهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها كيشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحي و ينبغي ان يأتيها في كل اربع ليال مرة فهو اعدل اذ عدد النساء اربعة فجاز التاخير الى هذا الحد ثم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا يثبت لها مطالبة بالوطي فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في المحيض ولا بعد انقضائه قبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتي اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى ولا اذى في غير الفرج فانه هو اشد تحريما من اتيان الحائض وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم اي اتي وقت شئتم وله ان يستمتع بيديها وان يستمتع بما تحت الازار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المرأة بازار من حقو فوق الركبة الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب وله ان يواكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها وان اراد ان يجامع ثانيا بعد ان يغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضأ ولا وضوء الصلاة وذلك سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ ولكن قد رخص فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء وهما عاد الى فراشه فليمس وجه فراشه او لينفضه فانه لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من نفسه جزأ وهو جنب ان نزع اليه سائر اجزائه في الآخرة فيموت جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الاداب ان لا يغتسل بل يسرج الماء الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كائنة هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربع مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القائل يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل يبيح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهية فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر او صلاة ويكره للحاضر في مكة مقيما بها ان لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهية ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ما ابتناه من الفضيلة في الولد لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له بجماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد كان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا انه كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يكون بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل هنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا وترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر على الانزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثاني كالثالث والثاني كالاول وليس هذا كالاجهاض والوأد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مرتبة واولى مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة ويتهيأ لقبول الحياة وافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش وان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه وما ئها او من ماء ودم الحيض قال بعض اهل التشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الثدي وان النطفة من الرجل شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الثدي وكيف ما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماء ان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ وهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وتما ان النطفة في الفقار لا يخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المرأة او دمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا يبعد ان يبعث عليه الاثنية فاسدة فيها شئ من شوائب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل **خمس الاولى** في الشريعة وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق الاعتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق وهو فعل ليس يمنع عنه **الثانية** استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه **الثالثة** الخوف من كثرة الحمل بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب وجمع المال للاهل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة الحمل معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلا حجر فيه سقوط عن درجة الكمال وترك الافضل ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه **الرابعة** الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل الوقاع اثم بها لان ترك النكاح والوطي فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من تحميلها رجل فكانت تتشبه بالرجال ولا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح **الخامسة** ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخواج لمبالغتهن

في استعمال الماء حتى كرتقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخل الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي بدعة وسنة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد الفاسد دون منع الولادة فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا قلنا قلت في العزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا افضل الا فضل فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الخفي وقرأ واذا الموؤدة سئلت في هذا الصحيح قلنا في الصحيح ايضا اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما فان قلت فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الاصغر فان المنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف لذلك انكره عليه علي رضي الله عنه لما سمعه وقال لا تكون موؤدة الا بعد سبع ابعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهي قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله تعالى في الآية الاخرى واذا الموؤدة سئلت واذا نظرت الى ما قلته منه في طريقة القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر انه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وفيه ايضا عن جابر انه قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه السلام اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين **الحادي عشر** في آداب الولادة وهي خمسة **الاول** ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري الخيرة له في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يتمنى ان تكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه وسلم من كان له ابنة فاد بها فاحسن تاديبها وغذاها واحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له مينة ومنيرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه او صحبهما الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فمن فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم من كانت له ثلاث بنات او اخوات فصبر عليهن واطعمهن وضلهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله قال وثنتان فقال رجل وواحدة فقال وواحدة **الادب الثاني** ان يوذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم قد اذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقنوه اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به خبر **الادب الثالث** ان تسميه اسما حسنا فذلك من حق المولود وقال صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال عليه الصلاة والسلام احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم اذ كان ينادى يا ابا القاسم والآن فلا باس بهم لا يجمع بين اسمه وكنيته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان هذا ايضا كان في حياته وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فيكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء ابيه فيقول انت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء اباءكم فاحسنوا اسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله ابدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان وحكم وغراب وحباب وشهاب وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد النهي في تسمية افلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال أثم بركة فيقال لا **الرابع** العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا باس بشاة ذكرا كان او انثى وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في الغلام ان يعق بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة وروي انه عق عن الحسن كبشا وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر انه عليه السلام امر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم **الخامس** ان يحنكه بتمرة او حلاوة وروي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت ولدت عبد الله بن زبير بقباء ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول

مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم **الثاني عشر** في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض
المباحات الى الله تعالى وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانبه قال الله تعالى
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اى لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها ابوه فليطلقها قال ابن عمر رضى الله عنهما كان تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها و
يامرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امراتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد
مثل عمر مهما آذت زوجها وبذت على اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة مهما بذت على اهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال و
يكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال الله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما دون ذلك
لا شئ بالفداء فان سالت الطلاق بغير باس في آئمة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقها من غير باس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ اخر
فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر انه عليه السلام قال المختلعات هن المنافقات فتحريم الزوج في الطلاق اربعة امور **الاول** ان يطلقها في طهر جامعها
فيه فان الطلاق في الحيض او الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر زوجته في الحيض
فقال صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وانما امره
بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط **الثاني** ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد
العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى
الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اعني زوجة المحلل بعد ان تزوج منه ثم يورث ذلك
تنفير امر الزوجة وكل ذلك ثم من الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه بهذا المعنى واعني بالكراهة
تركه النظر لنفسه **الثالث** ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجمها به من
اذى الفراق قال تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي رضى الله عنه مطلقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض جواريه
لطلاق امراتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة الاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ما اذا فعلتا قال اما احديهما فبكت راسها و
تنكست واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن ورحم لها وقال لو كنت اجعل امرأة بعدما فارقتها لراجعتها ودخل
الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لو لم ار
مسير ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته
فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه وقال له ارسلت الي فكنت احيئك فقال الحاجة لنا قال قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع
راسه وقال والله ما على وجه الارض احد يشق علي ان ارد عليه امرا اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما سرها وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها و
ان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك فانت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها
زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضى الله
عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المومنين
لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان شاء طلق فسر ذلك عليا وقال شعرا لو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلي بسلام وهذا تنبيه على ان من ضن في حبيبه
من اهل او ولد بنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن دينه والقصد من هذا بيان
ان الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
وقال سبحانه وتعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته **الرابع** ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح وقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد
عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل له ما الذي يريبك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال كل و
لا مراة خير لي فهذا بيان ما على الزوج **القسم الثاني** من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها * والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة
له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها
عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تستاذن في النزول الى ابيها فقال صلى الله عليه وسلم اطيعي زوجك فمات فاستامرته فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله

عليه وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما يأتين الى ازواجهن دخل مصليا من الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضي الله عنها اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان فتاة اخطب وانى اكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من قرنها الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت افلا اتزوج قال تزوجي فانه خير وقال ابن عباس اتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة اذا اوادها فراودها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما تكون المرأة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضا للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر عشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت نوجي منه عرفته كالا وما عرفته رزاقا ولرب رزاق يذهب الكال ويبقى الرزاق وخطب رابعة بنت اسماعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما بقي في النساء شغل بجمالي فقالت اني لا اشغل بجمال نفسك ومالي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله عز وجل فقال حتى استاذن ابا سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج وقول ما تزوج احد من اصحابنا الا غير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان في منزلها كن من جص فخنق من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت رابعة هذه تشبه في اهل الشام رابعة العدوية بالبصرة ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده فان اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة واداب العشرة مع الزوج كما روي ان اسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنته عند التزويج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا منك فقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه فلا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته **شعر** خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ولا تقربني قربك الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب فاني رايت الحب في القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لا زينة تظهرها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الله خول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع اموره ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت باذنه فمختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها او تعرفه همتها صلاح شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها واذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من رزق الله وحمدها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها مستعدة في الاحوال كلها للتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للسر عليهم قضية اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة امرأة ايمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا او ماتوا وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل ادمي الجنة يدخلها قبلي غير اني انظر عن يميني فاذا امرأة تبادر في الباب الجنة فاقول لها من انت فتقول انا لمن تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتيم لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله

لها ذلك ومن آدابها ان لا تفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فرأيت امرأة من احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه ارضيت لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسأت في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه او لعل اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فسكتني وقال الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص احمر وهي محتضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت شعر ولله مني جانب لا اضيعه * وللهو مني والبطالة جانب * فعلت اغما امرأة صالحة لها زوج تتزين له ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ بن جبل قال قال صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا * ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ومن آدابها ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها هند روى عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤونته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن ولم اكن احسن اخبز وكان يخبز جارات لي من نسوة الانصار وكنت نقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسي فقال صلى الله عليه وسلم اخ اخ ليبعر ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد علي من ركوبك معه

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

كتاب آداب الكسب والمعاش وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد يعنى في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلا شئ ونمجد تمجيد من يصرح بان كل شئ ما سوى الله باطل ولا يحاشا وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له كلا فراشا ونشكر اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا وهد الارض لبساطا لهم وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا وعلى اله واصحابه الذين لم يريدوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التحمل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدلجة اليها والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لا يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولا ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وشرحها في خمسة ابواب **الباب الاول** في فضل الكسب والحث عليه **الباب الثاني** في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات **الباب الثالث** في بيان العدل في المعاملة **الباب الرابع** في بيان الاحسان فيها **الباب الخامس** في شفقة التاجر على دينه

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال عليه السلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله

ل الدخيل في الاصل معرب كذا في مختار الصحاح ١٢ منه
س ناضحه اي بعيره ١٢ منه
ع اي اخبز ١٢ منه
ف ناضحي ١٢ منه
ص ماش
ق نعم فلان ابل
ر استثناء منقطع ١٢ منه
ش النواضح بالضاد المعجمة ١٢ منه
ت ثمانت سنة السراج حبر فرغ ١٢ منه
ث كورت رددت ضوء النهار على ظلمة الليل كما يكور العمامة على الرأس ١٢ منه
خ ادخل بنا في هذا ١٢ منه
ذ قوم ١٢ بالكسر والدير ١٢ منه
ض الفعل الامتثال والتكلف ١٢ منه

عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذ مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر الخراج احل ما اكل العبد كسب يده الصانع اذا نصح وقال عليه السلام عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وفي رواية ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال اتعبد قال من يعولك قال اخ لي قال اخوك اعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا مرتكم به واني لا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطاء عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب لم يقل اتركوا الطلب بل قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله تعالى فمن اتاها اصاب منها وقال عليه السلام لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه او منعه وقال من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر **واما الآثار** فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر رضي الله عنه اصبت استغن عن الناس يكون اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أخية شعر فلن ازال على الزوراء اغمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال * وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهد وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه ما من موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال ايوب كنت فيما شيء احب الي من سؤال الناس جاءت ريح عاصفة في البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم رحمه الله وكان معهم فيها اما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما نقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تبتغي وفي طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابراهيم بن ادهم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عنك هذا يا ابا عمرو فانه بلغني انه مر موقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفك فاحرز بهما ثم تعبد وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ينادي مناد يوم القيامة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال و الاتكال على كفاية الاغنياء ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا المسجد به فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا جابيا فالجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول السنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة لمن تطلب بها الكفاية او الفضل والزيادة على الكفاية فطلب هذا الزيادة على الكفاية لاستكثار المال او ادخاره لا ليصرف الى الخيرات والصدقة فهي مذمومة اقبال على الدنيا التي جماع راس كل خطيئة فان كان مع ذلك جابيا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا جابيا واراد بالتاجر طلب الزيادة فما اذا طلب بها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب فضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتنزه اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وتزل الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات او عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمحدث ومثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بامورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح او الاوقاف المستغلة على الفقراء او العلماء فقيامهم على ما هم فيه افضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني الاربعة الى زيادات

لا يحيط بها الوصف وهذا اشار الصحابة على ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح المعهود ذلك ولي ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء اولى ولهؤلاء الاربعة حالتان اخريان احداهما ان تكون كفايتهم عند ترك المكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكوة او صدقة من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم او فضل لهم الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا في محل النظر والتفاوت التي ذكرناها في السؤال ذمة لدل ظاهر على ان التعفف عن السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم او العمل ويهون عليه باذنى تعريض في السؤال بتحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال ولقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يثقل عليهم منة من قبولهم لبراءتهم فكان قبولهم لبراءتهم خيرا مضافا لهم الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الآخذ كاجر المعطي محققا ان لا خذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله وفي وقته والله اعلم فهذا فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدئ بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني

الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع وصحة هذه التصرفات التي بها يحصل الكسب في الشرع

اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب محتاج الى علم الكسب فما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان يقع لي الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه ليتمرن في التصرفات في ظنها صحيحة مباحة له فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة يتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربا شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك الكسب عنها فالبيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها

العقد الاول البيع وقد احله الله تعالى وله ثلاثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ **الركن الاول العاقد** ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وان اذن له فيه اولي عند الشافعي وما اخذاه منهما مضمون عليه لهما وما سلماه في معاملة اليهما فضاع في ايديهما فهو المضيع له واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعل البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد الا ان يأذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه مأذون له في الشراء للسيد والبيع له فيقبل على الاشتغال او على عمل يخبر بذلك فان عامله بغير اذن السيد فقد باطل وما اخذ منه مضمون عليه للسيد وما تلف ان ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيد بل ليس له الا المطالبة به اذا عتق واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمر من يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة

ويجوز بيع الفهد والنحل وبيع الفهد والاسد وما يصلح لصيد وينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الطوطى وسى الببغاء والطاوس والطيور المنبوحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح واما الكلب فان الله لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهى فانه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التى تباع وللاعياد للصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار مسامح بها واما الثياب والاطباق وعليها صور الحيوانات يصح بيعها وكذا المستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها اقطعى منها ثم قرق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه

الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز ان يشترى من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغى ان يشترى من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف لرضى به فانه اذا لم يكن الرضاء متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يجرى فى الاسواق فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه **الرابع** ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالابق والسمك فى الماء والجنين فى البطن وكحساب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن فى الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والعجز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع **الخامس** ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع او شاة ارددت او ثوبا من هذه الثياب التى بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه من اى جانب شئت وعشرة اذرع من هذه الارض وخذه من اى طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين الا ان يبيع شائعا مثل ان يبيع نصف الشئ او عشره فان ذلك جائز واما العلم بالقدر فانما يحصل بالكيل او الوزن او النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصفحة فهو باطل اذا لم تكن الصفحة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او قال بعتك بهذه الصرة من الدراهم او بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تعيينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الاعيان ولا يصح بيع الغائب الا اذا سبقت رويته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا اسد المذهبين ولا يجوز بيع التوزيجى فى المنسوج اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحظة فى سنبلها ويجوز بيع الارز فى قشرته التى يدخر فيها وكذا بيع اللوز واللوز فى القشرة السفلى ولا يجوز فى القشرتين ويجوز بيع الباقلاء الرطب فى قشريه للحاجة ويتسامح ببيع القثاء والجزر بان عادة الاولين به ولكن يجعله اباحة بعوض فان اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه ليس مستترا خلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ فى اخراجه فساده كالرمان وما يستتر خلقة **السادس** ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه او باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما اتباعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله واما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لو يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض

الركن الثالث لفظ العقد فلا بد من جريان الايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريحا او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مما قصد به البيع لانه قد يحتمل الاعارة اذا كان فى ثوبين او دابتين والنية تدفع الاحتمال والتصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما نختاره ولا ينبغى ان يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط ان يزيده شيئا آخر او ان يحمل المبيع الى داره او استئجار الحطاب بشرط النقل الى داره كل ذلك فاسد الا اذا قرن استئجار على النقل باجرة معلومة منفرجة عن الشراء المنقول ومما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعى اصلا وانعقد عندنا حنيفة ان كانت فى المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان مرجع الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات فى المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى بزاز ياخذ منه ثوبا ديباجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله الى المشترى ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول اخذ عشرة فياخذ من صاحبه العشرة ويحمله ويسلمه الى البزاز فياخذه ويتصرف فيه ومشترى الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب وقبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت لبياع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول احدهم هذا على بتسعين ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم وياخذ المتاع من غير ايجاب وقبول فقد استمرت به العادات فى هذه من المعضلات التى ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلاثة * اما فتح باب المعاطاة مطلقا فى الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله البيع والبيع اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولم يطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فيما ذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لا سيما فى الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم ان يرجع ويقول قد ندمت ومابعته اذ لم يصدر منى الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع * الاحتمال الثانى ان

سد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان البيع وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه ان يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمن الصحابة
ولو كانوا يكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا مشتهرا ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك
العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت والثاني ان الناس الآن قد اهملوا فيه فلا يبعد ان الانسان شيأ من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد ملكه
بالمعاطاة فهي فائدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك * الاحتمال الثالث ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة رحمه الله وعند ذلك
يتعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن شريح الى تخريج قول الشافعي رحمه الله على وفقه وهو اقرب الاحتمالات
الى الاعتدال فلا باس لو ملنا اليه لتسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظربان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما الجواب عن
الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى
ان شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبعد تكلفه
لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير ولا وجه له فهذا طرف الخارج والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فان ذلك
مما لا يستبعد تكلف الايجاب والقبول فيها وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة ففي ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط وجميع ضوابط
فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل باليد اخذا وتسليما سببا
اذ اللفظ لم يكن سببا بعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس الحاجة وعادة الاولين واطراد
جميع العادات بقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان
العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل
الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي ان يمتنع من ذلك لاجل ان البائع قد تملكه بغير ايجاب
وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا فرب ما اشتراه بقبول وايجاب ان كان حاضرا عند شرائه او اقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان كان الشيء
محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ بالايجاب والقبول فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن
فان قلت فان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حصر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يكتفون بالمعاطاة في البيع والشراء او سمع منهم ذلك
او رآه يجب عليه الامتناع من الاكل فالقول يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما
الاكل فلا يجب الامتناع منه فاني اقول ان تردد نا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان لا نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع
وامر نقل الملك ضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال كاذن الحسامي في دخول الحمام والاذن في
الاطعام لمن يريد المشتري فينزل منزلة ما لو قال لجت لك ان تاكل هذا الطعام او تطعم ما اردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم
لي عوضه لحل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن
الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان كان قادرا على مطالبته فانه لا يتملك ما ظفر به
من ملكه لانه ربما لا يرضى بذلك العين ان يصرفها الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا بعد ان يجعل الفعل دالا
على الرضاء بان يسقط في دينه ما يسلم اليه فيا خذ بحقه لكن على كل الاحوال جانب البائع اغمض لان ما اخذه فقد ملك المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك الا اذا
تلف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضاء استفاده من الفعل دون القول واما جانب
المشتري للطعام وهو لا يريد الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مساق هذا ان الضيف يضمن ما اتلفه
وانما يسقط الضمان عنه اذا تملك البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمحلل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه
احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبهة

العقد الثاني عقد الربا وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى
المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد او في طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل * اما النسيئة فان لا يبيع شيأ من جواهر النقدين بشيء
من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة جرا
من حيث ان الغالب ان يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه * واما الفضل فيحترز منه في ثلاثة امور في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة
فيها لاجل المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا ينبغي ان يشتري رديئا بجيده ونه في الوزن او يبيع رديئا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة

بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار
الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليه اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانه رخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا اللبن المغشوشة
بالجامد ان لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليه لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة و
خرج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي
ان يشتري بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مسوى بالذهب بحيث لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها
من النقرة وما يزيد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعها بل بالفضة بيدا بيد ان لم يكن فيها فضة
ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم
التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى او لم يختلف فان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصابين بان
يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسيئة فهو حرام ومعاملة الخبازين ان يسلم اليه الحنطة فيشتري به الخبز نسيئة او نقدا فهو حرام ومعاملة العصارين
ايضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام الا نقدا وغبنه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشئ المطعوم فلا يجوز ان يباع به متماثلا ولا
متفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومضل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن
الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتماثلا لهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر
بمثارات الفساد حتى يتقيها اذا تشكك والتبس عليه شئ منها واذا لم يعرف هذا لم يتيقظ لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري

العقد الثالث السلم وليراع التاجر فيه عشرة شروط **الاول** ان يكون راس المال معلوما بما يعلم مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع
الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين **الثاني** ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو
تفرقا قبل القبض انفسخ السلم **الثالث** ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف وصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان
واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة
اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه **الرابع**
ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن بمثله الناس الا ذكره فان في ذلك الوصف هو القائم
مقام الرؤية في البيع **الخامس** ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا ولا يؤجل الى الحصاد والى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك
قد يتقدم وقد يتاخر **السادس** ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه عدمه غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك
فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم لسبب آفة فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء **السابع**
ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا **الثامن** ان لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع او ثمرة هذا البستان فان
ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك **التاسع** ان لا يسلم في شئ نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز
وجود مثلها او جارية حسناء معما ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا **العاشر** ان لا يسلم في طعام هما كان راس المال طعاما سواء كان من
جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا **العقد الرابع الاجارة** وله ركنان الاجرة والمنفعة فاما
العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا فان كان دينا
فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر ويحترز فيه عن امور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو
قدر دراهم وشرط على المكتري ان يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استئجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ
واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان
يجعله اجرة ومنها ان تقدير في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر الشهر لا اجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة

الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة وهي العمل وحده ان كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار
عليه وجملة فروع الباب تخرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول الشرح هاهنا بل نحول القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما تتم به البلوى فليراع في العمل المستاجر عليه
خمسة امور **الاول** ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان او استاجر الخيف عليها الثياب او دراهم ليزين

بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعها ولهذا لو استاجر بيتا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس بعين منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم ذلك اذا تبعوا بكثرة التردد او بكثرة الكلام في تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل ما لم تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس ما خوذا بالحق **الثاني** ان لا تتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه ولا اجارة المواشي للبنها ولا اجارة البستان لثمارها ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما **الثالث** ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الاخرس على التعليم ونحو وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه او استئجار الحائض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش واستئجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها واستئجار المصور على صور الحيوانات او استئجار الصائغ على صيغة الاواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل **الرابع** ان لا يكون العمل واجبا على الاجير ولا يكون بحيث لا تجري النيابة فيه عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك عن المستاجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلاة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدي للتدريس واقراء القرآن خلاف اما الاستئجار على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح **الخامس** ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله في الثوب والمعلم يعرف عمله بتعليم السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهمالها وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الاحكام فيتفطن به لمواقع الاشكال فيسال فان الاستقصاء شان المفتي لا شان العوام **العقد الخامس** القراض ويراعى فيه ثلاثة اركان **الركن الاول** راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما على العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لان فيه تضييق طريق التجارة **الركن الثاني الربح** وليكن معلوما بالجزئية بان يشترط له الثلث او النصف وما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز لانه ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع **الثالث العمل** للذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشتري بالمال ماشية يطلب نسلها فيتقاسمان النسل او حنطة فيخزنها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضروبهما فقط وهذه حرف عن الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشتري الا من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فهو فسخ في حالة والمال كله فيها فقد لم يخف وجه القسمة وان كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرده الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع راي المالك الا اذا وجد العامل ثمنا يظهر بسببه ربح على راس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيستحق ان فيه وليس عليه بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكاة فاذا كان قد ظهر من الربح شئ فلا قسمة ان زكاة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس للعامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكنه اذا فعل ضمن الاعيان والاثمان جميعا لان عدوانه بالنقل يتعدى الى ثمن المنقول وان سافر بالاذن جاز نفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يستغني التاجر مثله على راس المال كما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان ينزل عليه اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فاذا رجع فعليه ان يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما **العقد السادس** **الشركة** وهي اربعة انواع ثلاثة منها باطلة **الاول** شركة المفاوضة * وهو ان يقولا تفاوضنا لتشترك في كل ما لنا وعلينا وما لاهما ممتازان فهي باطلة **الثاني** شركة الابدان * وهو ان يتشارطا الاشتراك في اجر العمل فهي باطلة **الثالث** شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل فهذا ايضا باطل **وانما الصحيح العقد الرابع** وهو شركة العنان * وهو ان يخلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما لا بقسمة وباذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم لحكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يشترط ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري

الغبطة هي التي يتغابن بمثلها التجار
الغبن اليسير هو الذي لا يقع في مثله المماكسة
الغبن الفاحش هو الذي يقع في مثله المماكسة

واما معاملة القصاب والجمازوالبقال فلا يستغنى عنه المكتسب وغير المكتسب والخلل فيه من ثلاثة وجوه من اهمال شروط البيع او اهمال شروط السلم او الاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يفي به الفراضي وذلك مما ترى القضاء باباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحمل كله ولكن يجب الضمان باكله وتلزم قيمته يوم الاتلاف فتجتمع في الذمة ثلاث القيم فاذا وقع التراضي على مقدار ما فينبغي ان يلتفت منهم الابراء المطلق حتى لا تبقى عهدة ان يطرق اليه تفاوت في التقويم فهذا ما يجب الصناعة به فان تكليف وزن الثمن بكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الايجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر واذا كثر كل نوع سهل بتقويم والله اعلم

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

اعلم ان المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى اذ ليس كل ما في مقتضيا فساد العقد هذا الظلم يعني به ما استضر به الغير وهو منقسم على ما يعم ضرره وعلى ما يخص المعامل

القسم الاول فيما يعم ضرره وهو انواع **النوع الاول** الاحتكار وهو شراء الطعام يدخره ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره وروي ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكانما قتل نفسا وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام اربعين يوما فتصدق به وعنه كرم الله وجهه انه احرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل نزل الاحتكار عنه صلى الله عليه وسلم من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار لو اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخر يوم جمعة فربح امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قعودا بحيث يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نخاف ان فرح بذهاب شيء من الدين فقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتني الخرج من اثم الاحتكار كفافا لا علي ولا لي واعلم ان النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات فما ما ليس قوتا ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص وقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر ما فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم واثباته على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية فانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار ايضا هو دون الاضرار فيقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات عما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان ان يكون حذاء فانها صنعة تقسي القلب وصواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة **النوع الثاني** ترويج الزيف من الدراهم في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فبوجه على غبن فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزره على كل من باعه راجعا اليه فانه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئا وقال بعضهم انفاق درهم زيف شد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة او مائتي سنة الى ان يبقى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد وانتقص من اموال الناس بسنته وطوى عن اذا مات مات معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائتي سنة او مائتي سنة يعذب بها في قبره ويسأل عنها الى اخر انقراضها قال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من اثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه

وفي مثله قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم ان في الزيف خمسة امور **الاول** انه اذا ورد عليه شئ منه فينبغي ان يطرحه في بيت بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع اخر فان افساد بحيث لا يمكن التعامل به جائز **الثاني** انه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستقصي نفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ومثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم **الثالث** انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس له اخذ الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط **الرابع** انه ان اخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان عازما على ان يروجه في معامله فهذا شيطان يروجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء **الخامس** ان الزيف نفيس به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالخاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد وسواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فمن يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ خمرا وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل عند الله من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل عليا فقصرت في فرسي فوجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصرت في فرسي ثم حملت الثالثة فنفرت من فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وحلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك اترضى ان تأخذ على العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريتني علفا ودفعت في ثمني دريهمات فلا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا وذهبت الى العلاف وابتدأت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يهم ضرره وليقس عليه امثاله **القسم الثاني** ما يخص ضرر المعامل * فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب لاخيه الا ما يحب لنفسه فكل ما عومل به وشق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده دريهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له الى اشتراه لنفسه لا يخرج وانق فانه قد زال النصح المأمور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذا جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفاياها صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه **اما الاول** فهو زائد الثناء فان وصفه للسلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل المشتري ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب في اسقاط من مروءته اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة يتفوه بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري مما لم يذكره كما يصفه من خبي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا باس بذكر الفضائل الموجودة منه من غير مبالغة واطناب ليكن قصده منه ان يعرفه اخو المسلم فيرغبه فيه وتنقضي لسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا احس من ان يقصد تزويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غدو وبعد غدو في الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عمل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشراء فاخرج غلامه سفطا للخز فنشره ونظر اليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم ينيعوا دينهم في تجاراتهم بل علموا ان الربح الآخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا **الثاني** ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولم يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومما اظهر احسن وجمل الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن قرد في الخان والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاوحى اليه فادخل يده فرأى بللا فقال ما هذا قال اصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على وجوب النصح

ج ٢

ل ٥ اي الامر بالسهل في البيع والشراء والاقاله والاغماض

ل ٦ اي الاغماض عن نقص الثمن لاجل نقص الزيف

ل ٧ اي الزيف

ل ٨ بزرگ

ل ٩ اي الغموس والمراد الحلف

ل ١٠ اي مروجها

ل ١١ اي بالحلف

ل ١٢ اي بالحلف

باطنها العيوب ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما باع جريرا على الاسلام ذهب ليصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيع ابصر عيبا بها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله على النصح لكل مسلم وكان ثمن الفرس ثلثمائة درهم فغفل واتاه بثلثمائة درهم فقبل وانصرف وقد ذهب الرجل بالناقة فسبع وراءه وجعل يصيح بيا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا فهى لك فاتاه فاذا هى كما قال فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لو ائتلة رحمك الله افسدت على بيعى فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا ان يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر شاق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلى للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيس العيوب فى مبيع السلعة لا يزيد فى رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة فقد حكى ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفى الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يربح مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان فى الدنيا والدين بالالف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاكه ما لكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له فى بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد فى المال والصدقة لا تنقص منه * والمعنى الثانى الذى لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد اموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستخير العاقل ان يستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير فالخير كله فى سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا زال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يوثروا اصفقة دنياهم على آخرتهم وفى لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وفى حديث آخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصه قال ان يحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة فى ايمانه وان ايمانه راس ماله فى تجارته فى الآخرة لم يضيع راس ماله المعد لغمره لآخرته بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين انه قال لو دخلت الجامع وهو غاص باهله وقيل لى من خير هؤلاء لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لى من شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام فى البيوع والصنائع جميعا فلا ينبغى ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغى ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبذلك يتخلص وسال رجل حذاء ابن سالم فقال كيف لى ان اسلم فى بيع النعال فقال اجعل اليمنى على الاخرى وجودة الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقرب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الاخرى ومن هذا القبيل سئل احمد ابن حنبل رحمه الله من الرقوق بحيث لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرقاء اذا علم انه يظهره او انه لا يريد للبيع فان قلت فلا تقم المعاملة مهما وجب على الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذا شرط التاجر ان لا يشترى للبيع الا الجيد الذى يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع فى بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعدر هذا بانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب ان وقع فى يده معيبا نادرا فليذكره وليقنع بقيمته * باع ابن سيرين شاة فقال للمشترى ابرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن ابن صالح جارية فقال للمشترى انها تخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليها فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة **الثالث** ان لا يكتم فى المعيار ذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفى الكيل فينبغى ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقى قلما يتصور فليتحر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشترى الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة حبة عرضها السموت والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا فى الاحتراز من هذا وشبهه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يتحللهم ويودى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر فضيل الى ابنه وهو ينسل دينارا يريد ان يصرفه وينزل ليكيله وينقيه حتى

لا يزيد ونزنه بسبب ذلك فقال يا بني فعلك هذا افضل من جنتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجوان ويحلف
بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام لابنه يا بني كما تدخل الحية بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين
على محدث فقيل له انه كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما ويأخذ بالاخر اشار به الى ان فسقه
مظلمة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بجملة
جملة وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالسناء ولا تخسروا الميزان ليس لسان الميزان فان النقصان
الرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآيات فان تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا بترك العدل والنصفة فيه
فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل
ومال عن الاستقامة ولو لا نفذ هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما
عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر
تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين فنسأل الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاستداد على متن الصراط المستقيم من غير
ميل غير مطموع فيه فانه ادق من الشعرة واحد من السيف ولولا لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي
من صفته انه ادق من الشعرة واحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف لعبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط
بالطعام تبنا او غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظاما فجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على
هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا واذا باع مد في الذرع
ليظهر تفاوتا في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه لويل **الرابع** ان يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش ما تلقى الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى
الله عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت
للبائع الخيار وان كان صادقا فلا خيار خلافا لقتادة لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس وله ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد
ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف
والاظهر تحريمه لعموم النهي ولانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش
وهو ان يتقدم الى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وانما يريد بذلك تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم يخرجه طاة
مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في
المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه لما اقدم على ما فعله
ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب فقد حكي عن رجل من النابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه
ان قصب السكر قد اصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشتريت سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربحت فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته
وقال ربحت ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت
لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الان وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله و
تفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيى مني فتركها الي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا
فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر او من المشتري رخص الاسعار
فان فعل ذلك كان ظالما غاشا كالغادر والناصح للمسلمين وهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث
بعد العقد من عيب ونقصان ولو اشترى الى اجل وجب ذكره ولو اشترى مساومة من صديقه او ولده يجب ذكره
لان المتأمل يعول على عادته في الاستقصاء انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع في الامانة في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو مجرى من التجارة مجرى سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز

ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذلك في معاملات الآخرة ولا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال الله احسن كما احسن الله اليك وقال عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال سبحانه ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وذلك الظلم وقد ذكرناه وينال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور **الاول** في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فان اصل المغابنة مأذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال اليه فينبغي ان يمتنع من قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن * يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل فجاءته الا ثمان ضربت قيمة كل حلة منها اربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فمر الى الصلاة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه باربعمائة فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للاعرابي بكم اشتريت فقال باربعمائة فقال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى ترد ها فقال هذه تسوى في بلدنا خمسمائة وانا ارتضيها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه في ذلك و قاءله وقال اما استحييت اما اتقيت الله ترجح مثل هذا الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذ ها الا ورضي بها قال فلا رضيت لك ما لم ترضها لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق في الحديث غبن المسترسل حرام وكان الزبير بن عدي يقول ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن ان يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين ظلم وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان وقلما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء لسعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل عن سري السقطي انه اشترى كرلوز بستين دينارا وكتب في رزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكانه رأى ان يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بستين فاتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم قال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللوز بستين فقال سري قد عقدت عقدا لا احله لست ابيعه الا بثلاثة وستين فقال الدلال وانا عقدت بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست آخذ منك الا بستين قال فلا الدلال اشتري منه ولا هو باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بعشرة وبعضها بخمسة فبعث في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي في الشتاء طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما ان تاخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان نرد شقتنا وتاخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الاعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ فقيل له هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا فهذا احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصفا او واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثر ربحه وعامله كثير واستفاد من تكرره ربحا كثيرا وبه نظهر البركة كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا الا ترى قليل الربح فجر مواكثيرين وقيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت زبجا قط ولا طلبت منى حيوان فخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال انه باع الف ناقة فما ربح الا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها الف او ربح من تقتضي عليها ليومه **الثاني** في احتمال الغبن فلمشتري ان اشترى طعاما من ضيعف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام رحم الله سهل البيع سهل الشراء فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق اهل البيت المغبون في الشراء لا محمود ولا ماجور وكان اياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول بحبث الحب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن فيغبن ابي يعني معاوية ابن قرة والكمال في ان لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهم من خيار السلف يتقصون في الشراء ثم يغبون مع ذلك الجزيل من المال فحث بعضهم تتقصى في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلي وصبيني ولا امكن الغابن منه فاذا وهبت فاعطي لله ولا استكثر منه شيئا **الثالث** في استيفاء الثمن وسائر الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فليعتبر دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك وقال رضي الله عنه من انظر

او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفى لفظ اخر اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على
نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتيانى سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفى لفظ
اخر وتجاوز وعن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وسلم من اقرض دينا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى
اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضى غريمه الدين لاجل هذا الخبر حتى يكون
كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمان عشرة فقيل فى معناه ان الصدقة قد تقع
فى يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحل ذل الاستقراض الا محتاج ونظر النبى صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فاومأ الى صاحب الدين بيده اى ضع الشطر
ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه فى الحال ولم يرهن الى طلبه فهو فى معنى المقرض وروى ان الحسن باع بغلة له باربعمائة درهم فلما
استوجب المال قال له المشترى اسمح يا اباسعيد قال قد اسقطت عنك مائة قال له فى حسر يا اباسعيد فقال قد وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتى
درهم فقيل له يا اباسعيد هذا ضعف الثمن فقال مكنا يكون الاحسان والا فلا وفى الخبر خذ حقك فى عفاف وافا وغير وافى يحاسبك الله حسابا يسيرا **الرابع فى**
توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بان يمشى الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشى اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم
احسنكم قضاء وهما قد على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فليتوقض اء هما قد قال صلى الله عليه
وسلم من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويعونه حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كان له
مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء صاحب الدين عنده حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل
الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان
ان يكون الميل الاكبر من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغى ان تكون الاعانة
للمشترى اكثر فان البائع مرغب عن السلعة ينبغى ترويجها والمشترى محتاج اليها هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حدا فعند ذلك نصرته فى
منعه من تعديه واعانة صاحبه اذ قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال تمنعه اياه من الظلم نصرة له
الخامس ان يقبل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغى ان يرضى لنفسه ان يكون سببا لاستضرار اخيه قال صلى الله
عليه وسلم من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيامة او كما قال **السادس** ان يتصيد فى معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو فى الحال
عازم على ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان فى صلحاء السلف من له دفتران للجناح احدهما ترجمته مجهولة فيه اسماء من لا يعرف من الضعفاء
والفقراء وذلك ان الفقير كان يجىء الطعام او الفاكهة فيشتهيه فيقول لحاجة الى خمسة ارطال مثلا من هذا وليس معى ثمن فكان يقول خذ
واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه فى الدفتر اصلا ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد
فان تيسر لك فاقض والا فانت فى حل منه وسعة فهذا طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به محيى لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال و
بها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل شعر لا يغرنك من المرء قميص رقعه * او ازار فوق كعب الساق منه رفعه * ولدرهم الرجل فانظر غيه
او ورعه * ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه فى الحضر واصحابه فى السفر ومعاملوه فى الاسواق فلا تشكوا فى صلاحه وشهد عند عمر رضى
الله عنه شاهد فقال اتثنى بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذى يعرف مدخله ومخرجه قال لا قال فكنت رفيقه فى
السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل قال لا قال اظنك رأيته قائما فى
المسجد يهمهم بالقرآن يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاثنى بمن يعرفك

الباب الخامس فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه وليعم اخرته

ولا ينبغى للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح فى الاخرة لا يفى به ما ينال فى الدنيا
فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغى ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال
بعض السلف ولى الاشياء بالعاقل احوجها اليه فى العاجل واحوج شىء اليه فى العاجل احمده عاقبة فى الاجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه فى
وصيته انه لا بد لك من نصيبك فى الدنيا فوانت الى نصيبك من الاخرة احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتاخذه
وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اى لا تنس فى الدنيا نصيبك منها للاخرة فانها مزرعة الاخرة ومنها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة
التاجر على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية والعقيدة فى ابتداء التجارة فليتوقها الاستعفاف عن السوال وكف الطمع عن الناس واستغناء

بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينوي النصح للمسلمين وان يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينوي اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينوي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه النيات كان عاملا في طريق الاخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الاخرة **الثاني** ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك اكثر الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا جل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة اي اختلافهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها الرجوع عنها الى طلب التنعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون بقيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا وكل ذلك كرهه ذوو الدين فانما عمل الملاهي والالات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياط ثيابا من الابريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب وخواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكاة فيها وان كنا لا نوجب الزكاة في الحلي لانها اذا اتخذت للرجال في محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار هون الناس وحاجتهم بغلاء السعر ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب كرهوا شراء الحيوان للتجارة لان المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وحلوله وقيل بيع الحيوان واشتراؤه الموتا وكرهوا الصرف لان الاخبار فيه عزت لان طلب الربا عسير لانه طلب الفاضل فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها وقيامها للتصيير بيع الاباعناد جهالة معاملة يدقق النفقة فيها يسلم الصبي في وان احتاط وبكره بالصيرفي وغيره كسب الهريسة والدنانير لا عند الشك في جوازه وعند ضرورة قال احمد بن حنبل رحمه الله ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من لصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهبا ويعود عنه واستحبوا تجارة البز قال سعيد ابن المسيب ما من تجارة احب الي من البز ان لم يكن فيها ايمان وقد روي خير تجاركم البز وخير صناعكم الخرز وفي حديث اخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان غالب عمال الاخيار من السلف عشر صناعة الحرث والتجارة والحمل والخياطة والحدادة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والورقة قال عبد الوهاب الورقي قلت لاحمد ابن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواسطة واستبق الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيبت دعوتها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم وكذا الاذان وصلاة التراويح وان حكم بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذا اعمال حقها ان يخلص فيها للاخرة واخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الاخرة ولا يستحب ذلك **الثالث** ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الاخرة واسواق الاخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال الله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لاخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد كان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون اول النهار واخره للاخرة واوسطه للتجارة ولم يكن يبيع الهريسة والرؤس يكره الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد فيها في اول النهار وفي اخره ذكر الله وخيرها الله عنه ما بينهما من سيئ الاعمال وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل ويتزع عن كل شيء ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة الاولى مع الامام في اول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة وكانوا يتاجرون بالفرار يط لحفظ الحوانيت في اوقات الصلوات وكان ذلك معيشة

لهم وقد جاء فى تفسير قوله تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرزا لإشفى فسمع الاذان لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلاة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه فى السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح فذكر الله فى السوق بين الغافلين افضل قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل فى الفارين وكالحى بين الاموات وفى لفظ اخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله فى السوق يجئ يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد اهلها وكان عمر رضى الله عنه اذا دخل السوق قال اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم انى اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغانى كابوا ما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون فى المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويبيعون من يدخل السوق فقال الجنيد كم من بيع فى السوق حكمه ان لا يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه فيخرج ويجلس مكانه انى لاعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون الف تسبيحة قال فسبق الى وهمى انه يعنى نفسه فهكذا كانت تجارة من تجر لطلب الكفاية لا للتنعم فى الدنيا فان من طلب الدنيا لاستقامة بها على الاخرة كيف يبيع ربح الاخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجرد بين للدين كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من احب الله عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغتر ويروح فى لاش والعاقل من عيوب نفسه فتاش **الخامس** ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل واخر خارج وبان يركب البحر فى التجارة فهما مكروهان يقال ان من ركب البحر فقد استقصى فى طلب الرزق وفى البحر الا يركب البحر الا حاج او معتمر او غاز وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول لا تكن اول داخل فى السوق ولا اخر خارج عنها فان بها باض الشيطان وفرخ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر ان ابليس يقول لولده ابثوا سرية بكتائبك فانت صاحب السواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل واخر خارج عنها وفى الخبر شر البقاع الاسواق وشر اهلها اولهم دخولا واخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفايته وقته انصرف واشتغل بتجارة الاخرة هكذا كان صالحو السلف فقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد ابن سلمة يبيع الخز فى سمط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سمطه وانصرف وقال ابراهيم بن بشار قلت لابراهيم بن ادهم رحمه الله امر اليوم اعمل فى الطين فقال لى ابن بشار ان لك طالبا ومطلوبا يطلبك من لا تفوته وتطلب ما لا يفوتك اما رايت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت لى دانقا عند البقال فقال عز على بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل فى الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون به **السادس** ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتى قلبه فما راح فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه امرها سأل عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقالوا من الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن اصل الشئ واصل اصله ولو زاد لكان ما وراء ذلك يتعذر وسنبين فى كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فانه كان عليه السلام لا يسأل عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانه معين بذلك على الظلم **وحكى** عن رجل انه تولى عمارة سور لثغر من الثغور قال فوقع فى نفسى من ذلك شئ وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان لا يدرى الذى تولى فى محلته من الظلمة قال فسألت سفيان رضى الله عنه فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور فى سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم ليوفوك اجرك فتكون قد اجببت بقاء من يعصى الله وقد جاء فى الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه وفى الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفى حديث آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام وقد دخل سفيان على المهدى وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطنى الدواة حتى اكتب فقال اخبرنى اى شئ تكتب فان كان حقا اعطيتك وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولنى الكتاب ولا حتى انظر فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم شذا نواع الاعانة فينبغى ان يجتنبه ذوو الدين ما وجدوا اليه سبيلا وبالجملة فينبغى ان يقسم الناس عنده الى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله اقل ممن لا يعامله فى هذا الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من نزهر لى انا عامل

من الناس فيقال له عامل من شئت ثم اتى زمان آخر فكانوا يقولون عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان يأتى زمان يذهب هذا ايضا وكانه فذكان الذى خاف ان يكون اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ **السابع** ينبغى ان يراقب جميع مجارى معاملته مع كل واحد من معاملية فانه مراقب محاسب فليعد الجواب لهذا اليوم الحساب والعقاب فى كل فصلة وقولة انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف الناس يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفه ويحاسب عن كل واحد محاسبة على حدة من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار فى النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين الف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل انسان عاملته فى الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينى وبينه من اول معاملته الى آخرها فهذا ما على المكتسب فى عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين وان راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر فى الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم بالصواب تم كتاب اداب الكسب والمعيشة بحمد الله ومنه

كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال ثم ركب صورته فى احسن تقويم واتم اعتدال ثم غذاه فى اول نشوئه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما اتاه من طيبات الرزق عن دواعى الضعف والاخلال ثم قيد شهوته المعادية له عن التطوق و الصيال وفهمها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزمه بكسرها جند الشيطان المتشر الاضلال فلقد كان يجرى من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه مجارى الحلال المجرى والمجال ولو كان لا يمد رقته الى اعماق العروق الا الشهوة المائلة الى الغلبة والاسترسال فبقى لما زهدت فيه من حرام الحلال خائبا خاسرا مما له من ناصر ولا وال والصلاة على محمد الهادى من الضلال وعلى اله خير ال وسلم كثيرا **اما بعد** فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود رضى الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموضه علة سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء القراح والحشيش النابت فى الموات وما عداه فقد اخبثته الايدى العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع فى المحرمات فرفضوا هذا الفطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات ولا تزال هذه الثلاثة مفترقات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه البدعة عم فى الدين ضررها واستطار فى الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدارك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك فى سبعة ابواب **الباب الاول** فى فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام **الباب الثانى** فى مراتب الشبهات ومثارها وتمييزها عن الحلال والحرام **الباب الثالث** فى البحث والسؤال والحجوم والاهمال ومظانها فى الحلال والحرام **الباب الرابع** فى كيفية تخريج التائب عن المظالم المالية **الباب الخامس** فى ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس** فى الدخول على السلاطين ومخالطتهم **الباب السابع** فى مسائل متفرقة

الباب الاول فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال تعالى لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مومنين ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون جعل اكل الربا فى اول الامر موذنا بمحاربة الله وفى آخره مقتضيا للنار والايات الواردة فى الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا استعفافا كان فى درجة الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفى رواية زهد الله فى الدنيا وروى ان سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان يسأل الله تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر صلى الله عليه وسلم اكرهين على الدنيا قال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فاني يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه منه شيء وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبال من اين اكتسب مال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم الحلال عشرة اجزاء تسعة منها في طلب الحلال روي هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال صلى الله عليه وسلم من اصبى واتيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض وقال صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال عليه السلام خير دينكم الورع وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه واما الورعون فانا استحي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم درهم من ربا اشد عند الله من ثلاثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس قوي استقام البنيان وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقال الله عز وجل افمن اسس بنيانه على تقوى من الله الاية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فتصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب اداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال **واما الآثار** فقد ورد ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني فدخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيأ وقالت لعائشة رضي الله عنها انكم تغفلون عن افضل العبادة يعني الورع وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما ادرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كنبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابراهيم بن ادهم رحمه الله م لا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت منه وقال سفيان الثوري رضي الله عنه من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهر الا بالماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحها الدعاء واسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان ينكاشف بآيات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تاويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف درهم ومائة الف ومائة الف حتى بلغ الى ستمائة الف وقال بعض السلف ان العبد يا كل اكلة فيتقلب قلبه فينقل كما ينقل الاديم ولا يعود الى حاله ابدا وقال سهل رضي الله عنه من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعت جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة يا كلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجرة وروي في آثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال لهم لا تفقدوا منه ثلاثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة فمن الهوى ينطق فان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاخبار والمشهور عن علي عليه السلام وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وفي زاد آخر وان في عتاب وروي ان بعض السائحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم ياكل فسأله عن ذلك فقال نحن لا ناكل الا حلالا فقال له تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا وتكاشف بالملكوت وتشاهد الآخرة ولو اكلنا ما ياكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل فما تصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة فقال له ابدل هذه الشربة التي رايتني شربتها من الليل احب الي من ثلاثين ختمة في ثلثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فجرى احمد ذمعه يقول اني لا اسأل احدا شيئا ولو اعطاني السلطان شيئا لاخذته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين ما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر انه مكتوب في التوراة من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النيران ادخله

عن علي رضي الله عنه انه لم يأكل بعد قتل عثمان وذهاب ارطعاما الا محتوما حذارا من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينه وابن المبارك
عند هيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من اجل الطعام الى لا انى لا اكله لاختلاط رطب مكة ببساطين زبيد وغيرها فقال
له ابن المبارك ان نظرت فى مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت باصول ضياع فغشتى على وهيب فقال سفيان قبلت
الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله على ان لا اكل خبزا ابدا حتى القاه قال فكان يشرب اللبن قال فاتته امه باللبن
فسألها فقالت هو من شاة بنى فلان فسأل عن ثمنها وانه من اين كان لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقى انها من اين كانت نرعى فسكتت
فلم يشرب لانها كانت نرعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت له اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لى وقد شربته فمات بمعصيته
وكان بشر الحافى رحمه الله من الورعين فقيل له من اين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل و
هو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات **اصناف الحلال ومداخله** اعلم ان
تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان لا يأكل
من غيرها فاما من يتوسع فى الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه فى كتب الفقه ونحن الان نشير الى مجامعه
فى سياق تقسيم وهو ان المال اما ان يحرم لمعنى فى عينه او لخلل فى جهة اكتسابه **القسم الاول الحرام لصفة فى عينه** كالخمر والخنزير وغيرهما
وتفصيله ان الاعيان المأكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة اقسام فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من
الحيوانات فاما المعادن فى اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث انه يضر بالاكل وفى بعضها ما يجرى مجرى السم
والخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذى يعتاد اكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تحرم مع انها لا تؤكل انه لو
وقع شئ منها فى مرقة او طعام مائع لم يصر به محرما واما النبات فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل او يزيل الحياة او الصحة فمزيل العقل النبيذ
والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الادوية فى غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذى لا يسكر
منها ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفة وهى الشدة المطربة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لجمعه بغيره فلا يحرم واما الحيوانات فتنقسم الى
ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله فى كتاب الاطعمة والنظر يطول فى تفصيله لا سيما فى الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكله منها فانما
يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا وروعى فيه شروط الذبح والاله والمذبح وذلك مذكور فى كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا ومات فهو حرام وكذلك
الا ميتتان السمك والجراد وفى معناهما ما يستحيل من الاطعمة كالدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنها غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب و
الخفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب فى تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره فان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه
فانه النجس بالجنابة لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بان يقتل الذباب فى الطعام اذا وقع فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو نهشت عظلة او ذبابة فى قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر
موجبه اذا بقى له جرم ولم يعجن حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك تقول لو وقع جزء من آدمى ميت فى قدر ولو وزن دانق
حرم الكل لنجاسته فان الصحيح ان الآدمى لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما لا استقذارا واما الحيوانات الماكولة فاذا ذبحت بشرط الشرع فالاقل
جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يفضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس فى الاعيان شئ نجس الا من الحيوانات واما من
النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظا للزجر عنه لكونه فى مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة
من النجاسة المائعة او جزء من نجاسة جامدة فى مرقة او طعام او دهن حرم الكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن
النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذا مجامع ما يحرم لصفة فى ذاته **القسم الثانى** ما يحرم لخلل فى جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع
النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره فالذى يكون بغير اختياره كالارث والذى يكون باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل
المعادن او يكون من مالك والذى اخذ من مالك فاما ان يوخذ قهرا او يوخذ تراضيا والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق
الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يوخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يوخذ بغير عوض
كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة اقسام **الاول** ما يوخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب و
الاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال وشرط ان لا يكون الماخوذ مختصا بذى حرمة من الادميين فاذا انفك من الاختصاصات ملكها
آخذها وتفصيل ذلك فى كتاب احياء الموات **الثانى** الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفئ والغنيمة وسائر املاك الكفار والحربيين وذلك

حلال المسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب الغنية وكتاب الجزية **الثالث** ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيوخذ وان رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق ونوع وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه من مال كالاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فاذا استوفيت شرائطها كان الماخوذ حلالا **الرابع** ما يوخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والحلم والكتابة والصداق وسائر المعاوضات **الخامس** ما يوخذ عن رضاء من غير عوض وهو حلال اذا روعي فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث وغيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا **السادس** ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكاة والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه جوامع مداخل الحلال اومئا الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور وكل ما يكسبه من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيه اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لا زهدت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم **درجات الحلال والحرام** اعلم ان الحرام كله خبيث لكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب لكن بعضه اطيب واصفى من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالفانيذ وبعضها حار في الثالثة كالدبس وبعضها حار في الرابعة كالعسل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية او الثالثة او الرابعة وكذا الحلال تتفاوت درجاته وطيبه ولنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على اربعة درجات تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر اشد حرارة من سكر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات **الاولى** ورع العدول وهو الذي يجب لفسق بانخرامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء **الثانية** ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية **الثالثة** ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه ادنى الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس **الرابعة** ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يودي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوي به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد **واما** الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط الورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهي ايضا على درجات في الخبث فما اخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل الفهر بل المغصوب غلظ اذ فيه بترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء الغير وليس في المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدلك يتشديد الشرع ووعيده وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او من يعلم اخبث واعظم من الماخوذ من قوي او غني او فاسق كان درجات الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذي فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار واذا عرفت مشارات التغليظ فلا حاجة الى حصر في ثلاث درجات او اربعة فمن ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى اكل ميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد المحرم فانا نقدم بعض هذا على بعض **امثلة الدرجات الاربع** في الورع وشواهدها **اما الدرجة الاولى** وهي ورع العدول فكلما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي مقتضاه الفسق والمعصية وهو الذي نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج الى امثلة وشواهد **واما الدرجة الثانية** فامثلتها كل شبهة لا يوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سياتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسوسين لكن يمتنع من الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس منها ما يستحب اجتنابها و

لا
التي الشبهة
والفرج من
بها برئ لدينه
لانه يرجح من
قوم الى قوم
مسيل

لا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ويحمل على التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت والاصماء ان يجرح الصيد فيغيب عنك ثم يدركه ميتا او يحمل انه مات بسقطة او بسبب آخر والذي نختاره كما سيأتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريبك امر تنزيه او ورع في بعض الورد وآيا كل منه وان غاب عنك يوما فلم تجد فيه اثرا غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لانه غلبة الحشية كل منه فقال وان اكل منه فقال وان اكل وذلك لان حالة ابن ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله **يحكى** عن ابن سيرين انه نزل شريك له اربعة الاف درهم لانه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على انه لا باس به فامثلة هذه الدرجة نذكرها في التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة **اما الدرجة الثالثة** وهو ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام وقال ابو الدرداء ان من تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتجر فكل ما يستوفيه ياخذ بنقصان حبة وما يعطيه يزنه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه ان يجر الى غبن وتالف النفس لاسترسال وتترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكراء فكتبت كتابا واردت ان آخذ من تراب الحائط لاترمل به واجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فاخذت من التراب حاجتي فلما نمت فاذا انا بشخص واقف يقول لا علي بن معبد سيعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط من منزلته فان للتقوى درجة تفوت بغوات ورع المتقين ويجب على المرء ان يستحي عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي ان عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فسكت عنها ثم اعاد القول فاعادت الجواب فقال لا احببت ان تضعيه بكفها ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنفك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يديه عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فخانه بانفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال وهل ينتفع منه الا بريحه لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه وسلم كخ كخ اي القاه من ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فهات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث للوارث في الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيمة العطارة قالت كان عمر رضي الله عنه يدعو الى امراته طيبا من طيب المسلمين لتبيعه فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فتفلق باصبعها شيئا منه فقلت له كذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ما هذه الرائحة فاخبرته فقال لطيب المسلمين ناخذينه فانتزع الخمار من راسها واخذ جرة من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح ثم اشتهاها مرة اخرى فلما وزنت ملئ منه شيئا باصبعها فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لخوف داء ذلك الى عين والافضل الخمار ما كان بعيدا الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من ان يتعدى الامر من ذلك الى ما سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يجعل مجمرة لبعض السلاطين ويخرج المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا برائحته وهذا قد يقارب الحرام فان الفدن الذي يعبق ثوبه من رائحة الطيب قلما يقصد وقد يخجل به فلا يدري انه يتسامح به ام لا وسئل احمد بن حنبل عن سقطت منه ورقة فيها احاديث فحمل فلم وجدها ان يكتب منها ثم يرد ما فقال لا بل يستاذن ثم يكتب وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبها هل يرضى به ام لا فما هو في محل الشك والاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن الزينة لانه يخاف منها ان تدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل احمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فاروجوا اما من اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من تركه لا باس به مخافة مما به باس اي مخافة من ان يفضي اليه وآكثر المباحات داعية الى المحظور آخر حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتزوج فانه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو الى الفكر والفكر يدعو الى النظر والنظر يدعو الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنياء وبجملتهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو الى الطلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ عند الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقلما يخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل آخذ بالشره فقلما يخلو عن خطر حتى كره احمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال ما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المساجد وتزيينها واستدل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شيء مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق

وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات فى المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فتقضى خوف التقوى الورع عن هذا كله وكل حلال انفك عن مثل هذه الخافة فهو الحلال الطيب فى الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف داع الى معصية البتة **اما الدرجة الرابعة** وهى ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل ما لا تقدم فى اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه فى الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لاجله وهولاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما استنادا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذه رتبة الموحدين المجردين عن حظوظ انفسهم المتفردين لله تعالى بالقصد ولا شك فى ان من يتورع عما يوصل اليه بمعصية او يستعان عليه بمعصية فتورعه عما يقترن بسببه معصية او كراهية فمن ذلك ما روى عن محمد بن سيرين انه شرب الدواء فقالت له امرأته لو تمشيت فى الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال حتى مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسى منذ ثلاثين سنة فكانه لم يخطر بباله نية فى هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام عليها وعن سرى رحمه الله انه قال اشتهيت على حشيش فى جبل وما يخرج منه فتناولت حشيشة وشربت الماء وقلت فى نفسى ان كنت قد اكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بى هاتف ان القوة التى اوصلتك الى هذا الموضع من اين هى فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذى النون المصرى انه كان جائعا محموسا فبعثت اليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءنى على طبق ظالم يعنى ان القوة التى اوصلت الطعام الى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى فى الورع ومن ذلك ان لبشر رحمه الله كان لا يشرب الماء من الانهار التى حفرها الامراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان كان الماء مباحا فى نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجراء وقد اعطيت الاجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته من الماء الذى يجرى فى النهر الذى حفرته الظلمة وهذا ابعد عن الظلم من شرب نفس الماء لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر فى طريق الحج لم يشرب من المصانع التى عملتها الظلمة مع ان الملك مباح ولكنه بقى محقونا بالمصنع الذى عمل بمال حرام فكانه انتفع به وامتنع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذ حمل عليه ولكنه وصل اليه بفوت اكتسب به الغذاء الحرام ولذلك تقيأ الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه عن جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تجلية البطن عن الخبيث من تورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه حياط يخيط فى المسجد فان احمد رحمه الله كره جلوس الخياط فى المسجد وسئل عن المغازل يجلس فى قبة فى المقابر فى وقت يخاف من المطر فقال المقابر اتمابى من امر الآخرة وكره جلوسه فيها واطفأ بعضهم سراجا اسرجه غلامه من قوم يكرهم لهم وامتنع من تسخين تنور الخبز وقد هتك فيه جمر من خطب مكروه وامتنع بعضهم من ان يحكم شمع ليتمتع به فى مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ لشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات فى الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيامة واسرع جوازا على خط الصراط وابعد من ان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع كما تتفاوت درجات النار فى حق الظلمة بحسب درجات تفاوت الحرام فى الخبث واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيار فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام

الباب الثانى فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات واقع الحرام كالراعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص فى اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول **الحلال المطلق** هو الذى خلص عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم فى عينه والخلص عن اسبابه ما نظر اليه تحريم او كراهية **ومثاله** الماء الذى يأخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد يكون هو واقفا عند جمعه واخذه من الهواء فى ملك نفسه او فى ارض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة المطربة فى الخمر والنجاسة فى البول او حصل بسبب منهى عنه قطعا كالحاصل بالظلم والربا ونظائره وهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكنه احتمل تغيرا ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صيادا ثم افلتت منه وكذلك السمك يحتمل ان يكون قد تناثر من الصياد بعد

لله
طلق بكم
للال لك
طلق دون
حل كحلال
د فعل كذا
طلقا لك
حلالا لك
يقال هذا
لك على
الاطلاق
الذى يمكن
منه دون
جميع
التصرفات
فيكون قبل
سبب مزيل
مثل الذبح
بعنى الذبح
يزيد
ثور وثوران
قبل ثارت
المنتشرة
ثارها الوحش
مصباح

وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق الى ماء المطر المتخطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس والتسمح هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلتحق به امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان قطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل ان يكون كيا لا يفيد عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من كل وجه فلا احتمال للمعدوم دلالة كما لا احتمال للعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس اذ لم يدل على موته سبب قطع او مشكك اذ الشبهة المحذورة ما ينشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقدا في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا تقول من شك انه صلى ثلاثا او اربعا اخذ بالثلاث اذ الاصل عدمه ولو سئل الانسان ان صلاة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلاثا او اربعا لم يتحقق قطعا انها اربعة واذا لم يقطع جوز ان يكون ثلاثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب او جب اعتقاد كونه ثلاثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض بالتحقق بتحريمه وان امكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام مورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين وستأتي اقسام الشبهة

المنار الاول الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك فان غلب احد الاحتمالين غلبة تصدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا ينبغي هذا الا بالامثال والشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة **القسم الاول** ان لا يكون الحل معلوما من قبل ثم يقع الشك في الحل فهذا شبهة يجب اجتنابها وهو يجري الاقدام عليها **مثاله** ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله غير كلبك فلذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا اتى بشيء اشتبه عليه انه صدقة وهدية سأل عنه حتى يعلم ايهما هو وروي انه صلى الله عليه وسلم ارق ليلة فقالت له بعض نسائه ارقت يا رسول الله فقال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة وفي رواية فاكلتها فخشيت ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فكفانا ثم اعلمه الله بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا **القسم الثاني** ان يعرف الحل ويشك في الطارئ المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامرأتي طالق والتبس امر الغراب فلا يقضى بالتحريم في واحد منهما ولم يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى تحل لسائر الازواج وقد امر محمول بالاجتناب في هذه المسئلة وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للآخر انت حسود فقال الآخر احسد امرأتك طالق ثلاثا فقال الآخر نعم واشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في البيع والنجاسات والاحداث والصلوات ان اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فان قلت واي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم انه لا يحتاج الى المناسبة فانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له ان يتوضأ به فكيف لا يجوز له ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يزال بالشك الا ان ههنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان شك في انه طلق زوجته ام لا فيقال الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطائر ان يتحقق نجاسة احد الاناءين ويشتبه عينه فلا يجوز له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك ههنا فقد وقع الطلاق على احدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف اصحاب الشافعي في الاناءين على ثلاثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان تكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة ولحرمهما عليه لانه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطئ احداهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افتراق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه **فان قيل** فلو كان الاناآن لشخصين فينبغي ان يستفتي عن الاجتهاد

وتوضأ كل واحد بانائه لانه تيقن طهارته وقد شك الان فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص عبثا كاتحاده لان صحة الوضوء لا تستند على ملابل وضوء الانسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بمائه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده اثر بخلاف الوطئ في زوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحاب والترجيحات من عوامض الفقه ودقائقه وقد استقصينا ما في كتب الفقه ولسنا نقصده الان لان التنبيه على قواعدها **القسم الثالث** ان يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فلذلك نختار فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع **مثاله** ان يرمي الى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والاصل انه لم يطرأ غيره عليه فظهر انه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك **فان قيل** فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عائشة رضي الله عنها ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت وانميت فقال بل انميت قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر الا الذي خلقه لعله اعان عليه قتله شيء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في كلبه المعلم وان اكل فلا تأكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب ان الكلب المعلم لا ينسى خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا للتحقيق وهو ان الحل انما يتحقق اذا تحقق تمام السبب بان ينضي الى الموت سليما من طرايان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى استند به ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعة ثم شك فيما يطرأ عليه **فالجواب** ان نهي ابن عباس رضي الله عنهما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا آخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن وان لم يجد سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها **واما** قول القائل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت فظهر بان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا يجب القصاص على جارحه بل وان لم يغب فيحتمل ان يكون موته بسبب خلط في باطنه كما يموت الانسان فجاة فينبغي ان لا يجب القصاص لاحتمال الرقبة والجرح المذفف لان العلل القاتلة في البواطن لا تؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجاة ولا قائل بذلك مع ان القصاص مبناه على السقوط بالشبهة وكذلك حين يبين المذكاة حلال ولعله مات قبل ذبحه الاصل لا سبب في بحه او لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فالشافعي رحمه الله في هذه الصورة وقوله والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه انه يصطاد لنفسه ومهما انبعث باشارته ثم اكل دل ابتداء ابتعاثه على انه نازل منزلة آلته وانه يسعى في وكالته وينيابته ودل اكله اخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال والاصل التحريم فيستصحب وهو لا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل ان يبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للوكيل وطؤها لان للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث **القسم الرابع** ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب ضعيف لا يبقى له حكم مع غالب الظن **ومثاله** ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الاناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فيوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذا اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب فوجد ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله ان من وجد في الغدران ماء متغيرا احتمل ان يكون بتغير بطول المكث او بالنجاسة فيحرم ولو لاقت ظبية بالت فيه ثم وجد متغيرا واحتمل ان يكون بالبول وبطول المكث لم يجز استعماله اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في ان اصل الحل هل يزال به اذا اختلف قوله في التوضي من آنية المشركين ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة

والصلاة مع طين الشوارع اعنى المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فيما يعتبر وهذا جار فى حل الشرب من اوانى مدمنى الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه فهذا اخذا النجاسة والحل واحد فالتردد فى احدهما يوجب التردد فى الاخر والذى اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الاصل وسيأتى بيان ذلك وبرهانه فى

المثار الثانى للشبهة وهى شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك فى طريان محرم عليه اوظن وحكم حرام شك فى طريان محلل عليه اوظن وبان الفرق بين ظن يستند الى علامة فى عين الشئ وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا فى هذا الاقسام الاربعة فجملة فهو حلال فى الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون فى زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى فى فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة الا ما الحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا **المثار الثانى** للشبهة شك منشأه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام بالحلال وتشتبه الامر ولا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط المحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات ويكون اختلاط اشتباه مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور والافراس فالذى يختلط بالاشتباه فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم اقسام **القسم الاول** ان يشتبه العين بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بذكية او بعشرة مذكاة او اختلطت رضيعة بعشرة نسوة او تزوج احدى الاختين ثم تلتبس فهذا شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات وهذا واذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشئ الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق فى هذا بين ان يثبت حل فيطرأ التحريم كما لو طرأ طلاق على احدى زوجتيه فى مسئلة الطائر او يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يتخيل فيه ان التحريم كطلاق احدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم قبل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر اغلب فى نظر الشرع فلذلك يرجح وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فان اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب الاجتناب ولى **القسم الثانى** حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بصداقة وسبب من الاسباب فلا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والاكل فان ذلك حرج وما فى الدين من حرج ويعلم هذا بانه لما سرق فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بجن وغل احد فى الغنيمة عباءة لم يمتنع احد من شراء الجبة والعباء فى الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف ان فى الناس من يربى فى الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء الدراهم والدنانير مال كلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصى وهو محال واذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط ايضا فى بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به فى جملة من الملل ولا فى عصر من الاعصار فان قلت فكل عدد محصور فى علم الله فما حد الحصر ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه ايضا ان مكن منه فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم مجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب فان الاثم حوازاز القلوب فى مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة التى ذكرناها فى المثار الاول تقع فيها اطراف متقابلة واضحة فى النفى والاثبات واوساط متشابهة فالمفتى يفتى بالظن وعلى المستفتى ان يستفتى قلبه وان حاك فى صدره شئ فهو الاثم بينه وبين الله فلا يجيبه فى الاخرة فتوى المفتى فانه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر **القسم الثالث** ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال فى زماننا هذا فالذى يأخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم ههنا بالتحليل والذى نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن فى العين علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به اكله ومن العلامات ان يأخذ من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التى سيأتى ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس اما الاثر فما علم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

والخلفاء الراشدين بعد اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربا من ايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال كما غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى صلى
الله عليه وسلم عن الربا اذ قال اول ربا اضعه ربا العباس ما ترك الناس الربا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي حتى روي ان
بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو اول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهموا
تحريم الخمر لتحريم ثمنها وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من
خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها وكذلك ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن
الشراء والبيع في السوق بسبب مذهبه المدنية وقد ذهبها اصحاب بيد ثلاثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون
لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالح وزعم انه تفطن من الشرع ما لم يفطنوا له
فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في امثال هذا الجائز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم
وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القرآن والربا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى بفهم الشرع من غيرهم
واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط
الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقلتم انه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مسخا
مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور فلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه او نقول للضب شكل غريب يدل على انه من المسخ فهي دلالة في عين
المتناول فان قيل فهذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها
ولكن كانت بي لا قل بالاضافة الى الحلال فماذا نقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر مما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها وكثرة
الربا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ ما لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام املا فقول ليس ذلك حراما وانما الورع تركه
وهذا الورع انهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل اكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض ومنشأ الغلط عن
الفرق بين الكثير والاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس
كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير واكثر **مثاله** ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال
المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس بنادر وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا
تساهل وقال المرض والسفر غالب فهو عذر عام اراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض
كثير والمستحاضة والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القائل اما ان يكون كثرة الظلمة والجندية او كثرة
الربا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام الى زماننا هذا على اصول الاموال لوجوه ثلاثة **اما المستند**
الاول فباطل فان الظلم كثير وليس هو بالاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر
عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجند مائة الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد
عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم
بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم بالمعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من الف وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة
تشتمل منهم على عدد قليل **واما المستند الثاني** وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي ايضا كثيرة وليست بالاكثر اذ اكثر المسلمين
يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء اكثر والذي يعامل بالربا او غيره فلو عدت معاملاته وجدت كان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد لا
ان يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصا بالخيانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص
نادر وان كان كثيرا فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو ايضا عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا
مقطوع به لمن تامله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادرا حتى ربما يظن ان
الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة **واما المستند الثالث** وهو انا نقول
ان يقال الاموال انما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون
عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا ان يتطرق الى اصل من تلك الاصول غصب او معاملة فاسدة
فكيف يقدر ان يسلم اصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل مثلا الى اول الشرع

ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن اصله واصل اصله وكذلك الى اول زمان النبوة حلالا واما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما تستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي الظلمة بل المعادن في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم ياخذونها منهم غصبا فانظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد او ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر او محال فلا يبقى اذا حلال الا الصيد والحشيش في الصحاري والموات والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على اكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستئناس والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو اشد الطرق تحيلا **والجواب** ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فيخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحرز مما عدد ناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب ان الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا انه تجوز الصلاة في الشوارع اذا لم تر نجاسة فان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين جائز وان الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا اولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنازير ولا يحترزون عما نحسبه شرعا فكيف تسلم اوانيهم من ايديهم بل نقول نعلم قطعا انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تامل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال او نادر بل نقول نعلم انهم كانوا ياكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونها مع انها تداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقل ما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب في الطرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات نجسة قذرة يلطخها الامطار وقذارتها وما كان يحترز عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليها ويستنزهون منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على انهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة حالة على العين فاما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي رضي الله عنه وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير واقع اذ لم ير الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤن من الحياض وفيها الماء القليل والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض وبهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز الشرب منها والتحرز حكم الحل بحكم النجاسة فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه قلنا ان اريد به انهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان نعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فان الغالب الذي لا يستند الى علامة يتعلق بعين ما فيها النظر مطرح وامانتهم عهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس لان امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه وقد حكي عن واحد منهم انه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من ان الاكثر هو الحرام لان المال وان كثر اصوله فليس يواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما ان الذي يبتدئ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب فكذلك كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في كل زمان بالاضافة الى غيره اقل وليس بدري ان هذا الفرع بعينه من ايي القسمين فلا نسلم ان الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة في كل عصر وزمان اكثر بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر ولم تزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحيوانات والحبوب فاما المعادن فانها محلالة ياخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد ياخذ السلاطين بعضها منهم او ياخذون الاقل لا محالة الا الاكثر ومن جاز

من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس منه فما مايأخذ الآخذ منه فيأخذ من السلطان باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فيستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا على هذا فهو ظلم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظلما ببقاء الاجرة في ذمته **واما دار الضرب** فليس الذهب الخارج منها من اعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك او النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهي بالاضافة الى مال التجار قليل لا محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان يأخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذ عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فكيف يكون هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن يرق دينهم حتى قنعوا الورع وسدوا ابابه وما استقبحوا امتياز من ميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فما تقولون فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذي نراه ان تركه ورع وان اخذ ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل ازيد واقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فنحكم بحل الكل بدليل انه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة **احدها** ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم **الثاني** ان يقتصروا منها على قدر الضرورة ويسد الرمق يزجرون عليها اياما الى الموت **الثالث** ان يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة **الرابع** ان يتبعوا شروط الشرع ويستانفوا قواعد من غير اقتصار على قدر الحاجة **الخامس** ان يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة اما الاول فلا يخفى بطلانه واما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزحموا وقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة واحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل اكثر احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا لتتم بها مصالح الدين واما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين انواع الفساد فتمنعه الايدي بالغصب والسرقة وانواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب البيت باستحقاق عنا فانه حرام علينا وعليه وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فنا ايضا محتاجون وان كان الذي اخذته في حق زائد على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه واذا لم تراع حاجة اليوم والسنة فمن الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يودي الى بطلان سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان يقال كل شخص يد على ما في يده وهو اولى به لا يجوز ان يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فللتراضي ايضا مناهج في الشرع تتعلق به المصالح فنعتبر اصل التراضي ونغطل تفصيله **واما الاحتمال الخامس** هو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من اصحاب الايدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريقة الآخرة ولكن لا وجه لافتاء به على الكافة ولا دخاله في فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في ايدي الناس كذا ايدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج ولا يبقى الا ان يجب على السلطان ان يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من ايدي الملاك ويتوعب بها اهل الحاجة ويدير على الكل الاموال يوما فيوما او سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع اموال **اما تكليف الشطط** فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا واما التضييع فهو ان ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي ان يلقى في الصحراء ويترك حتى يتعفن فان الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم ثم يودي في ذلك الى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة تتعلق بالغنى عن الناس اذا اصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجتهم وهو في غاية الفتح بل القول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان ضربا للمثل لوجب عليه ان يستأنف الامر ويمهد تفصيل اسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم و

دنياهم اذ لا يتم الصلاح بردّ الكافة الى قدر الضرورة والحاجة البتة فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز ان يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الامر جاريا على ما الف من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء لصلاح الدين والدنيا وما افرد هذا وقد كان ما افرده فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود وعبدة الاوثان والى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار محاطبون بفروع الشريعة والاموال كانت في ايدي المكذبين والمصدقين واما المكذبون فكانوا اثما ملون بغير شرع عيسى عليه السلام واما المصدقون فكانوا يتساهلون مع اهل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها او كثير منها حراما وعفى صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بان يسلم الذمي في يد الحرام فانا لا ناخذ في الجزية من اهل الذمة ما نعرفه بعينه انه ثمن خمر ومال ربا فقد كانت اموالهم في ذلك الزمان كاموالنا الان وامر العرب كان اشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان ان الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الاخرة ونحن الان نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وقوي الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الاحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الاخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة تبطل النظام ثم يبطل بطلانه الملك ايضا فالمحترفون انما تحرم البتة نظم الملك للسلوك وكذلك المقبلون على الدنيا تحرم اليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الاخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلون بامور الدنيا وذلك ثمة سبقت بها المشيئة الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل او الاكثر فيه نظر وما ذكرتموه من انه الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تحريمه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كانها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فنقول ان سلمنا ان الحرام هو الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه ثلاثة امور **الاول** التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا اجري فيما اذا كان الكل حراما كان اجرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما تخيل من تخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في ان مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا نشك في ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة او الحاجة او الى الخشن الصعب مخرب للدنيا وان الدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص **البرهان الثاني** انه يعلل بقياس محرر مردد الى اصل يتفق الفقهاء الآن بون بالاقيسة الجزئية عليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغير مخرب للعالم والقياس المحرر الجزئي هو انه قد تعارض اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل او بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احتراز عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والوضيعة بالذكية والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تشعر بجواز المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق **والجواب الثاني** ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك تنزل منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل

على خلافه علامة معينة **البرهان الثالث** هو ان ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لو يعتبر وان كان قطعا فبان لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه ان ما علم انه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى ورثته فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا او عشرين امتنع التصرف فيه فالذي يشك في ان له مالكا سوى صاحب ليد ام لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطع يده فكيف نفذ تصرفه في مال الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك اليه وجعل له مقتضيا بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه الى مهم والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه ان يحكم فيه بدلالة اليد ويبقى على ارباب الايدي انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدع رعي المصلحة كيف ما دارت وكذلك المفتي في مثل هذا يدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق غير مأخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان بل كلهم يواخذ السلطان و الفقراء الآخذون منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المأكولات والدراهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم **المثار الثالث** للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية * اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل **مثال المعصية في القرائن** * البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سوم فكل ذلك ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه لتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة ايضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذا كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي عادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات **ثم اعلم** ان هذه الكراهة لها ثلاث درجات الاولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والاخرى تنتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد منها في الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص بسهم مغصوب ذا الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البيض المزبوع في الارض المغصوبة فان الزرع لمالك البزر ولكن فيه شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن لا قيمة ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتض بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف لتعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكاة درهم او صلاة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء ويخرج ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فتكون الكراهة اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس حتى يحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا من رجل فسمع انه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الورع مفسد للدين او المفسد لا ينقطع عن يوم السبت سائر الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر صاحبها بما اوهم عند الغير ان مثل ذلك مهم

ثم يحجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستنده اكثر الناس في زماننا هذا اذا ضيق عليهم الطريق فليسوا عن القيام به فاطرحوه فكما ان الموسوس في الطهارة قد يحجز عن الطهارة فيتركها وكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق الى اوهامهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال **واما مثال اللواحق** فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعرف وبالجوز بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والاظهر ان ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد والمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهية فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بالات الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر والفدادين وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة اذ يخرج الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا الى حد التطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعدة بها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتطوعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة لا ينبغي للانسان ان يشتغل بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بدهنه من غير سماع كان ما يفسد اكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه احرق كرمه بنفي من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق كرمه ونخله من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات **واما المقدمات** فلتطرق المعصية اليها ايضا ثلاث درجات **الدرجة العليا** التي تشتبه الكراهة فيها اما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة علفت بعلف مغصوب او رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون الباعث مجموعها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي البربري غنم يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فذبحها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله انهما اشتريا ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رضي الله عنه رعيتما ابلكما في الحمى فقالا لا نعلم فشاطرهما فهذا يدل على انه رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس هو عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلا ورأى ذلك مثل شطر الابل فاخذ الشطر باجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما ان قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة رضي الله عنه اذ رأى ان كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا **الرتبة الوسطى** ما نقل عن بشر بن الحارث من امتناعه عن الماء المساق في نهر احفر الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله لجفره وامتنع اخر عن عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام جلال اوصل اليه على يد نبطي وقوله انه جاءني على يد ظالم ودرجات هذا الرتب لا تنحصر **الرتبة الثالثة** وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا او القذف وليس هو كما لو عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصل من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة تعينه بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بجعل الطعام ويخرج هذا الى ان لا يوخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة او كذبة وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لان صانع الكوز عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان هذا وسواسيا ولو امتنع من لحم شاة ساقها اكل حرام فهذا البعد من يد السجان لان الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق عينها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما ننتهي اليه هذه الامور **واعلم** ان كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه تختص بالدرجة

(ع) الغلمان كسحاب والغرمان والشرا والشور والغرمان كسحاب والغرمان كسحاب والغرمان كسحاب

الاولى لم يمكن تكليف عشر الخلق بحملهم لو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم لوابصة اذ
قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وعرف ذلك اذ قال الاثم حزاز القلوب وكل ما حاك في صدرك فدع المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب تضر
به واظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يوثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما هو حلال في
نفسه علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره واما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي
لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لانه ما خوذ في
حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه ولذلك شدد على الموسوس في الطهارة ونية الصلاة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل
الى جميع اجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وان كان مخطئا في نفسه
فاولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السوال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم
لفظ البقرة وكل ما يتطلق عليه الاسم لاجزاهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقيقة التي رددناها نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ويحيط
بمجامعه يوشك ان يزل في درك مقاصده واما المعصية في العوض فلها ايضا درجات **الدرجة العليا** التي تشتد الكراهة فيها ان
يشتري شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم اليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فاكله قبل قضاء
الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع الموكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام
فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وابرأه
البائع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان ابرأه على ظن ان الثمن حلال
فلا تحصل البراءة لانه يبرئه بما اخذ ابراء استيفاء ولا يصلح ذلك للايفاء فهذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيب
قلب لكن اخذ فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعد لان الذي يزيل الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه
باقباض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء او الاستيفاء ولم يحز شيء منهما ولكنه اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيانا
الراهن للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل هذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما
بطيبة قلب بائع او من غير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام او لا ثم قبض فان كان البائع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حق
حبسه وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذ ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم
لما رضي به ولا اقبض المبيع في حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام لتحريم اكل المرهون الى ان يبرئه او يوفي من حلال او يرضى هو
بالحرام ويبرئ فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع
المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهة فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام
لما رضي البائع بتسليمها اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تجرح به وتزول به درجة التقوى والورع
ولو اشترى بسكا مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه ورضي البائع قبل توفية الثمن وسلم اليه او غير صلة او خلعة وما شاكل فانه سيقضي ثمنه من الحلال والحرام فهذا الخلاف
وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن ونقاوحفته بتقاوكثرة الحرام وقلته فان كان الظن غالبا وما يتغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما يقدح في
القلب **الرتبة الوسطى** ان لا يكون العوض غصبا ولا حراما ولكن يتهيأ بالمعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن غصبا او الاخذ شارب الخمر او سيفا
وهو قاطع الطريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات
هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها ومهما كان العوض عملا حراما فيه له حرام وان احتمل تحريمه ولكن
البيع بظن مثله مكروه وعليه ينزل عموم النهي عن كسب الحجام وكراهته اذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم امر بان يعلف الناضح ويسقي
الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد اذ يجب طرحه في الدباغ والكناس ولا قائل به وان قيل به فلا يمكن طرحه في القصاب الخ كيف
يكون بسببه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر منه للحجام والحصاد فان الحجام يأخذ الدم
بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب الذي في الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان واخراج الدم وبه قوام حياته والاصل فيه التحريم وانما يحل
لضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بجس واجتهاد وربما يظن ناما ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن وبالجس
ولذلك لا يجب في الفصاد ضد صبي وعبد ومعتوه الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى عليه السلام اجرة الحجام و

لولا انه يحتمل التحريم لما نهى عنه ولا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان نذكر في القرائن المقرونة بالسبب فانه اقرب الى **الرتبة السفلى** وهي درجة الوسواس وذلك في ان يحلف الانسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروي عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها واكلوا اثمانها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن المبيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبهه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث او اربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم فان قيل ففقه قول صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صممنا ان لم اكن سمعته منه قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتورع عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره **المشار الرابع الاختلاف في الادلة** فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة العبد فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وهي اما ان تكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض المشابه **القسم الاول** ان تتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب والاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان يأخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع والقرائن وان كان لا يحسن الطب ليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اوسعها عليه واسهلها بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فله الفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا ايضا على ثلاث مراتب **المرتبة الاولى** ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الاخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام وهو اقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة رحمه الله او غيره من الائمة كان الورع فيه مهما وان افتى المفتي بالقول الاخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لان الاية ظاهرة في ايجابها والاخبار متواردة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالبسملة وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم المومن يذبح على اسم الله تعالى سمى اولم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الاية وسائر الاخبار عن ظواهرها ويحتمل ان يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر والتأويل وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا للعذر في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الاية ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ينكر وقع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى **المرتبة الثانية** وهي المزاحمة لدرجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصاد في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين فلعل ابا حنيفة رحمه الله انه لم تبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان صح وان لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد **المرتبة الثالثة** ان لا يشتهر في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان الغفلة وان كانت لواحد او لاثنين غلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لان العدل ايضا قد يكذب

والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل لتسكن نفوسهم اليه واما اذا نظر تهمة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان يأخذ ميراث الجد اتباعا لابي بكر يقول ليس في كتاب الله ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن باجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيه غلو واسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب ليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حوازات القلوب وحكايات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب لذلك لم يرد عليه السلام كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله

القسم الثاني تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد يغلب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير الغالب فيه مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وتدوله من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض الامران وكذلك يخبر عدل انه حرام وآخر انه حلال او تتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال

القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي تناط بها الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ التعلم من يوم او شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا اعض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها غير الازمة له فيه اذ يكون المتصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غني وتتردد بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فان فقد الحاجة منه لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتردد منه النظر في مقدار سعة الدار وأثنيها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في هذا ما قاله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب وان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو احد مواقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر وان الآخر زائد وبينهما امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر الوقوف على حدودها فهما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة ارطال ببغداد زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ اذ العرب وسائر اهل اللغات لم يقيدوا ومتضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر الفاظ الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فالالفاظ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الا ويتطرق الشك الى اوساط في مقتضياتها تتردد بين اطراف متقابلة فتعظم الحاجة الى هذا الفن في الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ من الغوامض فكذلك سائر الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الالفاظ والا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تتولد من علامات متعارضة تجاذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب يوجب ذلك له صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر الادلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عين له عليه من خمر بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي تراد ف الشبهات

الى ان يشتد الامر في اقتحامه فهذه مراتب عرفنا طرائق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما انتفع من هذا الشرح اخذه وما التبس فليجتنبه فان الاثم حزاز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب ارشدنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب في ب موسوس ينفر عن كل شئ وترب شره يتساهل يطمئن الى كل شئ ولا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته ويقال في الزبور ان الله تعالى اوحى الى داؤد عليه السلام قل لبني اسرائيل لا تنظروا الى صلاتكم ولا صيامكم ولكن انظروا الى من شك في شئ فتركه لاجلي فذلك الذي اؤيد نصره واباهي به ملائكتي

الباب الثالث في البحث والسؤال والمجوم والاهمال ومظانها

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تهب فليس لك ان تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا تتحقق حله فلا آخذ بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة ولا بد من تفصيله والقول الشافي فيه وهو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما امر يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال **المثار الاول** احوال المال * وله بالاضافة الى معرفتك ثلاثة احوال اما ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة **الحالة الاولى** ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كرقي الاجناد وكما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت جلادا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل صلاح او اهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت جلادا او قصابا او غيرهما ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على ثقته فهو مجهول ولا يدريك حاله ولا تقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدريك وبين ما يشك فيه وقد عرفت بما سبق ان الورع ترك ما لا يدريك قال يوسف بن اسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شئ الا تركته وتكلم جماعة في اشق الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حماد بن ابي سنان ما شئ عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شئ تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يباح وكونه مسلما دلائل كامنة في المجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا تسئ الظن به فان اسأت الظن به في عينه لانك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال فقدا من غيرته ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه يدل عليه انا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم واسفارهم كانوا يمرون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسئل عن كل ما يحمل اليه بل سأل في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة الحال وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء يغلب على الظن ان ما حمل اليهم يحمل بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي يدل لا يدل على انه ليس بصدقة وكان يذهب الى الضيافات فيجيب ولا يسأل صدقة ام لا لان العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط فيما رواه انس بن مالك رضي الله عنه وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال عليه السلام انا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم اجابه بعد فذهب هو وعائشة يلتمسان وقال فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال في شئ من ذلك وسأل ابو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امر شئ وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن ابل الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل ليلة وهذا لسبب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو رآه في داره تجملا وما لا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه مستحق احسان الظن او ازيد على هذا واقول ليس له ان يسأله بل ان كان يتورع فلا يدخل جوفه الا ما يدريه من اين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وان كان لا بد له من الكلمة فليأكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا شك فان قلت لعله لا يتأذى فأقول لعله يتأذى فأنت تسأل حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور في ايذاء مسلم بأقل من الاثم في اكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستحياش

بالتفتيش ولا يجوز له ان يسأل عن غير من جهة يدري هو به الا لايذاء في ذلك اكثر وان سأل من حيث لا يدري هو فيه اساءة ظن وهتك ستر فيه تجسس وفيه تشويش له
بالن

منه ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب في السوق الكبير حكمه حكم بلده والدليل على انه لا يجب السؤال و التفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة رضي الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الاسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها و كانوا لا يسألون في كل عقد وانما السؤال ينقل عن آحادهم نادرا في بعض الاحوال وهي مظان الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قدوة لنا والمسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون في تلك الغنائم شيء مما اخذوه من المسلمين وذلك لا يحل اخذه قطعا ولا يملك بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه اولى به بالثمن عند ابي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا **وكتب** عمر رضي الله عنه الى اذربيجان انكم في بلاد تدبغ فيها الميتة فانظروا ذكية من ميتة اذن في السؤال وامر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي في اثمانها لان اكثر دراهمهم لم تكن اثمان الجلود وان كانت هي ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك كذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه انكم في بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالاكثر اذ مر بالسؤال ولا ينضبط هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها **مسئلة** شخص معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكان بيّاع طعام مغصوب او مال منهوب مثل ان يكون القاضي او الرئيس او العامل او الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم او مال مورث ودهقنة او تجار او رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرتشي ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز له الاكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا تصديقه الا بعد التفتيش فان ظهر ان المأخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك وان كان الحرام اقل والمأخوذ مشتبها فهذا في محل النظر لانه على درجة بين الرتبتين اذ قضينا بانه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث ان مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثيرا المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال فان كان المال قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو مساو لاختلاط الميتة واحد وان كثر المال واحتمل ان يكون الحرام قد خرج من يده فليس موجودا في الحال فهذا اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في ان الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض يتجاذبه الاشباه ومن حيث النقل ايضا غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من اقدام على الاكل كما كان لابي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا ان قدر في جملة ما في يده حرام فذلك ايضا يحتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة ان عين ما يأكله من وجه مباح فالاقدام في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا لاخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل باخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سيأتي في باب بيان اموال السلاطين فاذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن الاكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الذكية بالميتة فهذا مما لا ادري ما القول فيه وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها ذهنا مترددا بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرمية اذا اشتبهت بقريبة فيها عشر نسوة وجب اجتناب الكل ان كان بلده فيها عشرة آلاف لم يجب بينهما اعدادا ولو سئلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي اوضح من هذا اذ سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع في ماء غير ايكون الصيد للرامي او لمالك الارض فقال لا ادري فرجع فيه مرات فقال لا ادري وكثير من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سئل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين فقال انهم يعاملوا سوى السلطان فلا نعاملهم وان عاملوا السلطان وغيره عاملهم وهذا يدل على المسامحة بالاقل ولتحمل المسامحة بالاكثر اذا لم وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة انهم كانوا يحجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او لمعاملة السلطان من وقته ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه رخص فيه وقال خذ مما يعطيك ما كان فانما يعطيك من الحلال ومما يأخذ من الحرام اكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال له السائل ان لي جارا لا اعلم الا خبيثا يدعوني وتتاجر فنستسلفه فقال اذا دعاك فاجبه واذا احتجت فاستسلفه فان ذلك لهنائه وعليه المأثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي بالكثرة وعلل ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الاشارة بان عليه المأثم لانه يعرفه ولك المهنأ اي انت لا تعرفه ورأى انه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه ان لي جارا يأكل الربا فيدعوني الى طعامه افنأتيه فقال نعم ورأى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه برواياته

كثير مختلفة واخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد خالط مالهم الحرام قلنا اما ما روي عن
علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص
واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست انكر ان رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر فانه يحكم
كثيره بكاد يلتحق بالاحصار وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وانما كلامنا
في آحاد الخلق واموالهم قريبة من الحصر واما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقيل انه انما قاله خوفا لتسيي وانه ضعيف الحفظ والمشهور
عنه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال لا يقولن احدكم اخاف وارجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات فدع ما يريبك
الى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات ففيها الاثم فان قيل فلم قلتم اذا كان الاكثر حراما لم يجز الاخذ مع ان الماخوذ ليس فيه علامة تدل على
تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى ان من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب
الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور اذا كان الاكثر هو الحرام ولا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه
وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك لانه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه بعلامة في غير الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور
فان ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعنا بانه لا يحرم فالجواب ان اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وانما تؤثر اذا سلمت عن معارض قوي
فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان الحرام الخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا ان الاكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين
يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم يحمل عليه قوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل اذ لا يمكن
ان يحمل على اختلاط حرام قليل بحلال غير محصور اذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى اي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله
على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فان تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحابات وللكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا
الحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا تجتهد في الاواني اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة
وفوق الكثرة ومن قال باخذ الاخير اراد بالاجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب ايضا فيلزمه التجويز بمجرد علامة اليد ولا يجري
ذلك في بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب فيه ولا نظره ايضا وميتة اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب في الميتة واليد لا تدل على انه غير ميتة و
تدل في الطعام المباح على انه ملك فهنا اربع متعلقات استصحاب قلة في المخلوط او كثرة والحصر او اتساع في المخلوط به وعلامة خاصة في
عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الاربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسايل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه ان المختلط في ملك شخص
واحدا ما ان يكون الحرام اكثر او اقله وكل واحد اما ان يعلم بيقين او يظن عن علامة او بوهم فالسؤال يجب في موضعين وهو ان يكون
الحرام اكثر يقينا او ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل ان يكون كل ماله من غنيمة وان كان الاقل معلوما باليقين فهو محل التوقف
وتكاد تشير سيرة اكثر السلف وضرورة الاحوال الى الميل الى الرخصة واما الاقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها اصلا

مسئلة اذا حضر طعام انسان علم انه دخل في يده حرام من ادرار كان فد اخذه او وجه آخر ولا يدري انه بقي الى الآن ام لا
فله الاكل ولا يلزمه التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع ولو علم انه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر انه الاقل او الاكثر فله ان يأخذ
بانه الاقل وقد سبق ان امر الاقل مشكل وهذا يقرب منه **مسئلة** اذا كان في يد المتولي للخيرات او الاوقاف والوصايا
مال لا يدري هو احد بما ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له ان يأخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف نظر فان كانت
تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة فله ان يأخذ بغير بحث لان الظن بالمتولي ان لا يصرف اليه ما يصرفه الا من المال الذي
يستحقه وان كانت الصفة خفية او كان المتولي ممن عرف من حاله انه يخلط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال اذ ليس ههنا يد ولا استصحاب
يعول عليه وهو وزان سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيها لان اليد لا تختص لهدية عن الصدقة ولا
الاستصحاب فلا ينجي منه الا السؤال فان السؤال حيث اسقطناه في المجهول اسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى لو لم يعلم انه مسلم واراد
ان يأخذ من يد لحما من يد بيعته واحتمل ان يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف انه مسلم اذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الاسلام الا
اذا كان اكثر اهل البلدة مسلمين فيجوز ان يظن بالدار ليس عليه علامة الكفر انه مسلم وان كان الخطاء ممكنا فيه فلا ينبغي ان تلتبس
المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد **مسئلة** له ان يشتري في البلدة دارا وان اعلم انها تشتمل على دور مغصوبة لان ذلك
اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وان كان في بيوته عشر دور مثلا احدها مغصوب او وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز و

يجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له
ان يسكن ايها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لان ذلك من باب الاختلاط فى المحصور فلابد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان
الرباطات والمدارس فى البلد لابد ان تكون محصورة **مسئلة** حيث جعلنا السؤال من الورع فليس لمن يسأل صاحب الطعام والمال اذا
لم يأمن غضبه وانما اوجبنا السؤال اذا تحقق ان اكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالى بغضب مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك والغالب
ان مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم ان كان يأخذ من يد وكيله او غلامه او تلميذه او بعض اهله ممن هو تحت رعايته فلا ان
يسأل مهما استراب لانهم لا يغضبون من سؤاله وكان عليه ان يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل ابو بكر رضى الله عنه غلامه
وسأل عمر من سقاه من ابل الصدقة وسأل اباهريرة رضى الله عنه ايضا لما ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك اكل هذا طيب
من حينا نه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد رفق فى صيغة السؤال ولذلك قال على رضى الله عنه ليس شئ احب الى
الله تعالى من عدل امام ورفقه ولا شئ ابغض اليه من جوره وخرقه **مسئلة** قال الحارث المحاسبى رحمه الله لو كان له صديق او اخ
وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغى ان يسأله لاجل الورع لانه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدى ذلك
الى البغضاء وما ذكره حسن لان السؤال اذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع فى مثل هذه الامور الاحتراز عن هتك الستر واثارة
البغضاء اهم وزاد على هذا فقال وان رابه منه شئ ايضا لم يسأله ويظن به انه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فان كان لا يطمئن قلبه
اليه فليحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لانى لم ار احدا من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما
اذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع
هذه الدقائق فى السؤال **مسئلة** ربما يقول القائل اى فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فان وثق
بامانته فليشق بديانته فى الحلال فاقول مهما علم مخالطة الحرام مال انسان وكان له غرض فى حضورك ضيافته او قبولك هديته فلا تحصل
الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه نعم ينبغى ان يسئل من غيره لكن ان كان بتياعا وهو يرغب فى البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله انه حلال
ولا فائدة فى السؤال منه وانما يسئل من غيره وانما يسئل من صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما يسئل المتولى على المال الذى يسلمه انه من اى جهة وكما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذى ولا يتهم القائل فيه وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدرى طريق
كسب الحلال فلا يتهم فى قوله اذا اخبر عن طريق صحيح وكذلك يسئل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال فاذا كان صاحب
المال متهما فليسئل من غيره فاذا اخبره عدل واحد قبل وان اخبره فاسق علم من قرينة حاله انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله
لان هذا امر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل فى بعض الاحوال و
ليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة فى ظاهره يصدق وانما يناط الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن
لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف انه قد يقتحم المعاصى ثم اذا اخبرك بشئ وثقت
به وكذلك اذا اخبر به صبى مميز ممن عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فاما اذا اخبر به مجهول لا يدرى من حاله شئ اصلا
فهذا من جوزنا الاكل من يده لان يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال اسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر لا
يخلو قوله عن اثر ما فى النفس حتى لو اجتمع منه جماعة تفيد ظنا قويا الا ان اثر الواحد فيه فى غاية الضعف فلينظر الى مدى تاثيره فى القلب
فان المفتى هو القلب فى مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه ويدل على وجوب
الالتفات اليه ما روى عن عقبة بن الحارث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى تزوجت امرأة فجاءت امية سوداء فزعمت
انها قد ارضعتنا وهى كاذبة فقال دعها فقال انها سوداء يصغر من شانها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما لا خير
فيها دعها عنك وفى لفظ اخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر امارة غرض له فيه كان له وقع فى القلب لا محالة فلذلك
يتأكد الامر باحتراز فان اطمأن اليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا **مسئلة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا
وكذا قول فاسقين ويجوز ان يترجح فى قلبه قول احد العدلين واحد الفاسقين ويجوز ان يرجح احد الجانبين بالكثرة
او بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متلما
فى يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء

فكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشترى
وان كان لا يوجد ذلك المتاع فى تلك البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضته علامة
خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شوائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر
على ان حكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب المستفتى لينظر ما الاقوى فى نفسه فان كان الاقوى انه مغصوب لزمه تركه والا حل له شراؤه
واكثر هذه الوقائع يلتبس الامر فيها فهى من المتشابهات التى لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها
فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال قائل قد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه فذكر انه من نحلة
شاة فسئل عن شاة من اين هى فذكر له فسكت عن السؤال افيجب السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او اثنين او ثلاثة
وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث تنقطع
الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال
فان قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وان قال من شاتى وقع الشك فى الشاة فاذا قال اشتريت انقطع وان كانت الريبة من الضلع وذلك مما فى
ايدى المعرب ويتوالد فى ايديهم المغصوب فلا تنقطع الريبة بقوله انه من شاتى ولا بقوله ان الشاة ولدت عندى وان اسنده الى الوراثة من
ابيه وصاحب ابيه مجهول انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان اكثره حرام فكثرة
التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير حكمه فلينظر فى هذه المعانى **مسئلة** سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية
وفى يد خادمهم الذى يقدم اليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف اخر على جماعة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط الكل ويتفق على هؤلاء
اكل طعامه حلال او حرام او شبهة فقلت ان هذا يلتفت الى سبعة اصول **الاصل الاول** ان الطعام الذى يقدم اليهم فى الغالب
يشتريه بالمعاطاة والذى اختاره صحة المعاطاة لا سيما فى الاطعمة والمستحقرات فليس فى هذا الا شبهة الخلاف **الاصل**
الثانى ان ينظر ان الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام او فى الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشترى فى الذمة ويجوز
الاخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام **الاصل الثالث** انه من اين يشتريه فان اشترى
من اكثر ماله حرام لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف جاز الاخذ بانه يشتريه ممن ماله حلال او ممن لا يدرى المشترى حاله بيقين كالمجهول
وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال **الاصل الرابع** ان يشتريه لنفسه او للقوم فان
المتولى والخادم كالنائب وله ان يشترى لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية او صريح اللفظ واذا كان الشراء يجرى بالمعاطاة فلا يجرى اللفظ
والغالب انه لا ينوى عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جهته ويدخل فى ملكه وهذا
الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت انهم يأكلون من ملك الخادم **الاصل الخامس** ان الخادم يقدم الطعام اليهم فلا يمكن ان
يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا
اقراض لانه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فاشبه اصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب
اعنى هدية لا لفظ فيها من شخص يقتضى قرينة حاله ان يرضى فى ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم فى ان يأخذ ثوابا عما
قدمه الا حقهم من الوقف ليقضى به دينه من الخباز والقصاب والبقال فهذا ليس فيه شبهة اذ لا يشترط لفظ فى الهدية ولا فى تقدير
الطعام وان كان مع انتظار الثواب لا مبالاة بقول من لا يصحح هدية فى انتظار ثواب **الاصل السادس** ان الثواب الذى يلتزم
فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه
فاذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر
ان كان ناقصا ورضى به الخادم صح ايضا وان علم ان الخادم لا يرضى لولا ان فى يده الوقف الاخر الذى يأخذه بقوة هؤلاء السكان
فكانه رضى فى الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل فى ايدى السكان فهذا كالخلل المتطرق الى الثمن وقد ذكرنا
حكمه من قبل وانه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لا يقتضى تحريما على ما فصلناه ولا تنقلب الهدية حراما يتوصل المهدى
بسببها الى الحرام **الاصل السابع** انه يقضى دين الخباز والقصاب والبقال من ارتفاع الوقفين فان وفى ما اخذ من حقهم بقيمة
ما اطعمهم فقد صح الامر وان قصر عنه وفى القصاب والخباز باى ثمن كان حراما او حلالا فهذا خلل تطرق الى ثمن الطعام ايضا فليلتفت الى

ما قدمناه من الشراء فى الذمة ثم قضاه الثمن من الحرام هذا اذا علم انه قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد وقد
خرج من هذا ان اكل هذا ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وهو بعيد من الورع كان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد
احتمال صار احتمال الحرام بكثرته اقوى فى النفس كما ان الخبز اذا طال اسناده صار احتمال الكذب فى لغطه فيه اقوى مما اذا قرب اسناده
فهذا حكم هذه الواقعة وهى من الفتاوى وانما اوردناها لتعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك مما يحتاج اليه المفتى كثيرا

الباب الرابع فى كيفية خروج التائب من المظالم المالية

اعلم ان من تاب فى يده مال مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى فى مصرف المخرج فلينظر فيهما **النظر الاول** فى كيفية التمييز والاخراج **اعلم** ان كل من تاب فى يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيره فامره
سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان يكون فى مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان
يكون فى اعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب فان كان فى المتماثلات وكان شائعا فى المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم انه قد
كذب فى بعضها فى المرابحة وصدق فى بعضها او من غصب دهنا وخالطه بدهن نفسه او فعل ذلك فى الحبوب والدراهم والدنانير ولا يخلو
ذلك اما ان يكون معلوم القدر او مجهولا فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف ولن
اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلاة
ونحن لا نجوز فى الصلاة الا الاخذ باليقين فان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس فى اعداد الركعات
علامات يوثق بها واما ههنا فلا يمكن ان يقال الاصل ان ما فى يده حرام بل مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع فى الاخذ
باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقى الا القدر الذى يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا
ان يكون فى يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن و
هكذا طريق التحري فى كل مال وهو ان يقتطع القدر المتيقن من الجانبين فى الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم
اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وان شك فيه جاز الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اوكد لانه
صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه فى يده فيكون الحل اغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام
ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا يأخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الاخر وليس يتبين لى فى
الحال ترجيح وهو من المشكلات **فان قيل** هب انه اخذ باليقين لكن الذى يخرجه ليس يدرى انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقى
فى يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهى العشر فله ان يطرح واحدا ايها شاء واحد كان
ويأخذ الباقى ويستحله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال انها هى الحرام
فنقول هذه الموازنة كانت تصح لو كان المال يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا يتطرق المعاوضة اليها
فليكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض فى درهم معين اشتبه بدرهم اخر فيمن له درهمان احدهما حرام قد اشتبه عينه وقد سئل
احمد بن حنبل رضى الله عنه عن مثل هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن امة فلما قضى الدين حمل اليه المرتهن انه تبين
وقال لا ادرى اينتك ايتهما هى فترك كليهما فقال المرتهن هذا هو الذى لك وانما كنت اجرى بك فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا
ورع ولكن نقول انه غير واجب فلنفرض المسئلة فى درهم له مالك معين حاضر فنقول اذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم
بحقيقة الحال حل له الدرهم الاخر لانه لا يخلو اما ان يكون المردود فى علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد
حصل لكل واحد درهم فى يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب
منه قد فات له درهم فى يد الغاصب تعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه فما اخذه وقع عن الضمان وهذا فى جانبه واضح فان
المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال فى الجانب الاخر انه لم يدخل فى ملكه فنقول لانه ايضا ان كان قد
سلم درهم نفسه فقد فات له ايضا درهم فى يد الاخر فليس يمكن الوصول اليه فهو كالفائت فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله ان كان
الامر كذلك ويقع هذا التبادل فى علم الله كما يقع التقاص لو اتلف دجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل فى عين
مسئلتنا لو القى كل واحد ما فى يده فى البحر او احرقه كان قد اتلفه ولم يكن عليه عهدة للاخر بطريق التقاص فكذا اذا لم يتلف

فان القول بهذا اولى من المصير الى ان من ياخذ درهما حراما ويضربه فى الف الف درهم لرجل اخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف
فيه وهذا المذهب يؤدى اليه فانظر ما فى هذا من البعد وليس فيما ذكرناه الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعلها بيعا فحيث يتطرق
اليها احتمال اذا الفعل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه
ولا معلوم فى عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل دقيق لغيره وكذلك الدبس والرطب و
كل مما لا يباع البعض منه بالبعض فان قيل فانتم جوزتم تسليم قدر حقه فى مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا
بل تقول هو بدل عما فات فى يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال فان لم
يساعده واصر وقال لا اخذ درهما اصلا الا عين ملكى فان استبهم فاتركه والا اهبه واعطل عليك مالك فاقول على القاضى
ان ينوب عنه فى القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لم يرد به فان عجز عن القاضى ولم يجد ه فليحكم رجلا
متدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نيته الصرف اليه درهما ويتعين ذلك ويصير ملكا له وهذا فى خلط المائعات اظهر والرقم فان قيل فينبغى
ان يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته فما حاجة الى الاخراج او لا ترك التصرف فى الباقى قلنا زال قائلون يحل له ان ياخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز ان
ياخذ الكل فاحد لم يجوز ذلك وقال اخرون ليس له ان ياخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الا بعاد قال اخرون يجوز للاخذ فى التصرف ان ياخذ منه
واما هو فلا يعطى فان اعطى عصى هو دون الاخذ منه واحد ما يجوز اخذه الكل وذلك لان المالك لو ظهر فليس له ان ياخذ حقه من هذا الجملة اذ يقول العلم
المصروف الى يقع عين حقى بالتعيين واخراج حق الغير وتمييزه يندفع بهذا الاحتمال فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب الى الحق مقدم
كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل
فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا ان يقول ذلك لجاز لصاحب الدراهم الاخران ياخذا الدراهم ويتصرف فيها ويقول على قضاء حقك من موضع اخر اذ
الاختلاط من الجانبين وليس ملك اخذ بالى يقدم فانا باولى من الاخر اذ لان ينظر الى الاقل فيقدر انه فات فيه او ينظر الى الذى خلط فيجعل كانه متلف الحق
غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح فى ذوات الامثال فانها تقع عوضا فى الاتلافات من غير عقد فاما اذا اشتبه دراهم او حبه بعينها فلا بد
الا الصلحة والتراضى فان ابى ان ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد الاخران يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة الغيم فالطريق ان يبيع القاضى
جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وعرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف فى قدر
التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل وان لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفى يد الكل ان يتولى ذلك بنفسه هذه هى المصلحة وما
عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا فى الخلط ظاهر وفى النقود دون العروض اغمض اذ لا يقع البعض به لا
عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل يتوجه بها بيان هذا الاصل **مسئلة** اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم وقرر عليه
قطعة معينة فهى فى جميع الورثة ونورد من الضيعة نصفا وهو قدر حقه ساهم الورثة فان النصف الذى لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقى
هو المغصوب لا يصير ممتازا بنية السلطان وقصده حصر الغصب فى نصيب الاخرين **مسئلة** اذا وقع فى يده مال اخذه من سلطان ظالم ثم تاب
والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغى ان يحسب اجر مثله طول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا يصح
توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير اجرة العبيد والثياب والاوانى وما شاكل ذلك مما لا يعتاد
اجانبا مما يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى ويدخل
من المال المغصوب فى عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهى ملك له ولكن فيه شبهة اذا كان ثمنه حراما كما سبق
حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل تنفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى به
والقياس ان تلك العقود تفسخ ويسترد الثمن وترد الاعواض فان عجز عنه لكثرته فهى اموال حرام حصلت فى يده فللمغصوب منه قدر
رأس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به ولا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع فى يده **مسئلة** من
ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه امن حلال ام من حرام ولم تكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه
حراما قطعا وشك فى قدره اخرج مقدار الحرام بالتحرى فان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلاطين واحتمل
انه لم يكن ياخذ فى عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق فى يده منه شئ لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب
ان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه والاثم على المورث واستدل بما روى

ان رجلا من ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الا نطيب ماله لبنيه لوارثه وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر ممن
متساهل فقد كان فيمن كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا ندكن لحرية الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا لحرام المتيقن المختلط ومن اين
يؤخذ هذا نعم اذا لم يتيقن يجوز ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب اوارث لا نسلم ان فيه حراما يقينا **النظر الثاني**
في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلاثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه اوالى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره او
الايصال اليه وان كان له زيادة ومنفعة فليجمع فوائده الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري
مات عن وارث ام لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى تتضح الامر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق
الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف او الفين فهذا ينبغي ان يتصدق به **واما** مال الفيء والاموال
المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في
الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه **اما** التصدق وبناء القناطر فينبغي ان
يتولاه القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستهلكا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف
يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عاما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه
واما قصد الصرف **واما** عين الصارف فانما نطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عنه القدرة
عليه فان قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام **وحكي**
عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجههما رماهما بين الجحارة وقال لا انصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه
لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال ولكنا اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس **اما الخبر** فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال صلى الله عليه وسلم اطعموها الاساري ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم
في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصديق رضي الله عنه الا ترون ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فاطرهم
ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه وجاء ابو بكر رضي الله عنه بما قمر به قال عليه السلام هذا
سحت فتصدق به وفرح المومنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في الخاطر مع القمار **واما الاثر**
فان ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده تصدق بالثمن وقال اللهم هذا عني ان رضي
والا فلا اجر لي وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة القمال وما يؤخذ منه بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه
قتل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى امين ليرمها عليه فابى ان يقبضها وقال له تفرق الناس فاتى معاوية فابى ان يقبض فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسها
الى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك
واما القياس فهو ان يقال ان هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ قد وقع اليأس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه
الى خير اولى من القائه في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم نحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يعلم انه لا له
حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان
للزراع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه وذلك بغير اختيارهم واما قول القائل لا يتصدق الا بالطيب فذلك
اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر ونحن نعلم بين التضييع وبين التصدق ورجحنا جانب التصدق على جانب التضييع
وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذا حله دليل الشرع واذا
اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى
لان الفقير لا ينبغي ان يكون من عياله واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق به على
فقير اجنبي فكذا اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل ايضا مسائل **مسئلة** اذا وقع في يد مال مريب سلطان قال قوم يتملى السلطان
فهو اعلم بما يتولاه فيقلد ما يقلده وهو خير من ان يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به فعل لما كا معينا وفي اجازة ذلك اجازة ان يبرأ من
ظلامة السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرد المال لان ذلك اغراء الظالم وتكثير لاسباب ظلمه قال وفيه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم
من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك ان كان له مالك يتعين من ان يرد على السلطان لانه

ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرد على السلطان تضييع فان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم وتقوية
لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فاذا وقع في يده من ميراث ولم يتعين هو لاخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة التي ايس عن معرفة
صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان يتملكها ثم وان كان غنيا من حيث انه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا
لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدق **مسئلة** اذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان يأخذ
قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب اسرار الزكاة وقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر على شراء ضيعة او
تجارة يكتسب بها لعياله فضل وهذا اختيار المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله
تعالى في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم
عنه فاذا فتي عاد اليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما انفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم انه يأكل الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه و
الا اكل اللحم من غير شبع وتوسع وما ذكرناه لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد
حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا اذا اخذ الفقر الا سيما اذا وقع في
يده من ميراث ولم يكن معتقدا نصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه **مسئلة** اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته
فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد في نفسه منه في عياله واولاده الصغار والكبار من الاولاد يحرم عليهم من الحرام ان كان
لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم
والعيال ربما تغذى اذا لم تعلم الذم تتول الامر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من القوت
كاجرة الحجام والقصار والصباغ والجمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل ونفقة الدابة وتسخير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال
قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو اولى بان يكون طيبا واذا دار الامر بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه
ممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به فاما الكسوة ففائدتها ستر العورة ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته
هذا هو الاظهر عندي وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي انه لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب
اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم
اربنبته من الحلال اولى ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى فان قيل فاذا كان الاكل منصرفا
الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق **قلنا** عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف تاضحا
وعبدا حجاما فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فمنع عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل ان له ايتاما فقال اعلفوا الناضح
فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو واولاده فاذا اتضح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه **مسئلة** الحرام الذي في يده لو
تصدق به على الفقراء وفيه ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق
فيكون الامر على ثلاث مراتب فان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في بريته او
قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخيره جمعا
بين حق الضيافة وترك الحرام فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره فان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في
قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيأ ابو بكر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا بانه حلال للفقراء
احللناه بحكم الحاجة اليه فهو كالخنزير والخمر اذا حللناهما بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات **مسئلة** اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه
فليمتنع عن مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى فان كان
شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقبلا فليوافق فليقلل الاكل
بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا
من شبهة وكانت تخطر بباله فليقبل وليلبس بين يديها وليتزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر
عند معارضة اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقائق **وقد حكي** عن بشر رحمه الله انه سلمت اليه امه رطبة وقالت يجفى عليك
ان تأكلها وكان يكره فاكل ثم صعد غرفة فصعدت امه ورائه فرأته يتقيأ فقالت اردت ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد

قيل لاحمد بن حنبل سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر الوالدين فما ذا تقول فقال للسائل اجب ان تعفيني فقد سمعت ما قلا ثم قال ما احسن ان نداريهما **مسئلة** من في يده مال حرام محض فالحج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا تجب عليه الزكوة اذ معنى الزكوة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما رد ذا على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه مريد الحج لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقرهم وقد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه غرمه فان كفارة اول بالوجوب فان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقد قال قوم عليه الجمع وقال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام اذ ليس له ما يساوي معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والله تعالى اعلم ان كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها والزمناه اخراجها من بدن لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة **مسئلة** من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج فان كان ما شيا فلا باس به لانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى زيادة للركوب فلا يجوز الاخذ لمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد اذا كان ضعيفا عن التصرف في ماله وممن تحت عياله وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالاقامة في انتظاره اولى من الحج ماشيا بالمال الحرام **مسئلة** من خرج لحج وجمال فيه شبهة فليتجهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فرفقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فان اوان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه بالطيبات فان لم يجد فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب فسواء ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه لسبب حزنه وخوفه وكراهته **مسئلة** سئل احمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل مات ابي وترك مالا وكان يعامل من يكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما رأيت فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقضي فقال افتريه ذلك فقال افتدعه محتسبا بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على انه رأى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه رأى ان اعيان امواله ملك له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كان التصرف عسر الرد وهو في قضاء دينه على اليقين فلا يزال بسبب الشبهة

الباب الخامس في ارزاق السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان من اين هو في صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي يأخذ هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق **النظر الاول** في جهات الدخل على السلطان * وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان * ما خوذ من الكفار وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشرط والمعاقدة **والقسم الثاني** المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها واما الصدقات فليست تؤخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فمن اكتسب لفقيه او غيره دارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له ذلك على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياء السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة **فالاول** هو الجزية وهي اربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة ورد عين فيه الاحتياط في الفقد فهو حلال بشرط ان لا تكون الجزية الا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد والسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون الذمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر او لاصبيا ولا امرأة اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك **الثاني** المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي خلفه هل كان ماله كله حراما او اكثر او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من تصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار المصروف **الثالث** الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في المواريث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقا له في جميع شرائطه **الرابع** ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر فيه ان الغالب انه احياه باكراه الاجراء او باداء اجرتهم من حرام فان كان الاحياء

يحصل بحفر القناة ولانهار وبناء الجسر ان وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة فنبهنا عليها في تعلق الكراهة بالاعواض **الخامس** اشتراء السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله **السادس** ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال الصدقة والمصادرة وهو الحرام البحت الذي لا شبهة فيه وهو كثير الا ان في هذا الزمان الا عامل لارض العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين **السابع** ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وان كان يعامل غير السلاطين اكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الحرام فالحلال يتطرق اليه العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام **الثامن** ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل الا من الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا تيقن انه حرام فلي ان اخذه وقال اخرون لا يجل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال فالمخالط شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقف فيه كما سبق **ولقد** اجمع من جوز اخذ اموال السلاطين اذا كان فيها حرام وحلال مما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد ابن ثابت وابو ايوب الانصاري وجرير بن عبد الله وجابر وانس بن مالك والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان وزياد بن عبيد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هارون الرشيد الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي رضي الله عنه خذ ما يعطيك السلطان فان ما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نقدا فاذا كان اقطاع ارض فدعه وقال ابو هريرة رضي الله عنه اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان اذا اتى العطاء معاوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق لا يزال العطاء باهل العطاء حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام كانه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما ياتي قفى الله واهدى اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر رضي الله عنه لم يرخص احدا لاهدية المختار والاسناد في رد ما اثبت وعن نافع انه قال بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض ما اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال الا اجيزك بجائزة لم اجزها احدا قبلك من العرب ولا اجيزها احدا بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة الف درهم فاخذها وعن جبيب بن ابي ثابت لقد رايت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي انه قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربو فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر فاذا ثبت هذا في المظالم فمعناه وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من اسفل الفرات فارسل الى العشارين الطمونا مما معكم فارسلوا بطعام فاكل واكلنا معه وقال العلاء ابن زهير الازدي اتى ابراهيم ابن وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابراهيم النخعي لا باس بجائزة العمال ان للعمال مؤونة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من اعطاهم في معصية الله تعالى وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه الى المحذور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثون الفا وما نقل عن الحسن من قوله لان اتوضا من ماء صيرفي ولي ضائع وقت الصلاة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع ايضا لهذه شبهة من يجوز اخذ مال السلطان الظالم **والجواب** ان ما نقل من اخذهم هو لا محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم فكان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة

في الدرجة بتقاعدهم في الورع فان للورع في حق السلاطين اربع درجات **الدرجة الاولى** ان لا يأخذ من اموالهم اصلا شيئا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لابن عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكتب ابو موسى الاشعري الى بيت المال فوجد درهما فرمى به لعمر رضي الله عنه فاعطاه اياه فراى عمر ذلك في يد الغلام فساله عنه فقال اعطاني ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت اهون عليك من ال عمر ارحت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمته ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله صلى الله عليه وسلم ومن ترك شبهة فقد استبرأ لعرضه ودينه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الاموال السلطانية حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بعبد ما ترى الصامت الى الصدقة اتؤد الله يا ابا الوليد لا تجئ يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او ببقرة لها خوار او شاة لها ثؤاج قال يا رسول الله اهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال فوالذي بعثك بالحق لا اعمل على شيء ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف عليكم ان تنافسوا وانما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال اني لم اجد نفسي فيه الا كالوالي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا لطاؤس افتعل كتابا من لسانه الى عمر بن عبد العزيز فاعطاه ثلثمائة دينار فباع طاؤس ضيعة له فبعث من ثمنها الى عمر بثلاث مائة دينار هذا مع ان السلطان مثل عمر ابن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع **الدرجة الثانية** هو ان يأخذ مال السلطان ولكن انما يأخذ اذا علم ان ما يأخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار او اكثرها او ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له انا لنرجو لك الخير حفرت الابار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فذري وفي حديث آخر انه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت لبصرة ولا احسبك الا قد اصبت فيها شرا فقال له ابن عامر لا تدعوني فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه الى الخيرات وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام مذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان له سويق في اناء مختوم ليشرب منه فقيل له تفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال لما اني لا اختمه غلابه ولكن لكي لا يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب فهذا هو المألوف منهم فكان ابن عمر لا يجيبه شيء لا خرج منه فطلب منه نافع بثلاثين الفا فقال اني اخاف ان تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه اخذ ما لا يدري انه حلال **الدرجة الثالثة** ان يأخذ ما اخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء او يفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يؤخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول اخذ منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتي وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثر هم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين الفا وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قبل فتصدق به وقال رأيت ان آخذ منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي رحمه الله بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة **الدرجة الرابعة** ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستبقي ولكن يأخذ من سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه حيث قال فان ما يأخذ من الحلال اكثر فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن انما

توقفنا فيه فى حق احاد الناس وما ل السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب انما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا قد انفتحت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة فى زماننا لا تجري مجرى ذلك وانها تفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين فى عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفئ والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شئ فى يد السلطان ولم يبق الا الجزية وانها توخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حد الشرع فى الماخوذ والماخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره **والوجه الثانى** ان الظلمة فى العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتاسفين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبول عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سئوال واذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين فى اغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطيلون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم ولم يكن باخذهم باس فاما الان فلا تشجع نفوس السلاطين بعطية الا من طمعوا فى استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء فى حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الاخذ نفسه بالسؤال ولا بالتردد فى الخدمة ثنيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه فى مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوى اعماله سابعا لم يتم عليهم بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى رحمه الله مثلا فاذا لا يجوز ان يوخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم انه حلال لانضمامه الى هذه المعانى فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجر على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين وفى اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما بينا فى الباب الذى يلى هذا فاذا قد تبين مما تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس فى بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تقلد عمل وخدمته ولا الى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعانى سننبه عليها فى الباب الذى يلى هذا **النظر الثانى** من هذا الباب فى قدر الماخوذ وصفة الاخذ * ولتفرد المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفئ والتوارث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من زرع قف او صدقة او خمس فئ او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما اجياه واشتراه فله ان يعطى ما شاء لمن شاء وانما النظر فى الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فما الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفى كلام عمر رضى الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا فى مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به شغل مصلحة الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعنى العلوم التى تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين يحرسون الملك بالسيوف عن اهل الغرامة واهل البغى وعن اعدائهم ويدخل فيه الحساب والكتاب والوكلاء وكل من يحتاج اليه فى ترتيب ديوان الخراج اعنى العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعين بالدين او بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى احدهما عن الاخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعمله امر دينى ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجرى مجراه فى العلوم المحتاج اليها فى مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال لينفرغوا لمعالجة المسلمين اعنى من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعتبروا الحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغنى وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن عليه السلام من معاوية فى دفعة واحدة اربعمائة الف درهم وكان عمر رضى الله عنه يعطى لجماعة اثنى عشر الف درهم نقرة فى السنة واثبت عائشة رضى الله عنها فى هذه الجريدة ولجماعة عشرة الاف ولجماعة ستة الاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه

شئ فان خص كل واحد بمال كثير فلا باس وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالما او شجاعا بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين

احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان يأخذ من يده وهو على الحقيق ليس بسلطان **والثاني** انه ليس يعم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز لاحاد ان يأخذوا فيجحفوا بهم الاخذ بقدر حصصهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان يأخذ كل واحد ما اعطى **اما الاول** فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل هما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الامراء وقد ورد في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم او مروز واجر فلذلك نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنهم وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في الكتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف نفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار الارض ولاة نافذو الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الآن به **واما الاشكال الاخر** وهو ان السلطان اذا لم يعم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فمنهم من قال كلما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه داخل او جملة فليترك الكل وقال قوم له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه يأخذ ما يعطى فان المظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات وهي اذا اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تنعيم الآخرين لجاز ان يأخذ والتفضيل جائز في العطاء سوى ابو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال انما فضلهم عند الله واما الدنيا بلاغ وفضل عمر رضي الله عنه في زمانه فاعطى عائشة اثني عشر الفا وزينب عشرة الاف وجويرية ستة الاف وكذا صفية وقطع عمر لعلي خاصة رضي الله عنهما واقطع عثمان ايضا من السواد خمس ضياعات واقر عثمان عليا رضي الله عنهما بها فقبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لا نص على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضي الله عنهم ان المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا ان كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلاف التي يصوب فيها كل مجتهد فما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي بغفلة او سوء رأي وكان في الفوق بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد يحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجرايات لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بجرمه منه لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

الباب السادس في مخالطة السلاطين الظلمة وبيان ما يحل من مخالطتهم وما يحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم ان ذلك مع الامراء والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزلهم فلا تراهم ولا يرونك **اما الحالة الاولى** وهو الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواترت بها الاخبار والآثار فنتقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه القوانين

فى ظاهر العلم **اما الاخبار** فانه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم امراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم اوكاد ان يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم سيكون من بعدى امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس منى وليست منه ولم يرد على الحوض وروى ابو هريرة رضى الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم ابغض القراء الى الله تعالى الذين يزورون الامراء وفى الخبر خير الامراء الذين ياتون العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفى الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فاذا خالطوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضى الله عنه **واما الاثار** فقد قال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هى قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغشى ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسخم بالعالم يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذا ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسى بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اوجعهم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة ابن الصامت حب القارئ الناسك الامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له فيقال له ولم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شئ يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت ويقول ان فى هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهرى السلطان كتب اخ له فى الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك ان يرحمك الله فيرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان اليسير مما ارتكبت واخف مما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يوقر حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل وذا ود دينك فقد دخله سقم وهيهات ان يراد فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء والسلام فهذه الاخبار والاثار تدل على ما فى مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكن نفصل ذلك تفصيلا لتفهم بها تميز فيه المحظور عن المكروه والمباح **فنقول** الداخل على السلطان متعرض لان يعصى الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده فلا ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول عليهم فى غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتحتها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولا يغرنك قول القائل ان ذلك مما يتسامح به الناس كثيرا وفتات خبز فان ذلك صحيح فى غير المغصوب امتا المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهى فى محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجرى هذا فى كل واحد فيجرى ايضا فى المجموع والغصب انما تقع بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك بانه ربما لم يكرهه فما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد من المارين انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة فى التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحد من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا فان فرض كون الظالم فى موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول عليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليكم ولكن ان يجد اوكم او مثل قائما فى سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسببه ولا ينبغى التواضع آلة ظلمه والتواضع

للظالم معصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لامعنى آخر اقتضى التواضع نقص ثلثى دينه فكيف ذا تواضع للظالم فلا يباح الا
بحرف السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهي معصية الا عند الخوف او لامام عادل اولعالم اولمن يستحق ذلك بامر ديني قبل
ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يد عمر رضي الله عنه لما لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد
جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن الفربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا يقنع
ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما
فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل **فاما السكوت** فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة
والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع منهم كلاما
ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين للثياب في آكلين للطعام وجميع ما في ايديهم
حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله وان قلت انه يخاف على
نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه يستغني عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد
لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له
ان يحضر يجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته **واما القول** فهو ان يدعو للظالم ويثني عليه او
يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقائه والحرص
على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام **اما الدعاء** فلا يحل له الا ان
يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واستباغ النعم
مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء
الى الثناء فيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاصي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب
اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية
على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيها كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر
عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان رضي الله عنه عن ظالم اشرف على الهلاك
في بريه هل يسقي شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره ليسقي الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز
ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى بمعصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء
ظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب وحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص
لمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحب لاجل
ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسيأتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فان سلم من ذلك كله
وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما لهتى رسول الله صلى الله عليه و
وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق وهذا مع ما فيه من اقتداء غير به في الدخول ومن
تكثير سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات او محظورات **دعي** سعيد بن المسيب
الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فكان يجر
الى المدخول عليهم الا بعذرين **احدهما** ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي وفسد عليهم
طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية **والثاني**
ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواء كان عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني
ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول **الحالة الثانية** ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فالجواب السلام لا بد منه
واما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة لما على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق للاجلال كما انه بالظلم مستحق للايقاع فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن

الاولى ان لا يقوم ان كان معه في حلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن اعرض الله تعالى عنه
وان كان الداخل عليه في جمع فتراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا منهم فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك
لا يورث فسادا في الرعية ولا ينال له أدنى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف
ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه ذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة
فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طرف المصلحة ان كان يعرف طريقا
على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى عرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف في
محل جهله والتخويف فيما هو مستجري عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه
اثر اوذلك ايضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر وعن محمد بن صالح قال كنت مع حماد بن سلمة فاذا
ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علم ومطهرة يتوضأ منها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب
فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي اذا رايتك امتلأت منك رعبا قال حماد لانه قال عليه السلام ان
العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شئ وان اراد انه يكنز به الكنوز هاب من كل شئ ثم عرض عليه اربعين الف درهم
وقال تاخذها وتستعين بها قال اردها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فناخذها نفسها
قال لعلي ان عدلت في قسمتها اخاف ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فاردها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزل
عنهم فلا يراهم ولا يراونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يجب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يتخير
عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان عقل عنهم فهو الاحسن
واذا خطر بباله تنغصهم فليذكر ما قاله حاتم الاصم ان ما بيني وبين الملوك يوم واحد فما امس فلا يجدون لذته وانا واياهم في
غد لعلى وجل وانما هو اليوم فيا عسى ان يكون في اليوم وما قاله ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال ياكلون ونحن ناكل ويشربون ونشرب
ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وينظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء وكل من احاط علمه بظلم
ظالم ومعصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدا منه ما يكدر نفس ذلك من رتبته في
القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكرهها اما ان ينفعل عنها او يرضى بها او يكره ولا عفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من
الكراهة فليكره بجنايته كل احد على حق الله بجنايته على حقه **فان قلت** الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب قلنا ليس
كذلك فان الحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله وانما لا يحب
الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا اجتمع كره ما كرهه واحب ما احبه وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا
فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين **فاقول** ان تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك
قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد فنوا فقال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل
عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال
انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي
حملك على ما صنعت فقال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم
علي بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني قال وكيف انت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطي
فاني اخلعهما بيدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم
علي بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله تعالى سمى اولياءه فقال يا داود
ويا يحيى ويا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول
اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظني فقال سمعت من امير المؤمنين
علي رضي الله عنه ان في جهنم حيات كالفلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان

الثوري رضي الله عنه قال دخلت على ابي جعفر المنصور بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله قد ملأت الارض ظلما
وجورا قال فطأطأ راسه ثم رفعه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابنائهم يموتون
جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم فطأطأ راسه ثم رفع فقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه
كم انفقت قال بضعة عشر درهما وارى ههنا اموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج فهلكنا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا
وكانوا يعزلون باذواجهم في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان الناس لا يخوفون
في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لاجلن هذه الكلمة
مثالا نصب عيني ما عشت ولما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطأ عنه ابو ذر
وكان له صديقا فاتاه فاتبه عثمان فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله
عنه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرأت في بعض الكتب ان الله تعالى يقول من اخوف من السلطان ومن اجمل من عصاني
ومراغم من اعتزلني ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تنقعقع فقال له والي
البصرة ائذن لي ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك لما في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع
سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوتا فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمة فكيف اذا سمعت صوت
عذابه ثم نظر سليمان الى الناس فقال ما اكثر الناس فقال حضماك يا امير المومنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم وحكي
ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره
الموت فقال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على
الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي
عند الله قال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال
قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقوى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب
المحارم قال فاي الكلام اسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها
قال فاي المؤمنين اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره وقال سليمان ما تقول فيما عرض فيه قول او تعاقبني قال لا
ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المومنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضاء
منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله
قد اخذ الميثاق على العلماء ليبينونه للناس ولا يكتمونه قال وكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذ من رجله فتضعه في حقه فقال
سليمان ومن يقدر على ذلك فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره
لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني فقال اوصيك واجزل عظة ربك وتنزهه
ان يراك حيث نهاك او يفقدك من حيث امرك وقال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر
ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الان وما تكره ان يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على
سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال يا امير المومنين اني سمعت كلاما بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته
فقال يا اعرابي انا لنجود بسمة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نامن غشه فكيف بمن نامن غشه ونرجو نصحه فقال الاعرابي يا
امير المومنين انه قد تكنفك رجال اساؤوا الاختيار لانفسهم فاباعوا دينهم بدنياهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله
فيك حرب للاخرة سلم للدنيا فلا تامنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فانهم لم يالوا في الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا و
انت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته
بدنيا غيره فقال له سليمان يا اعرابي اما انك قد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك قال اجل يا امير المؤمنين ولكن ذلك لا عليك
وحكي ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك
لا ترجع من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك عدا لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك

مايلحق بك الطالب انا وما لحق فيه زائل وفى الله نحن اليه صائرون بانى ان خير فخير وان شر فشر فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعنى علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم دقائق الحيل وطرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه فى معرض الوعظ لم يكن بقصدهم الا صلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفى هذا غرور ان يغتر بهما الحمقى **احدهما** ان يظن ان قصدى فى الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم بذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق فى طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه فى العلم ووقع موقع القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغى ان يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه ان يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان صادقا فى قلبه ترجيحا لكلام على كلام غيره فهو مغرور **والثانى** ان يزعم انى اقصد انتفاعة المسلم فى دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره واذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم فى الاحوال العارضة فى مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم مسائل **مسئلة** اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان حكمه انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تأخذه وتتولى التفرقة ولا تقصى باخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ينظر فى الاولى فتقول الاولى ان تأخذه ان امنت ثلاث غوائل **الغائلة الاولى** ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله طيب ولولا انه طيب لما كنت تمد يدك اليه ولا تدخله فى ضمانك فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا فى الخير فى مباشرتك التفرقة بما يحصل له من الجراءة على كسب الحرام **الغائلة الثانية** ان ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال فيقتدون بك فى الاخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعى رضى الله عنه على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على نية التفرقة فالمقتدى والمشبه به ينبغى ان يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير **وقد حكى** وهب بن منبه ان رجلا اتى به الى ملك ممن شهد من الناس ليكرهه على اكل لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل فقيل له فى ذلك فقال ان الناس قد اعتقدوا انى طولبت بلحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت فيضلون ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخى الحجاج وكان غلاما وكان فى غدائه بارزة فى مجلس بارز فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان والقه على ابى عبد الرحمن اى طاوس وكان قد قعد على كرسى فالقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو اخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا ان يقول من بعدى انه اخذه طاوس ولا يصنع به ما اصنع اذن لفعلت **الغائلة الثالثة** ان يحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك وايثاره لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين اعنى ما يجب الظلمة اليك فان من احببته لا بد ان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عايشة رضى الله عنها جبلت النفوس على حب من احسن اليها وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى بنى صلى الله عليه وسلم ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروى ان بعض الامراء ارسل الى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق قال سل اضحى فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله اقلبك اشد حبا له الآن ام قبل ان ارسل اليك قال لا بل الآن قال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احب احب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته واحب نشاطه ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضى الله عنهما من رضى بامر وان غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى ولا ترکنوا الى الذين ظلموا قيل لا ترضوا باعمالهم فان كنت فى القوم بحيث لا تزداد حبا لهم بذلك فلا باس بالاخذ **وقد حكى** عن بعض عباد البصرة انه كان ياخذ مواله ويفرقها فقيل له الا تخاف ان يحبهم فقال لو اخذ جبل بيدى وادخلنى الجنة ثم عصى ربه ما احببته قلبى لان الذى يخرجه للاخذ بيدى هو الذى انبضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه وبهذا تبين ان اخذ المال الآن منهم وان كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوائل **مسئلة** ان قال قائل ان جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز ان يسرق ماله او يخفى وديعته وينكر ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لانه يكون بماله مالك معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما لو بعثه اليك فانى العاقل لا يظن به ان يتصدق بمال يعلم انه لغيره فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز ان يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل ان يكون ملكه قد حصل له بشراء فى ذمته فان اليد لا دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل ان وجد لقطة وظهر ان صاحبها حى

واحتمل ان يكون له بشراء او الذمة او غيره وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عندهم ولا يجوز انكار ودائعهم ويجب الحد
على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى **مسئلة** المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام
فما يؤخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما يسلم اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم
انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار واما الخلاف في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان يلبسها نساؤهم فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى
فعينه من الاموال وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او حماية اموالهم فان ذلك اعانة لهم قريبة وهي
محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يعصى في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون
على ظلمهم بالاموال والدواب وسائر الاسباب وهذه الكراهة جارية في الاهداء اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم
اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم القرآن فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب
وكيلا لهم يشتري لهم في الاسواق من غير جعل او اجرة فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم مما يعلم انهم يقصدون به
المعصية كالغلام والديباج للفرش واللبس والفرس للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمباع حصل
التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه خصلت الكراهة **مسئلة** الاسواق التي بنوها بالمال الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز
سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه والناس نيشتوا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخر
فالاولى الشراء منها فان ذلك اعانة لسكناهم وتكثير لكرى حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها احب من معاملة
سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا من معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي لهم عليها الخراج لانهم يصيرون
ما يأخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع
الارض ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعاش
مسئلة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم يأخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون
جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على الزي العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من اموالهم واما الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي
الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق اليهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا ينفع في ايديهم مال مصلحة
وميراث وجزية ووجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بما لهم قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف
تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء
والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما
لم يمالئ قراؤها امراؤها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك
من العلوم فهي محدثة بعدهم وقال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس صاحب
الليطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال ابن مسعود
رضي الله عنه آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذا رواه جابر وعمر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن سيرين لا تخلط للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة
الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب بها فكل من حواليهم من خدمهم واتباعهم ظلمة متلهم يجب بغضهم في الله جميعا
روي عن عثمان بن زائدة انه سأله رجل من الجند وقال اين الطريق فسكت واظهر الصمم وخاف ان يكون متوجها الى ظلم فيكون دليلا له
الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين و
ارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لاموال اليتامى و
المساكين والمواظبين على ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لان المعصية تنقسم
الى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله واما معصية الولاة
بالظلم وهو متعدي فانما يغلظ امرهم لذلك ويتقدد عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون عند الله مقتا فيجب ان يبرد اتباعهم
منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم ليقال للشيطان ضع سوطك وادخل النار وقال صلى الله عليه وسلم

من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فلا منه التعرب و
وسائر الهيئات المشهورة فمن يُرى على تلك الهيئة فعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه الذي يجني على نفسه اذ تزيا بزيهم
ومساواة الزي تدل على مساواة القلب ولا يجب ان لا يجوز ان لا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يتلبس فيتشبه باهل الصلاح
فاما الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملئكة ظالمي انفسهم في قوم
من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا
من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا
يتبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لعن علماء
بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معاشهم فمسئلة المواضع التي بناها الظلمة كالفنادق والرباطات والمساجد و
السقايات ينبغي ان يحتاط فيها وينظر اما الفنادق فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنه
معدلا تأكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجد معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان يرصد
للخيرات وهذا خير فما اذا عرف ان الاجر والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليها
اصلا الا بضرورة ويحل بما مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني في ارض مغصوبة او
بخشب مغصوب من مسجد آخر او ملك معين فلا يجوز دخولها اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف
الامام وليقف خارج المسجد فان الصلاة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء وان عصى صاحبها
بالوقوف في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك
الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من حلك الذي بناه ولو على بعد وان لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين وهما
كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع قيل لاحمد بن حنبل ما
حجتك في ترك الخروج الى الصلاة في جماعة وتخر بالعسكر فقال حجتي ان الحسن وابراهيم النخعي خافا ان يفتنهما الحجاج وانا اخاف
ان افتن ايضا واما الحلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لانه غير منتفع به وانما هو زينة والاولى ان لا ينظر اليه
واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها
ولكن الورع العدول عنها فانها محل شبهة واما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها و
الدخول اليها الا اذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس
فان كانت الرقبة مغصوبة او الاجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وان التبس
المالك فقد ارصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الابنية ان صدرت من خدم
السلاطين فالامر فيه اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضائعة الى المصالح ولان الحرام اغلب على
اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر **مسئلة** الارض المغصوبة
اذا جعلت شارعا لم يجز ان يخط فيه البتة وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان
كان الشارع مباحا وفوقه سابات جاز العبور وجاز الجلوس تحت السابات على وجه لا يحتاج فيه الى
السقف كما يقف في الشارع لشغل فاذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او المطر او غيره فهو حرام لان السقف
لا يراد الا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا او ارضا مباحة سقف او خط بغصب فانه مجرد التخطي لا يكون
منتفعا بالحيطان والسقف الا اذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر او برد او نشر عن بصر او غيره فذلك حرام لانه
انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المكث بل للانتفاع والارض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما

الباب السابع في مسائل متفرقة كثيرة مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى

مسئلة سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان ياكل منه و
هل تختص بالصوفية ام لا **فقلت** اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوا واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوا من طعام القائم

ولكن لايخلو عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب لصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية فهو كالرجل
المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل بهم وما باخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج عن ملك
المعطى ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه لان ذلك مصيره ان المعاطاة لا تكفى وهو ضعيف ثم لا صائر اليه فى الصدقات
والهدايا ويبعد ان يقال نزل الملك الى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله فى الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من تقدم
عليهم ولو ما تواكلهم او واحد منهم لا يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين لهم
مستحق لان ازالة الملك الى الجهة لا توجب تسليط الاحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد الى يوم القيامة
وانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز له ان ينتصب نائبا عن الجهة فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف
والمروة فان منعهم عنه منعوم عن ان يظهر نفسه فى معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله **مسئلة** سئل عن
مال اوصى به للصوفية فمن الذى يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بامور
ظاهرة يعول عليها اهل العرف فى اطلاق اسم الصوفى والضابط الكلى ان كل من هو بصفة اما نزل فى خانقاه الصوفية لم يكن
نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل فى غمارهم والتفصيل ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزى الصوفية
وان لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة فى الخانقاه ثم بعض هذه الصفات عما يوجب زوالها زوال الاسم
وبعضها يخير بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفى بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذى يظهر فسقه
وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصفاء واما الحرف والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق
فالدهقان والعامل والتاجر والصانع فى حانوته او دارع والاجير الذى يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما اوصى به للصوفية و
لا يخير هذا بالزى والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا فى حانوت ولا على جهة الاكتساب
(التتابع ؟) خرقت ذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك يخير بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع واما الوعظ و
التدريس فلا ينافى اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزى والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال صوفى مقرئ
وصوفى واعظ وصوفى عالم او مدرس ويتناقض ان يقال صوفى دهقان وصوفى تاجر وصوفى عامل واما الفقر فان نزل بغنى مفرط
ينسب لرجل به الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية الصوفية وان كان له مال ولا ينفى دخوله لخروجه لم يبطل حقه وكذا اذا
كان له مال قصر عن وجوب الزكاة وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة معهم ومساكنتهم فلها اثر
ولكن من لا يخالطهم وهو فى داره او فى مسجد على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو شريك فى سهمهم وكان ترك المخالطة يجبره ملازمة الزى
فان لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم فى الرباط فينسب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة
والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقيه الذى ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا
معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسب بالتبعية عليه حكمهم واما لبس المرقعة من يد شيخ من مشائخهم فلا يشترط ذلك
فى الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود الشرائط المذكورة واما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم
مسئلة ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فلا حرفيه اوسع مما اوصى لهم به لان مقتضى الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير
الصوفى ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعام مبناه على المسامحة حتى جاز الانفراد بها فى
الغنائم المشتركة والمقوال ان ياكل معهم فى دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصى به لصوفية يجوز ان يصرف الى قوال
الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من احضروه من العمال والنجارين والقناة والفقهاء ممن لهم غرض فى استمالة قلوبهم يحل لهم
الاكل برضاهم فان الوقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فيزل على الطرف ويكون ليس عندا على الدوام فلا يجوز ان ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام و
ياكل ان رضوا به اذا ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله
النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافى كونه صوفيا والجهل ليس بشرط فى المتصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات
بعض الحمقى بقولهم ان العلم حجاب وان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة فى كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم
دون المحمود وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم وان

رضوا بتوليه فيحل له الاكل معهم بطريق الشبهة فكان عدم الزنى يجرم المساكنة ولكن برضاء اهل الزنى وهذه امور تشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا يخفى اطرافها في النفي والاثبات ويشتبه اوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في ابواب الشبهات **مسئلة** سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضاء ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذا خمسة **الاول** ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او عالما او منتسبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ انه يعطاه لحاجته لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل ان ياخذ الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي ما اعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق وكان المتورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في المبيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين فان ذلك مظنة والتقي خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن **القسم الثاني** ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طعاما في خلعته فهذه هبة بشرط الثواب لا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند جميع شروط العقود **الثالث** ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان وخاصته رأى مكانه عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان كان حراما كالسعي في تجهيز دار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم عليه ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله او صل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينك في غرض كذا او ينعم عليك بكذا واقترح في تجهيز غرضه الى كلام طويل وذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذ اكان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعل من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الاعصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يوخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيرها فلا يذكر الا بعوض فان عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف او المرآة بدقة واحدة يحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرآة وهذا لا اجر له باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخف عن نفسه كثرة العمل **الرابع** ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتاكيد المحبة وتوددا الى القلوب وذلك مقصود للعقلاء ومندوب اليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره لعينه المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا تم تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين سيقها في المال او المآل سمي ذلك هدية وحل اخذها **الخامس** ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا الانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له يخصه حبتها وان لم يختص عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فلا مرية انه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة

الرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها فان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة اوجباية مال اوغيره من الاعمال السلطانية
حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذا رشوة عرضت فى معرض الهدية اذ القصد بها فى الحال طلب
التقرب واكتساب المحبة ولكن لا مرية فى خبثه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وآية انه لا يبغى المحبة انه لو ولى فى الحال غيره
لسلم المال الى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا فى كونه حراما والمعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية
المحضة وبين الرشوة المبذولة فى مقابلة جاه محض فى غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والآثار
احدهما تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر فى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت
بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البر بما تتوعظ به العامة **وسئل** ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت فقال يقضى الرجل الحاجة
فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها لا على وضيعة اجر فلا يجوز ان يأخذ بعده شيئا فى معرض
العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك
ولا اتكلم فيما بقى منها **وسئل** طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض الذى اخذه ولداه
من بيت المال وقال انما اعطيتما لمكانكما منى اذ علم انهما اعطيا لاجل جاه الولاية واهدت امراة ابى عبيدة بن الجراح الى خاتون ملك
الروم خلوقا فكانت تجمر فاخذ عمر رضى الله عنه فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه الى بيت مال المسلمين وقال
جابر وابو هريرة رضى الله عنهما هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة لم كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك
كله ما روى ابو حميد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الازد فلما جاء الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم امسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لى اهدى الى فقال عليه السلام الا جلست فى بيت ابيك وبيت امك
حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال مالى استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية الا جلس فى بيت امه ليهدى
له والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا لقى الله يحمله فلا عرفن احدكم يوم القيامة ببعير له رغاء او ببقرة لها خوار او
شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت واذا ثبت هذه التشديدات فقالقاضى والوالى ينبغى ان
يقلد نفسه فى بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو فى بيت امه يجوز له ان يأخذه فى ولايته وما يعلم انه انما يعطاه لولايته
فحرام اخذه وما اشكل عليه فى اصدقائه انهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه **تم كتاب الحلال والحرام** بحمد الله ومنه
وحسن توفيقه والله اعلم

كتاب آداب الاخوة والصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى عمم صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا * وآلف بين قلوبهم فصبحوا بنعمته اخوانا * وترع الغل
من صدورهم فظلوا فى الدنيا اصدقاء واخدانا * وفى الآخرة رفقاء وخلانا * والصلاة على محمد المصطفى وعلى اله واصحابه الذين
اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا واحسانا * **اما بعد** فان التحاب فى الله تعالى والاخوة فى دينه من افضل القربات * و
الطف ما يستفاد من الطاعات فى مجارى العادات * ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها
تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات وتنزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات
العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب فى ثلاثة ابواب **الباب الاول** فى فضيلة الالفة والاخوة فى الله تعالى وشروطها
ودرجاتها وفوائدها **الباب الثانى** فى حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها **الباب الثالث** فى حق المسلم والرحم والجار
والملك وكيفية المعاشرة مع من يتدلى بهذه الاسباب

الباب الاول فى فضيلة الالفة والاخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الالفة والاخوة اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتنافر ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتوالف و
التوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر وهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يخفى فى الدين فضيلته

وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام اذ قال وَاِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيْمٍ وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطى الانسان فقال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب الشئ طاب الثمر كيف وقد ورد فى الثناء على نفس الالفة سيما اذا كانت الرابطة هى التقوى والدين وحب الله من الآيات والاخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله تعالى مُظهرا عظيم مِنَّته على الخلق بنعمة الالفة + لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اى بالالفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا لعلكم تهتدون وقال صلى الله عليه وسلم ان اقربكم منى مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال صلى الله عليه وسلم فى الثناء على الاخوة فى الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسى ذكّره وان ذكر اعانه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال عليه السلام فى الترغيب فى الاخوة فى الله من آخى اخا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشئ من عمله وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى لاحبك فى الله فقال له ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون فى الله تعالى ورواه ابو هريرة رضى الله عنه وقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله وقال صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان فى الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ويقال ان الاخوين فى الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من الاخر رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلحق به كما تلحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت فى الله لم تكن دون اخوة الولادة قال عز وجل الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شئ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من اجلى وحقت محبتى للذين يتجالسون من اجلى وحقت محبتى للذين يتباذلون من اجلى وحقت محبتى للذين يتناصرون من اجلى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين المتحابون لجلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى يوم القيامة ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى اخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم ما زار رجل رجلا فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار اخا له فى الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد قال اريد ان ازور اخى فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال فلم قال احبه فى الله قال فان الله ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله فلهذا يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم فى الله كما يكون له اصدقاء واخوان يحبهم فى الله ويروى ان الله تعالى اوحى الى نبى من الانبياء اما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدوا وهل واليت فى وليا وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل الفاجر على منة فتزرقه منى محبة ويروى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتنى بعبادة اهل السموات والارض وحببت فى الله ليس وبغضت فى الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضاء الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن

مجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيدكم علما كلامه ومن يرغبكم فى الاخرة عمله وروى فى الاخبار السالفة
ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن رقيبا واردد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على
مسرتى فهو لك عدو واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما لى اراك منفردا وحيدا قال الهى قليت الخلق من اجلك فقال
يا داود كن رقيبا واردد لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتى فلا تصاحبه فانه لك عدو يقسى قلبك يا عدك
منى وفى اخبار داود عليه السلام انه قال يا رب كيف لى ان اجتنى الناس كلهم واسلم فيما بينى وبينك قال خالق الناس
باخلاقهم واحسن فيما بينى وبينك وفى بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة وقال النبى
صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال صلى الله
عليه وسلم ان لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب عبادك
الصالحين وقال ايضا ما احدث عبد اخا فى الله الا احدث الله له درجة فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على عمود من
ياقوتة حمراء فى راس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة يضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس لاهل الدنيا
فيقول اهل الجنة انظروا الى المتحابين فى الله فيضئ حسنهم لاهل الجنة كما تضئ الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب
على جباههم المتحابون فى الله الآثار قال على رضى الله عنه عليكم باخوان فانهم عدة فى الدنيا والاخرة الا تسمع الى قول اهل النار
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه والله لو صمت النهار لا افطره وقمت الليل لا انامه وانفقت مالى
علقا علقا فى سبيل الله اموت يوم اموت وليس فى قلبى حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما اغنى ذلك شيئا وقال ابن
السماك عند موته اللهم انك تعلم انى اذ كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى اليك وقال الحسن على منبره
يا بن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم
وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه هيهات تريد ان
تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باى عمل عملته باى شهوة تركتها ام باى غيظ
كظمته ام اى رحم قطع وصلتها باى زلة لاخيك غفرتها باى قريب باعدته فى الله باى بعيد قربته فى الله ويروى ان
الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لى عملا قط فقال الهى صليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلاة لك
برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكوة نور فاى عمل عملت لى قال موسى الهى دلنى على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لى وليا
قط وهل عاديت فى عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو ان
رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة ثم بعثه الله يوم القيامة مع مبغض وقال الحسن رضى الله عنه مصارمة
الفاسق قربان الى الله وقال رجل لمحمد بن واسع انى لاحبك فى الله فقال احبتك الذى احبتنى له ثم حول وجهه وقال اللهم
انى اعوذ بك ان احب فيك وانت لى مبغض ودخل رجل على داود الطائى فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد
عملت خيرا حين زرتنى ولكن انظر ماذا ينزل بى انا اذا قيل لى مرانت فتزاد من الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله
امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله لما رائى شر من الفاسق
قال عمر رضى الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون فى الله اذا التقوا
فكثر بعضهم الى بعض تحاتت عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء اذا يبس وقال الفضيل تطرق الرجل الى وجه اخيه على الموده والرحمة عبادة

بيان معنى الاخوة فى الله وتمييزها عن الاخوة فى الدنيا

اعلم ان الحب فى الله والبغض فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان المحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة
لسبب الجوار او لسبب الاجتماع فى المكتب او فى المدرسة او فى السوق او على باب السلطان او فى الاسفار والى ما ينشأ اختيارا
ويقصد وهو الذى نريد بيانه اذ الاخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب
الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غير الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب
ويبادر ولا يقصد مخالطته والذى يجب فما لا يجب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يجب للتوصل به الى

مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى
فهذه اربعة اقسام **اما القسم الاول** وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى انك
تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه الاستحسانك له فان كل جميل لذيذ فى حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب و
اللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملايمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هى الصورة الظاهرة
اعنى حسن الخلقة واما ان يكون هى الصورة الباطنة اعنى كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال
لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل فى
ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين الشخصين من غير ملاحظة فى صورة ولا حسن فى خلق وخلق ولكن لمناسبة
باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشئ منجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع
عليها وعنه صلى الله عليه وسلم حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة
التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الالفاظ الارواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء وقد
كنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاى زوجين من فلقتيهما
هناك تلاقيا تواصلا فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان ارواح المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه
قط وروى ان امراة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدينية فدخلت على عائشة رضى الله
عنها فضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها صاحبتها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الارواح جنود مجندة الحديث والحق فى هذا المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب فى الطباع والاخلاق باطنا و
ظاهرا امر مفهوم **واما الاسباب** التى اوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذا الباب ان يقول اذا
كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا اظهر الموافقة والمودة فتقتضى التناسب والتوادد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى
التباغض والعداوة فهذا الوصدق بكونه كذلك فى تقدم مجارى سنة الله فى خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال
فى اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سر للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد
الخبر به قال صلى الله عليه وسلم لو ان مؤمنا دخل المجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل المجلس فيه مائة مؤمن
ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على شبه الشئ منجذب اليه بالطبع وان كان لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان فى عشرة الا فى احدها وصف من الآخر وان اشكال
الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمام فعجب من ذلك فقال انتقا وليسا من شكل
واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من هنا انتقا ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا
اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا فى الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى جلى تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم **نظم**
وقائل كيف تفارقتما * فقلت قولا فيه انصاف * لم يك من شكلى ففارقته * والناس اشكال وآلاف * فقد ظهر
من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال او مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة والاخلاق
الخفية ويدخل فى هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصور الجميلة مستلذة فى عينها وان تجرد فقد اصل
الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة والى الماء الجارى والخضرة من غير غرض
مذموم سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس وتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان
اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض
مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب امر محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم **القسم الثانى** ان
يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب ومايحب لغيره كان ذلك الغير
هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس و
لكنهما وسيلة الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه
او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره فى قلبه فالمتوسل اليه

ان كان مقصوره القدرة على الدنيا لم يكن محمودا من جملة الحب في الله وان لم يكن مقصوره الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب الشيخ لاستاذه فهو ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحب ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل ليتوصل به الى الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شئ من ذلك حب الله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعايا بولاية القضاء او غيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى المباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل اليه فانها تابعة له غيرة ثم نقسمها **القسم الثالث** ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الآخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل مهملا مزهدا في حرفته الذي هو سبب ترقيه الى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق بامواله عليه ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل نزيد عليه ونقول اذا احب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل للتقرب الى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تتكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المحبين في الله بل نزيد عليه ونقول من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او يولد منها ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة الى هذا المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك ورد في الاخبار وعود الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته بل نقول كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضى الله عز وجل بل نزيد على هذا ونقول اذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا فجمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوصل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة و من ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال عيسى عليه السلام في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعل الدنيا اكبر همي وقاله نبينا صلى الله عليه وسلم في دفع شماتة الاعداء وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اسألك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة وقال اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الآخرة منافضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون منافضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين احداهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد ان تكون مطلوبة لذاتها الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهو الذي اخرنا عنها الانبياء والاولياء وامرونا بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمنعوا منها كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني ان يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته

لا يعني ان الطعام الذي يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجر عقله عن
الاقدام عليه ويحصل فيه كراهية للضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه
لانه يتعلم منه ويخدمه او احدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون
بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالفقد الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على
ذلك الفقد ثواب الحب في الله وليس يستنكر ان يشتد حبك لانسان بجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان
زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض اكثر مما توصل اليه
الفضة فاذا يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده
هو ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان
بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وان دق فهو عزيز قال الجريري تعاملنا الناس في القرن الاول بالدين
حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرهبة والزهد

القسم الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال منه عاجلا او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو اقلها
واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار غلبة الحب عليه ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب وبناسبه
ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يشتغل عليه
محبوبه واحب من يتسارع الى رضاء محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال
ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرا من جهته
ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بني عامر **اشعار** امر على الديار ديار ليلى + اقبل ذا الجدار وذا الجدارا +
وما حب الديار شغفن قلبي + ولكن حب من سكن الديارا + فاذا المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات
المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه وبناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية قوة المحبة فصل المحبة لا تكفي فيه ويكون
اشكل المحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب قراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه
وتعالى اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل
موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب انسانا احب صنعته وخطه وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حمل
اليه باكورة الثمر مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده ويتوقع
في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من ايادية وصنوف نعمه وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسيأتي
تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات انشاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فاذا قوي تعدى الى كل متعلق به ضربا
من التعلق حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن شرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح يفعل المحبوب
وقصد اياه بالايلام يغير ادراك الالم وذلك كالفرح مضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير
فرحا يغير ادراك الالم فيه وقد اشتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح
الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية الله وقال سمنون **شعر** وليس لي في سواك حظ +
فكيفما شئت فاختبرني * وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم
بحق عبادة الله في علم او عمل واثمر حب كل من صفته مرضية عند الله من خلق حسن وتأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب
للآخر ومحب لله الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم
العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل و
ان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله ولله من
غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله تعالى الا انه
اذا ضعف لم يظهر اثر ولا يظهر به ثواب ولا اجر فاذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتفاوت

الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال او المآل لما فضل حب
الموتى من الصحابة والعباد والصحابة والتابعين بل من الانبياء المتقدمين صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون
في قلب كل مسلم سند ويتبين من ذلك بغضه عنه طعن اعدائهم في واحد منهم وفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم
وكل ذلك حب لله لانهم خواص عباد الله ومن احب ملكا او شخصا جبارا احب خواصه وخدمه واحب من اجابه الا انه قد يكون الحب
بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظا الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال شعر اريد وصاله و
يريد هجري ٭ فاترك ما اريد لما يريد ٭ وقول من قال ٭ وما الحر اذا ارضاكم الرق ٭ وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ
دون بعض كما شرحنا نفسه بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه او في عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا يعرف درجة
المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله قال ابن عمر رضي الله عنه
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده ابو بكر وعليه عباءة فدخلها على صدره بخلال فاذا جبريل عليه السلام
قد اتاه عن الله السلام وقال يا رسول الله مالي اراى ابا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح
قال فاتاه من الله السلام وقل له يقول لك ربك اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فالتفت النبي صلى الله عليه
وسلم الى ابي بكر وقال يا ابا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر
رضي الله عنه وقال أعلى ربي أسخط انا عن ربي راض فهذا من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا
راغبا في علم او في عبادة او في خير فانما احبه في الله ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا
يفهم البغض في الله ايضا ولكن نزيده بيانا بيان البغض في الله اعلم ان كل من يحب في الله لا بد ان يبغض في الله فانك
اذا احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد ان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب بسبب فبالضرورة
يبغض لضده وهذا زمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب
والبغض قد يبقى في القلب وانما يزعج عند الغلبة ويزعج بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي
المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى هل والت في قولها وهل عاديت في عدوا
كما تلوناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه ولم يظهر لك الا فسقه وفجوره واخلاقه السيئة
فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان
وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الخطوط
البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه وتكون معه على حالة بين حالتين
اذ لو فرض له ثلاثة اولاد احدهم ذكي بار والاخر بليد عاق والاخر بليد بار او ذكي عاق فانه يتضاد في نفسه بمعهم
على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه
الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال
والصحبة والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه في قلبك فكل مسلم في سلامه طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام فاقول
تحبه بالاسلام وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قتلها بحال كافرا وفاجرا دركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة تحب للاسلام
وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في اخر فكن معه على
حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش عنه ولا تبالغ في اكرامه مبالغتك
في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط
تارة يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان تكون في من يطيع
الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فقول اما في القول فيكف اللسان عن

مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد
ما ربه اخرى وبعض هذا اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه مغتم
عليها ولا بصيرة عليها فالاولى فيه الستر والاغماض اما ما اصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تاكدت بينك وبينه مودة
وصحبة فالحق له حكم آخر وسياتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم يتاكد اخوة ومحبة فلا بد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض
والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها
وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احداهما قطع المعونة والرفق والتصدق عنه وهو اقل الدرجات والاخرى السعي في افساد اغراضه عليه
كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر و
قد خطب امراة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في تعب وتحريض عليه
فاذا قدرت على اعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو
تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا باس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة
عليه ليشقد مودتك ويقبل نصحك فهذا احسن ان لم يظهر لك ولكن رايت ان تضنه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع
بل هو الاحسن ان كانت معصيته بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة
الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر ان يقطع عنه نفقة وقد كان يواسيه بالمال
فنزلت الاية مع عظم معصية مسطح واية معصية تزيد على التعرض لجرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان في
مثل عايشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه ونفسه بتلك الواقعة والعفو عن ظلم والاحسان الى
من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فاما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه
لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية
قلب الظالم فما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطريق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل
المعاصي كلهم اتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من
عصى الله في نفسه فمنهم من تطرق بين الرحمة الى المعصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار للهاجر فقد كان احمد بن حنبل
يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله اني لا اسال احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر
الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك لا بد تورد اوكلا شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم
وهجرا بالثور في تاويله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية ويختلف النية
باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم فانهم مسخرون لما قدر وله اورث هذا تساهلا في المعاداة و
البغض وله وجه ولكن قد يلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضاء عن العاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها
ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على
خاص حقه ويقول انه قد سخر له والقدر لا يغفر منه الحذر وكيف لا يغفله وقد كتب عليه فشل هذا قد تصح له نية في الاعراض
عن المسيء على حق الله وانكار المنكر عند الالتفات على حق الله ويترجح عند الجناية على حق الله فهذا مما من مزلة كثيرة من مكايد الشيطان فليتنبه له فان قلت فما حد الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض
وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان
الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا
منقسمين فيه الى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض له والى من يعرض عنه ولا يعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يوثر المقاطعة
والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الاخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى
الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف
اصل المعرفة لله تعالى واصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك
لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلا **بيان** مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم

فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف
يتأتى الفضل تبعا لذلك وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا **فاعلم** ان المخالف لامر الله سبحانه لا يخلو اما ان يكون مخالفا في عقده او في عمله او
المخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت اما بعجز او باختيار فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة **الاول**
الكفر فالكافر ان كان محاربا فهو مستحق للقتل والاسترقاق وليس لعبد هذين الامرين احانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه
والتحقير له عند الاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخاطبته
ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الصديق فهو مكروه كراهة شديدة يكاد
ينتهي ما يقوى منه الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم
او ابناءهم الاية وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية وقال صلى الله عليه وسلم المسلم والمشرك
لا تتراءى ناراهما **الثاني** المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فهو اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسمح
بعقد ذمة وان كان مما لا يكفر به فهو بينه وبين الله اخف من امر الكافر ولا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان
شر الكافر غير متعد ي فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعو لنفسه الا الاسلام واعتقاد الحق **اما** المبتدع الذي
يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد ي فالاستجاب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع
عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلق فلا باس برد جوابه وان علمت ان الاعراض
عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فذلك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فليسقط بادنى
غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملاء فترك
الجواب اولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان اليه والاعانة له لا سيما فيما يظهر للخلق
قال عليه السلام من انتهر صاحب البدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع
الاكبر ومن الان له او اكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم **الثالث**
المبتدع العاصي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فهم لهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به
بالنصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في
الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت
بين الخلق وعم فسادها **واما** العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب
وشهادة الزور والغيبة والضرب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم
الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد و
لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب او يزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد
فاما ان يكون مصرا عليه او غير مصر فهذه التقسيمات تحصل منها ثلاثة اقسام وكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض و
لا نشك بالجملة مسلكا واحدا **القسم الاول** وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة
فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والاقتباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون
الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض فلا استجاب في اهانتهم و
الاعراض عنهم مؤكد جدا ومما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم او لغيرهم كان الامر فيه آكد **واشد** **الثاني**
صاحب الماخور الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق هذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يخالس بفعله دينهم
وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله تعالى اقرب الى العفو ولكن
من حيث انه متعد ي على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام
اذا ظن ان فيه خوفا من الزجر له او لغيره **الثالث** الذي يفسق في نفسه كشارب خمر او تارك واجب او مقارف محظور يخصه
فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب ولا استحقاق في النهي عن المنكر واجب

واذا اوغر منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه تبيغه من العود اليه وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالاصح النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فمما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه مصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فلا ولى ضده اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او الخوف من تاثير وحشة ونفرة في جاه او مال ظنين قريبا او بعيد وكل ذلك مرصد على اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال اهل الآخرة فكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطي وقد يقدم على اتباع هواه وهو اعلم به وقد يقدم وهو يحكم الغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسنتكلم على بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في النفس القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظا هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته * **اعلم** انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ولا بد ان يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته ونشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية

اما الدنيوية فكالاستعانة بالمال او الجاه او مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا **واما الدينية** فيجتمع فيها اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه بحمايته عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عونا في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف ستكثر من الاخوان فان كل مؤمن تنفعه شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وورد في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال تشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر الله للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شرطا تحصل لاجلها ولا يخفى تفصيلها واما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا **اما العقل** فهو راس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق والى القطيعة والوحشة ترجع عاقبتها وان طالت قال علي رضي الله عنه **شعر** لا تصحب اخا الجهل واياك واياه * فكم من جاهل اردى حليما حين آخاه * يقاس المرء بالمرء اذا ما هما تشابها * وللشيء من الشيء مقاييس واشباه * وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر نظما اني لامن من عدو عاقل * واخاف خلا بعنزية مجنون * فالعقل فن واحد وطريقه * ادرك فارصد والجنون فنون * وكذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق حظيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم **واما** حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل او جبن اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته **واما** الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق **واما** المبتدع ففي صحبته خطر لسراية البدعة وتعدي شومها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر صحبته وقد

قال عمر رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش فى اكنافهم فانهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين من القوم ولا امين الا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى امرك الذين يخشون الله تعالى واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤونة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك وان حاولت امرا امرك وان تنازعنا تراك فكان هذا جمع جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها قال ابن السماك ثم قال المامون فاين هذا فقيل له الذى لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك فى النوائب ويؤثرك فى الرغائب ويشكر حسنتك ويطوى سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال على رضى الله عنه رجزا ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك * ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك * وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا فى امر دينك فينفعك ورجل تعلمه شيئا فى امر دينه فيقبل منك والثالث فمرب منه وقال بعضهم الناس اربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه واخر مر كله فلا تؤكل منه واخر فيه حموضة فخذ من حلوه قبل ان ياخذ منك واخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضى الله عنه لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شئ يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل وما اقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لا تصحبن فاسقا حسن الخلق احب الى من ان تصحبن قارئ سيئ الخلق وقال ابن ابى الحوارى قال لى استاذى ابو سليمان يا احمد لا تصحب الا احد رجلين رجلا يتقى به فى امر دنياك او رجلا تفيد معه وتنتفع به فى امر آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من اصناف الناس الحبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها غير محيط بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها فليس ما يشترط للصحبة فى مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة للاخوة والاخوة كما قاله بشر الاخوة ثلاثة اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به وقلما تجمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المامون الاخوان ثلاثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فمنها الظل وليس ثمر وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما كام غيلان ثمرتها الشياب ولا طعم فيها ولا اثر اب ومثله من الحيوانات الفارغ والعقرب كما قال تعالى يد عو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر نظم الناس شتى اذا ما انت دققتهم * لا يستوون كما لا يستوى الشجر * هذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر * فاذا من لم يجد رفيقا يواخيه وليستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولى به قال ابو ذر رضى الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ويروى مرفوعا واما الله يا نه وعدم الفسق فقد قال الله تعالى واتبع سبيل من اناب الى ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة فى مخالطتهم وانما السلامة فى الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا ان نذكره من معانى الاخوة وشروطها وفوائدها فلنرجع فى ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع سراق من الطبع من حيث

لا يدرى صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة قال على عليه السلام احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيى منه وقال احمد بن حنبل رحمه الله ما اوقفنى فى بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمان لابنه جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيى الارض الميتة بوابل القطر

الباب الثانى فى حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين استخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره فى كتاب آداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق فى المال وفى النفس فى اللسان وفى القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعها ثمانية حقوق **الحق الاول** فى المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا بالعين والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ارتفقا فى مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الاخ على ثلاث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك او خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير فى حق الاخوة **الثانية** ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك فى مالك ونزوله منزلتك حتى تشح بمشاطرته على المال قال الحسن كان احدهم ليشق ازاره بينه وبين اخيه باثنين **والثالثة** وهى العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة المتحابين ومنتهى هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما روى انه سعى لجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فمر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين النورى فبادر الى السياف ليكون هو اولا مقتول فقيل له فى ذلك فقال احببت ان اوثر اخوانى بالحياة فى هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك فى رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد فى الباطن وانما الجارى بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها فى العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضى من الاخوان بترك الافضل فليوطن نفسه على القطيعة **واما** الدرجة الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوى الدين روى ان عتبة الغلام جاء الى منزل رجل كان من اخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة آلاف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال اثرت الدنيا على الله اما استحييت ان تعد الاخوة فى الله وتقول هذا ومن كان فى الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغى ان لا تعامله فى الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ فى الله فلا تعامله فى امور دنياك وانما اراد به من كان فى هذه الرتبة **واما** الرتبة العليا فهى التى وصف الله تعالى المومنين بها فى قوله وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اى كانوا خلطاء فى الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال لفلان لانه اضافه الى نفسه وجاء فتح الموصلى الى منزل لاخ له وكان غائبا فرأى اهله فخرج صندوقه فتحه واخذ حاجته فحزنت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل وجاء رجل الى ابى هريرة رضى الله عنه وقال انى اريد ان اواخيك فى الله فقال اتدرى ما حق الاخاء قال عرفنى قال انك لا تكون اخى بدينارك ودرهمك منى قال لم ابلغ هذه المنزلة بعد فذهب عنى وقال على ابن الحسين رضى الله عنهما لرجل هل يكتحل احدكم بعين اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد بغير اذن قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم قالوا فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من اهل السوق بلغنى ان احدهم منع اخاه الذر فله كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال له انى اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على ان لا تكون اثقل على منك قال لا قال اعجبنى صدقك قال فكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اذا رافقه رجل يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل الى ابراهيم فى بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراك وجعلها فى القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراك قال ذلك الثريد الذى اكلته آنيش كان قال كنت نغطيه شراكين او ثلاثة قال اسمح يسمح لك واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا راكبا

فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك فقال ابن عمر رضي الله عنه اهدئ لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحدا الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداولته سبعة وروي ان مسروقا اداان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين فقال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال سعد بارك الله لك فيما آثرتني به وكانه قبله ثم آثر به وذلك مساواة والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال ابو سليمان الداراني لوان الدنيا كلها الي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لاقسم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتداء الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فجئني منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت والله احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من النهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيها حق الله ام اضاعه فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر فتغشل عندها فامسك حذيفة بن اليماني الثوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وستر حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام ليستر حذيفة من الناس فقال حذيفة وقال بابي انت والمي يا رسول الله لا تفعل فقال عليه السلام الا ان تستر بالثوب حتى اغتسل وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان البسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت وانت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة كيف وقد قال الله تعالى او صديقكم وقال او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف كما يريد وكان يخرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله تعالى هذه الاية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء

**الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كالمواساة بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقعدة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الاية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض اخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما استبطأتني الى فقال حدثك عافاك الله اذا سألك اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى قال جعفر ابن محمد اني لاتشاغل عن قضاء حوائج اعدائي مخافة ان اردهم فيستعفوا عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم يتردد كل يوم اليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منهم ما لم يروا من ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة اذا لم تظهر الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم ينتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم الا وان لله اوانى في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله تعالى اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم من حاجتك وان تكون متفقدا لاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك وتنبيه عن السؤال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك

بها بل تثقل منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي ان تقبضه على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالاكرام
في الزيادة والايثار والتقديم على الاقارب والولد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلنا واولادنا لان اهلنا يذكروننا
بالدنيا واخواننا يذكروننا بالاخرة وقال الحسن من شيع اخاه في الله بعث الله سبعين الف ملك من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه الى الجنة
وفي الاثر ما زار رجل اخا في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم
بعد ثلاث فان كانوا مرضى عودوهم او مشاغيل اعينوهم او كانوا نسوا اذكروهم وروي ان ابن عمر كان يلتفت يمينا
وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال احببت رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال اذا احببت احدا فسله عن اسم
واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وفي رواية عن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل
يجالس الرجل فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس الى الله قال جليسي وقال
ما اختلف رجل الى مجلسي ثلاثا من غير حاجة الي قضيت ما بمكافاته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسه على ثلاث اذا دنا رحبت
به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له وقد قال تعالى رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان
لا يفرح بطعام لذيذ او بخصوص في مسرة دونه بل ينغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق الثالث** على اللسان
بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه و
يسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا رآه في
طريق او حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره وموارده فلا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكرها او يحتاج الى
ان يكذب فيه وليسكت عن اسراره التي بثها اليه ولا يثبها الى غير البثة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيأ
منها وان بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبائه واهله وولده
وان يسكت عن حركاته القبيحة فان الذي سبق منك ممن تبلغك وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يواجه احدا بشيء يكرهه والتأذي يحصل اولا من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور
اولا يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل واخفاء ذلك من الجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا
الا اذا وجب عليه النطق في امر معروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فحينئذ لا يبالي بكراهته فان
ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انه اساءة في الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو
من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويتجرك عنه امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا
واحدا مذموما فهو على نفسك ما نراه من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز
عما انت مبتلى به ولا تستثقله خصلة واحدة مذمومة في الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك في
حق الله فلا تنتظر من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك والامر الثاني ان تعلم انك لو
طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من يصاحبك اصلا فما من احد من الناس الا وله محاسن
ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم ايها الخصم في نفسه محاسن اخيه لينبعث
من قلبه التوقير والوداد والاحترام واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب
المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتى العفو عن زلات الاخوان ولذلك قال عليه السلام استعيذوا
بالله من جار السوء الذي ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن
تقبيحه ايضا روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام
انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه باليوم انه ارضاني بالامس
فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت اقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام ان من البيان لسحرا وكان كرم ذلك
تشبيها بالسحر وكذلك قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث آخر ان الله يكره لكم البيان كل البيان و
كذلك قال الشافعي رحمه الله ما احد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا احد يعصي الله ولا يطيعه فمن كانت طاعته

اغلب من معاصيه فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى ان يجب
عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب
وهو منهي عنه ايضا وحد ان لا تحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان تحمل على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة
فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى ما يسبق تفرسا وهو الذي
يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما منشأه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه
فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على ان تنزله على الوجه الاردئ من غير علامة تختصه به وذلك جناية عليه
بالباطن وذلك جار في حق كل مؤمن اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه
وان يظن به ظن السوء وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس والتحسس
وقد قال صلى الله عليه وسلم ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا والتجسس في تطلع الاخبار
والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك شينها على كمال الرتبة في ستر القبيح
واظهار الجميل ان الله تعالى وصف به في الثناء فقيل يا من اظهر الجميل وستر القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه فانه
ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو كل حال عبدك
ولا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين كيف تصنعون اذا رأيتم اخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه فقالوا
نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته فقالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع بالكلمة في اخيه فتزيد عليها ويشيعها
باعظم منها واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بما يحب ان
يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد
عليه غيظه وغضبه فما ابعد اذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يلزم عليه لاجله ويل له في نص كتاب الله تعالى حيث
قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وكل من يلتمس من الاضداد
اكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء
الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود الحسود يمتلئ باطنه بالخبث ولكن يجبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه
مهما لم يجد له مجالا واذا وجد فرصة الخلت الرابطة وارتفع الحياء وبرز شخ الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على
حقد وحسد فلا انقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في
قلبه شيخة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه انه قال
كنت باليمن وكان حبر يهودي يخبرني عن التوراة فقدم علينا يهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام
فاسلمنا وقد نزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جاء به انا نجد نعته
ونعت امته في التوراة انه لا يحل لامرئ ان يخرج من عتبة بابه وفي قلبه شحنة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يمسك عن افشاء سر الذي
استودعه وله ان ينكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه و
اسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن
هذه حقيقة الاخوة ولذلك لا يكون بالعين بين يديه مراءيا وخارجا عن اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفته اخيه لعمله
كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام من ستر عورة اخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة وفي خبر آخر فكأنما
احيا مؤودة وقال عليه السلام اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال الجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس مجلس يسفك
فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بالامانة
لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره قيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبر وقد قيل صدور الاحرار قبور
الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فنبديه مرجيت لا يدري به
فهذا يجب مقاطعة الحمق والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقيل لآخر كيف تحفظ السر قال اجعله المخبر واحلف للمستخبر قال

آخر استتم واستزاني استره وعبر عنه ابن المعتز فقال **شعر** ومستودعي سرا تهون كتمه * فاودعته صدري فصار له قبرا *
وقال آخر وزاد عليه الزيادة **نظم** وما السر في صدري كتمان واحد * لاني رأيت الميت ينظر النشرا * ولكنه انسا حتى كانني * بما
كان منه لم أحط ساعة خبرا * ولو جاز كتم السر بيني وبينه * عن النير والاحشاء لم تعلم السرا * واوصى بعضهم سراله الى اخيه
ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان توبخ رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك و
عن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لانسي يزيد من يصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم لا يستر عليك
كما يستر الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو للئيم لان اخفاق عند الرضاء
تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل
ينبغي ان يكون صديق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل **نظم** وذنب الكريم اذا انصرم وصله * يحتى القبيح
ويظهر الاحسانا * وذنب اللئيم اذا انقضى وصله * يحتى الجميل ويظهر البهتانا * وقال العباس لابنه عبد الله اني ارى هذا الرجل يعني
عمر رضي الله عنه يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا يجربن عليك كذبا
ولا تفصين له امرا ولا تيأسن لعز منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن
المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقد قال صلى الله عليه
وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة هذا مع
ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت على الباطل واما الاجر
على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع
يقع اولا بالاراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقال عليه السلام لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله
اخوانا وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم
واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلاما فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك
استحقار وايثار للصدود والتهاش وفي حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتماري فغضب
وقال ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لا حى الاخوان ومارأهم
فلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك والمماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم
وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع و
القطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتري عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا الظمأ
الى تميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشر بالحمق والجهل ولا
معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضاد الاخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك
ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال عليه السلام انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن
الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة الى حد لو رأوا السؤال ايضا وقد
اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تجبه بل قالوا ينبغي ان يقوم ولا يسأل وقال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت
اجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم
تريد فخرج حلاوة اخائه عن قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك حاجة فاذا فضع به فقد ترك حق الاخاء واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة
في الكلام والفعل والشفقة قال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال **الحق الرابع** على اللسان بالنطق
فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور
وانما يراد الاخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله
التي يجب ان يتفقده فيها كالسؤال عن عارض ان عرض واظهار شغل القلب لسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي
يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بما فمعنى الاخوة

المساهمة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال عليه السلام تهادوا وتحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث تصفين لك ودا خيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يسره هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما قبل التحسين لا بد منه واكمل من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم ذلك قال علي رضي الله عنه من لم يحسد اخاه على حسن النية لم يحمد على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المغتابين وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب ومقصر في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين بالبدين تغسل احداهما الاخرى لينصر احدهما الآخر وينوب عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الابلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فاحسن باخ لك ان تذب عن لحمك وتمزق لحومك وهو ساكن لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من رؤياه انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري في المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذن حماية الاخ بدفع ذم الاعداء وتحسين الثناء وجب في عقد الاخوة وقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا كما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران احدهما ان تفشد ذلك الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تفشد انه حاضر من وراء جدار يسمع قولك وينظر انك لا تعرف حضوره فما كان يحرك في قلبك من النصرة له بمستمع منه ومرأى فينبغي ان يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر اخ لي الا صورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا مرصد في الاسلام وهوان لا يرضى لاخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدرداء الى ثوري يحرثان في قدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر فبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مما نزفة في المودة وهو دخل في الدين وولجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق ولا جرم اجر جزيل لا ينال الا الموفق ولذلك قال عليه السلام احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة متوادفة يدل على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر له ان ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليتزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملاء فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة

عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمراة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لبعضهم متى يحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان وبخني بين الملاء فلا وقد صدق فان النصح على الملاء افتضاح والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا رءوا باب الجنة اعطوا الكتاب مختوما ليقرأه واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد وتنطق جوارحهم لفضائحهم ويزادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض اباعث على الاغضاء فان غضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مداره وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة فان قلت فاذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه ايحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الا يحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة للقلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه لا ينتهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرأ اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك قال لعمر سلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احدهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة الموعشي الى يوسف ابن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يبرفك اكشف عن راسك فتاع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى واعلم ان من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بايات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه فانما هو مفهوم من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى الى حد لا يودي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتغابي عنه والتغرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يودي استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك صلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على ان يزول ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي ففعل فزال ذلك من قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال علي ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له اعطني فيقول لست انا الامير عليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على رجليه الى الصباح وعليه يتسكب وانا جالس يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات وهفوات الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصير في الاخوة اما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية او الاصرار عليها فعليك التلطف في نصحه مما يقوم او دموه بجمع يشمله ويعيد الى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلف طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه

الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فانبضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تخذوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا يضره وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سئل عن اخ كان اخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل اخي قال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج فأتني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ودرج وحكي ان اخوين ابتلي احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تفقد على مجلسي الله فافعل فقال ما كنت لاحل عقدا خوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم اعتقد اخوة بينه وبين الله ان لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى اربعين يوما في كلها يسأله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتخيل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد يتلف هزلا وضرا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما من الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته الى ان آخذ بيده واتلطف له في المعاتبة وادعوله بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين كانا في جبل نزل احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فرأى بغية عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها الى خلوة ووافقها ثم اقام عندها ثلاثا واستحيى ان يرجع الى اخيه حياء من جنايته قال فافتقده اخوه واهتم لشأنه فنزل الى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلازمه وانكر الاخر انه يعرفه قط لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد غلبت شأنك وفضحك وما كنت قط احب الي ولا اعز من ساعتك هذه فلما رأى ان ذلك لم يسقطه عن عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي اللطف وافقه من طريقة ابي ذر رضي الله عنه وطريقته احسن واسلم **فان قلت** ولم قلت هذا اللطف وافقه ومقارفة هذه المعصية لا تجوز مواخاة ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية **قلت** اما كونه اللطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التي المت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب والفاجر اذا صحب تقيا وهو يظن به خوقه ومداومته فسيرجع على قرب وتستحي من الاصرار بل الكسلان يحب الحريص في العمل فيخجل حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا ينبغي ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا لي وقال الحسن كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذا الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جواب عن ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له سبق فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يحامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها بل قال قائلون الافضل الاولى فاما قطع الاخوة عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في

لا يجوز الاستبدال
لا يجوز
لا يجوز
لا يجوز

نفسه ونسبته الى تركها ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله
عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف فى زلات الاخوان ودّ الشيطان ان يلقى
على اخيكم مثل هذا حتى يجفوه وتقطعوا فاذا اهبتم من محبة عدوكم وهذا لان التفرق بين الاحباب من محاب الشيطان كما
ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغى ان يضاف اليه الثانى والى هذا اشار عليه السلام
فى الذى شتم الرجل الذى اتى فاحشة اذ قال مَه وزَبَره وقال لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم فهذا كله يتبين الفرق بين الدوام ولا بتداء
لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاحباب والاخوان ايضا محذورة وليس ما سلم عن معارضة غيره كالذى لم يسلم وفى الابتداء
قد سلم فرأينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفى الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله فى زلته فى دينه اما زلته فى
حقه بما يوجب الجناية فلا خلاف فى ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن وتيسر تعذيره فهو قريب
او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغى ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم تهتد لها فلبك فردّ اللوم على نفسك فتقول
ما افسادك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل للتحسين فينبغى ان لا تغضب ان
قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن
حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل قال لا حنف حق الصديق ان تحتمل
منه ثلاثة ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال اخر ما شتمت احدا قط لانى ان شتمنى كريم فانا احق من غفر هاله او لئيم فلا
اجعل عرضى له عرضا ثم قتل وقال واغفر عورة الكريم ادخاره ✻ واعرض عن شتم اللئيم تكرما وقد قيل شعر خذ من خليلك ما صفا
ودع الذى فيه الكدر ✻ فلعمر اقصر من معاتبة الخليل على العثير ✻ ومهما اعتذر اليك اخوك صادقا كان او كاذبا فاقبل عذره قال
عليه السلام من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب المكس وقال عليه السلام المؤمن سريع الغضب سريع الرضا
فلم يصفه بانه لا يغضب كذلك قال الله تعالى الكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهى الى ان يخرج الانسان
فلا يتألم بل تنتهى الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان المتألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالمتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلعه ولكن
يمكن ضبطه وكظمه والعمل خلافا مقتضاه فمن يقتضى الشفاء والانتقام والمكافات وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر ولست بمستبق اخا لا تلمّه
على شعث اى الرجال المهذب ✻ قال ابو سليمان الدارانى لاحمد بن ابى الحوارى اذا واخيت اخا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه
فانك لا تأمن من ان ترى فى جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته
والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغى ان لا يبالغ فى البغضة عند الوقيعة قال تعالى عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه السلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما
عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك
الحق السادس الدعاء للاخ فى حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك
ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال
الملك ولك مثل ذلك وفى لفظ آخر يقول الله تعالى بك ابدأ وفى الحديث يستجاب للرجل فى اخيه ما لا يستجاب له فى نفسه وفى
الحديث دعوة الرجل لاخيه فى ظهر الغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول انى لادعو لسبعين من اخوانى فى سجودى اسميهم
باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهانى يقول وابن مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك وينتعمون بما خلفت
وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدمت وما صرت اليه يدعو لك فى ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ
الصالح يقتدى بالملائكة اذ جاء فى الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون
له بما قدم ويسألون عنه وليشفعون له ويقال من بلغه موت اخيه ورحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته
وصلى عليه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شئ ينتظر دعوة تلحقه من ولد او والد او اخ او قريب انه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات هدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية بعثها اليك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان فيفرح بذلك

كما يفرح المحب بالهدية **الحق السابع** الوفاء ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة الذين يظلهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين فمن الوفاء للاخ مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تفقدهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي ان يميز في القلب عن سائر الكلاب وههنا انقطع الود بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متواخيين في الله والمتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال تعالى مخبرا عن يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله ففرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يونسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات المودة في الله ان لا تكون مع حسد في دين ولا دنيا وكيف يحسد وكل ما هو لاخيه فاليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه وانشعث ولايته وعظم جاهه والترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال ولهم قال الشاعر ؎ ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا * من كان يالفهم في المنزل الخشن * واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يترفع عليك وقال بعض الحكماء اذا ولى اخوك ولاية تثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعي رحمه الله اخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه قلّ السببين فتغير عما كان عليه فكتب اليه الشافعي رضي الله عنه بهذه الابيات **نظم** اذهب فودّك من فؤادي طالق * انا او ليس طلاق ذات البين * فان ارعويت فانها تطليقة * وبه ومم وذّك لي على ثنتين * وان امتنعت شفعتها بمثالها * فتكون تطليقة حيضين * واذا الثلاث اتتك مني بتّة * لم يغن عنك ولاية السببين * واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه اخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني عصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله فقال ؎ مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذري عليه * واتى الحبيب يعودني * فبرأت من نظري اليه * وظن الناس من صدق مودتهما انه يفوض امر حلقته اليه بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه الى من تخلس بعدك يا اباعبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليوصي اليه فقال الشافعي سبحان الله اكيشك فهذا ابو يعقوب البويطي فتكبير لها محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد فتصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يوثر رضاء الخلق على رضاء الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار اصحاب مالك رحمه الله واثر البويطي الزهد والخمول ولم يحبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب الان الى الربيع ابن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله قال الاحنف الاخاء جوهرة رفيعة ان لم تحرسها كانت معرضة للافات فحارسها التظلم ثم التقدم الى من ظلمك وبالرضاء حتى لا تشتكر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء ان تتالم شديدا لجزع من المفارقة تقوده الطبع عن اسبابها كما قيل **شعر** وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاحباب هينة الخطب * وانشد بعضهم هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل لي ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهرها ولا انه يحب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقى الكلام عرضا

وينقل عن الصديق ما يؤيد هذا الصدد فذلك من دقائق الحيل في التضريب فمن لم يتحر فيه لم تدم مودته اصلا قال واحد لحكيم قد حبت خاطبا المودتك قال ان جلت مهرها ثلاثا ضللت قال وما هي قال لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا توطئني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق على صديقه قال الشافعي رحمه الله اذا اطلع صديقك على سقطة فقد اشترك في عداوتك

الحق الثامن من التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يرفع عن همه من همومه وحاجاته و يرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد انصفهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدرها تم واتموا ومن جعل نفسه في قدرها تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدرها سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه وقال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقال علي عليه السلام شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجأك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المومن اخو المومن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسبي وطبقته وحسنا المسوحي وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكريبي وطبقته فما تواخى اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من تصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم علي قلبي من يكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تريد عنده بر ولا تنقص عنده بر ثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سواء وانما قال هذا لان به تخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمل على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال الاخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويلزم على ان يقوم بهذه الشرائط ولا يكلفه هذه الشروط حتى تكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ في الله فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلاثا فلما اكثر قال له الجنيد ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلاثة رجل ينتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه و لا تنتفع به ولكن لا ينتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وتنتفع به وهو الاحمق والسيئ الخلق فهذا الثالث ينبغي ان يجتنب فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الاخرة بشفاعته وبدعائه وثوابك على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان آسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فان كنت معهم على نفسي ومن كانت هذه شيمته كثر اخوانه **ومن التخفيف وترك التكلف ان لا يفرض في نوافل العبادات كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معاني ان لا كل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته** وقال بعض الصحابة ان الله ليعن المتكلفين وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض المشائخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع اهله في بيت اخيه ويجامعها لان البيت يتخذ

للاستحقاء وهذه الامور الخمس والاقلم اجدا روح لصلاة المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب فى تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه مرحبا واهلا وسهلا اى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم بلا وحشة لك منا وانك عندنا سهولة فى ذلك كله اى لا يشتد علينا شئ مما تريده ولا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان تنسى نفسه دون اخوانه وتحسن الظن بهم وتسئ الظن بنفسه فاذا رأيتهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال ابو معاوية الاسود اخوانى كلهم خير منى قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال فى رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اى ينبغى ان تكون معتقدا ذلك فى نفسك ابدا وسيأتى وجه ذلك فى كتاب الكبر والعجب وقد قيل فى معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان ابيات نظم نَذَلَّلْ لِمَنْ إِنْ تَذَلَّلَتَ لَهُ + تَرَى ذَاكَ لِلْفَضْلِ لَا لِلْبَلَهْ + وَجَانِبْ صِدَاقَةَ مَنْ لَا يَزَالُ + عَلَى الْاَصْدِقَاءِ يَرَى الْفَضْلَ لَهْ وقال اخر اشعارکم صیرنی عرقنة تصدیق + صیر اخطی من الصدیق الصدیق + ورفیق رائیه فی طریق + صار عندی هو الصدیق الحقیق + وهما رای الفضل لنفسه فقد حقر اخاه وهذا فی عموم المسلمین مذموم قال صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن ثمة لا ينبسط ونزك التكلف ان يشاور اخوانه فى كل ما يقصده ويقبل اشارتهم فقد قال تعالى وشاورهم فى الامر وينبغى ان لا يخفى عنهم شيئا من اسراره كما روى ان يعقوب ابن اخى معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمى معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يشتهى ان يشافهك بذلك وقد ارسلنى اليك يسالك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما انا اذا احببت احدا لم احب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته فى كل وقت واثرته على نفسى فى كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب فى الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاركه فى العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واجهز اليه وخصه بذلك لمواخاته وانا اشهدك انى قد عقدت له اخوة بينى وبينه وعقدت اخاءه فى الله لرسالتك ولمسئلته على ان لا يزورنى ازكى ذلك ولكنى ازوره متى احببت واامره ان يلقانى فى مواضع نلتقى بها وآمره ان لا يخفى عنى شيئا من شانه وان يطلعنى على جميع احواله فاخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحفوفهم جميع جوارحك امّا البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة ويعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتغامض عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته ولين جهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حلم وتواضع وامانة وكان عليه السلام اكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وكان يضحك اصحابه عند التبسم ابتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام واما السمع فبان تشهد كلامهم مستلذا باسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتخرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا تخاطبهم الا بما يفقهون واما اليدان فان لا يقبضهما عن معاونتهم فى كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فان يمشى بهما وراءهم مشى الاتباع لا مشى المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقتدون به ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقومون لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعدون ومهما تم الاتحاد خف جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفى ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب

استغنى عن تكلف اظهارها وفيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق مثارة يعوج ومثارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق لزم ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها على انواع الخدمة لله اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة **خاتمة لهذا الباب** نذكر فيها جملة من آداب العشرة والجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء ان اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير خلة تهم ولا هيبة منهم وتوقر من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها فكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتورك وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اصنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار رغبة مفرطة ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ولا تصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوا قليلا هان عندهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوق وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غيظك فتكلم وان قرنك سلطان فكرمنه على مثل حد السنان فان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عندهم فان سقطة الداخل بين الملك وبين اهله مستطة لا تقال وايالك وصديق العامة فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت مجلسا ولا ادب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث انتهى وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارشاد لموضع البصاق لا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة وصيانة الكذب وصيانه الستر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت لك المودة وان لا تتحشا بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحمل كل من الافشاء والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى ارجافهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم وايالك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بجلالة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتفوت وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدين بهذه الاسباب

اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تأمل عيش الانسان وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم اداب المخالطة وكل مخالطة ففي مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر او المكتب او الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن

حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي
في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة
وللمعارف درجات فليس حق الذي عُرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل اكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط
وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها
اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب فان محبة ما تتمكن
من جملة القلب والخلة ما تتخلل جملة القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى
بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة ومعرفته من قوله صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه
ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع انه اتخذ
عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة هارون من موسى الا النبوة فعدل بعليّ عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة
فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه بمقارنة الخلة واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه
نبه عليه بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا
فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله تعالى فاذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا
بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة وانما تتفاوت
الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة حتى ينتهي اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما آثر
ابو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثره طلحة بيده اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم فنحن
الان نريد ان نذكر حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين فان ذلك التمام فقد ذكرنا حقوقه في
كتاب آداب النكاح **حقوق المسلم** هي ان تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض
وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا اقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك وتحب له
ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك وورد جميع ذلك في اخبار واثار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تغتم لمصيبتهم وان تستغفر لذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب نائيهم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح الى
الصالح من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما شمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح
قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته **ومنها** ان يحب للكافة من المومنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان
ابن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى
سائره بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا **ومنها** ان يؤذي
احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في
حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال ايضا افضل المسلمين
من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله اعلم قال المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه
وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله وتسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل
النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا بما كنت تؤذي
المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي الناس وقال ابو هريرة
رضي الله عنه يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من خرج عن طريق
المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة اوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل

المسلم ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره اذى المؤمنين وقال الربيع
ابن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال
فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه غير فليحتمل
قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يأنف ولا يتكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع
من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن احمد من نم لك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك
ومنها ان لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة ايام مهما غضب عليه قال ابو ايوب الانصاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم
ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدء بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما عثرته اقاله
الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب يعقوب عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت عائشة
رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان تصاب حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد
تواضع لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى علي بن الحسين
عن ابيه عن جده رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله والى غير اهله فان لم تصب اهله فانت اهله وعنه باسناده قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر قال ابو هريرة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم يكن يرى ركبته خارجة
عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد
منهم الا باذنه بل يستاذن ثلاثا فان لم يؤذن له انصرف قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستيذان ثلاث فالاولى ليتنصتوا والثانية ليتصلحوا والثالثة ياذنوا او يردوا ومنها ان يخالق الجميع بخلق حسن
ويعامله بحسب طريقته فانه ان اراد لقاء الجاهل بالعلم والامي بالفقه والعي بالبيان اذى وتاذى ومنها ان يوقر المشائخ و
يرحم الصبيان قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والتلطف
بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير
المشائخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن وقال جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله
عليه وسلم مه فين الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له في سنه من يوقره وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها
فلا يوفي لتوقير المشائخ الا من قضى الله بطول العمر وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا
وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر
فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما
تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك انت وراءه ويقول
بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان يوتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فياخذه فيضعه في حجره فربما بال
الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه
وان كانوا يرون انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعده ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال
صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وقال ابو هريرة رضي
الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني
الجنة فقال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر البر شيء هين وجه طليق وكلام
لين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها و
بطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله

صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحم اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس رضي الله عنه عرضت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسأل الله تعالى ان يريه كيف تغوي الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي فيما بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر الذي طلبته فوكل الله اليه ملكا فقال له ان الله ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به اعجب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب ففال رب من ينجو من هذا قال الورع اللين **ومنها** ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي به قال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلاث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك **ومنها** ان ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا ما يحب ان يؤتى اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث حسال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال عليه السلام من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الدرداء احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال الحسن اوحى الله تعالى الى ادم صلى الله عليه وسلم باربع خصال وقال فهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي تعبدني ولا تشرك بي شيئا واما التي لك فعملك اجزك به افقر ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فتحبهم بالذي تحب ان يحبوك به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال اي رب اي عبادك احب اليك قال من انصف من نفسه **ومنها** ان يزيد في توقير من تذل هيبته ويثاب به على علو منزلته فيترل الناس منازلهم روي ان عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوا الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الغني فقالت ان الله تعالى قد انزل الناس منازل لا بد لنا من ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى ملؤوا البيت وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه وقال له اجلس على هذا فاخذ جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه روي ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بك ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت في حاجة فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب لها سهمانه بخيبر فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة الف درهم ولربما اتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون عندها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم عليه حتى يفعل **ومنها** ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه انس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك ولم يبق له من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال

ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فيقول الله تعالى للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال
يارب ارى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى نبي هذا ولاى صديق اولاى شهيد هذا قال الله تعالى هذا لمن
اعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن اخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله
تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة
وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس لان ترك
الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه وقال صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل
في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين الاثنين فيصلح بينهما او يكذب لامرأته ليرضيها **ومنها** ان تستر عورات المسلمين
كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستر الله يوم القيامة
وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم لا يرى رجل من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال صلى الله
عليه وسلم لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك فاذا على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق
اسلام غيره قال ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله ولو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله وروي
ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارأيتم لو ان اماما رأى
رجلا وامرأة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذ يقيم
عليك الحد ان الله لم يأمن على هذا الامر اقل من اربعة شهود ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم ساءلهم فقال القوم مثل مقالتهم
الاولى فقال علي رضي الله عنه مثل مقالته الاولى وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان متردد الفي ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه
في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا باخبارهم وعلي
رأى عليه الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش فان فيها الزنا وقد نيط باربعة من العدول تثبتا
ذلك منه وذلك منها كالمزود في المكحلة وهذا فقط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حتم
باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كشف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطرق
في كشفه فنرجو ان لا يحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث ان الله اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم
من ان يكشفها في الاخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال
حرست مع عمر رضي الله عنه ليلة بالمدينة فبينما نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على
قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت من هذا قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الان شرب
فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب
الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى
الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة
اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لو
رأيت احدا على حد من حدود الله تعالى ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا
مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه
فاستنكهوه فوجدوا نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسره ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك واعط كل
عضو حقه فجلده وعليه قباء او قرطق فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عم قال عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب
ولا سترت فرحمت انه ينبغي للامام اذا انتهى اليه حدان هيهنا ان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر اول
رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكأنما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه
فقال وما يمنعني لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم فقالوا الا عفوت عنه فقال انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد
ان هيهنا ان الله عفو يحب العفو وقرأ وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية فكأنما سفي

فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماكى شدة تغيظ وروى ان عمر رضى الله عنه كان يتعشى بالمدينة من الليل
فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسوّر عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت
على معصيته فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل فان كنت قد عصيت الله فى واحدة فقد عصيت الله فى ثلاث قال الله
تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علىّ وقد قال الله تعالى
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الاية وقد دخلت بيتى بغير اذن ولا سلام فقال عمر رضى الله عنه هل عندك من خير ان
عفوت عنك قال نعم والله يا امير المومنين لئن عفوت عنى لا اعود الى مثلها ابدا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل
لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول
ان الله ليدنى منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب.
حتى اذا قرره بذنوبه فرأى فى نفسه انه قد هلك قال له يا عبدى انى لم استرها عليك فى الدنيا الا وانا اغفرها
لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم كل امتى معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة ان يعمل الرجل السوء ثم يخبر به
وقال صلى الله عليه وسلم من استمع سر قوم وهم له كارهون صب فى اذنه الآنك يوم القيامة **ومنها** ان يتفقد مواضع التهم من
قلوب الناس عن سوء الظن ولا لسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم كيف تزون من يسب ابويه
قالوا وهل يسب احد ابويه فقال نعم يسب ابوى غيره فيسبون ابويه وقد روى انس بن مالك رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان
هذه زوجتى صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فانى لم اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم
مجرى الدم وزاد فى رواية انى خشيت ان يقذف فى قلبك شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد
زارته فى العشر الاواخر من رمضان وقال عمر رضى الله عنه من اقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من اساء به الظن و
مر رجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امرأتى فقال فهلا حيث لا يراك الناس
ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى فى قضاء حاجته بما يفيده وعليه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اتتنى وأسال وتطلب الىّ الحاجة وانتم عندى فاشفعوا تؤجروا ويقضى الله على يدى نبيه ما احب وقال
معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا الىّ تؤجروا والى اخيه الامر وأوخر كى تشفعوا الىّ فتؤجروا وقال صلى الله عليه
وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى اخر ويدفع بها المكروه
عن اخر وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كانى انظر اليه خلفها وهو يبكى
ودموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك فقالت يا رسول الله انا مرنى فى ذلك فقال لا انما انا شافع **ومنها** ان يبدأ كل
مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدأ بالكلام قبل السلام فلا
تجيبوه حتى يبدأ بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال النبى صلى
الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس رضى الله عنه خدمت النبى
صلى الله عليه وسلم ثمانى حجج فقال يا انس اسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيته من امتى تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك
فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال عليه السلام والذى نفسى بيده لا
تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وقال ايضا اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة

يجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزأ عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم السجود عطى الله تعالى هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليكم فقال عليه السلام له عشر حسنات فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون فقال اخر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون وكان انس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فلوى بيده بالتسليم واشار عبد الحميد بيده للحكاية وقال عليه السلام لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا اهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام فان لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عائشة رضي الله عنها ان رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام يا عائشة ان الله يحب الرفق في كل شئ قالت عائشة الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلام لا تشبهوا باليهود ولا النصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالاكف قال ابو عيسى اسناده ضعيف وقال عليه السلام اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرة وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا وتحامدا وتغافرا تحاتت ذنوبهما كما تحات الشجر ورقه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان فتصافحا تناثرت ذنوبهما كما تناثر ورق الشجر في يوم ريح عاصف وقال عليه السلام اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما وقال عليه السلام اذا التقى المؤمنان فتصافحا تفرق بينهما سبعون رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم بينكم المصافحة وقال عليه السلام قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس بقبلة سيد المعظم في الدين مثابا به وتوقيرا له وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال مبلغنا يدا النبي صلى الله عليه وسلم وعركب ابن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده وروى ان اعرابيا قال يا رسول ائذن لي فاقبل راسك ويدك قال فاذن له فقعد ولقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبل يده وانتحبا يبكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم واطيب او قال وافضل والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس رضي الله عنه قلنا يا رسول الله ايلتزم بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح بعضنا بعضا قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقال ابو ذر رضي الله عنه ما لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سريره فالتزمني فكانت تلك اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بغرز زيد حتى دفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك وروى انه عليه السلام قال مرة اذا رايتموني فلا تقوموا كما تفعل الاعاجم وقال عليه السلام من سره ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه السلام لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يكرهون القيام لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ القوم مجالسهم فان جاء رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرم بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى

اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروى انه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب فيكره السلام على من
يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداءً عليك السلام فاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان عليك السلام
تحية الميت فاله ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان
لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذا قبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فاواه الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى الله منه و
اما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يفترقا
وسلمت ام هانئ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل ام هانئ فقال عليه السلام مرحبا بام هانئ **ومنها** ان حق عرض
اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم عظيم مهما قدر ويدفع عنه ويناضل دونه وينصره فان ذلك يجب عليه بمقتضى اخوة الاسلام روى
ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار
وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرتع عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عند اخوه المسلم
وهو يستطيع نصره فلم ينصره ادركه الله بها في الدنيا والاخرة ومن ذكر عند اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والاخرة
وقال عليه السلام من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه وينتقص حرمته الا نصره الله في موطن يحب
فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته **ومنها** تشميت
العاطس قال عليه السلام في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله و
يصلح بالكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله
رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل ما عنده يرحمك الله فاذا قال ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عاطسا ولم يشمت اخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت وقال صلى الله عليه وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلاثا
فان زاد فهو زكام وروى انه شمت عاطسا ثلاثا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده وروى خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله وكان يقول يهديكم الله وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف
النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله على كل حال
فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات قال انا يا رسول الله وما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها
وقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشمت خاصرته وقال عليه السلام العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه
فاذا قال اه اه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابراهيم النخعي اذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في
نفسه وقال كعب قال موسى عليه السلام يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فانادي فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون
على حال يجلك ان تذكرك عليها كالجنابة والغائط قال اذكرني على كل حال **ومنها** انه اذا ابتلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه
قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه
اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال ابن عباس في معنى
قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل ألان له القول حتى ظننت ان له عندك منزلة فلما خرج قلت
له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء
فحشه وفي الخبر يا وفي الرجل به عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية

رضى الله عنه ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا بد من معاشرته بداحتى يجعل الله له فرجا **ومنها** ان يجتنب مجالسة الاغنياء ويخالط
بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين
وكان سليمان عليه السلام فى ملكه اذا دخل المسجد فراى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان
من كلمة تقال لعيسى عليه السلام احب اليه من ان يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار ما فى القران من يا ايها الذين
امنوا فهو فى التورية يا ايها المساكين وقال عباد بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلاثة الاغنياء وثلاثة للنساء ووحد
للفقراء والمساكين قال الفضيل بلغنى ان نبيا من الانبياء قال يارب كيف لى ان اعلم رضاك عنى فقال انظر كيف رضاء
المساكين عنك وقال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء وقال موسى الهى اين ابغيك
قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تقنطن فاجرا بغته فانك لا تدرى لعله ما يصير بعد الموت فان من وراءه طالبا
حثيثا واما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه
السلام انا وكافل اليتيم كهاتين ويشير باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمرت
عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه
يتيم يساء اليه **ومنها** النصيحة لكل مسلم والجهد فى ادخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه
وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا راى
فيه شيئا فليمطه عنه وقال صلى الله عليه وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين
مؤمن اقر الله عينه يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له
من اعتكاف شهرين وقال عليه السلام من فرج عن مؤمن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله
عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما قال تمنعه من الظلم وقال عليه السلام ان من اجل الاعمال الى الله ادخال
السرور على قلب المؤمن وان يفرج عنه غما او يقضى عنه دينا او يطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وسلم من جمع مؤمنا من منافق
يهينه يبعث الله اليه ملكا يحمى لحمه يوم القيمة من نار جهنم وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شئ من
الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وسلم
من لم يهتم بامور المسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخى من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد
كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال وبكى على بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك قال ابكى على من ظلمنى اذا وقف بين يدى الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة **ومنها** ان يعود مرضاهم فالمعرفة والاسلام كافيان باثبات هذا الحق ونيل فضله
واد ب العائد خفة الجلسة وقلة السوال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وادبه عند الاستيذان
ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل له من ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة
المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا
فقعد فى مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه او
زاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا فى الجنة وقال عليه السلام اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى
اليه ملكين وقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدى
على ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته و
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال عثمان رضى الله عنه مرضت فعادنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من
شر ما تجد فاله مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو مريض فقال له قل اللهم انى
اسالك بخيل عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احداهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول

اعوذ بعزة الله وقدرته من شرها احد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا اشكا احدكم بطنه فليسال امرأته شبثا
من صداقها وليشتر به عسلا وليشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء المبارك وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة
الا اخبرك بامر هو احق من تكلم به في اول معجمه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا اله الا الله يحيي ويميت
وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا اللهم اني اسالك بيا
ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم ان انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت
لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت اولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى وروي انه قال عليه السلام عيادة
المريض فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة المريض مرة سنة فما ازدادت
فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وقال عليه السلام اغبوا في العيادة واربعوا فيها وجملة ادب المريض حسن الصبر و
قلة الشكوى والضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الله وآء على خالق الدواء **ومنها** ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه وسلم
من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روى ابو هريرة
هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا في الاني في قراريط كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان
مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اعدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له وخرج
مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لاقرعينني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا و
قال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نقري لحزن القوم كلهم ونظر ابراهيم الزيات الى قوم يزحمون على ميت فقال
لو تزحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلاث وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة
قد امن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله
ويبقى عمله **ومنها** ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار ورقة القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا
الا والقبر افظع منه وقال عمر رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى
القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك فقال هذا قبر آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن
لي واستاذنته ان استغفر لها فلم يؤذن لي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر
يبكي حتى تبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه
فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال المجاهد اول ما تكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة
وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري
وكان ابو الدرداء آتيه الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرون معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني و
قال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من
ليلة الا وينادي مناد يا اهل القبور من تغبطون قالوا نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي
ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده
حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا وكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث
مساكة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يقول يا ربيع قد اوجعت فاعمل الان قبل ان لا ترجع وقال ميمون
ابن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آباء بني امية كانهم
لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما ترى اجسامهم ضرعت قد حلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله
لا علم احدا انهم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله واداب التعزية خفض الجناح واظهار الحزن وقلة
الحديث وترك التبسم وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكر في الموت والاستعداد له
وان يمشي امام الجنازة يقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على اداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة ايها المقربون
ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعل يختم له بالصلاح

ويختم لك بمثل حاله ولا تنظر اليهم بعين التفظيم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغيرها وفيها عظم اهل الدنيا في
نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تنزل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تخرم دنياهم فان لم تخرم
كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تصادقهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك
ودنياك فيهم ويذهب دينهم عليك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لتغرضهم
لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك
في وجهك وحسن لقيهم لك فانك ان علمت حقيقة ذلك لم تجد في السائة الا واحدا وربما لا تجده ولا تشتاق اليهم احوالك
فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم
فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تذل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهارك الاستغناء
واذا سألت اخاك منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل
بوعظ من لا تصغى فيه لقائل القبول فلا يسمع منك وليعاديك وليكن وعظه عرضا واسترساله من غير تنصيص على الشخص ومهما
رأيت منهم كرامة وخيرا فشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رأيت منهم شرا او
اصابك منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيدك الضر ويضيع العمر بشغله ولا تقل
لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب المبغض الى القلوب وكن فيهم
سميعا لكن اصمم عن باطلهم نطقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا
يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على
الخطاء والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان بالاخوان بالتميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان
رضوا ظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون
بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويزيغون بصدورهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجهزوا بها في
غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته
وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه
ابا لك ان كان كبيرا او ابنا لك ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلا لك فهذه جملة آداب المعاشرة مع اصناف الخلق

حقوق الجوار

اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيتاكد حق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة
اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة
حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق
الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم
احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى
يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه السلام اذا انتن ريح كلب جارك
فقد آذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو
عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال
صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال في الثالثة او الرابعة
اطرح متاعك في الطريق ففعل فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال اذاه جاره فقال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال
له رد متاعك والله لا اعود وروي الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر النبي صلى الله عليه وسلم
ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واومأ الى اربع
جهات وقال عليه السلام اليمن والشوم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها

غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ومن المسكن سعته وحسن جوار اهله وشومه منيقه وسوء جوار اهله ومن الفرس ذله وحسن
خلقه وشومه صعوبته **واعلم** انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في
ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير المعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني
يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المنكدر ان جاره يبيع داره في دين ركبه
وكان يجلس في ظل داره فقال ما فتئت اذا جرمه ثقل داره ان باعها معديا فادفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكا بعضهم كثرة
الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فتهرب الى دور الجيران فتكون قد اجيت
لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السوال ويعوده في
المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع
من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء من ميزابه ولا في مطرح التراب من فنائه
ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويشير ما ينكشف له من عوراته ويغشاه من سرعته اذا تابته نائبة
ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته
ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين
وقد قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت اليه و
ان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب
عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده
ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا
رواه عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو غلام له يسلخ شاة فقال
يا غلام اذا سلخت شاتك فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل
يوصينا بالجار حتى خشينا ان سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا ان تطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيتك وقال
ابو ذر رضي الله عنه اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت في جيرانك
فاغرف لهم منها وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل على بابه والآخر نائي ببابه على وهدة بما
كان الذي عندي لا يسعهما فبهما اعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه ورأى ابو بكر الصديق ولد عبد الرحمن وهو يلاطف جارا له فقال
لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سالت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور
ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكره فاكره ان اضربه فلعله برئ واكره ان ادعه فيجيء على جاري فكيف
اصنع قال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الادب فاحفظ عليه فاذا شكاه جارك فادّ به على ذلك الحدث
فتكون قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عايشة رضي الله عنها خلال
المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن احب صدق
الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب و
قرى الضيف وراس ذلك الحياء وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن
جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء
وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت
فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات وقال جابر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كان له جار في حائط او شريك فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة رضي الله عنه قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول مالي اراكم

عنها معرضين والله لا رميتها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء على وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من
اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحبب اليه الخير انه **حقوق الاقارب والرحم** قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى
الله عليه وسلم من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره و
يوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم
للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر رضي الله عنه اوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وان ادبرت
وامرني ان اقول الحق وان كان مرا وقال صلى الله عليه وسلم ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل
الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال عليه السلام ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا
فتنموا اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة
عرض له رجل فقال ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال عليه السلام ان الله قد سخى
من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت
علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها قال نعم صليها وقال عليه السلام الصدقة على المساكين صدقة
وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق ببيحائه له كان يعجبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول
الله هي في سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام وجب اجرك وافسمها في اقاربك وقال عليه السلام
افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح
عمن ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقربين ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور
يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم **حقوق الوالدين والولد** لا يخفى انه اذا تاكد
حق القرابة والرحم فاخص الارحام والامس بها الولادة فيتضاعف تاكيد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والدا
حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد
في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك وان
كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل
ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من
مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم بر امك وابيك واختك واخاك ثم
ادناك فادناك ويروى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعفى كتبته بارا ومن بر من في
عفى والديه كتبته عافا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه اتغاظم ان تقوم
ببيك وعزتي وجلالي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على احدكم اذا اراد ان يصل ويصدق
ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء وقال مالك
ابن ربيعة بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي
شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل
الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد
ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال لرحمها ارحم من الاب ودعوة الرحم
لا تسقط وساله رجل فقال يا رسول الله من ابر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك
حقا كذلك لولدك عليك حتى وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا اعان ولده على بره لم يحمله على العقوق بسوء عمله
وقال صلى الله عليه وسلم ساو وا بين اولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عبدك
او شريكك وقال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى

فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة
سنة زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الاخرة وقال
صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين او رهينة
بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق راسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فستقبلت بها اوداجها ثم
توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا
اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد راى الاقرع بن حابس النبى صلى الله
عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام من لا يرحم
لا يرحم وقالت عايشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلى وجه اسامة فجعلت اغسله
وانا انفه فضرب يدى ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال ويل لحسن مما اذا لم يكن جارية وتعثر الحسن النبى صلى الله عليه وسلم
على منبره فنزل فحمله وقراء قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته
قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابنى قد ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته وقال عليه
السلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية اريسل ابى الى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا بحر ما تقول فى الوالد
قال يا امير المؤمنين عماد قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وهم يطول على كل جليلة فان طلبوا
فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمحضوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك
فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد خلت على وانا حمو غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عندى رضى عن
يزيد وبعث اليه بمائتى الف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمها ايا ها على
الشطر فهذه هى الاخبار الدالة على تاكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما نعرفه مما ذكرناه فى حق الاخ فان هذا الحق
اكد من الاخ بل يزيد ههنا امران احدهما ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى
الحرام المحض حتى اذا كان يتنغصان بانقراد ك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضاء الوالدين
حتم وكذلك ليس لك ان تسافر فى مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض الاسلام نفل لانه على التاخير
والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك ذلك كمن اسلم ابتداء
فى بلد ليس فيه من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدرى جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه الصلاة والسلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا فقال
عليه السلام فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد
التوحيد وجاء اخر اليه صلى الله عليه وسلم ليستشيره فى الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها
وجاء اخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت والدى وقال ارجع اليهما واضحكهما كما ابكيتهما وقال صلى الله عليه
وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه السلام اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء
خلق زوجته او احد من اهل بيته فليؤذن فى اذنه

حقوق المملوك

اعلم ان ملك النكاح قد سبقت حقوقه فى اداب
النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضى حقوقا فى المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل الا يطيقون
فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء ملكهم اياكم وقال صلى الله عليه وسلم
للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال عليه السلام لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن و
لا سئ الملكة وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم
نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضى الله عنه

يذهب الى العوالى فى كل يوم سبت فاذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه منه ويروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه رأى
رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلفك فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد
يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وقالت جارية لابى الدرداء انى سمعتك منذ سنة فما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك
فقالت اردت اثرا منه فقال اذهبى فانت حرة لوجه الله وقال الزهرى متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف
بن قيس من علمك الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذ اتته خادم له بسفود عليه شواء
فسقط السفود من يدها على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لها ليس بسيكن روعى هذه الجارية الا العتق فقال لها انت
حر فلا بأس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وانت تعصى مولاك
فيغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاشتعل على جاريته بالعشاء فجاءت
مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتنى قالت يا معلم الخير ومودب الناس
ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قالت والعافين عن الناس
قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله تعالى يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله فلم يعفه فسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك يده فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك يده فقال
رسول الله سالك بوجه الله فلم تعفه فلما رآه اياى امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لولم تفعل لسفعت وجهك
النار وقال صلى الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لى
اجران فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم عرض على اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فما اول
ثلاثة يدخلون الجنة فشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون
النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله وفقير فخور وعن ابى مسعود الانصارى قال بينا انا اضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى
اعلم يا ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط من يدى فقال والله لله اقدر عليك
منك على هذا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم احدكم الخادم فليكن اول شئ يطعم الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ
وقال ابو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل
معه فان لم يفعل فليناوله وفى رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فليأكل
معه فان لم يفعل فليناوله اوليأخذ اكلة فليروغها واشار بيده وليضعها فى يده وليقل كل هنيئا ودخل على سلمان رجل
وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم فى شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وسلم من كانت
عند جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته فجملة حق المملوك ان يشركه فى طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته و
يتفكر عند غضبه عليه بعفوه او بجنايته فى معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره فى طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته وروى
فضالة ابن عبيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فرق الجماعة ورجل عصى امامه فمات عاصيا فلا يسأل عنهما
وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره
الفرد وجل فى شك من الله والفنوط من الرحمة ثم كتاب الى العصمة والعاشرة مع اصناف الخلق

كتاب ذم الغزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته + بان صرف هممهم الى موانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة
آلائه وعظمته + وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته + وحررهم فى قلوبهم النظر الى متاع الدنيا وزهرته لحقارته اغتبط
بعزلته كل من طهرت الحجب عن مجارى فكرته + فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى فى خلوته واستوحش به

انوار ١٢

عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته * والصلاة على سيدنا محمد سيد انبيائه وخيرته + وعلى اله وصحابته سادة الخلق
وائمته **اما بعد** فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الاخرى مع ان كل واحدة منهما لا تنفك
عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وهو ذكرناه في كتاب
الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والموافقة بكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء
عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين **الباب الاول** في نقل المذاهب والاقاويل والحجج فيها **الباب الثاني** في

كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل

الباب الاول في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فيها

اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة
سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي و
بشر الحافي وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان والتالف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة
بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة
وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم
الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلنشتغل الآن بمطلقات تلك
الكلمات لتتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للفوائل والغوائل فنقول قد روي عن عمر رضي الله عنه
انه قال خذوا حظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا
اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر
من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رحمه الله كلمات احفظهن من التوراة فنع ابن آدم فسلفني اعتزل الناس فسلم
ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة
عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد
كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري
هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من الغلوية فمكث معنا سبعا
لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نزال نخالطنا ولا نكلمنا فانشأ يقول شعرا قليلا
الهم لا ولد يموت + ولا امرأة تخذره يفوت + فضى فطر الصبي وافاد علما + فغايته التفرد والسكوت + وقال ابراهيم النخعي لرجل
تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم
فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا ينبغي للمرء ان يخبر بكل عذله وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال
ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا الفيني ان لا يسلم علي واذا مرضت
ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه رجل فصك جبهته فشجه فجعل
يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان
سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا لغيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف
ابن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس
فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال لك
حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا ماتت احلامنا فمن يصحبه
الاخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان عليا انبك يقول لوددت اني في مكان اذى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي
افلا انهما فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس رضي الله عنهما
افضل الجالس مجالس في قعر بيتك لا تراه ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة **ذكر** حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى فالف بين قلوبكم امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الاراء واختلاف المذاهب فى معانى كتاب الله واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور وهى الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافى ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا ايضا ضعيف لانه اشارة الى مذمة سوء الخلق التى تمتنع بسببه الموالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذى ان خالط ألِفَ وأُلِفَ ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصا المسلمين والمسلمون فى اسلام دائم فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التى اتفقت آراءهم على امام بعقد البيعة والخروج عليهم بغى وذلك مخالفة بالراى وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رايهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثرين فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس فى هذا غرض للعزلة واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فوق ثلاث اذ قال من هجر اخاه فوق ثلاث فمات دخل النار وقال عليه السلام لا يحل لامرئ مسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر اخاه فوق ستة ايام فهو كسافك دمه قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة ولا يدخل فيه ترك المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجرة فوق ثلاث جائزة فى موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور فى الزيادة والثانى ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهى وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروى عمر انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد الى غرفة له وهى خزانته فلبث تسعة وعشرين يوما ثم نزل فقيل له انك كنت فيها تسعة وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعة وعشرين وروت عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا تؤمن بوائقه فهذا صريح فى التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدى رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شئ قد تقدم فيه قوم سعد بن ابى وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان هاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة رضى الله عنها كانت مهاجرة لحفصة رضى الله عنها وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يحمل على رويتهم سلامتهم فى المهاجرة واحتجوا بما روى ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجئ به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل انك لا تصبر احدكم فى بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم وحده اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه فى ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله خير من صلاته فى اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا فى سبيل الله فانه من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة واحتجوا بما روى معاذ بن جبل انه صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة واياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتى بيان ذلك وان ذلك ينهى عنه الا لضرورة ذكر حجج المائلين الى افضلية العزلة احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى الاية ثم قال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشار الى ان ذلك ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند اياسهم عن اجابتهم فلا وجه الا هجرانهم وانما الكلام فى مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روى انه قيل يا رسول الله الوضوء من جر محمر احب اليك او من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدى المسلمين وروى انه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل

ف ق ف ا ل ا ل ا ل

الى زعزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في حياض الادم وقد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا انبئك بشراب انظف من هذا فجر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس كف ايدي المسلمين فشرب منه فاذا كيف سيرل باعتزال الكفار واهلها على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقول موسى عليه السلام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى العزلة عند اياسه منهم وقال تعالى في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به الى المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند اياسه منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك وروي انه قيل له صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال مؤمن مجاهد نفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم له من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت ان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه ينتاذى الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وفي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راجب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا يذكر له ولا شهرة فهذا غرض لا مر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فاذن ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية والدينية تنقسم الى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى التخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من جلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى تمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في حانوته والى تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتاذي بسوء خلق الجليس في مراءاته او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التاذي بثقله وتشوش خلقه والى هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد **الفائدة الاولى** التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والاخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله تعالى والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه
عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر خليله وخبر النبي صلى الله عليه
وسلم عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع الجمع
بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا الا في قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك وقلما
ان تنتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون اني
اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه مشع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من
يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه اكثر ليشوش عليه امر من امور
دنياه فد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الاخرة اعظم عند العقلاء
فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي اراد وا بالخلوة
واختيار العزلة فقال لسيدك عوا بذلك دوام الفكرة وثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة
وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرأت كتابه واذا
شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء الى اي شيء افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفيان بن عيينة
لقيت ابراهيم بن ادهم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان قال ما تهنأت بالعيش الا هنا فربما
شاهق الى شاهق فمن يراني يقول موسوس او جمال او ملاح وقيل لفرقد ان الرقاشي يحبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة
اخوانك قال اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد بمن رجل لزم قط جالسا الا وحده
خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه
فمضى اليه الحسن وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن الناس
قال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال للحسن وما ذاك الشغل
يرحمك الله فقال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرأيت ان اشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال
له الحسن انت يا عبد الله افقه عندي من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له
اويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا
فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رأيت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس واني يشغلني من يشغلني عن ربي وقال عبد الله
بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الاخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاور في الاخرة وقال ذو النون
المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل
علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله تعالى ويروى عن بعض الصالحين انه قال
بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة ونشر ثيابه فقلت
سبحان الله تجعل علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها
وطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله تعالى ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب والفلاة وحببه
والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح
واغشاه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلكي فغري ثم قال سبحان
من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وجمع همومهم
في ذكر فلا شيء الذ عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس وقال في الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله
وفيه قيل شعر وانني لاستغني وما بي غشوة * لعل خيالا منك يلقى خياليا * واخرج من بين الجلوس لعلني * احدث عنك النفس بالسر خاليا *
ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة
عن نفسه بالكون معهم فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستفيد بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل لاستئناس بالناس

من علامات الافلاس فاذا هذه فائدة جزئية ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر المتحقق في معرفة الله فالتجرد له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة **الفائدة الثانية** التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة وتسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا **اما الغيبة** فقد عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التهتك بالتعرض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم واليها يسترسحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت ولغرضت لسخط الله تعالى وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت انبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة على الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم **واما** الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاص اكثر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها في غير موضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسأل العبد حتى يقول ما منعك اذا رأيت المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا اذا خاف من ضرب او امر لا يطاق ومعرفة حد ذلك مشكل وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثنان الخصومات والتحريك لغوائل الصدور كما قيل نظم وكم سقت في آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد النصح من لا تنصحه

ومن حرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه فيقول يا ليتني تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وانت اليوم لا تجد اعوانا فدعهم وايك براسك **واما** الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر على الابدال والاوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم داناهم ومن داناهم وقع فيما وقعوا وهلك فيما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس قال عليه السلام ان من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض وقال ابن مسعود ان الرجل منكم يخرج من بيته فيلقى الرجل اليه حاجته فيقول ذيت وذيت فيهم فعسى ان لا يقضي من حاجته لشئ فيرجع وقد سخط الله عليه ما معه من دينه شئ قال سري لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي قبل دخوله لخشيت ان اكون في جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك قال المؤانسة يا ابا علي قال بي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني او اقوم عنك وقال بعض العلماء ما احب الله عبدا الا احب ان لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بامرة المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يتحرز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويتحازنون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه قال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان اذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت قال اصبحت لا املك تقديم ما ارجو ولا استطيع

دفع ما احاذره اصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخيران نجوت من النار وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكر ذا الى ذا واذم ذا الى ذا او من ذا الى ذا وقيل لابن السقاني كيف اصبحت قال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت وعمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله تعالى فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه كيف حالك فقال اما الحامل فيد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس ويطلق على الملك عدلا بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال ما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سؤاله من غير اهتمام بامره فيكون به مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم انى لاعرف افواما كانوا لا ينامون وانهم حكم احدهم على صاحب بجميع ما يملكه لم يمنعه وارى الآن افواما ينامون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحجبه من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت وبقول الآخر كيف انت والسائل لا ينتظر الجواب والمسؤل يشتغل بالسؤال لا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم اذا سلمت والله القلوب واما الان كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فاراحنا بقولهم كانت نيتهم كراهة فرشاؤا غضبوا علينا وان شاؤا لا وانما قال ذلك لان البلية هو ذلك كيف اصبحت بدعة فان رجلا لابي بكر ابن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بكسر الشين لان الرجل يلقاه اخوه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون عشية ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك فان من نفى الخلق ولم يخالطهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم **واما** مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما ينتبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو فاسق نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساق واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه منه وانما النوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تخل القوة النوازعة ويدنو الطبع للميل اليه او لمادته وبهما طالت مشاهدته للكبائر من غير استحقار الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما انعم الله له من النعم وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصلحاء والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار الى عباد تربعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد ورغبة في الاستكمال واستنانا للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم امر نفسه باد نى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن بسببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكثار من عملهم ولا بس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فضل الخير ومبدأ فضل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند القطن كالمفهوم من نظمه وهو انه عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم تهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وفاحشها عن القلب مبدأ سقوط الثقل والوقع الانس

ل جاء في الصحاح بما عز الرجل اذا اشتد

م الصباح الفتن

ن الفتن وكر

س محموما اول

ع ما يقع بالبر والبحر من الطاعون بلا في الاسلام وكان في ايام خلافة عمر رضي الله عنه ولا از صحاح

ف قتل ذريع اي كثير يقال قتلهم

ص وزعمه كذا في نسخة

ق او فتن

ر تاج ولا يخرج بيتا تاج

ش فطن

ت فظنه بالكسر نهر

ويترى فانظر

والسنن تتن

لغت سنه ۱۲ صحاح

بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه فكما ان الريح يعبق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لم يهب لك منه عبق بك ولهذا قيل من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لملتين احداهما انها غيبة والثانية وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة وتسقط من قلوبهم استعظامها للاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية عليهم وقع فيها فاستنكر ذلك فهم الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه عرفوق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه فيها بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينتزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية ويخيل في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطاء يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة لتشتعل به وهذا من دقائق مكايد الشيطان ولذلك صنف الله المراغمين للشيطان بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا وقال مثل المنافق يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شرها يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال اراعي اجزرني شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خيرها شاة فيها فذهب فخذ باذن كلب الغنم وكل من يتفكه بهفوات الائمة فهذا مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشئ عن القلب لسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه واستبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا ينفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وخرم الوقت عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واستشد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو غيبة للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ولكن لكثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط وقعها عن القلوب وهون على النفس امرها فتقطن لهذه الدقائق وقل من الناس فزاك من الاساءة لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيدك في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الاخرة ويهون عليك المعصية ويضعف غبنك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك الله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء وهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالمخالطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او على المخالطة بان احدهما اولى اذ كل واحد من اطلاق القول فيه بلا او نعم خلف من القول محض ولا حق في الفصل الا التفصيل **الفائدة الثالثة** الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والتفسح عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وروى ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها ادلا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله تعالى ولست اقول هذا او ان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصر قبل هذه العصر لاجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود رضي الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فمن لي ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله ارايت ان دخل

على داري قال فادخل بيتك قلت فان دخل على بيتي قال فادخل مسجدك واضع هكذا وقبض على الكوع وقل يا رب الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معاوية قال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك نسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال بعضهم ذات الشمال فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا واناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسعد وجماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه توجه الى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق فاذا معه طومار وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تاتهم وابى فقال اني محدثك حديثا ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة الاف فما خفي عليه ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الامراء ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لو رغبت القصر فتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذا الجد من الخصومات ومشارات الفتن احد فوائد العزلة **الفائدة الرابعة** الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالتمنيه او الكذب في يمين او سبب من الاعمال والاقوال مما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يتدخرونها لوقت نظهر فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلك بين اثنين خيرا من عشرة الاف درهم قال ما هما قال **نظم** انخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل المقال * ليس للقول رجعة حين يبدو * بقبيح يكون او بجمال * ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك من حاسد او عدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته وينصب لمكيدته عليه وقد سئل عائذ وراءه فقال الناس مع ما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبي **اشعار** اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم * وعادى محبيه بقول عداته * اتى حسد في ليل من الشك مظلم * وقد قيل معاشرة الاشرار توريث سوء الظن بالابرار وانواع الشر التي يلقاه الانسان من معارفه ويختلط به كثير ولستا نطول بتفصيلها فقيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار اكثر من اختار العزلة فقال والد دداء اجتنبوا الثقلاء وقال الشاعر من حمد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد * وصار بالوحدة مستأنسا * يوحشه الاوب والاوبد * وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من الخليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تأتي المدينة فقال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كنت اقول لنا اما بعد فان الناس كانوا داء وانا دواء له فصرنا داء لا دواء له فهربنا منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرا ويقول هو نديمي فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم يثمر علي وان تغلبت في وجهه احتمل مني وان غربت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء وكان بعضهم قد لزم الدفائر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من وحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من فقر وقال الحسن رضي الله عنه ازهد في الحج فسمع بأبت البناء بذاك وكان ايضا من اولياء الله فقال بلغني انك تريد الحج فجئت لان اصحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا فانا ان اخذنا ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتغابى عليه وهذا اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروة والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله سبحانه المستترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر **شعر** ولا عار ان زالت عن الحي نعمة * ولكن عار ان يزول التجمل * ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى به في الدين والدنيا ستر ها ولا ينفي السلامة مع انكشافها فان جوالد رداء كان ابدا ورقا لا شوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قيل لسفيان الثوري في اليقظة في خيانة وفي المنام بعده وفاته اقل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا اراني اكره الا عمر فقد وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو وحده واذا كلب قد وضع خنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذه اشارة الى مسائل الطبع من اخلاق القرين السوء

ل ١٢ الكوع بالضم الزند الذي على الابهام والقاموس ك ١٢ اقتن كرد وعجاج بانتن كرد ود ودخي ل ١٢ اصل متنه ومحاج ك ١٢ العوبا بفتح الجيم وتشديد الواو ل ١٢ وابن كثير عن مجاهد طوامير ١٢ ك ١٢ ابن عمر حضر امام حسين رضي الله عنه ل ١٢ مسلم احد بهتي كمان كرده اند كه مراد ايشان است كم حضرت امام ل ١٢ طالب دنيا سير نميشود ل ١٢ وشتر ش فيل ل ١٢ كلم ايست كه اطلاق ميكنند بر ل ١٢ باد دنيا ودنيكري استعارت حال ل ١٢ فبي الاخرة بان مخففة من الثقيلة ل ١٢ تتوجه بالتاء المثناة من فوق ل ١٢ ديدن گرفت وديدن گرفتن ل ١٢ تبتل انقطاع ل ١٢ بتبتل ل ١٢ بيزگرايد وده وبا ده ل ١٢ فضل القوم الخوض معهم في ل ١٢ ليس شوك ل ١٢ اي كيست كه تجربه نكرده باشد ل ١٢ ضارة على الجميع ل ١٢ ن الاوبد ل ١٢ تبتل انقطاع ل ١٢ وقال وجعت ان الناس لم يسلم لي احد ل ١٢

وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبر وهم ولا ظهر جواد الا عقر وهم ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف **الفائدة الخامسة** ان يتقطع طمع الناس عندك ويتقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس عنك ففيه كل المجد فان رضاء الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه اولى ومن اهوال الحقوق وابسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والاملاك ففيها تضييع الاوقات وتعرض للآفات وتفوت عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له قمت بحق فلان ومضيت في حقنا ويصير ذلك سيئة او فقد قيل من لم يعد مريضا فوت العيادة اشتهى بموته ومن تحيله اذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتخرج له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي نظم عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب * فان الباكرين هم اراه * يكونون من الطعام او الشراب * وقال الشافعي رحمه الله اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام او انقطاع طمعك عنهم وهو ايضا فائدة جزئية فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى به وهما اعزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما حتى كنت اربي ثوبا الحسن من ثوبي ودابة اقوم من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت وحكي ان الزهري رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فنهره رجل كان يعرفه من حسن حاله وحسن هيئته فتلى قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى الصبر ارضى وكان رحمه الله فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذا الفتن فان من شاهد زينة الدنيا قل ان يفوق دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يخرج مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يحبط في اكثر الاوقات فليس لكل من يطلب الدنيا تتيسر له واما في الاخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي **شعر** اذا كان باب الذل من جانب الغنى * يسمو الى العلياء من جانب الفقر * اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلا **الفائدة السادسة** الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خوفهم واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو الذي لا عمش لحاضره قيل للاعمش لم عمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الحيران من سبب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما انه كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين بعمت جلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فعشي علي وقال جالينوس من لكل شئ حمى وحميت ان لا ارى الثقلاء وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه مني كأنه اثقل علي من الجانب الآخر وهذه الفوائد ما سوى الاولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها ايضا تتعلق بالدين فان الانسان لم يسلم عن مكافأته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة السلامة عن جميع ذلك فليفهم **آفات العزلة** اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما لا يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفوائده من آفات العزلة فنظر الى فوائد المخالطة والداعي اليها ما هي في التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والايناس ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهي سبع **الفائدة الاولى** التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كلها وان كان بعضها مندوبا اليه وبعضها ضروريا في الدين فلا يخلو التعلم عن نوع تقصير في العمل بما هو فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يناسبه التعرض في العلوم الا بالاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبحر في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بلوم او فكر في هوس وغايته ان يشتغل الاوقات بأوراد تشق عليها ولا ينفك في اغلبها بالتلبث والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعرض فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو في نفسه من اعتياده فالعلم هو اصل الدين ولا خير في عزلة العوام والجهال

اعنى من لا يحسن العبادة فى الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال مريض يحتاج الى طبيب مشفق يعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة ضرره بمرضه فلا ينبغى العزلة الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم وهما كان الفصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم وحكم العالم فى هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف ليستمال به العوام فى معرض الوعظ او لجدال معقد يتوصل به الى الفخر والاقران ويتقرب به الى السلطان وليشتغل فى معرض المنافسة والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب فلا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الاشكال وتولى الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صوف طالب الله ومتقرب بالعلم ان الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف فى بلد كبير اكثر من واحد واثنين ان صوف ولا ينبغى ان يغتر الانسان بقول سفيان نعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى واخر اعمار الاكثرين هم واعتبر بهم انهم ما تواصوا بهم ملكهم على طلب الدنيا ومتكالبون عليها او راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذى اشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهى سبب لثارة الخوف من الله فان لم يؤثر فى الحال اثر فى المال **واما** والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف فلا يزيد الراغب فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا فى حرصه الى اخر عمره ولعل ما اودعناه هذا الكتاب ان قلم المتعلم رغبة فى الدنيا فحى ان يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر فى اخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب فى الاخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف فى الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف فى كلام ولا فى خلاف ولا فى مذهب فلا ينبغى ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد حالا من الجاهل المغرور او المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول والجاه وحظه تلذذ النفس فى الحال استشعارا للاذلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قاله صلى الله عليه وسلم وكذلك حكى عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الحديث التى سمعها وكان لا يحدث ويقول انى اشتهى ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فما يقول اوسعوا لى وقالت رابعة العدوية لسفيان الثورى نعم الرجل انت لو لا رغبتك فى الدنيا قال وفيما ذا رغبت قالت فى الحديث ولذلك قال ابو سليمان الدارانى من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركب الى الدنيا فهذه آفات فنبهنا عليها فى كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب ما امكن بل الذى يطلب الدنيا يتبدد ويتغير حاله ان كان عاقلا فى مثل هذا الزمان ان يتركه ولقد صدق ابو سليمان الخطابى حيث قال دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السراء اذا قلوك تملقوك واذا اغبيت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال ويتخذونك سلما فى اوطارهم وحمارا فى حاجاتهم ان قصرت فى غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون تردهم اليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويعرضون عليك ان تبذل لهم عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادى عدوهم وتنصر فيهم وخادهم ورويهم تنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل لعائشة رضى الله عنها مروة ما منعك ان تحدثينا فقالت معنى كلام وان خالف بعض الفاظه وهو حق صدق فانك ترى المدرسين فى رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكانه يهدى تحفة اليهم فيرى حقه واجبا عليهم وربما لا يحتفل اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام ببذل من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل للمهين حتى يكتب له على بعض وجوه الاسحات حال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدر به نفسه مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى فى مقاساة الشدة على اصحابه ان سوء بينهم للمتعلمين ويتسبون الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارف الفضل والهيا فى مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلفة السخاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والاساد فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مظالم ما ياخذه ويقرفه فى العقبى والعجب انه مع هذا البلاء يحمد ثمنه بغير الباطل ويفديه بجمل الغرر ويقول له لا تغتر بصنيعك فانما انت بما تفعله مريد وجه الله تعالى وقد بلغ شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهى مرصدة لمصالح وهى مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم فبهم يظهر الدين وبتقوى اهله ولو لم يكن

ضحكة للشيطان العلم بادنى تامل ان فساد الزمان لاسبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام
فتخطفهم ايدي الجهال ويستجرؤن على المعاصي باستجرائهم افتداءهم وافتقاءهم لآثارهم ولذلك قياس فساد الرعية بفساد الملوك وما فسد الملوك الا
بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء **الفائدة الثانية** النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب
المعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في جملة من المخالطة ان طلب من افقه الشرع فيه كما ذكرناه
في كتاب الكسب فان كان معه مما لو اكتفى به فالعزلة افضل له اذا استقام طريق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون
غرضه الكسب للصدقة فاذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال
بالتحقيق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من اقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد به لذكر الله اعني من حصل له انس بما جاء الله عن
كشف بصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة **واما** النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة فهي النهوض
بقضاء حوائج المسلمين ثواب ذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قعد عليه مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في
عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة
الفائدة الثالثة التاديب التاديب يغني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسر للنفس وقهر للشهوات وهي من الفوائد
التي تستفاد بالمخالطة وهي افضل من العزلة في حق من لم يتهذب اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات
فخالطوا الناس احد منهم واهل السوق للسوال منهم كسرا لرعونة النفس واستمداد من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم الى الله سبحانه كان هذا
هو المبدء في الاعصار الخالية والان قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع
بالخدمة التكبر بالاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت لنية هذا فالعزلة خير منه ولو الى القبور وان كانت
النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي
ان يفهم ان الداية لا تطلب من رياضتها بل المراد منها ان تتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهرها الطريق والبدن
مطية للقلب وبها يسلك بها طريق الاخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها حجبت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن
اشتغل طول عمره الداية برياضتها ولم يركبها فلا ينتفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها وروثها وروثها وهي لعمري فائدة مقصودة
ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة والداية انما زاد لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص عن الم الشهوات في الحال يحصل بالموت
فلا ينبغي ان يقنع بها كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا راهب انما انا كلب عقور حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن
بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن
فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان له ان العزلة اعون له من المخالطة فلا فضل لمثل هذا الشخص المخالطة ولا
والعزلة اخرا **واما** التاديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم
وحكمه حكيم ويطرق اليه من دقائق الافات والرياءات ما يطرق الى نشء العلم الا ان مخائل طلب الدنيا من المريد يرى الطالبين للارتياض بعلم
منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس ما تيسر له من الخلق بما تيسر له من المخالطة وفقد احدهما هو المبدء وليقنع
احدهما بالاخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات **الفائدة**
الرابعة الاستئناس والايناس وهو غرض من لا يحضره الولائم والدعوات وموضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون
ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس بمشاهدة احواله واقواله في
الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب ليتهيج دواعي النشاط في العبادة فان القلب اذا
اكرهت عميت وهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذا الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغني عنه فان النفس لا تالف الحق على الدوام ثم تمرح وفي تكليفها الملازمة تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين
متين ولا يقال فيه برفق وادب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لحدثتكم ما جالس الناس قال مرة لو خلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس
الناس فلا يستغني المعتزل اذا عن فن يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجرد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته ثلاث ساعات فقد
قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ويحصل ان يكون خلته عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب شكواه وقصوره عن

باب آداب

الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك منفس ومتسع للمفسر وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فلا تفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس ولا تأثم ليالس **الفائدة الخامسة** في نيل الثواب وانالته اما النيل فحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين واما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات ايضا رخصة في تركه الا لخوف ضرر ظاهر فهذا وما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعودوه الناس وليعزوه في المصائب ويهنئوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فينبغي ان يزين ثواب هذه المخالطات بافاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة وقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فر وقال الامصار واختار الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل **الفائدة السادسة** من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقعد عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة هذا هو الاسرائيلي ان حكيما من الحكماء ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض بقاقا وانى لا اقبل من بقاقك شيئا فقال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضائي حتى تخالط الناس وتصبر على اذاهم فخرج فدخل على الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله تعالى الى نبيه الآن قد بلغت رضائي فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى المزدحم عن مخالطتهم ارفع لمحله واتقى لطراوة ذكره بين الناس فلا يعتزل خيفة من ان تظهر مقاته لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت ستارا على مقاته ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتعظيم العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيل ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا كما تزين لك وتزين لي وعن حاتم الاصم انه قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فعزلته عن الناس بسبب شدة اشتغاله بالناس لان قلبه مجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوفاء والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا تنقص عن منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويديه ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة وحذيفة واتى ابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزمة الحطب في جراب لدقيق على اكتافهم وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول وهو والي المدينة والحطب على راسه طرقوا الامير وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء ويحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب الشيء احق بحمله وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر بالسوقة الى وبين يديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ياكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين والوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مقصر لانه لو عرف الله حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضاء الناس بمحبتهم بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تنال فرضاء الله اولى بالطلب لذلك قال الشافعي رحمه الله يا ابن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس من سبيل فانظر ما ذا يصلحك فافعله ولذلك قيل شعر من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور * ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال الانبال عبد حقير فمن هذا الامر حتى يكون باحد صغير عبد ليسقط الناس من عينه ولا يرى في الدنيا له خالقا وان احدا لا يقدر على ان يضر ولا ينفع وعبد سقطت نفسه من قلبه فلا يبالي باي حال يرى وقال الشافعي رحمه الله ليس من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان هكذا فكن مع اهل طاعة الله فقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك بالسؤال فتبسم وقال للقائل هون عليك نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطرحت ذلك خلفي بالكلام من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب حبس عني السنة الناس فقال ليوسف هذا شيء لم اسطفه لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله سبحانه وتعالى الى عمران لم تثب نفسا بانى اجعلك ملكا في افواه الما صغير لم اكتبك عند من التواضع

وذم من حبس نفسه في البيت لتحسن اعتقادات الناس فواله فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون فاذا لا تتخلص العزلة الا المستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث لو خالطه الناس لعاقوه وكثروا فاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صور منجيات

الفائدة السابعة التجارب فيها تستفاد من المخالطة للخلق وعجائب احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة والاخير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل في عمر جاهلا لا ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك في تحصيل بقية التجارب بسماع الاحوال ولا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يفيد عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلا يرى وكل غضوب وحقود او حسود اذا خلا بنفسه لم يلتزم منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب امانتها وقهرها ولا يكفي في ذلك بالتناهي عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال محل ممتلئ بالصديد والاقذار وقذر لا يحس صاحبه بثقله ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم تكن له يد تمسه وعين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدعل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام تفجر منه الصديد وفاروق ان الشيء المخنوق اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الاخلاق الذميمة انما تنفجر منه جنائته اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الاخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه يتردد في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قل من يفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلاة ثلاثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت الى الصف الاول فعلمت ان جميع صلاتي كانت مشوبة بالرياء بمزوجة بلذة نظر الناس اليها وهذا في زمرة السابقين الى الخيرات فالمخالطة لهم فتنة ظاهرة عظيمة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة الا انه وسيلة في غوائل هذه المعاني ودفائنها في ربع المهلكات فان بالجهل يحبط العمل الكثير وبالعلم يتهايأ كل العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلاة ولا يراد الا للصلاة افضل من الصلاة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فان ذلك افضل منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فيعني بتفضيل العلم يرجع الى ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم النفع لتعدي فائدته والعمل لا تتعدى فائدته والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لتنبعث بعد الانصراف اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد الكثيرة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فكذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل عندك هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غير المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فيه فان الحق واحد لا يتبعض والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالاضافة الى الحال وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكيك الحائط وقال ربي الله فهو الفقر وقال الجنيد الفقر هو الذي لا يسئل ولا يعارض وان عورض سكت وقال عمر بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يتخير وقال آخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك يكون لك وحيث لم يكن لك لم يكن لك وقال ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق فيها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى

اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او ينثني عليه بل كل واحد منهم يدعي انه الواصل الى الحق والوقوف عليه لان اكثر ردهم
على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف
ومثال نظر هؤلاء ما ذكرته من نظر فوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف ثلاثة اقدام وحكى عن اخرانه نصف قدم واخر زاد عليه وقال انفي الشتاء سبعة
اقدام وحكى عن اخرانه خمسة اقدام واخر زاد عليه قدما ويشبه ان يكون اجوبة الصوفية واختلافهم في كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي
راه ببلده بنفسه فصدق في قوله واخطأ في تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال
نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه باختلاف البلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى
ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له وسلم فما
آدابه في العزلة فنقول انما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل
ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة الفضول عن القيام بحقوق المسلمين
ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة بعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة
وليمنع الناس عن ان يكثروا اغشيانه وزيارته فيشوش اكثر وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلاد و
ما الناس مشتغلون به فان كل ذلك يغير في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلاة او الفكر مرجيث لا يحتسب فتوقع الاخبار في السمع
كوقوع البذر في الارض فلا بد ان ينبت وتتفرع عروقه واغصانه وينداعى بعضها الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس
الصارفة عن ذكر الله والاخبار بنابيع الوساوس واصولها ويقنع باليسير من المعيشة والا اضطر التوسع الى الناس والاحتياج الى
مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسدد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك
المخالطة فان كل ذلك يوثر في القلب لومة ليسيرة وحال شتغال القلب بان يكون واقفا عن سير في طريق الاخرة فان السير اما
بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته وارضه واما بالتامل في حقائق
الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في
الحال فقد يتجدد ذكر في دوام الذكر من حيث لا ينظر وليكن له اهل صالح او جليس صالح للتشريح نفسه اليه في اليوم ساعة من كد
المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر
الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشر سنين
لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر هما ضاف قلبه من الوحدة وليعلم ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته
ما يانس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة
بل يفني جيفة بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله عليه كما قال الله تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل مجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد هما ادرك الموت فالمجاهد من جاهد نفسه
وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر يعني جهاد النفس * تم كتاب العزلة ويتلوه كتاب آداب السفر والحمد لله وحده

كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتاب احياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر * وتخلص بهمم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر * فاصبحوا راضين
بجاري القدر * منزهين قلوبهم عن التلفت الى منزهات البصر * الا على سبيل الاعتبار بما يجري في مسارح النظر ومجاري الفكر * فاستوى
عندهم البر والبحر والسهل والوعر * والبدو والحضر * والصلاة على محمد سيد البشر * وعلى آله وصحبه المتقين لآثاره في الاخلاق و
السير * وسلم كثيرا اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص عن محبوب عنه او الوصول الى مطلوب مرغوب فيه والسفر سفران سفر
بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري والفلوات * وسفر بباطن القلب عن اسفل سافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين
السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة الغفور

وكائن بمرتبة النقص ومستبدل عنشع فضاء جنة عرضها السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل شعر
ولم ار في عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام * الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير * لم ينتفع فيه عن دليل
خفير وقتضى غموض السبيل * وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل * بالنصب النازل القليل اذ راس مسالكه
فتقطع فيه الرفاق * وخلى عن الطائفين منتزهات الانفس والملكوت والآفاق * واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
انفسهم وبقوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعلى الصفوح عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله سبحانه وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن ليس له هذا السفر
لم يزل في سجن متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستفز في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل
والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائه دائمة غير ممنوعة وثمراته منزلة غير مقطوعة
الا اذا ابتدر المسافرة في سفره وفقة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون
انفسهم ومن ليس من اهل الحجاز في هذا الميدان والتطواف في منتزهات البستان بمسافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معلومة مغتنما بها
تجارة للدنيا او ذخيرة للآخرة فان كان مطلبه العلم والدين والكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط
واداب وامهات كل من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها كل سفره عن فوائد تلحقه بأعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في
بابين ان شاء الله تعالى **الباب الاول** في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان **الباب الثاني**
فيما لا بد للمسافر من تعلمه من تخصص السفر وادلة القبلة والاوقات

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه في كتاب
الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد المسافر
اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب المزعج عنه اما امر له كفاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر بلده او خوف سبب فتنة او حصول
غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه او خاص كمن يقصد بادية او بلدة فيهرب منها واما امر له كفاية في الدين كمن ابتلي في بلدة بجاه ومال
وانسداد اسباب فضلت عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة فهرا والى ولاية عمل لا تحل مباشرتها
فيطلب لفراره منه واما المطلوب فهو اما ديني كالمال والجاه او ديني والديني اما علم واما عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم
باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما
زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا من القربات وقد يقصد بها مكانا كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور وقد يقصد بها
قربة وقد يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فلزيارة قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الى احوالهم قوة الرغبة
في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام **القسم الاول** السفر في طلب العلم وهو اما واجب واما نفل وذلك
بحسب كون العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينية او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال عليه السلام من
خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان
سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فسارو اشهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن انيس سمعه
يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعه وقل من كان في العلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا هذا الا وحصل العلم بالسفر
سماعا ولاجله واما علم بنفسه واخلاقه وذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكها الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على الداء
باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله الخبء في السموات والارض وانما
سمي السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه لابي الذي كان يعرف في عنده بعض الشهوة هل صحبته في السفر الذي يتبدل به على
مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك عرفته وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا فان الماء اذا ساح طاب واذا طال مقامه في موضع تغير وبالجملة
فان النفس في الوطن مع موانسة الاسباب لا تظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فاذا حملت على عناء السفر وصرفت

عن مالوفها المعتادة واستحت بمشاق الغربة انكشفت عوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق **واما** آيات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوائد المستبصر فيها قطع مفلوز وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات وما من شيء منها الا وهو شاهد لله بالواحدانية ومسبح له بلسان لا يدركه اكثر الخلق في السمع وهو شهيد واما الجاحدون والغافلون والمعتزون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون ولا يسمعون لانهم عن السمع لمعزولون وعن ايات ربهم لمحجوبون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريد وابه ما كانوا صما وانما اريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات ويشارك الانسان فيه سائر الحيوانات فاما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني ولم يتركني وراء الجحر الذي وراءي وما من خرقة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها وانواع شهادات اصنافها بالتقديس تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن درك لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عنبر على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مخصوصا بسمع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستفيد هذه الشهادات من الانسط المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات ثم يطيل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فماله وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات في الشمس والقمر والنجوم بوادي مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يكون اكثر الطواف باحاد المساجد من اثر ترك الكعبة ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن والفضول ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها الا محاط بنفسه والمجاوز اليها ربما يبتلى فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشد الى سواء السبيل والها لكون فالتيه هم الاكثرون من سكان هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالتعيين والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طالبه من اعظم المطلوب قل المساعد ثم الذي يملك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك لعاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب **شعر** واذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الاجسام ... وما اودع الله العز والملك في الدين والدنيا الا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبان والفضول باسم الحزم والحذر كما قيل **شعر** رأي الجبان حزم ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين **القسم الثاني** وهو ان يسافر لاجل العبادة اما الحج او الجهاد وقد ذكرنا فضل ذلك واداب واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات والفائدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه ايضا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم واداءهم هذا سوى ما ينتظم من الفوائد العلمية المستفادة من نفاسهم واضالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التوراة سر اربعة اميال زر احباءك في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى التغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس ايضا له فضل كثير خرج ابن عمر من المدينة فصعد بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل

من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دلم مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه وعطاه الله ذلك **القسم الثالث** ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن الانبياء والمرسلين ولما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والاسباب فان كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن هماك الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قلل الخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلائق التي له بد عنها حتى يرتاض نفسه مدة ملتذة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يهوى به نفسه ويلهم به قلبه فيستبقى عند الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصد شيء منها عما هو بصدده من تذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاشتياق للخلق والخالق وانما تسعد بهذه القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد و الكسب فيها مدخل ايضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيها تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء فرب رجل قوي بنية شديد الاعضاء محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا تبلغه درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضي الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على المشتهرين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال قد بلغني عن قرية فيها رخص ارديد ان اقيم بها فقيل له وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقربها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا مجرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الاذخر واورق الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم ببلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسيأتي اسرار الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى **القسم الرابع** السفر بما يمتد في البدن كالطاعون او في المال كغلاء السعر وما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فناء امتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن فقد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن ام ايمن قالت اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه لا تشرك بالله شيئا ان عذبت او خوفت واطع والديك وان امراك ان تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه لا تترك الصلاة عمدا فان من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه ذمة الله منه واياك والخمر فانها مفتاح كل شر واياك والمعصية فانها تسخط الله ولا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم وانفق من طولك على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم واخفهم بالله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك الاقدام عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كإباق العبد وسفر العاق لوالديه الى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن بينه الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب المندوب ومحال في المكروه والمحظور واما المباح فرجعه الى النية فهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية سداد الرفق على الاهل والعيال والتصدق بما يفضل عن سبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج وباعثه الرياء والسمعة خرج عن كونه من اعمال الاخرة لقوله صلى الله

عليه وسلم الاعمال بالنيات وهو علم في الواجبات والمندوبات والمباحات حتى المحظوظات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها
محظوظة وقد قال بعض السلف ان الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على قدر نيته فمن كانت
نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه وقرن عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الاخرة اعطي من البصيرة
والحكمة والفطنة وفتح له من التذكر والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له واما النظر في ان السفر هو
الافضل او الاقامة فذلك يضاهي النظر في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجها في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر نوع مخالطة
مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل في هذا ما هو اعون على الدين وغاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل
معرفة الله تعالى وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر
لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء واما السياحة في الارض على الدوام
فمن المشوشات للقلب لا في حق الاقوياء فان المسافر وماله كعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على
نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق
فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام اسباب الطمع ثم شغل الحظ والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر
المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان استقل بنفسه واستبصر و
انفتح له طريق الفكر والعمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال
ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا
طريق الكسب واستلانوا جانب السوال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المتصيدين للقيام بخدمة
القوم واستخفوا عقولهم وادياتهم من حيث لم يكن قصدهم من الحذقة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال بطريق
السوال لقلة الاكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تاديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا
في الخانقاهات منتزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم
وفي لفظهم وفي عبارتهم وفي اداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سوداء تمرة ويتوهمون ان المشاركة
في الظواهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فانهم غرر حمافة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله تعالى يبغض الشيخ
الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته
وقد خلت البلاد عنه الآن والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد انمحى بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس
بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فهو عبارة عن تجرد
القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح وهما فسد العمل فات الاصل وفي اسفارهؤلاء نظر للفقهاء من
حيث انه اتعاب للنفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان خطوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة
البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ ايضا خسيسة ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ
خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتاذي وهو المتلذذ والقوى تقتضي تسبيب العوام في المباحات التي لا تضر فيها ولا ضرر فلسانحون في غيرهم في الدين
والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المتردده في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم
في التلبيس والسوال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفاء الخلق وبقاء
الصلاح ومن اقل صفات السوال حتى لا اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصوف صوفي فسق التصوف
صوفي كافر وفقيه يهودي وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي تحصل به العدالة
وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله تعالى حرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا
واعنى به اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم ما اعطاهم فاخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كاخذه باظهار نسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم انه علوي وهو كاذب واعطاه مسلم ما لاحبه اهل بيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولو علم انه كاذب لم يعطه شيئا فاخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحاطون عن الاكل بالدين فان الباطن

ل التلبس بالتزيي بالصلاح وبقية الملكة ١٢ ق

تبصرة لما كون فيه من تكرون وتزين المرتزقة

في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عوران لو انكشف للراغب في مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلاجرم كانوا لا يقترضون شيئا بأنفسهم مخافة ان يسامحوا لاجل دينهم فيكونوا آكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشتري فهم انما يحل اخذ ما يعطى لاجل الدين اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يفض ذلك فتورا في رائه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه ان ذلك ممتنع او عزيز والمغرور الجاهل بنفسه احرى بان يكون جاهلا بامر دينه فمن اقرب الاشياء الى قلبه قلبه فاذا التبس عليه امر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه بيده من هذه القافلة او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف له عوران باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فان اضطر طالب الحلال ومريد الاخرة الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل انك ان كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سريرتي لم ترني بعين الشيء قبيل اعتقدت اني شر الخلق او من شرارهم فان اعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرتضي منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فلينتبه لها وهو انه قد يقول ذلك مظهرا انه متشبه بالصالحين في ذم نفوسهم وستحقارهم لها ونظرهم اليها بعين المقت والازدراء فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والاطراء فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس الحق واما الذم في الملا فهو عين الرياء الا اذا اورده ايرادا يحصل للسامع يقينا بانه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن نفيه بقرائن الاحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم ان مخادعته لله عز وجل او مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن امثال ذلك فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر وفضيلته **الفصل الثاني في اداب المسافر** من اول نهوضه الى اخر رجوعه وهي احد عشر اداب **الاول** ان يبدأ بردّ المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع ان كانت عنده ولا يأخذ زاده الا الحلال الطيب ولما يأخذ قد يوسع به على رفقائه قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام ومن اظهر مكارم الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفاقه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من اسباب الضجر ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه الا باعانة بمركوب او زاد او وقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطائبة في بعض الاوقات من غير فحش ومعصية فيكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني** ان يختار رفيقا قبل الخروج وحدا قبل الطريق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر وقل اذا كنتم ثلاثة في السفر فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هو امير امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمر احسنهم اخلاقا وارفقهم بالاصحاب واسرعهم على الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الاراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا من الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان مواطن الاقامة لا تخلو عن امير عام كامير البلد او امير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا بالتأمير فلذا وجب التأمير ليجتمع شتات الاراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة القوم وان يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون انت الامير او انا فقال بل انت فلم يزل يجعل الزاد لنفسه ولا بي علي على ظهره فامطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له ابو علي لا تفعل يقول لم تقل ان الامارة مسلمة لي فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد ان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو عن حل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا اثنين لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للحل واحدا فلا يخلو ايضا عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذا ما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا يجتمعهم راحة

واحد فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا يصرف الهمة اليه فلا تنم المرافقة معه نعم فى كثرة الرفقاء فائدة الامن من الخاوف ولكن الاربعة خير للرفقة الخاصة لا للرفقة العامة وكم من رفيق فى الطريق عند كثرة الرفقاء لا يتكلم ولا يخالط الى آخر الطريق للاستغناء عنه **الثالث** ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء ويبدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من مكة الى المدينة حرسهما الله فلما اردت ان افارقه شيعنى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمان ان الله تعالى اذا استودع شيئا حفظه وانى استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له فى دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة رضى الله عنه اودعه لسفر اردته فقال الا اعلمك يا بنى شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى فقال قل استودعك الله الذى لا تضيع ودائعه وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى اريد سفرا فاوصنى فقال له فى حفظ الله وفى كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك الخير حيث كنت وايما كنت شك فيه الراوى وينبغى اذا استودع الله تعالى ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روى ان عمر رضى الله كان يعطى الناس عطاياهم اذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال له الرجل احدثك عنه يا امير المؤمنين بامر انى ارجو ان اخرج الى سفر وانه حامل به فقالت تخرج وتدعنى على هذه الحالة فقلت استودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت لله انها كانت صوامة فاخذت المعول حتى انتهيت الى القبر فحفرتها فاذا سراج واذا هذا الغلام بيدى فقيل لى ان هذا ودايعتك ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال عمر رضى الله عنه لهو اشبه بك من الغراب بالغراب **الرابع** ان يصلى قبل السفر صلاة الاستخارة كما وصفناها فى كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلى لاجل السفر فقد روى انس بن مالك رضى الله عنه ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فالى اى الثلاثة ادفعها الى ام اخى ام ابنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلفت عند فى اهله من خليفة احب الى الله من اربع ركعات يصليهن فى بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرا فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم انى اقترب بهن اليك فاخلفنى فيهن فى اهلى ومالى وفى خليفتى فى اهلى ومالى وحرز حول الدار حتى يرجع الى اهله **الخامس** اذا خرج من باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل على فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتى وانت رجائى فاكفنى ما اهمنى وما لا اهتم به ومن هو منى عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير اينما توجهت ليدع بهذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة فليقل الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور **السادس** ان يرحل من المنازل بكرة روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم بارك لامتى فى بكورها وليجتنب ان يبتدئ بالخروج يوم الخميس فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس وروى انس انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم السبت وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية بعثها اول النهار وروى ابو هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس اذا كان لك الى رجل حاجة فاطلبها اليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بارك لامتى فى بكورها ولا ينبغى ان يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون خاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب اليها فكان اوله من اسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اشيع مجاهدا فى سبيل الله فاكتنفه على رحله غدوة او روحة احب الى من الدنيا وما فيها **السابع** ان لا ينزل حتى يحل النهار فى السنة ويكون نزوله بالليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما نزل فى المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن

ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف
عني شرهم وشرارهم فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من
شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ
بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
وهما لا شرفا من الارض في وقت السير فينبغي ان يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال وهما هبط سبح
وهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعز والجبروت **الثامن** ان يحتاط
بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل محفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام في
ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وان نام في اخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض من ذلك ان لا يستثقل في
النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل اربعة وبالنهار في الحراسة
فاذا نام واحد حرس لخر هذه السنة وعما قصدا عدوا وسبع في ليل او نهار فليقرا اية الكرسي وشهد الله وسورة الاخلاص و
المعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف
السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي
عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك
علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين **التاسع** ان
يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا يطيق ولا يضربها في وجهها فانه منهي عنه ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم وتتاذى به الدابة كان
اهل الورع لا يناموا على الدابة الا غفوة وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة
وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه اثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل
ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن اذى البهيمة ضربا او حمل ما لا تطيق طولب به يوم
القيامة اذ في كل كبد حرى اجر قال ابو الدرداء رضي الله عنه لبعير له عند الموت ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك
وفي النزول ساعة صدقتان احداهما تريح الدابة والثانية ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فائدة اخرى وهي رياضة البدن وتحريك
الرجلين والحذر من جمود الاعصاب بطول الركوب وينبغي ان يقارب مع المكاري ما يحمله عليها شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستاجر الدابة بعقد
صحيح لئلا يشوش بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة
واللجاج مع المكاري فلا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه قال
رجل لابن المبارك وهو على دابة احمل لي هذه الرقعة الى فلان فقال حتى استاذن المكاري فاني لم اشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف
لم يلتفت الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع **العاشر** ينبغي له ان يستصحب ستة اشياء قالت عائشة رضي
الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر حمل معه خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمدية والسواك والمشط وفي رواية
اخرى عنها ستة اشياء المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت ام سعد الانصارية كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد عند منامكم فانه مما يزيد في
البصر وينبت الشعر وروي انه كان يكحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية انه اكحل اليمنى ثلاثا واليسرى ثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض
الصوفية اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زاد وهذا المارود من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة
لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولترح الماء من الابار وكان الاولون يكتفون بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا
يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض
والجبال عن الحبل فيفرشون الكيتا المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة المذمومة ما تصادم السنن الثابتة و
اما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا احكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان التحرج لامر الدين لا ينبغي ان يوثر طريق الرخصة بل يحتاط في
الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين كان لا يفارقهم اربعة اشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض

(1) الركوة الزوراء الصغيرة المصباح

وكان يقول هذه ليست من الدنيا **الحادي عشر** في آداب الرجوع من السفر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقفل من غزو او حج او عمرة او غيره يكبر على كل تنزه من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينة فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يبشرهم يقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي له ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا ويستحب ان يحمل لاهل بيته واقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهو سنة فقد روي ان لم يجد شيئا فليضع في محلاته حجرا وكان هذا مبالغة في الاستحباب على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فينبغي ان لا يحقر شيئا في تاكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة

واما الآداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملته ان لا يسيء والا اذا كان زيادة دينه في السفر وهما وجد قلبه متغير الانقصان فليقف و لينصرف ولا ينبغي ان يجاوز بهمه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة ان يمكث شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ما اوكلمة لينتفع بها لا يحكي ذلك ويظهر انه لقي المشائخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة الخ فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكما يدخل البلد لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ في زيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستاذن عليه الا ان يخرج فاذا خرج تقدم اليه بادب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فان سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسئلة ما لم يستاذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسعارها ولا ذكر اصدقائه فيها وليذكر مشائخها وفقراءها ولا يمهل في سفر زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع الى الذكر ان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له ان يسأم وتبرم بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان يجني ثمرة اخلاقه **قال** رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى ان من ليس له في السفر زيادة دين فقد اذل نفسه والا فعز الدين لا ينال الا بذلة الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يفر في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما اجلا

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولاخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من نفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او ثلاثة او يقدر على ان يكتفي بالحشيش فلا بأس وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاكتفاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى التهلكة وهذا مما يغلط فيه كثير من الناس في كتاب التوكل وليس معنى التوكل انتهاء عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل وترك الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يخلق الله له ملكا او شخصا اخر حتى يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو اله الوصول الى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا يمكن له وجودا اولى بان لا يقدح فيه وسيأتي حقيقة التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين **واما زاد الاخرة** فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وان يتزود منه اذ السفر نادرة يخف عليه امور فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخفف السفر كالقصر والجمع والفطر ونادرة يشتد عليه امور كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يعرف بنفسه فاذا ما يفتقر العلم ينقسم الى قسمين **القسم الاول** العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع رخص **الرخصة الاولى** المسح على الخفين + قال صفوان بن عسال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرا ان لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة تامة للصلاة ثم احدث فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا ويوما

وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة شروط **الاول** ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها في الخف ثم غسل اليسرى فادخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع خفه اليمنى ويعيد لبسه **الثاني** ان يكون الخف قويا يمكن المشي فيه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف **الثالث** ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه والشافعي قول قديم انه يجوز ما دام يتمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا باس به لتسيس الحاجة اليه وتتعذر الخرز في السفر في كل وقت والمدأس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لابتدوة بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرح لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا ان يكون ساترا الى ما فوق الكعبين كيف ما كان فاه اذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي بالثفاثة لم يجز المسح عليه **الرابع** ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فلا بد له استئناف الوضوء فان اقتصر على غسل القدمين جاز **الخامس** ان يمسح على الموضع الحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلاث اصابع يخرج من شبهة الخلاف واكمله ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه ان يبل اليدين ويضع رؤس اصابع اليمنى من يده على رؤس اصابع اليمنى من رجله ويمسحه بان يجر اصابعه الى جهة نفسه ويضع رؤس اصابع يده اليسرى على عقبه من اسفل الخف ويمدها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ولم يمسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة ايام وليليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث وليستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية او عقرب او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الاخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما **الرخصة الثانية التيمم** والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح او استغاث وهو البعد الذي لا يعتاد اهل المنزل في تردادهم لقضاء الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله اما بثمن او بغير ثمن ولو كان بحيث يحتاج اليه لطبخ مرقة او لحم او لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه ان يجز للفتيت اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وان وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء وهما جوانبه الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالي المنزل وتفتيش الرحل وطلب لبقايا من الاولياء والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره في الطلب ان علم انه سيجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تتيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له التيمم وجدان المدينة تنظر اليك فقال او ابقى الي ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء واذا وجده قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بها وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع ويمسح بها يديه الى مرفقيه فان لم يسيل عرقه بضربة واحدة جمع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا صلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم وان اراد الجمع بين الفريضتين فعليه ان يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلي فريضتين بتيممين ولا ينبغي ان يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فان فعل وجب عليه اعادة التيمم وليتوضأ عند مسيس الوجه استباحة الصلاة ولو وجد

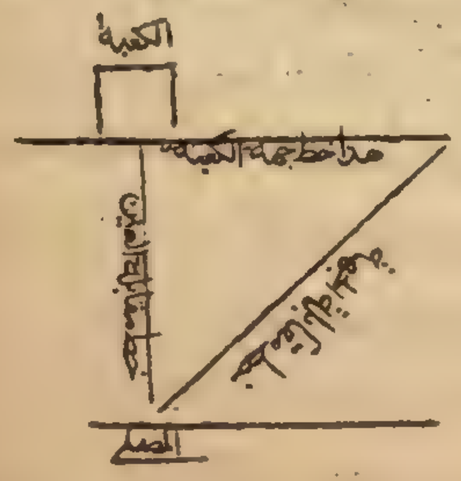
من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعد تيمما تاما **الرخصة الثالثة** في الصلاة المفروضة القصر و
له ان يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة **الاول** ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت
قضاء فالاظهر لزوم الاتمام **الثاني** ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام **الثالث**
ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر ممن فعل لزمه الاتمام بل ان شك في ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعد انه مسافر
لان شعار المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان
النيات لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر
هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا
معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خراب البلد وبساتينها التي قد يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية
فالمسافر منها ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شيء نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه
ما لم يجاوز العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج مرة واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة **الاول**
الوصول الى العمران من البلد الذي عزم على الاقامة به **الثاني** العزم على الاقامة ثلاثة ايام فصاعدا اما في بلد او في صحراء **الثالث** صورة
الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلاثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل و
هو يتوقع كل يوم انجازه ولكنه يتعوق عليه وينا خر فله ان يترخص وان طالت المدة على اقيس القولين لانه منزع بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته
ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان تطول المدة او تقصر و
لا بين ان يتاخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة ايام او لغير اذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما
على موضع واحد وظاهر الامر انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه
غازيا مقاتلا هذا معنى السفر **واما** معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال وكل ميل اربعة
آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة اقدام ومعنى المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المرأة هاربة من زوجها
ولا ان يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق او قتل انسان او طلب دار حرام من سلطان ظالم او
سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان الا في غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك
الغرض لكان لا ينبعث لسفره تنفره معصية ولا يجوز فيه الترخص **واما** التنزه في السفر لشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل
سفر نهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والاخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور
لكان المباح مستقلا بحركته ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج
لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص **الرخصة الرابعة** الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين
المغرب والعشاء في وقتيهما وذلك ايضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قول ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع
بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليوال بين الظهر والعصر وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم ولا ان كان فرضه التيمم ولا يفرق
بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ لا مستند
لا يجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع واما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها واما الظهر فمجبر على القانون ثم اذا فرغ من
الصلاتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلاتين اما العصر فالسنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما
راكبا او مقيما لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه ولو اراد ان يقيم الاربع المسنونة قبل الظهر والاربع
المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر ركعتان
الثانية بمكانها من الفرض ولا ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له
اداءها على الراحلة كي لا يتعوق عن الرفقة بسببها وان اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر
في الوقت المكروه لان ماله سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفريضة
يشتغل بجميع النوافل ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعد على اداءه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو

ل
وفي الخنثى
لا يتم في القصر
ل عند
من الطريق
يسير سيرا
عمل متن
وقسمت الوسط
على قدر
السفر على ق
ل وعند
الخنثى ثلاث
مراحل كاملة
تقدر ان السير
سير الوسط
في ايام معتدلة
من الصيف الى
صلاة الظهر
ل لا يوجد
هذا الاثر في النسخ
المصرية
ل وعند
الخنثى
القصر السفر
المباح وفيها
ش وعند
الخنثى لا
يجوز الجمع
للخوف
وفي السفر

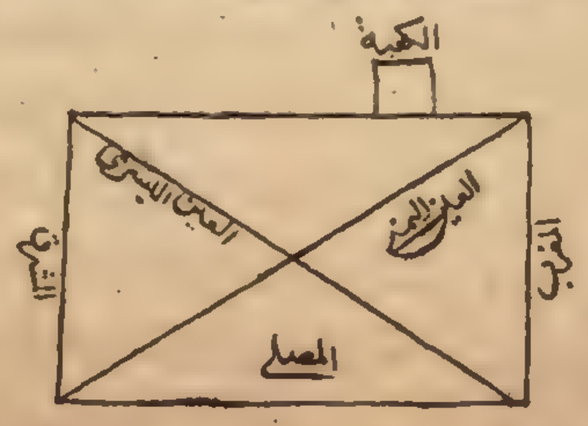
عن هذه النية اما بنية الترك او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وان لم ينو ذكر الظهر حتى خرج وقته اما النوم
او لشغل فله ان يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن تذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما
تقع اداء اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الظهر وان وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على المتيمم
قضاء الظهر اذا طهر من قبل الغروب ولذلك ينقدح ان لا تشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عندنا خير الظهر اما اذا قدم العصر
على الظهر لم يجز لان ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان تشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او على تاخيره وعذر المطر
مجوز للجمع كهذا السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر قد ادرك وقت العصر
في الحضر فعليه اداء العصر وما مضى انما كان مجزئا بشرط ان يبقى العذر الى خروج وقت العصر **الرخصة الخامسة** في التنفل راكبا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته اينما توجهت به دابته واوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على
المتنفل الراكب في الركوع والسجود الا الايماء وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض به لخطر بسبب
الدابة فان كان في مرتد فليترك الركوع والسجود فانه قادر عليه **واما** استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها
ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته اما مستقبلا للقبلة او متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها
فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وان طال فيه
خلاف وان جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه بخلاف
ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء **الرخصة السادسة** التنفل للماشي جائز في السفر ويومئ بالركوع والسجود
ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي ان يحترم بالصلاة مستقبلا للقبلة لان الانحراف في
لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الراكب فانه في تحريف الدابة وان كان العنان بيده مع عسر وربما تمكن الصلاة فيطول عليه ذلك
ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يتشوش
المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة
راكبا او ماشيا كما ذكرناه في التنفل **الرخصة السابعة** الفطر وهو في الصوم للمسافر فان يفطر اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح
مسافرا صائما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية النهار وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل للمسافر ان يفطر اذا اراد والصوم افضل من الفطر
والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فانه في عهدة القضاء وربما يثقل عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته الى ما
كان الصوم مفيضا به والافطار افضل **فهذه** سبع رخص تتعلق ثلاثة منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة ايام وتتعلق
اثنتان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند اداء الصلاة بالتيمم واما صلاة النافلة ماشيا وراكبا
ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلاة الفرض راكبا
وماشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر
مهما وجدت اسبابها فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر قبل السفر ام يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان
عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لان الترخص ليس
بواجب عليه واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شاطئ نهر يتيقن بفقد مائه او يكون معه في الطريق
عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فحينئذ له ان يؤخر الى وقت الحاجة اما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لاستحالة
فان قلت التيمم يحتاج اليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك لاستحالة اذ كان يظن انه لا يجد
في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحياة واسفارها وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا
ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لاستحالة كتعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل شهر
فلا يجب اذ للمسافر ان ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه
من علم التيمم وسائر الرخص فانه اذا لم يعلم القدر الجائز رخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت انه ان لم يتعلم كيفية التنفل

شط

راكبا وماشيا ماذا يفرضه وغايته ان صلى ان تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد فالنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلاة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يخرج به عن الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ما خفي على المسافر في سفره **القسم الثاني** مما يجب تعلمه من الوظيفة بسبب السفر **و** هو علم القبلة والاوقات وذلك فرض واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت **و** المسافر قد يشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بادلة القبلة والوقت اما ادلة القبلة فهي ثلاثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباحها ودبورها وسماوية وهي النجوم واما الارضية والهوائية فمختلفة باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او وراءه او قدامه فليعلم ذلك ليفهمه وكذلك الرياح قد تدوم في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم اخر واما السماوية فادلتها تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس ولا بد ان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب فانها تدبر موضع الغروب في ذلك بان تحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل وما بازائه الى وجهه وقفا وبالشفق الذي هو نصف القبة للعشاء الاخيرة ويشرق الشمس تعرف القبلة لصلوة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك في الشتاء والصيف فان للشارق والمغارب كثرة وان كانت تخصوص في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكن ان يستدل على القبلة به فعليه ان يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي وانه كوكب كالثابت لا نظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان يسأل اهل البصيرة او يراقب هذا الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطأ من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهة لم يلزمه القضاء وقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل معناه على قوم اذ قالوا ان قلنا ان المطلوب العين فبمن يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا ان المطلوب الجهة فقالوا في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا يصح الصلوة وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين والذي به اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف فقالوا اخرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لا تصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلي يقدر انه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين



واما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان تتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا تتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة ولو مد هذا الخط على الاستقامة الى سائر النقط من يمينها وشمالها كان احد الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كنبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر



الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا الجهة خارجين من العينين فيلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية فائرة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وما بعد بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته

فاذا فهم معنى العين والجهة فقول الذي يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها

فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة فجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فدليله الكتاب والسنة
وفعل الصحابة رضي الله عنهم والقياس اما الكتاب فقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه وشطر قبل جهة
الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرهم واما السنة فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب
قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة
لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما يفي بذلك جهتها وروى هذا اللفظ ايضا عن عمر وابن عمر رضي الله عنهم واقبل الصحابة رضي الله عنهم فما روى ان
اهل مسجد قبا كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين للكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم الا ان قد حولت القبلة
الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا
تعرف الا بادلة هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوه على البديهة في اثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم نقلوا انبجاس
حوالي مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا فقط مهندسا عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر الهندسي واما
القياس فهو ان الحاجة تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية لم يرد الشرع
بالنظر فيها بل ربما زجر عن التعمق في علمها فكيف يثني امر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها
وهو حصر جهات العالم في اربع جهات قوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا
وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات والخط
يحال احد جهات العالم يمكن ان نفرض ستا او سبعا او عشرا وكيف ما كان فما حكم الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان
وليس له الا اربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان في ظاهر النظر اربعا والشرع لا يبنى الا على مثل هذه الاعتقادات
فظهر ان المطلوب الجهة وذلك يسهل امره لاجتهاد فيها ويعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط
الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالاخر ويحتاج فيه
الى الاكان واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فذا القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع الشرق والغرب والزوال وموقع الشمس
وقت العصر فيها ليسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي فالقول ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب و
كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن معه شيء من ذلك عصى لانه
سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم النجوم وغيره فان تعلم هذه الادلة واستبهم عليه الامر بغيم مظلم
او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب ام اخطأ والاعمى ليس له
الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره
بذلك في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال كما ليس
للاعمى ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بفضيل الشرع بل يلزمه الهجرة الى حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه وسيء
فعليه الهجرة ايضا اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال
في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين فمن رآه لا يتسا
لمحريرا ومما يغلب عليه الابريسم او راكبا الفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك
اذا رآه يأكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او يأخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي يأخذه من وجه
حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة **واما** معرفة اوقات الصلوات الخمس
فلا بد منها **فوقت الظهر** يدخل بالزوال وكل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى
وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب فليفهم المسافر في موضع اولا ينصب عودا مستقيما
ويعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر وطريقه في معرفة ذلك ان ينظر في البلد
وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فان كان مثلا ثلاثة اقدام يقدره فنهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا
زاد عليه سبعة اقدام ونصف يقدره دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص يقدره ستة ونصف بالتقريب الى ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان

سفره من اول الصيف فان كان من اول الشتاء فينقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزاني فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان تصير بين عينيه مثلا ان كانت كذلك في البلد فاما وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق فيه فاظهر سواد في الافق مرتفع من الارض فقد دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرف بظهور الكواكب الصغار والكثيرة فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح فيدق في الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا حكم له الى ان يقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره فهذا اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفجرهما واشار به الى انه معترض وقد يمثل عليه بالمنارل وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشابهة الانتشار البياض عرضا لا فوما ظنوا ان الصبح يطلع قبل الشمس بربع منازل وهذا خطأ لان ذلك هو الفجر الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل تطلع معترضة فتحرفه فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم نصلي المنزل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعدها واما حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة اذا بقيت اربع منازل الى طلوع قرن الشمس فمقدار منزلة يتيقن انه الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق وبقي بين الصبحين قدر ثاني منزلة بالتقريب ليشك فيه انه من وقت الصبح الصادق او الكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت لشك ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى ينقضي وقت الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يتعلق على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا ويقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به فليس معرفة ذلك في قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا في العرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما روى ابو عيسى الترمذي في جامعه باسناده عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الاحمر وهذا صريح في رعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة ابن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنه كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صنا الغريبين الى مستطيلا فاذا لا ينبغي ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادئ الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى لا يستثقل فان وطن نفسه على تاخير الصلاة الى ان يتيقن فسيفوت فضيلة اول الوقت ويتعجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى التيقن استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوائل الاوقات واما بعد

كتاب آداب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته * واستولى بجملهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته * ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته * حتى صحوا من نشئ روح الوصال سكرى * واصبحت قلوبهم من ملاحظة نسمات الجلال والهة حيرى فلو رام في الكونين شيئا سواه * ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان تخطف ابصارهم صورة عرضت الى المصلى ببصائرهم * وان وقعت اسماعهم نغمة سقطت الحجب سرائرهم * وان وردت عليهم صوت مزعج او مقلق او مطرب او محزن او مشوق او مهيج لم يكن باز عاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا فقرهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه * ولا اسماعهم الا له ولا تردادهم الا حوالية * فمنه سماعهم * واليه استماعهم * فقد اشغل عن غيره ابصارهم واسماعهم * اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته وتخلصهم من بين اصفيائه وخلصه * الصلاة على محمد المبعوث برسالته * وعلى آله واصحابه ائمة الحق وقادته * وسلم كثيرا اما بعد فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب المدر * ولا سبيل الى استنزاف خفايا الابقداح السماع * ولا منقذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع * فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها * وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه * كما لا يترشح الاناء الا بما فيه * فالسماع للقلب محك صادق * ومعيار باطن * فلا يصل روح السماع

واستولى

اليه + الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه + واذا كانت القلوب بالطباع + مطيعة للاسماع + حتى ابدت بوادرها منها + وكشفت
بها عن مساويها واظهرت محاسنها + وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات + وما يستحب فيهما من
الآداب والمنهيات + وما يتطرق اليهما من خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات + ونحن نوضح ذلك ونبين **الباب الاول** في
بيان اباحة السماع **الباب الثاني** في آداب السماع واثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه **اعلم** ان السماع هو اول الامرين ثم السماع حالة في القلب تسمى الوجد ثم تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الاول ونتقل
فيه الى تاويل العربية عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نرد فيه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه + فما نقل المذاهب فقد
حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا سيستدل بها على انهم راوا التحريم
وقال الشافعي رحمه الله في كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن ابتاع كثيرا منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي
ابو الطيب سماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب او
سواء كانت حرة او مملوكة وقال قال الشافعي رحمه الله في الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعي انه
كان يكره الطقطقة بالقضيب بقول وضعه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب
بالنرد اكثر مما يكره اللعب بالشطرنج ولا احب اللعب بالشطرنج ولا كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين والمروءة
واما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم
بن سعد وحده **واما** ابو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة سفيان الثوري
وحماد وابراهيم والشعبي وغيرهم **فهذا** كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من
الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال فضل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابع باحسان
وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي ايام المعدودات امر الله عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل
المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا قد رخص بالمدينة مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس الملحين فداعتهن للصوفية قال وكان
لعطاء جاريتان فلهنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون
يستمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع
وروى عن يحيى بن معاذ انه قال سمعنا ثلاثة اشياء فما رأيناها ولا رأيناها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة
وحسن الاخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب عنا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تحريم السماع مع زهد وتصاونه
وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع **وحكي** عن واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا
ابو القاسم ابن بنت منيع وابو بكر ابن ابي داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود
في ان يسمع فقال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القاسم
ابن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت
من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك اي شيء تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن ابي داود لا قال فان كان
حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشد وطوله وفصر منه الممدود ومد منه المقصور ليحرم عليه قال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف
اقوى لشيطانين قال وكان ابو الخير السقلاني الاسود من الاولياء يسمع ويقول له عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك
جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه **وحكي** عن بعض الشيوخ انه قال رأيت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول في هذا السماع
الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء **وحكي** عن ممشاد الدينوري انه قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكر منه شيئا ولكن قل لهم ينتخبون قبله بالقرآن ويختمون
بعده بالقرآن **وحكي** عن طاهر بن بلال الهمداني الورّاق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة

تابعي

تابعي

يقولون في جانب منه فمر فلم يستمعوا فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه واذا ابو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي اذا ينبغي لي ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وابو بكر يقول فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا احق بحق او قال حق من حق انا اشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم لا يتحاورون الا في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له ايوتى به يوم القيامة في جملة حسناتك وسيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شيء باللغو وقال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم وهذا اسقط من الاقاويل ومن طلب الحق في التقليد فيهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فبقي متحيرا وقائلا الى بعض الاقاويل بالتشهي وكل ذلك تضييع بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره **بيان الدليل على اباحة السماع اعلم** ان قول القائل السماع حرام معناه ان الله تعالى يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص والقياس على المنصوص وانما يظهر بالنص من الشرع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه او افعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستفهم فيه قياس على المنصوص بطل القول بتحريمه وبقي مما لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المائلين الى التحريم وهي اتم الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على اباحته اما النص فهو ان الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب وموزون مفهوم المعنى محرك للقلب فوصف لا عم انه صوت طيب لفظ الطيب ينقسم الى الموزون وغير والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فهو انه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فللذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الالوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات الملائمة بالسمع تنقسم الى مستلذ كصوت العنادل والمزامير ومستكره كنهيق الحمير وغيرها فيما اظهر فيقاس هذه الحاسة واذتها على سائر الحواس في لذاتها **واما** النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو الصوت الحسن وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة لقينته وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب منها في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح ابي موسى الاشعري لقد اعطي من مزامير ال داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما يباح ذلك بشرط ان يكون في القرآن للزمه ان يحرم سماع صوت العندليب لانه ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن **الدرجة الثانية** النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيرها واما ان تخرج من حيوان وذلك الحيوان اما انسان او غيره كصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على صورة الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء نوصل اهل الصناعات بصناعتهم الى خصوص الا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه تقتدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم سماع صوت العندليب وسائر الطيور لا فرق بين حجر وحجر ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب كل صوت الخارجة من سائر الاجسام

باختيار الادمى كالذى يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذا الا الملاهى والاوتار والمزامير التى ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور وافضت ضراوة الناس بها الى المبالغة فى القطام عنها حتى انتهى الامر فى الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهى الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الابتداع كما حرمت الخلوة بالاجنبية لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لافضائه بالسوءتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مما فوقه كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهى محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل **احداها** انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر فمثل هذه العلة حرم قليل الخمر **الثانية** انها فى حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهى سبب للذكر والذكر سبب لبعث الشوق وابعاث الشوق اذا قوى فهو سبب للاقدام وهذه العلة تنفى فى الابتداء عن الدباء والمزفت والحنتم والنقير وهى الاوانى التى كانت مخصوصة بها بميا تها فان مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار لذة فى الذكر اذ لا لذة فى رؤية القينة واوانى الشرب لكن من حيث التذكر بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لخصوص هذه العلة فيه **الثالثة** ان الاجتماع عليها كما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا الآلات الشرب وافترشوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذ فى من السلاق ويشربون ويحيى بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا فى نفسه لان فى هذا تشبها باهل الفساق بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك التسعر على الراس قزعا فى بلاد صار القباء فيها من لباس اهل الفساق ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعانى حرم المزمار العراقى والاوتار كلها كالعود والصنج والربابة والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس فى معناها كالشاهين الرقاصة والجلجل وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكرها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بارباب فلم يكن فى معناها فبقى على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليست العلة فى تحريمها مجرد اللذة والطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما فى تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض اخر كما سيأتى بيان العوارض للحرمة **الدرجة الثالثة** الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من جنجرة الانسان فيقطع بالاباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصوت به سواء كان بالحان اولم يكن والحق فيه ما قاله الشافعى رحمه الله اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز انشاده مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تضمنه الاحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام ان من الشعر حكمة وانشدت عائشة رضى الله عنها **شعر** ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب * وروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان ابو بكر رضى الله عنه اذا اخذته الحمى يقول **شعر** كل امرئ مصبح فى اهله * والموت ادنى من شراك نعله * وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول **قطعة** الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل * وهل اردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل * قالت عائشة رضى الله عنها فاخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول **شعر** هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر * وقال ايضا صلى الله عليه وسلم مرة اخرى **شعر** اللهم ان العيش عيش الاخرة * فارحم الانصار والمهاجرة * وهذا فى الصحيحين وكان النبى صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه فيهاجى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او يناضل ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انشده

التابعة متعرم فقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك وقالت عائشة رضي الله عنها كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون
عنده الاشعار وهو يتبسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال استدنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية ابن ابي الصلت كلما انشدت بيتا قال
هيه ثم قال وان كاد في شعره ليسلم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدو له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء والبراء
بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة وما هو الا تشاغ ومودي باصوات طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكار
بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مقفى مسجوع مودى باصوات طيبة
والحان موزونة **الدرجة الرابعة** النظر فيه من حيث انه محرك للقلب مهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات
الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا من الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما يهول ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من
الاعضاء حركات على وزنها كاليد والرجل والراس فلا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هو جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع
وازهاره فالعود اوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثير مشاهد في الصبي ومهمل فانه يسكنه الصوت
الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر فيه نشاطه
في سماعه المسافات الطويلة ويتبين فيه من النشاط ما تشكره وتوله فانها اذا طالت عليها البوادي واعزاها الاعياء والكلال تحت الحامل والاحمال اذا
سمعت منادي الحداء تمدا عناقها وتضع الى الحادي ناصبة آذانها وتشرع في سيرها حتى تزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف نفسها من شدة السير
وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها هذا حكى ابو بكر بن داود الديوري المعروف بابن ابي داود قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب واضافني رجل منهم و
ادخلني خباءه ورايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بفيئه ورايت جملا قد مانت بنيء البيت وقد بقي منها جمل هو ناجل في ذبل كانه يتزع روحه فقال لي
الغلام انت ضيف الله حتى تشفع فاشفع في الى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا ارى شفاعتك في هذا الفد فعسى ان يحل القيد عني قال فلما احضر الطعام
امتنعت وقلت لا آكل حتى تاتم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا العبد قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ما فعل فقال ان له صوتا طيبا وانا كنت اعيش من ظهور
هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل
الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قل فاجبتك ان اسمع صوته فلما اصبحنا امر ان يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما
رفع صوته هاج ذلك الجمل وقطع حباله ووقف تاعلى وجهي فما اظن اني سمعت قط صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه
السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فان جميعها تتاثر بالنغمات
الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على راس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم
فيه مطلقا باباحة ولا بتحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يعمل في
القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة يعتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة الاول
عند الحجيج فانهم اوكد يرون في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم
وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها واثر ذلك يهيج الشوق الى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمود او كما يجوز للواعظ ان ينظم كلاما في الوعظ ويزينه
بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا اضيف الى السجع صار الكلام
اوقع في القلب واذا اضيف اليه صوت طيب بنغمات موزونة زاد وقعه وان اضيف اليه الطبل والشاهين تحرك لا يقاع زاد التاثير وكل ذلك جائز بما لم
يدخل فيه المزامير والاوتار التي هي من شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج الى الحج كالذي سقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له ابواه في
الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه الى الحج بالسماء وبكل كلام يشوق الى الخروج فان التشويق الى الحرام حرام وكذلك ان كانت الطريق غير آمنة
وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب في معالجتها بالتشويق **الثاني** ما يعتاد القراءة لتحريض الناس الى الغزو وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن يشترط
ان تخالف اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحاج وطرق الحانهم لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار تحسين
الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه بالاشعار المشجعة مثل قول المتنبي شعر فان الهام تحت العوالي والقنا تستهم وتناسب الدال على مكرمة * و
قوله ايضا شعر يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم * وامثال ذلك وطرق الاوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة وهذا ايضا مباح

في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت ليشجع فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج الى الغزو **الثالث** الرجز بان التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس والانصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والتبجح وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان واقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين اهل الذمة وكل قتال محظور لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما ولذلك نقول ينبغي ان يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف النفس ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الاصوات والالحان المرققة للقلب فالالحان المرققة المحزنة تباين الالحان المحركة للشجاعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الاراء عن القتال المندوب اليه فهو ممن فعله على قصد التقتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع **الرابع** اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان محمود ومذموم فاما المذموم فكالحزن على ما فات فقد قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله تعالى وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح في النياحة واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصير في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والنياحة والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء ادم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لانه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بالخطايا والذنوب وقد كان عليه السلام يحزن ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود لان المفضي الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب والتي يبكي وينبأ كي لينوصل به الى تبكية غيره واثارة حزنه **الخامس** السماع في اوقات السرور وتاكيد السرور وتهييجاله وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في ايام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لاجل اظهار السرور به ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد النساء على السطوح بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم نظمه طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما دعا لله داع * فهذا اظهار السرور لقدوم صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر والغناء والرقص والحركات ايضا محمود فقد فعل عن جملة من الصحابة رضي الله عنهم انهم تحنوا في السرور اصابهم كما سياتي في احكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب السرور ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني برداءه واذا النظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها وروى البخاري ومسلم ايضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدفان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عائشة رضي الله عنها رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني برداءه وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه تغنيان وتضربان وفي حديث ابي طاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترني برداءه لكي انظر الى لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا الذي انصرف وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحبي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن الي فيلعبن معي وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يوما ما هذا قالت بناتي فقال فما هذا الذي اراه في وسطهن قالت فرس قال وما هذا الذي عليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت اوما سمعت انه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها اجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور من الخرق والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات ان الفرس كان له جناحان من رقع وقالت عائشة رضي الله عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر رضي الله عنه وانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعهما فلما غفل غمزتهما

فخرجا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فقامت وراءه وخدي على خده يقول دونكم يا بني ارفدة حتى إذا ملت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم وضعت رأسي على منكبه فجعلت انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذي انصرفت هذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص لأول اللعب لا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وسلم دونكم يا بني ارفدة وهذا أمر باللعب والالتماس له فكيف يفيد وكونه حراما والرابع منعه لابي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد لي هو وقت السرور وهذا من أسباب السرور والخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على ان حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه والسادس قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة رضي الله عنها اتشتهين ان تنظري ولم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدر محذورا على محذور فما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه والسابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبيه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان ان المزمار الحرام غير ذلك والثامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفرغ سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان نجسا بالا وزارا في موضع لما جاز الجلوس ثم لم يفرغ صوت الا وزار سمعه فيدل هذا على ان صوت النساء غير محرم فتحريم صوت المزامير لما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر الى رقص الحبشة والتزوج في اوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فانه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والولية والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر اسباب الفرح وكل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام فهو ايضا مظنة السماع **السادس** سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق وان كان المأتي به نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقترن في الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة بصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتزداد اسباب اللذة فهذه انواع تمنع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا كلها الا لهو ولعب وهذا منه وكذلك ان غصبت منه جارية او حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء واما من يتمثل في نفسه صورة صبي او امرأة لا يحل له النظر اليها وكان يتنزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة وهيج للدواعي الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفهاء من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع وهيجه السماع **السابع** سماع من احب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا راه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منادية فالسماع زخته هيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومثور زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها بعد فها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذ من الوجود والمصادفة اي صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا لاواذف وتوابع لها تخرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتحرك الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبلية الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغيير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوز بنج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة والشائع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك لا يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل فكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع يدرك

لله في الاسرة الزوجة تحتاجين وقاني الكبرة وا اجيا الشرس من عليه ليس نبي مخشب والاسبال جميع الجهاد ٢ تقال في الانواء بالشين وذكر يكبر ورا ٣ القشر عدم تقيد القشاقش شرود صرخوخة العين سماح ٤ القشر الشين حسن انا القشرة ايراد القشر براءة من انا القشر زوجته مشل ٥ ازهراج

بحاسة باطنة فى القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان
من عرف الله احبه لا محالة ومن تاكدت معرفته تاكدت محبته بقدر تاكد معرفته والمحبة اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا المحبة
موكدة مفرطة ولذلك قالت العرب ان محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة فى جبل حراء واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال
والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال ان كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر وان كان الجمال بالجلال والعظمة و
علو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك
بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار ايضا لها فيقال ان فلانا حسن وجميل ولا يراد صورته وانما يعنى به انه جميل الاخلاق محمود الصفات
حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد تاكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من
الغلاة فى حب ارباب المذاهب كالشافعى ومالك وابى حنيفة رضى الله عنهم حتى يبذلوا اموالهم وارواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على
كل عاشق فى الغلو والمبالغة ومن العجب ان يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته جميل هو ام قبيح وهو الا ان يميز ولكن لجمال صورته
الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من لا خير ولا جمال ولا محبوب فى العالم
الا وهو حسنة من حسناته واثر من اثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وسائر الحواس
من مبتدأ العالم الى منقرضه ومن ذرة الثريا الى منتهى الثرى فهو قبس من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته فليت شعرى كيف لا يعقل حب من
هذا وصفه وكيف لا يتاكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما لمن خفه لقصوره عن الابانة عن فرط
محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولو لا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لاحرقت سبحات وجهه
ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولو لا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الاعضاء ولو ركبت
القلوب من الجماد والحديد لاصبحت تحت مبادى انوار تجليه دكا دكا فانى تطيق كنه نور الشمس ابصار الخفافيش وسيأتى تحقيق هذه الاشارة
فى كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله تعالى فضول وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى اذ ليس فى الوجود تحقيقا غير الله تعالى و
افعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعال لم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره فمن عرف الشافعى رحمه الله مثلا وعلم وتصنيفه من حيث انه
تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعى الى غيره ولا جاوز محبته
الى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث هى صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات
الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة الى سواه ومن حد
هذا العشق انه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة اذ كل محبوب سواه يتصور له نظير اما فى الوجود واما فى الامكان فاما هذا
الجمال فلا يتصور له ثان لا فى الامكان ولا فى الوجود فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة نعم النافص القريب فى نقصانه
والحشيش واوراق القضبان فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها فى حق الله تعالى اذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والاوهام تختلف
باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة فى امثال هذه الالفاظ بل لا يبعد ان يتشاءم من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع
بسببه بناط القلب فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال اى رب
من خلق السماء قالت الله عز وجل قال فمن خلق الارض قالت الله عز وجل قال فمن خلق الجبال قالت الله عز وجل قال فمن خلق الفلو فقالت الله
عز وجل قال انى لاسمع لله شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وهذا كانه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد
فرمى بنفسه من الوجد وما انزلت الكتب الا ليطرب بها بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا
لكم فلم ترقصوا اى شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع
اباحته فى بعض المواضع والندب اليه فى بعض المواضع فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمس عوارض عارض فى المستمع وعارض
فى آلة الاسماع وعارض فى نظم الصوت وعارض فى نفس المستمع او فى مواظبته وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق لان اركان
السماع هى المستمع والمستمع وآلة الاسماع **العارض الاول** ان يكون المستمع امرأة لا يحل النظر اليها وتخشى الفتنة من سماعها و

ع ومن الجمال ما يقع به
العشق والسماع ومن الجمال ما يحب لذاته
وهو الجمال الحقيقى
ع اى جمال الافعال
ع اى جمال الصفات
ع اى جمال الصورة
ع اى جمال الصفات
ع اى جمال الصورة
ع اى جمال الصفات
ع اى جمال الصورة

في معناها الصبي الاعرد الذي تحتشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لاجل الغناء بل لو كان المرأة بحيث يفتن بصوتها في
المحاورة من غير الحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن ايضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته فان قلت فهل تقول ان ذلك
حرام بكل حال يحتمل للباب ولا يحرم الا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة فاقول هذه مسئلة محتملة من حيث الفقه يجاذبها اصلان
احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير
التفات الى الصور والثاني ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة
دائر بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها اوجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق فان الشهوة تدعو الى النظر في اول هيجانها و
لا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة الملامسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في
زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد اثر في تحريك الشهوة
فقياس هذا النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كالنساء لبشرة الاصوات فينبغي ان يتبع مثار الفتن وقصر التحريم عليه
هذا هو الاقيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها اذ يعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع
اصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذا يختلف هذا باحوال المرأة واحوال الرجل في كونه شابا وشيخا
ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان قبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لان القبلة تدعو الى وقاع في الصوم
وهو محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك ايضا بالاشخاص **العارض الثاني** في الآلة بان تكون من شعار اهل الشرب
او المخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة انواع ممنوعة وما عداذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل
وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الالات **العارض الثالث** في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شئ من الخنا والفحش
والهجو وما هو كذب على الله تعالى او على رسوله صلى الله عليه وسلم او على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة
وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك للقائل وكذلك ما فيه وصف امراة بعينها فانه لا يجوز وصف المراة
بين يدي الرجال واما هجاء الكفار واهل البدع فذلك جائز فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويهاجي الكفار وامر صلى الله عليه وسلم بذلك فاما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة و
سائر اوصاف النساء فهل فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امراة معينة
فان نزله فليتره له على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه
فينبغي ان يجتنب السماع راسا فان من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن
تنزيله على معان بطريق الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر كبواعث الصدع مثلا ظلمة الكفر وبضائع الخذلان والايمان
ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زعم المردودين ويذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا
وان نهاها المشوشة كدوام الانس بالله تعالى ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه
مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحدا يقول الخيمار عشرة بعجبة فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال اذا كان الخيمار عشرة بعجبة
فما قيمة الاشراد واجتاز بعضهم في السوق فسمع قائلا يقول يا سعد ربي فغلبه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كانه يقول السمع تربي
حتى ان العجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان اخر انشد بعضهم
وما زارني في الليل الا خياله ❁ فوجد عليه العجمي فسئل عن سبب وجده فقال انه يقول ما زاريم وهو كما يقول فان لفظ زاريدال في
العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الاخرة والخوف في حب الله
تعالى وجد بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولفظه فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر
هلاك الاخرة فجدير ان يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه اعضاؤه فاذ ليس في تغيير اعيان الالفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه
عشق مخلوق ينبغي ان يحترز من السماع باي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة
المتعلقة بجلال ربه الشريفة **العارض الرابع** في المستمع وهو ان تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة
اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيفما كان فلا يسلم وصف الصدغ والخد

والفراق والوصال الا وتحدث ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتدل دواعث الشر
وذلك هو النصب لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى والقتال والغلبة ايام بين جنود الشيطان وهي
الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها
الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ الى ان تستانف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير اسلحتها وتحميد سيوفها واسنتها
والسماع مستحدث لاسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه ليستضر به العارض الخامس ان يكون
الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه ايجم
في حقه كسائر انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه دينا له وصيرا ه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان
المواظبة على اللهو جناية وكان الصغير بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالمواظبة
على مثابرة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعا اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا
القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن للمواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة وهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه
من تفريغ القلب ذراحة القلب معالجة له في بعض الاوقات لتبعث دواعيه فتشتغل في سائر الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة
او في الدين كالصلاة والقراءة وحسبان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاسخن الحال على الجد ولو استوعبت الحيل ان الوجه لشوهته فتباح
ذلك فيوجب الحسن فجاسبيل الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخمر مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كسائر المباحات
فان قلت فبماذا تؤدي مساق هذا الكلام الى انه مباح في بعض الاحوال دون بعض فلم اطلقت القول اولا بالاباحة انا اطلاق القول في الفصل بلا
او بنعم خلف وخطأ فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فاما ما ينشأ من الاحوال العارضة المتصلة به من
خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل انه هو حلال ام لا قلنا انه حلال على الاطلاق مع انه حرام على المحرود الذي يستضر
واذا سئلنا عن الخمر قلنا انها حرام مع انها تحل لمن غص بلقمة ان يسيغها بها لم يجد غيرها ولكن من حيث انها خمر حرام وانما ابيحت لعارض
الحاجة والعسل من حيث انه عسل حلال وانما حرم لعارض الضرر وما يكون بعارض فلا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض
الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة فجملة من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت طيب موزون مفهوم وانما يحرم لعارض
خارج عن حقيقة ذاته فاذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي رضي الله عنه فليس
يحرم الغناء من مذهبه اصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا تجوز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل
ومن اتخذه صنعة كان منسوبا الى السفاهة وسقوط المروة ان لم يكن محرما بين التحريم فان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا
يأتي لاجله وانما يعرف بانه قد يطرب في الحال فيلم بهم لم يسقط هذا مروته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين
كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس بن عبد الاعلى سألت الشافعي رحمه الله عن اباحة اهل المدينة للسماع فقال
الشافعي لا اعلم احدا من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف فاما الحداء وذكر الاطلال والمراثي وتحسين الصوت بالحان
الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة وزفنهم
لهو وقد كان صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللعب لا يواخذ الله تعالى به الا ان يغني به انه فعل ما لا فائدة فيه فان
الانسان لو وظف على نفسه ان يضع يده على راسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع انه لا فائدة فيه لا يواخذ
به فكيف يواخذ باشعر والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لو قال هو باطل صريحا ما دل على التحريم
وانما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لامرأته مثلا لعبت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان
القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصدت التمليك الحقيقي الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فينزل على بعض المواضع التي
ذكرتها لك او ينزل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر انه اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة
ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمها ايضا بل قد ترد الشهادة بالاكل في
السوق وما يخرم المروة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على انه

اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن ايضا بغيره من كبار الائمة وان اراد والتحريم فما ذكرناه حجة عليهم **بيان** حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها + احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم ان لهو الحديث هو الغناء وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالقينة الا ما هو محظور فاما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها واما شراء لهو الحديث بالدين ليستبدل به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشتريا به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الاية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله كان حراما حكي عن بعض المنافقين انه كان يؤم الناس ولا يقرأ الا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر رضي الله عنه بقتله ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال والاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم واحتجوا بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الغناء بلغة حمير يعني السامد فنقول فينبغي ان يحرم الضحك وعدم البكاء ايضا لان الاية تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا ايضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون واراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه + واحتجوا بما روي عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء فلنا لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن

طلع البدر علينا + من ثنيات الوداع

+ واحتجوا بما روى ابو امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما رفع احد صوته بغناء الا بعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض انواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين فما يحرك الشوق الى الله او السرور بالعيد او حدوث المولود او قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار التي قلناها من الصحاح فالنهي في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في الف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيه اما الفعل فلا تأويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما اباح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النسيان والقصود واحتجوا بما روي عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شئ يلهو به الرجل فهو باطل الا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته امرأته فانه قلنا قوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على ان اللهو بالنظر الى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له الا التلذذ وفي هذا تلذذ على ان الفرج في البيضتين وسماع اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل ولا يحرم عليه شئ منها وان جاز وصفه بانه باطل + واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن الغناء ومس الذكر باليمنى حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء فمن اين يثبت ان عثمان رضي الله عنه كان لا يترك الا الحرام واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الغناء ينبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل ورفعه بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومر على ابن عمر رضي الله عنهما قوم يحدون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا اسمع الله لكم الا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فرفع اصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع وقال فضيل بن عياض رحمه الله الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود رضي الله عنه ينبت النفاق اراد به في حق المغني فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتوسل الى الناس ليرغبوا في غنائه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المسلمة وسائر انواع الزينة والتفاخر

ل ٥ كذا في الاصل ولعله ان ١٢ منه

ل ١ اي الكبر وهو ان يرى نفسه خيرا من غيره وهو حرام ١٢ منه

ل ٢ اي يستكبرون عن عبادتي كما قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ١٢ منه

ل ٣ الدرعابة بضم الدال المشددة وبالعين المهملة والتحتية والكاف والباء الموحدة ١٢ منه

ل ٤ اي الكذب ١٢ منه

ل ٥ اي رسوله الذي يتعبد به ١٢ منه

ل ٦ اي ما مسست ذكري بيميني ١٢ منه

بالحرث والانعام والزرع وغير ذلك ينبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك ترك عمر رضي الله عنه عن قرس يتجلى بخله وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته فهذا النفاق من المباحات واما قول ابن عمر رضي الله عنهما الا اسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال واما وضعه اصبعيه في اذنيه فيعارضه انه لم يامرنا فعا بذلك ولا انكر عليه سماعه وانما فعل ذلك هو لانه راى ان يتبع سمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه او ذكر هو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم بل يدل على ان الاولى تركه ونحن نسمي ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولى تركها اذا علم ان ذلك يوثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب ابي جهم اذ كانت عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة بل الحاجة الى استشارة الاحوال الشريفة من القلب بجملة السماع قد تصور بالاضافة الى من هو دائم الشهود للحق وان كان ذكره لا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصيري ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله تعالى هو الدائم فالانبياء عليهم السلام على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة واما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل الغريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فما يذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب هو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الملاعبة التي سبيلها جري الولد وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان ان شاء الله واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو روح للقلب يخفف عنه اعباء الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وتروحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط في سائر الايام والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الاعياء والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فاذا اللهو على هذه النية يصير قربة فهذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة الخسيسة فينبغي ان يستحي من ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن درجة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق علم قطعا ان تروحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثير الفهم الوجد ثم يثير الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاثة

المقام الاول في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع والمستمع اربعة احوال احداها ان يكون سماعه بمجرد الطبع لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو خسيس رتب لسماع الابل شرعا كما مر وكذا سائر البهائم بل لا نسبة لهذا اللذة الا الجماع فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة الحالة الثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة المخلوق اما معينا واما غير معين وهو سماع الشباب وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها الحالة الثالثة ان ينزل ما يسمعه على احوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب حواله في التمكن مرة والتغذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان المريد لا محالة مراده ومقصده ومقصد معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول اليه بقطع المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصد طريق هو سالكه ومعاملات هو مشتاق عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب وقبول او رد او وصل او هجر او قرب او بعد او تلهف على فائت او تشوف الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او يأس او وحشة او استئناس

او وفاء بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح بوصال او ذكر ملاحظة الحبيب مدافعة الرقيب وتحمل العبرات او تزايد الحسرات وطول
الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بدان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى الفتح الذي
يورى زنادَ قلبه فتشتعل به نيرانه ويفوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه احوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل
الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجه ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ وتتضرب
لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كي لا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى
ذكر كيفية فهم المتخاصين من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فانه حكي انه سمع بعضهم قائلا يقول ببيت قال الرسول غدا
نزور فقلت ندري ما تقول فاستفهم اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان النون ميما فيقول قال الرسول غدا نمر وجد
حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة
يزورون ربهم في كل جمعة مرة وحكي الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على دجلة بين البصرة والابلة فاذا بقصر حسن له
منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول كل ومتلوّن غير هذا لك احسن فاذا شاب حسن تحت المنظرة وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال الجارية
بالله وبحياة مولاك اعد علي هذا البيت فعادت فكان الشاب يقول هذا والله تلوني مع الحق في حال فيشهق شهقة ومات قال فقلنا قد
استقبلنا فرضٌ فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله تعالى قال ثم ان اهل البصرة خرجوا فصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال
صاحب القصر اشهدكم ان كل شيء لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بإزار وارتدى
بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يكون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت
بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن القيام على حسن الادب في المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما وقع سمعه ما يوافق
حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له كل يوم تتلون غير هذا بك احسن ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي
ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يجهل عليه ويكفر به ففي سماع
المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى ومثال الخطاء فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه
في نفسه وهو مخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون الى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون
عن جهل سابقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب احوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة ينبسط قلبه وتارة
ينقبض وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقسيه وتارة يليّنه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه فيضعفه عن
سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه احوال مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه متلون
ولعل الشاعر لم يرد به الا نسبة محبوبه الى التلون في قوله ورده وتقريبه وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر
محض بل ينبغي ان يعلم انه سبحانه وتعالى يتلون ولا يتلون ويتغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل للعارف
البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من عجائب او صاف الربوبية وهو تغير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل متغير سواه فلا
يتغير الا لم يتغير ومن اذياله لو جد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب وشمنه
للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا
يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين وقال عز وجل ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون فديث من سر قوله قلوب الجلال لا تجاوز حد
الادب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يفيد عليه الاكثرون فما تأدب السر من اضمار الاستبعاد
بهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابدا الآباد فلا يفوق عليه الا العلماء الراسخون
في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محراث الاسرار
القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا من عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف
عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس ففي هذا القدر من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية

ذلك معصية وغاية الخطأ هنا كفر واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المسمع فيغلب لوجه على مسمع غير لبيت واحد واحدهما مصيب في الفهم والاخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض حكما حكى عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول شعر سبحان جبار السماء ان الحب لفي عباء * فقال صدقت وسمعه رجل اخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصعد متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به او كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكى عن ابي القاسم بن برزون وكان قد صحب ابا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها انسان يقول فانشد * واقف في الماء عطشان * ولكن ليس يسقى * فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم ينفعه ذلك فقالوا له فما الذي عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهو اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات والاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مبادي ابواب الحقيقة بعد لو يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه الا في تفاوت رتبة التعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان تمكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين وكان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت شعر وداد كم تجبرا وجنكم قلى * ووصلكم صرم وسلمكم حرب * وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها حاصل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود فما امتلأت منها دار حبرة الا امتلأت عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا نظم تنح عن الدنيا فلا تخطبنها * والا تخطبن فتالة من تناكح * فليس فيها مرجو ما تجنى فيها * ومكروهها اما ناكث راج * لقد قال فيها الواصفون فاكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح * سلاف قصارا هارفاني ومركب * شهي اذا استذللته فهو جامح * وشخص جميل يؤثر الناس حسنه * ولكن له اسرار سوء قبائح * والمعنى الثاني ان ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه اذا تفكر فيه عرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته وحبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فهي مصدا وهذا البيت في نفسه وان كان على المرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال عليه الصلاة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره عن احوال هي درجات بعد بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله تعالى غير متناه والوصول الى اقصى درجات القرب محال والمعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خبايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستوحش البيت في حق الله تعالى شكاية من الفضاء والقدر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المسمع وصفاء قلبه الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات فغرب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى غرب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهي حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة عبر الصوفية بانه قد فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ايضا اذا التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود والمستهتر بالامر لا التفات له في حال استغراقه الى رويته والى عينه التي بها رأى وانه والى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والتلذذ لا خبر له من التذاذه انما خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق الخلق وتطرأ ايضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وان دام لم تطقه القوى البشرية فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا تفلت به نفسه كما روي عن ابي الحسن النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت ما زلت انزل من وداده منزلا * تحير الالباب عند نزوله * فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب فقطع وبقي اصوله مثل السيوف فصار بعيدا وفيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى رمت قدماه

Evaluation Only. Created with Aspose.Words. Copyright 2003-2010 Aspose Pty Ltd.

وساقاه وعاش بعد ذلك اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات لان السماع
على الاحوال نازل عن درجات الكمال وهي ممتزجة بصفات البشرية وموضع قصور واما الكمال الذي يفنى بالكلية عن نفسه واحواله عن
انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى اليد والسكين فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذا رتبة من خاض لجة
الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال والخد بصفاء التوحيد وتحقق بعض الاخلاص فلم يبق فيه منه شئ اصلا بل خرج بالكلية عن بشريته وفني
التفاته الى صفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة
خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا
حضر فيه غيره فكأنه لا وجود له الحاضر ومثاله المرآة الجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاج فانها تحكي لون
قرارها او لونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة استعداد لقبول الالوان ويعرب عن هذه
الحقيقة في سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر رق الزجاج ورقت الخمر + فتشابها فتشاكل الامر + فكأنما خمر ولا قدح + وكأنما قدح
ولا خمر + وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى
اتحاد اللاهوت بالناسوت او ندرعهما بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عبارتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرأة بصورة الحمرة اذا
ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذ كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات **المقام الثاني**
بعد الفهم والتنزيل الوجد والكلام طويل في حقيقة الوجد عند الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلنتقل
من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى
اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمع
السماع وارد حق وقال ابو الحسين الدراج مجزا عما وجدت في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جال في السماع في ميادين البهاء فاوجب
وجوب الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فادركت به منازل الرضاء واخرجني الى رياض التنزه والفضاء وقال الشبلي رحمه الله السماع ظاهره
فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبارة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة
لانه وصف يدنو عن سائر الاعمال ويدلك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفيته
الوجد عبارة لانه سر الله عند عبادة المؤمنين الملوقتين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد بن الاعرابي الوجد رفع
الحجاب عن مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب في محادثة السر وايناس المفقود وهو فناؤك من حيث انت وقال ايضا الوجد
اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن
الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصفا القلب ورق
وصفا وتجلت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل غريب وخوطب سمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر فشاهد ما كان منه
غائبا فذلك هو الوجد لانه قد وجد ما كان مفقودا عنده وقال ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او تنبيه على زلة او محادثة بالطيفة
او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب واسف على فائت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى ولي او مناجاة بسر وهو مقابلة
بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب بسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك لتسعى فيه فيكتب ذلك لك لعدم كونه منك
فينبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر علم الوجد واقوال الصوفية
من هذا الجنس في الوجد كثيرة واما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فاخرجتها
النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فسمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجات الطواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض
العاجز الى الرأي واستجلاب العازب من الافكار حدة الكال من الافهام والاداء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويعرج في كل رأي
وبية فيصيب ولا يخطي ويأتي ولا يبطي وقال اخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال بعضهم وقد
سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغى معشوقه
بالمنطق الجسمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجم الا انها روحانية و
اما العاشق البهيمي فانه لا يستعمل المنطق الجسمي ليعبر عنه ويموه ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف وقال آخر من حزن فليسمع الالحان

فان النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر بزجرها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المفرقة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى لذكر استكثار من ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي هو الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى القديرات واحوال ليست من العلوم مثل الشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع او يقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق او يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره وتبيين للظاهر تحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوي الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سببا للكشف ما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان في ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الوارد ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب للكشف ومنها انبعاث نشاط القلب فوق السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير حمل الاثقال فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق في صوة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن المسرور البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جهالتي وانا نشوان وكنت اغني بهذا البيت

بيت بطوف سيناء كرم ما مر بن به ✣ الا تجيت ممن ليشرب الماء ✣ فسمعت قائلا يقول **بيت** وفي جهلم ماء ما تجرعه ✣ خلق فما بقي لي في الجوف امعاء ✣ قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهلم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر وروي عن مسلم العباداني انه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين ايديهم اذا قائل يقول رافعا صوته **بيت** وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ✣ ولذة نفس عنها غير نافع ✣ قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعت الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء عليهم السلام اما على حقيقة صورتها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته واخبر عنه بانه سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى الى اخر هذه الايات وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يعبر عن ذلك اي الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وحكي ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين وكان يقول لما مضى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره فلا ينفعه ذلك حتى انتهى الى بعض المشايخ من الصوفية فسأله فقال له معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الان عرفت انك مؤمن وان ايمانك حق وكما حكي عن ابراهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فاقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لاصحابي يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال اي شيء قال الشيخ في فاحتشموا فالح عليهم فقالوا له قال انك يهودي قال فجاءني واكب على يدي وقبل راسي واسلم وقال لم ار في كتبنا ان الصديق لا تخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتأملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لانهم يقولون حديثه سبحانه فلبثت عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرسه في علمت انه صديق وقال صار الشاب من كبار الصوفية وفي مثل هذا الكشف اشارة بقوله عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما يحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطمع الشيطان حول قلبه

واليه الاشارة بقوله تعالى لاعبادك منهم المخلصين وبقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء
القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى ان ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية
ومعهم قوال فاستاذنوه فى ان يقول لهم شيأ فاذن لهم فى ذلك فانشا يقول نظم صغير هو لك عذبنى * فكيف به اذا احتنكا * وانت
جعلت فى قلبى * هوى قد كان مشتركا * اما ترثى لمكتئب * اذا ضحك الخلى بكى * فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر
فقال ذو النون الذى يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان
الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا فقد جمع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات
واعلم ان كل واجد منهما ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما
لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد فى احوالك الفريبة لها شواهد اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه
مسئلتان متشابهتان فى الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا فى الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير
وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه فى قلبه بالذوق ولا يشك فى
ان لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لنقصه فى نفسه بل لقصوره فى نفسه عن تناوله العبارة وهذا مما قد
يفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلم
سببه وقد يتفكر الانسان فى شئ فيؤثر فى نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر فى نفسه وهو يحزن وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا
شبيها فى نفسه يتفكر فى سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بكآبة اثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعبر
عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون
يختص به بعض الناس دون بعض وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعنى التفرقة بين الموزون والمنحرف فلا يمكنه التعبير
عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفى النفس احوال غريبة هذا وصفا بل المتعاطى المشهوة من الخوف والحزن والسرور انما يحصل فى
السماع عن غناء مفهوم واما الاوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة فانها تؤثر فى النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الاثار
وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرفه صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذى اضطرب قلبه بسماع الاوتار والشاهين وما اشبهه ليس يدرى
الى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كانها تقاضى امرا ليس يدرى ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لاحب آدمى ولاحب الله تعالى
وهذا له سر وهو ان كل شوق له ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثانى معرفة المشتاق اليه
ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق
ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشأ آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء
ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولكن لا يدرى انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس
يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك فى نفس الآدمى مناسبة مع العالم الاعلى والملائكة التى وعد بها فى سدرة المنتهى و
الفراديس العلا الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة
رجل ولا صورة نفسه فى المرأة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشهوة والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه
مستقره الذى اليه مصيره واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدرى ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذى لا يعرف
طريق الخلاص فهذا او امثاله من الاحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن
اظهاره والى ما لا يمكن اظهاره واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى ما هو محمود والى مذموم ويسمى الواجد وهذا الواجد المتكلف فمنه مذموم وهو
الذى يقصد به الرياء واظهار احوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها
والتحيل لايجادها بالحيلة فان للكسب مدخلا فى جلب الاحوال الشريفة ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يجد بكاء فى قراءة
القرآن بتباك ويتحازن فان هذه الاحوال المتكلف مبادیها ثم يتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا فى ان يصير متكلفا فى الاخر طبعا وكل من يتعلم القرآن اولا يحفظه بالتكلف
ويقرؤه بالتكلف مع تمام التأمل واحضار الذهن ثم يصير ذلك بدنا للسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب
نفسه اليها بعد تمامها الى آخرها ويعلم انه قرأها فى حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب فى الابتداء بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة

يد فيصير التكلف له طبعا فيكتب اوراقا كثيرة وهو مستو في القلب بفكر اخر فجميع ما تحمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابه
الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يقنع ايسا
منها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل
يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقدر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه وهو خارج
خرج عن حد اختياره فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف من سخطه و
غير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين
صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة التي له اسبابها ومن اسبابها السماع
ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان
تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب
من يقربني الى حبك فقد فزع عليه السلام الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات والى احوال وانقسامه
الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن
وهو كلام الله ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن اولى
به من الغناء فنقول الوجد الحق هو الذي ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا و
انما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق الخلق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع لسبب السماع في النفس فهو وجد
فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال
تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل
المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال لابي موسى الاشعري
لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود عليه السلام ولما الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن
فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود واخواتها خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد
وروي ان ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدموع وفي رواية انه عليه السلام قرأ
هذه الاية او قرئ عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قرأ ان تعذبهم
فانهم عبادك فبكى وكان عليه السلام اذا مر بآية رحمة دعا واستبشر واذا مر بآية عذاب تعوذ وقد ثنى الله تعالى على اهل الوجد
بالقرآن فقال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وروي ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل وامامن نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من
بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات وغشيته وروي ان زرارة بن اوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ فاذا نقر في
الناقور فصعق ومات في محرابه رحمه الله وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر
مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وكان ابو جرير من التابعين قراء عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي رحمه الله
قاريا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وسمع علي ابن الفضيل قاريا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين
فخر مغشيا عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد
كان الشبلي في مسجد ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فرؤي الشبلي
رعقة ظن الناس انه قد طارت روحه واصفر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يرد ذلك مرارا او
قال الجنيد خلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع اية من القرآن فغشي عليه
فقلت اقرؤا عليه فلان الاية بيتر اقترى فقال فقال من اين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من اجل مخلوق

ل
الاشعث ارى موضع نقرس
ع
ذوق اليمن
وذوق باب ضرب
ومعروف وذوق الصبح
سال وذوق الليم
وهما اسم الشهر بصنعاء
ع
فانس الله
يفرش وسيعلمك ترضى
سال كالوادي ان
ع
اذا رأت الفوارس
وشمرا ذا رأوا ريث الهدى
غير نهاه وموعظ
ليس بشيء مما ق
ع
الرجل كرضى
من المجاز وهو المخدوم
ع
وفي الصحاح الرجل
شيخ الرجل

فيخلوف ابصره لو كان عباد من اجل الحق ما ابصر تخلوف فاستحسن ذلك ونشير الى ما قاله الجنيد قول الشاعر ويكأس شربت على لذة
واخرى تداويت منها بها + وقال بعض الصوفية كنت اقرأ ليلة هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت اردد ها فاذا هاتف يهتف بي كم ترددها
هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن ما رفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما نظرت في سمعها اية من كتاب الله
تعالى فتجذبني الى الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا اتهنى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك
عطف منه عليك ولطف منه بك واذا رد ك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه
اليه وسمع رجل من اهل التصوف قارئا يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فاستعادها من القارئ وقال كرها قول الها
ارجعي وليس زوج وقواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم يوم الآزفة الاية فاضطرب ثم صاح ارحم من
انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطل عنك ثم غشي عليه وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اذا سمع احدا يقرأ اذا السماء انشقت اضطرب
او صاله حتى كان يرتعد وعن محمد ابن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشاطئ يقرأ وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل
يضطرب حتى غرق ومات وذكر ان سلمان الفارسي ابصر شابا يقرأ قارئا على اية فافتضح جلدا فاحبه سلمان وعهده فسأل عنه فقيل له انه
مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا ابا عبد الله ارايت تلك الشعيرات التي كانت تبدو فاها تتنفس في احسن صورة فاخبرته ان الله قد غفر له
بها كل ذنب وبالجملة لا يخلو صماخ القلب عن وجد عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صماخ القلب قد يؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال
الجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم اقبل على
الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فتشهق الرجل شهقة ومات فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين
دون القارئين فكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين وكان ينبغي ان تطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ
لا قوال فان كلام الله تعالى افضل من الغناء لا محالة فاعلم ان الغناء اشد تهيجا للوجد من القرآن من سبعة اوجه **الوجه الاول** ان
جميع ايات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو لائق به فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب
حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله تعالى والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الايات التي فيها بيان
احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج
في فهم الحال منها الى تكلف نعم من يستولي عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من
الالفاظ فقد يخطر وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية
وان كل انسان لا بد ان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيتركهما احد المحبوبين للثاني ويحبهما جميعا فيتغلب عليه الخوف والجزع او
يسمع ذكر الله في قوله يوصيكم الله في اولادكم فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى قسم
مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولاده نا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء وبوارقه ذلك
استبشارا وسرورا او يخطر له من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الاخرة للرجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان الهاء غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يؤخر في نعيم الاخرة
كما اخرت الانثى في اموال الدنيا فمثال هذا قد يحرك الوجد لكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ
وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى
يتسارع هيجانها وروي ان ابا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسئلة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشد
نظم رب ورقاء هتوف في الضحى + ذات شجو صدحت في فنن + ذكرتني الفا ودهرا صالحا + وبكت حزنا فهاجت حزني + فبكائي ربما ارقها + وبكاها ربما
ارقني + ولقد اشكو فما افهمها + ولقد تشكو فما تفهمني + غير اني بالجوى اعرفها + وهي ايضا بالجوى تعرفني + قال فما بقي احد من القوم الا قام ونواجد ولم
يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم حقا وصدقا + **الوجه الثاني** ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع
والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره في القلوب وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان
يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك ولو ابدل ببيت آخر لتجدد له اثر في قلبه

وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة الى الاول يحرك النفس وان كان للمعنى واحدا وليس يقدر القارئ على ان يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوى ان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال كذا كنا كنا ولكن قست قلوبنا ولا تظن ان قلب الصديق رضي الله عنه كان اقسى من قلوب الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرر على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التاثر به لما حصل له من الانس بكثرة استماعه اذ محال في العادة ان يسمع السامع اية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الاخر فكونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مالوف ان ناقض الصلعة ولهذا ترك عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف فقال قد خشيت ان يتخذ الناس بهذا البيت اى يتناسوا به ومن قدم حاجا فراى البيت اولا يبكي وخشع ويرعى عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه باثر فاذا المغنى يقدر على الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر القارئ على ذلك في الايات **الوجه الثالث** ان لوزن الكلام يذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الايات ولو خف المغنى البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا مؤثر فذلك طلب لشعر **الوجه الرابع** ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان التي تشبه الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلمات او القطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والمزامير والشاهين وسائر الاصوات التي لا تفهم **الوجه الخامس** ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجه الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب وكل واحد منها حظ في التاثير وواجب ان يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة او صورته صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقيد على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال الا المراقبون لاحوالهم فيعدل الى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال اظهروا النكاح ولو نصب الغربال او بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت الربيع بنت معوذ وعندها جواريتان فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما في غد على وجه الغناء فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها ودعاها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذا يتعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يهيج السماع محرك القلب فواجب في الاحتراز العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغناء **الوجه السادس** ان المغنى قد يغني ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينبو عنه ويشتد على غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو جمعوا في الدعوات على القارئ قريبا يقرأ آية لا توافق حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فاية الرحمة شفاء الخائف واية العذاب شفاء المغرور والامن وتفصيل ذلك مما يطول فاذا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يحتسب سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالا على ما اراد الله تعالى واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل لخطر الموافقة للحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك هذا ما يقدح في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن سماع القرآن في حالة الجمع والاوقات ومههنا وجه سابع ذكره ابو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة

الحقوف والشعر لسبته لنسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بمعانى الابيات من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا فكان اوثب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا ننعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة ونبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى الفصا فاول من انبساطنا الى كلام الله تعالى الذى هو صفته وكلامه الذى هو منه بدأ واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكى عن ابى الحسن الدراج انه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت اسأل عنه فكل من سألته قال أيش تعمل مع ذلك الزنديق ضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت فى نفسى قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل اسأل عنه حتى دللت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فاذا هو شيخ بهى حسن الوجه والهيئة فسلمت عليه فاقبل على وقال من اين انبلت فقلت من بغداد فقال وما الذى جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو ان فى بعض هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نغتنى لك دارا او جارية اكان يفيدك ذلك عن المجئ فقلت ما امتحننى الله بشئ من ذلك ولو امتحننى ما كنت ادرى كيف اكون ثم قال لى الخمر ان تقول شيأ قلت نعم فقال هات فانشأت اقول **قطعة** راينك بنى دائما فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بنى كانى بكم والليت افضل فيكم الا ليتنا كما اذ الليت لا يغنى فقال فاطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال لابنى تلوما اهل الرى يقولون يوسف زنديق هذا انا من صلاة الغداة اقرأ فى المصحف لم تفطر من عينى قطرة وقد قامت القيامة على اهل البيتين فاذ القلوب وان كانت محترقة فى حب الله تعالى فان الطبع الغريب يهيج منها ما لا يهيج تلاوة القرآن وذلك لان الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القرآن فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل فى قوى البشر لعدم مشاكلته للطبعه وروى ان اسرافيل استأذن النون المصرى دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت فى الارض بابهمه ويبكى بعين فقال هل لحزن ان تنم بشئ قال لا قل فانت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب عرف طبعه علم انه تحركه الابيات والنغمات تحريكا يصادف فى غير فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره وقد ذكرنا حكم المقام الاول فى فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب فلنذكر الان اثر الوجد اعنى ما يترشح منه الى الظاهر من صفقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول **المقام الثالث** من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم فاما الآداب فهى خمس **جمل الاول** مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء والاكمل الزمان والمكان والاخوان ومعناه ان لا يشتغل به فى وقت حضور طعام او خصام او صلاة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان بغير اعى حالة فراغ القلب واما المكان فقد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريها لصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك واما الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر السماع متنزها الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به وكذلك اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته والى مراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يراءى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى فمتى هذه الشروط نظر **المستمع الادب الثانى** وهو نظر الحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى ان يسمع فى حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذى ينتفع بالسماع احد ثلاثة اقلهم درجة هو الذى لم يدرك من الطريق الا اعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل اللهو ليلهو ولا من اهل الذوق ليشتغل بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه الثانى هو الذى له ذوق السماع ولكن لم يبدو فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكر هذا انكارا تاما من غوائله وربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامتنت غائلته وانفتحت بصيرته وتمكن على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا افتح له باب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على ما يجوز وعلى ما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التى هى كفر اعظم من نفع السماع قال سهل رحمه الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه عبد مملوك لحب الدنيا وشهوة الجاه والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع

عليه طريقه فاسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشيء
قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فمن ادخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لو رايته انا لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا
سمع ونظر اليه اذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد صدقت **الادب الثالث** ان يكون مصغيا الى ما يقول القائل حاضر القلب قليل
الالتفات الى الجوانب محترزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح
الله تعالى له من رحمته في سر متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادئ الاطراف محترزا عن
التنخم والتثاؤب ويجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق قلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف
والمراءاة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه
الاختيار فليعد الى هدوئه وسكونه ولا ينبغي ان يستدبره حياء من ان يقال انقطع وجده عن القرب وكاد ان يتواجد خوفا من ان يقال هو
قاسي القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يحضر مجلس الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت
ذلك مرة اخرى لم تحضني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه
لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه وروي ان موسى عليه السلام قصر في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه وقميصه فاوحى
الله تعالى الى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك قال ابو القاسم النصرابادي لابي عمرو بن عبيد انا اقول اذا اجتمع
القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان يغنوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من ان تغتاب
ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور
تارة يكون لضعف لوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح
فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب
الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجده دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال و
لا يبعد ان تكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كما كنتم فتغيرت قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق
ملازمة الوجد في كل الاحوال فيحتمل في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتاثر به
فاذا قوي الوجد تحرك وقوي العقل والتماسك تضبط الظاهر وقد يغلب احدهما الاخر اما لشدة قوته واما لضعف يقابله ويكون النقصان
والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضطرب بنفسه على الارض ثم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن ثم وجد امن
المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح هادئة في الظاهر ساكنة وقال ابو الحسن
محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في اخر عمره
قرا رجل بين يديه فالیوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فراينه قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي فقد
ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان
هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية وسبب القدرة
على ضبط الظاهر مع وجود الوجد سواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل رحمه الله تعالى انه قال حاكني قبل الصلاة وبعدها واحدة
لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه
بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي
الدنيا في اذني ما شغلت بها ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم انور من فضل الوجد فان
قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا للمساعدة اخ من الاخوان وادخاله للسرور
على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا
على الاقتداء به في صبره ورزانته طبعا لهم وان اتفق حضوره بهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بادبهم تائبين عنهم بقلوبهم وجوارحهم كما
يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبعضهم نقل عنه ترك السماع ويظن انه كرهه كان سبب

تركه استغناء عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان هو من أهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من **الادب الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رفص ونباكى فهو مباح اذا لم يقصد به الرآء لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم عجلوا لما ورد عليهم سرور اوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب اخو جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فقضى بها جعفر لخالتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فتجمل علي وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فجمل وراء جمل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فجمل نبيد وراء جمل جعفر ثم قال عليه السلام بي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي رواية انه قال لعائشة رضي الله عنها انجبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن والتجمل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق فحكم هيجانه ان كان فرحه محمودا او الرقص يزيد ويوكد فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل الفتوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب ماله صورة اللعب واللهو في اعين الناس فينبغي ان يجتنبه المقتدى به لئلا يحقر في اعين الناس فيترك الاقتداء به واما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة المكره او ان يكون له في الحركة او التمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان ان يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجعه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه ولم يرجع ومعناه انه في بعض الاحوال قد ينتهي الى هذا الحد في بعض الاشخاص فان قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك ربما اذا فرق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود فهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي ان تكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار **الادب الخامس** موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طائفة بتحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة رضي الله عنهم وانما المحذور بدعة ينازع سنة مأمورا بها ولم ينقل النهي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الاحوال كما روي انه انس رضي الله عنه ولكن اذا لم يثبت فيه نهي علم فلا نهي به بأسا في البلاد التي جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فان المقصود منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب به وكذلك سائر انواع المساعدات اذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل ومن الادب ان لا يقوم للرقص مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذا الرقص من غير اظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن بقي مسترسلا ولا يستثقله الطباع فهو من الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب حكمه الصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الواجدين له اذا كانوا على اشكاله غير اضداد فان قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام انه باطل وهو مخالف للدين فلا يراه ذو حجى في ابتداء ويكره

فعلم ان الجملة لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد داى الحبشة يزفنون في المسجد وما انكر لما ان كان في وقت لائق به وهو
العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة فهم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب المذمومين والحق مباح ولكن للعوام من الزنوج و
الحبشة ومن اشبههم وهو مكروه تنزيها للمناصب لانه لا يليق بهم ومكروه لكونه غير لائق بمنصب فلان المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فمن
سال فيما اشيا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سال فلم يعطه رغيفا او رغيفين كان ذلك منكرا عند الناس كافة و
مكتوبا في تواريخ الاخبار من جملة مساويه ويعير به اعتابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال انه حرام لانه من حيث انه اعطى
خبز اللفقير حسن ومن حيث انه باضافة الى المنصب كما لم به باضافة الى الشفقة مستحق فكان ذلك الرفض مما يجرى مجراه من المباحات و
مباحات العوام سيئات الابرار وحسنات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب واما اذا نظر اليه في نفسه
وجب الحكم بانه هو في نفسه لا تخيير فيه والله اعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا
وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحل لهم السماع منهم الا
ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لا يذله على صورة المخلوقين ولكن يتخذ عادة له في اكثر الاوقات
على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت الحسن واما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك
السماع منه الا الصفات المحمودة والله اعلم وصلى الله على محمد واله

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تشتفح الكتب الا بحمده + ولا تنشرح النعم الا بواسطة كرمه ورفده + والصلاة على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده و
على اله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده + **اما بعد** فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو لقطب الاعظم في الدين + وهو المهم
الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين + ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت
الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد + وان لم يتفرد بالهلاك لكونه يوم
التناد + وقد كان الذي حضنا ان يكون + انا لله وانا اليه راجعون + اذ قد انه رين من هذا القطب عمله وعلمه + وانمحى بالكلية حقيقته
ورسمه + واستولت على القلوب مداهنة الخلق واتخذ عنها مراقبة الخالق + واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال
البهائم + وعز على بساط الارض مؤمن صادق لا تاخذه في الله لومة لائم + فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا
بعمامها او متقلدا لتنفيذها مجدد الهذه السنة الدارسة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة الفضل
الزمان على اماثلها + ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها + وها نحن نشرح علم ذلك في اربعة ابواب +
الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته **الباب الثاني** في اركانه وشروطه **الباب**
الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المالوفة في العادات **الباب الرابع** في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والحث على اتمامه

ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الايات والاخبار والاثار اما الايات فقوله تعالى ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون فختم الآية ببيان الايجاب فان قوله تعالى
ولتكن امر في ظاهره الامر لا الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا
فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الاخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة فاذا
صمما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الاخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان نفا علم عنه الخلق اجمعون
عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون
يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم
بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الاخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة فقد نعت المؤمنين بانهم يامرون بالمعروف فالذي يحرك الامر بالمعروف

ناشئ

خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علل استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ تبين انهم كانوا خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فذكر ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهو امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد طرق الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم أثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الاية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الاية والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي وذلك هو النهي عن المنكر واما الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن تفسير هذه الاية فقال ارها ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسلط مهابتهم من اعين الاشرار فلا تخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عنده الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال عليه افضل الصلاة والسلام ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته دحضت حجته وثقلت بلاياه وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام وامر بالمعروف ونهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم كله عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكرا لله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رأيتم المعروف منكرا ورأيتم المنكر معروفا قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى في حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عبدا يوم القيامة ظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفعه

لا تقنن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجلا ولن يحرم رزقا هوله وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز وهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة للخلق لهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما سيح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بناحيين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن ولم يأمنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فرأوا ان مجاورة السباع وارى القول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ فهزوا الى الله انى لكم منه نذير مبين قال فخر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من الشرف لقلنا ما هم بافضل من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فينادیها فتجيبه ويسألها ان امرت فتحبره وليس نبي وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاجبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويزجرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فنبهم فنبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل عنهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الاخر فنهاهم فلم يطيعوه فنبههم فنبره فاعتزل عنهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزلهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سبتهم سبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني ولو سبتهم سبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها قال فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر فيّ ساعة قط وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا منهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع الذئب الى الغنم والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب اذا انتهكت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لو نال قل الناس ام كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف قال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له انت كريم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب رضي

رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يبش القوم قوم لا يأمرون بالقسط ويبش القوم قوم لا يأمرون بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر واما الاشعار ففقال ابو الدرداء رضى الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وينتصرون فلا ينصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم و
سئل حذيفة رضى الله عنه عن بيت الاحياء فقال الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان جبريل من احبار
بنى اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بنى
مهلا وقال سقط من سريره فانقطع تقاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه فى الجيش فوحى الله تعالى الى نبى زمانه ان اخبر فلانا الجبار
لاخرجن من صلبك صديقا ابدا بيا كان من غضبك لى الا ان قلت مهلا يا بنى مهلا وقال حذيفة يأتى على الناس زمان لا تكون
فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم واوحى الله تعالى الى يوشع بن نون عليه السلام انى مهلك من قومك
اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبى واكلوهم و
شاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت ولم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار لابن مسلم
الخولانى كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف
ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب بو مسلم وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأتى العمال ثم قعد
عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يحدثون فى انفسهم فقال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذى فى غير الذى فى وان سكت رهبت ان
اثم وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجرى بمشهد منه وقال على بن ابى طالب
رضى الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب معروفا ولم ينكر المنكر
نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله رحمه الله ايما عبد عمل فى شئ من دينه بما امر به او نهى عنه وتعانى به عند فساد الامور وتنكرها
وتشوش الزمان فهو ممن وفى لله فى زمانه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير
بقلبه فقد جاء بما هو الغاية فى حفظه وقيل للفضيل الا تنهى وتأمر فقال ان قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل
للثورى الا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا تبقى البحر فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الان شروطه وشروط وجوبه

الباب الثانى فى اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الركن فى الحسبة التى هى عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر اربعة المحتسِب والمحتسَب عليه والمحتسَب فيه ونفس الاحتساب
فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط **الركن الاول المحتسِب وله شروط** وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبى
الكافر والعاجز ويدخل فيه احاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه و
وجه اطراح ما اطرحناه **اما الشرط الاول** وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب
فما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان الصبى المراهق للبلوغ المميز ان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهى
واذا فعل ذلك لأجله ثوابا ولم يكن حده منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة فيها وسائر القربات وليس
حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتنا ه للعبد احاد الرعية نعم فى المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة
ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب سلحته فان للصبى ان يفعل ذلك حيث لا ينتصر به فالمنع من الفسق
كالمنع من الكفر **واما الشرط الثانى** وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد اصل الدين وعدوه
واما الشرط الثالث وهو العدالة فقد اغتر بها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استندوا فيه بانكار الوادد على من يأمر بما لا يفعله
مثل قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون، وبما روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر
ونأتيه وبما روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى صلى الله عليه وسلم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وربما استند الوادد من
طريق القياس بان هداية الغير فرع الاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع الاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف

يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج وكل ما ذكروه خيالات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم جمهم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء فلم يأمر احد بشيء فيجب ما كان ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان ينهى من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الا ينام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا فلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن اين يبعد ان يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدامه من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني من العصيان باحدهما ان اعصي الله تعالى بالثاني واذا كان النهي واجبا علي فمن اين يسقط وجوبه بما قدمناه اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلاة فانا اتوضأ وان لم اصل والتسحر وان لم اصم لان المستحب له السحور والصوم جميعا ولكن يقال احدهما مرتب على الاخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويم نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول والجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فلا نقول بترتب احدهما على الاخر تحكم واما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم ان من توضأ ولم يصل كان مؤديا امر الوضوء وكان عقابه اقل ممن ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن عصى ولم يتنه كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة واما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والانثمار فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنا ويقول انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وهاانا غير محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل سامع سليم فالجواب ان الحق قد يكون شنيعا وان الباطل قد يكون مستحسنا لجاج والتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قال انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قال انه مباح فذاك له ان يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باذدياده على الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر واما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك المهم الى ما لا يغني فتنفر ايضا عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يخرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الزنا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة وليشهد بالزور لان الشهادة بالزور والفحش اشد من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا لا استبعاد في النفوس لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب انه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لو تزيد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الاخرة من معصيته اكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر في الطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجامه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا وما صدر منه غير طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالفهر ولا يتخير وعظ من لا ينعظ اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا اسقط فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال له فانت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن اضاد المسلمين ويعمل اباه وهي مظلوم منهم

تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب هو الوعظ فقد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة الفعلية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في ازالة المنكر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة واما الايات التي استدلوا بها فهو انكار عليهم من حيث زكيهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن دل امرهم على فرط علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع فرط علمه وفي قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وفي قوله عز وجل وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر لغيره استدلالا به على علمهم وتاكيد الحجة عليهم وفي قوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاثم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز الكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان قوله لا يزني حق في نفسه فمحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو مسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا يزني فليس يحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة على الاحتكام على المسلم وفيه اذلال المحكوم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا يزني من حيث انه نهي بل نقول انه اذا لم يقبل لا يزني يعاقب عليه ان رأى خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في التفقهيات ولا يليق بغرضنا الان **الشرط الرابع** كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرطوه وهذا الشرط وان يثبتوا للاحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الايات والاخبار التي اوردناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب عليه ايمانا كما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف وما يجري مجراه الا مع الامام المعصوم وهو الامام الحي عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه وذلك للمسلم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لاحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق ان يناول عز التحكم على المسلم واما احاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يخرج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعروف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي وشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي اولها التعريف والثاني الوعظ بالكلام اللطيف والثالث السب والتعنيف والسب عنى بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى والرابع المنع بالقهر طريق المباشرة كسر الملاهي واراقة الخمر واخذ الثوب الحرير من لابسه واستلاب المنديل المغصوب منه ورده على صاحبه والخامس التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب في هذا فيحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتخجيل والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الكلام جائز عند امام جائر كما ورد في الحديث فكذا جائز الحكم على الامام على مرتكبته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي والمنع من شرب الخمر فانه تعاطى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام واما جمع الاعوان وشهر الاسلحة وذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة

فقال له مروان ان ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا امر هذه الامة ما دخول السلاطين نحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروى ان المهدى لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال لسطر ما اذا تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد او القرب حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من موالي بني هاشم فقال لعبد الله بن مرزوق قل نعم فاخذ بيده حتى جاء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اسطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا شتى الخلق ليعقره الفرس فلبن الله تعالى له الفرس قال ثم صيروه الى البيت واخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاوذن به المهدى فقال من اخرجك فقال الذي حبسني قال من حبسك قال الذي اخرجني فضحك المهدى وصاح وقال ما نخاف ان قتلك فرفع عبد الله اليه راسه يضحك وهو يقول لو كنت قتلك حياة او موتا فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلوا عنه فحج الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من يديهم ان يحج مائة حجة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها وروى عن جبان بن عبد الله قال نثر هارون الرشيد بالدين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يجد غناءها فقال لها ما شانك فقالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلفظ النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فرأى العود فاخذه فضرب به الارض فاخذ الخادم وذهب الى صاحب الربع فقال احفظ بهذا فانه طيبة امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طيبة امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هارون فقال اني مررت على شيخ يلفظ النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى العود فاخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع فيضرب عنقه ويرمي به في الدجلة فقال لا ولكن ابعث اليه فناظره فقال ايجب يا امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال فجاء بمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون فرفع ما قد منا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقاموا معه الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا من كمك وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا عشاء الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هارون للخادم اي شيء تريد منه قال في كمه النوى قلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل هارون يستحيي ان يقول كسرت عودي فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباك واجدادك يقرؤون هذه الآية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ورأيت منكرا فغيرته فقال فديتك فوالله ما قال لا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رأيته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يرمها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

نظم

ارى الدنيا لمن هي في يديه * هموما كلما اكثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه * وخذ ما انت محتاج اليه

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت هنيئة حسن الوجه حدثنا ايمن بن وائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل اضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت تخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لا قصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روي عن المامون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مامورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له انه بلغني انك رأيت نفسك اهلا للامر بالمعروف

والنهي عن المنكر من غير ان تامرك وكان المامون جالسا على كرسي ينظر في كتاب وقصة فاغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به
فقال له الحسبك ارفع قدمك عن اسمك الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال ماذا تقول حتى عاده ثلاثا فلم يفهم فقال اما رفعت او
اذنت لي حتى ارفع فقال قد اذنت فرماه بالكتاب فنظر المامون تحت قدمه فرأى الكتاب في خفه وقبله وخجل ثم عاد وقال لي ائتنا مرارا بالمعروف وقد جعل
الله ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر فقال صدقت يا امير المومنين انت كما وصفت نفسك عن السلطان والتمكن غيرنا اعوانك واولياؤك فيه لا ينكر ذلك الا من
جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف الاية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان
انقدت لهما شكرت لمن اعانك لحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الله اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع
اجر من احسن عملا فقال لان ما شئت فعجب المامون بكلامه وستره وقال مثلك يجق له ان يامر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا و
عن رأينا فاستمر الرجل على ذلك فنرجع الى بيان الدليل على الاستغناء عن الاذن فان قيل فتثبت ولاية الحسبة للولد على
الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما تثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج
على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية او بينهما فرق فاعلم ان الذي نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق
في التفصيل وينقرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا الحسبة خمسة مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاولين وهما التعريف ثم
الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب. وهما الرتبتان الاخريان وهل له الحسبة بالرتبة
الثالثة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو ان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد
الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او سرقه او اخذه عن اداء دار ورزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه معينا او يبطل
الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فصله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب
بخلاف الضرب والسب لكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فضل الولد حق وسخط الاب منشاه حبه للباطل وللحرام والاظهر في
القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكى فاحشا
وسخطه عليه قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قبيحا والسخط شديدا كما لو كانت آنية من بلور او زجاج على
صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب ليس بخرجه هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال
النظر فان قيل ومن اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والايذاء في ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما
من غير تخصيص واما النهي عن التعنيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص
ما يوجب الاستثناء من العموم ادلا خلاف في ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه في الزنا حدا ولا له ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل
ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا لم يجز له ايذاؤه
بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان
يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزومه الحق وان كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن في
الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة ان تسجد لزوجها وهذا يدل على تاكيد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فلا امر فيها اشد
من الوالد فليس لها معه الا التعريف والنصح فاما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته ورده
الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وارافة الخمور من بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وذلك
محذور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد
منشاه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ
فلا امر فيما بينهما اخف لان الحزم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه
الذي تعلمه منه وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب فسكت عنه
الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله فيكره معاصيه وينكرها وقال

ف ٢ ضربت عليه خرجا فصار الخ
ف ٣ وينبغي ان لا يكسر الخ
صحيح

ف ٤ التعنيف قول كما مر
ف ٥ فيجوز له الخ

ف ٦ يشق ثوبه ويكسر الخ

ابن مسعود رضى الله عنه جاهدوا الكفار بايديكم فان لم يستطيعوا الا ان تكفهر في وجوههم فعلوا واعلم انه لا يخف سقوط
الوجوب على العاجز الحتى بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان
انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين
اربعة احوال احداها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما يحرم في
بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويقعد في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب لا يلتئم بمفارقة
ذلك البلد والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد او يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه
لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه * الحالة الثانية ان ينتفي المعنيان جميعا بان يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله و
لا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة المطلقة * الثالثة ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب
عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعار الاسلام وتذكير الناس بامر الدين الرابعة عكس هذه وهو ان يعلم انه يصاب
بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر او يضرب العود الذي في يده ضربة
خطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب ليس بحرام بل هو
مستحب ويدل عليه الخبر الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما روي عن ابي
سليمان الداراني رحمه الله تعالى انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن
كان في ملاء من الناس فخشيت ان يغير ذلك قلوب الخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة قلنا لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب
الاية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى والى من لم يفعل
ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم
لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا لذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار
كالاعمى يطرح نفسه على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم اية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقتل الى
ان يقتل وعلم انه يكسر قلب الكفار بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة بهم وجبنهم للشهادة في سبيل الله
فتنكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في رفع المنكر او
في كسر جلد الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين واما ان رأى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه
لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ادري للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب ان يؤثر في الدين اثرا وفيه بنفسه
فما تعرض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له في الدين بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر
او ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط ان يقتصر المنكر عليه فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا تجب له
الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضي ذلك الى منكر اخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم انه لو احتسب لبطل
ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر اخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان المفضي حكمه حكم المنكر
الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه شرب
صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا
لمنكر واما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه
فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح
شاة لغير ليا كلها وعلم انه لو منعه من ذلك لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه
يحمله على اختناقه له بذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق يقول تعالى
ينبغي له ان لا يحتسب الا في الجليات المعلوم كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من
الاحوال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة

الا بتعيين الوالى اذ ربما يتندب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور دياكنه فيودى الى وجوه من الخلل وسيأتى كشف الغطاء
عن ذلك ان شاء الله فان قيل وحيث طلقتم العلم بان يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبنه فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا الظن
الغالب فى هذه الابواب فى معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يرجح العلم اليقينى على الظن، ويفرق بين العلم والظن
فى مواضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد و
هو مع ذلك لا يثق مكروها فقد اختلفوا فى وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعمومات الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر تقتضى الوجوب بكل حال ونحن انما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر
ليس يراد لعينه بل للمأمور فاذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فما اذا لم يكن يأس فينبغى ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذى
تتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل ان
يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند اليقين بانه لا يصيبه مكروه ام يجب فى كل حال الا اذا غلب
على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب فى محل الشجين لا يسقط الوجوب فان
ذلك ممكن فى كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه
والمكروه هو الذى يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه او ظن انه
لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى فضيلة العمومات الموجبة للامر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف
القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويراع منه والمتهور الشجاع يبعد توقع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق
به الا بعد وقوعه فعلى ما ذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب بسببه تقصر فى
القوة وتفريط والتهور افراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد
من الجبن والتهور يصد تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة تبع
لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرأته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة و
الممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يميل الشر البعيد فى تخيله وتخيل قوته فى الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب فى حق
الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول
الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدى فى المناظرة والوعظ مثلا قد يعجز منه طبعه لضعفه فاذا مارس و
اعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال علم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف حكم سائر المعذورين
فى التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على الجملة لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر ويجب
على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر فى وجوب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد
يكره طول لسان المحتسب عليه فى حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه ان يكره السعاية به
الى السلطان او يقدح فيه فى مجلس يضره بقدحه فيه فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به قلنا هذا ايضا نظر غامض وصورته منتشرة فى
مجار به كثيرة ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع الى اربعة امور اما فى النفس
فالعلم + واما فى البدن فالصحة والسلامة + واما فى المال فالثروة + واما فى قلوب الناس فقيام الجاه فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه
ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة الى
بلوغ الاغراض وسيأتى تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع اليه فى ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه
والمختصين به ويكره فى هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعنى اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر
الا فى فوات حاصل وزواله او تعويق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات امكانه كأنه فوات حصوله
فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغى ان يكون مرخصا فى ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله فى المطالب
الاربعة + اما العلم فمثاله ترك الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على
الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لا يبرح رجاء خوفا من ان يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحة المنتظر واما المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من

ل تنتهى الاوراق
فيزاد موضوعه
تنتهى وتشويه
الا فاتتدب
ويستحب الا ان
يستحب ١٢
مصحح
ل ٢ فى زاد
تحذير الامة
على الفضل
وترك الفضائل ١٢
مصحح

ل ٣ الى السلطان

ماله خيفة من ان يقطع ادراره فى المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها فى المستقبل خيفة
من ان لا يحصل له جاه وخيفة من ان يفوت حاله عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه
زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا عجاز واما الضرر الحقيقى فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شئ الا ما تحقق اليه
الحاجة ويكون فى فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة
الطبيب ويعلم ان فى تاخره شدة الضنا به وطول المرض وقد يفضى الى الموت واعنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول
الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص فى ترك الحسبة واما فى العلم فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا
ولا قدرة له على الرحلة الى غيره وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا
الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يرجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وشدة الحاجة الى
العلم لتعلقه بمهمات الدين واما فى المال فكمن يعجز عن الكسب والسوال وليس هو قوى النفس فى التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد و
لو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر فى تحصيله الى الطلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص له فى السكوت
واما الجاه فهو ان يؤذيه شريرا ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا الجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس
الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه امور كلها
اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتى فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب
الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة وهذا امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر
دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله مطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما
عملت من سوء او خير محضرا عند الله ولو فى ثلثة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور فيما الله بظلام للعبيد * واما القسم الثانى وهو فوات الحال
فهو مكروه ومعتبر فى جواز السكوت فى الامور الاربعة الا العلم فان فوائده غير محوج لا بقصيرة منه ولا فانه لا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة
والثروة وللمال وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم فى الدنيا ويدوم ثوابه فى الاخرة فلا انقطاع له ابدا الآباد واما الصحة والسلامة فقوامها بالضرب فكل من علم انه
يضرب بضربا مؤلما يتاذى به فى الحسبة لم تلزمه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا فى الايلام بالضرب فهو فى الجرح والقطع والقتل
اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه تنهب داره وتخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس بان يفدى دينه
بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد فى القلة لا يتكرث به كالجبة فى المال واللطمة الخفيف الهين فى الضرب وحد فى الكثرة يتغير اعتبار
ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه فمثاله بان يضرب ضربا غير مؤلم او
يسب على ملاء من الناس او يطرح مندیله فى رقبته ويدار به فى البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو
قادح فى الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص فى
السكوت لان المروءة مما يسعى بحفظها فى الشرع وهذا مؤلم للقلب الذى يزيد على المرض بان مفسدته وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة الثانية فما
يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج فى ثياب فاخرة يجمل وكذلك الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب كلف المشى فى السوق فى ثياب لا
يعتاد هو مثلها او كلف المشى راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ المروءة محمود فلا ينبغى
ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفى معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له بالسنة اما فى حضوره بالتجهيل والتفسيق والنسبة الى الرياء والبهتان واما فى غيبته بالوقوع فى الغيبة فهذا لا
يسقط الوجوب اذ ليس فى الانزوال فضلات الجاه التى ليس الدين عليها كثير حاجة ولو ترك الحسبة بلوم لائم او باغتياب سفيه او تشنيعه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم يكن للحسبة
وجوب اصلا اذ لا تنفك الحسبة عنه الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت عن الغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه فى
الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب لزيادة المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا يجب عليه لان غيبته اهون معصية
فى حق الغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت العمومات على تاكد وجوب الحسبة وعظم
الخطر فى السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم فى الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها فما فيها الجاه والحشمة و
درجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له * واما امتناعه لخوف شئ من هذه المكاره فى حق اولاده واقاربه فهو فى حقه دونه
لان تاذيه بامر نفسه اشد من تاذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان له ان يسامح فى حقوق نفسه وليس له المسامحة فى حق غيره فاذا

العلم والثناء

ينبغي ان يمنع فانه ان كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر بمنكر يفضي الى منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء المسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي ذلك الى اذى في نفسه فليتركه و ذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان لا يناله اذى في مال ونفس ولكن يناله اذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها وبدرجات الكلام المحذور في تكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل يقاتله عليه فان قتل فقاتل فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف قلنا يمنعه عنه ويقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الفرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز على معنى انا نفقد درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصد لاخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل فلو علمنا انه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دم بتوهم معصية ولكنا اذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه فان قتلناه فان قتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فان المعصية لها ثلاثة احوال احداها ان تكون منصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الاحاد الثانية ان تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فبطلان هذه المعصية واجب بكل ما يمكن مما لم تؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للاحاد والرعية الثالثة ان يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر بعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للاحاد سلطنة على العازم على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للاحاد ولا للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب المؤدي اليها ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمامات النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فحق الحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب. وكما ان تحقيق هذا اذا بحث عنه يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصد العاصي وراءه كما ان الخلوة بالاجنبية في نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها قد اهون على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة **الركن الثاني** للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط فلنبحث عنها **الاول** كونه منكرا * ونعني به ان يكون محذورا لوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من رأى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره ويمنعه وكذا ان رأى مجنونا في مجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا ليس معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة ولا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالاجنبيات واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة **الشرط الثاني** ان يكون موجودا في الحال * وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس الى الاحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال لكن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فالحسبة عليه الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه **الشرط الثالث** ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس * فكل من ستر معصية في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روي ان عمر تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت انا قد عصيت الله من وجه واحد فانت قد عصيته من ثلاثة اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة وكذلك

شاور عمر الصحابة رضى الله عنهم وهو على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له ان يشاور على رضى الله عنه
بان ذلك منوط بعد لان فلا يكفى فيه واحد وقد اوردنا هذه الاخبار فى بيان حق المسلم من كتاب اداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت فيما
حد الظهور والاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية الا ان يظهر فى الدار ظهورا
يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى و
كذلك اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة فاذا انما يدرك
مع تخلل الحيطان صوت او رائحة فاذا شمت روائح الخمر فان احتمل ان يكون ذلك من الخمور المجففة فلا يجوز قصدها بالرائحة وان علم بقرينة الحال
انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تشتد رائحة الخمر فى الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهى فاذا رؤى
فاسق وتحت ذيله شئ لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذى معه خمر اذ الفاسق محتاج ايضا
الى الخل وغيره فلا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض فى الاخفاء مما يكثر وان كان الرائحة فمحله هذا محل النظر
والظاهر ان له الاحتساب لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم فى امثال هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان الثوب الساتر له
رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهر ظهوره فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستر الله وننكر على من ابدى
لنا صفحته والاباء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان نخصص ذلك
بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس امارات تفيد العلم فاذا انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا علم انه خمر وليس له ان يقول ارى لا علم انما
فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واوثرت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فانا ما طلبنا الامارة المعرفة
فلا رخصة فيه اصلا الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا احتساب فيه فليس للحنفى
ان ينكر على الشافعى اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعى ان ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث
ذوى الارحام وجلوسه فى دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاريه الاجتهاد نعم لو راى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ و
ينكح بلا ولى ويطأ زوجته فهذا فى محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل
بموجب اجتهاد غيره ولان الذى ادى اجتهاده فى التقليد الى شخص رأه افضل العلماء ان له ان يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب
اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل فاذا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه يلزم
من هذا امر اغمض منه وهو ان يجوز للحنفى ان يعترض على الشافعى اذا نكح بغير ولى بان يقول له الفعل فى نفسه حق ولكن لا فى حقك فانت
مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب الشافعى ومخالفة ما هو صواب عندك معصية فى حقك وان لم تكن صوابا
عند الله وكذلك الشافعى يحتسب على الحنفى اذا شاهده فى اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له اما ان تعتقد ان الشافعى اولى بالاتباع
ثم تقدم عليه اولا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم يخرج هذا الى امر اخر فى المحسوسات وهو ان يجامع الاصم مثلا امرأة على قصد الزنى وعلم
المحتسب ان هذه امرأته زوجها ابوها اياها فى صغرها ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عارف بلغته فهو فى الاقدام
مع اعتقاده انها اجنبية عاص ومعاقب عليه فى الدار الاخرة فينبغى ان يمنعها عنه مع انها زوجته وهو بعيد من حيث انه حلال فى علم
الله قريب من حيث انه حرام عليه لجهل غلطه وجهله ولا شك فى انه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا من مشيئة
او غضب او غيره وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن فاذا رآه يجامعها فعليه
المنع عنه باللسان لان ذلك زنا الا ان الزانى غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما يوجب الصفة
لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يلحق ذلك عند ذلك عن زنى المجنون وقد بينا انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا
عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا
هو الاظهر والعلم عند الله فتحصل من هذا ان الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلا ولى وان الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون
المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا فيها بحسب ما
ترجح عندنا فى الحال ولسنا نقطع بخطأ المخالف فيها ان رأى انه لا يجوز الاحتساب الا فى معلوم على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا الا حسبة
فى مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن لا شبه عندنا ان الاجتهاد يجرى فى محل الاجتهاد فيبعد غاية البعد ان يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عندنا

فى جهة بالدلالة الثنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن غيره اذ ربما يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى انه يجوز
لكل مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد غير معتد به ولعله لا يعرف مذهب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان ثبت فلا يعتد به
فان قلت اذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلا ولى لانه يرى انه حق فينبغى ان لا يعترض على المعتزلى فى قوله ان الله لا يرى وقوله
ان الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوى فى قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا
ينبغى ان يعترض على الفلسفى فى قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء ايضا ادّى اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك
هو الحق فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من خالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص
ان الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتاويل فكذلك تثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كمسئلة النكاح بلا ولى ومسئلة
شفعة الجوار ونظائرهما فاعلم ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيه كل مجتهد مصيب وهى احكام الافعال فى الحل والحرمة وذلك
هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطأ بعضهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر
وقدم الكلام ونفى الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لخطأه الذى هو جهل محض عبرة
فاذا البدع كلها ينبغى ان تخصم ابوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا
يعتقدون ان ذلك حق لان خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد فان قلت فهلا اعترضت على القدرى فى قوله الشر
ليس من الله اعترض عليك القدرى ايضا فى قولك الشر من الله وكذلك فى قولك ان الله يرى وفى سائر المسائل اذ المبتدع محق عند نفسه والحق
مبتدع عند المبتدع وكل يدعى انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب فاعلم ان لاجل هذا التعارض نقول نظر ال البلدة التى فيها اظهرت
تلك البدعة فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فليس الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل
البدعة واهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة فالمقابلة فليس للاحاد الحسبة فى المذاهب الا بنصب السلطان فاذا رأى السلطان
الرأى الحق وضربه واذن لواحد ان يزجر المبتدعة عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل و
ما يكون من جهة الاحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة فى البلد اهم من الحسبة فى كل المنكرات ولكن ينبغى ان يراعى فيها
هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيه ولا يجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بان القرآن
مخلوق او ان الله لا يرى او انه مستقر على العرش حماس له او غير ذلك من البدع لتسلط الاحاد على المنع منه ولم يتقابل الامر فيه و
انما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط **الركن الثالث** المحتسب عليه + وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه
منكرا ولعل ما يكفى فى ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان
قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزنى بمجنونة او يأتى بهيمة وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا
فى حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت الى اخلاق التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه الفقيه والمسافر
المريض والصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التى بها يتهيأ توجه اصل الانكار عليه لا ما بها يتهيأ التفاصيل فان قلت فكيف يكون
حيوانا ولا يشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد دعا لانسان تكلف منعها منه كما يمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة فاعلم
ان تسمية ذلك حسبة لا وجه لها اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله ضيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن ان يزنى
واتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبى عن شرب الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان
فعله معصية والثانى حق للمتلف عليه فهما علتان تنفصل احداهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه فقد وجد المعصية
وسقط حق المجنى عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة اذا اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت
المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت
ميتة او شربت من اناء فيه خمر او ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم
اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بنيل تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو ولحقها فاروره فلنا
فندفع الجرة لحفظ الفارورة لا لمنع الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة للفارورة ومنع المجنون من الزنى
واتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبى لا صيانة للبهيمة المأتية او الخمر المشروب بل صيانة المجنون عن شرب الخمر وتنزيهه له من حيث انه انسان

محترم فهذا لطائف دقيقة لا يفطن لها الا المحققون فلا ينبغي ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد
في منعهما من لبس الحرير ونحو ذلك وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث فان قلت فكل من يراعي بهائم قد استرسلت في زرع انسان
فهل يجب عليه اخراجها وكل من يرى ماله المسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه قلنا ان ذلك واجب فهذا تكليف
شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره وان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب
سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير ان يناله نصب
في بدنه او خسران في ماله او نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو اقل درجات الحقوق
والادلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا اقل درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام فان الاذى في هذا اكثر من الاذى
في ترك رد السلام بل لا خلاف في ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها رجع الحق اليه وجب عليه ذلك
وعصى بكتمان الشهادة فمعنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه فما ان كان عليه نصب وضرر في مال او جاه لم
يلزمه ذلك لان حفظه مرعي في منفعته بذل في ماله وجاهه لحق غيره فلا يلزمه ان يفدي غيره بنفسه نعم لا يثار مستحب وبخشم لاصناع
لاجل المسلمين قربة فاما ايجابها فلا فاذا ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه
صاحب الزرع من نومه او باعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتنبيهه كاهماله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن
ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته
مال كثير فيترجح جانبه لان الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الالف حفظ الالف ولا سبيل للمصير الى ذلك فاما
اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع منه وان كان فيه نصب لان المقصود حق
الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه ان يتعب منه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها
تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات الحقوق
التي يجانبها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا احداهما ان الالتقاط هل هو واجب في اللقطة ضائعة والمتعذر مالكها من
الضياع وسباع في الحفظ والخوف فيه عندنا ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او تبقى كما لو
كانت في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كانت في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت
بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما واللقطة ايضا
انسان وله حق في ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله فان كانت ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد تعب التعريف فهل ينبغي
ان يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه سنة تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلزم طلبا للثواب و
قائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب لشاهد في حضور مجلس الحكم فانه
لا يلزمه السفر الى بلد اخرى الا ان يتبرع به فاذا كان مجلس القاضي في جواره لزم الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا في غرض قائم
الشهادة واداء الامانة وان كان في الطرف الاخر من البلد واحوج الى الحضور في الهاجرة وشدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر
فان الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط
يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا في محل الشبهة والنظر فيه من اشبه بالزمنة التي لا يتمرن مقبله ودابر الشهر ازالتها اذ لا علة تقرب بين احزابها كالتفكر بيد
ولكن للمتقي ان ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا نهاية الكشف عن هذا الاصل **الركن الرابع** في بيان مراتب الاحتساب وله درجات اربع
اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب
وتخشينه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود **اما الدرجة الاولى** وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان
المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يستريب في السمع على دار غيره ليسمع صوت لاوتار ولا ان يستنشق ليدرك
رايحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف بشكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو اخبر عدلان او واحد
بان فلانا يشرب الخمر في داره او بان في داره خمرا اعد للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستيذان ويكون تخطي ملكه
بالدخول للتوصل الى دفع المنكر كشق باسه بالضرب للمنع مهما صار اليه وان اخبر عبدان او عدل واحد فبالجملة كل من تقبل روايته

شهادته ففي جواز الهجوم على داره نظر والاحتمال الاول ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى بان يحمل مراد امنه وقد قيل انه كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت **الدرجة الثانية** التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا عرف انه منكر تركه كالساهي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليست بصلاة ولو مضى بان لا يكون مصليا لذلك اصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالاموال لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لان خلقته لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تالم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة وموذيا للقلب فلابد وان يعالج دفع اذاه بلطف ورفق فنقول اما ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلاة فصلينا العلماء ولعل قرينك خالية عن اهل العلم او عالمها مقصر في شرح الصلاة وايضاحها وانما شرط الصلاة الطمانينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذورا لسكوت على المنكر واستبدله عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقعت على خطاء في غير امر الدين فلا ينبغي ان تردعه عليه فانه ليستفيد منك علما وصيانك عرضه اذا علمت ان تغنيم العلم وذلك عزيز جدا **الدرجة الثالثة** النهي بالوعظ والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله تعالى ويتوعد عليه باخبار الواردة بالوعيد في ذلك ويحكى له سيرة السلف في عبادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بجر ازار نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور الشيطان يتبدل بجمله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم ومن جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية المتداعية الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان يمتحن المحتسب به نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو بحيث لو سكت بغير تعنيف فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان انتاظ ذلك العاصي لوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من انتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى فيه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي رحمه الله ارأيت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال اخاف عليه السوط قال انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى عليه قال اخاف عليه الداء الدفين **الدرجة الرابعة** السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنى ونحوه فانه ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غشيم ونحو هذا الجنس فان كل فاسق فهو احمق وجاهل ولو لا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة اداب احدها ان لا يقدم عليها الا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني ان

لا يطيق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه هذا الكلام الزاجر ليس يزجره فلا ينبغي ان يطلقه بل يقتصر على اظهار الغضب والاستخفاف له والازراء بمحله لاجل معصيته وان علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار له **الدرجة الخامسة** التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير من راسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار المغصوبة باليجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب ما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة اداب احدها ان لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان يدفعه او يجره واذا قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فاذا لم يشق ذلك بنفسه كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا يأخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يخرق الملاهي والصليب الذي يظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفتنة بالكسر وحد الكسر ان يصير الى حالة تحتاج في استئناف صلاحه الى نصب يساوي نصب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي اراقة الخمر يراعى في كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظرفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقوم بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر بيده لكنه تعمد بانه بالجرح والضرب لتوصل الى اراقة الخمر فله ذلك لان حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يعد ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله فله ان يكسرها فليس عليه ان يضيع منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث كانت الاراقة متيسرة بلا كسر فكسر لزمه الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر برجل في الاخراج عن الارض المغصوبة ليكون ذلك ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر الاعدام فهو اما عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لا حق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمر زجرا وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك واذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها وانما جوزنا ذلك للامام لحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها تبعا لتخمرها اذا حلت عنها فهو اتلاف مال لا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وبهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدود عن ذلك صاحب الامر لعلمه بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر لا سبيل الى الغائه فهذه نكتة دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة الى معرفتها **الدرجة السادسة** التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا والا كسرت راسك او لاضربن رقبتك ولامرن بك وما اشبهه وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لاهدمن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيد بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن اذا علم ان ذلك ما يمنعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو في معنى

مبالغة الرجل فى اصلاحه بين شخصين وتاليفه بين الضرتين وذلك مما فد رخص فيه للحاجة وهذا فى معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص والى هذا المعنى اشار بعض الناس انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف فى الوعيد كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضى عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا فى حق العباد وهو كذلك اذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام **الدرجة السابعة** مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع واذا اندفع المنكر فينبغى ان يكف والقاضى يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب على التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك مالم تترفتنة كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة او كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغى ان لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما اشبهه ويرعى فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق فى ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين وقال المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للآحاد **الدرجة الثامنة** ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدى ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا هذا قد ظهر الاختلاف فى احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لانه يؤدى الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوان والثوانى الى ثوالث وقد ينتهى لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغى ان يبالى بلوازم الامر بالمعروف ومنتهاه بتجنيد الجنود فى رضى الله ودفع معاصيه ولحن يجوز للآحاد من الغزاة ان يجتمعوا ويقاتلوا من اراد وا من فرق الكفار وقطاع الطريق فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا بأس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناصل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب لحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر فى الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبيد اعوانه وبنفسه وباعوانه والمسئلة اذا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق **بيان اداب المحتسب** قد ذكرنا تفاصيل الآداب فى آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب العلم والورع وحسن الخلق * اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه * والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض و لتكن كلماته ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب ويورث ذلك جرأة عليه * واما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع قبول لحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يفيد الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصير المحتسب على امن فى دين الله والا فاذا اصيب بعرضه او ماله او نفسه بشتم او ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر بل ربما كانت الحسبة ايضا منكرة لجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل **نظم** لا تلم المرء على فعله * وانت منسوب على مثله * من ذم شيئا واتى مثله * فانما يزرى على عقله * ولسنا نعنى بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب بظهوره للناس هذا روى عن انس رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوا كله واوصى بعض السلف بنيه وقال ان اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالصواب من الله فمن وثق بالصواب من الله لم يحب بمس الاذى فاذا من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر

لا يقبح من الله ان يوعد بما لا يفعل
لان العفو مندوب اليه
فان الخلف فى الوعيد كرم
الخلف فى الوعيد
هذا العفو اذا تعارض
مع
مفسدة
ترى عليه
ترى من يأمر
عليه
ترى
والترك بالشى
ازالة المنكرات
مصلح

ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف وقال حاكيا عن لقمان يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما اصابك ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روى عن بعض
المشائخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار ولا و
اخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور
وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في ان تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم
بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول
ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم ويدل على وجوب
الرفق ما استدل به المامون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني و
امره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء صلوات الله عليهم فقد روي انه
ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ائذن لي في الزنى فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادنه فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة والسلام احببته لامك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم احببته
لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم احببته لاختك وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل
واحدة لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه
يعني من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا
به وعزله ووبخه فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل
ازاره فهم اصحابه ان يأخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال له يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال احب ان ترفع من
ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن ذكريا الغلابي شهدت عبد الله بن
محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت
فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن اخي ثم قال لي يا ابن اخي فاستحيى الغلام فجاء اليه فضمه الى
نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار الى منزله فادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيتيه عندك واذا افاق من سكره فعلمه ما كان منه و
لا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما افاق ذكر له ما جرى فاستحى منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد امرت ان تأتيه فادخله عليه فقال له
اما استحييت لنفسك اما استحييت لشرفك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت فيه فبكى الغلام منكسا راسه ثم رفع راسه وقال
عاهدت الله تعالى عهدا ليسالني عنه يوم القيامة اني لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وانا تائب فقال اذنت مني فقبل راسه و
قال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون
معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون وعن الفتح بن شخرف قال نغلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين
لا يدنو منه احد الا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده اذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه
بكتف الرجل فوقع الرجل على الارض ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك فقال ما ادري ولكني
حاكني شيخ وقال لي ان الله عز وجل ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدمي وهيبته هيبة شديدة ولا ادري من ذلك الرجل فقالوا له هو
بشر بن الحارث فقال واسوأتاه كيف ينظر الي اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة اهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيها آثارا
واخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة واذا بها والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه

الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات فنشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك

منكرات المساجد اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت
عليه مكروه وليس بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه واذا قلنا منكر
محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلاة بترك الطمانينة

فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهى عنه الا عند الحنفى الذى يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلاة او لا ينفع النهى معه ومن رآه مسيئا فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الاثر وفى الخبر ما يدل عليه او ورد فى الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك يجب للحسبة فيه ومنها قراءة القرآن بالتحن يجب النهى عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف فى المسجد يضيع اكثر اوقاته فى امثال ذلك وينشغل به عن التطوع والذكر فلينشغل به فان هذا افضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهى فرية تتعدى فائدتها فهى افضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا وعن الكسب الذى هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذى يلحن فى القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان لا يكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان لا لكثر صحيحا او ليس يقدر على الشولة فلا بأس له ان يقرأ ولكن ينبغى ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه ايضا وجه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى به بأسا والله اعلم * ومنها ترتيل المؤذنين فى الاذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الجهات او افراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الاخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تغييرها فان صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد ويؤذن قبل الصبح فينبغى ان يمنع منه فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يتوهم على اذانه فى صلاة وترك سحور وكان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح * ومن المكروهات ايضا تكبير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع الفجر فى مسجد واحد فى اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد وجماعة فانه لا فائدة فيه اذ لم يبق فى المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى يبلغ غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف * ومنها ان يكون الخطيب لابسا الثوب اسود يغلب عليه الابريسم او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب واما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله تعالى البيض ومن قال انه مكروه وبدعة اراد به انه لم يكن معهودا فى العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهى فلا ينبغى ان يسمى بدعة ومكروها وكم ترك للاحب * ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب فى اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه الا على قصد اظهار الرد عليه او المكافأة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصى وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وعفوا لله ورحمته وثوقا يزيد لسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر يجب منعه عنه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اليق واقرب بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضى الله عنه لو نادى منادٍ يوم القيامة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادى منادٍ يوم القيامة ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخفت ان اكون انا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا مترينا للنساء فى ثيابه وهيئته كثير الاشعار والاشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغى ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهر الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين والا فلا يزداد الناس به الا تماديا فى الضلال ويجب ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضى الله عنها فقيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدثن بعده لمنعهن واما اجتياز المرأة فى المسجد مستترة فلا نمنع منه الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا وقراءة القرآن بين يدى الواعظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف * ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وكتابة الرقوم والسؤال وقراءتهم القرآن وانشادهم الاشعار وما يجرى مجراه فهذه الاشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل الشعبذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات فى الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا

حرام فى المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشترى فهو حرام * ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا فى المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المحل على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فان لم يكن شئ من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجرى فى اوقات نادرة وايام معدودة فان اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرا كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه ان يجر الى الكثير فليمنع منه ولكن هذا المنع الى الوالى او الى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالى لانه يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح فى نفسه لمخافة ان ذلك يكثر * ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى فى المسجد ولا باس بدخول الصبى المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روينا فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عائشة رضى الله عنها حتى نظرت الى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد ولا شك فى ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولو يرد ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يا بنى ارفدة كما نقلناه فى كتاب السماع واما المجانين فلا باس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم له او شتمهم او نظهر مما هو فحش او تعاطيهم ما هو منكر فى صورته كالكشف للعورة وغيره فاما المجنون الهادئ الساكت الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران فى معنى المجنون فان خيف منه القذف اعنى القئ او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن اكل الثوم والبصل فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد لكن يحمل ذلك على الكراهة والامر فى الخمر اشد فان قال قائل ينبغى ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغى ان يلزم القعود فى المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب هما كان فى الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند فراره او شهادة شاهدين فما لمجرد الرائحة فلا لانهم اذا كانوا يمشون بين الناس متماثلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد منعاله عن اظهار اثر السكر فان اظهار اثر الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب سترها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مختفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس فى موضع الخمر وبوصوله الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغى ان يعول عليه

منكرات الاسواق من المنكرات المعتادة فى الاسواق الكذب فى المراجعة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وارجح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يحذر المشترى بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى خيانته وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه ان ينبه المشترى عليه والا كان راضيا بضياع مال اخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت فى الزراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالى حتى يغيره ومنها ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك فى محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من اعتقد وجوبه وكذلك فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مانعة للعقود وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة * ومنها بيع الملاهى وبيع اشكال الحيوانات المصورة فى ايام العيد لاجل الصبيان فذلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الاوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير واعنى التى لا تصلح الا للرجال او يعلم بعادة البلد انه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة الذى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس الخرق الثياب بالرفو وما يؤدى الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المؤدية الى التلبيس وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره

منكرات الشوارع فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاكين متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الحبوب والاطعمة وغيرها على الطرق فكل ذلك منكر ان كان يؤدى الى تضييق الطريق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الخشب واحمال الاطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك فى الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث

يضيق الطريق ويحبس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لاجلها في العادة دون سائر الحاجات * ومنها سوق الدواب عليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب اذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فانه منكر يمنع منه بل حقه ان يختفي في دكانه مذبحا فان في ذلك تضييقا للطريق واضرارا بالناس بسبب نزشيش النجاسة واضرار بسبب استفزاز الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة على جوانب الطرق وتبديد قشور البطيخ وروث الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء من الميازيب الخارجة من الحائط في الطريق الضيقة فان ذلك يحبس الثياب ويضيق الطريق فلا يمنع منه في الطريق الواسعة اذ العدول عنه ممكن في مانع السيل المطر والاوحال والثلوج في الطريق من غير كنح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كنح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للاحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه وان كان لا يؤذي لا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع **منكرات الحمامات** منها الصور التي تكون على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يد فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائز فهو يكفيه ان يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوان * ومنها كشف العورات في النظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة والركبة الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حراما كالنظر اليها ومنها الاسبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتمييز الاعضاء ذوات الاعجاز فهذا مكروه ان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا اذا لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحمام الذمي من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها ان تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز كشف العورات للرجال * ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول له انا نحتاج ان نغسل اليد اولا ثم نغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي وما يجري مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر * ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر يجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك زلق السيدر والصابون المرمي على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان منزل بين الذي تركه وبين الحمامي اذ هذه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات فليعتبر بها وفي الحمام امور اخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك

منكرات الضيافة فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير المجمر في مجمرة فضة او ذهب او الشرب او استعمال ماء الورد في اواني الفضة او ما رقع منها من فضة * ومنها ابسدال الستور او عليها الصور * ومنها سماع الاوتار وسماع الغنيان * ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر على الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يحل له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور التي على النمارق والوسائد والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤس بعض الحمام على شكل طير وذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل

حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته بعد ذلك وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب في الله تعالى والبغض في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح انه ذلك منكر ويجب النهي عنه ان كان مميزا لعموم قوله عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يانس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذره في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتماله والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي الخرق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الان فيه رخصة * ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز فان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وان كان ذلك يمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يفعل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان متعشيا اليوم مائة مرة واعدت عليك الكلام الف مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي جد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات * ومنها الاسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران احدهما الاضاعة والاخر الاسراف والاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر في معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا ومعه عياله واولاده ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه منه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا وانزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يهتد على شيء وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو ايضا اسراف محرم ومثل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه المنكرات الجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها **المنكرات العامة** اعلم ان كل قاعدة في بينة اينما كان فليس خافيا في هذا الزمان عن منكر من حيث القاعدة عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية واجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاوره من اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم وليستصحب مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها مغصوب فان قام بهذا الامر واحد سقط الحرج

عن الاخرين والاعم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره فى الخروج واما الجاهل فلتقصيره فى ترك التعلم وكل عامى عرف شروط
الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك فى الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم فكل من
تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمرى الاثم على الفقهاء اشد لان قدر تهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا
حرفتهم لبطلت معائش فهم فقد تعلقوا بامر لا بد منه فى صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد فى بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم
ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى وكذلك كل من يتيقن ان فى السوق منكرا يجرى على الدوام او فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره
فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر
على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه واما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من
غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم يتعدى بعد
الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى اهل السواد المكتنف ببلده ثم الى اهل البوادى من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا
الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والاحرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض
جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا اشغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجارته
الا وقات فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ولا يقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو لهم منه

الباب الرابع فى امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين فى القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الخوف بالضرب
والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان
فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين فى القول كقوله يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجرى مجراه
فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض
للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم افضل
الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصف النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال قرن من حديد لا تأخذه فى الله لومة
لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون فى الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل
فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين انواع العذاب صابرين عليه فى ذات الله تعالى
ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد
اوردنا جملة من ذلك فى باب الدخول على السلاطين فى كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تشرف وجه الوعظ وكيفية
الانكار عليهم فمنها ما روى من انكار ابى بكر الصديق رضى الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء و
ذلك ما روى عن عروة رضى الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت
تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من
هذا الرجل سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبينا هم فى
ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال
فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه عليه السلام ثم
مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم
حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف
يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وانا معهم فقال
بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداهم اكم بما تكرهون تركتموه فبينا هم فى ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فوثبوا اليه وثبة رجل واحدة فحاطوا به يقولون انت الذى تقول كذا انت الذى تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب الهتهم و دينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذى اقول ذلك قال فلقد رأيت منهم رجلا اخذ بمجامع رداه قال وقام ابو بكر الصديق رضى الله عنه دونه يقول وهو يبكى ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله قال ثم انصرفوا عنه وان ذلك لاشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط وفى رواية اخرى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابى معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروى ان معاوية رضى الله عنه حبس العطاء فقام اليه ابو مسلم الخولانى وهو يخطب فقال له يا معاوية انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم وغاب عن اعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال ان ابا مسلم كلمنى بكلام اغضبنى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان و والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل وانى دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدى ولا من كد ابى فهلموا الى عطائكم وروى عن ضبة بن محصن العنزى قال كان علينا ابو موسى الاشعرى اميرا بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وانشاء يدعو لعمر رضى الله عنه فقال فما ظنى ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكونى يقول ان ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى فكتب اليه عمر ان اشخصه الى قال فشخصنى اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الى فقال من انت فقلت انا ضبة بن محصن العنزى قال فقال لى فلا مرحبا ولا اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل لى ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصى من مصرى بلا ذنب اذنبته ولا شئ اشينه فقال ما الذى شجر بينك وبين عاملى قال قلت الان اخبرك به انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انشأ يدعو لك فظننت ذلك منه ففمت اليه فقلت له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكونى قال فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لى ذنبى يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا امير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشى مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من فعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما رأى ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شئ نزل بى قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان فى الغار خرق فيه حيات وافاع فالقمها ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منه شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوذيه فهشمته حية وجعلت دموعه تتحدر على خديه من الم ما يجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه ايطمانينه لابى بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلى ولا نزكى فاشينه لا آلوهم نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لى اجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام فبماذا اتألفهم فمض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحى فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابى موسى يلومه وعن الاصمعى قال دخل عطاء بن ابى رباح لى عبد الملك بن مروان وهى جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا ابا محمد ما حاجتك فقال يا امير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله فى اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله فى اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيما بعد بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا

ابا محمد انا ما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضينا ما فيه حاجتك انت فقال مالي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف
وقد روى ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة
فمر به عطاء بن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له الشيخ ادخل الى امير المؤمنين فانه امرك بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر ابن عبد العزيز
فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال ويلك امرتك ان تدخل الي رجلا يحدثني وبسيا ترى
فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختارني الله له فقال له حاجبه ما قرب بي احد غيرك ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل عليه
يحدثه فكان فيما حدثه عطاء ان قال له بلغنا انك في جهنم واديا يقال له هبهب اعدك الله لكل امام جائر في حكمه فضحك الوليد من قوله و
كان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فرمى على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المؤمنين فنهض عطاء على
ذراع عمر بن عبد العزيز فضمن عمر غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله
انه قال ما كنت سنة اجد لم غمزتي ذراعي وكان ابن ابي شيلمة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد
الملك تكلم فقال بم اتكلم وقد علمت كل كلام تكلم به المتكلم عليه ويل لا ما كان لله فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل
الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الناس في القيامة لا يجوزون من غصص مرارتها ومعائنة الردى فيها الا من
ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لاجرم لاجعلن هذه الكلمات نصب عيني ما عشت ويروى عن ابن عائشة
ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل حسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا يا ابا سعيد الى
الى ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا اذ ذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا
منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد مالي اراك ساكتا قال ما عسيت ان اقول قال اخبرني
برايك في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان
كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فقول ابن
عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لم تستطع انت ولا احد من
الناس ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها وتقول انه ان كانت لعلى هناة فالله حسيبه والله ما احد فيه قولا اعدل من هذا فنبسة الحجاج
الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير
واوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين الانس تكلمه بهواه وتفتات
في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذاك
اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول قتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار
والدرهم قال نعم قال فما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق ليبينن للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك عليك لسانك
واياك ان يسلقني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك * وحكي ان حطيطا الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط
قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ان سئلت لا صدق وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لا شكرن
قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال
اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب
ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه في اخر رمق فقال
اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فانيته انا وصاحب له فقلنا حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة
سنة رحمه الله عليه وروى ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وفقهائها فجعل يسالهم
وكان عامر الشعبي فجعل لا يساله عن شيء الا وجد فيه عنده علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال يا هذا ان هذا رجل اهل الكوفة
يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن فامر الحاجب فخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امين
امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولن في حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع
النصيحة لهم وقد بلغني عن العصابة من اهل الدينار الامر اجد عليهم فاقبض طائفة من عطائهم فاصنعه في بيت المال ثم من بعد ان ارد عليهم

فيبلغ امير المؤمنين انى قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الى ان لا تردّه فلا استطيع ردّ امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مأمور على
الطاعة فهل على في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما السلطان
فالد يخطئ ويصيب قال فسرّ بقولي واعجب به ورأيت البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد
سمعت قول الامير يقول انه امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزضى حقهم و
النصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة
وتقول اني ربما قبضت من عطائهم واردت صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المؤمنين اني قبضته على
ذلك النحو فيكتب الي ان لا تردّه فلا استطيع ردّ امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المؤمنين والله احق ان
يُطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فامض وان وجدته
مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين ينزلك عن سريرك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة ان الله لم يمنعك
من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية الله واني احذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين
فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المؤمنين فان امير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما وكّاه الله تعالى ما وكّاه من امره هذا لما علمه به وما أنيله من فضله ونيله فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من وراء ذلك
سوط يسوطك وغضب بغضب الله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على امر آخرتك خير من ان تلقى جلادا
يُعنّفك ويُنيّفك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه
وصِلَته فقال اليك عني يا عامر فقال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفانا فكان اهلا لما ادّى اليه و
كنا اهلا ان يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا و
قال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد الله ان لا اشهد سلطانا بعد هذا المجلس ثم حاباه ودخل محمد بن واسع على
بلال بن ابي بردة فقال له ما تقول في القدر فقال جيرانك اهل القبور فتذكر فيهم فمن فيهم شغلا عن القدر وعن الشافعي رضي الله عنه قال
قال عيسى محمد بن علي اني لحاضر مجلس امير المؤمنين ابي جعفر المنصور وفيه ابن ابي ذئب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى القدريون
فشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال الحسن يا امير المؤمنين سل عنهم ابن ابي ذئب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذئب
فقال اشهد انهم اهل تخطئ في اعراض الناس كثيرة الاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال القدريون يا امير المؤمنين سله عن الحسن بن
زيد فقال يا ابن ابي ذئب ما تقول في الحسن بن زيد فقال اشهد عليه انه حكم بغير الحق وبيتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذئب و
هو الشيخ الصالح فقال يا امير المؤمنين اسأله عن نفسك فقال ما تقول في قال تعفيني يا امير المؤمنين قال اسألك بالله الا اخبرتني قال اسألني بالله
كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم بابك فاش قال فحينئذ
ابو جعفر عن موضعه حتى وضع يديه في قفاه ابن ابي ذئب فقبض عليه ثم قال له اما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس والروم والديلم
والترك بمجامع المكان منك قال فقال ابن ابي ذئب يا امير المؤمنين قد ولي ابو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية واخذا بقفاء فارس والروم
اصغرا انا فهم قال فخلى ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذئب والله يا امير المؤمنين
اني لأنصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذئب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحارث لقد سرني في
ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال غفر الله لك يا ابا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي
عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير المؤمنين وانا بالساحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة ردّ علي
ولم يجلسني ثم قال لي ما الذي ابطأ بك عنا يا اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم فقلت
فانظر يا امير المؤمنين ان لا تحمل شيئا مما اقول لك قال وكيف احمله وانا اسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له قال قلت احاف
ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فأنهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فخاطبت نفسي

وانبسطت فی الکلام فقلت یا امیر المؤمنین حدثنی مکحول عن عطیة بن بشر قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ایما عبد جاءته موعظة من الله فی دینه فانها نعمة من الله سیقت الیه فان قبلها بشکر والا کانت حجة من الله علیه لیزداد بها اثما ویزداد الله بها سخطا علیه یا امیر المؤمنین حدثنی مکحول عن عطیة بن بشر قال قال رسول الله علیه وسلم ایما والٍ مات غاشا لرعیته حرم الله علیه الجنة یا امیر المؤمنین ترکک الحق فقد ترکک والله ان الله هو الحق المبین ان الذین لیّن قلوب امتکم لکم حین ولاکم امورهم لقرابتکم من رسول الله صلی الله علیه وسلم وقد کان بهم رؤوفا رحیما مواسیا لهم بنفسه فی ذات یده محمودا عند الله وعند الناس فحقیق بک ان تقوم له فیهم بالحق وان تکون بالقسط له فیهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق علیک دونهم الابواب ولا تقیم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء یا امیر المؤمنین فدرکت فی شغل شاغل من خاصة نفسک عن عامة الناس الذین اصبحت تملکهم احرارهم واسودهم مسلمهم وکافرهم وکل له علیک نصیب من العدل فکیف بک اذا انبعث منهم فئام ورداء فئام ولیس حد منهم الا وهو یشکو بلیة ادخلتها علیه او ظلامة سقتها الیه یا امیر المؤمنین حدثنی مکحول عن عوف بن رویم قال کانت بید رسول الله صلی الله علیه وسلم جریدة یستاک بها ویروع بها المنافقین فاتاه جبریل علیه السلام فقال له یا محمد ما هذه الجریدة التی کرهت بها قلوب امتک وملأت قلوبهم رعبا فکیف بمن شق ابشارهم وسفک دمائهم وخرب دیارهم واجلاهم عن بلادهم وغیبهم الخوف منه یا امیر المؤمنین حدثنی مکحول عن زیاد عن حارثة عن حبیب بن مسلمة ان رسول الله صلی الله علیه وسلم دعا القصاص من نفسه فی خدش خدشه اعرابیا لم یتعمده فاتاه جبریل علیه السلام فقال یا محمد ان الله لم یبعثک جبارا ولا متکبرا فدعا النبی صلی الله علیه وسلم الاعرابی فقال اقتص منی فقال الاعرابی فداحللتک بابی انت وامی وما کنت لافعل ذلک ابدا ولو اتیت علی نفسی فدعا له بخیر یا امیر المؤمنین ارض نفسک لنفسک وخذ لها الامان من ربک وارغب فی جنة عرضها السموات والارض التی یقول فیها رسول الله صلی الله علیه وسلم لقید قوس احدکم من الجنة خیر له من الدنیا وما فیها یا امیر المؤمنین ان الملک لو بقی لمن قبلک لم یصل الیک وکذا لا یبقی لک کما لم یبق لغیرک یا امیر المؤمنین الذی جاء فی تاویل هذه الایة عن حبدک ما لهذا الکتاب لا یغادر صغیرة ولا کبیرة الا احصاها قال الصغیرة التبسم والکبیرة الضحک فکیف بما عملته الایدی وحصدته الالسن یا امیر المؤمنین بلغنی ان عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال لو ماتت سخلة علی شاطئ الفرات ضیعة لخشیت ان اسأل عنها فکیف بمن حرم عدلک وهو علی بساطک یا امیر المؤمنین الذی جاء فی تاویل هذه الایة عن حبدک یا داود انا جعلناک خلیفة فی الارض فاحکم بین الناس بالحق ولا تتبع الهوی فیضلک عن سبیل الله قال الله تعالی فی الزبور یا داود اذا قعد الخصمان بین یدیک فکان لک فی احدهما هوی فلا تمکنن الشیطان من نفسک ان یکون الحق له فیفلح علی صاحبه فاحمک عن نبوتی ثم لا تکون خلیفتی ولا کرامة یا داود انما جعلت رسلی الی عبادی رعاة کرعاء الابل لعلمهم بالرعایة ورفقهم بالسیاسة لیجبروا الکسیر ویدلوا الهزیل علی الکلاء والماء یا امیر المؤمنین انک قد بلیت بامر لو عرض علی السموات والارض والجبال لابین ان یحملنه واشفقن منه یا امیر المؤمنین حدثنی یزید بن جابر عن عبد الرحمن بن غنم الانصاری ان عمر بن الخطاب رضی الله عنه استعمل رجلا من الانصار علی الصدقة فقراه بعد ایام مقیما فقال له ما منعک من الخروج الی عملک اما علمت ان لک مثل اجر المجاهد فی سبیل الله قال لا قال وکیف ذلک قال انه بلغنی ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ما من وال یلی شیئا من امور الناس الا اتی به یوم القیامة مغلولة یده الی عنقه لا یفکها الا عدله فیوقف علی جسر من النار فینتفض به ذلک الجسر انتفاضة تزیل کل عضو منه عن موضعه ثم یعاد فیحاسب فان کان محسنا نجا بإحسانه وان کان مسیئا الخرق به ذلک الجسر فهوی به فی النار سبعین خریفا فقال له عمر رضی الله عنه ممن سمعت هذا قال من اخی ذر وسلمان فارسل الیهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال عمر واعناه من یتولاها بما فیها فقال ابو ذر رضی الله عنه من سلکت الله انفه والصق خده بالارض قال واخذ المنصوح المندیل فوضعه علی وجهه ثم بکی وانتحب حتی ابکانی ثم قلت یا امیر المؤمنین قد سأل جدک العباس النبی صلی الله علیه وسلم امارة مکة والطائف والیمن فقال له النبی علیه السلام یا عباس یا عم النبی نفس تحییها خیر من امارة لا تحصیها نصیحة منه لعمه وشفقة علیه واخبره انه لا یغنی عنه من الله شیئا اذ اوحی الله الیه وانذر عشیرتک الاقربین فقال یا عباس ویا صفیة عمة النبی ویا فاطمة بنت محمد انی لست اغنی عنکم من الله شیئا ان لی عملی ولکم عملکم وقد قال عمر بن الخطاب رضی الله عنه لا یقیم امر الناس الا حصیف العقل اریب العقد لا یطلع منه علی عورة ولا یخاف منه علی حرة ولا تاخذه فی الله لومة لائم وقال لاحد امراء اربعة فمیر فوی ظلف نفسه وعماله فذلک کالمجاهد فی سبیل الله ید الله باسطة علیه بالرحمة وامیر فیه ضعف ظلف نفسه وارفع عماله لضعفه فهو علی شفا هلاک الا ان یرحمه الله وامیر ظلف

عماله وارتفع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وعماله وامر ارتفع نفسه
وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المؤمنين ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتيتك حين امر الله بنار
النار فوضعت على النار تشعر يوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليها الف عام حتى
ثم اوقد عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذي
بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب في مياه الارض جميعا لنتن
من ذاته ولو ان دراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم
اخرج منها لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام ليكانه
فقال ابتكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم يبكيك يا جبريل وانت الروح الامين امين الله
على وحيه قال اخاف ان ابتلى بمثل ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعني من الكمال على منزلتي عندي فاكون قد امنت مكره فما
يزال لا يبكان حتى نودي من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد آمنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر
الملائكة وقد بلغني يا امير المؤمنين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم ان كنت تعلم اني باكي اذا فعد الخصمان بين يديك من عمال الحق
من قريب او بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز
بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذا نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت فقال لي الى اين فقلت
الى الولد والوطن باذن امير المؤمنين ان شاء الله فقال قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه
وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك اياي بمثل هذا فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة فقلت
افعل ان شاء الله قال محمد بن مصعب فامر له بمال ليستعين به على خروجه فلم يقبله وقال انا في غنى عنه وانما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا
وعرف المنصور مذهبه فلم يعجل عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قال قدم امير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من
دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت
الصلاة فيصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين اسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي
والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية
من المسجد وارسل اليه فدعا به فقال اجب امير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور
ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي مما
امرضني واقلقني فقال يا امير المؤمنين ان امنتني على نفسي انبأتك بالامور من اصولها والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال
له انت آمن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت فقال
ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء على يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا
امير المؤمنين ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين واموالهم فاغفلت امورهم واهملت جمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا
من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت
وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح وامرت
بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال المظلوم والملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير
ولا احدا الا وله في هذا المال حق فلما رأوك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على دعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا عنك بجبي
الاموال ولا تقسمها فاولهذا فقد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فايتم واعلى ان لا يصل اليك من علم اخبار والناس الا ما اراد وان
لا يخرج لك عامل فيخالف لهم امرا الا اقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظم الناس
وهابوهم وكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من
رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فمتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ونحن
غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان اراد رفع قصته اليك عند ظهورك وحجبك فدهيت عن ذلك ووقفت

للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كانت للمظلم به حرمة
واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا ينال المظلوم يخلف اليه ويلوذ به ويشكو او يستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد واخرج وظلمات
انت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا ولقد كانت بنو امية
وكانت العرب لا ينتهى اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتى من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا
اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف له ولقد كنت يا امير المؤمنين اسافر الى ارض الصين فبها ملك
فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراؤه مالك تبكى لا بكت عيناك فقال ما انى لست ابكى على المصيبة لما نالنى
ولكن المظلوم يصرخ بالباب فلا اسمع صوته ثم قال اما ان كان قد ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس الا يلبس ثوبا احمر الا
مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته
على شخص نفسه فى ملكه وانت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شخص نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد
من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدى فقد اراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن امه وماله على الارض حال وما من مال الا ورد وناه يد حجة
تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء وان قلت اجمع المال لاشيد
سلطانى فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد
ابيك ما كنز فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكوما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هى اجسم من الغاية التى انت فيها فوالله
ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدركها الا بالعمل الصالح يا امير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع
بالملك الذى خولك الله وما انت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الاليم
وهو الذى يرثك منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يديك ودعاك
الى الحساب هل يغنى عنك عنده شئ مما كنت فيه مما تشحط عليه من ملك الدنيا فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال
يا ليتنى لم اخلق ولم اك شيئا ثم قال كيف حيلتى فيما خولت فيه ولم ار من الناصح خائنا قال يا امير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين
قال ومن هم قال العلماء قال قد فررت منى قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل
الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشئ مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن عمن هرب منك ان يأتيك
فيعاونك على صلاح امرك ودعيتك فقال المنصور اللهم وفقنى ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت
الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسى عليك بالرجل ان لم تأتنى به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرسى يطلب الرجل
فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل امات الله قال بلى قال اما تعرفنى قال بلى قال فانطلق
معى الى الامير فقد آلى ان يقتلنى ان لم آته بك قال ليس لى الى ذلك من سبيل قال يقتلنى قال لا يقتلك قال كيف قال تخسن ثم قال لا قال فخرج من جرابه وكان
معه رقا مكتوبا فيه شئ فقال خذه فاجعله فى جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الله الا الشهداء قلت رحمك
الله قد احسنت الى فان رأيت ان تخبرنى ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مسلما صباحا هدمت ذنوبه ودام سروره
ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له فى رزقه واعطى عمله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا تقول
اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت
وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك
وصار امر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى
وسترك على قبيح عملى اطمعنى ان اسألك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسألك مستأنسا وانك المحسن الى وانا المسئ الى
نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم وانا بغض اليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك على انك
انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير امير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه ورفع راسه فنظر الى وتبسم ثم
قال ويلك وتخسن السحر فقلت لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه امرى مع الشيخ فقال هات الرقعة التى اعطاك ثم جعل يبكى وقال
قد نجوت وامر بنسخه واعطانى عشرة آلاف درهم ثم قال انطلق فقلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام وعن ابى عمران الجونى قال لما

ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنّوه بما صار اليه من امر الخلافة ففتح بيوت الاموال واقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري فلما فجع بسفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به وعهدته فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد امير المؤمنين الى اخيه سفيان ابن سعيد بن المنذر اما بعد يا اخي فقد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك بينه وله واعلم اني قد اخيتك مواخاة لم اجد بها جبلك ولم اقطع بها ودك واني منطوٍ لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لاثنيت ولو جهدت لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهنأني بما صارت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وانا استبطأتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا اشوق مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال علي برجل من اللهاب فادخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رايته فادفع كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون فاخص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما رأيته قام قائما وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيته نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع احد منهم راسه ورد السلام على بعض الاصابع فثبت واقفا منهم احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءته واخذ قلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال يا خذ بعضكم ويفرق فاني استغفر الله ان امس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فاخذ بعضهم فحله كانه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقراه واقبل سفيان يبتسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوا واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المنيب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الى العبد المغرور بالاموال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الايمان اما بعد فاني قد كتبت اليك اعرفك اني قد صرمت حبالك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك بافرارك على نفسك في كتابك بما هجمت عليه من بيت مال المسلمين فنفقته في غير حقه وانفذته بغير حكم ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهد لي على نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وستؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القران واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فتشد يا هارون متنك واعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم انك ستقف بين يدي الحكم العدل في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القران ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير واسبلت ستورا دون بابك وتشبهت بالجبابرة رب العالمين ثم اقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وستورك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ولا يشربون ويقطعون السارق فلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غدا اذ نادى المنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اين الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك

وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق وامام الى النار كانى بك يا هارون وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المسافى و
انت ترجو حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحفظ اوصيتى
واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها واعلم انى قد نصحتك وما ابقيت لك فى النصح غاية فاتق الله يا هارون فى رعيتك واحفظ محمدا
صلى الله عليه وسلم فى امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقى لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا
تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا ينفعه ومنهم من خسر دنياه واخرته وانى احسبك يا هارون ممن خسر دنياه واخرته
فاياك اياك ان تكتب الى كتابا بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال عباده فلقى الى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فاخذته
واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت يا اهل الكوفة فاجابونى فقلت لهم يا قوم من يشترى رجلا
هرب من الله الى الله فاقبلوا الى باكدانير والدراهم فقلت لا حاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت بذلك
ونزعت ما كان على من اللباس الذى كنت البسه مع امير المؤمنين واقبلت انفى البرذون وعليه السلاح الذى كنت احمله حتى
اتيت باب امير المؤمنين هارون حافيا راجلا فمنعنى بوابى من كان على باب الخليفة ثم استوذن لى فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة
قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا مالى وللملك
يزول عنى سريعا ثم الفيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الى فاقبل هارون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه وهو يئن ويشهق فقال
بعض جلسائه يا امير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله
عبرة لغيره فقال هارون اتركوه يا عبيد الدنيا المغرور من غرته ثموم والشقى من اهلكته ثموم وان سفيان امة وحده فتركوا سفيان وشأنه
ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يفد
عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب به يجازى والله ولى التوفيق وعن عبد الله بن عمران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها
اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذا اقبلت هوادج
هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى يا على صوته يا امير المؤمنين يا امير المؤمنين فكشف هارون الستجابين
وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم
منصرفا من عرفة على ناقته صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك فى سفرك هذا يا امير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك
قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا
فانفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الابرار قال احسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من
اخذتها منه فلا حاجة لى فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون قد
اجتمعت ارائهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجرى عليك ما يقوتك او يقيمك قال فرفع بهلول راسه الى السماء ثم قال
يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينسانى قال فاسبل هارون السجاف ومضى وعن ابى العباس الهاشمى
من ولد صالح بن المامون قال دخلت على الحارث المحاسبى رحمه الله فقلت له يا ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال كان هذا مرة
قلت له فاليوم قال لا ثم حالى انى لا اقرا آية من كتاب الله تعالى فاضن بها ان تشغلها نفسى ولولا ان يغلبنى فيها فرح ما اعلنت بها
ولقد كنت ليلة قائما فى محرابى فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم على ثم قعد بين يدى فقلت له من انت فقال
انا واحد من السياحين افصد المتعبدين فى محاربهم ولا ارى لك اجتهادا فاى شئ عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب
الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا بين جنبى المشرق والمغرب هذا صفته قال الحارث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما
علمت ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى
عليه منها فمكث عندى يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث فى ثيابه فغلبت ازالة عقله فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفنى
قد اثرتك به فاغتسل واعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لى قم معى
فلم يزل يمشى حتى دخل على المامون فسلم عليه وقال يا ظالم انا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيرى فيك اما تتقى
الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون وقال من انت قال انا رجل من

ج٢ يقال اقته يقوته كنصره اذا اعطاه قوته وقاته يقيته اذا قام بقوته

ج٢ نغلبنى فيها فرح ما اعلنت بها

ج٢ ابن نابل عين و نون وقد تقدم فى ش ١١٥ بخطى الكى يتجنب

ج٢ واخذ الجائزة الخ

ج٢ السجاف كالكتاب ستر رقيق قاموس

النسيا حين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بثوبك لعلي الحقهم قال فمر بصرب عنقه فخرج
وانا قاعد على الباب ملفوف فاخذ ذلك الثوب ومنا دينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحارث فاختبأت عنه فاخذه اقوام غرباء
فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتني عيناي فاذا هو بين واقفا لم ار احسن
منه وهو يقول يا حارث انت والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلفونك بهم
الى جماعة ركبان فقلت من انتم قالوا الكاتمون احوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت شئ فخرج للامر والنهي
وان الله تعالى انزله معنا وغضب لعبده * وعن احمد بن ابراهيم المقرئ قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل
عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان اذا راى منكرا غير ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة
يتطهر للصلاة اذ راى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوبا عليها بالقار لطف فقره وانكر لانه لم يعرف في الخمارات ولا في البيوت شيئا يعبر
عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان قال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد
تعطشا الى معرفته فقال له احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان قال وايش عليك انت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد
ان يتنعم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم فقال احب ان تعطيني بذلك المزدي فاغاظ الملاح عليه وقال لغلامه
اعطه المزدي حتى انظر ما يصنع فلما صارت المزدي في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى الى اخرها الا دنا
واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر وهو يومئذ يونس بن فرج فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد
سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسن فدخلت عليه وهو جالس على كرسي من حديد وبيده عمود يقلبه
فلما رآني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة وولاني الحسبة يا امير المؤمنين قال فاطرق الى الارض
ساعة ثم رفع راسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدك الى ما ليس لك فيه مكرمة عنك فقصرت عنه
قال فاطرق مفكرا في كلامي ثم رفع راسه الي وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها
امير المؤمنين ان اذن فقال هات خبرني فقلت يا امير المؤمنين اني اقدمت على الدنان بغلبة الحق سبحانه لي بذلك وغير قلبي شاهدا
لاجلال الحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان حررت الى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا
على اني اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملاء الدنيا دنان لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد
اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما احببت ان نغيره من المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المؤمنين يفوض الي التغيير لاني كنت
اغير عن الله تعالى وانا الان اغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا امير المؤمنين تامر باخراجي سالما فمر له بذلك
وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسأل حاجة يسألها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد
فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم ببسطوة السلاطين لكنهم انكملوا على
فضل الله تعالى ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في القلوب القاسية
فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قبلت من الاطماع السن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تسامعوا قولهم احوالهم فلم ينجوا ولو صدقوا
وقصدوا وجه العلم لافلحوا فساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه
ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الارذل والاصاغر فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان على كل حال
تم كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

كتاب ادب المعيشة واخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شئ فحسن خلقه وزكيه * وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه * وزكى
اوصافه واخلاقه ثم لتخذه صفيه وحبيبه * ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه * وحرم عن التخلق باخلاق من اراد تخييبه
وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا اما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب
البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي مغارس الافعال

ومنابعها وانوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه
ومن لم يزكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الاداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختار ربع العادات من
هذا الكتاب بكتاب جامع لاداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات
وربع العادات قد اتى على جملة من الاداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على مُعاداة
المُعادات فرأيت ان اقتصر في هذا الكتاب على ذكر اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه المأثورة عنه بالاسناد
فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع جمع الاداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي
تشهد احادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر
خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت به الاخبار ليكون ذلك مُعرِّبا عن مكارم الاخلاق والشيم ومنزها عن اذان الجاحدين لنبوته صمام
الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين وحبيب دعوة المضطرين
ولنذكر فيه اولا بيان تاديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من اداب واخلاقه ثم بيان كلامه
وضحكه ثم بيان اخلاقه واداب في الطعام ثم بيان اخلاقه واداب في اللباس ثم بيان عفو مع القدرة ثم بيان اعضائه عما كان يكره
ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته واياته صلى الله
عليه وسلم **بيان** تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير
الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الاداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي
ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاه بقوله عز وجل ادعوني استجب لكم فانزل عليه القرآن واداه
به فكان خلقه القرآن قال سعد ابن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها فسالتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الست تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن واما اداه بالقرآن بمثل قوله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله اصبر على ما
اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله
وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله الكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
ولما كسرت رباعيته وشج يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو
يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام
المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن وادب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيد
ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه ثم انظر الى عميم لطفه وعظيم فضله
كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال انك لعلى خلق عظيم ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال علي رضي الله عنه يا عجبا للرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى في
نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال
له رجل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طيء وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد
ان رأيت ان تخلي عني فلا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام
ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطائي فقال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان
ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو برزة بن نيار فقال
يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله حسن الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب

ل ليس في الكبريت الاحمر والاكسير كان يجيء بالياء ثم
ل صمام بالكسر سد ثقب القارورة وقتل الصمت
اقاربه وسنة اي جدبت
ل رباعيته بالفتح
شل ثنيته بالضم والفتح
كسيان ثنايا وثنايا ورباعيته
ل شج الشين المعجمة
ل سفسان بالفتح
كارتجز وبابه ازدجر
وفي الحديث كان الله
يحب معالي الامور و
يبغض سفسافها اي
ل الذمار بالكسر
حفظ ما وراءك مما يحق
ل اي الاسير وسمي
الاسير بذلك لانه يشد
الف قوادة وغير ذلك
ل بالضم والتشديد
ل حسن كرمه والرجل
امرأته يجري مجرى
جمل الاكليل مطيفا
بها قال تعالى يخفضنا
يخجل اي جعلن النخل
مطيفا بها

بذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورك
مسلما كان او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة
والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الاسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي
وتر وكل ذي دخل والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق و
التكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيش والبغي والعدوان والظلم قال انس رضي الله عنه
فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا او قال شيئا الا حذرنا ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه
الاية ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ اوصيك باتقاء
الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن
العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب الاخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تشتم حكيما او تكذب
صادقا او تطيع اثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر وملا وان تحدث لكل ذنب توبة السر
بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب **بيان** جملة من محاسن اخلاقه التي
جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار * فقال كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم
تمس يده قط يدا مرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل و
لم يجد من يعطيه وفجئه الليل لم يأو الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد
من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا الا اعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج فقبل
انقضاء العام ان لم يأته شئ وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حياء لا يثبت
بصره في وجه احد يجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو اهديت اليه جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة
ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر او على اصحابه غرض
عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال انا لا استنصر بمشرك ووجد
من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحكم عليهم ولا زاد على كفر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد
يشقق من به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وتمر يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز اكله
وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد
بطيخا او رطبا اكله لا يأكل متكئا ولا على خوان مندیل له باطن قد مسه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا
فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر و
ابلغهم في غير تطويل واحسنهم بشرا لا يحول شئ من امور الدنيا وليس ما وجد فترة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد
من المباح للبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصر الايمن والايسر يرتدف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء
ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الردية
يجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على
من هو افضل منهم لا يحفو على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا
ينكره يسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له فتاح وغلام يفوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم
في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى او فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحتقر
مسكينا لفقره ولزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعوهما وهذا الى الله دعاء مستويا فجمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة
التامة وهو امي لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع
محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخرة والنجاة والخلاص في الدنيا ولربه الواجب
وتلك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره وللتأسي به في امره امين يا رب العالمين **بيان** جملة اخرى من اداب واخلاقه * مما رواه ابو الجحيفة قال رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم احدا من المؤمنين بشئ يسوءه الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال
لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر قام او خاص عدل عن الدعاء عليه
الى الدعاء لهم وما ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله تعالى وما انتقم من شئ صنع اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله وما خير بين
امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان بانتقم لنفسه احد حرا وعبدا او امة الا ان يكون معه
في جاجته وقال انس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق ما قال لي في شئ قط كرهه لم فعلته ولا من نسائه الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب
وقد قالوا وما كان برسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في
التوراة قبل ان يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يا تزر على وسطه هو ومن معه رعاة القرآن والعلم يتوضأ على اطرافه وكذلك
نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن دعاه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى
يرسلها الاخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله
وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه
ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيده عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس اصحابه لانه كان حيثما انتهى به المجلس جلس و
ما رئي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان
يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع ليجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي
تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفح احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه
حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك. ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم
تكن له كنية فكان يدعى بكناه بها ويكني ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن بمن يسمى لهن الكنى ويكني الصبيان فيستميلهم بذلك
وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضاء وكان ارأف بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم تكن ترفع في مجلسه الاصوات
وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل عليه السلام

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان
اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وكان يتكلم بالكلام يعيه من سمعه لفصاحته وبيانه وكان كلامه يحزن ان النظم
قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد كسردكم هذا كان كلامه فصلا يفهمه كل من سمعه وانتم تسردون الكلام نثرا فلو كان او جز الناس كلاما وبانه
جاءه جبرئيل وكان مما علمه ان يجمع كل ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظ
سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضاء والغضب
الا الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطر الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث
ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه ويتعجب مما
تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد
جاء اعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكر اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالله
لبعثه بالحق نبيا لادعنه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا فترى لي يأبى
انت ومن اتى ان اكف عن ثريده هنيئا وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من اكثر الناس تبسما واطيبهم
نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة وعظة وكان اذا سر رضي فهو احسن الناس رضى فان وعظ وعظ بجد وان
غضب وليس يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر الى الله وتبرأ من الحول
والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ادني الحق حقا فاتبعه وادني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه وان ذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير

هدای منك واجعل هوای تبعا لطاعتك وخذ رضاء نفسك من نفسی فی عافیة واهدنی لما اختلف فیه من الحق باذنك انك تهدی من تشاء الی صراط مستقیم **بیان** اخلاقه وآدابه فی الطعام * کان صلی الله علیه وسلم یاکل ما وجد وکان احب الطعام الیه ما کان علی ضفف والضفف ما کثرت علیه الایدی وکان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نهمة مشکورة تصل بها نهمة الجنة وکان کثیرا اذا جلس یاکل یجمع بین رکبتیه وبین فخذیه کما یجلس الصبی الا ان الرکبة تکون فوق الرکبة والقدم فوق القدم ویقول انما انا عبد آکل کما یاکل العبد واجلس کما یجلس العبد وکان لا یاکل الحار ویقول انه غیر ذی برکة وان الله لم یطعمنا نارا فابردوه وکان یاکل مما یلیه ویاکل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم یکن یاکل باصبعین ویقول ان ذلک اکلة الشیطان وجاء عثمان بن عفان رضی الله عنه بفالوذج فاکل منه وقال ما هذا یا ابا عبد الله قال بابی انت وامی نجعل السمن والعسل فی البرمة ونضعها علی النار ثم نغلیه ثم ناخذ من الحیسة اذا طبخت فنلقیه علی السمن والعسل فی البرمة ثم نسوطه حتی یختلط فیاتی کما تری فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان هذا الطعام طیب وکان یاکل خبز الشعیر غیر منخول وکان یاکل الفثاء بالرطب وبالملح وکان احب الفواکه الرطبة الیه البطیخ والعنب وکان یاکل البطیخ بالخبز والسکر وربما اکله بالرطب ویستعین بالیدین جمیعا واکل یوما الرطب فی یمینه وکان یحفظ النوی فی یساره فمرت شاة فاشار الیها بالنوی فجعلت تاکل من کفه الیسری وهو یاکل بیمینه حتی فرغ وانصرفت الشاة وکان ربما اکل العنب خرطا یری رواله علی لحیته کحب اللؤلؤ وهو الماء الذی یقطر منه وکان اکثر طعامه الماء والتمر کان یمج اللبن بالتمر ویسمیهما الاطیبین وکان احب الطعام الیه اللحم ویقول هو یزید فی السمع وهو سید الطعام فی الدنیا والآخرة ولو سالت ربی ان یطعمنیه کل یوم لفعل وکان یاکل الثرید باللحم والفرع وکان یحب الفرع ویقول انها شجرة اخی یونس علیه السلام قلت عائشة رضی الله عنها وکان یقول یا عائشة اذا طبختم قدرا فاکثروا فیها من الدباء فانه یشد قلب الحزین وکان یاکل لحم الطیر الذی یصاد وکان لا یتبعه ولا یصیده ویحب ان یصاد له ویؤتی به فیاکله وکان اذا اکل اللحم لم یطامطی راسه الیه ویرفعه الی فیه رفعا ثم ینتهسه انتهاسا وکان یاکل الخبز والسمن وکان یحب من الشاة الذراع والکتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا فی العجوة بالبرکة وقال هی من الجنة وشفاء من السم والسحر وکان یحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التی یقال لها الرجلة وکان یکره الکلیتین لکانهما من البول وکان لا یاکل من الشاة سبعا الذکر والانثیین والمثانة والمرارة والغدد والحیاء والدم ویکره ذلک وکان لا یاکل الثوم ولا البصل ولا الکراث وما اخذ طعاما قط ولکن ان اعجبه اکله وان کرهه ترکه وان عافه لم یبغضه الی غیره وکان یعاف الضب والطحال ولا یحرمهما وکان یلعق باصابعه الصحفة ویقول آخر الطعام اکثر برکة وکان یلعق اصابعه من الطعام حتی تحمر وکان لا یمسح یده بالمندیل حتی یلعق اصابعه واحدة واحدة ویقول انه لا یدری فی ای الطعام البرکة واذا فرغ قال الحمد لله اللهم لک الحمد اطعمت فاشبعت وسقیت فاروییت لک الحمد غیر مکفور ولا موذع ولا مستغنی عنه وکان اذا اکل الخبز واللحم خاصة غسل یدیه غسلا جیدا ثم یمسح بفضل الماء علی وجهه وکان یشرب فی ثلاث دفعات وله فیها ثلاث تنفسات وفی اواخرها ثلاث تحمیدات وکان یمص الماء مصا ولا یعب عبا وربما کان یشرب بنفس واحد حتی یفرغ وکان لا یتنفس فی الاناء بل یعزل عنه وکان یدفع فضل سؤره الی من علی یمینه فان کان من علی یساره اجل رتبة قال للذی علی یمینه السنة ان تعطی فان اجبت اثرتهم واتی باناء فیه عسل ولبن فابی ان یشربه وقال شربتان فی شربة واداوتان فی اناء واحد ثم قال صلی الله علیه وسلم لا احرمه ولکنی اکره الفخر والحساب بفضول الدنیا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وکان فی بیته اشد حیاء من العاتق لا یسالهم طعاما ولا یشتهیه علیهم ان اطعموه اکل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وکان ربما قام فاخذ ما یاکل بنفسه او یشرب **بیان** آدابه واخلاقه فی اللباس * کان صلی الله علیه وسلم یلبس من الثیاب ما وجد من ازار او رداء او قمیص او جبة او غیر ذلک وکان یعجبه الثیاب الخضر وکان اکثر لباسه البیاض ویقول البسوها احیاءکم وکفنوا فیها اموتاکم وکان یلبس القباء المحشو للحرب وغیر المحشو وکان له قباء سندس فیلبسه فتحسن خضرته علی بیاض لونه وکانت ثیابه کلها مشمرة فوق الکعبین ویکون الازار فوق ذلک الی نصف الساق وکان قمیصه مشمر الاذرع وربما حل الازرار فی الصلاة وغیرها وکانت له خاتم فضة مصبوغة بالزعفران وربما صلی بالناس فیها وحدها وربما لبس الکساء وحده ما علیه غیره وکان له کساء ملبد یلبسه ویقول انما انا عبد البس کما یلبس العبد وکان له ثوبان لجمعته خاصة سوی ثیابه فی غیر الجمعة وربما لبس الازار الواحد لیس علیه غیره ویعقد طرفیه بین کتفیه وربما ام به الناس علی الجنائز وربما

اعلم

صلى فى بيته فى الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذى جامع فيه يومئذ وكان يصلى بالليل فى الازار و
يرندى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك ولقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة
بابى انت وامى ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوتها فقالت ما رأيت شيئا قط كان احسن من بياضك على سوادها وقال انس ما رأيته
يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها وكان يختم وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط ليستذكر به الشئ وكان يختم به على الكتب
ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة
بين يديه ثم يصلى اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فربما
طلع على بها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم على فى السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى
ما اوارى به عورتى واتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه اخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا اعطى خلقا شيا به مسكينا ثم يقول ما
من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا الله الا كان فى ضمان الله وحرز وخير هما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف
طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكانت له عباءة نفرش له حيثما نقل شئ طافت تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته
شئ غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم راياته العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له
سيف يقال له الحتف واخر يقال له الرسوب وآخر يقال له الفضيب وكانت قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها
ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته الفصوى وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل
وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينة وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار
الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يه فمون عنه فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على
وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة **بيان** عفو صلى الله عليه وسلم مع القدرة * كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس
وارغبهم فى العفو مع القدرة حتى انه بقلادة من ذهب وفضة قسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لقد
امر لك الذى تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدا وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم
كان يقبض للناس يوم حنين من فضة فى ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك
فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر وقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس
انى اقتل اصحابى وكان صلى الله عليه وسلم فى حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسيف فقال من يمنعك منى فقال الله قال فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك منى
فقال كن خير اخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله فقال لا غير انى لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك
فخلى سبيله فجاء اصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فيا كل منها
فجئ بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا افلا نقتلها فقال
لا وسحر رجل من اليهود فاخبره جبريل عليه افضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر
ذلك لليهودى ولا اظهره عليه قط وقال على رضى الله عنه بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجى الكتاب فقالت ما معى من
كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله عليه وسلم واذا فيه من حاطب بن
ابى بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم امرا من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا
تعجل على انى كنت امرءا ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فحببت اذ فاتنى ذلك من النسب
منهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن دينى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك
لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال
رجل من الانصار هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخى موسى قد

ع كان صلى الله عليه وسلم اذا قصد غزوة ورى بغيرها
ع الاسحم الخلق
ع عباءة نوع من الاكسية
ع الشملة كساء يشتمل به
ع الخاتم الذى يختم به
ع القبيعة ما على طرف مقبض السيف
ع المحلاة المزينة
ع الكافور
ع العضباء
ع يعفور
ع الظعينة

لو اذى بكفر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان** اغضبانه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان اذا اشتد غضبه وجد اكمر مرس لحيته الكريمة وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة وبال اعرابي في المسجد فنهم به الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه لا تقطعوا عليه البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له احسنت اليك قال لا ولا اجملت قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت فقل بين يديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجهت لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت فشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان** سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم + كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شيء قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه ولما اقبل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان** شجاعته صلى الله عليه وسلم + كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس واشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس بأسا وكان الشجاع هو الذي يقرب في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب وقالوا كان قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رأى يومئذ احد كان اشد منه **بيان** تواضعه صلى الله عليه وسلم + كان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا في علو منصبه قال ابن عامر رضي الله عنه رأيته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يسترادف وكان يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتى صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته فقال له هون عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فيأتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت لعائشة رضي الله عنها كل

سقطت ما بين

جعلنى الله فداك متكئا فانه امون عليك قال فاصغى راسه حتى كاد ان تصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا فى سكرجة حتى لحق بالله تعالى وكان لا يدعو احدا من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان
اذا جلس مع الناس ان تكلموا فمعهم الا خرة اخذ معهم وان تحدثوا فى طعام او شراب تحدث معهم وان تكلموا فى الدنيا تحدث معهم
رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا
يزجرهم الا عن حرام **بيان** صورته وحلقته صلى الله عليه وسلم * كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قامته انه
لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يمر به احد من الناس ينسب الى الطول
الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو عليه
السلام الى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله فى الربعة * واما لونه فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد
البياض والازهر هو الابيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شئ من الالوان ونعته عمه ابو طالب فقال **شعر** وابيض يستسقى
الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل * ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح
كالوجه والرقبة والازهر ايضا فى عرق الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه صلى الله عليه وسلم فى وجهه كاللؤلؤ وطيب من المسك الاذفر *
واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد الفطط وكان اذا مشطه بالمشط يأتى كانه رمل حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب
منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو
سوالفه تلالا وكان شيبه فى الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها و
انورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه
صاحبه ابو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول * اين مصطفى للخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام * وكان صلى الله عليه و
سلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة الخالصة وكانت عيناه بخلا وين ادعجهما وكان
فى عينيه تمرج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اى مستوى الانف وكان مفلج الاسنان اى
منفرقها وكان اذا افترضاحكا افترعن مثل سنا البرق اذا انارا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم خرما وكان سهل الخدين
صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفى لحيته ويأخذ شاربه وكان من احسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول
ولا الى القصر ما ظهر للشمس والرياح منه فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا بياضا فى بياض الفضة وفى حمرة الذهب وكان صلى الله عليه وسلم
عريض الصدر لا بعد ولحم بعض بدنه بعضا كالمرآة فى استوائها وكالقمر فى بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب
لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطى الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم
الكراديس اى رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الايمن فيه
شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب
الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساق
وكان معتدل الخلق فى السمن بدن فى آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السمن * واما مشيه
صلى الله عليه وسلم فكان يمشى كانما ينقلع من صخر ويحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشى الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان
صلى الله عليه وسلم يقول انا اشبه الناس بآدم صلى الله عليه وسلم وكان ابى ابراهيم صلى الله عليه وسلم اشبه الناس به خلقا وخلقا
وكان يقول ان لى عند ربى عشرة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا العاقب الذى ليس بعده احد وانا الحاشر
يحشر الله العباد على قدمى وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى فقفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البخترى
والقثم الكامل الجامع والله اعلم **بيان** معجزاته وآياته الدالة على صدقه * اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم واصغى الى سماع
اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف
الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته فى مضائق الاسئلة وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق ومحاسن اشاراته

في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائل دقائقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك
لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا بامداد من تائيد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب
ولا ملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العرني الذي كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب
فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف بمن شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض
اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ آتاه الله جميع ذلك
وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا
فمن اين حصل له محاسن الاخلاق والاداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى
وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لو لا صريح الوحي ومن اين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذا الامر
الظاهر لكان فيه كفاية وقد ظهر من ايانه ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت
عليه الكتب الصحيحة اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يد غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما
سالته قريش آية واطعم الفئام الكثيرة في منزل جابر في منزل ابي طلحة وبوم الخندق ومرة اطعم ثمانين من اربعة اصوع شعير وعناق وهو
من اولاد المعز فوق العنود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اوراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر لبسير سالته بنت
بشر في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه عليه السلام فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش
وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط عليه السلام يده فيه واهراق عليه السلام وضوءه في عين ثوك ولا ماء فيها ومرة اخرى
في بير الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين ثوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بير الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها
قبل ذلك ماء وامر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان ينزح اربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروك
فنزحوهم كلهم منه وبقي منه بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى وابطل الله تعالى الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم فحدثت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان
يخطب اليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم
لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الارض الى غربها
يوم الجمعة جهرا تعظيما للاية التي فيها واخبر عليه السلام بالغيوب. وانذر عثمان بان تصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمارا تقتله
الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين واخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله انه
من اهل النار فظهر ذلك بان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها اشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكتب
ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة ابن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى
استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سوار كسرى فكان كذلك واخبر بقتل اسود العنسي الكذاب ليلة قتله
وهو بصنعاء اليمن واخبر من قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم ولم يروه وشكا اليه البعير بحضرة
اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد فما تواكلهم على استقامة وارتد منهم واحد
فقتل مرتدا وقال لاخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط اخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فانشقتا واجتمعتا ثم
امرهما فافترقتا وكان عليه السلام يخفي الربعة فاذا مشى مع الطوال طالهم ودعا عليه السلام النصارى الى المباهلة فامتنعوا
فعرفهم صلى الله عليه وسلم انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وبيتا
فارسا العرب وفتاكهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة
احرقته واخبر عليه السلام انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه واطعم عليه الصلاة والسلام
السم فمات الذي اكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر عليه السلام يوم بدر
بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر عليه السلام بان طوائف
من امته يغزون في البحر فكان كذلك ورؤيت له الارض فرئي مشارقها ومغاربها واخبر بان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها

فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد الترك الى اخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسع لهم في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر صلى الله عليه وسلم سواء بسواء واخبر فاطمة ابنته رضي الله عنها بانها اول اهله لحاقا به فكان كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحوقا به فكانت زينب بنت جحش لانها كانت تعمل بيدها الصدقة واولهن لحوقا به رضي الله عنها ومسح ضرع شاة حائل لابن لها فدرت وكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رضي الله عنه وفعل ذلك مرة اخرى في خيتام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت احسن عينيه واحدهما وبصق في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم خيبر ففتح من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فجمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك وحكى الحكم بن ابي العاص بن امية وائل مشيته عليه السلام مستهزأ فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب عليه السلام امرأة فقال له ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من ايانه ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اقتصرنا على المستفيض ومن تشكك في الخراق العادة على يديه وزعم ان احاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن تشكك في شجاعة علي رضي الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم ان احاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يوجب علما ضروريا تماما كما في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بالافانين منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعد في سائر اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه وشذوذه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ورد وصدر فنسأل الله تعالى بوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده انه سميع قريب

في كتاب آداب المعيشة وحسن الخلق للنبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه

يتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى

تم الجزء الثاني من كتاب احياء العلوم ويليه الجزء الثالث

الجلد الاول والثانی

قد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرف همهم الى الاشتغال بطبع هذا الكتاب

المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المؤيدة بالايات البينات

والاخبار والاثار السالكين الابرار الناطق بالصدق والداعي الى الحق والموصل الى الحق القويم

احياء العلوم

التأليف الامام حجة الاسلام فخر الانام العالم العلامة المحقق المدقق الفهامة المشتهر في

المشارق والمغارب مفتي كل مطلق وطابت شمس المفاخر والمعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب رضوانه

طبع بمطبعة بولاق المحمية بمصر المحروسة

BIBLIOTECA
REGIA
MONACENSIS

فهرست الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام ابى حامد الغزالى رحمه الله تعالى

	صفحه
بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامى	۲
بيان جنود القلب	۴
بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة	۴
بيان خاصية قلب الانسان	۵
بيان جامع اوصاف القلب وما مثلته	۷
بيان تمثل القلب بالاضافة الى العلوم خاصة	۸
بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية الدينية والدنيوية والاخروية	۱۰
بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق المتكلمين	۱۱
بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس	۱۲
بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف فى كتاب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد	۱۴
بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها	۱۶
بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب	۱۹
بيان ما يواخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها ونواطقها وتصورها وما يعفى عنه ولا يواخذ	۲۴
بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكوام لا	۲۵
بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات	۲۶
كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب	۲۸
بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق	۲۹
بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق	۳۰
بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة	۳۲
بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة	۳۳
بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق	۳۵
بيان علامات امراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة	۳۶
بيان الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه	۳۷
بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق فى معالجة القلوب	
ترك الشهوات وان مادة امراضها هى اتباع الشهوات	۳۸
بيان تمييز علامات حسن الخلق	۴۰
بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى اول نشوهم ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم	۴۱
بيان شرط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة	۴۳
كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج	۴۶
بيان فضيلة الجوع وذم الشبع	۴۶
بيان فوائد الجوع وافات الشبع	۴۸
بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن	۵۱
بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف احوال الناس فيه	۵۵
بيان افة الرياء للمتطرق الى من يترك اكل الشهوات ويقلل الطعام	۵۶
القول فى شهوة الفرج	۵۷
بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفضله	۵۸
بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين	۶۰
كتاب افات اللسان	۶۱
بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت	۶۲
الافة الاولى الكلام فيما لا يعنيك	۶۳
الافة الثانية فضول الكلام	۶۴
الافة الثالثة الخوض فى الباطل	۶۵
الافة الرابعة المراء والجدال	۶۵
الافة الخامسة الخصومة	۶۶
الافة السادسة التقعر فى الكلام	۶۷
الافة السابعة الفحش والسب بذاءة اللسان	۶۸
الافة الثامنة اللعن	۶۸
الافة التاسعة الغناء والشعر	۷۰
الافة العاشرة المزاح	۷۰
الافة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء	۷۲
الافة الثانية عشرة افشاء السر	〃
الافة الثالثة عشرة الوعد الكاذب	〃
الافة الرابعة عشرة الكذب	۷۳
بيان ما رخص فيه من الكذب	۷۴
بيان المندوحة من الكذب بالمعاريض	۷۵
الافة الخامسة عشرة الغيبة	۷۶
بيان معنى الغيبة وحدها	۷۷
بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان	۷۷
بيان الاسباب الباعثة على الغيبة	۷۸
بيان العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة	۷۹
بيان تحريم الغيبة بالقلب	۸۰
بيان الاعذار المرخصة فى الغيبة	۸۱
بيان كفارة الغيبة	۸۲
الافة السادسة عشرة النميمة	۸۲
بيان حد النميمة وما يجب فى ردها	۸۳
الافة السابعة عشرة كلام ذى اللسانين	۸۴
الافة الثامنة عشرة المدح	۸۴
بيان ما على الممدوح	۸۵
الافة التاسعة عشرة فى الغفلة عن دقائق الخطا فى الكلام	۸۵
الافة العشرون سؤال العلم عن صفات الله تعالى	۸۶
كتاب ذم الغضب والحقد والحسد	۸۶
بيان ذم الغضب	۸۷
بيان حقيقة الغضب	۸۸
بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا	۸۹
بيان الاسباب المهيجة للغضب	۹۱
بيان علاج الغضب بعد هيجانه	۹۱
فضيلة كظم الغيظ	۹۲
فضيلة الحلم	۹۳

	صفحہ
بیان القدر الذی یجوز الانتصار والتشفی بہ من الکلام	٩٤
القول فی معنی الحقد ونتائجہ وفضیلۃ العفو والرفق	٩٥
القول فی ذم الحسد وفی حقیقتہ واسبابہ ومعالجتہ وغایۃ الواجب فی ازالتہ	٩٧
بیان حقیقۃ الحسد وحکمہ واقسامہ ومراتبہ	٩٨
بیان اسباب الحسد والمنافسۃ	١٠٠
بیان السبب فی کثرۃ الحسد بین الامثال والاقران والاخوۃ وبنی العم والاقارب وقلتہ	
فی غیرھم وضعفہ	١٠١
بیان الدواء الذی ینفی مرض الحسد عن القلب	١٠٢
بیان القدر الواجب فی نفی الحسد عن القلب	١٠٤
کتاب ذم الدنیا	١٠٥
بیان ذم الدنیا	١٠٦
بیان المواعظ فی ذم الدنیا وصفتہا	١١٠
بیان صفۃ الدنیا بالامثلۃ	١١٢
بیان حقیقۃ الدنیا وماھیتہا فی حق العبد	١١٥
بیان حقیقۃ الدنیا فی نفسہا واشغالہا التی استغرقت ھمم الخلق حتی انستھم انفسھم وخالقھم	
ومصدرھم وموردھم	١١٨
کتاب ذم البخل وذم حب المال	١٢٢
بیان ذم المال وکراھۃ حبہ	١٢٢
بیان مدح المال والجمع بینہ وبین الذم	١٢٣
بیان تفصیل آفات المال وفوائدھا	١٢٤
بیان ذم الحرص والطمع ومدح القناعۃ والیاس مما فی ایدی الناس	١٢٥
بیان علاج الحرص والطمع والدواء الذی یکتسب بہ صفۃ القناعۃ	١٢٧
بیان فضیلۃ السخاء	١٢٨
حکایات الاسخیاء	١٢٩
بیان ذم البخل	١٣٢
حکایات البخلاء	١٣٤
بیان الایثار وفضلہ	١٣٤
بیان حد السخاء والبخل وحقیقتھما	١٣٥
بیان علاج البخل	١٣٧
بیان مجموع الوظائف التی علی العبد فی مالہ	١٣٨
بیان ذم الغنی ومدح الفقر	١٣٩
کتاب ذم الجاہ والریاء	١٤٤
بیان ذم الشھرۃ وانتشار الصیت	١٤٥
بیان فضیلۃ الخمول	١٤٥
بیان ذم حب الجاہ	١٤٦
بیان معنی الجاہ وحقیقتہ	١٤٦
بیان سبب کون الجاہ محبوبا بالطبع حتی لا یخلو عنہ قلب الا	
بشدید المجاھدۃ	١٤٧
بیان الکمال الحقیقی والکمال الوھمی الذی لا حقیقۃ لہ	١٤٩
بیان ما یحمد من حب الجاہ وما یذم	١٥٠
بیان السبب فی حب المدح	١٥١

	صفحہ
بیان وجہ العلاج لحب المدح وکراھۃ الذم	١٥٣
بیان علاج کراھۃ الذم	١٥٣
بیان اختلاف احوال الناس فی المدح والذم	١٥٤
الشطر الثانی من الکتاب فی طلب الجاہ والمنزلۃ بالعبادات وھو الریاء	١٥٥
بیان ذم الریاء	١٥٥
بیان حقیقۃ الریاء ومایرائی بہ	١٥٧
بیان درجات الریاء	١٦٠
بیان الریاء الخفی الذی ھو اخفی من دبیب النمل	١٦٢
بیان ما یحبط العمل من الریاء الخفی والجلی وما لا یحبط	١٦٣
بیان دواء الریاء وطریق معالجۃ القلب فیہ	١٦٥
بیان الرخصۃ فی قصد اظہار الطاعات	١٦٩
بیان الرخصۃ فی کتمان الذنوب وکراھۃ اطلاع الناس علیہ وکراھۃ ذمھم لہ	١٧٠
بیان ترک الطاعات خوفا من الریاء ودخول الآفات	١٧١
بیان ما یصح من نشاط العبد لعبادہ بسبب رویۃ الخلق وما لا یصح	١٧٦
بیان ما ینبغی للمرید ان یلزم نفسہ قبل العلم وبعدہ وفیہ	١٧٧
کتاب ذم الکبر والعجب	١٧٩
الشطر الاول من الکتاب فی الکبر بیان ذم الکبر	١٨٠
بیان ذم الاختیال واظہار اثار الکبر فی المشی وجر الثیاب	١٨١
بیان فضیلۃ التواضع	١٨١
بیان حقیقۃ الکبر وآفتہ	١٨٣
بیان المتکبر علیہ ودرجاتہ واقسامہ وثمرات الکبر فیہ	١٨٤
بیان ماھیۃ التکبر	١٨٥
بیان البواعث علی التکبر واسبابہ المھیجۃ لہ	١٨٩
بیان اخلاق المتواضعین ومجامع ما یظھر فیہ اثر التواضع والتکبر	١٨٩
بیان الطریق فی معالجۃ الکبر واکتساب التواضع لہ	١٩١
الشطر الثانی من الکتاب فی العجب	١٩٨
بیان ذم العجب وآفاتہ	١٩٨
بیان حقیقۃ العجب والادلال وحدھما	١٩٩
بیان علاج العجب علی الجملۃ	١٩٩
بیان اقسام ما بہ العجب وتفصیل علاجہ	٢٠١
کتاب ذم الغرور	٢٠٣
بیان ذم الغرور وحقیقتہ وامثلتہ	٢٠٤
بیان اصناف المغترین واقسام فرق کل صنف من الاصناف الاربعۃ	
الصنف الاول اھل العلم	٢٠٩
الصنف الثانی ارباب العبادۃ والعمل	٢١٧
الصنف الثالث المتصوفۃ	٢١٩
الصنف الرابع ارباب الاموال	٢٢١

تمت

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون

لقد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرف همهم الى الاشتغال بطبع هذا
الكتاب المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المؤيدة بالآيات
البينات والاخبار وآثار السالكين الابرار الناطق بالصدق والداعي الى الحق وسبيله الواصل الى القويم

احياء علوم الدين

الذي الفه الامام حجة الاسلام فخر الانام العالم العلامة المحقق المدقق الفهامة المشتهر في
المشارق والمغارب مقتدى كل مطلوب وطالب شمس المفاخر والمعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب رضوانه

في المطبعة المنشئة بالديار المصرية المختص بحمايتها من زوال السرور المخصوصة بالسعادة

الربع الثالث من الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحير دون ادراك جلاله القلوب الخواطر * وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر * المطلع على خفيات السرائر * العالم بمكنونات الضمائر * المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر * مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب * مفرج الكروب والصلوة والسلام على سيد المرسلين وجامع شمل الدين * وقاطع دابر الملحدين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وسلم كثيرا **اما بعد** فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله هو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يبعد بالقرب من الله فيقلق اذا ذكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه وشاه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما السادي الى الاعضاء من الفواحش آثاره وبا ظلا واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يميت مرة الى اسفل السافلين ويخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام **بيان** معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي *

اعلم ان هذه الاسماء الاربعة تستعمل في هذه الابواب وقل في محاول العلماء من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشاها الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **اللفظ الاول**

لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين + احدهما اللحم الصنوبري الشكل الموضوع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين + والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاتب والمعاقب وللطائب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة + والثاني أن تحقيقة يستدعي افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود انا اذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **اللفظ الثاني** الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين + احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانها في البدن كفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا يتم الى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثال السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا أطلقوا لفظ الروح اراد وا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فأما غرض اطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا + المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته **اللفظ الثالث** النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان + احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على اهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك + المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام او امراة العزيز وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات **اللفظ الرابع** العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان + احدهما انه قد يطلق ويراد العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون للمحل مخلوقا قبله او معه لانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال تعالى اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معاني هذه الاسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر القلب وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قد مناشرح هذه الاسامي حيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقهه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعدة له

ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب كانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والجزء الاول المتدبر وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا عن بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه

بيان جنود القلب • قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والاسرار وغيرها من العوالم جنود وجنده لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمرد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ولما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والاعضاء تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله سبحانه ما لم يسكن البدن وسلم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الطريق وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه من اسباب المهلك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور فالجوارح من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالحواس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما هي بالاصابع وقوة البصر انما هي بالعين فكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما يدرك به من جنود لم نرها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما قد اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والتذكر والتخيل لكان الدماغ بخلوعنه كما تخلو اليد والرجل عنه فكذلك القوى ايضا جنود باطنة وامكنتها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة • اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه ويحسن من اضتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يعلكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد والقلب

جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلاثة امثلة **المثال الاول** ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجواره وقواه بمنزلة الصناع والعمال والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب الحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل ودَيْدَنُه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما ان الوالي في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيره ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستبدا بآرائه في ان الصواب في نقيض رأيه وادّب صاحب شرطته واساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا لا اميرا مدبرا لا استقام امر بلده وانتظم العدل ببسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدّبت الحمية الغضبية فسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة كان ممن قال الله تعالى فيه افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال الله تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وقال عز وجل لمن نهى النفس عن الهوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى **المثال الثاني** اعلم ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبرها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كقيّم فيه مُرابِط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يجب حُمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذُمّ اثره فانتُقِم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يَعْطَب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه **بيان** خاصية قلب الانسان اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدينوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات لا يشارك فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الشخص الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فانه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة للصلحة والى تعاطي اسبابها الارادة هما وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الغصص والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في حين المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للمعرفة بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل نهايا على التحقيق فاذا قلب الانسان اختص بعلم وارادة ينفك عنهما سائر الحيوان بل ينفك عنهما الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان + احداهما ان يشتمل قلبه على العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات

وجواز الجائزات لها فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذى لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان يتحصل له العلوم للمكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هى غاية درجة الانسانية ولكن فى هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة للعلومات وقلتها وشرف للعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهى على سبيل البداهة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفى هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والانبياء والاولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي الذى تنكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهى فى اسرع وقت وبهذا السعة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقى هذه الدرجات هى منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبى ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبى وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتح الله على اوليائه وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى ايام دهركم لنفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سيأتى بيانه والى هذا الجمع الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانا الى لقائهم اشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت بخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالمرآة فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفى كماله سعادته وصلاحه بحواره حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التى لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس فى امور ويفارقهما فى امور هى خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينشأ فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما اخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقولهن ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضاريا ككلب وسنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا رعونة كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة فى ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ويجرى القوة الخيالية الموضوعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه والاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الارائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع

ل الغمر بالكسر الغشيم الذى لم يجرب الامور ١٢

ع والشره محركة فقد الرجل والعمى الذى يعرض للعين والجدر واصل الرمد البيلان ١٢

ويجرى

الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن فى مراعاة اعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او فى عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذى ضربناه اشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت الانسان عيناه هاديه واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علىّ رضى الله عنه فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى ارضه آنية وهى القلوب فأحبها اليه تعالى ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها فى الدين واصفاها فى اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابى بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم فى قوله تعالى فى لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب الصدر مثل العرش والكرسى فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلته ◆ اعلم ان الانسان قد اصطحب فى خلقته وتركيبه اربع شوائب فلذلك اجتمع عليه اربعة انواع من الاوصاف وهى الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشرة والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه فى نفسه امر ربانى كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربى فانه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالربانية والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على المعلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها فى الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع فى القلب فكان للمجموع فى اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضارى فى الكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل بروح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفى باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغرى احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذى هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره للشرف الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقد عليه اعتدل الامر وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال فى استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب وخنزير وهذا لحال اكثر الناس بل هما كان اكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم او فى اليقظة لرأى نفسه مائلا بين يدى خنزير ساجد له مرة وراكبا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهواته انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته او رأى نفسه مائلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا ساعيا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا بالفكر فى حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فيراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخر لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص الجشع والملق والحسد والحقد

ل
بالخبث محركة اشد الحرص
واسوأه وان تأخذ نفسك
وتمنع نفسك فتخيب بزيك
والخبث محركة الحرص على
كثرة الاكل

ع
التبذير الاسراف
والتقتير ضده

ع
بخل بخلا فاعله
وفلانة من البخلاء
لا يأبى قولا وفعلا كلاهما
صحيح الوجه وقد بخل بخلا
وبخالة ١٢

والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجرزة والتلبيس والتضريب والغش والخب والختل وامثالها ولعكس الامر وتهم الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفتها الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدى والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والتبذل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب ما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلاءلأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عز وجل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بامر الآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصورا همهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى سواد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد نمي فيها حتى تعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة + اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان المتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير صور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نقش الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف وصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجود ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد ثم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيلها بالمرآة او لان عين الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور الخمسة امور + احدها تقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصدائه وكدورته وان كان تام الشكل + والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة + والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة + والخامس للجهل بالجهة التي فيها

ل التقريب الخبيث الحبة الخضرة والجزة والغش والخنا الفحش في الكلام ١٢

ن مصقلات

الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه ان يحاذى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلى فيها حقيقة الحق فى الامور كلها
وانما خلت القلوب عن العلوم التى خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة • اولها نقصان فى ذاته كقلب الصبى فانه لا ينجلى له المعلومات لنقصانه • والثانى الكدورة
المعاصى والخبث الذى يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اى حصل فى قلبه كدورة لا يزول اثرها اذ غايته ان يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء
بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة
ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على
طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال
صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم • الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان
كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل بما يكون مستوعبا لهمه بتفصيل
الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه
من دقائق افات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح للعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييدا لهمه بالاعمال وتفصيل
الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف لهمه الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى
الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهوته للتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبى
على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب
عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين لمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت
فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق • الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه
ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك
يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم
لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد
ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من اصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم
فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم
ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى
بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد حال بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى
ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه
المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما
ذكرناه فى المرآة يغر على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور
الاكمل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة
الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل ادمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها
الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان
الشياطين يحومون على قلوب بنى ادم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى
الله عنهما قال قيل لرسول الله يا رسول الله اين الله فى الارض او فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى
قلب عبدى المؤمن اللين الوديع وفى الخبر انه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لا غش فيه
ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد وذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى بى اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت
فى قلبه فيرى جنة عرضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف

متباعدة الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت هي الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شئ سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد افلح من زكاها وما مراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب **المرتبة الاولى** ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض **والثانية** ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام **والثالثة** ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين وبين تلك هذه المراتب بمثال وهو ان تصدق بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات **الاولى** ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فأن قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم امهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطاء ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانهم القي اليهم الخطاء والمسلمون اعتقدوا الحق لا طلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق * **الرتبة الثانية** ان تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس مجبولا على التهمة موضعا ولا يقدم في هذا التلبيس المحاكاة غرضا * **الرتبة الثالثة** ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يومنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف ما درجات العلوم فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيحصل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في المشاهدة للامور الالهية واما مقادير المعلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة للعلوم لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم والله تعالى اعلم بالصواب **بيان** حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق العلوم كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية واخروية * اما العقلية فنعني بها كل ما تقتضي بها غريزة العقل لا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدري من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما فان هذه علوم يجدها الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من اين حصل اعني انه لا يدري له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه ان الله هو الذي خلقه وهداه * الى علوم مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه **شعر** العقل عقلان فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع * والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض عينيه او جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر في العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى اوان التمييز او البلوغ ايضا هي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي سطر الله به المعلوم على

صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر وموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر حماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتناع ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلى * اما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم سلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف فى استدامة صحة اسباب البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدى اليه ولكن لا يمكن فصمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنا بالعقل عن السماع ولا غنا بالسماع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء وكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل بتناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض فى الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه فى نفسه خيل اليه نقضا فى الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها باوانى الدار فقال لهم ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاوانى فى مواضعها وانما انت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعنى ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس فى امور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى امور الآخرة والاكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان اكثر اهل الجنة البله اى البله فى امور الدنيا وقال الحسن فى بعض مواعظه لقد ادركنا اقواما كانوا يتهموهم لقلتهم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فهما سمعت اذنى غريبا من امور الدين جحدته اهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبولها اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب فكذلك يجرى امر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن سخره الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التى تنسع لجميع الامور ولا تضيق عنها واما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار * اعلم ان العلوم التى ليست ضرورية وانما تحصل فى القلب فى بعض الاحوال تختلف احوال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القى فيه من حيث لا يدرى وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدرى العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب والاول يسمى الهاما ونفثا فى الروع والثانى يسمى وحيا وتختص به الانبياء والاول تختص به الاولياء والاصفياء والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال

ل
العقاقير اصول الادوية واصلها نقاوة بالفتح والتشديد ق

ك
الكل اثر الحكماء والاوائل فى ورق ق

ع
الفوت الفتح والسبق بالفم القلب ق

يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب رياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف ايضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الا كالكتاب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالات فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسيره ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى انه ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو مما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى له الا انتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتواتر هذا على التلاحق وقد يقتصر على فرد واحد ومنازل اولياء الله تقصر فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار ذو واعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى هذا المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطئوا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ دنا وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلب الموء من اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال عليه افضل الصلاة والسلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختل العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم تشتت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي في سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان في ذلك ايضا ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرير وتعليق فانا ايضا بما انتهى بي الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعسى ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس

ل قشع الريح السحاب كشفه فانقشع

ك محا وجوه ويمحاه او تبراثره فمحا هو لازم ومتعد

ن نفخ الطيب كمنع فتح والريح بين والنفخ من الريح الدفعة

ف قال صنعون من الوحي ابو فند السهل

مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين احدهما انه لو فرض حوض محفور في الارض
احتمل ان يساق اليه الماء من قوته بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض
ويكون ذلك الماء اصفى واد وم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الانهار وقد يمكن ان تساق العلوم
الى القلب بواسطة انهار الحواس بالاجتلاب بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن ان تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره و
رفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر فيه ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يتسع
بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما ان المهندس يصور
ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ
ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء
والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض يبقى هو في نفسه لوجل صورة السماء
والارض في نفسه كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتأدى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل
في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق
للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجود الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي
وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية
اشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حد قلبك على صغر جسمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض
على اتساع اكنافها ثم يسير من وجودها في الحس وجودا في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم
كله مثالا في ذاتك لما كان ذلك خيرا مما كان ذلك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت
قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس
وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها
فهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك
كتفجر الماء من عمق الارض وهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع
في الانهار منع ذلك من التفجر في الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا القلب له بابان باب مفتوح
الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك ايضا
يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت
ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتامل من عجائب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير
اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وتجرد صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله
قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اخبارا عن الله فقال ثم اقبل بوجهي عليهم ازي من
ازجمته بوجهي يعلم احدا ي شيء اريد ان اعطيه ثم قال تعالى اول ما اعطيهم ان اقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذا الاخبار
هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو ان علوم هؤلاء تتأتى من داخل القلب من الباب المنفتح
الى عالم الملكوت وعلم الحكمة يتاتى من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك فعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في
علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العلمين المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في
اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب والاولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها ونصفيتها وتثقيلها فقط فقد حكي ان اهل الصين
واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقرا ي الملك على ان يسلم اليهم صفة ليتنقش اهل الصين منها جانبا واهل
الروم جانبا ويخلى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا يحصى ودخل اهل الصين من غير
صبغ واقبلوا يصقلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم قد فرغوا ايضا مما يجب التنقش من قبلهم وانهم لا يحتاجون في شيء من
من غير صبغ فقيل او كيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا بياض بهم يتلالا منه عجائب لم يعهد في عالم الرويا مع زيادة اشراق

الفرز الخمس
الحي والفرز من
الاكبار والينابيع
الكنز والماء ان

السماح الجود
والكرم فيكم
١٢

وبريق اذكان قلبه صافيا كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل وكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها فى القلب كفعل اهل الرّوم فكيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا ينكدر واليه اشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الايمان بل يكون وسيلة وقربة الى الله تعالى واما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب خزائن الدّنيا غنى وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف انوار لا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد روى فى الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم اصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضئ مرة وينطفئ اخرى فاذا اضاء قدّم قدميه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتدّ فى ميدانه والذى اعطى نورا على ابهام قدمه يجبو جوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الايمان ولو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا ايضا هو معنى قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نور مثل نور السراج وبعضهم نور كنور الشمع وايمان الصدّيقين نور كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كالشمس كما ينكشف فى نور الشمس صور الآفاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف فى نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشافات سعة للملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء فى الخبر انه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا يمنع دخول النار وفى مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من فى قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود فى النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من الف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوقن فانه خير من الف قلب من العوام وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين امنوا الذين صدّقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكرم اهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى وفى رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات اهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن لان المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة دراهم الى الغنى الذى يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوّف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق للعتاد ✦ اعلم ان من انكشف له شئ ولو الشئ اليسير بطريق الالهام والوقوع فى القلب من حيث لا يدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى ان يومن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا وليشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من سوال النور فقال عليه السلام اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى نورا وفى قبرى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا حتى قال فى شعرى وفى بشرى وفى لحمى ودمى وعظامى وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل وقال على

١ ح
تى كون امنا
ومن تى وترجمة
تمنى وانتره طاه
١٢ ق

٢ ح
انقض الطائر
انقضاضا تحرى
ليتقع ١٢

٣ ح
جا الرجل تشى على
يديه ويطنه وجا ايجى
مجيئا كمسعى تشى على
استه وانشد بعيره
١٢ ق

رضى الله عنه ما عندنا شئ اسره النبى صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتى الله تعالى عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل فى تفسير قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء انه الفهم فى كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان فخص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول للمؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه ليحق يقذفه الله فى قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى فى قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من امتى محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذى انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذى يحفظ من كتاب فاذا نسى ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذى ياخذ علمه من ربه فى اى وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الربانى واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل الدنى الذى ينفق فى سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لعايشة رضى الله عنها حين موته انما هما اخواك واختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضى الله عنه فى اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل اذا نكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس ابن مالك رضى الله عنه قال دخلت على عثمان رضى الله عنه وكنت قد رأيت امراة فى طريقى فنظرت اليها شزرا وتاملت محاسنها فقال عثمان رضى الله عنه لما دخلت يدخل على احدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت اوحى بعد النبى فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابى سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت فى نفسى هذا واشباهه كل على الناس فنادانى وقال والله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله فى سرى فنادانى وقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عنى ولم اره وقال زكريا ابن داود دخل ابو العباس ابن مسروق على ابى الفضل الهاشمى وهى عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت فى نفسى من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بى يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنية فان الله تعالى الطف خفية وقال احمد النقيب دخلت على الشبلى فقال ستقعد يا احمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطرى انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد منى خاطرى وقال بل انت بخيل فقلت ما فتح اليوم على شئ الا دفعته الى اول فقير يلقانى قال فما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها فى مصالحك قال فاخذتها فى قمتى وخرجت واذا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال اوليس قد قلنا لك طلبك بخيل قال وناولتها للمزين فقال للمزين قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين ايدينا ان لا ناخذ عليه اجرا قال فرميت بها فى جملة وقلت ما اعزك الله اصن الا اذلك الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوى دخلت على ابى الخير التيناتى واعتقدت فى نفسى ان لا اسلم عليه ولا آكل فى داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير التيناتى هذا مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقى قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدنى سبع فعدت اليه فقال ابى خير وقلت قصدنى سبع فخرج وصاح به وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفانى فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال لى اشغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد * وما حكى من تقرس المشائخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل * والدليل القاطع الذى لا يقدح احد على جحده امران * احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل ايضا فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه * والثانى اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب والامور فى المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبى عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق

لا
صوفى كنعد فريب
دنيا كى دوستى على
وجه الارض
ق ١٢

وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان القلب بابان باب الى خارج وهو للعوام وباب الى الملكوت من باطن القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما جميعا امكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سببا لاليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما التشبيه في انكشاف الامر في المنام بالمثال الخارج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة وذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق شرح ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني ان ازايله عليه شيئا من ذكر لي لاخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما تكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت لست اكتب ان القرائض قال لا بلى قلت فكيف كان ذلك وهذه اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسالة مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب يا غرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسالة جواب عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي وسالته فحدثني بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري تولليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى مراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من الطيعين فانهم يجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يدل الله على قواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال الخواص لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة مضروبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثال ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب وهو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا يخلو عنها او مثال حوض تنصب فيه ميازيب مختلفة من انهار مفتوحة اليه ولنا مداخل هذه الآثار للمجاهدة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر واعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار واعني بها ادراكا به علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر للخير يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه انا ضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلى قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما ملكان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف

عند همه فما كان من الله تعالى امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالله يتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع
سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك اشخصه بل الفعل في التقليب والتريد كما انك تتعاطى الافعال باصابعك والله تعالى يفعل
ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح
لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والاعراض
عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان
ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن
شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير وانما
كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فلما اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعوه
الى الشر فالشيطان المتدلع بها لا يأمره الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا لوسوسته ومهما انصرف القلب الى
ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك واله وهم التطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائما الى ان ينفتح القلب
لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اختيار الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى
ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى
والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح انوار الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري
من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى
لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه
الشيطان وقال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى ان من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته (وجدت) فتعوذ بالله منه وا
اتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان
من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يجوز
ايضا ان يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان
ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه
الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم في اوقات الغفلات على سبيل الخفية قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض و
اذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى
استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن ادم فان هو ذكر الله تعالى
خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بابي وجه من لا يفلح
وكان الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه لذلك قال صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب
من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه و
سلم ان الشيطان قعد لابن ادم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم فتترك دينك ودين اباءك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر فتدع
ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه
الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله

سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بصفاته ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد
الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان
انه جسم لطيف وليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت
في ثيابه حية وهو محتاج الى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فمهمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت
ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر الحذر في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه
عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى
الم اعهد اليكم يا بني ادم لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان
يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة
فذلك ميدان العارفين المتقلفين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع
الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان من مكايد
الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر
بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ ما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب
بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تتكفر نعمة الله تعالى بتعرضك لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة
الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يريد عوده بعد ذلك الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين
اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في اثنائه يوكد فيه
شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتقرب بكثرة الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم
وهو يظن ان قصده الخير وانما قصد الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم
فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء
والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان
في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص تسمية تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما
في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له
ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بعين من الطبع ولا يطلع عليه الا نور التقوى والبصيرة وغزارة العلم
كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه
بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مسلم قال سبحانه وتعالى ويدالهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات ولغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان
وذلك فرض عين على كل عبد وقد همل الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوساوس تسلط عليهم الشيطان وتسلم صداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوساوس
الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل
والمال يقلل مداخل الوساوس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله
تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان
ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه
ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها وبهما كان الباب
مفتوحا والعدو غير غافل لم يدافع الا بالحراسة والمجاهدة ✦ قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلا
لوم من منه ثم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى احدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود
شيطان للمؤمن مهزول وقال قيس ابن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الخرز وها انا الان مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني

ن
للمتقلفين
غض في بعض النسخ بالغاء
من تقفل اي تحفر
وقارب بين الخطاء

بذكر الله تعالى فاهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعنى الابواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى الى المعاصى الظاهرة
وانما يتعذرون فى طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه فى غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى
القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة والعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية
كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى
بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهتدى الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة
وغامضة * قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط
وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل تلك الخطوط فبين صلى الله عليه
وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثلا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة فلنذكر
مثلا لطريقه الواضح الذى لا يخفى الا ان يضطر الادمى الى سلوكه وذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فصد الشيطان
الى جارية فخنقها والقى فى قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتوا بها اليه فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها اتاه الشيطان ان
فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الان تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان
اهلها فوسوس اليهم والقى فى قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه عنها فقال ماتت فاخذوه ليقتلوه بها فاتاه الشيطان فقال انا الذى
اخذتها وانا الذى القيت فى قلوب اهلها فاطعنى تنج واخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برئ منك
فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر
وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب
فى الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من
حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه **بيان** تفصيل مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن فيملكه
ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يدرى ابوابه فحماية
القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب فلا يتوصل الى دفع الشيطان
الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهى كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى
الدروب التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان **فمن ابوابه العظيمة** الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان
ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة فقد روى ان موسى عليه السلام لقيه ابليس فقال له يا موسى انت الذى اصطفاك
الله برسالته وكلمك تكليما وانا خلق من خلق الله اذ تبت واريد ان اتوب فاشفع لى الى ربى ان يتوب على فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل
واراد النزول قال ربه ادّ الامانة فقال موسى يا رب عبدك ابليس يريد ان تتوب عليه فاوحى الله تعالى الى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك
ان يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك امرت ان تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم اسجد له
حيا اسجد له ميتا ثم قال يا موسى ان لك على حقا بما شفعت لى الى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرنى حين تغضب فان روحى فى قلبك
وعينى فى عينك واجرى منك مجرى الدم اذكرنى اذا غضبت فانه اذا غضب الانسان نفخ فى انفه فما يدرى ما يصنع واذكرنى حين تلقى الزحف فانى آتى ابن آدم
حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده واهله حتى يولى واياك ان تجلس الى امراة ليست بذات محرم فانى رسولها اليك ورسولك اليها فلا ازال
حتى افتنك بها وافتنها بك فقد اشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد
وهو اعظم مداخله وقد ذكر ان بعض الاولياء قال لابليس ارنى كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى فقد حكى ان ابليس ظهر لراهب
فقال له الراهب اى اخلاق بنى آدم احون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف
يغلبنى ابن آدم واذا رضى جئت حتى اكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى اكون فى راسه **ومن ابوابه العظيمة** الحسد والحرص فهما كان العبد حريصا على
كل شئ اعماه حرصه واصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص
لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روى ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة
حمل فيها من كل زوجين اثنين كما امره الله تعالى فراى فى السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك فقال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم

معى وبدا نهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس اهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا احدثك
باثنين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال نوح والاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تحلفانى بهما اهلك الناس الحرص
والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما الحرص فانه ابيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتى منه بالحرص **ومن ابوابه العظيمة**
الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان فقد روى ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما
السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التى اصبت بها ابن ادم فقال فهل لى فيها من شئ قال ربما
شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال يحيى لله على ان لا املأ بطنى من الطعام ابدا فقال له ابليس ولله على ان لا انصح مسلما ابدا
ويقال فى كثرة الاكل ست خصال مذمومة اولها ان يذهب خوف الله من قلبه الثانى ان يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع
والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس والسادس
ان يهيج فيه الامراض **ومن ابوابه** حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ
فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستصغر فيها طول عمره واذا اوقعه
فى ذلك فقد استغنى ان يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شئ الى شئ الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو فى سبيل
الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه **ومن ابوابه العظيمة** الطمع فى الناس فانه اذا غلب الطمع على القلب
لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة التودد
والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عنى شيئا اعلمك به فقال لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا اخذت
وان كان شرا ردد دت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله سوال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فانى ملكك اذا غضبت **ومن ابوابه العظيمة**
العجلة وترك التثبت فى الامور وقال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتانى من الله تعالى وقال عز وجل خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان
الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغى ان تكون بعد التبصرة والمعرفة التبصرة
تحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يرقح الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى فقد روى انه لما ولد عيسى بن مريم
عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا احادث قد حدث مكانكم فطار حتى اتى خافقى الارض فلم يجد شيئا
ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد المباركة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا
هذا فايسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة **ومن ابوابه العظيمة** الدراهم والدنانير وسائر اصناف
الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يريد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة
دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار اخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان
قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشترى دارا يسعها ويشترى جارية ويشترى البيت ويشترى
الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع فى هاوية اخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه + قال ثابت البنانى
لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى اعيوا ثم جاءوه وقالوا ما ندرى قال ابليس انا
آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فينصرفون
خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم ابليس ويدكم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا
فنصيب منهم حاجتنا وروى ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت فى الدنيا فاخذه عيسى صلى الله عليه وسلم
فرمى به من تحت راسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان
عليه فان الفائز بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان
لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا فى حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمنتزهات الطيبة فمتى ينشط
لعبادة الله تعالى + **ومن ابوابه العظيمة** البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز
والعذاب الاليم وهو الموعود للكانزين كما نطق به القرآن العزيز قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبنى ابن ادم غلبة فلن يغلبنى

على ثلاث آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس لشيطان سلاح مشاخوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ فى الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن به ظن السوء ومن افات البخل الحرص على ملازمة الاسواق بجمع المال والاسواق هى معشش الشياطين وقال ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب انزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال اجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لى طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرانا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل لى مصائد قال النساء * **ومن ابوابه العظيمة** التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والنساك جميعا فان الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لابى بكر الصديق رضى الله عنه وهو اكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفسق ولو راه ابو بكر لكان اول عدو له اذ موالى ابى بكر من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضى الله عنه ان يقبع حصاة فى فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فكيف لهذا الفضولى ان يدعى ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر ينتصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته انه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعرى من اخذ ولاء عزيز الانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه ويلتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب ابيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من اهل والولد بل من انفسهم والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتودد ون به الى عدو الله ابليس وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند اولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة فى امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح افعالهم وان الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابى بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلى لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهى بضعة منه اعملى فانى لا اغنى عنك من الله شيئا وهذا امثال اوراه من جملة الاهواء وهكذا احكم المتعصبين للشافعى وابى حنيفة ومالك واحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام ونولى بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبى ومسلكى الذى سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبى كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المدارس لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحسنوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكائد الشيطان فيه بل زادوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فانا لله تعالى يتوب علينا وعليهم * وقال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهى الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون منها * ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فاناهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فتقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم * **ومن ابوابه** حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتجروا فيه على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى امور لم يبلغها حد عقولهم حتى يتشككهم فى اصل الدين ويخيل اليهم ان فى الله تعالى خيالات ينعالى الله عنها يصيرها كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فاشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا فى عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه واكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتى احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبى صلى الله عليه وسلم لم يامر بالبحث فى علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يومنوا

عش بالضم خلية تعرع كبرود رخت يا شوره اس وكذا عشش الطير يعشش اى اتخذ عشا وموضع مخدد الصحاح ٣ الوشم كالوصم زرقة فى البدن وقد وشم الخياط عليه وشام ودوشوم وقد وشم ويوشم وشما وتوشم واستوشم الحديث نقل الحديث والاستوشام الوشاية ٤ الازدراء الاحتقار والذل بسوء الظن ٥ تتقبر كتكبر ٦ من ٥ الاقتحام الدخول فى شئ فى شدة وعنف من غير رويته ٦ اى فطرته منه من البضع بالكسر القطع والشق ٦ الملمة المعاجلة والنازلة ١٢

ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو بقي دهرا لم يجد بدا من أن يتكلم في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما أوردنا بعضها أمثال + **ومن ابوابه** سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه وينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روي عن علي بن حسين ان صفية بنت حيي بن اخطب اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما ظننا بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف شفق صلى الله عليه وسلم على دينهما في سهمها وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في حواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير عجبا منه بنفسه فان ورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضى بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر **شعر** وعين الرضى عن كل عيب كليلة + ولكن عين السخط تبدي المساويا + فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب لو اردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وقد فرغنا في هذا الربع من الكتاب ببيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه نعم اذا قطعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات لم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص بذلك المتقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبزا ولحم فانه يتزجر بأن تقول له اخسأ فيخسأ بمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب المخالي عن قوت الشيطان يتزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب فعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من تسويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والآيات الواردة في الذكر قال ابو هريرة التقي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر ذهبين سمين كاسر وشيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عاثر فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا واذا لبس سمى الله فاظل عريانا واذا ادهن سمى الله فاظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه + وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما آيستنه من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شئ قدير قال فتمثل له ابليس وقال في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال وما من انت قال انا ابليس فقال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة ولا اتعرض لك قال والله لا امنعهما ممن اراد فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ببدة شمعة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شمعته وخر على وجهه + وقال الحسن نبئت ان جبرائيل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا آويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني الشيطان فنازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان عليه السلام لاصبح طريحا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير الذي سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن

---

٣ ح ل من اليمين اذا كانت ... ٤ ح ل ... ٥ ح ل اي من تحيرت ... ٦ ح ل ... ٧ ح ل ... ٨ ح ل ... ٩ ح ل ... ١٠ ح ل ... ١١ ح ل ... ١٢ ح ل ...

عمر رضى الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما ينفع الذى شربه بعد الاحتماء
وتخلية المعدة والذكر دواء والتقوى احتماء وهى تخلى القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول
الدواء فى المعدة الخالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى
عذاب السعير ومن بعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم
تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالعيان وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب
قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين وكيف يمرغ بك فى اودية الدنيا ومهالكها حتى انك
لا تدكو ما قد نسيته من فضول الدنيا الا فى صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساويها
فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك المرض
فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم ارد فه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه
اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وانت صديقه فى السر اى انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد
معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعونى استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط
الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعونى استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذى اماتها قال ثمان
خصال عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت
ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواظبتموه على المعاصى وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا
لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعى الى المعاصى المختلفة
شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة لك الى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفة كل البقل من حيث يوتى ولا تسئل عن المبقلة ولكن الذى يتضح بنور
الاستبصار فى شواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذى
ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لا بليس خمسة من الاولاد قد جعل
كل واحد منهم على شئ من اثمه فذكر ثبر والاعور ومبسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود
ودعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مبسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فانه يدخل مع الرجل الى اهله فيرميهم بالعيب
عنده ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد فى
ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى الملائكة كثرة وقد ذكرنا فى كتاب الشكر السر فى كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل
منفرد به وقد قال ابو امامة الباهلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن من ملائكته وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك لبصر سبعة املاك
يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف وما الوبد لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغر فاه ما لوكل العبد الى نفسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب بن يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤن معهم وروى جابر بن عبد الله
ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض قال يا رب هذا الذى جعلت بينى وبينه عداوة ان لم تعنى عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل بمثله
قال يا رب زدنى قال الجزى بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدنى قال باب التوبة مفتوح ما دام فى الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا
العبد الذى كرمته على ان لا تعنى عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولدت لك ولد قال رب زدنى قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا
قال رب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف
صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح فى الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم كما
قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل وصنف اجسامهم اجسام بنى آدم وارواحهم
ارواح الشياطين وصنف فى ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال
انى اريد ان انصحك قال لا حاجة لى فى نصحك ولكن اخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم وهم اشد الاصناف علينا فبفضل على
احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شئ ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن نلك
منه حاجتنا فنحن منه فى عناء واما الصنف الآخر فهم فى ايدينا بمنزلة الكرة فى ايدى صبيانكم نقلبهم كيف شئنا وقد كفونا انفسهم واما الصنف الثالث فهم

(ا) اى تعب (٢)

مثالك معصوم لا تقدر منهم على شئ فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا راى صورته فهل هى صورته الحقيقية او هو
مثال له تمثل به ان كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى فى وقت واحد فى مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك
والشيطان لهما صورتان هى حقيقة صورتهما بالاضافة الى حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فمن راى النبى صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه افضل
الصلوة والسلام فى صورته الاصلية فذلك لانه صلعم سئل ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك وظهر له بحراء فسد الافق من الشرق الى المغرب فراه
مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه فى سورة الادمى غالبا فكان يراه فى صورة دحية الكلبى وكان رجلا حسن الوجه
والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك
مقام حقيقة صورته كما ينكشف ذلك للنائم لاكثر الصالحين وانما المكاشفة فى اليقظة هو الذى انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى
تكون فى المنام فيرى فى اليقظة ما يراه غيره فى المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان رجلا سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى فى النوم
جسما كالجمل شبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان فى صورة ضفدع واضعا على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله
من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة فقد راه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على حقيقة
يدعو الناس اليها وكانت الحقيقة مثال الدنيا وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل
عالم الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذى يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى
عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحى ووجه الى عالم الشهادة فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة
كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث
الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس واما الصورة التى تحصل فى الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية
للصفة وموافقة لها لان الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى للمعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان فى صورة
كلب وضفدع وخنزير وغير ويرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على انسان
خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذا اسرار عجيبة وهى من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان
تعلم ان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل
بصورة محاكية للمعنى هو مثال للمعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققه وينفرد بمشاهدته المكاشفون من جملة كالنائم **بيان** ما يؤاخذ

به العبد من وساوس القلوب وهمومها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به * اعلم ان هذا امر غامض قد وردت فيه آيات واخبار متعارضة
يلتبس طريق الجمع بينها الا على جماعة من العلماء بالشرع فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عفى عن امتى ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به او تعمل
به وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم
بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد خرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة و
فى لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها
كتبت وفى لفظ آخر اذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا
ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان
عنه مسئولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى لا يؤاخذكم
الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا فى هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا
ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كالوخطر له مثلا صورة امراة واينما وراء ظهره فى الطريق لو التفت اليها لرآها
والثانى هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث
حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل اى ينبغى ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف
من الله تعالى وعدم هذه الصوارف لم يكن بناتا وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم
على الالتفات نحوها فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف وكان اذا اضيف القلب الى الخاطر الاول حتى
طالت مجاذبته للنفس تاكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل

ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فتتعذر عليه العمل فهيهنا اربعة احوال القلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان ايضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به انفسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تجول في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما الهم والعزم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دعوب الصيام قال نفسي تحدثني ان ترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا تردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى ندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجدته في مخالفة الطبع وهو العمل لله تعالى اشد من جدته في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب او غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ليقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة فلم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار بمجرد الارادة من اهل النار مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفر بحسنة وتقف العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فاما فوت المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قال اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اي مما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم ثم اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري وهذا يجري بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينالها التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمانت اليه القلب والاثم ما حاك في القلب وان افتوك وافتوك حتى يا تقول الذي حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن انه تطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يحل وطئها وان كانت اجنبية فان ظن انها اجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظرا الى القلب فتأمل الجواهر

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا * اعلم ان العلماء للراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق * فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لانه عليه السلام قال فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت كانه يسكت * وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه * وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها

٢٣

ل ١ اي من الشك في نفسي اي خطر بلا دليل وبرهان يثبته في نفسي من صدره مثل الوسوس

ل ٢ ان الجبر القطع كما الجبار بالكسر في سيقان المخنثين

ل ٣ اي من اجل انك كذا من جرائك اي من اجل فعلك هو فعل ربما قالوا ما يجازك بالمعنى المتقدم

ل ٤ مواد القلوب في مرين بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويزيغها ويقيمها والقلب مثل ريشة في الارض تقلبها الرياح بفلاة والقلوب في قبضة الرحمن اذا شاء اقامها واذا شاء ازاغها

للقلب فكانه يوسوس من بعيد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا ادرتها بسرعة رايت النقط ذوائر بسرعة تتواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان المختنس قد يرد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا ولها اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه والوسواس ثلثة اصناف **الاول** ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم بالمذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر لله عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال نفسه الصبر عن الشهيات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجد ايمانه ويقينه مخنس الشيطان وهرب ذلا يستطيع ان يقول له النار اسير من الصبر على المعاصي لا يمكنه ان يقول للمعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله فيقول الى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ ان معرفته وقدرته واعضاءه التي بها عمل وصل كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوساوس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة هيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتذكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور ما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به فقد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محاسن محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه احد لكان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر واذا تاملت جملة من هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمر طويل لا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به الى ابي جهم وائتوني بانبجانيته وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليكم ونظرة اليه وكان ذلك بوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عرض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن اغلب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن اغمض في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس باب واحد بل ابواب كثيرة * قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبيل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه التصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فقيل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد حاجته فانها آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات * اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتاثر به اصابه من جانب آخر

ل ٥ نسخ كمحلس موضع وكسار بسنجان وانبجاني بفتح باثمانية على غير قياس ١٢ منه

ل ٥ الخ اليس هو مخالبه هو فوق كل من يصيد من طير او سبع ١٢

ل ٥ وكان الامر فتشه اي فجاءة من غير تردد وتدبر فافتتن الشيء افتتانا اي ذهب مني وفوتني ١٢

ما يضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فداعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا والیه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يدعو يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا اوتخاف يا رسول الله قال وما يؤمنى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفى لفظ آخر ان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة وقال عليه السلام مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى فى تقليبها من حيث لا يهتدى اليه ولا يعرفها الا المراقبون والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى * والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة * قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به وينظر الملك الى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا يتقوى مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب بالخير وتيسيره الامر عليه والیه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشر الخفى الذى هو اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شىء من مكائد الشيطان بل يقفه الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى اقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة **القلب الثانى** القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويتحبس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتى منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فيستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلمانه لانخناس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزين والغرور والاماني ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفى انواره فيصير العقل كالعين التى ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب مكان للتوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن التسمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدر والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى (اى اكثر عمل ١٢) ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله عز وجل لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وبقلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات وبقلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط امساكه عن قلبه او كالذى لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذى لا يملك نفسه عند الغضب حتى استحق وذكر عيب من عيوبه او كالذى لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل تهلك عليه تهالك الوالهة المستهترة فيفنى فيه المروة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفى منه انوار البصيرة فينطفى نور الحياء والمروة والايمان ويسعى فى تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلمحه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة ويحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع فى وجه الشهوة ويقبح فعلها او ينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعى الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان افتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك

ل ناع مال للرفع الشكر
والحمد من الحق ١٢ من
ك الشكوة كمباة
الكوة التى يوضع فيه
السراج ١٢
ظ بالراء ١٢ اى
فيت الذى فيه ملكت
وطوعت ١٢
ذا بالعقل ١٢
ش بفتح
السكر بالضم بالتحريك
وبالسكر من الاغذار
والشراب ١٢ ان
الوالد الذاب المحامى
والمستقل على صيغة
الفعول المولع بالشى
لا يبالى بما فعل فيه ١٢
ظ اى
فتح الشين
كالمجن بالضم والكسر

شرا لا متنع منه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب الى فيميل الملك حملة على الشيطان ويقول لا هلاك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة افتقنع بلذة يسيرة تورث لعذاة الجنة ونعيمها
ابدا الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب
النار لا يخففه عنك معصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر وقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت باردا كنت
تساعد الناس وتترك لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى
قول الملك فلا تزال تتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب
عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها قلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه و
مساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر لما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية
لم يصغ القلب الى غواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق
من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب حتى التقلب والانتقال من حزب الى
حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى
عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي ايضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء
فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعاصي وسلط عليه اوان السوء والقى في قلبه حكم الشيطان فانه
بانواع الحيل يغريه الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب عن ايعد هم
ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها في سمع
قلبه لقبول الغرور وبصيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي
والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار
وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل الجنة واهل النار فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روي
عن نبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون فلنقتصر على
هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة غوائل علوم المعاملة واسرارها ليتقي
بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزئ بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع انشاء الله تعالى والله
ولي التوفيق * تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وهذب تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة
والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص
عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلوة والسلام على محمد عبد الله وبنيه وحبيبه وصفيه
وبشيره ونذيره الذي كان يلوح انوار النبوة من بين اساريره وتستشف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين ظهروا وجه الاسلام
من ظلمة الكفر وديا جيره وحسموا مادة الباطل فلم يبتدئوا بقليله ولا بكثيره اما بعد فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو
على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل
الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض

حرفه تحريفا شنيعا
ضيقا بالتخفيف
والتشديد اى من قولهم
حرجا كشيرا الضيق بكسر الراء
صعودا وفتحا مصدر وصفه
مبالغة كانما يتصعد وفي
قراءة كانما يصاعد فيها
ادغام التاء في الاصل
في الصاد وفي اخرى كانما
في السماء اذا كلف الايمان
الانسان ما يشق عليه ١٢
من الشحنة
والوشمتان ١٢
بالفتح وسكون الشين قال ابو النضر
الحمرة في ما حول الظفر من وسخ يستشفى
ما دار ١٢ صحاح وا ستشفه اداره ١٢
اى نظر ما دار ١٢
جمع خليقة اسم لما يخيل
يتخيل فيه ١٢
الشباب جمع الدري
واوائل الصبح ١٢

ولا خلاق الحسنة على الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن

يفوت حياة الابد واين منه المرض الذى لا يفوت الاحياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب التي فيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام ربما اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة علتها واسبابها ثم الى تشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجاتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتى في بقية هذه الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلى في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام درکه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق معالجة القلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق + قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ففعل صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه السلام ماذا قال لا اعلم حتى اسال العليم فعرج ثم نزل فقال يا محمد هو ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فاتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هوان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام اى الاعمال افضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فتطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق وفي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء وما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء وما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اى المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابى مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اكرم الرجل دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطى العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا تعتد بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا اباذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت المراة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما هي تكون قال احسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم

ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فادخله على الله تعالى وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف في العبادة وروي ان عمر رضي الله عنه استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه مم تضحك يا بي انت وامي يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر انت كنت احق ان يهبنك يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال يا عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة لا تتوج وقال عليه السلام ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك بجهنم **الآثار** قال ابن لقمان الحكيم لابنه يا بني اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فان كانت اثنتين قال الدين والمال قال فان كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فان كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فان كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فان كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس الخصال فهو تقي نقي لله ولي ومن الشيطان بري وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيئ الخلق ٭ وصحب ابن المبارك رجلا سيئ الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويلدبه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقال الكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فاقرب الخلق الى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق **بيان** حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق ٭ اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمراته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وفي ذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى قال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو رضاء الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضى عن الله تعالى وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال اداؤه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الامور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال ابو سعيد الخراز هو ان لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخَلق والخُلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخُلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره باضافته اليه اذ قال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه على الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخُلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر ورويّة فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير رويّة

له وهو تسديدا قوله وقفة للاداء الصواب من القول والعمل ان ٢ ق فربه كريم الضريبة وليم الضريبة ١٢ مرتضى ٣ ق فتزود وشتان ما بين ١٢ من ٤ ق الفقارة الجزء تجمع الفقار او هو الخرز ١٢ ق ٥ ق رفع كفه اصلح الثوب بالقاف كرفعه ١٢ ق ٦ ق ما زكنه احتمل مؤنته اي قوته وقد للابهر ١٢

لان من تكلف بذل المال والسكون عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين وتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس للخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث او لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك والبذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك فى الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق هى قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى ان تصير بحيث يسهل بها ادراك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها فى ان يصير انقباضها وانبساطها فى حد تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى ان تكون تحت اشارة الحكمة اعنى اشارة العقل والشرع واما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هى القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضى لاشارة العقل والغضب هو الذى تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون مسترسلا وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذى يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وجزا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى خمودا والممدوح هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات قليل طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور واما الحكمة فليس لها طرفا الاستعمال فى الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلهها والوسط هو الذى يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعنى بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطاء فى جميع الاحوال الاختيارية ونعنى بالعدل حالة للنفس وقوة بها يسوس الغضب والشهوة ويحملها على مقتضى الحكمة ويضبطها فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعنى بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل فى اقدامها واحجامها ونعنى بالعفة تاديب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراى واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعنى بالغمارة قلة التجربة فى الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا فى شئ دون شئ والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة فى سلوك الطريق الموصل فى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغى ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة وامثالها وهى اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والودع واللطافة والسماحة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط او التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربعة وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقى فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون فى القرب والبعد منه فكل من قرب منه فى هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به فى جميع الافعال ومن انفك عن هذه الجملة

كلها واتصف بضدها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدي به ويتقرب اليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هي قوة اليقين وهي ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان** قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة * اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره وقصمه وخبث دخلته زعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطبع لا تغيير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازي من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التاديب والامساك والتخلية والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول للموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي ولاختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات بالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا اصلا بالتربية فاذا صادفت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى ثم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول بعضها بطيئة القبول لاختلافهما سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجود في الانسان ولكن اصبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين بما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب * الاولى وهو الانسان المغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان * والثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل نشا على سوء عمل فتعاطاه انقيادا لشهوته واعراضا عن صوارفه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه اولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر ان يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم والثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة للمستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا قد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال * والرابعة ان يكون مع نشوه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع قدره وهذا هو اصعب المراتب في مثله قيل * ومن العناء رياضة المرء * ومن التعذيب تهذيب اللديد والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الآدمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت

شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما
بقى اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذى يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب امامطة ذلك بالكلية بل المطلوب
ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا
وبالجملة ان يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تقصد الشدة
عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه
وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان اذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه
غضبه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ فوزة الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر
واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان
بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش بالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة
لا شك فيها والذى يدل على ان المطلوب هو الوسط فى الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد
اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال فى الغضب اشداء
على الكفار رحماء بينهم وقال صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم
قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما اى لا يكون
ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك
مصروف القلب الى الامساك فكمال القلب ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين وابعد من
الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن
والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكل طرفى الامور مذمومان هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده
الغضب اسما ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له فى شىء منه لانه لو رخص له فى ادنى شىء اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر
المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب ان يقصد قلع الاصل حتى يتيسر له القدر
المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكماله والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة والشرع
ايضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة
والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تاديب كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام
وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا يبعد ان يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صداق اللهجة سخيا
جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاسباب وبما يحصل بالتعلم **الوجه الثانى** اكتساب هذه
الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعنى به حمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه
ان يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه متكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر به فيصير به
جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد
نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته ان يصير الفعل الصادر
منه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله دون الذى يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ
الاخلاق الدينية فى النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الافعال السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق
الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومهما كانت العبادات
وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها
لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله فى الرضاء فان لم تستطع

فمن الصبر على ما تكرهه خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل
ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال
طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة فلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب
اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى ارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتاكد تاثيرها بكثرة المواظبة على العبادات فغاية هذه
الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شئ احب اليه من لقاء الله عز وجل فلا يستعمل جميع ما لك الا على
الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون مولى وتاجا
بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة
تقتضي في النفس عجائب اغرب من ذلك وانا قد نرى الملوك المتعينين في احزان دائمة ونرى لمقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه
ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له
وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها
وطيرانها وتحلقها في جو السماء بل نرى لفساق العيارين يفتخرون بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط على ان يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح
بنفسه وتقويه في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه فيقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصبر على الانكال
ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة
اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر وشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنيثه
يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة
على الخط ولحن على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف واذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف
لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين
فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب
فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه
لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب شئ سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله
الا اذا كان احب ذلك الشئ لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق
الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان
كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور
ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما
يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب
عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل
خطه حسنا ولكن الاول بتكلف لانه ارتفع منه اثر الى القلب ثم انخفض من القلب الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من اراد ان يصير
فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من
اراد ان يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب
فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاعمال الحسنة لا ينالها
بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب لاشقياء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها
ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتحجر التحصيل راسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت
اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل
نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة
فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب

بازاء الا ترى كذلك للمعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالى ليسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه من قبول
الفقه وكذلك يستهين صغائر المعاصى ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر
عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه عن مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله
تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال على رضى الله عنه ان الايمان يبدو فى القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان
ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد
فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة
بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير اخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت فى حقه
الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو غاية الفضيلة ومن كان ذلك بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له
اسباب الشر حتى اعتادها فهو فى غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة فى القرب والبعد بحسب
ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ◦ قد عرفت من قبل ان الاعتدال فى الاخلاق فى مزاج البدن هو صحة النفس والميل
عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال فى مزاج البدن هو صحته والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال التفرغ فى علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها
وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن فى علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال انما تعترى المعدة
المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اى بالاعتياد
والتعليم تكتسب الرذائل وكما ان البدن فى الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالتشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة
قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان
كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغى ان تسعى بحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب
زيادة صفائها وان كانت مدينة الكمال والصفاء فينبغى ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض
لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التى هى مرض القلب علاجها بضدها
فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخى ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشرة بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة
الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص
منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت ابدا لا آباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص
ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد لمن معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد
فكذلك النقائض التى تعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء ما خوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من
حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهى ضعيفة او قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض
وسنه وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغى ان لا يهجم عليهم بالرياضة
والتكاليف فى فن مخصوص وفى طريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو
اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغى ان ينظر فى مرض المريد وفى حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة
ويبنى على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدأ جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام
ومقارفة المعصية فيامره اولا ان يتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصى ظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه
وامراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر
وعزة النفس غالبة عليه فيامره ان يخرج الى الاسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال
فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان رأى الغالب عليه النظافة فى البدن
والثياب ورأى قلبه ما ئلا الى ذلك فوجابه ملتفتا اليه استخدمه فى تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع
الدخان حتى تتشوش عليه رعونته فى النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرتفعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين المرءوس

التى تزين نفسها طول انها رفلا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى فى ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا او بترك صفة اخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغى ان ينقل من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر اخف منه كالذى يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبى فى المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما اشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب فى الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب فى الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه ان يميز الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى يعوده بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن الطول فيامره بالصوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيامره ان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج فى مبدا الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصيبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم انه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملاء من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب فاراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على هيئة واحدة وبعض الشيوخ فى ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل ليسهر بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به فى البحر اذ خاف من تفرقته على الناس وعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتى فى بقية الكتب وانما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلمة واحدة فقال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى ان يصبر وليستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك ففسدت واذا انفق منه نقض حزم فينبغى ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتغتر بها الرياضة بالكلية

بيان علامات امراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة ✣ اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض العين ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب ان يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التى للآدمى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار او غيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هى عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذى جعلها اشياء فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله عز وجل فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره فمن عنده شئ احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها من الخبز والماء فهى مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله لان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض فلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها وعباداتها وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات اصول الامراض واما علامات عودها الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر فى العلة التى يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال

ل القول الواسع والاستقامة

ع من مرانة ورعونة لان فى صلابة ورعونة ترين نفسها على الشئ ودناءة ١٢

ع من مثال ومرض مثال اى شيء ايسى الاطباء ١٢ منه

بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفى غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذى يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذم الذى يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد فى المواظبة على البذل فان صار البذل على غير مستحق لذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك من الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تقلب فيه الا امساك حاجة محتاج وبذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد نجا الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشئ مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى سببها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة فى زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا * ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط فى الاخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعنى لوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه وذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتيازه على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا اى الذين كان قولهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى فى كل يوم سبع عشرة مرة فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة فى كل ركعة فقد روى ان بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتنى هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض ولكن ينبغى ان يجتهد الانسان فى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب فنسأل الله الكريم ان يجعلنا من المتقين

بيان الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه * اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب نفوسهم يرى احدهم القذى فى عين اخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن اراد ان يعرف عيوب نفسه فله اربعة طرق * **الاول** ان يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع اشارته فى مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز فى هذا الزمان وجوده * **الثانى** ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من ائمة الدين كان عمر رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال الذى بلغك عنى مما تكرهه فاستعفى فاح عليه فقال بلغنى انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلت بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول اسألت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت همته لنفسه رضى الله عنه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل فى الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالغيب ويترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا يخلو فى اصدقائك عن جسود وصاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائى قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا اصنع باقوام يخفون عنى عيوبى فكانت شهوة ذوى الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر فى امثالنا الى ان البعض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا ان يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب بعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن قلا يدوم الما يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب الخشى ان تدوم بعد الموت ابدا او الافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون ذلك من قساوة القلب التى أثمرتها كثرة الذنوب فاصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه ونصله **الطريق الثالث** ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدى المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكر عيوبه اكثر

من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم **الطريق الرابع** ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن يرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو تركها الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل (جاهلا) فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى (عبادا) ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان** شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب تلك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات **اعلم** ان ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو دواءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من (ان) غوائل الشهوات فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصر قال الله تعالى وينهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها وروي ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر واندد اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا محجوبة عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى وييسر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس لا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأشياء الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوة ومن قلة المنام صفو الارادة ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من عند التهجد وقلة المنام وضربتها بيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها في سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في جب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه في يد هواها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن محمد اجمعت العلماء والحكماء على ان التنعيم لا يدرك الا بترك التنعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهوى وقال ايضا من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ان ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فجلست فلم اطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعي فقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد هاقد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته

الفوز القرين للشيخ ٢ جمعا غوائل ٣ اي القناعة بقليل من الطعام ٤ فيض جمع فروة الاثنين ٥ التهجد شب بيدار واخشن ٦ من الثواب الجهد المشقة ٧ الارق فرط السهر بالليل

وقال يزيد الرقاشي ليكم ضنى الملك البارد في الدنيا لعلى لا احرمه في الاخرة وقال جل العمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فانا قد اتفق العلماء والحكماء على ان الطريق الى سعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك الا بدلك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة وسوسها ان لا تمتع النفس بشئ مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة لضرورة فانه لو تمتع بشئ مما انس به وألف فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الاخرة بحال ولا خلاص منه الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه اربعة رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه يخرج منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك من خبيث فانك انت المعاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سببا لبعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة ايضا من الدنيا وهو سبب لبعد وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت مرة في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرايت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شئ فقلت اراك حالا مع الله عز وجل فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير فقال واراك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري انا منذ اربعين سنة اطالب نفسي ان اغمس خبزة في دبس فما اطعمتها فما لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الاخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين ان تبصر الى كل شئ جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها اشرا وبطرا حتى تصير تملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال تعالى وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الآية وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة فاولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة التاثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح والبطر فقطعوها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب عذب في عرصات القيامة فتخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله من التوثب والاستيحاش الى الانقياد والتأدب فانه يجلس اولا في بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل له الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه فاذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تألف بها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه

عند العظام ويشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه فى الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدى لم يرجع اليه فيهجر الثدى ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا فتمنع عن الاسراح الذى الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب فى تأديبها بان تمنع من التظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت اذ قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه فى القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اولا اياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة فى سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة او دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله على رضى الله عنه وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان يختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال وبالجاه او بالقبول فى الوعظ او بالعز فى القضاء والولاية او بكثرة الاتباع فى التدريس ولا فائدة فينبغى ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شئ من ذلك فقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك فى حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس وليتفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس حتى يقطع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للمجاهد آخر الا الموت

بيان تمييز علامات حسن الخلق ← اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصى ربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى مجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق ← قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجد جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجد بعضها دون بعض يدل على بعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ← وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هى حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرتته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل للمؤمن ان ينظر الى اخيه بنظرة توذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما ان يفشى على اخيه ما يكرهه ← وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال المؤمن همته فى الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسئ ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى بالسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى بالرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يمشى معه انس فادركه اعرابى فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجرانى غليظ الحاشية قال انس رضى الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم احد فلذلك انزل الله تعالى فيه ما انزل على خلق عظيم ويحكى ان ابراهيم بن ادهم خرج يوما الى بعض البوادي فاستقبل رجل جندي فقال انت عبد قال نعم فقال لليمين العمران فأشار الى المقبرة فقال الجندي انما اردت العمران فقال اهي المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا اما الخبر فاخبرهم بما قال فقالوا هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل بعد ذلك لم قلت له انا عبد فقال انه لم يسألني من انت بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سألت الله له الجنة قيل وكيف وقد ظلمك فقال علمت انني اجر على ما نالني منه فلم اردان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعى ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي قد اراد تجربته فلما بلغ منزله قال لليس لي وجه فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاء ثانيا فقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال لسمثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة فرده حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لا يتغير من ذلك فاكب على رجليه وقال يا استاذ انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ان الذي رايت مني هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي عنه ايضا انه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه آجانة رماد فانزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له الا زجرتهم فقال ان من استحق النار فصولحي على الرماد لم يجز لي ان يغضب انتهى وروي ان علي بن موسى الرضى رحمة الله عليه كان لونه يميل الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان اذا اراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فاغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقي الى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فراى علي ابن موسى الرضى فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم واحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره به فوجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي فسمع كلامه مع علي بن موسى الرضى فخاف وهرب خلفهما فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له ان يضرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروي ان ابا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان الحريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان اذا خاط له شيئا حمل اليه دراهم زائفة فكان ابو عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما ان ابا عبد الله قام لبعض حاجته فاتى المجوسي فلم يجده فدفع الى تلميذه الاجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ عرف انه زائف فرده عليه فلما عاد ابو عبد الله اخبره فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة ولنا اصبر عليه واخذ الدراهم منه والقيها في البئر لئلا يغرها مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه * وسئل بعضهم عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ امته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على بن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى وقيل ان اويس القرني كان اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا اخوتاه ان كان ولا بد فبالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وهو لا يجيبه فلما قرب من الحي وقف وقال ان كان قد بقي في نفسك شئ فقله لكي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذونك وروي ان عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال ما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك اجابتي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امراة لمالك ابن دينار رحمه الله يا مرائي قال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لاتعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فاثمرت الرضاء بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول نشوهم ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من اهم الامور واولاها والصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الآخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الفاهية فيضيع عمره في طلبها واذا كبر فيهلك هلاك الابد

بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشوء الصبي نبتت طينته من الخبث فيميل بطبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب فهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شرة الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه بسم الله عند اخذه وان يأكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وان لا يسرع في الاكل وان يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز العفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل لان تشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقبح عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكره ذلك عليه ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان ينكره ويذمه حتى يحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي مهما اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاغلب ردي الاخلاق بخيلا حسودا سروقا نماما مجونا جبانا فضولا ضحوكا كيادا ومجانة وانما يحفظ من جميع ذلك بحسن التاديب ثم يشتغل بالمكتب فيتعلم القرآن واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يحسنون ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتهم وان يتجاسر احد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهر ذلك عليه بما يفيد مجاسرة حتى لا يبالي بالمكاشفة عند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا لهيئة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يستخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا تعود ترك فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع للشيء ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطعمه وملابسه او لوحه ودواته وليعود التواضع والاكرام لكل من حاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان يأخذ من الصبيان شيئا بدالة حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يتصبص في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستند بغيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد براسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل ابناء السوقة ويمنع اليمين واساءة ذلك حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع ان يبتدي بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه ويبغض عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي ان يعلم الصبي ان والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ

سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض ايام رمضان ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ويعلم كل ما يجتنبه
من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فهما قارب
البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر لسان الطاعة اد وية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وان الدنيا كلها
لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من
تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا موقعا وتراه اجابت
فقبله كما يثبت النقش في الحجر واذا وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش واللو وتلمذ شره الطعام والملابس والتزين والتفاخر بنيا قلبه عن قبول
الحق بنبوة الحائط عن التراب ليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى
احد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري كنت وانا
ابن ثلاث سنين اقوم الليل فانظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك
في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات
فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشرة مرة ففعلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي لحفظ ما علمتك ودم عليه
الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه و
ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فيعتريني ان لا اخشى ان يتفرق على همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب
اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير
اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسالة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت اهلي ان يبعثوني الى اهل البصرة لاسأل عنها فاتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف
احد عني شيئا فخرجت الى عباد ان الى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة ابن ابي عبد الله العباداني فسألته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه و
اتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقصادا على ان يشتري لي بدلهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر على اوقية كل ليلة
جشا بغير ملح ولا ادم فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على
ذلك عشرين سنة ثم خرجت سائحا في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ما شاء الله تعالى **بيان** شروط الارادة ومقدمات
المجاهدة وتدابيج المريد في سلوك سبيل الرياضة ۱۰ اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا لحرث الآخرة مشتاقا اليها
سالكا سبلها مستهينا بنعم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة
ومن ليس مريدا لحرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة
من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها واما حقيقتها فلا ومثل هذا
المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة
عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة
ودوامها فالخلق غافلون قد اهمكوا في شهواتهم وغاصوا في تقدمهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله
فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى مجادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله
تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه
من نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من
التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق ۔ اما الشروط التي لا بد
من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بان يفرقه
ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع
الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق
بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله تعالى واعظم معبود له الهوى حتى اذا

فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليدا فينبغى ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق فى نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا افليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصح التوبة ولم يهجر المعاصى الظاهرة وارادان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها او لا ثم الترقى منها الى اسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخر اثم الترقى الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضاء ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك سبل البوادى المهلكة بنفسه بغير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون للمستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض امره اليه بالكلية ولا يخالفه فى ورد ولا صدر ولا يبقى فى متابعته شيئا ولا يناقشه ولا يعلم ان نفعه فى خطاء شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه فى صواب نفسه لو اصاب فكذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وبهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصل الى القرب واما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسالك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التسترى ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال بأخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع فى تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتى بيان وجه التدبير فيه فى كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه ويزيد فيضاف ذلك الى الصفاء الذى حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فلم يذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر ايضا ينبهه الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل فى صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله اجمع رأى سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء * واما الصمت فانه تسهل العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير امره فينبغى ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب ويشوه القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى * واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب فى حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح ذلك ما لم يمنع زحم الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد فى كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس اولا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة فى بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فيلف راسه فى جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل لها يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعدة بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات والعقبة على طريق الله تعالى الاصفات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب فى قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهى تلك الصفات اعنى سواد العلائق التى قطعها فى اول الارادة واثارها اعنى المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصى فلا بد ان يخلى الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفى اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق فى قلبه علاقة تشغله بعد ذلك يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلوة من ذكر غيره ولا يشغله بها ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلى للحصرى ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التى تاتينى فيها الى الجمعة الاخرى شئ غير الله تعالى فحرام عليك ان تاتينى وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له الا هم واحد فاذا كان كذلك لزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين

القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله بسبحان الله او ما يراه الشيخ
من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى
يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة
معه غالبة عليه قد فرغ من كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشئ خلا عن غيره اى شئ كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وهذه
ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة
خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان ايضا نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع الوسوسة كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوسوسة من
هذه الكلمة وانها ما هى وما معنى قولنا الله ولاى معنى كان الله وكان معبودا وتعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وما يرد عليه من وساوس
الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهى منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن
الشيطان يلقى ذلك فى قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالى به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويتبهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغى
ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد فى قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق فى ارادة فينبغى ان يظهر ذلك لشيخه وان
يستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا فان شيخه ينظر فى حاله ويتامل فى ذكائه وكياسته فلو علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه على دقيقة
الحق فينبغى ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقدح فى قلبه من النور ما يكشف له من امر به حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى
الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغى ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع لخطارها
فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك
العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد تركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين
وان اخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقى اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال
باعمال الخير فان الخطر فى العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ ان يتفرس فى المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله
بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد فى صف القتال
ينبغى ان يسقى القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة فى زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع
كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يرد عليه من اوائل الكلمات ومهما التفت الى شئ من ذلك وقنعت به نفسه كان ذلك
فتورا فى طريقه ووقوفا بل ينبغى ان يلازم حالة جملة عمره ملازمة العطشان الذى لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع
عن الخلق الى الحق والخلوة * قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت لا دلنى على عمل اعمله اجد قلبى
فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لى لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لى من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لى من
ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قال قلت هذه
هى العلة قال يا هذا انتظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان يخلو قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا
منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطريق المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى
انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط به الوصف اصلا واذا انكشف للمريد شئ من
ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للمتذكرين فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر فى كيفية ايراد
تلك المعانى وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب و
الاسماع فربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده اليه و
مالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر فى اقرانه من يكون احسن كلاما منه واجزل لفظا واقدر على استجلاب قلوب العوام فانه
يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه و
يقول الحمد لله الذى عضدنى وايدنى بمن وازرنى على صلاح عباده كالذى وجب عليه مثلا ان يحمل مينا اليد فنه اذ وجد ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا
فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففى كثرتهم استراح وتناصر فينبغى ان يعظم الفرح بذلك

وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له اوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بما احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في كسر شرة الكلام وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم عرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه وينقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومصادره المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من المهالك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يغويه ويكسر عليه سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد به ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه بما يلتذ به ويشتهيه ويكسر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه +

اما بعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم عليه السلام وحواء من جوار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبت عليهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات اذ تتبع شهوته شهوة الفرج وشدته الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة الى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة ما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم يتجرع ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانهما تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول تجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين +

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع + قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل

---

۱ ایرم العقد احکم ۱۲
۲ اسدی فلان الی فلان معروفا صنعه ۱۲ شمس
۳ قرن الضعیف فرق بالکسر وقرأ بالفتح والاول اشهر ۱۲ ص
۴ من النهی وفی نسخة ایه الی ۱۲ ش
۵ نکاه یتوجه قصده کاتکاه ۱۲ ق
۶ بنا الرجل شرف وکثر فهو فیه فخار
۷ ترنق الماء تغیر وصار حثالی فاحمر وتمرد
۸ خلی من الامیر واخلی به بمعنی واحد خلیت علی فلان اسد فضحت عیر ۱۲ صح
۹ الشبق وکرکنده شهوة شدیدة الجماع ۱۲
۱۰ الحطب کرکنده حرص الاکل مکابره جنگ وبدی کردن با هم مکابره کند تکاذبا ۱۲ منه

ملكوت السماء من ملاء بطنه وقيل يارسول الله اى الناس افضل قال من قل طعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته وقال النبى صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف وكلوا واشربوا فى انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة وقال الحسن ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم عند الله منزلة يوم القيامة اطولكم جوعا وتفكرا فى الله سبحانه وابغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم اكول شروب وفى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اى مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه فى الدنيا يقول الله تعالى انظروا الى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتى ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفى حديث اسامة بن زيد وابى هريرة الحديث الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان اقربكم من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وخزنه فى الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكى الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظروا فقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الآخرة يا اسامة اذا رايتهم فى بلدة فاعلم انهم امان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض لهم فرحة والجبار عنهم راض تخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلى عليك الجبار وقال الحسن عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ايسوا الصوف وشموا واكلوا فى انصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك ايضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس وقيل مكتوب فى التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه ان الله تعالى يبغض القارئ السمين من التشبع وفى خبر مرسل ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفى الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معا ولحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء اى يأكل سبعة اضعافا ما يأكل المؤمن او تكون شهوته سبعة اضعاف شهوته وذكر المعا كناية عن الشهوة لان الشهوة هى التى تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعا وليس للعنى زيادة معا المنافق على معا المؤمن وقال الحسن عن عائشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادخلوا اقرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف ندخل اقرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وروى ان ابا جحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيامة اطولهم شبعا فى الدنيا وكانت عائشة رضى الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة لما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدى واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم فالصبر اياما يسيرة احب الى من ان ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وعن انس قال جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبى صلى الله عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع فى الدنيا هم اهل الشبع فى الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون المتلاى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة فى الجنة **واما الآثار** فقد قال عمر رضى الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة نتن فى الممات وقال شقيق البلخى العبادة حرفتها الخلوة وآلتها الجماعة وقال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه اى شئ تخافين ان تجوعى تخافين ان تجوعى تخافين ذلك وانت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهى اجعلنى واعرتنى وفى ظلم الليالى بلا مصباح اجلستنى فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى وكان فتح الموصلى اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهى ابتليتنى بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فبأى عمل اودى شكرها انعمت بها على وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له خليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا ومسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول الهى اجعتنى واجعت عيالى

ل ١ العوز بالتحريك الحاجة وهو الشئ المفرح الى الجوع
ل ٢ والرجل الفقير كما فى ق وشرح الكبير وزنه
ل ٣ العلقة بالضم ما تتبلغ به الماشية والجمع
علق مثل غرفة وغرف وظلان
لما يأكل الا علقة اى يابسا
نفسه الصباح
ل ٤ الخرق
من الثوب القطعة والجمع
خرق مثل سدرة وسدر
١٢ ص
ل ٥ الخمى الجوع والفتح
وكال من كفاح البطن
قد يوضع كذا فى القاموس
وفى الصراح معا بالكسر
والقصر رواه الجماعة جميع
وفى المصباح قصروا الخمر المد
وجمعه اخماش مثل عنب و
اعناب جمع المدود قليلة
مثل حمار واحمرة ١٢
ل ٦ الخشاء كغراب صوت مع
بشدة يخرج من الفم عند هول
الشبع ١٢ مصباح
ل ٧ اسه تتوالى ١٢
ل ٨ التخم من الطعام ومن الطعام
اذا اصابك التخمة ١٢ شمس
ل ٩ البطنة الامتلاء من الشبع
من الطعام ١٢ مختار
ل ١٠ فلان معروف اى يعرفه
الناس حسبه ونسبه ويعنى به ويحرص
على تقويمه وتهذيبه ١٢

وتركتنى فى بالم البيداء بلا مصباح وانما تفعل ذلك باوليائك فبأى منزلة نلت هذا منك قال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفى التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمان لا اترك لقمة من عشاء لى حبانى من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله فى خزانة لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل بن عبد الله التسترى يطوى بقفا وعشرين ليلة لا ياكل وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافى القيامة عمل برا افضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اكله وقال لم ير الا كباس شيئا انفع من الجوع فى الدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت المعصية والجهل فى الشبع وقال ما عبد الله بشئ افضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال وقد قال فى الحديث ثلث الطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سأل الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صامت الابدال ابدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل تين بين السماء والارض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال قبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال علموا ان هذا زمان لا ينال الحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد يشرب من هذا الماء حتى يردى فيسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باى قيد اقيد نفسى قال قيدها بالجوع والعطش وذللها بالخمال الذكر وترك العز وصغرها كما يوضعها تحت ارجل ابناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانبخ من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا توالاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكى مخل البطن مثل الزهر وهو العود المجوف والاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ وكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للنوم وقال بكر بن عبد الله المزنى ثلاثة يحبهم الله تعالى جل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى ان عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى على فقد المناجاة واذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك الله فيك ويا من ادع الله تعالى لى فانى كنت فى حالة فخطر بالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم ان الخبز خطر بالى منذ عرفتك فلا تغفر لى بل كان اذا خطر لى شئ اكلته من غير فكر وخاطر وروى ان موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوائد الجوع وافات الشبع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغى ان يعظم الاجر فى كل ما يتأذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الاشياء المكروهة وما يجرى مجراه فاعلم ان هذا ايضا هو قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لكراهة الدواء ومرارته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه فى خاصية فى الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء وكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء فى الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة للمنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح ذلك لك ان اردت ان ترتقى من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول فى الجوع عشر فوائد

الفائدة الاولى صفاء القلب وانقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبى اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه ومار بطئ الفهم والادراك وقال ابو سليمان الدارانى عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى وقال صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرصد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شئ زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلى ما جعت لله يوما الا رايت فى قلبى بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحرى ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد البسطامى الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال النبى صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلى فى خفة من الطعام بات الحور حولها حتى يصبح

الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كان بينه وبينه

حجابا من قسوة القلب وقد يرق فى بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه وقال ابو سليمان الدارانى
احلى ما تكون الى العبادة اذا التصق بظهرى بطنى وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال
ابو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمى وغلظ فاذا تأثر القلب بلذة المناجاة امر وداء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة

الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل لشئ
كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فانى بها واظلمت عليها الدنيا
لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سادته فى ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين
الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولاجل ذلك لما عرضت الدنيا و
خزائنها على النبى صلى الله عليه وسلم قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت وكما قال فالبطن
والفرج باب من ابواب النار واصل الشبع والذل والاشر باب من ابواب الجنة واصل الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة
لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الآخر **الفائدة الرابعة** ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى هول البلاء
فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر به بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة
ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم يتمنون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغى ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة
والا مها فانه هو الذى يهيج الخوف فمن لم يكن فى ذلة ولا علة ولا بلاء نسى عذاب الآخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغى ان يكون العبد
فى بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا احد الاسباب الذى اقتضى اختصاص
البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفى يديك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع
فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان فى غفلة عن الم الجائع **الفائدة**
الخامسة وهى من اكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى
ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها فى ان يملك الرجل نفسه والشقاوة فى ان تملكه نفسه
وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتهدهد بذنك
وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فأخاف ان يجمح بى فيورطنى فلان احمله على الشدائد احب الى من ان يحملنى على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت
قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة رضى الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم
جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى واول ما يندفع بالجوع شهوة
الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع
من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم * واما شهوة الفرج فلا تخفى
قاتلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزنى كما ان الفرج يزنى فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك
فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك فى اثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان
والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز اليابس ستة لا يخلط بها شيئا من الشهوات
ويأكل فى نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء **الفائدة السادسة** دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه
ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا فتحسروا كثيرا واجمع راى سبعين
صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب فى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد
فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفى النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعبد اذا نام على
الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الورد ان
كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه اخطارا ذكرناها فى كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع
وقد قال ابو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل فى كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة
للنوم والجوع مقطعة له **الفائدة السابعة** تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه

بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى البيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه قال السري رأيت معروفا على الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما حملك على هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفي منها خزانته باقية في الاخرة كما خزانها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة والملازمة للمسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء وارافته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغله بالاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر اللؤم منين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفائدة الثامنة** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلات الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب من انواع من المعاصي وما قتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله + حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الاسود وقال العراقي هو حب الرشاد الابيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار فقال السوادي وكان اعلمهم الهليلج يغص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لا داء معه عندي ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر بعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعود كل جسم ما اعتاد واظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل الا علة الموت قبل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض فاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الرجل معدته الرمان واضر ما ادخل معدته الملح ولان يقلل من الملح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الحديث صوموا تصحوا وفي الصوم الجوع وفي تقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفائدة التاسعة** خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قليل يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غرضا ملازما له اخذا بمخنقه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي ومن الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد يده الى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح لقلبي وقال اخ اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله يسأل الصباغ عن سعر المأكولات فيقال انها غالية فيقول رخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله اكل مذموم في ثلاثة لحوال الزكان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يخمل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حبهم على الدنيا وسبب حبهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي جسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ادبوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الاخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فملهيه لا محالة **الفائدة العاشرة** ان يتمكن من الايثار والصدقة بفاضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى واكل فأفنى او لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمه الله عليه اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها كذلك على الارض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ والبواذخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد والله لينا هم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فاذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا بها ابدانهم واهزلوا بها اديانهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون

---

٥١ نعت الدواء وغيره من كل شيء يابس كالتبن فيه نبوت ١٢

٥٢ حبا الرشاد والرشاد بفتح الراء وكسرها نبت ينبت منه الحرمان ١٢ ق

٥٣ يقال طعام مغص فيه مخوصة اي تقبض ١٢ مختار

٥٤ التخمة كثرة الدواء والكثير الذي يعسر هضمه من طعام غير موافق ١٢ كما في القاموس

٥٥ شرف بارخ اي عال وجبال بواذخ ١٢ ق

٥٦ الطوالق السموات جمع طارقة ١٢ ق

للبلاء وهم من الله فى عافية يقول قائلهم ابغونى كذا وكذا واتونى بكذا وكذا اينكى احدهم على شماله ويأكل من غير ما لم خذ منه سخرة وما لحرام حتى
اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتنى بشئ اهضم به طعامى يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين المسكين
اين اليتيم الذين امرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من ان يأكله حتى
يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومأ الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك اى لو قد
لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله كله فيقول والله
لا اجعل هذا كله لبطنى حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة
عظيمة لفوائد الاخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح فى الاخبار
التى رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفصل الجوع
كانت تلك رتبة المقلدين فى الايمان والله اعلم بالصواب **بيان** طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن * اعلم ان على المريد فى بطنه وما كوله
اربع وظائف * الاولى ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب
الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة باكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الابطاء والسرعة وتعيين الجنس
المأكول فى تناول المشتهيات وتركها **اما الوظيفة الاولى** فى تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير
فانتقاله دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغى ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان
كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من
ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف فى شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه
عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذى لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل
التسترى رحمة الله عليه اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنتين منها وهى الحياة والعقل اكل وافطر ان
كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغى ان لا يبالى ولو ضعف حتى صلى قاعدا او رأى ان صلاته قاعدا
مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتى فى كل سنة ثلاثة دراهم
كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا واخلط الجميع واسوى منه ثلاثمائة وستين كرة آخذ فى كل ليلة كرة افطر عليها فقيل
له فالسماقة كيف قال الكل بغير حد وتوقيت ويحكى عن بعض الرهابين انهم قدروا نفسهم الى مقدار درهم من الطعام * الدرجة الثانية ان يرد
نفسه بالرياضة فى اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن فى حق الاكثرين
كما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة فى الجمع للقلة وهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه اذ
كان ياكل سبع لقم او تسع لقم * الدرجة الثالثة ان يردها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف هذا يزيد على ثلث البطن فى حق الاكثرين ويكاد ينتهى الى
ثلثى البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شئ للذكر وفى بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس * الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان
يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعنى فى حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذى يشتغل
به وها هنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض عنه وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب ان من لم
يقدر لنفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها
ان لا تطلب النفس الادم بل تأكل الخبز وحده بشهوة اى خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه او طلبت ادما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل
من علامته ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان
يقدر مع نفسه القدر الذى لا يضعفه عن العبادة التى هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه
يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة فى كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة
امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن واحتيج فى التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر رضى الله عنه يقول
طعامى فى كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيئا حتى القاه فانى سمعته يقول اقربكم منى منزلا يوم القيامة
واحبكم الى من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول فى انكاره على بعض الصحابة قد غير ثم نخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبز لكم المرقق وجمعتم بين ادامين

واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول الملوخ من مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من اللبن والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وشرطا شرطا لا يطوى بطنه بجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجموا هذه الفضول ما ما كم وقال سهل لو كانت الدنيا ما يعيط الكان قوت الملوخ من منها حلالا لا ناكل المؤمن منه الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل و مقدار تاخيره وفيه ايضا اربع درجات * الدرجة العليا ان يطوى ثلاثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى لظى لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر مددهم منهم محمد بن عمر والعرني وعبد الرحمن بن ابراهيم ودحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابراهيم بن احمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري وابراهيم ابن ادهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا ثم كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة قال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية * وقد وقف بعض اهل هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع في سلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فجلس لا يدري الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وانا ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب سلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعته وحاجته * الدرجة الثانية ان يطوى يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة * الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم اكلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والسرف فان اكلتين في كل يوم من سرف واكلة واحدة في كل يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب له ان يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قياما كقيامه هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان ليلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان ضعيفا مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن النفس ويخف به عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان يأكل في يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الاكل وتباعده وقت دابه **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل وعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المرقات والادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فاكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانساله بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر جوع النفس وكل ما ذكرناه من فات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بما عادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس تحريما بل هو مباح على معنى ان من اكل مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبت عليه اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع الملابس ويتشدقون

ل للعنيزة تصغير العنزة وهي الاتي من المرعى م الحشف اردأ التمر وهو اليابس والقبضة ملء القبضة ن عليه من في ١٢ ص ٥ س ٢ فزوقوردن فرد ج ١ ص ٥ س ٢ الغوي الجوع ١٠ ٥ ٦ الخاص العام الخاص ٥ ٧ الترف تكلم التنعم بالمخ من تتمة الاتي

فى الكلام + واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكرانك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ
الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا امنع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه قال لقمان لملكان فى السماء
الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا
تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامة الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابهما فلا عيشة الله تعالى
اعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات كما اوردناه فى كتاب رياضة النفوس وقد روى نافع ان ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية
فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام
لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدناها اشتريناها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها
فقال لفها وادفعها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك ان تأخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه درهما واخذها واتى بها فوضعها بين يديه وقال قد
اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تأخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة
فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف كوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار
الى ان المقصود رد الم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضى الله عنه ان يزيد بن ابى سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولاه
اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمنى فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فاتوه بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده
وقال الله الله يا يزيد بن ابى سفيان اطعام بعد طعام والذى نفسى بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن غير قال ما تخللت لعيسى
دفيقا قط الا وانا له عاص وروى ان عتبة الغلام كان يجن دقيقه ويجففه فى الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الشواء والطعام
الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف به من حب كان فى الشمس نهاره فتقول له مولاه له يا عتبة لو اعطيتنى دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول
لها يا ام فلان قد سددت عنى كلب الجوع وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن ادهم بمكة فى سوق الليل عند مولد النبى صلى الله عليه وسلم
يبكى وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت ليس هذا البكاء يا ابا اسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال
يا شقيق اساءة على قلت يا اخى قل ما شئت فقال لى اشتهت نفسى منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدى حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى
النعاس فاذا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فامتلغت بمهنى عنه فقربه منى وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل
قد تركته لله عز وجل فقال لى فان اطعمك الله فكل فما كان لى جواب الا انى بكيت فقال لى كل رحمك الله فقلت قد امرنا ان لا نطرح فى وعائنا الا من جب يعلم
فقال كل حافاك الله فانما اعطيته فقيل لى يا اصفر اذهب بهذا واطعمه نفسا براهيم ابن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على تحملها من منعها +
اعلم يا ابراهيم انى سمعت الملائكة يقولون من اعطى فلم ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك لاحل العقد مع الله تعالى ثم التفت
فاذا انا بفتى اخر ناوله شيئا وقال يا اخضر لقمه انت فلم يزل يلقمنى حتى نعست فانتبهت وحلاوته فى فمى قال شقيق فقلت ادنى كفك فاخذت بكفى كفه فقبلتها
وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صحو المنع يا من يقدح فى الضمير اليقين يا من يشفى قلوبهم من محبته اترى لشقيق عبدك حالا ثم رفعت
يدا براهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك
وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى ادركنا البيت وروى عن مالك بن دينار انه بقى اربعين سنة يشتهى لبنا فلم ياكله واهدى اليه يوما
رطب فراوده فى اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابى الحوارى اشتهى ابو سليمان الدارانى رغيفا حارا بملح فجئت به اليه
فعض منه عضة ثم طرحه واقبل يبكى وقال عجلت الى شهوتى بعد اطالة جهدى وشقوتى قد عزمت على التوبة فقلت قال احمد فما رايته اكل الملح حتى
لقى الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة فى السوق فنظرت الى البقل فقالت لى نفسى لو اطعمتنى الليلة من هذا واقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة
ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم رطبة
ولا بسرة فما زاد فيكم مما نقص منى ولا نقص منى مما زاد فيكم وقال مالك بن دينار ظلمت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى لبنا منذ اربعين سنة فوالله
لا اطعمها حتى الحق بالله تعالى وقال حماد بن ابى حنيفة اتيت داود الطائى والباب مغلق عليه فسمعته يقول انفسى اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتميت
تمرا فاليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم يوما فى السوق فراى لفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة
المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتينى حتى نظرت واشتميت
وغلبتينى حتى شريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء وعن موسى لا شجانه قال انفسى اشتهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة

ل اى اليمن الحرام وفى بعض النسخ فى وعن السحت الحرام

ع اقال الشيخ فى الصبر والشكر اى درستى كه شكر نعمت خداى تعالى كفتن وتر است

ع الملح الجريش الذى لم ينخل نسخه

قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروى فما ارويتها وروى ان عتبة الغلام اشتهى سمكا سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال آنست من نفسي انها اذا نعمها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فغفيت صبيا فقلت الست انت ابن فلان وقد فعلت ابويك قال بلى فناولته اياها فاكلوا واقبل يبكي ويقرأ ويطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث بشتيهي ثم اسنين فلما كان ذات يوم اشتهى ثم اربقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى اظلمت الدنيا ففزع الناس فاقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما اظن احدا من الناس لا يذنب ذنبا مثل ذنبك على الارض وقيه واشترى داود الطائي بنصف فلس نقلا وبفلس خلا واقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ثم لم ياكل بعد الا فتارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما احرفها من نفسي فقال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاوده وقال جعفر بن نصر اخرني الجنيد وان اشتري له التين الوزيري فلما اشتريته اخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم القاها وجعل يبكي ثم قال احملوه فقلت له في ذلك فقال صنف في قلبي هانفا ما تستحي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لمحمد الطائي السلمي اني متكلف لك شيئا فلا تزد على كرامتي فقال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ابني شوبة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها كما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فاتيته وقلت سيدي ان كنت رددت على كرامتي فلما رأى جدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد لاومت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كله. قلت ذلك ذكرت قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ولا يكاد يسيغه الا به قال صالح فبكيت وقلت في نفسي نافي واد وانت في واد اخر وقال السري المسقطي لنفسي منذ ثلاثين سنة نطالبني ان اغمس خبزة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف رجلا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وروى ان حاتما دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شئ تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا احكم وعمل فيه كذا وكذا اصابع حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبني آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا او لهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب ثم الشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخياز وان تعد وا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قوما الجوع فسألته عن الزهد اي شئ هو فقال اي شئ سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وما اي شئ تقول انت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد احتمل مرة فاتى عبد الرحمن بن المطيب يسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسألني واذا وصفت لك ثم تقبل مني قال البشر صف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجة فقال البشر هل تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الجمند باليمن قال اتعرف شيئا اقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا اقل من الاسفيذباجة يقوم مقامها قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناها فقال له عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب فلم تسألني فقد عرفت بهذا ان هؤلاء امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم وقال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الطعام فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل ويجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذ يواظبكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرأ جزأ من القرآن عقيب كل اكلة فقد كان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكدته ومرة يقول اشبع الحمار وكدته ومهما اشتهى شيئا من الطعام وطيباته الفواكه فينبغي ان يبرأ من الخبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة * ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان تممت كفايتك به والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها

خبز قمر وقفا فجر
ما دوم ٣ ت
الليس بالكسر عصارة
الرطب والعنب ونحوه
ج ٥ زبابيس
وقصب كزنجاوس
ج ٣ ان
ج ٥ الخبز
ج ٥ ت
كما قال ت
شاهد ذو
الا ترى
ج ٥ ت
الكواشة ٥ ت
في اللب ٥ ت
بجزء

فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما تاقيتنا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فرأى ذلك اخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الاخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فتمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ما فعل الله بك قال لا احسن ان اصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان اول شيء استقبلني به سمكا وخبز ارز وقال كل اليوم شهوتك هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا قد اسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال ابو سليمان ترك شهوة من الشهوات انفع للعبد من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه بمحمد واله وصحبه ✦ **بيان** اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف احوال الناس فيه ✦ اعلم ان المطلوب لا قصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات فصار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على ساعته كما ان الشروع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان يأكل بحيث لا تثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان يأكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف لمقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو مالت مائت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه لحواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق للتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع يتسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا ابدا اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحة متشوقة الى الشهوات ماثلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها ولاجل هذا امر الشيخ مريده بما لا يعطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشره والجماح والامتناع من العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي تحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغناء الى الاعتدال فلا يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ما تفتر فتنظر الى الصديق ومساهمته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من فتح من محرضه فيتناول ما يناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص من نوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس مستأبية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وكان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني قد كنت اردت الصوم ثم يأكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت له عائشة رضي الله عنها قد اهدي لنا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي عن سهل انه قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك هذا فقال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت الى اكل كثير بل اني لا اقتدر بمقدار واحد مما اكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيب المطعم فيأكل فقيل له ان اخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال ان اخي بشرا

قبضهما الورع وانا بسكنتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي فاذا اطعمني اكلت واذا جوّعني صبرت مالي والاعتراض
التمييز * ودفع ابراهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم بدا وعسلا وخبزا حوّارى فقيل يا ابا اسحاق
بهذا كله قال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي
والثوري فقال له الثوري يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاناث فالذي اخذ العلم من
السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع عن مالك بن دينار انه قال ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة ثم عن سري السقطي انه منذ
اربعين سنة يشتهي ان يغمس جزرة في دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير ويقطع بأن احدهما مخطئ والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن
بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فيظن محتاطا او غبيا مغرورا فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس
الطمع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ما نفسي باعصى على من نفس معروف
الكرخي وابراهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ما كولي فانا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وتوقيره او في مأكله وجاء
بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم
الا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرسال انقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى
والعادة بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره فينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يديرها في اناء في يده ويقول
اشربها ارتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلها عني حسيا وتركها وهذه الاسرار لا يجوز لشيخ ان يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا
يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتسارع الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن
الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص
ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها حتى لا يخطر بباله ان الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فيتفرغ ذلك من رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة و
اصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبيها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال
خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فعلاه
بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا فقط وهذا هو الاعتدال فاما للواظبة
على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية افتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى اعلم * **بيان** آفة الرياء للمتطرق الى من يترك
اكل الشهوات ويقلل الطعام * اعلم انه يدخل على تارك الشهوات افتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات * احدهما ان لا تقدر النفس على ترك
بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا تريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض
العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات
وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو يدل على قوات المجاهدات بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصها نان متضاعفان
والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد في المنافقين فقال تعالى ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا اخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم
نظر المخلوقين فمحا الكفر من ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات
لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين
وانما يقصد به التلبيس بحاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوّش عليه حاله فنهاية الزاهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل
الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربها ومرة برميه فلا جرم
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا ايضا هي طريق من يعطي جهرا فيأخذ ويزدري اليكسر نفسه بالذل جهرا وبالتقهر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي
ان يفوته اظهار شهوته وتقصانه والصدق فيه فلا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك
فانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء الجرد ويزينه الشيطان عليه في معرض اصلاح غيره فلذلك
يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ما ولا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات * الآفة الثانية ان يقدر

١ الحوائي نعم الحلو وتشديد الواو وفتح الراء الرقيق ابو حنيفة هو لباب الدقيق ١٢ منه

٢ الافتار تذكار كذا نقله بريال ١٢

على ترك الشهوة لكنه يفرح ان يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهرة وتخصصت عليها اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر ابن محمد الصادق اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان هي اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت الزهد عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفر الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق

القول في شهوة الفرج + اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين + احداهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والامها اعظم الام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق + الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم تردّ الى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه العلمة من ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو تيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومني وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال روي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه قلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من انت فقال انا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال برنس اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى اقتنه بما او كما اعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم + وعن سعيد بن مسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي مني ومآب المدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجواري فيصدهم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين + احدهما ان زينا ولواطا يقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس دوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام ومما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاتارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الا مر يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي في غريب الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع + والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق لين يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحي منها حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستخدم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا منبعه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطنبور والعود والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول ابتعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فما في اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد

يؤدى الى نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتقريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع فى تقباضها وانبساطها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء * **بيان** ما على المريد فى ترك التزويج وفعله * اعلم ان المريد فى ابتداء امره ينبغى ان لا يشغل قلبه وهو فى الخلوتين من غير اخراج وقد بسطنا ١٢ نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغله عن الله ولا يغرنك كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الدارانى من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما احوجك الى امرأة تأنس بها فقال ما انسنى الله بها اى ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال ايضا كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم فكيف بقابس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه فى بعض الاحوال ان يسرى ذلك الى قلبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا ويقول كلينى يا عائش لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقلك كان طبعه الانس بالله عز وجل ولو كان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله فى مثل هذه الامور فهو مغرور لان الاهتمام تقصير من الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزم فى الابتداء الى ان يقوى فى المعرفة هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم ينحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه وربما وقع فى بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهى تؤدى على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بنى امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمنى وقال الفضيل يقول ابليس هى قوسى القديمة وسهمى الذى لا اخطئ به يعنى النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كان من قبل النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن ادم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشى والفم يزنى وزناه القبلة والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استأذن ابن ام مكتوم الاعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا اوليس اعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة فى المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وازدياد على حفظ عينه من النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر فى الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبى بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الآدمى بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحى لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذى حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح بالمحاكاة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست اعنى تفرقة العين فقط بل ينبغى ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء واخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهى ملاصقة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافى وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب للملامسة فمهما وجد ذلك الميل فى قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا بآمن من السبع الضارى على الشاب الناسك من غلام امرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوطا ومن بعض السلف قال سيكون فى هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف يخطرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا اتفق النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وتسكين فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم غلبت على شهوتى فى بدء ارادتى بما لم اطق فاكثرت التضجر الى الله تعالى فرأيت شخصا فى المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الى فتقدمت اليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها فى فؤادى وجميع جسدى فاصبحت وقد زال ما بى فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك فاكثرت الاستغاثة فاتانى شخص فى المنام فقال لى اتحب ان يذهب ما بك واضرب عنقك

١ هو فى الخلوتين من غير اخراج وقد بسطنا ١٢

٢ نحو البحر وغيره فجمعها صح ١٢

قلت نعم فقال مُذ رقبتك فمدتها فجرّ سيفا من نور فضرب به عنقي فاصبحت محمد ذال مكاني فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك اولشدة منه فرايت كان شخصا بيني وبين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى لدفع ما لا يجب دفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني ولدي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلناه في كتاب احكام النكاح فلا نطوّل باعادته وعلامة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر عليه الا على مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المرأة دون الرجل بادبع ولا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه بادبع بالجمال والادب والروح والخلق وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدين بامراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت ذلك الى ابيها وقالت تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال ظاهر وبزفافها اصابها الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اراهم انه قد ذهب حتى رُفعت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت معه عند عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذاك فقيل له في ذلك فقال تعمدت لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له الم تسبقت اخوانك بهذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر عليها فيتاذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان لهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائها في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين الف درهم في كل يوم وليس تمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف اني اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئي زادك وقدم لمعادك وكن وصية نفسك ولا تجعل الرجال اوصياء لك فيقتسموا تراثك فصم الدهر ولتكن فطورك الموت واما انا فلو ان الله تعالى خولني مثال الذي خوّلك واضعافه ما سرّني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزبة فهو الاقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح اولى به ودواء هذه العلة ثلاثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما بات الليس من احد الا واتاه من قبل النساء وقال سعيد ايضا وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يتشوف الاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن عبد الله بن ابي رباعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب فقدني اياما فلما اتيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال هلا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجلست اتكر من اخبر عن استدير فيصلت المغرب وانصرفت الى منزلي فاسرجت وكنت صائما فقدمت عشاءي لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فانكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب وذلك انه لم ير اربعين سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد لو ارسلت الي لاتيتك فقال لانت احق ان تؤتى قلت نعما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان يبيتن ليلتك هذه عندك وهذه امراتك واذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤني وقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في المدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت وجعي من رجلك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واحفظهم لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارعاهم لحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا ايته فلما كان بعد الشهر اتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك امر فالعصا ثم انصرفت الى المنزل فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد ابن المسيب هذه قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه *

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين ۞ اعلم ان هذه الشهوة هي غلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل لانه ان قضاها قبح يستحيي منه ويخشى من افتضاحه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة وليس في شئ من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من المعصية ان لا يقدر فعفى هذه العوائق فائدة وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا انما دفع عنه اثمه بأي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من ليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة فقد روى ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم واشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعنه ما هو اعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا وجلس سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورعهم فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فانحدرت اليه فلما رات جماله وجمه جاءت حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازات فكشفت عن وجهها البرقع كانه فلقة قمر وقالت اهنتني فظننت انها تريد طعاما فقام الى فاضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الشيطان الى ثم وضع راسه بين ركبتيه واخذ في التحيب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت اهلها وجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث او نحوها فلم يزل به حتى اخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر الاسود فاحتبى بثوبه فاخذته عينه فنام واذا رجل وسيم طوال شرجيل له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من انت قال له انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لعجبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله تعالى بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبيان يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم انك تعلم انه كانت لي ابنة عم من احب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجورهم غير رجل واحد فانه ترك الاجر الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اعطني اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله اتستهزئ بي فقلت لا استهزئ بك فاخذه فاستاقه واخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والا فالافات كلها منه تنشأ والنظرة الاولى ذاهلا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يزرع في القلب شهوة وقد ما يخلو الانسان في تردده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخيل اليه الحسن تقاضى الطبع للمعاودة وعند هذا ينبغي ان يقدر في نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن اثارت النفس بالشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتالم لانه قصد الالتذاذ وقد فعل فلا يخلو في كل حال عن معصية وعن تالم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق

ل ١ انتهاز غلبات هست زنان قفلات جمع در بعض نسخ چنين ثبت واقع شده ٢ فقه پاره چرى ١٢ ٣ ميت اى ابيل ويلورسم نمل ذى على الفتح كابن ١٢ از ريضاوى مختصرا ٤ النجباء في الصوت بالكلام ٥ اعنى بالثوب اشتمل ارتج بين ظهرو بطنه بعامته وكل ما حمل على الشدة العباس واشتد ١٢ منه ٦ شوق شراب كنند انرا وخوردن وقهر انبيذ ١٢ ل

اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان اخطار العين وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روي عن ابي بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وداودها عن نفسها فقالت له لا تفعل انا اشد حبا لك منك لكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال اما لي من عمل صالح فأدعو فادع انت قال انا ادعو وامن انت على دعائي فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال الرسول لعممت ان ليس لك عمل صالح وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس احد من الناس بمكانه ومن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بهن ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بهن فاطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون التهمة موضعاً فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا لجهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في مثل هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد على مثال القوارير ادنى شيء يعيبها وجلتها اقول لك ان جوارحي كلها مشغولة بك فاتق الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله واذا بالمرأة واقفة في موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المرأة ان الله عز وجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة اخرى ستره فاذا يئس لها ملا بسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم حول الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدي يداوي الكلوم المرضية والاوجاع المزمنة ذلك الله رب العالمين فاقصد به بصدق المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم انها جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم ابدا الا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل علينا ما قد عسر من امرك ثم انها تبعته وقالت امنن علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكري قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم انها افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له لم بكاؤك وانت قد آيأستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها في اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فانا استحيي منه ان استرد ذخيرتها عنده تعالى * ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان في عدله والهمه نور الايمان في قريحته وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله واطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمه وجمله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله واي قصد ودين سهله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلل **اما بعد** فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق ومخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم

يعبر عنه انسان امّا بحق او بباطل ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد فى سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مردّ ولا لمجاله منتهى وحده فلذلك فى آخره مجال رحب وفى الشروط شعب ومن اطلق عنان لسانه ليسابق به الشيطان فى كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضبطه الى البوار لا يكبّ الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة يكفه عن كل ما يخشى غائلته فى عاجله وآجله وعلم ما يجهد فيه اطلاق اللسان ويذم عامّ مضرّ عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب فى اطلاقه ولا مئونة فى تحريكه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان فى استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة منها بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار فى ذمّها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض فى الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب بذاءة اللسان ثم آفة اللعن امّا لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب التعاون ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب فى القول واليمين ثم بيان التعاريض فى الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعاديين فيكلم كلّ واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ فى نحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامهول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف امّا قديمة او محدثة وهى اخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت ـ اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله اى حكيمه وحرم رووى عن عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرنى عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقى فأومأ بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكفل لى بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله القبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال معاذ بن جبل قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكبّ الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله الثقفى قلت يا رسول الله حدثنى بامر اعتصم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف على فاخذ بلسانه وقال هذا ورووى ان معاذا قال يا رسول الله اى الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان اى تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه راى ابا بكر الصديق رضى الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله قال هذا اوردنى الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ من جسدك يشكو الى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبى ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن اهذا شئ تقوله او شئ سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم فى لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروى ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصنى قال اعبد الله كانك تراه وعد نفسك فى الموتى وان شئت انبأتك بما هو املاك لذلك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل يدخل الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا الا بخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن

ا ق شجر شين معجمة وجيم بزنج طويل الخ قاموس ودر بعض نسخ بجر سجر بسين مهمله وجيم بمعنى كشيدن ودفع شده

ب ق شفا اى لفظ بفتح الراء وسكونها جانب پرتگاه مرتفع على الاستعارة ١٢ جلالين

ج ق كبه قلبه وكبّ هو لمازم والثلاثى لازم ق وغ

د ق الجمع كابه وكبه الرجل الفاحش وقبيحه وشتمه بذاءة وبذاء ق ١٢

ه ق قبقبه وقبقبه وقبقب وقبقب البطن ق ١٢

و ق الذبذب الذكر والفرج والدفع والذبذبة تردد الشئ المعلق فى الهواء والتحرك واللسان الذكر كالذبذبة والذباذ ق

ز ق اللقلق اللسان واللقلقة صوته وكل صوت فى فضاء او شئ الصوت واداته كاللجة تحريك لجمها واخراج لسانها والتمتمة كالتاء ق

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ على ما يقول وقال عليه السلام اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة
وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذى يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاجب الذى يخوض
فى الباطل وقال عليه السلام ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشئ امضاه
بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها فى الصمت وجزء فى الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به **الآثار** كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه
عن الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذى ورد فى الموارد وقال عبد الله بن مسعود والله الذى لا اله الا هو ما من شئ احوج الى طول سجن من لسان وقال
طاوس لسانى سبع ان ارسلته اكلنى وقال وهب بن منبه فى حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل
دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعى كتب الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله اما بعد فان من اكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه
فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة فى دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان
اشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون منه لسانه على بال الا رايت صلاح ذلك على سائر عمله وقال الحسن
كانوا يتكلمون عند معاوية رحمه الله والاحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا ابا بحر لا تتكلم فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت + وقال
ابو بكر ابن عياش اجتمع اربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر انى اذا تكلمت بكلمة ملكتنى
ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكنى وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه الكلمة ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على ذما لم
اقل قدر منى على ردة ما قلت وقيل ان للمنصور بن المعتمر لم يتكلم بكلمة بعد عشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان
اذا اصبح وضع دواته وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات
اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة و
النقصان وبذاءة الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع و
الشيطان والخائض فيها قل ما يقدر ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويمسكه ويكفه عملا لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتى تفصيله ففى الخوض
خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا
ومن حسابه فى الآخرة فقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم
فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة + اما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لانتفاء منفعته بالضرر واما ما لا
منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر اذ
يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى درکه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان علم
سنذكرها ان شاء الله تعالى علم قطعا ان ما ذكرهم صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتى والله جوامع الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف
ما تحته حاد كلماته من بحار المعانى الا خواص العلماء وفيما سنذكرهم من الآفات وحسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد
آفات اللسان ونبتدى باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام فى الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك + اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال
وغيره وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل
لسانك ومستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر بما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت
الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر فى الجنة ومن قدر على ان يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا
خسرانا بينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بكلمة الله تعالى فان المؤمن لا يكون
صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد وقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا فى
الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا
يوم حنين فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت امه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بنى فقال صلى الله عليه وسلم ومن اين لك لعله كان

يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال او لا يعنيه او منع ما لا يعنيه ومعناه انه انما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا بوثق عمل في نفسك ترجوبه فقال ما ارجوبه سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال بلال بن سعد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احب الي من الدرهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعامل خالقك بما تحب ان يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم انه مجازى بالاحسان ما خوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي ما رأيتني في طلبة منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال او مآل مثاله ان تجلس مع قوم فتذكرهم اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشائخ البلاد ووقايعهم فهذا امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفكر في مشاهدة الاحوال العظيمة والاغتباط بتخصص لا مذمة لشئ مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك واني تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد اجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشئ مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتاذيت وان احتال للمدافعة بجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم انت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى به واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسئول بما لم تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب من غير بصيرة ولست اعني بالتكلم فيما لا يعنى هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعنى ما روي ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال فقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وامثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتورط في رياء وكذب فهو مما لا يعنى وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد وتزجية الاوقات بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسئول عن كل كلمة وان انفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله فناء ونضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حصاة في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الآفة الثانية** فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه اي يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يحسنه ويقربه ويكرره مهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكره كلمتين فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بمعروف او نهيا عن منكر او تنطق لحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ما يستحيي احدكم اذا نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بكلام يهوي به اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان

يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله فى قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه فما اشبه ذلك واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل الملهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قاب للناس الامر فى ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا عيشة فنهاهم ثم قال انت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود اذكركم فضول كلامكم بحسب امرئ من الكلام ما يبلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب كذا وقال الحسن يا ابن آدم يبسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان اعمالك فاعمل ما شئت اكثر او اقلل ودوى ان سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فاخبروه بأنه مر فى السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمى اذا اراد المؤمن ان يتكلم نظر فان كان لله تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كف دون لسانك من باب فقال شفتاى واسنانى قال افما كان فى ذلك ما يردع كلامك وفى رواية انه قال ذلك فى رجل اثنى عليه فاستخفه فى الكلام ثم قال ما اوتى رجل شرا من فضل فى لسان وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه انه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل فى مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فما يعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابى حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان رجلا سأل رجلا كيف فان فى الاستماع سلامة وفى الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر انا احق ما قهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم بهلك الناس فى خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق فى الكلام فيما لا يعنى + **الآفة الثالثة** الخوض فى الباطل + وهو الكلام فى المعاصى كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام واما الكلام فيما لا يعنى فاكثر مما يعنى فهو ترك الاولى ولا تحرم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لا بد له من غلبة الخوض فى الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس والخوض فى الباطل وانواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا وفى هذا الجنس تقع من الكلمات ما يهلك بها صاحبها وهو مستحقر بها فقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه ويهوى بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى بها بالا يهوى بها فى جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى بها بالا يرفعه الله بها فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا فى الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال سلمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما فى معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض فى الباطل وهو وراء ما سيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض فى ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض فى حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض فى الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه + **الآفة الرابعة** المراء والجدال + وذلك منهى عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة وعن ام سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد ان هداهم الله الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة فى اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن

عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعة جهل العالم وعندها يبغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد الذين هدوا الا بالجدال وقال مالك بن انس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل يحب الجدال مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال ايضا صانع من شئت ثم اغضبه بالمراء قلا يرضيك بالهينة تمنعك العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو درداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم تكفير لكل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تترك اخاك عن قلع قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء والجدال اكثر من ان يحصى وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء يترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون لطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار الخلل واما في المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه من وجه كذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والمكابرة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يجب ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان النفس قويتان اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الاخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقوّ لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهيج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور له فيثور التجاحر بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم لكابة واقوى في افحامه واخماده واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه روي ان ابا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي لم اثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال قال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني الله له بيتا في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه وحمله بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صيغة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو اراد وافتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات تشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

الآفة الخامسة الخصومة

وهي ايضا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة تجاج في الكلام ليستوفى به مقال وحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ان خاصم

ورع قطفى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله ابن ابى بكر فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بينى وبين ابن عم لى فقال ان لا يبك عندى يدا وانى اريد ان اجزيك بها وانى والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لا نصرف فقال لى خصمى ما لك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت ان الحق لى قلت لا ولكنى اكرم نفسى عن هذا قال فانى لا اطلب منه شيئا هو لك فان قلت فاذا كان لا انسان حق فلا بد له من الخصومة فى طلبه او فى حفظه مهما ظلم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذى يخاصم بالباطل والذى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل ان يتعرف ان الحق فى اى جانب هو يتوكل فى الخصومة من اى جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذى يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد فى الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها فى نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذى يحمل على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفى الناس من يصرح به ويقول انما قصدى عناده وكسر عرضه وانى ان اخذت منه هذا المال تمادى به فى شره ولا ابالى وهذا مقصود اللدد واللجاج وهو مذموم جدا فاما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على قدر الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسى المتخاصمان ما يبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان فى عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى لا هم على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغى ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغى ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته فيسلم من الاثم ولا تلزمه خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يقوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذا قل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة فى الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منه او ردوها وقال ابن عباس ايضا لو قال لى فرعون خير الرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام والان الكلام وروى ان عيسى عليه السلام مر بكلب خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله اتقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضى الله عنه الا برشئ هين ووجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله فى فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانها الكلام المستكره الموحش المؤذى للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

الآفة السادسة

التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انا وانقياء امتى براء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الى وابعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون فى الكلام وقالت فاطمة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون فى الكلام وقال صلى الله عليه وسلم اكاهلك للمتنطعون ثلاث مرات والمتنطع هو المتعمق والاستقصاء وقال عمر رضى الله عنه ان شقا شق الكلام من شقا شق الشيطان وجاء عمرو بن سعد بن ابى وقاص الى ابيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدى حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاء بألسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع فى المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى كيف ندى من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغى ان يقتصر فى كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل فى هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان للقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلم شاقة اللفظ تأثير فيه فقصدنا

الشدق تلوى الشدقين عند الكلام وهو عيب

الغمز من باب الغين المعجمة والشدق الكلام الفارغ

يتشدقون فى الكلام

كلام اى يتوسعون فيه

الشقشقة فى الاصل شئ يخرجه البعير من جوفه

كلام لا يتوجه عليه عتاب

فيه اذا اراح يعنى اذا اراح عليه

ذرب لسانه حد

اى اسرع

المتخللون الذين يتتبعون

اسنتهم جمع سنة

لا يق به فاما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة السابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان + وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الا بعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الا بعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرقث وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة يا عائشة لو كان الفحش رجلا كان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا جملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيى الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر ابن سمرة كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام في شئ وان احسن الناس سلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب في جوف كلب وقال الاحنف ابن قيس الا اخبركم بأدوأ الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة واكثر ذلك يجري في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط او من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر او قالت ام الاولاد فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال للعارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فأتيناه نسأله لنرى ما يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطل اليد والباعث على الفحش انما قصد الايذاء واما الاحتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب فقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم صنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشئ يعلم فيك فلا تعيره بشئ تعلم فيه يكن دواء ذلك عليه داءك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد قلت يا رسول الله ان الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب اباه وامه **الآفة الثامنة** اللعن + اما الحيوان او جمادا او انسانا وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكأني انظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر اصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه واتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال انس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم

يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من اتصف
بصفة يتعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يقع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم
على الله عز وجل بانه قد ابعد للملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله صلى الله عليه وسلم اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية
للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية
اللعن بأوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة واكلي الربا وكل ذلك
جائز ولكن في لعن اوصاف للمبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي لمعارضته بمثله
فيثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن على الشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل
شخص ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه قد ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا اما شخص معين
في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه
كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة
وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر
ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في
زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تنقلب على الاعيان الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على
الكفر ولذلك عين قوما باللعن وكان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر بدر حتى ان
من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فانزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى
على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو بريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على
الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر
يكفيني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكر الكفار فعمموا فانكم
اذا خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فجلد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله
ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على ان
لعن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لعن الاشخاص خطر فليجتنب وهذا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لانه
قاتل الحسين او امر به قلنا هذا لم يثبت اهلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا تجوز نسبة مسلم الى الكبيرة من غير تحقيق نعم يجوز
ان يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق فكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي
رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا
فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفره بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعته او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا او التعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت رحمه الله
قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء
وقال عليه السلام ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني وانصاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال
قاتل الحسين لعنه الله او الامر بقتله لعنه الله فالصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه
خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذه التهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة
الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن فنفي السكوت سلامة
قال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكرهم لما ارتكب
منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج

منهما لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمران ابغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال ابو الدرداء لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال ابن مسعود لعن المؤمن كقتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى له عن ايوب انه مرفوع لم ايال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا قبح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة * **الآفة التاسعة** الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلئ شعرا وحين مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شئ من الشعر فقال اجعل لكان هذا اذكر ان ذكر الله خير من الشعر على الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ذم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب قد يدخله الكذب وقد ام رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت لانتصاره لما يجوز الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب بقول الشاعر **شعر** ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله * فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعارا لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فالت فهبت فنظرا فقال مالك بهبت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك ابو بكر الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول ابو بكر الهذلي قلت يقول هذين البيتين **شعر** ومبرا من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل * واذا انظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل * قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام الي وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين امر للعباس بن مرداس باربع قلائص فاتاه يشكو في شعر له في اخره **شعر** وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس في مجمع * وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع * فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم انقول في الشعر فجعل يعتذر اليه ويقول بابي انت وامي اني لاجد الشعر بيبا على لساني كذبيب النمل ثم يقرضني كما يقرض النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الآفة العاشرة المزاح** * واصله مذموم منهي عنه الا قدر يسير ايستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المزارات اباحة لان فيها تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا له واما المزاح فسطا بية وفيه انبساط وتطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة وفي بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فمن يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا الا ان مثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف ما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وكان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فما رؤي ضاحكا حتى مات وقال يوسف ابن سباط اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رأيت في الجنة رجلا يبكي السنة تعجب من بكائه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري ما ذا يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والممدوح منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم على معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم عليه فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وثبه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وافواهكم ملأى من دمه واما اذى المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي

الآفة التاسعة

الآفة العاشرة المزاح

امى يا بنى لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعيد ابن العاص لابنه يا بنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنى فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز
رحمه الله تعالى اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحرّقوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال
وقال عمر رضى الله عنه اتدرون لم سمى المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقيل لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للمهى مقطعة
للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فأقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان
يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدود نهاره مع الزنوج ينظر اليهم والى رقصهم
ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعائشة فى النظر الى رقص الزنوج فى يوم عيد وهو حظ أذل من الصغائر وما يصير كبيرة بالاصرار ومن
المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغى ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال انى وان داعبتكم فلا اقول
الا حقا وقال عطاء ان رجلا سأل ابن عباس اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم قال الرجل فما كان مزاحه (اى تمازحنا) قال ابن عباس انه صلى الله عليه
وسلم كساذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان من افكه الناس مع نسائه وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قالت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال
انك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقالت ان زوجى يدعوك قال ومن هو اهو الذى بعينه بياض قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال
صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وبعينه بياض واراد بالبياض المحيط بالحدقة وجاء ته امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملنى على بعير فقال بل نحملك على
ابن البعير فقالت ما اصنع به انه لا يحملنى فقال صلى الله عليه وسلم ما من بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح به وقال انس كان لابى طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضى الله عنها خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فقال تعالى حتى اسابقك فشددت على ّ درعى ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقنى وقال هذه مكان ذى المجاز و
ذلك انه جاء يوما ونحن بذى المجاز وانا جارية قد بعثنى ابى بشئ فقال اعطينيه فأبيت وسعيت وسعى على اثرى فلم يدركنى وقالت ايضا سابقنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقنى فسبقنى وقال هذه بتلك وقالت ايضا رضى الله عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسودة بنت زمعة فصنعت خزيرة وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا احبه فقلت والله لتأكلن او لا لطخن به وجهك فقالت ما انا ذائقته فأخذت
من الصحفة شيئا فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بينى وبينها فخفض لها ركبته لتستقيد فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به
وجهى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابى كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبى صلى الله عليه وسلم قال ان
عندى امرأتين احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهى احسن ام انت فقال بل انا
احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابى سلمة انه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه
للحسن بن على عليهما السلام فيرى الصبى لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن لى ابن جلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله
عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه للطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل
وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمرا اتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الاخر يا رسول الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى ان خوات بن جبير الانصارى كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتل ظفير الجمل لى شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا ابا
عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فكتّ واستحييت وكنت بعد ذلك انفر منه كلما رايته حياء منى حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت
المدينة حتى طلع على يوما وانا اصلى فى المسجد فجلس الى فطولت فقال لا تطول فانى انتظرك فلما سلمت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد
قال فسكتّ واستحييت فقام وكنت انفر منه حتى لحقنى وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قلت
والذى بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصارى رجلا مزاحا
وكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة
لعنك الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم اتى بها

(١) زاح يزيح زيحا وزيحانا بعد وذهب وزاح زيوحا
(٢) وازحه عن الامر ازاحه عن مقامه
(٣) اى يذهبه السبق على ما فى ذيل الوفى
(٤) سبقنى فى ذيل
(٥) كن ذيل
(٦) اى تمازحنا
(٧) اى انقال من ذيل الوفى
(٨) ودماثة زيد فى ذيل
(٩) ذيل
(١٠) اى يدلع لسانه
(١١) ذيل
(١٢) اى من لا يرحم لا يرحم
(١٣) اى من لا يرحم لا يرحم
(١٤) اى من لا يرحم لا يرحم
(١٥) اى من لا يرحم لا يرحم
(١٦) اى من لا يرحم لا يرحم

النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يا رسول الله هذا قد اشتريته لك واهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه يا ثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله انه لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكل منه
فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب
للضحك المميت للقلب **الآفة الحادية عشر** * السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مع ذمي كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب
والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزء به لم يسم
ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة وقالت عائشة رضي الله عنها حاكيت انسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم والله ما احب اني حاكيت انسانا
ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن
والكبيرة القهقهة بذلك وهذه الاشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال على م يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان للمستهزئين بالناس يفتح لاحدهم
باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا أتاه اغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال
كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم
يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه والاستهانة به والاستصغار له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم لا تسخروا
استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزح
وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه اذا
تخبط فيه ولم ينتظم أو على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صوته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب
فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة الثانية عشر** * افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون
بحق المعاشرة والاصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال
الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معاوية رضي الله عنه اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المؤمنين اسر الي
حديثا وما اراه يطوى عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدث به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت
وان هذا اليدخل بين الرجل وبين ابيه فقال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر ولا تعود نفسك افشاءه قال فأتيت
معاوية فأخبرته فقال يا وليد احتفك ابوك من دق الخطا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق
بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فاغنى عن الاعادة **الآفة الثالثة عشر** * الوعد الكاذب فان اللسان سياق الى الوعد ثم النفس ربما
لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية و
وقال صلى الله عليه وسلم الوأي مثل الدين لوافضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال انه كان صادق
الوعد قيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسي فبقي اسماعيل اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن ابي الحمساء
الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله ما الفى الله ثلث النفاق اشهدكر اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي
الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث
وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره الى ان
يدخل وقت الصلاة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو
الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذه اينزل على من اذا وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فأما من
عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز

ل ابن ابي الحمساء الجاهلي صحابي وليم صحابي ست كما في خزينة سفينة نوح وه بود از قاموس

من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معتدرا من غير ضرورة حاقرة فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتى بثلاثة من السبى فأعطى اثنين وبقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول الا ترى اثر الرحى يا رسول الله فى يدى فذكر موعده لابى الهيثم فجعل يقول كيف بموعدى لابى الهيثم فاثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لى عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التى دلته على عظام يوسف كانت احزم منك واجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت حكمى ان تردنى فى شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون اشح من صاحب الثمانين والراعى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس يخلف الله الرجل الرجل وفى نيته ان يفى وفى لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفى نيته ان يفى فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة الرابعة عشر الكذب** فى القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسماعيل بن واسط سمعت ابا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذى يبنى عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين ينتابان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انفقها من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس قد احل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة فى قلبه الى يوم القيامة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان فى فئة فنضب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان معه قوم فى سفر او سرية فأطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة يشنأهم الله التاجر والبياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له وويل له وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيده القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذى اقامنى ما هذا فقال رجل كذاب يعذب فى قبره الى يوم القيامة وعن عبد الله بن جراد قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزنى المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبى الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال ابو سعيد الخدرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول فى دعائه اللهم طهر قلبى من النفاق وفرجى من الزنا ولسانى من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت امى يا عبد الله تعال حتى اعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم لو أفاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا ألا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبى صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هن قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا اما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر رضى الله عنه يوما فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامى هذا فيكم فقال احسنوا الى اصحابى ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبى صلى الله عليه وسلم من حدث عنى بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بائمة ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان وروى عن النخعى صلى الله عليه وسلم انه

ردّ شهادة رجل فى كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يُطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضى الله عنها ما كان
من خلق اشدّ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذبة فما يحل من صدره
حتى يعلم انه قد احدث توبة لله عزّ وجل منها وقال موسى عليه السّلام يا ربّ اىّ عبادك خير لك عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى
فرجه وقال لقمان لابنه يا بنىّ اياك والكذب فانه شهىّ كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه * وقال عليه السلام فى مدح الصدق اربع اذا كن فيك
فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خلق وعفة طعمة وقال ابو بكر رضى الله عنه فى خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام اوّل ثم بكى فقال عليكم بالصدق فانه مع البرّ وهما فى الجنة وقال معاذ قال لى صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله
وصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وبذل الطعام وخفض الجناح **واما الآثار** فقد قال على رضى الله عنه اعظم الخطايا
عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على ازارى و
قال عمر رضى الله عنه احبكم الينا من لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خُلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم
امانة وعن ميمون بن ابى شبيب قال كتبت يوما كتابا فاتيت على حرف فاذا انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب
البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة وقال الشعبى ما ادرى ايهما ابعد غورا فى النار الكذب او البخل وقال ابن
السماك ما ارانى اوجر على ترك الكذب لانى انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح ايسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرات
فى بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا فصدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال
مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد ابن عبد الملك فى شئ فقال له كذبت فقال
عمر والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه **بيان** ما رخص فيه من الكذب * اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر
على المخاطب وعلى غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشئ على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره وربّ جهل فيه منفعة
ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران ان الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق
ارايت لو ان رجلا سعى واخر وراءه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم ارَه وما تصدق وهذا الكذب
واجب فتقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب
دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان فى الصدق
سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة القلب المجنىّ عليه الا بالكذب
فالكذب مباح الا انه ينبغى ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتضى حد الضرورة
فكان الكذب حراما فى الاصل الا لضرورة والذى يدل على الاستثناء ما روى عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص
فى شئ من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت
ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما وروى عن ابى كاهل قال وقع بين اثنين من اصحاب النبىّ صلى الله عليه
وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت
اهلكت نفسى واصلحت بين هذين فاخبرت النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو اىّ لكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل
للنبى صلى الله عليه وسلم اكذب على اهلى قال لا خير فى الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروى ان ابن ابى عمرة الدؤلى وكان فى خلافة
عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتى يتزوج بهن فطارت له فى الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك اخذ بيد عبد الله بن الارقم
حتى اتى به الى منزله ثم قال لامراته انشدك بالله هل تبغضينى قالت لا تنشدنى قال فانى انشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلق حتى
اتيا عمر رضى الله عنه فقال انكم لتحدثون انى اظلم النساء واخلعهن فاسال ابن الارقم فسأله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابى عمرة فجاءت هى وعمتها
فقال انت التى تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت انى اول من تاب وراجع امر الله تعالى انه ناشدنى فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين
قال نعم فاكذبى فان كانت احاديثك لا تحب حدثنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذى يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحسان
وعن النواس بن سمعان الكلابى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى راكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب

ل
فى الحديث ارفق و
ليس الحديث رفق
والبخت لازم ومتحر
از قاموس وغيره

ن نعمت اكتب ن من يكذب كذبة واحدة فلم يسمى فاسق

يكتب على ابن آدم لا محالة الا ان يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما او دفع عنه ضررا وقال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن النبى صلى الله عليه وسلم فلان احب الى من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث وردت فيها صريح الاستثناء وفى معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره ويأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما شربت وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما غرض غيره فبأن يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امرأته لا تطاوعه الا بوعد بما لا يقدر عليه فيعدها فى الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى نسوان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق فى هذه المواضع تولد منه محذور فينبغى ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذى يحصل بالصدق اشد وقعا فى الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك فى كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغى ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فيما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز للمسامحة لحق الغير والاضرار به ولكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه والامور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكى عن زوجها ما تفخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام وقالت اسماء سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لى ضرة وانى اتكثر من زوجى بما لم يفعل اضارها بذلك فهل على شئ فيه فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لا يطعم او قال لى وليس له او اعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبى زور يوم القيامة ويدخل فى هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذى لا تثبته اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادرى وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبى اذا كان لا يرغب فى المكتب الا بوعد ووعيد او تخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا فى الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذى هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذب به فقد وقع فى خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذى كذب لاجله هل هو اهم فى الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم فى تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاحاديث فى فضائل الاعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يترك الا لضرورة ولا ضرورة اذ فى الصدق مندوحة عن الكذب فيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكثر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التى تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتحه بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا يقاومها شئ ونسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

قد نقل عن السلف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضى الله عنه اما فى المعاريض ما يكفى الرجل من الكذب وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وانما اراد واذ ذاك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال التعريض ما روى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض فقال ما رفعت جنبى مذ فارقت الامير الا ما رفعنى الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شئ فكرهته ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شئ فيكون قوله حرف نفى عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتى به العمال الى اهلهم وما كان قد اتاها بشئ فقال كان عندى ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ابى بكر رضى الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه واعطاه شيئا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد به تعالى وكان النخعى لا يقول لابنته اشترى لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان اذا طلبه من يكره ان يخرج اليه وهو فى الدار قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبى اذا طلب هو فى المنزل وهو يكره ذلك خط دائرة وقال للجارية ضعى اصبعك فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله فى موضع الحاجة فاما فى غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه

على الجملة كما روى عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابى على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت فى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول اجزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لى ابى يا بنى اتق الكذب ايّاك والكذب ما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفى عين زوجك بياض وتحملك على ولد البعير وما اشبهه واما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصارى مع عثمان فى قصة الضريد اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس بملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت فى تزويجك فان كان فيه ضرر ويؤدى الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا يكمل للمرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه واما قوله عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها فى النار ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة فى المبالغة كقوله طلبتك مائة مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثرة فلا يأثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهى عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبت عائشة فى الليلة التى هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية قالت فقلت لا ترد يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولى صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشئ تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون من التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول اين قول الطبيب لا تمس عينيك فأقول نعم وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه فى الكذب من حدا اختياره فيكذب لا يشعر وعن خولة التيمى قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة لابن لى فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بنى فجلس الربيع وقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخى فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم ما لا يعلم وربما يكذب فى حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذ قال عليه السلام ان من اعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يرى عينيه فى المنام ما لم يرا ويقول على ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب فى حلم كلف يوم القيامة ان يعقد شعيرة وليس بعاقد

الآفة الخامسة عشرة الغيبة والنظر فيها طويل

فلنذكر ما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال ابو هريرة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابى سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى اعراضهم وقال سليمان بن صرد جاء رجل الى النبى عليه الصلوة والسلام فقلت علمنى خيرا انتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك فى اناء المستقى وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق فى بيوتهن فقال يا معشر من امن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته واوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس مر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوما يوم فقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجئ فيقول يا رسول الله ظللت صائما فائذن لى لافطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلى ظلتا صائمتين وانهما يستحييان ان تأتيا فائذن لهما ان تفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذى نفس محمد بيده لو بقيتا فى بطونهما لاكلتهما النار وفى رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله والله انهما قد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتونى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتور او قدح فقال لاحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئى فقاءت كذلك

ل المحض محركة وسخ ابيض يجتمع فى الماق ويعسر عنه كفرح ١٢

ع جمع عاق وهى التى لا تبر والديها ما تقدر ولو قل والتى لم تتزوج من والديها ولم تتزوج وقد ادركت كشوبت ١٢ مجمع البحار

ف الاستقى

فقال زهاتين صياما متتابعين فاحل الله لهما وافطرنا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس فقال انس فخطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست ثلاثين زنية يزنيها الرجل وادنى الربا عرض
الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب
الناس واما الاخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسر فغرز على قبر وقال صلى الله عليه وسلم امتا انه سيهون
من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا انفعش كما يقعص الكلب فمر صلى الله
عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه فكان الصحابة رضي الله عنهم
يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه
في الاخرة وقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فيأكله فيفغر ويكلح وروى مرفوعا كذلك وروى ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان
محشا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شئ واقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسألاه فأمرهما ان يعيدا الوضوء
والصلاة وامرهما ان يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد انه قال في ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا
ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين الرجل المؤمن من الاكلة في الجسد وقال
ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال
ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك
وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار
مر عيسى عليه الصلاة والسلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا الكلب فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ما اشد بياض اسنانه كانه
صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شئ من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها
ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته **بيان** معنى الغيبة وحدها
اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه حتى في ثوبه ودابته * اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه كيف ما كان * واما النسب فبأن تقول
ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شئ مما يكرهه كيف ما كان * واما الخلق فبان تقول انه سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان
عاجز ضعيف القلب متهور ونحو ذلك مما يجري مجراه * واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق وكذاب وشارب خمر وخائن وظالم او متهاون بالصلاة والزكاة
او لا يحسن الركوع والسجود او لا يحترز من النجاسات او ليس ببار بوالديه او لا يضع الزكاة موضعها او لا يحسن قسمتها او لا يحترز عن الربوة والغيبة والتنزه عن اعراض الناس
واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد على نفسه حقا ويرى لنفسه حقا على الناس وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه ينام
ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه * واما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره
بالمعاصي وفتنه بها يجوز بدليل ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امراة فكثرة صلاتها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال هي في النار وذكرت
عنده امراة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج
اليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حد الغيبة وكل هذا وان كان عبادا فانه به مغتاب حاصل له به واكل لحم اخيه بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل تدرون ما الغيبة قالوا الله
ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قال ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال صلى الله عليه وسلم
لما عير رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة رضي الله
عنه عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة
والبهتان والافك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك عنه وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل
الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابراهيم رجلا فقال النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا تغتابن احدا فاني قلت لامراة
مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا لطويلة الذيل فقال لفظي لفظة فلفظت مضغة لحم **بيان** ان الغيبة لا تقتصر على اللسان * اعلم ان الذكر باللسان
انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل

اقعاص کی اصل الغرب
کشتن بر جای خود بیرون
شدن نفس عضو از فعل
باطن است و با السین لغة
با لوان اللسان
ضبح بانگ و فریاد
کردن و زشت کردن
اصل العضو
الحمو کفرج و اخلال بکل
اکل بعضب بعضا او کلمة
کفرة و الفی الغضب یا تحل
نزل با لکسر گرین

ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت ومأت بيدي اي قصيرة فقال عليه السلام
قد اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة كان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى صلى الله عليه وسلم عائشة
حاكت امراة قال ما يسرني اني حاكيت واني كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتجهينه وذكر كلامه في الكتاب
غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سيأتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما ميت
ومن الغيبة ان تقول بعض من رأيناه اليوم او بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم
عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر او
بعض اهل العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح
ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل ان يذكر عنده انسان
فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله ان يعصمنا منها وانما قصدوا ان
يفهموا عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك من يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي
بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومراثيا و
مزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهل يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وبذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة
من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك انه يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان
الله ما اعجب هذه احتى يصغي اليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه الله له في تحقيق خبثه وهو ممتن على الله عز وجل بذكره جاهلا منه وغرورا و
كذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله ان يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء بل لو
قصد الدعاء لاخفاه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة
تاب الله علينا وعليه وهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما
تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب لذيذ نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكانه يستخرج
الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبا ما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب
والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال
لصاحبه ان فلانا لينام ثم انهما طلبا اديما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم تداممتما فقالا ما ادمنا قال بلى انكما
اكلتما من لحم اخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما افصل الرجل كما يفعص الكلب انهشا من هذه الجيفة
فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه او بقلبه ان خاف ان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فلم يفعله لزمه وان قال بلسانه اسكت
وهو مشتهٍ لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وحبينه فان ذلك
استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره اذله الله يوم القيامة
على رؤس الخلائق وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال ايضا
من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب
الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها **بيان** الاسباب الباعثة على الغيبة * اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا
ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة * **اما الثمانية** * فالاول ان يشفي غيظه وذلك اذا جرى سبب غضب به
عليه فاذا هاج غضبه فيشتفي بذكر مساويه فسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن تحرد من ورع وقد يمتنع من تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير
حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة * الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم
على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر عليهم او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة
ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في الثراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوئ *
الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه ويقبح حاله عند محتشم ويشهد عليه بشهادة فيبادر قبل ان يفجؤه هو حاله ويطعن فيه
ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني

اخبركم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت + الرابع ان ينسب الى شئ فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعل ولا ينسب غيره اليها ويذكر تغييره بانه كان مشاركا له فى العمل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله + الخامس ارادة التصنع والمباهات وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه اعلم منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه ان لك + السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق + السابع اللعب والمزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل الحاكاة والتعجب والتعجيب الناشئ من السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجرى فى الحضور ويجرى ايضا فى الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار المستهزأ به واما الاسباب الثلاثة التى هى الخاصة فهى غضها واد قها لانها شرور دعاها الشيطان فى معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر + الاول ان تبعثت من الدين داعية التعجب فى انكار المنكر والخطاء فى الدين فيقول ما عجبا رأيت من فلان فانه قد يكون به معذورا وقد يكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى اظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدرى ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يجب جاريته وهى قبيحة وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل + الثانى الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان وين غموا مره وما يعطى به فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الى شر من حيث لا يدرى والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه + الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر فارقه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض درکها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا فى ذكر الاسم وهو خطأ بل للرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة لا ممدوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتى ذكره روى عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انى لابغض هذا فى الله تعالى فقال اهل المجلس لبئس ما قلت والله لنبتغينه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه واخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله ان يدعوه له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خبير والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاسأله يا رسول الله هل رأى فى اخرتها عن وقتها او اساء الوضوء لها او الركوع او السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر قال فاسأله يا رسول الله هل رأى فى قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال لا فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيئا من ماله فى سبيل الله الا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر قال فاسأله هل رأى فى نقصت منها او ماكست فيها طائرا الذى بنا لها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك **بيان** العلاج الذى به يمنع اللسان عن الغيبة + اعلم ان مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمجموع العلم والعمل وانما علاج كل علة بحسبها فلنتفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم ان تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التى رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته فى القيامة الى من اغتابه بدلا عما اجتاحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عند اكل الميتة بل المعد يدخل النار بان تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان تنقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم ما النار فى اليبس أسرع من الغيبة فى حسنات العبد وروى ان رجلا قال للحسن بلغنى انك تغتابنى فقال ما بلغ من قدرك عندى انى احكمك فى حسناتى فهبها من العبد بما ورد من الاخبار فى الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر فى نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغى ان يستحيى من ان يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغى ان يتحقق ان عجز غيره عن نفسه فى التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان زمانة خلقية فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه قال ما كان خلق وجهى الى فأحسنه واذا لم يجد العبد عيبا فى نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه برئ من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغى ان لا يرضى لغيره مما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية

اما التفصيل فهو ان ينظر فى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة يقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فعلاجه بما سيأتى فى كتاب قواعد التخلق وهو ان يقول انى اذا امضيت غضبى عليه فلعل الله تعالى يمضى غضبه على بسبب الغيبة اذ نهانى عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان يجهز بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى اى الحور شاء وفى بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى اذا غضب عليك اذا طلبت سخطه فى رضاء المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان تورد غيرك وتحقرهم ولا تترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغى ان تغضب لله ايضا على فعلك اذا ذكرته بالسوء فانهم عصوا ربك بالفحش المذموم وهى الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالج بان تعرف ان التعرض لمقت الله اشد من التعرض لمقت المخلوقين وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدرى انك تخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك فى الدنيا بان تورطهم وتهلك فى الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك ان اكلت الحرام فلان يأكله وان قبلت مال السلطان فلان يقبله فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله تعالى لا يقتدى به كما ان من كان فى دار ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك فيهما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك كنت كالشاة تنظر الى العنز تردى نفسها من قلة الجبل فهى ايضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس منى وقد اهلك نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وهلاك مثل هذا لا تضحك من نفسك واما قصدك للمباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح فى غيرك فينبغى ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قصر اعتقادهم فيك اذا عرفوك بمثل الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا * واما الغيبة لاجل الحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت فى الدنيا معذبا بالحسد فما متعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك فى الدنيا فصرت ايضا خاسرا فى الآخرة ليجمع بين النكالين فقد قصدت حسودك فاصبت نفسك وانقذت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تنفعه خيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك سيئاته فلا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك قد حملك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل شعر واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود ثم تحمد ايها السمع وربما تحمد اى السمع وتشكر فى حسرتك وجنايتك وخزيك يوم القيامة واما الاستهزاء فمقصودك منه اخراج خيرك عند الناس باخراء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت فى حسرتك وجنايتك وخزيك يوم القيامة يوم سيئاتك من استهزأت به تساق الى النار بدلا من ترائى محاسنك له لكنت اولى ان تضحك منك فانك تخرب آخرتك لعمران قليل عرضت نفسك لان يأخذ يوم القيامة بسببك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار ومستهزئك وفرحا بتخريبك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة على اثمه فهو حسن ولكن حسد لها ليس فاضمحلك واستنطفك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جدا لا اثم المرحوم فيخرج من كونه مرحوما ويتقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان يحب اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت نفسك ودينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو ان يمتك الله ستر الله ستر اخيك بالتعجب فانما علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بجملة الامور التى هى من ابواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة * **بيان** تحريم الغيبة بالقلب اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بمساوئ اخيك فليس لك ان تحدث نفسك وتسيئ الظن باخيك وليست اعنى به الا اعتقاد القلب وحكمه على غيره بسوء الظن فاما الخواطر وحديث النفس فهو محفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهى عنه اساءة الظن والظن عبارة عما يركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد فى غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل عند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك تروع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغى ان تكذب به فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق فى خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من آستنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بها ومجها وما شربها او حمل عليه قهرا فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وان ساءه الظن بالمسا بها وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة

ثم الحسد والغضب
ان تكلم فيهما
ان تكلم فيهما
ان تكلم فيهما

او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبما اذا يعرف عقد الظن والشكوك تتحلل والنفس تحدث فنقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان عليه فينفر عنه نفورا ما او يستثقله ويفتر حتى مراعاته وتفقده واكرامه والاهتمام بشيئه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة واما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب باذنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته واما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب في ذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخرين بل ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد ردت الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة وردت شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف ان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان امره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعوله بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في الستر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه ليعظم اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وترفع عليه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي ان يكون حزنك لذلك من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ودينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته **بيان** الاعذار المرخصة في الغيبة * اعلم ان المرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور * الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مطل الغني ظلم وقال عليه السلام لي الواجد يحل عقوبته وعرضه * الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى نهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان ابا جندل حاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب فتاب ولم ير ذلك عمر ممن ابلغه غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما الباحث هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما * الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او زوجتي او اخي وكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي افاخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها وولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء * الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه وكذلك المستشار في التزويج والايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلحك فهو الواجب وان علم انه لا يزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترغبون عن ذكر الفاجر بما فيه اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه * الخامس ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرف عن غير به كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول رأى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك للضرورة التعريف ولان ذلك قد صار بحيث لو كرهه صاحبه

ل ٤ في البيان بالفتح فيه وام تاكيد زيد من ٢٠ ص
ل ٥ معاقرة وهو ملازمة يدمن ويستمر شرب الخمر
ل ٦ ا ر هوى من القبيح اتجر واكتفى من رعايته واذا كف عن الشيء وترك الارهواء الندم على الشيء والاقصار ترك
ن ٢ ا ر في ذكر الفاجر عن ذكر

لو علمه بعد ان قد صار مشهورا به نعم ان وجد عنه معدل او امكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير حدو لا عن اسم النقص +
السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب المكس وشارب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره
ان يذكر به فاذا ذكر فيه ما يتظاهر به فلا اثم عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضى الله عنه ليس
لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه ودون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري
له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى الفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وبما يتفاخرون به
فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو اغتابه بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال ان الله
حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة + اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعل ليخرج من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته
وينبغي ان يستحل وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارن معصية اخرى وقال
الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وبما استدل في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له
وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة قال ان تمشي الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت
وظلمتك واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام
ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح مبينا ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض
او مال فليتحلها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم انما يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته
وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا
فينبغي ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فالقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحب وسبيل المعتذر
ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض
السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها لان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله ابدا فان قلت
فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين
حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل الغيبة فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته
قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه
اني لا اطلب مظلمة في القيامة منه ولا اخاصمه ولا افلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه لانه عفو قبل الوجوب لانه وعد له العزم على الوفاء
بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان له القياس كسائر الحقوق الا ان له ذلك بل صرح الفقهاء ان من ابرأ القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة
فالعفو افضل قال الحسن اذا جمعت الامم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له اجر على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى
خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا فقال ان الله تعالى يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من
حرمك وروي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه رطبا على طبق وقال بلغني انك اهديت الي من حسناتك فأردت ان اكافئك عليها فاعذني
فاني لا اقدر ان اكافئك على التمام + **الآفة السادسة عشر النميمة** + قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم وقال عبد الله بن المبارك الزنيم
ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد الزنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال
تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت
امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
للبرآء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشار على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار في القيامة وقال ابو الدرداء قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاح على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها اهل فليتبوء مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم

لا الا خيرت الرشوة ومن يأتي ذلك ليست وجوه الامور بجواز اي جورت ان ترد الناس

٢ قت الحديث شذوذه وهياجه وسواده وثقل الدم من يكون مع القوم فيتحدث فيسمعه القتات من يتسمع على القوم وهم لا يعلمون فيخبر به القتات من لا يسئل عن الاخبار ش

٣ ع مجمع الموطئون بفتح الطاء مفعول التوطئة وهي التمهيد اللغة ذليل وذلش على ما يوذى حيزان تم والاكناف الجوانب اي حتى يمهد انيسهم ويطيب تحكن فيما من يصاحبهم ولا يتأذى ١٢ مجمع

ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم افعل كذا كذا او لا يفي به وروى كعب الاحبار ان بني اسرائيل اصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو دلني عليه حتى اخرجه من بيننا قال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك الذي اتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال له الحكيم البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى الفقير اذل منه تجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم **بيان** حد النميمة وما يجب في حدها + اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حد كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه او المنقول اليه او كره ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما يراه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاما اذا اراد ان يخفي ما لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل في حقك كذا او هو يريد في افساد امرك او في معاداة عدوك او تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة + الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر + الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى + الرابع ان لا يظن باخيك الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم + الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى ولا تجسسوا + السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود ابدا + وذكر ان حكماء الحكماء ناوه لبعض اخوانه فاخبره بخبر عن بعض اصدقائه فقال له الحكيم قد ابطأت في الزيارة واتيت بثلاث جنايات بغضت اخي الي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذي اخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وفي هذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض لا يوثق بقوله ولا يصدق فيه وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب في الغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق ولا قسام بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل القاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي لا اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال + وذكر المسعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحدوا الصدق من كل طائفة من الناس لا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن اجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال اني متكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد كشفتك رجال ابتاعوا دنياك ببدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم ان يتولوا

فى امة خسفا وفى الامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا على قرعهم البغى والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع اخرته بدنيا غيره وسعى جل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل وقال **شعر** فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت وإما قلت قولا بلا علم * فأنت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم * وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسوارى مايزال يذكرك فى قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رايت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا ادّيت حق حين اعلمتنى عن اخى ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين * ودفع بعض السعاة الى الصاحب بن عبّاد رقعة نبّه فيها على مال يتيم يحمل على خذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمّره الله والساعى لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بنىّ اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل بسبيل ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنعهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى اثنا عشر فى الذل وقال بعضهم لوضح ما تقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحملك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم وينبغى ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى ما فيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرّى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعره شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين وطال الامر **الآفة السابعة عشر** * كلام ذى اللسانين الذى يتردّد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفى لفظ اخر يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغى لذى الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة يطلب الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان واموه كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امّعة قالوا وما الامعة قال الذى يجرى مع كل ريح وانفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روى ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر رضى الله عنهما اميت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تصلى عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله انا منهم أم لا قال اللهم لا ولا اؤمن منهما احدا بعدك فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حدّ ذلك فأقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن ذا لسانين ولا منافقا فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهى الى حدّ الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الاخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما واذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى ان يسكت او يثنى على المحق من المتعاديين يثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدى عدوه قيل لابن عمر رضى الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن المدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن المدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذى حوج نفسه الى ذلك فان كان مستغنيا عن المدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل لانه يجوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فأما اذا ابتلى به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان الثناء الشر جائز قال ابو الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضى الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل الان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد فى الاقبال وفى الكشر والتبسم فأما الثناء فهو كذب صلاح ولا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض المقرر على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغى ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الآفة الثامنة عشر** * المدح وهو منهى عنه فى بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا

ف ان اصابه الخ فى الاصل ما اقول الذل والهوان ٥٢ كذا فى نسخة اصلان ما اقول ٥٣ ان تمسك بعض الذى نقص منك ٥٤ اى انت امرأ ان اؤتمن حفرة احد فعلا وكل الخيانة ٥٥ وقع فى نسخة تكلمت ٥٦ اى اجعل نفسك كالنائم ٥٧ اتعجبكم الجمعة وتشهيها اليوم الذى هو اى اداء فهو يتابع كل احد على رأيه ويقال للمرأة ايضا وقد قدمت الماء وقيل من يقول كل احد ما اراد ٥٨ من الحمار لكراهة ركوبه ذا الدبى يكون فى الوجه كالجدرى

حكمها والمدح يدخل ست آفات اربع في المادح واثنتان في الممدوح * **فاما المادح** * فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روى ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان احدكم لا بد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضى فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذي لا اله الا هو لا تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليرتدع ولا يمدح ليفرح **واما الممدوح فيضره من وجهين** احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس من حوله اذ اقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا امير المؤمنين قال مالي ولك اما لقد سمعتها قال قد سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطأطئ منك الثاني هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عفرت الرجل عفرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه ومدحة الا تولى له الشيطان ولكن للمؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل ليسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور والكبر لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح وقال لعمر لو لم ابعث يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضي الله عنهم اجل رتبة من ان يزدهيهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقرب من الله لا بكونه سيد ولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض عماياه وبتفصيل هذه الآفات تتقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثل واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته ارتع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان** ما على الممدوح * اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا يخلو منه الا بان يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح بازالة المادح قال صلى الله عليه وسلم احثوا في وجوه المداحين التراب وقال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر اثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال تهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك **الآفة التاسعة عشرى** في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدم على تفويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض امره فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده وخطب جل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن

ل ١ اسقط ه ب ما فرة ج خ ف ط ظ ي الضمير الى الحب الماضي فعيل بمعنى مفعول من رعى الكلأ من باب علم ورعاه غيره من باب ضرب ج ٢ ب ج خ ف ط ظ ي الا الاول ٣ ب ج خ ف ط ظ ي التقرب وقوائم البعير اوتاده التي يشد اليها قائم وعقر الخيل قطع رؤسها ثم اتسع فيه حتى استعمل في القتل والهلاك قال صاحب الجمع تحت قوله عليه السلام حتى لا يراد الدعاء بل تحكم عادة على التلطف ٤ ب ج خ ف ط ظ ي وقوله يا ويح نفسه وقوله ويح بارئ كذا في نسخة معتمدة وقوله ويح ابرك على فلان اي ارفق بنفسك كف ٥ س احثوا اي ارموا شيئا يحثوا يعني شيئا يسيرا بالحثية وان لا يعطوا شيئا يجوز القذى على ظاهر جيد حتى في بعد المادح عن مشاهدة التراب المراد من اتخذ مدح الناس حرفة وقضاء حوائجهم اكل المدح فان من شبع على السمن والعمود يرغب في ازدياد

يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية بجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقال اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من دخولها وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته حمارا وخنزيرا رأيتني خلقته خنزيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان احدكم ليشرك حتى يشرك الشيء كله فيقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم ما انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي وربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا ان يوفقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة وتقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن يتكلم فتغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين **الآفة العشرون** سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن لان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غيبها يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال سائسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم خاض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء الا نبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شاب فقال يا رسول الله من ابونا فقال ابوك الذي تدعى اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله اني الجنة امام في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا قال اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموقر وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما رأيت آية للملاعنين الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى عتب وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض المذنبين من اعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب نهيهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن بيانها هي حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة ام حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى اعلم تم كتاب آفات اللسان بحمد الله وعونه

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون * ولا يجد بسوء غضبه وسطوته الا الخائفون * الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون *

وسلط عليهم الشهوات واموهم بترك ما يشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون * وامتحن به جبهم ليعلم صدقهم فيما يدّعون * وعرفهم انه لا يخفى عليه شئ مما يسرون وما يعلنون * وحذرهم ان يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون * فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون * والصلاة على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه المتقون على آله واصحابه الائمة المهديون * والسادة المرضيون * صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون * ويحظى ببركتها الاولون والآخرون * وسلم تسليما كثيرا * **اما بعد** فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة * التى تطلع على الافئدة * وانها لمستكنة فى طى الفؤاد * استكنان الجمر تحت الرماد * ويتخوفها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد * كما تستخرج الجمر النار من الحديد * وقد انكشف للناظرين بنور اليقين * ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتنى من نار وخلقته من طين * فان شأن الطين السكون والوقار * وشأن النار التلظى والاستعار * والحركة والاضطراب من نتائج الغضب الحقد والحسد * وبهما هلك من هلك وفسد من فسد * ومغيضهما مضغة اذا صلحت صلح الجسد * واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب * فما احوجه الى معرفة معاطبه ومتاويه * ليجتنب ذلك ويتقيه * ويميطه عن القلب ان كان وبقيه * ويعالجه ان رسخ فى قلبه ويداويه * فان من لا يعرف الشر يقع فيه * ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه * مالم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر ويقضيه * ونحن نذكر ذم الغضب واثبات الحقد والحسد فى هذا الكتاب ونجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ثم القول فى معنى الحقد وتتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول فى ذم الحسد وحقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته ثم بيان السبب فى كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب وتأكده وقلته فى غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذى به ينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب * بالله التوفيق

بيان ذم الغضب قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب الباطل ومدح المؤمنين بما انزل عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرنى بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لى قولا واقلل لعلى اعقل فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا ينقذنى من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذى لا تصرعه الرجال قال ليس ذاك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يا بنى اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة فى قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذى لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتنى ولا تقتن هذا عيسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضبت حدا لا اشفى على جهنم وقال له رجل اى شئ اشد قال غضب الله قال فما يعدنى من غضب الله قال لا تغضب

الآثار * قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع فى النار وعن ذى القرنين انه لقى ملكا من الملائكة فقال علمنى علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على بنى آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان فى صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال انى ان فى هيئة من يلتمس اليه فقال انى انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فقال انى الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسألنى عما شئت فأخبرك فقال ما اريد ان اسألك عن شئ قال فولى مدبرا فقال الراهب لا تسمع قال بلى قال اخبرنى اى اخلاق بنى آدم اعون لك عليهم قال الحدة فان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم واذا رضى جئت حتى اكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى اكون فى راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزنى بنو آدم فلن يعجزونى فى ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزمته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونحلّه بما فى يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع

وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك وانا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال على بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من اطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقهره بليته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي ان لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال انا ثم اعاد عليه فقال انا وفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو فد والكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ففي به وقال وهب بن منبه الكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع **بيان** حقيقة الغضب * اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه * اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصيرا جزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنه بطينته فمهما صدت عن غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلي به دم القلب ويتشوف الى العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب فصار خزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب بالحمرة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام فلما توجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال * اما التفريط فعدم هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا تبقي للمرء معه بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فربما انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة في مزاج القلب كالنار من النار كما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتعجبون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احمل من احد ما ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه يترسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب مهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبه واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان استشاط بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل ويعمى في الحال لان الغضب فائر من معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه حتى لا يرى العين وتسود الدنيا بأسرها ويكون على مثال كهف اظلم فيه نار فاسود جوه ورحى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانحمى وانطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على لطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق وكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتتهدم عاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب بالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا

وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا او فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظرلها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته
اذا عاوده الغضب واضمه ومن آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب النظام واضطراب الحركة والكلام
حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب الناخرة وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان فى حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة
خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشى قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فتغير
المثمر بالثمرة فهذا اثره فى الجسد واما اثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذى يستحيى منه ذوو العقول ويستحيى منه قائله عند صفو
الغضب وفى ذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب
عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفى رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو حدو والوالة السكران واللدهوش
المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على
الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا
وربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره فى القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور
والغم على افشاء السر وهتك المستور والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يوئف منه
من التعرض للحرم والزوجة والاهل واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خونة قال صلى الله
عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير منى ولذا خلقت الغيرة لحفظ الانساب لو تساهل الناس فى ذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل لكل امة
وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير امتى
احداؤها يعنى فى الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تمام الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل
الى الشهوات الخسيسة فتفقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد
الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو الوسط الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال الغضب
الى الفتور حتى احتشم من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس فى احتمال الذل والضيم فى غير محله فينبغى ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى
الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغى ان يعالج نفسه ليغض من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعرة واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها
كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغى ان يأتى بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته
نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير **بيان** ان الغضب هل يمكن ازالته اصلا بالرياضة ام لا + اعلم انه ظن ظانون انه يتهور محو
الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير
وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقى للانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب ما دام يوافقه شئ ويخالفه آخر فلا بد ان يحب
ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى
ثلاثة اقسام + الاول ما هو ضرورة فى حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا
اخذ منه ثوبه الذى يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التى هى مسكنه او اريق ماؤه الذى هو لعطشه فهذه ضروريات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها
ومن غيظ على من يتعرض لها + القسم الثانى ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل
بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين فى انفسهما فيكثران وينضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما فى القوت فهذا الجنس مما يتصوران
ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد فى الزيادة
على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضرورى كالجاه والصيت
والتصدر فى المجالس والمباهاة فى العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالى ولو جلس
فصف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هى التى اكثرت مصائب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات
والشهوات اكثر كان مهاجيها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا يجهد فى ان يزيد فى حاجاته وفى شهواته وهو
لا يدرى انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لا تحسن اللعب بالطبل

ل ١ اشارة الى الخوان عليه الطعام ٢ ان ٣ ع ٤ ع ٥ ٦ ش ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣

واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضرورى لان جنته ليس بضرورى القسم الثالث ما يكون ضروريا فى حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا فى حق العالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات فى حق المكتسب الذى لا يمكنه التوسل الى القوت الا بها فانما هو وسيلة الى الضرورى والمحبوب بصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضرورى ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح امنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور ان لا يغضب فى غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها **اما القسم الاول** فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمل فى الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ فى الباطن وينتهى ضعفه الى ان لا يظهر اثره فى الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه **واما القسم الثانى** فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الاخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لا يحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة فى هذا قد تنتهى الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضرورى من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن وقع ملك يضرب قبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التى هى قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب عنه بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة فى مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب فى احوال مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط وجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها منى صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت فى الغضب والرضاء فقال اكتب فوالذى بعثنى بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل انى لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق اى لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكنى دعوت الله فاعاننى عليه فاسلم فلا يأمرنى الا بالخير ولم يقل لا شيطان لى واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملنى على الشر وقال على رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر للحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التى لا بدل له فى دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى اهم منه فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما داه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازينى فانا شر مما تقول وان ثقلت موازينى لم يضرنى ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرنى ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضى الله عنه فقال مما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن ان يتقى الله حق تقاته و يعرفه حق معرفته فلم يغضب نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال ما عرفنى غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفى عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل شعبى فقال ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل الدالة فى الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر فى قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عنه وقلت بعض الحاب فاذا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بهم او بغلبة نظر التوحيد وسببا لك وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال فى احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتى فى كتاب

ذم الدنيا ومن اخرج حب المرأة عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شئ قدير والحمد لله وحده **بيان** الاسباب المهيجة للغضب * قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اى شئ اشد قال غضب الله قال فما يقربني من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبعدني من الغضب وما ينجيني منه قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والعناد وشدة الحرص على حصول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب الى واحد وانما اختلفوا في الفضل انشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهي اصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وبصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على فنون العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا للعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه الى رياضة وتحمل مشقة ومداومة رياضتها يرجع الى معرفة فوائلها لترغب النفس فيها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة سالوقة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث على الغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة وجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيبه بالالقاب المحمودة خباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب نقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصها ومن آية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السئ والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة والبخيل اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك هو الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل فيهم **بيان** علاج الغضب بعد هيجانه * ما ذكرناه هو حسم مواد الغضب وقطع اسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم فلما يعالج الغضب عند هيجانه بعجون العلم والعمل * اما العلم فهو ستة امور * الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن انس الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان يتأمل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وعلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه * الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب السماوية يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص في الآخرة لاوجعتك اي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المساكين واخشع الموت واذكر الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه * الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيفوت نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضبه وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه مترد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض لا ان يكون محل وره ان يتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون حينئذ مثابا عليه * الرابع ان يتفكر في قبح صورته عند الغضب بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع وارذل الناس وبين ان يتشبه بالعلماء والانبياء في عادتهم

ج ٣ ص ٩١ س ٣ يقفز قرقزة بجيم وانجم يقفز وتيرقن في الجنى عند التلاوة ١٢ س ٣ الوسيط الكلوم ظلما كان او جماية ١٢

تميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقى معه مسكة من عقل * الخامس ان يتفكر فى السبب الذى يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ
ولابد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى عين الناس فيقول لنفسه ما اعجبك
تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزى يوم القيامة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغرى فى اعين الناس ولا تحذرين
من ان تصغرى عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغى ان يكظمه لله وذلك بعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة اشد
من ذله لو انتقم الآن افلا يجب ان يكون هو القائم اذا نودى يوم القيامة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معادن الايمان ينبغى ان
يقرره على قلبه * السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى اولى من مراد الله ويوشك ان يكون
غضبه لله عليه اعظم من غضبه * واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغيظ
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولى اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى واذهب غيظ قلبى واجرنى من مضلات الفتن
فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التى منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب
بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد فى القلب الم تروا الى انتفاخ
اوداجه وحمرة عينيه فاذا اوجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار
لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وفى رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق
من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب
جمرة فى قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء
من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والكبر هو الذى هو سبب الغضب وروى ان عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب
من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لى ابى اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض
تحتك ثم عظم خالقهما وروى ان اباذر قال لرجل يا ابن الحمراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اباذر بلغنى انك اليوم
عيرت اخاك بأمه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اباذر ادفع راسك فانظر
ثم اعلم انك لست بافضل من الحمر فيها ولا اسود الا ان تفضل بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال
للعتمى ابن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف واعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطنى هذه وقال
للثانى اذا سكن بعض غضبى فاعطنى هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبى فاعطنى هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها مالك ولهذا انك
لست بالها انما انت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء فاعطى الثالثة فاذا
فيها خذ الناس بالحق فانهم لا يصلحهم الا ذاك اى لا تعطل الحدود * وغضب المهدى على رجل فقال شبيب لا تغضبن الله باشد من غضبه لنفسه فقال
خلوا سبيله * **فضيلة كظم الغيظ** * قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك فى معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله
عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عنه
القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه
وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها
عبد الا ملا الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من اى الحور شاء **الآثار**
قال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بنى لا تذهب ماء وجهك
بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثورى وابو خزيمة الاديمى
والفضيل ابن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رضى الله عنه والله ما تقضى بالعدل
ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه

ن ذبيحة

ل اى فى الارض اول السرور والارض ٢٢ اى العمر من التى اذا كانت الغضب

ن ومالك

غضبه عن الحق وافاق قد لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سليمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

فضيلة الحلم * اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤ التعلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ولينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذى يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم واكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم اذا جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال على كرم الله وجهه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لى قرابة اصلهم ويقطعونى واحسن اليهم ويسيئون الى واحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك للمل يعنى بها الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة اتصدق بها فليصدق رجل اصاب من عرضى شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم انى قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كأبى ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم كان اذا اصبح يقول اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى وقيل فى قوله تعالى ربانيين اى حلماء علماء وعن الحسن فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء ابن ابى رباح يمشون على الارض هونا اى حلماء وقال ابن ابى حبيب فى قوله عز وجل وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اى اذا ورد واصفحوا وروى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابراهيم ابن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدلكنى ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلنى منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروى انه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل يمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان فيك يا اشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبى انت وامى يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقت بهما او خلقتان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلت عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيى المتعفف التقى ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشئ من عمله يتقوى تحجزه عن معاصى الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادا اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسئ الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين الا اترا وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على رضى الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهى الناس بعبادة ربك واذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم ابن صيفى دعامة العقل الحلم وجماع الاهم الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ودقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا وفاء فيه تقدمهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تغرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال على رضى الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو بن العاص اى الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اى الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس ابن مالك فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال بعضهم شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم على فما يتعبدنى بها زمانا وقال معاوية لعمر اية ابن اوس بم سدت قومك يا عمر اية قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطى سائلهم واسعى فى حوائجهم فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو افضل منى ومن قصر عنى فانا خير منه وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى وقال رجل لعمر ابن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن على ابن الحسين بن على رضى الله عنه

ق تقرضه وطلب اجره
اى من ان
قيد الخير لينجع ارادة ان تحصل
الله تعالى سعوقا ليسوقه يعنى
ان عادتك ايام حرام عليهم
وما فى نسخ الطوسى
اى قيل ايها يا رسول الله
قال زان ان اكمل ما يوتى
عيشات الاسواق
بفتح الواو وسكون الياء وبشين معجمة
اى اختلاطها والتفاعات
وارتفاع الاصوات والخصومات
فيها
من ادم يحمل فيه الزيت
الجبى صاحب الجباية
الخراج كذا فى نسخ
يعنى ان جباية اخرى التى تتعلق
بالخراج كما قال تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم فانها اسباب
وامور الدنيا فليست غايتها
بما فيها الرأى فيها بالرأى
الخراج شرعا
الجمل كرمان من كل شئ
يجتمع ويكثر وكل ما يجمع وتضم
بعضه الى بعض من
وفيه ان نقصت الناس تقول
كان يجمع ما فيهم عليك
بغرض من نقصت الجنة
فيهم تمامها والنقد النقر بالاصبع
فى الجوز ونحوه ناقده ونقده
فانقد وكن من الناقدة اذا اخذ
اى ان قلت لم قالوا انك
بجمع من
اى اذا قال احد شيئا فجاءه
وكن اصلا فى قضائه

لذا فى الجمع الى لعمر
اسم رجل من
الانصار كان
نجا وهو ابو

انه سيد رجل فوصى اليه بخمسمائة كانت عليه وامره بقضاء دينه فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منافرة في امور اني لاريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظلوم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساء فأحسن اليه فعل الحازم من قلبه يزوده عن مثل اساءته وقال الاحنف ابن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكرم الشر بأثم ومن يكرم الشر يعدم ومن يتبع صيد الله يحفظ ومن يحدث الله يمنع ومن يتول الله يعز ومن لا يسأل الله يفقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك ابن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال ان كنت اذا اكرم على من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت لك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى يسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي وهو للسيخ ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد منا ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت جارية على المائدة فأفسدت ما عليها فلم تعصب حد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فتسري عن الرجل غضبه وانصرف وقال صديق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيما فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به وربحت الغضب وقال محمود الوراق استعن ساكن نفسي الصفح عن كل مذنب * وان كثرت منه علي الجرائم * وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم * فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم * واما الذي دوني فان قال صنت عن * اجابته عرضي وان لام لائم * واما الذي مثلي فان زل او هفا * تفضلت ان الفضل بالخير حاكم *

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام * اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال للستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شقني فلما انتصرت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما انتصرت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصى به والذي يرخص فيه ان تقول من زانت وهل انت الا مربني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل ذما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد له ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا في بعض فلم يمنع السوء فكيف يجوز له ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب لا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها انا زاج النبي صلى الله عليه وسلم ارسل اليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلتني اليك ازواجك يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب ابنة جحش قالت وهي التي كانت تساميني في حبه فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكر لي وانا ساكتة انتظر ان يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جفت لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به التحشن بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم للستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي للظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وقد رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالحطب بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا اشرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضاء فهذه بتلك وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب

فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم
يطفئ الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب
البطيء الفيء فاذا كان الغضب في الحال يجيء ويذهب في الحال فلا يؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب لانه يكون
متشفيا لغيظه وهو يحاسب نفسه فيكون صاحب حظ فيه فينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه + وراى عمر رضي الله عنه سكران فاراد ان
يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لتعصبي لنفسي ولم احب ان اضرب
مسلما لحمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل اغضبته لولا انك اغضبتني لعاقبتك + **القول** في معنى الحقد وثمراته وفضيلة العفو والرفق +
اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجزه عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان
يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور + الاول الحسد وهو ان يحمك الحقد على ان تتمنى
زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه ان شاء الله تعالى + الثاني ان تزيد على اضمار
الحسد في الباطن فتشمت باصابته من البلاء + الثالث ان تجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك اقبل عليك + الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا
له + الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سره وهتك ستر وغيره + السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه + السابع ايذاؤه بالضرب
وما يؤلمه بدنه + الثامن ان تمنعه حقه من قضاء دين او صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة
ولا تخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله به ولكن تستثقله في الباطن ولا ينتهي قلبك من بغضه حتى تمتنع مما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام
بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له او الثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك
في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم
في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى
على ما كان عليه فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللحقود ثلاثة
احوال عند القدرة + احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل + الثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل
الثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر
الآن فضيلة العفو والاحسان **فضيلة** العفو والاحسان + اعلم ان معنى العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص وغرامة وهو غير حلم
وكظم الغيظ فلذلك افرد ناه قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى + وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة
ولا فتح رجل على نفسه باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا
عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من
مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شئ كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال
عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوه اقعدته فاخذت بيده او بدني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل
ابو الدرداء عن اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجالس
واد ان يأخذ له بمظلمته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان للظلامين هم المفلسون يوم القيامة فابى ان يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضي الله
عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى
منادٍ من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح
مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم فقالوا ذلك ثلاثا
فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن
سهيل بن حمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما ترون وما تظنون قالوا نظن خيرا ونقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ حليم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله

ل لا يحل لمسلم ان يصارم مسلما فوق ثلث اي يجره ويقطع مكالمته
ع تخفف من الثقلة بان ما قبل من التعصب وتاكيد الخصال الثلث الآتية اصلها انه لا ينقص المال من التصدق ان كان في بعض النسخ الكتب خالفا لما خلقت عليه من وجيز ان كريمة ١٢
ض عضا وتا الباب بحالها ان ينفي الباب عليها ١٢ شمس
ك تركيب كرز نش كردن وسخن نكو شنيدن ١٢ من

عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى منادليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي له على الله اجر قال العافون عن الناس فيقوم كذا كذا الفا فيدخلونها بغير حساب قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين ما شاء واسكن حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احدهن يا رسول الله قال او احدهن **الآثار** قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل عليه متعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يخفف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد ابن ميسرة ان ظلمت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان اخرى يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وقال مسلم ابن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسمع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله تعالى يأمر منادي يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شئ فليقم فيقوم اهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال اتى النعمان ابن المنذر برجلين قد ذنبا حدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر ذنبا خفيفا فعاقبه وقال **الشعار** تعفو الملوك عن العظيم به من الذنوب بفضلها * ولقد تعاقب في اليسير * وليس ذاك بجهلها * الا ليعرف حلمها * ويخاف شدة كلمها وعن مبارك بن فضالة قال اوفدني ستوار بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر قال فكنت عنده اذ اتى برجل قد اقر وقد في نفسي يقتل رجل من المسلمين ولم احاضر فقلت يا امير المؤمنين لا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال هاته قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم منادي فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خلياً عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام ابن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتى هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها افتجادل الله تعالى ولا تتكلم بين يديك كلاما فقال هشام بلى ويحك تكلم وروي ان سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حملته على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنيا تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على احاضر حجته فبكاءي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم ابن ايوب ليلا وهو على البصرة امير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ما اذا صنع الله به اذا الله منعهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فما اذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم فانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتى عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لعجاء بن جيوة ما ترى قال ارى الله تعالى قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فاقبلت امه فاخذ اخاه فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقه فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيام مكتوب في الانجيل من استغفر من ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة** الرفق * اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة نتيجة الغضب الفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلاسة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون

١ يقفنا اللهم قرة عيننا بك ولبشرنا بقدومه تبشيرا ٢ امر من وكل اللام للغير لانه اياه ٣ يقال لزمت قرنه كذا اذا لقيته ٤ اي غير معيرها شيئا ويروى ولا يرث فان كرم اليوم او قلت قبيحة ثم ثم وجمعت ١٢ منها ٥ او قدره الى الاصبع من انفلق بفتح ثم واذا بقيت بها ورقة فانفلقت فقوم اذا خرقتم وبخرتم في سلم فان جزتم حتى تختموا قلت نقتنع بالالف وقيل يقال بالف قيل اراد ينفذهم بصر الراحمين حتى يأتي عليهم كلهم وقيل اراد بصر الناظر كما يسمى العين بصرا ٦ لان رويته بالراحمين يحمله على حمل حال وينفذهم بفتح ياء اكثر من تقدمها ١٢ مجمع ٧ انتهى مختصرا ٨ وفيه خطاب لرجلين كان لهما مكانة وكان في اسمي الرجلين ٩ اي حتى يمن الله تعالى علينا وايا وبين ١٠ رضيت الجنة طلقت ١١ اي ما الله تعالى من مدره وجبل الدرة عليه السلام

سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت والرفق في الامور ثمرته لا يتم لها الاحسن الخلق لا يضبط قوة الغضب وقوة الشهوة
وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وفي الخبر فيقال يا عائشة انه من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من خير الدنيا والاخرة
ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة
دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايتما وال ولي ودفق ولان دفق به يوم القيامة وقال صلى الله عليه
وسلم الا ندرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب قال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او
ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص مرتين او ثلاثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن
عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه **الآثار** بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة موعما قد اشتكوا فاراد
ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير انتها الرعاة ان للرعية علينا حقا فاعلموا
انه لا حلم احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس شئ ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية
ممن هو دونه وقال وهب ابن منبه الرفق ثنى الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين
اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شئ الى شئ مثل
حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة فتلين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على
ضرك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه
والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل **شعر** ووضع الندي في موضع السيف بالعلا + مضر
كوضع السيف في موضع الندى فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والشدة اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم
في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف
فقد وافق الحق الهوى وهو الذي من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في اتاني فكتب اليه معاوية
اما بعد فان التفهم في الخير زيادة ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان
العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة
صعبة الا طال جانبها كلمة اللين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة
شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن قاف متان وليس كما طاب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال
واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان وامر البصيرة او اشكل
عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر **القول** في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد + اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب اصل الاصل ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا
يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه
وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم
فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقالها في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن
عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث
ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير اني ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت
الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك اوكذا فاردت ان اعرن

وفي الرفق يمن وفي الخرق شوم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعين عليه ما لا يعين على العنف والخرق ١٢ منه
الخرق بالكسر النخل الذي لا يحسن العمل في الحرث ١٢ منه
دون اي في الرتبة والشان بالضم كما في القاموس ١٢ منه
اي لا يستعمل في اموره ١٢ منه
يقال لمن يتكلم بالخنا والسين والجيم لغة ١٢ منه
جبلا ١٢ منه
الدربة المقاطعة ١٢ منه
نظفاوي المال بفتح الطاء سيلان وقد تضم فتخف بضم الظاء وتكسر فتشد ١٢ منه

عملك فلم أدرك تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رأيت فلما ولّيت دعانى فقال ما هو الا ما رأيت غير انى لا أجد على أحد من المسلمين فى نفسى غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هى التى لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفى رواية ثلاثة لا ينجو منهم أحد وقل من ينجو منهن فاثبت فى هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هى الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتى داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروى ان موسى عليه السلام لما تجلى الله به تعالى راى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال احدثك عن عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشى بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتى رجل يكثر له المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الآثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هى تحت حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته فالحرى ان يجعل الحسد على المعصية وحكى ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يؤمئذ على واسط فقال انى اريد ان اعظك بشئ فقال وما هو قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لا به واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فاخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق الآيات واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت واذا ذكر القدر فامسكت واذا ذكرت النجوم فامسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن بأحسانه فان المسئ سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندى قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح ابخرك فقال لما انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال احسن الى المحسن بأحسانه فان المسئ يكفيكه اساءته فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك فى نفسه ما اراه الا قد صدق فقال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك امرنى بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل فى كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى فالله الله فى امرى حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل بالكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمنى طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسئ اساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت احدا على شئ من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك بنى يعقوب نعم ولكن غمه فى صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل **شعر** كل العداوة قد ترجى امانتها ✦ الا عداوة من عاداك من حسد ✦ وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابى ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذى اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان** حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه ✦ اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك

فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حد وكراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فالاول فحوام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم تغتم نعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط القضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون تلك فيه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر تعالى ان جبلهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسفا واطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيهم له ساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتآلفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله بالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ليكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي يبشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة بعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة (تقرير وتاكيد يقال قثم) والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يخرج كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة انما الدنيا لاربعة نفر رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا يقول رب لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فهو يقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادته مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران + احدهما زاحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل وينافي الزهد والتوكل والرضاء ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ذلك او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول

تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القى الكلام اليه ورد الى اختياره لسعى فى ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما
وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده فى طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعل المعنى
بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اى اذا وجدت فى قلبك شيئا فلا تعمل
به وبعيد ان يكون الانسان مريد اللحاق باخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة
يزاحم الحسد الحرام فينبغى ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه واقاربه يحب مساواتهم ويكاد ينجر
ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوى الايمان وزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى
ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقى الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء
كان فى مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه فى ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد
واحكامه + واما مراتبه فاربع **الاولى** ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية الخبث **الثانية** ان يحب زوال النعمة اليه
لرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها
عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها **الثالثة** ان لا يشتهى عينها لنفسه بل يشتهى مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كى لا يظهر التفاوت
بينهما **الرابعة** ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب اليه ان كان فى
الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم
لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه عين ذلك فهو مذموم **بيان** اسباب الحسد والمنافسة
اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباهات الدنيا والتنعم فيها
وانما نظرنا الان فى الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد الخبيثة
وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير هذا لا يختص بالاموال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى
انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب ساءته اليه اولى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره
لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون فى طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمة وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا
فيعجب من قرار مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته فى اغراضه واما ان يكون
يحب الرياسة التى تبتنى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها ولما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا
بد من شرح هذه الاسباب + **السبب الاول** العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه فى غرض
بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ فى نفسه الحقد والحقد يقتضى منه التشفى والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه لحب ان
يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاة له من جهة الله على بغضه اياه
لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل انعم عليه وبالجملة
فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقى ان لا يبغى وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساءته
فهذا غير ممكن وهذا هو الذى وصف الله تعالى الكفار به اعنى الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل
موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الاية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى
صدورهم اكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضى الى المقاتل والتنازع واستغراق العمر فى ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجرى مجراه +
السبب الثانى التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق
تكبره لانسحاق نفسه باحتمال تكلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع
عليه + **السبب الثالث** ان يكون فى طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة فى اغراضه فاذا نال نعمة
خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته اولى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز
كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نبطاعى له رؤسنا فقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم اى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش هؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقارهم

والانفة منهم **السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله تعالى عن كلام السالفة اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقالوا ان اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوق برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم حيث ان يتفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب اخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال تعالى اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الاية **السبب الخامس** الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرائر في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد السائلين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراضه **السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه بنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعنتا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم وهما نشأ علمهم **السبب السابع** خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر وطلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم الله به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس وذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب له سبب عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته او يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب قلما يتجرد سبب واحد منها **بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب تاكده وقلته في غيرهم وضعفه** اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر لانه ينكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس الخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الاغراض نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتتراد جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متقابلتين فلا تكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مدرسة او مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد من العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز لا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسريته زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر فيغلق البزاز ولا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز الجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده بالجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة فلا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما لانهم مما اشتد حرصهم على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد

ل
الزبون الحريف مولد
وقيل الشري فيه بين والله
يبين اي يرفع فيره من
القعر في البير ١٢

ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخرون بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة
نعمة العلم فان الجاهل من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت سماواته وارضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة
لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه الف الف عالم ويقرر بعضهم بعضا ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء
الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهى محل واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق ايضا فيما عند الله تعالى
لان اجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها مانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيدا لانس بكثرتهم نعم اذا نقصه
العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت فى يد احد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما
امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر ونقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى
لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره بها وان يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل فى يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم فى قلب العالم مستقر
ويحل فى قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما فى الارض ثم يبق بعده مال يتملكه
غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الان عنده من كل نعيم
ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون فى قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بموانسته
فتكون لذة هؤلاء فى مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف
وجنته معرفته التى هى صفة ذاته يأمن زوالها وهو ابدا يجنى ثمارها فهو بروحه وقلبه معتنق بها كهة على الدوام غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية
فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع فى جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة فى العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال
فيهم رب العالمين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد فى الدنيا فما ذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء
ومشاهدة المحبوب فى العقبى فاذا لا يتصور ان يكون فى الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة فى الدنيا محاسدة لان الجنة لا
مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التى لا مزاحمة فيها فى الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء من الحسد فى الدنيا والاخرة
جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد ادم عليه السلام
على ما خص به من الاجتباء والهدى الى السجود فاستكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى
الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التى هى جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء
ولكن السماء سعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعمة لا زحمة فيها
ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك فى الدنيا الا فى معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك فى
الاخرة الا بمزيد المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفترضها بايك وضعفت فيها رغبتك فانت فى ذلك معذور
اذ العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبى لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة
المعرفة يختص بادراكها الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف
ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقى مع المحرومين فى اسفل سافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين **بيان** الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب * اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب والاتداوى امراض القلوب الا
بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل
ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة لما تكونه ضررا عليك فى الدين فهو
انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى قسمها لعباده وعدلا الذى اقامه فى ملكه بخفى حكمته فاستنكرت ذلك واستشنعته
وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى فى عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت جملا من المؤمنين
وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه فى جميعهم الخير لعبادة تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه
خبائث فى القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا عليك فى الدنيا فهو انك تتألم بحسدك فى
الدنيا وتتعذب به ولا تزال فى كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف
عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعث القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه لاعدائك وتشتهيه لاعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك

ل قلب العين لتطفه بناه والقطب تاكر العشق وداهم تاتار المتلوفة تهلاق

ن يحزن اى يحزن ان مسه قرح اى ضعف بصوته بصير الليل ٢ صحيح

ك تتنعم الاعداء وكما تشتهيها لهم الاعداء

فتخرجت فى الحال محنتك وغمك نقد ا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع ينال به بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر فى المحسود فى دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة فى دفعه بل كل شئ عنده بمقدار ولكل اجل كتاب لذلك شكا من لا نبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه قومى قد امها حتى تنقضى ايامها اى ما قدرناه فى الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليه اثم فى الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على احد من الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى وتكثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل باراداته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والتعاوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهى ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك فى ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح اما منفعته فى الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعنى انك بذلك تهدى اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن النعمة فكانك اردت فى زوال النعمة عنه فلم تزل بغم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاصفت له نعمة واضفت لنفسك شقاوة والما منفعته فى الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم ممن انت فيه من الم الحسد وغاية امانى اعاديك ان يكونوا فى نعمة وان تكون فى غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهى عدوك موتك بل يشتهى ان تطول حياتك ولكن فى عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل **اشعار** لا مات اعدائك بل خلدوا ٭ حتى يروا فيك الذى يكيد ٭ لا زلت محسودا على نعمة ٭ فانما الكامل من يحسد ٭ ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه لا زال عنه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذن اذا تأملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضر دت به فى الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك فى الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا فى الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذى هو اعدى اعدائك لانه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذى اختص به عدوك عنك خاف ان تحب لهم مهما احببت لنفسك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقام اعرابى لاخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا انى احب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر تقصير كان بحب الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يعمل وفى نسخة ولا يصلى ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبى صلى الله عليه وسلم هو مع من احب قال الحسن بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم ثم قال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعسى ان تحاسد رجلا من اهل العلم يحب ان يخطئ فى دين الله تعالى وينكشف خطأه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واى اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد جاء فى الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اى من يكف عنه الاذى فى الحسد والبغض والكراهة فانظر كيف يعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى تدور بها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك

الكلمة بالفم والكلم بالفتح وبالتحريك يجمع اللون وذاب صفته انقلب من الجمود الى السيلان وهو يكسره وكسره فتكسر الان

على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة ومنام لرأيت نفسك ايها الحاسد فى صورة من يرمى سهما الى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى اشد من الاولى فيرجع الى حدقته اليسرى فيقلعها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على ما فيشج وجهه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه واجم مرة بعد اخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك فى الحسد اقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت فلعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه فى الدنيا خير له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها الهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذا اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزل لها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشتهى شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بى حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجره اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش فى الشفى من الاعداء وهو الداء الذى فيه هلك الامم السالفة فهذه هى الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يقتضيه الحسد من قول وفعل فينبغى ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فى محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حملك العدو على العجز او على النفاق او لهون وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل من غرضهما وتعود القلب الى التآلف والتحاب بذلك تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هى ادوية الحسد وهى نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن النفع فى الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما يهون مرارة هذا الدواء اعنى التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضاء بقضاء الله تعالى وحب ما احبه وهمة النفس وترفعها عن ان يكون فى العالم شئ على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع فى ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد وبان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثانى فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلى فاما الدواء المفصل فهو يقمع اسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يعنى وسيأتى تفصيل مداواة هذه الاسباب فى موضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل مما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة فى قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب ✦ اعلم ان المؤذى ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها لكن حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوى ذلك فيك حتى بعثك الى اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهية لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب هو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس ظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك قهرت نفسك على ما فى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد ادّيت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك فى اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع بيستوى عنده المؤذى والمحسن ويكون فرحه او غمه بما تيسر لهما من نعمة او نقمة حتما

ل فرق نقل الى كسر فانكر والعرب الحمولة ان ورع

من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع القلب عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل الشكلان الوالهة بثمر امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة وير ى لكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يفارك ما لم تبده وروى عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهن مؤمن ولا منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهرا على ان كل حاسد اثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه اثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى ذب بعيد ان يعفى عن العبد في ارادته اساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في ازالة ذلك ثلاثة احوال + احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه + الثاني ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المخطور قطعا + الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك لكن تحفظ جوارحك عن غلبة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل +

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها + وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها + حتى نظروا في شواهدها وآياتها + ووزنوا بحسناتها سيئاتها + فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها + ولا يفي مرجوها بمخوفها + ولا يسلم طلوعها من كسوفها + ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها + ولها اسرار وسوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها + ثم هي فوارة عن طلابها شحيحة بأقبالها + واذا اقبلت لم يؤمن من شرها وبالها + ان احسنت ساعة اساءت سنة + وان اساءت مرة جعلتها سنة + فدائرا قبالها على التقارب دائرة + وتجارة بيعها خاسرة بائرة + وافاتها على التوالي اصعد وطلابها اشقه + ومجاري حوالها بذل طالبها ناطقه + فكل متعزز بها الى الذل مصيره + وكل متكبر بها الى التحسر مسيره + شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها + ومن خدمها فاتنة + ومن اعرض عنها وانته + لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات + ولا ينفك سرورها عن المنغصات + سلامتها تعقب لسقم + وشبابها يسوق الى الهرم + ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم + فهي عقارة مكاره + خداعة غوراره + لا تزال تزين لطلابها + حتى اذا صاروا من احبابها + كشرت لهم عن نيابها + وشوشت حيلهم مناظم اسبابها + وكشفت لهم عن مكنون عجابها + فاذا قنصهم قوائل سمامها + ورشقتهم بصوائب سهامها + بينما اصحابها منها في سرور وانعام + اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام + ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد + ودارتهم في كفانهم تحت الصعيد + ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس + جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس + تمني اصحابها سرورا + وتعدهم غرورا + حتى يأملون كثيرا + ويبنون قصورا + فتصبح قصورهم قبورا + وجمعهم بورا + وسعيهم هباء منثورا + ودعاءهم ثبورا + وكان امر الله قدرا مقدورا + والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا + وعلى من كان من اله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا + وسلم تسليما كثيرا + اما بعد فان الدنيا مدوة الله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله + اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها + واما عداوتها لاولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها + واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها + فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها + فحذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد + فهم على فراقها يتحسرون + ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون +

ل
قوله لم يؤمن شره
هو من باب رمى يرمي ومن
جادة اي اذا ثبت
لم يكن بادي بشق به
من شره ومن قوله تعالى
اوادني الى ركن شديد يركن
الواو والف الى ان قرأنا ركن
على ما تقرر في الرسم وكتبوا
الصورة في كثير من الكلمات
صورة الجماعة كذا
اتبعت لوقوعه كذا والذي
وجدناه في نسخ صحيحة
الامر ليخ واقفت في
نسخة قابل اليمين تبدل
الهمزة واوا
كما يقال في آخي يا اخي
واخي يواخي بالواو
والله اعلم
ج
عن الحسد يكثر الدعاء
يكون في الحلق وغيره وكذا
في القاموس وفي الحل الغرض
انتهى وفي الدنيا بالسعي
اي بسعة البلغ لا يحصل
عليها الا الكثير بحيث
فسر بخمسين فدانا بالنظام
والله اعلم

بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون ✦ اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ✦ واذ عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد لنا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ✦ ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما ترتضيه ✦ **بيان** ذم الدنيا ✦ الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا من هوانها القوها قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي تربى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تأنقوا في الحلية والنساء والطيب والثياب قال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا اكنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه افضل الصلاة والسلام ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان عصي الله فيها وان من خبث الدنيا ان الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا وحب شهوة ساعة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما فقال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فأبليت او تصدقت فابقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا وأملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي وادیا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه للرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت يأشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام دوابهم التي كانوا ينتجون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برح حتى اشتد بكاؤنا وروي ان الله عز وجل لما اهبط آدم الى الارض قال لها ابن للخراب ولدا وللفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصد وعنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شأنك صغير والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم

ج ٣

خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم لك احد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم
على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة تحافون بهم حتى ابلغهم ما يوجون من رحمتي
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى
اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شئ انى لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروى في اخبار ادم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة
تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شئ من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر
الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي شئ تريد قال آدم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضع على الفرش ام على
السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة
واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون وينامون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض
لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل
قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم
وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب
الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وروى ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء
عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا قال يكفينا خلقان ممن
كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر
ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها امله اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل
والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على
الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد
والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده
عليه وقال الهي لكل شئ مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ولا طمعن في
عمرك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن منادي ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم وقال عيسى ابن مريم
عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف آثرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون و
جاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطيئة يا عالم كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين انها
ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فتمتع الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم
ان ابا عبيدة قدم بشئ قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا وامّلوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا
كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر
الدنيا فتهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الاقنية والطرق فقال يا معشر
الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله ودد نا انا علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فاوحى الله اليه اذا كان
الليل فناد هم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا
في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي امه اذا اقبلت
فرح بها واذا ادبرت حزن وبكى عليها قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال
فكيف اجبتني من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب صابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام

أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لا كل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس الصوف والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال ان كانت ناقة رسول الله صلى الله وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقتها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما نعمت عليكم الدنيا ولا ثرتم الآخرة وقال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها ولا مالا بد لكم منه ولكن تنيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصلحت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تناصحون في امر الدنيا ولا تناصحون في امر الآخرة فلا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعيبه على امر الآخرة ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لا ثرتم طلب الآخرة لانها ابقى لكم لا موركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلبها ولعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاشتونا فلنبين لكم ولنزيكم من انفسنا ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم لتبيعون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في امركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونه للمصائب وتقيمون فيه للمآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لا ري الله قد نزأمنكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبل صاحبه بمثل ذلك فيما ظنه على الغل فيبيت راعيكم على الذي بينه وبينها يتم على رفض الاجل ولو ددت ان الله تعالى اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكموه وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بذل الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بذل الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل **شعر** ارى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما اراهم رضوا في العيش بالدون * فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين * وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتتبرها تركك الدنيا ابرا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وادحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تحبن احب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي اشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقل يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقط لم اغفر له وهو يحب الدنيا **الآثار** قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فزهد فيها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله اقواما ما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا رحم الله من نافس في دينك فنافسه ومن نافسك في متاعك فألقاه في نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل ظالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاهلون ما عليها صعيد جرزا وقال بعض الحكماء لملك لن تصب من الدنيا الا وقد كان لاهل قبلك ويكون لاهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تملك في اكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب في ذلك قيل **اشعار** ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها * اذا ادبرت كانت على المرء حسرة * وان اقبلت كانت كثيرا همومها * وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها انكد وصفوها اكدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او ببلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص وقال سفيان اما ترى الى المنعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما اتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو اخذ لنفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق

من حاقوته شيئا يجبى فى طلبه فيا خذ ذلك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال لبعض حازم ايا كم والدنيا فانه بلغنى انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا اعظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وما له عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤدودة وفى ذلك قيل **شعر** وما المال والاهلون الا ودائع + ولا بد يوما ان ترد الودائع + وزارت رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا مودتها من قلوبكم ما اكثر تم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال **قطعة** نتبع دنيانا بتمزيق ديننا + فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع + فطوبى لعبد اثر الله ربه + وجاد بدنياه لما يتوقع + وقيل ايضا **قطعة** ارى طالب الدنيا وان طال عمره + ونال من الدنيا سرورا وانعما + كبان بنى بنيانه فاقامه + فلما استوى ما قد بناه تهدما + وقيل ايضا فى ذلك **قطعة** هب الدنيا تساق اليك عفوا + اليس مصيرذاك الى انتقال + وما دنياك الا مثل فيء + اظلك ثم آذن بالزوال + وقال لقمان لابنه يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا نظر الى خفض عيش الملوك ولين دياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع قال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل **قطعة** يا خاطب الدنيا الى نفسها + تيه على خطبتها تسلم + ان التى تخطب عند اره + قريبة العرس من المأتم + وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفى ذلك قيل **شعر** اذا ما تمخض الدنيا + لبيب تكشفت + له عن عدو فى ثياب صديق + وقيل ايضا **قطعة** يا راقد الليل مسرورا بأوله + ان الحوادث قد يطرقن اسحارا + افنى القرون التى كانت منعمة + بكر الجديدين اقبالا وادبارا + يا من يعانق دنيا لا بقاء لها + يمسى ويصبح فى دنياه سفارا + هلا تركت من الدنيا معانقة + حتى تعانق فى الفردوس ابكارا + ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها + فينبغى لك ان لا تأمن النارا + وقال ابو امامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا لما ابالى ان لا يعبدوا الاوثان وانما اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما اصف لكم من دار من صح فيها مأمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب وقيل له ذلك مرة اخرى فقال اطول لم اقصر بقيل فقير فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال ابو سليمان الدارانى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا فى القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ورجوان يكون ما ذكره سيارا صح اذ قال الدنيا والآخرة تجتمعان فى القلب فايهما غلب كان الآخر تابعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما ترضى احداهما تستخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما لبالون اشرقت الدنيا ام غربت ذهبت الى فناء او ذهبت الى بقاء وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه الا ان يتعيش فيه يعنى لتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا احاسب عليها فى الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله عن منازله فلم يرفيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا للقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب به جهده وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط اوشك فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهدنيه منكم والله ما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة الا وهو عليه اكثر من الذى له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا فاته من خلفها ومن هوى علم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حلال حوسب وان اخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله لا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك

ل اسم فعل امر بمعنى احمد واحرز عضو المال زيادة فى مال او نفقة واحفظ عضو المال اى بغير سرف ١٢

ع اى تفاوتكم من قريب فوز بكم الغنم الغانم ١٢

ع اى مجبى الليل ذهاب النهار وعكسه ١٢

ع اى يسكون على الليل فى صفحة ١٢

ع يعنى لم يقبل منها من جميع ما استغنم او اخذ بغير اى من تقال شيء قال اكثر منها ١٢

ع من قبل ابائكم الاولين

بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول فى الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد فقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويملك ملك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فتردده واجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال فما حاجة لى اليك وقال داود الطائى رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ آمالك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما فى الدنيا شئ يسرنى الا وقد لصق الله اليه شيئا يسوءنى وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه وقيل لبعض العباد قد غلت الغنى فقال انما ناكل الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى اى عذاب الله ينزل علينا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هى لاحد بأهنأ منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فان انفذا عاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول فى دعائه يا ممسك السماء ان تقع على الارض الا باذنك امسك الدنيا عنى وقال محمد بن المنكدر لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله ولجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا اعظم فى عينه ما صغره الله وصغر فى عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن هنا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤونة الدنيا والآخرة فاما مؤونة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤونة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شئ منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشئ الباقى تنادى دبيا منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب بتغضنى فيقول لها اسكتى يا لاشئ اسكتى يا لاشئ وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب وتداحتوشيته فمتى يعمل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشئ من الدنيا فقد اخطأه الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فوق الشيطان من ظله ومن غلب حلمه هواه فهو الغالب قيل البشرات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يحب الدنيا وقال بعضهم المدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هى قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من طلبها وقال الجنيد كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدين وعظ اخا له فى الله وخوفه بالله فقال يا اخى ان الدنيا دار خضت مزلة وداره مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور ذاهب شملها على الفرقة موتوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فارفع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فى زائل وجدا رمائل اكثر من عملك واقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل درهم فى المنام احب اليك ام دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كانك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كانك لا تحبه فى اليقظة وعن اسماعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجد لها اسما اقبح من هذا السموها به وقال كعب لتحبين اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله واصلح خلقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شوهها ان تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله فكيف لا يقع فيها وقال الكريم بن عبد الله من اراد ان يستغنى عن الدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رايت بناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم انهم فى سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها حتى يصير رمادا يعنى الحرص ومن اقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا تحتاج الى قيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح وشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوى فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وان المرأة لتزين احسن شئ منها وبراد اقبح شئ منها واشرف الشمومات المسك وهو دم حيوان

بيان

المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كدرت بوائقها

ل معاویہ اور ابو ہریرہ چگونہ بانی دنیا را گفت سائلی چند بلاو سائلی چند رخاء ۱۲ ج

ک احتوش القوم السید اقعوا بعضهم علی بعض ۱۲ ق

ن کان وحش فرکی وحش زنی بحجر دماغش ۱۲ ق

ع المزق فی الاصل الخرج والخلق ثوب مزق اللبن ثوب یتخذ من اوبار الابل ۱۲ ج

وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وخيرها يفوت وشرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من تذكر قبل ان يقال فلان وعليل او مدنف ثقيل فعل على الدواء من دليل او هل الى الطبيب من سبيل فمدعى ذلك الاطباء ولا يرجى ذلك الشفاء ثم يقال فلان اختلط وما اخصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم لتوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وظمئت جفوتك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل ذاك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك وغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت رهينا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطى حاجته منها لانه يتوقع انه تحد وعلى ماله فبجتاحه او على جمعه فتفرقه او تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بشئ هو ضنين به بين احبابه فالدنيا احق بالذم هي الاخذة ما تعطى الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذا بكت عليه بيناهي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب ببقاء ما بقي تجدق الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكل من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جرحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بامالها وسوفت بخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مذكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى نزلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته * ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرو نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون فيها آخذ ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه او الى سرور اشخصته الى مكروه الشارع فيها لاهلها غارة والنافع فيها غدا ضرار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ماولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة واما لها باطلة وصفوها اكدار وعيشها انكاد وابن آدم فيها على خطران عقل وتظره من النعماء على خطل من البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها ناه وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه او يرفع ما وضع مليكه قرواها عن الصالحين اختبارا وابتلاها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بما رزقه ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز انه قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت ان تقتدي بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودفئي في الشتاء مشارق الشمس سراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض للبهائم ليس لي شئ ولي ليس لشئ وليس على الارض احد اغنى مني قال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام الى فرعون قال لا يرين عليكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فانما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان قدرته تعجز عنها او تيسما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فاري ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اولياءي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تثبت في قلوبهم وتظهر على اجسادهم هي ثيابهم التي يلبسون وشعارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي اياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم

ج ٣ ص ١١١

ف تذكر
ف ٥٠ ك
ف ٥١ ك
ف ٥٢ ك
ف ٥٣ ك
ف ٥٤ ك
ف ٥٥ ك
ف ٥٦ ك

الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذاهم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم دائما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل ممن قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية ودیارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحياة اموانا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب ظعنوا فليس لهم اياب فيها هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن وراها زخ الى يوم يبعثون فكان قد قضى ثم الى ما صار اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنهم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور ووقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب لا اسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى وقفوهم انهم مسئولون مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد * وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض الدهر رميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت سمع الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لا مم من العلقم اذا عجشها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر اعراضها وما تأتي به من العجائب اكثر مما يحيط به الواعظ اللهم ارشدنا الى الصواب قال بعض الحكماء وقد استوصف له دنيا وقد بقاءها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه عزمك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل شعاعه ليلته وتطويه ساعاته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان في الدهر هو كل بتشتيت الجماعات وانحرام الشمل وتنقل النزول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم لجمقى وان كنتم تكذبون فانكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون قرانها فاعملوا لما انتم صائرون اليه خالدون فيه ثم غلبه البكاء فنزل * وقال علي كرم الله وجهه في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وانتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا كأنهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تخدعوا للبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها ونعيمها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا ولم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقنعوا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم ذكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة * اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله انشد وقال **شعر** احلام نوم او كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع * وكان الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول **شعر** يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها * ان اغترارا بظل زائل حمق * وكان يرى انه من قوله ويقال ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فانتبه والشمس تقابله فقام وهو يقول **شعر** الا انما الدنيا كظل بنيته * ولا بد يوما ان ظلك زائل * وكذلك قيل **شعر** وان امرأ حينا ما اكد هه * لمستمسك منها بحبل غرور

الدولة بالضم في المال يقال لصار الفيء دولة بينهم مرة وله تكون لنا مرة عليهم والجمع دول ودولات و دول والرجل الداولة تحمو سجال مرة لنا ومرة علينا واصل السجال المساقاة بالدلاء من البئر ونحوها يكون لكل واحد منهما يوم فاستعاره للحرب

تحمو اي تشتد من حمو النار

الخضخضة التحريك

الحميم الحار وفي بعضه ومن الحميم الحار

الجمع التعظيم

مثال اخر الدنیا من حیث التغری بخیالاتها لا تخاطر الا فلاس منها بعد افلاتها * تشبه خیالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلی الله علیه وسلم للدنیا حلم واهلها علیها مجازون ومعاقبون وقال یونس بن عبید ما شبهت نفسی فی الدنیا الا برجل نام فرای فی منامه ما یکره وما یعجب فبینما هو کذلک اذ انتبه وکذلک الناس شاموها فاذا ماکنوا انتبهوا فاذا الیس بایدیهم شئ مما رکنوا الیه ونحو ابه وقیل لبعض الحکماء ای شئ اشبه بالدنیا قال احلام النائم * مثال اخر الدنیا فی عداوتها لا ملیها واهلاکها بنیها * اعلم ان طبع الدنیا التلطف فی الاستدراج اولا والتوصل الی الاهلاک اخرا وهی کامراة تتزین للخطاب حتی اذا نکحهم ودجنهم وقد روی ان عیسی علیه السلام کوشف بالدنیا فرءاها فی صورة عجوز هتماء علیها من کل زینة فقال لها کم تزوجت قالت لا احصیهم قال فکلهم مات عنک ام کلهم طلقک قالت بل کلهم قتلت فقال عیسی علیه السلام بؤسا لازواجک الباقین کیف لا یعتبرون بازواجک الماضین کیف تهلکین هم واحدا بعد واحد ولا یکونون منک علی حذر * مثال اخر الدنیا فی مخالفة ظاهرها لباطنها * اعلم ان الدنیا مزینة الظواهر قبیحة السرائر وهی شبه عجوز متزینة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا علی باطنها وکشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا علی اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم فی الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زیاد رایت فی النوم عجوزا کبیرة متغضنة الجلد علیها من کل زینة الدنیا والناس عکوف علیها معجبون ینظرون الیها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم الیها واقبالهم علیها فقلت لها ویلک من انت قالت اوما تعرفنی قلت لا ادری من انت قالت انا الدنیا قلت اعوذ بالله من شرک قالت ان احببت ان تعاد من شر شئ فابغض المدهم وقال ابو بکر بن عیاش رایت الدنیا فی النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بیدیها وخلفها خلق یبتغونها یصفقون ویرقصون فلما کانت بحذائی اقبلت الی فقالت لو ظفرت بک لصنعت بک مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بکی ابو بکر وقال رایت هذا قبل ان اقدم الی بغداد وقال الفضیل ابن عیاض قال ابن عباس یؤتی بالدنیا یوم القیامة فی صورة عجوز شمطاء زرقاء انیابها بادیة مشوها خلقها فتشرف علی الخلائق فیقال لهم اتعرفون هذه فیقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فیقال هذه الدنیا التی تفاخرتم علیها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم یقذف بها فی جهنم فتنادی ای رب این اتباعی واشیاعی فیقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشیاعها وقال الفضیل بلغنی ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة علی قارعة الطریق علیها من کل زینة من الحلی والثیاب اذا لا یمر بها احد الا اعجبته فاذا هی ادبر کانت احسن شئ رآه الناس واذا هی اقبلت کانت اقبح شئ رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منک قالت لا والله لا یعیذک الله منی حتی تبغض لی ولدهم قال فقلت من انت قالت انا الدنیاء * مثال اخر للدنیا وعبور الانسان بها * اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تکن فیها شیئا وهی ما قبل وجودک الی الازل وحالة لا تکون فیها مشاهد الدنیا وهی ما بعد موتک الی الابد وحالة متوسطة بین الابد والازل وهی ایام حیاتک فی الدنیا فانظر الی مقدار طولها وانسبه الی طرفی الازل والابد حتی تعلم انها اقل من منازل قصیر فی سفر بعید ولذلک قال صلی الله علیه وسلم مالی وللدنیا وانما مثلی ومثل الدنیا کمثل راکب سار فی یوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وترکها ومن یاوی الدنیا بهذه العین لم یرکن الیها ولم یبال کیف انقضت ایامه فی ضر وضیق او فی سعة ورفاهیة بل الا یبنی لبنة علی لبنة ولا یرفع قصبة علی قصبة وقد رای بعض الصحابة یبنی بیتا من خص فقال اری الامر اعجل من هذا او انکر ذلک والی هذا اشار علیه السلام حیث قال الدنیا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحیاة الدنیا معبر الی الاخرة وللهدهد المیل الاول علی راس القنطرة واللحد هو المیل الاخر وبینهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثیها ومنهم من لم یبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وکیفما کان فلا بد له من العبور والبناء علی القنطرة وتزیینها باصناف الزینة وانت حابر علیها غایة الجهل والخذلان * مثال اخر للدنیا وکون امورها وخشونة مصادرها اعلم ان اول الدنیا تبر وهینة لینة یظن الخائض فیها ان حلاوة حفضها کحلاوة الخوض فیها وهیهات فان الخوض فی الدنیا سهل والخروج منها مع السلامة شدید وقد کتب علی رضی الله عنه الی سلمان الفارسی رضی الله عنه یمثلها فقال مثل الدنیا مثل الحیة یلین مسها ویقتل سمها فاعرض عما یعجبک منها لقلة ما یصحبک منها وضع عنک هموم ما ایقنت من فراقها وکن اسر ما تکون فیها احذر ما تکون لها فان صاحبها کلما اطمأن منها الی سرور اناخ به عنه مکروه والسلام * مثال اخر للدنیا فی تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فیها قال رسول الله صلی الله علیه وسلم انما مثل صاحب الدنیا کالماشی فی الماء هل یستطیع ان لا یبتل قدماه وهذا یعترک جهالة قوم ظنوا انهم یخوضون فی نعیم الدنیا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلک مکیدة من الشیطان بل لو اخرجوا امامهم فیه لکانوا من اعظم المتفجعین بفراقها فکما ان المشی فی الماء یقتضی بللا لا محالة یلتصق بالقدم فکذلک ملابسة الدنیا تقتضی علاقة وظلمة فی القلب بل علاقة الدنیا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عیسی علیه السلام بحق اقول لکم کما ینظر المریض الی الطعام فلا یلتذ به من شدة الوجع کذلک صاحب الدنیا لا یلتذ بالعبادة ولا یجد حلاوتها مع ما یجد من حب الدنیا وبحق اقول لکم ان الدابة اذا لم تترک تمتهن تصعب وبتغیر خلقها کذلک القلوب ان لم ترقق بذکر الموت وتعهد بالعبادة تقسو وتغلظ وبحق اقول لکم ان الرزق ما لم یخرج او یقتل یوشک ان یکون وعاء للعمل کذلک القلوب ما لم تخرقها الشهوات ویدنسها الطمع او یقسیها النعیم فسوف تکون اوعیة للحکمة وقال النبی صلی الله علیه وسلم انما بقی من الدنیا بلاء وفتنة وانما مثل

کل احدکم کمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله ✽ **مثال اخر** لما بقی من الدنیا وقلته بالاضافة الی ما سبق قال انس قال رسول الله صلی الله علیه وسلم مثل هذه الدنیا مثل ثوب شق من اوله الی اخره فبقی متعلقا بخیط فی اخره فیوشك ذلك الخیط ان ینقطع ✽ **مثال اخر** لتأدیة علائق الدنیا بعضها الی بعض حتی الهلاك قال عیسی علیه السلام مثل طالب الدنیا مثل شارب ماء البحر کلما ازداد شربا ازداد عطشا حتی یقتله ✽ **مثال اخر** لمخالفة اخر الدنیا اولها ولمنافاة اوائلها واواخرها اعلم ان شهوات الدنیا فی القلب لذیذة کشهوات الاطعمة فی المعدة ویجد العبد عند الموت لشهوات الدنیا فی قلبه من الکراهة والنتن والقبح ما یجده للاطعمة اللذیذة اذا بلغت فی المعدة غایتها وکما ان الطعام کلما کان الذ طعما واکثر دسما واظهر حلاوة کان رجیعه اقذر واشد نتنا فکذلك کل شهوة فی القلب هی اشهی والذ واقوی فنتنها وکراهتها والتأذی بها عند الموت اشد بل هی فی الدنیا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله فتکون مصیبته والمه وتفجعه فی کل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه علیه فکل ما کان عند الوجود اشهی عنده والذ فهو عند الفقد ادهی وامر ولا معنی للموت الا فقد ما فی الدنیا وقد روی ان النبی صلی الله علیه وسلم قال للضحاك بن سفیان الکلابی الست توتی بطعامك وقد ملح وقرح ثم تشرب علیه اللبن والماء قال بلی قال فالی م یصیر قال الی ما قد علمت یا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنیا بما یصیر الیه طعام ابن ادم وقال ابی بن کعب قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الدنیا ضربت مثلا لابن ادم فانظر ما یخرج من ابن ادم وان فرحه وملحه الی ما یصیر وقال صلی الله علیه وسلم ان الله ضرب الدنیا لمطعم ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنیا مثلا وان فرحه وملحه وقال الحسن قد رایتهم یطیبونه بالاقاویه والطیب ثم یرمون به حیث رایتم وقد قال الله عز وجل فلینظر الانسان الی طعامه قال ابن عباس الی رجیعه وقال رجل لابن عمر انی اردت ان اسألك واستحیی قال فلا تستحی واسأل قال فما قضی احدنا حاجته فقام ینظر الی ذلك منه قال نعم ان الملك یقول انظر الی ما بخلت به انظر الی ما اذا صار وکان بشر بن کعب یقول انطلقوا حتی اریکم الدنیا فیذهب بهم الی مزبلة فیقول انظروا الی ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم ✽ **مثال اخر** فی نسبة الدنیا الی الاخرة قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ما الدنیا فی الاخرة الا کمثل ما یجعل احدکم اصبعه فی الیم فلینظر بم یرجع الیه ✽ **مثال اخر** لدنیا واهلها فی اشتغالهم بنعیم الدنیا وغفلتهم عن الاخرة وحسراتهم العظیمة بسببها اعلم ان اهل الدنیا مثلهم فی غفلتهم مثل قوم رکبوا سفینة فانتهت بهم الی جزیرة فامرهم الملاح بالخروج الی قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم من عدو السفینة واستعجالها فتفرقوا فی نواحی الجزیرة فقضی بعضهم حاجته وبادر الی السفینة فصادف المکان خالیا فاخذ اوسع الاماکن والینها واوفقها لمراده وبعضهم توقف فی الجزیرة ینظر الی انوارها وازهارها العجیبة وغیاضها الملتفة ونغمات طیورها الطیبة والحانها الموزونة الغریبة وصار یلحظ من بریتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشکال الحسنة المنظر العجیبة النقوش السالبة اعین الناظرین بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه بخلو فوان السفینة فرجع الیها فلم یجد فی الامکنة ضیقا حرجا فاستقر فیه وبعضهم اکب علی تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بالهائها فاصحب منها جملة فلم یجد فی السفینة الا مکانا ضیقا وزاده ما حمله ضیقا وصار ثقیلا علیه وبالا فندم علی اخذه ولم یقدر علی رمیه ولم یجد مکانا لوضعه فحمله فی السفینة علی عنقه وهو متأسف علی اخذه ولیس ینفعه التأسف بعضهم توفی الغیاض ونسی المرکب بعد فی متنزهه ومتفرجه منه حتی لم یبلغه نداء الملاح لاشتغاله باکل تلك الثمار واشتمام تلك الانوار والتفرج بین تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف علی نفسه من السباع وغیرها من المهلکات والنکبات ولا ینفك عن شوك یشب بثیابه وغصن یجرح بدنه وشوکة تدخل فی رجله وهوام هائل یفزع منه وعوسج یخرق ثیابه ویهتك عورته ویمنعه من الانصراف لو اراد فلما بلغه نداء اهل السفینة انصرف مثقلا بما معه ولم یجد فی المرکب موضعا فبقی فی الشط حتی مات جوعا وبعضهم لم یبلغه النداء وسارت السفینة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام علی وجهه حتی هلك ومنهم من مات فی الاوحال ومنهم من نهشته الحیات فتفرقوا کاجیف المختلفة واما من وصل الی المرکب بثقل ما اخذ من الانهار والاحجار المزوجة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضیقت علیه مکانه فلم یلبث ان ذبلت تلك الازهار وکمدت تلك الالوان والاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع کونها مضیقة علیه موذیة له بنتنها ووحشتها فلم یجد حیلة الا ان القاها فی البحر فحمل منها وقد اثر فیه ما اکل منها فلم ینته الی الوطن الا بعد ان ظهرت علیه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقیما مبعدا ومن رجع قریبا ما فاته الا سعة المحل فتأذی بضیق المکان مدة واکن لما وصل الی الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المکان لا وسع ووصل الی الوطن سالما فهذا مثال صنفات اهل الدنیا فی اشتغالهم بحظوظ هذه العاجلة ونسیانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اتجم من زعم انه بصیر عاقل ان تغره احجار الارض وهی الذهب والفضة وهشیم النبت وهی زینة الدنیا وشیء من ذلك لا یصحبه عند الموت بل یصیر کلا ووبالا علیه وهو فی الحال شاغل له بالحزن والخوف علیه وهذه حال الخلق کلهم الا من عصمه الله عز وجل ✽ **مثال اخر** لاغترار الخلق بالدنیا وضعفایقینهم بقول الله عز وجل فی تحذیره ایاهم غوائل الدنیا قال الحسن رحمه الله بلغنی ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال لاصحابه انما مثلی ومثلکم ومثل الدنیا

ل الرجح الروشلمة ورقه
ف الفرح بکسر الهمز
والتاء وفتح الراء من
وامع الطعام کنع جعل فیه
لما ۱۲ منه
ف وان الله
خرب مظلم ابن ادم للدنیا
مثلا وضرب الدنیا لمطعم
ابن ادم مثلا وان فرحه
وملحه ای عجل فیه قوابله من
الفرح وهو التوابل التی
تقطع فی القدر کالکزبرة ونحوه
ذلك یقال قرحت القدر
افا ذکرت فیها الابازیر
والمعنی ان المظلوم وان تکلف
الانسان التزین فی نعمته
وتطیبه فانه صائر الی حال
مکروهة فکذا الدنیا الموصوف
بما ذکرنا وبما یلیها
ف صاحب قاموس
کرر انواه وزاد یاء بعد
الواو وقوله یاء بعد
بان یوی خوش اصلاح
کند واحیش فوه افادیه
مج الکبع ۱۲ منه
ف تاء مرکبة وهاء
ش قال تعالی
شان وبینه وکرفتن ۱۲ منه

كشل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يبق لهم ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسته فقالوا هذا قريب عهده بريف وما جاء كم هذا الا من قريب فلما انتهى إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا فقال على م انتم فقالوا على ما ترى فقال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء وروض خضر ما تجعلون قالوا لا نعصيك شيئا فقال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا تعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء وروضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال للرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى نظننا انا لن نجد وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم اقلهم لم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فانطلق فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدد ربهم عدوهم فاصبحوا من بين اسير وقتيل **مثال آخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فواتها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيئ دارا وزينها وهوى عوالي داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور وريا حين ليشمه ويترك لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل الرسمة وظن انه قد وهب له ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره وردّه بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار رضيا فدشلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فواتها فهذه امثلة الدنيا وأفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وجوده

بيان حقيقة الدنيا وما هيتها في حق العبد

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي ما الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دينك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى اخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة اقسام

القسم الاول ما يصحبك في الاخرة وينفعك بعد الموت وهو شيئان احدهما العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعته واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك لذة لا شيء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في لذته لانه اشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا جليا في الدنيا ولكنا اذا انكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وكان اخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة في الركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا لسنا في هذا الكتاب نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا

القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضروريات الداخلة في جملة الرفاهية والزعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيل والمواشي المقصورة والدور والرفيع الشياب والذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه عمر من عمر بن الخطاب اما بعد فاني ما استعملتك على حمص لتتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه ابو الدرداء اما بعد فاني ما اتخذت كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه عمر اما بعد فقد سيرتك الى دمشق انت واهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا راه فضولا من الدنيا فتأمل فيه

القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التي بها يصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على الاول ووسيلة اليه فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن متمتعا ولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام

الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت + اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث + واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ولذلك قيل **شعر** ما حال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد + وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن اذ صحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للاخرة وان اخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الاماني دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طاؤس او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة اضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم الذي يسأل عنه اشار به الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل خوض خطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اغرابا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رد ماءه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فيجعل الله ذلك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا روي ان الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما كان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وملهوا لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فأقول الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما هو لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الاخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة وكان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما هو لله بحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فانا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى خمسة اصول وشى ما جمعها الله تعالى في قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر

فی الاموال والاولاد والاعیان التی تحصل منها هذه الخمسة سبعة بجمعها قوله تعالی زین للناس حب الشهوات من النساء والبنین والقناطیر
المقنطرة من الذهب والفضة والخیل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحیوة الدنیا فقد عرفت ان کل ما هو لله فلیس من الدنیا وقد یضرورة
القوت وما لا بد منه من مسکن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله والاستکثار منه تنعم وهو لغیر الله وبین المتنعم والضرورة درجة یعبر عنها
بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف یقرب من حد الضرورة فلا یضر فان الاقتصار علی حد الضرورة غیر ممکن وطرف یزاحم جانب التنعم ویقرب
منه وینبغی ان یحذر منه وبینهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمی یوشك ان یقع فیه والحزم فی الحذر والتقوی والتقرب من حد الضرورة ما
امکن اقتداء بالانبیاء والاولیاء علیهم السلام اذ کانوا یردون انفسهم الی حد الضرورة حتی ان اویسا القرنی کان یظن اهل انه مجنون لشدة تضییقه
علی نفسه فبنوا له بیتا علی باب دارهم فکان یأتی علیهم السنة والسنتان والثلاث لا یرون لسوحها وکان یخرج اول الاذان ویأتی الی منزله بعد
العشاء الاخرة وکان طعامه ان یلتقط النوی وکلما اصاب حشفة جناها لافطاره فان اصاب ما یقوته من الحشف تصدق بالنوی وان لم یصب ما یقوته من الحشف
باع النوی واشتری ما یقوته وکان لباسه مما یلتقط من المزابل من قطع الاکسیة فیغسلها فی الفرات ویلفق بعضها الی بعض ثم یلبسها فکان ذلك لباسه
وکان ربما مر الصبیان فیرمونه ویظنون انه مجنون فیقول لهم یا اخوتاه ان کنتم ترمونی فارمونی باحجار صغار فانی لخائف ان تدمونی فیحضر وقت الصلاة ولا اصیب
الماء فهکذا کانت سیرته ولهذا عظم رسول الله صلی الله علیه وسلم امره فقال انی لاجد نفس الرحمن من جانب الیمن اشارة الیه رحمه الله ولما ولی عمر بن
الخطاب رضی الله عنه قال ایها الناس من کان منکم من العراق فلیقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من کان من اهل الکوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من کان
من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من کان من قرن فجلسوا کلهم الا رجلا واحدا فقال لعمر اقرنی انت فقال نعم فقال اتعرف اویس بن عامر القرنی فوصفه له فقال
نعم وما ذاك تسأل عنه یا امیر المؤمنین والله ما فینا احمق منه ولا اجن منه ولا اوحش منه ولا ادنی منه فبکی عمر رضی الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت
الا انی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول یدخل فی شفاعته مثل ربیعة ومضر فقال هرم بن حیان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت
الکوفة فلم یکن لی هم الا ان اطلب اویسا القرنی واسأل عنه حتی سقطت علیه جالسا علی شاطئ الفرات نصف النهار یتوضأ ویغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت
الذی نعت لی فاذا رجل ضخم شدید الادمة محلوق الراس کث اللحیة متغیر جدا کریه الوجه متهیب المنظر قال فسلمت علیه فرد علی السلام ونظر الی
فقلت حیاك الله من رجل ومد ید ی لاصافحه فابی ان یصافحنی فقلت رحمك الله یا اویس وغفر لك کیف انت رحمك الله ثم خنقتنی العبرة من حبه
ایاه ورققت علیه اذ رایت من حاله ما رایت حتی بکیت وبکی فقال وانت فحیاك الله یا هرم ابن حیان کیف انت یا اخی ومن دلك علی قال قلت الله فقال لا الا
الا الله سبحان الله ان کان وعد بنا لمفعولا قال فعجبت حین عرفنی ولا والله ما رایته قبل ذلك ولا دانی فقلت من این عرفت اسمی واسم ابی وما رایتك قبل
الیوم قال نبأنی العلیم الخبیر وعرفت روحی روحك حین کلمت نفسی نفسك ان الارواح لها انفس کانفس الاجساد وان المؤمنین لیعرف بعضهم بعضا ویتحابون بروح الله وان لم یلتقوا یتعارفون ویتکلمون وان نأت بهم الدار وتغربت بهم المنازل قال قلت حدثنی رحمك الله عن رسول الله صلی الله علیه وسلم
بحدیث سمعه منك قال انی لم ادرك رسول الله صلی الله علیه وسلم ولم تکن لی معه صحبة بأبی وامی رسول الله ولکن رایت رجالا قد صحبوه وبلغنی من حدیثه
کما بلغك ولست احب ان افتح علی نفسی هذا الباب آن اکون محدثا او مفتیا او قاضیا فی نفسی شغل عن الناس یا هرم بن حیان فقلت یا اخی اقرأ علی آیة
من القرآن اسمعها منك وادع لی بدعوات واوصنی بوصیة احفظها عنك فانی لاحبك فی الله حبا شدیدا قال فقام واخذ بیدی حتی شاطئ الفرات ثم
قال اعوذ بالله السمیع العلیم من الشیطان الرجیم ثم بکی ثم قال قال ربی والحق قول ربی واصدق الحدیث حدیثه واصدق الکلام کلامه ثم قرأ وما خلقنا
السموات والارض وما بینهما لاعبین ما خلقناهما الا بالحق ولکن اکثرهم لا یعلمون حتی انتهی الی قوله انه هو العزیز الرحیم فشهق شهقة ظننت انه قد غشی علیه
ثم قال یا ابن حیان مات ابوك حیان ویوشك ان تموت فاما الی الجنة واما الی النار ومات ابوك آدم ومات امك حواء ومات نوح ومات ابراهیم
خلیل الرحمن ومات موسی نجی الرحمن ومات داود خلیفة الرحمن ومات محمد صلی الله علیه وسلم رسول رب العالمین ومات ابوبکر خلیفة المسلمین ومات عمر بن
الخطاب اخی وصفیی ثم قال یا عمراه یا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم یمت قال فقد نعاه الی ربی ونعی الی نفسی ثم قال انا وانت فی الموتی کأنه قد کان ثم صلی
علی النبی صلی الله علیه وسلم ثم دعا بدعوات خفیات ثم قال هذه وصیتی لیاك یا هرم بن حیان کتاب الله ونهج الصالحین المؤمنین فقد نعیت الی نفسی
ونفسك علیك بذکر الموت لا یفارق قلبك طرفة عین ما بقیت واندد قومك انا ارحمت الیهم وانصح للامة جمیعا وایاك ان تفارق الجماعة فتفارق دینك وانت لا تعلم فتدخل النار یوم القیامة وادع لی ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا زعم انه یحبنی فیك وزارنی من اجلك فعرفنی وجهه فی
الجنة وادخله علیّ فی دارك دار السلام واحفظه ما دام فی الدنیا حیا حیثما کان وضُمّ علیه ضیعته وارضه من الدنیا بالیسیر وما اعطیته من الدنیا
فیسره له یسیرا واجعله لما اعطیته من نعمائك من الشاکرین واجزه عنی خیر الجزاء ثم قال استودعك الله یا هرم بن حیان والسلام علیك ورحمة الله

ل الخشف اول اثمرة او الضعیف الاقوی او الیابس اضاد
۲ ان ۳ الفرق الفرج بالفتح ثم الشق
فتحها ۴ ان ۵ مراد ابو قبیلة من الیمن وهو مراد من مالك بن زید بن کهلان فتفرد نسبی مراد وهو علی ما قال علی هذا القول
۶ صحح اویس القرنی نسبه الی قرن ابن رادان بن ناجیة بن مراد اجداده ۱۲ ق

وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة اعجب الي لأني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني
ولا تطلبني واعلم انك مني على بال ان لم ارك ولا تنسني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فخرجت
ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض المسالك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا
يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء
والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله تعالى
ما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج
فهو يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل دخل في زمرة الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشتغلا بغير الحج فكذلك
البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك طريق العلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ
البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان متحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام
طاويا فسمعت في الليلة الثامنة منادیا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في
حقك فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى + **بيان** حقيقة الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم
ومقصدهم ومردهم + اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ ولسنا في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة
عن احادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح وجميع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن
والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الادمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها للآلات والاواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب
والفضة وغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب منها محومها للمأكل وظهورها للمركب والزينة واما
الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويسخرهم كالغلمان او ليقتنعهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها
بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها
الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الاناث والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه
تنبيه على غيرها من اللآلي والياقوت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا
ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه
العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه
هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها + العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ
غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة
البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي
يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجمال ومثال
العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان
الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته
والحاج البصير لا يهمه من امر الحمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير
في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل
واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج منها واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري واما المسكن
والملبس هون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم بجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها
ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله
تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال

حيوان الانسان مضطرا الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق فى تلك للبها ثم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هى اصول الصناعات فى اوائل الاشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من امر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشى والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعنى به تحصيل ما خلقه الله من حيوان او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعى يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع ادمى وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمى ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم حمال الالات ونعنى بالنجار كل عامل على الخشب كيفما كان وبالحداد كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابرى وغيرها وغرضنا ذكر الاجناس فأما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعنى به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشيرتهما والثانى التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس والتربية الولد فان الاجتماع يفضى الى الولد لا محالة والولد لا يستقل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد فى المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى الات ويحتاج الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل اللبس وهو يفتقر الى حراثة القطن والات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك ما متنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الالات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع اذى الجيران من اللصوصية وغيرها ولكن جميع المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت لبلاد لهذه الضرورة ثم بهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ قصدت ياسة ولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لكانه ضعيف يحتاج الى قوام به وبما حصل الولاية على عاقل انفضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة التخاصم وان ظلمت فلما الزوجة فتخاصم الزوج والولد يخاصمهم الابوين هذا فى المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون فى الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعى والاراضى والمياه وهى لا تفى بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتهاونوا ولو خص واحدا من غير سبب يخصه لكان لا يرضى له فتحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب بالسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضائعة التى لا مالك لها ان كانت او تصرف الغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى التصفح فى اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند

ل النحاس كذا من ليحمل النحاس

ح تخاذل لبكير لا زركشن ١٢ من

ح اذ من اخرج من ذلك اقرب الى الطاعة والقاهرة

ح جبلة جمع كرون خليج

ح مارض الجند سالار لشكر يقال وعلى لما مارض الجند يعنى عرض ١٢ لشكرا من

الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكائنة ويد برهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى
معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى عمال الفرع مع عمال الاصل وهو المسمى نوع الخراج وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاثة طوائف
الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة واما
فانظر كيف ابتداء الامر من حاجة القوت والملبس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا
تتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالى فهذه الحرف والصناعات
الا انها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع به واعلاها الاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان
اليها وهى المدود ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون فى
الآلات ما هو حيوان كالكلب لآلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة
الفلاحة والحداد والنجار ربما يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما ان يبذل عند
للآخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بالنقد لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى الآلة
فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت
يجمع الكل صناعة ليترصد بها صاحب ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الانبار ليترصد به ارباب
الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح المحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار
ارباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من
القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم امور الناس فى البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل الاغذية وكل
كل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة يتتبعون
طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم وتضييعهم منه لجمع المال الذى يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى
فى غفلتهم وجهلهم نظام البلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت همتهم لزهدوا فى الدنيا
ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التى تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها
وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب
البياعات الحاجة الى النقد فان من يريد ان يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى ان المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى اجناس
مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالآخر فيطلب
ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة
والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة الى دار الضرب والصيارفة وهكذا امتد اعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض
حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهى معايشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يثقل
عن ذلك فى الصبى فلا يشتغل به ويمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان
خسيستان اللصوصية والكدية اذ بجمعهما انهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم
فاحتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير + اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون
ويقطعون الطرق كالاعراب الاكراد + واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بأن يكون
طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها + واما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه
غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيئا فاحتقروا الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا
للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كالعمى او بالتعامى والتفاجج والتجانن والتمارض واظهار ذلك
بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سببا لرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى
تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر
والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا فى النفس

ج ٣ ص ١٢٠

١ كلاء كذه حررت
٢ بز الشئ رفعه ومنه البز والاثاث بيت التاجر يخفف فيه المتاع والواحد بزاز بالكسر
٣ البياعة بالكسر السلعة جمعها بياعات
٤ الكدية بالضم شدة الدهر والارض الغليظة والصفاة الصلبة الشديدة وحفر فلان يكدى صادفها وساءه فاكدى وجهه شلها ١٢ ق
٥ تسلق يتسلق برشون ومنه سمى المتسلق انتهز الفرصة اغتنمها
٦ ق
٧ الطرار الذى يقطع الكيس اى شقه طرار الكيس ومنه السلال اخراجك الشئ واخراجه فى خفية

لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت والذى يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق وتسليمها يشبه العوض ويدخل فى بيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه انه ادوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكلية تزيد على الف نوع والفن وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هى اشغال الخلق واعمالهم التى اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كلهم الحاجة الى القوت والكسوة ولكنهم نسوا فى اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومثابهم فتاهوا وضلوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها نحة اشتغالات الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه (يحرر) فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امورهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيا كلون ليكسبوا ويكسبون ليا كلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير الشوا نى فهو سفر لا ينقطع الا بالموت + وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس المقصود ان يشغل الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا بل السعادة فى ان يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر + وطائفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار طول الليل والنهار ويتردون فى الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك داؤهم وحتفهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من يأكل فى الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووبال والآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون + وطائفة ظنوا ان السعادة فى حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون فى كسب المعائش ويضيقون على انفسهم فى المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب لنفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليها ابصار الناس حتى يقال انه غنى وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم فى نهارهم وليلهم فى تعهد موقع نظر الناس + وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم على طائفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم دعاياهم فقد سعدوا واستعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر فى اخرتهم ومعادهم + ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تزاد هذه الامور الثلاثة والقدر الذى يكفى منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاوى لم يمكنهم الرقى عنها فمن عرف وجه الحاجة فى هذه الاسباب والاشتغال عرف غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشتغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت الهمة الى استعداد لها وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشتغال وتداعى بعضها الى بعض وتسلسل الى غير نهاية فتشعبت به الهموم ومن تشعبت به الهموم فى اودية الدنيا فلا يبالى الله فى اى واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين فى اشغال الدنيا وتنبيه لذلك طائفة ناعرضوا عن الدنيا محسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم فى الاعراض عنها حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة والاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد فى الدنيا او لم يتعبد فرأوا ان الصواب فى ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من اهل الهند فهم يتحممون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع فى الالحاد بظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسالك الاباحة وتهاونوا بسائر الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة فالحياة فتركوا السعى والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم فى معرفة الله سبحانه عن ان يتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا

السابقة ان فحوى الثانى الذى يستغنى عنها فى الاصل هو الاول فحقه سوا لا ينقطع ١٢ فحرر

مذاهب باطلة وضلالات هائلة تبلغ بضعا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي التي كانت ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يتبع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيؤخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقتنع منها بما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل العلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات في اقتالها حتى لا يجاوز حد الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه عليه السلام لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يتزهدون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان همهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله اعلم * تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله اولا واخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه للمبسوط * وكاشف الضر بعد القنوط * الذي خلق الخلق * ووسع الرزق * وافاض على العالمين اصناف الاموال * وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال * وردهم فيها بين العسر واليسر * والغنى والفقر * والطمع واليأس * والثروة والافلاس * والعجز والاستطاعة * والحرص والقناعة * والبخل والجود والفرح بالموجود * والاسف على المفقود * والايثار والانفاق * والتوسع والاملاق * والتبذير والتقتير * والرضاء بالقليل واستحقار الكثير * كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا * وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا * ويبتغي عن الآخرة عدلا ولا وحيلا * واتخذ الدنيا ذخيرة ونحولا * والصلاة على محمد الذي نسخ بملته ملة * وطوى بشريعته اديانا ونحلا * وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبل ربهم ذللا * وسلم تسليما كثيرا **امّا بعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب الاطراف واسعة الارجاء والاكناف * لكن اعظم اموال اعظم فتنها * واطمّ محنها * واعظم فتنة فيها انه لا غنى لاحد عنها * ثم اذا وجدت فلا سلامة منها * فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا * وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة امره الا خسرا * وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد الا انها * فوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المغوصات * التي لا يقوى عليها الا ذو البصائر في الدين * من العلماء الراسخين دون المتسمين المغترين * وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل والانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم الفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة والبخيل حالتان طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين والواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذمومة والاخرى محمودة والمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن لشرح ذلك في اربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان بيان ذم المال وكراهة حبه * قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال تعالى الهكم التكاثر * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من

قال به فی عباد الله هکذا وهکذا وقلیل ما هم وقیل یا رسول الله انی لمتنبأ شرٌ قال لا هنیاء وقال صلی الله علیه وسلم سیاتی بعدکم قوم یاکلون اطائب الدنیا
والوانها ویرکبون فره الخیل والوانها ویتنکحون اجمل النساء والوانها ویلبسون الین الثیاب والوانها لهم بطون من القلیل لا تشبع وانفس بالکثیر لا تقنع
عاکفین علی الدنیا یغدون ویروحون الیها اتخذوها الهة من دون الله هم ودبادون ربهم الی امرها ینتهون وهواهم یتبعون فعزیمة من محمد بن عبد الله
لمن ادرکه ذلک الزمان من حقب عقبکم وخلف خلفکم لا یسلم علیهم ولا یعود مرضاهم ولا یتبع جنائزهم ولا یوقر کبیرهم فمن فعل ذلک فقد اعان علی هدم
الاسلام وقال صلی الله علیه وسلم دعوا الدنیا لاهلها من اخذ من الدنیا فوق ما یکفیه اخذ حتفه وهو لا یشعر وقال صلی الله علیه وسلم یقول ابن ادم مالی
مالی وهل لک من مالک الا ما اکلت فافنیت او لبست فابلیت او تصدقت فامضیت وقال رجل یا رسول الله مالی لا احب الموت فقال هل معک
من مال قال نعم یا رسول الله قال قدم مالک فان قلب المؤمن مع مالک ان قدمه احب ان یلحقه وان خلفه احب ان یتخلف معه وقال صلی الله علیه وسلم
اخلاء ابن ادم ثلاثة واحد یتبعه الی قبض روحه والثانی الی قبره والثالث الی محشره فالذی یتبعه الی قبض روحه فهو ماله والذی یتبعه الی قبره فهو اهله
والذی یتبعه الی محشره فهو عمله وقال الحواریون لعیسی علیه السلام مالک تمشی علی الماء ولا نقدر علی ذلک فقال لهم ما منزلة الدینار والدرهم عندکم
قالوا حسنة قال لکنهما والمدعدی سواء وکتب سلمان الفارسی الی ابی الدرداء رضی الله عنهما یا اخی ایاک ان تجمع من الدنیا ما لا تؤدی شکره
فانی سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول یجاء بصاحب الدنیا الذی اطاع الله فیها وماله بین یدیه کلما تکفأ به الصراط قال له ماله امض فقد ادیت
حق الله فی ثم یجاء بصاحب الدنیا الذی لم یطع الله فیها وماله بین کتفیه کلما تکفأ به الصراط قال له ماله ویلک الا ادیت حق الله فی فما یزال کذلک
حتی یدعو بالویل والثبور وکل ما اوردناه فی کتاب الزهد والفقر فی ذم الغنی ومدح الفقر یرجع الی ذم المال فلا نطول بتکریره وکذا کل ما ذکرناه
فی ذم الدنیا فیتناول ذم المال بحکم العموم لان المال اعظم ارکان الدنیا وانما نذکر الان ما ورد فی المال خاصة قال صلی الله علیه وسلم اذا مات
العبد قالت الملائکة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلی الله علیه وسلم لا تتخذوا الضیعة فترغبوا الدنیا ✦ **الآثار** روی ان رجلا نال
من ابی الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بی سوءا فاصح جسمه واطل عمره واکثر ماله فانظر کیف نری کثرة المال غایة البلاء مع صحة الجسم وطول
الامل لا بد ان یفضی الی الطغیان ووضع علی کرم الله وجهه درهما علی کفه ثم قال ما انک مالم تخرج منی لم تنفعنی روی ان عمر رضی الله عنه ارسل
الی زینب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل الیک عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم جعلت ستارا کان لها فقطعته وجعلته خمرا
وقسمته فی اهل رحمها وایتامها ثم رفعت یدیها وقالت اللهم لا یدرکنی عطاء عمر بعد عامی هذا فکانت اول نساء رسول الله صلی الله علیه
وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احدا الا اذله الله وقیل ان اول ما ضرب الدینار والدرهم رفعهما ابلیس ثم وضعهما علی جبهته ثم قبلهما
وقال من احبکما فهو عبدی حقا وقال شمیط بن عجلان ان الدراهم والدنانیر ازمة المنافقین یقادون بها الی النار وقال یحیی بن معاذ الدرهم عقرب
فان لم تحسن لدغته فلا تأخذه فانه ان لدغک قتلک سمه قیل ومارقیته قال اخذه من حله ووضعه فی حقه وقال العلاء بن زیاد تمثلت لی الدنیا وعلیها
من کل زینة فقلت اعوذ بالله من شرک فقالت ان ینجیک الله منی فابغض الدرهم وذلک لان الدرهم والدینار هی الدنیا کلها اذ بها یتوصل
الی جمیع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنیا وفی ذلک قیل **قطعه** انی وجدت فلا تظنوا غیره ✦ ان التوسع عند هذا الدرهم ✦ فاذا اقتدرت
علیه ثم ترکته ✦ فاعلم بان تقاک تقوی المسلم ✦ وقیل ایضا **قطعه** لا یغرنک من المرء قمیص رقعه ✦ او ازار فوق عظم الساق منه رفعه ✦ او جبین
لاح فیه اثر قد خلعه ✦ ادع الدرهم تعرف حبه او ورعه ✦ ویروی عن مسلمة بن عبد الملک انه دخل علی عمر بن عبد العزیز رحمه الله عند موته فقال
یا امیر المؤمنین صنعت صنیعا لم یصنعه احد قبلک ترکت ولدک لیس لهم درهم ولا دینار وکان له ثلاثة عشر ابنا فقال عمر اقعدونی فاقعدوه
فقال اما قولک لم ادع لهم دینارا ولا درهما فانی لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغیرهم وانما ولدی احد رجلین اما مطیع لله فالله کافیه وهو یتولی
الصالحین واما عاص لله فلا ابالی علی ما وقع وروی ان محمد بن کعب القرظی اصاب مالا کثیرا فقیل له لو ادخرته لولدک من بعدک قال لا ولکنی ادخره
لنفسی عند ربی وادخر ربی لولدی ویروی ان رجلا قال لابی عبد رب یا اخی لا اذهب بشر وتترک اولادک بخیر فاخرج ابو عبد رب من ماله مائة الف
درهم وقال یحیی بن معاذ مصیبتان لم یسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد فی ماله عند موته قیل وما هما قال یؤخذ منه کله ویسأل عنه کله

بیان مدح المال والجمع بینه وبین الذم ✦ اعلم ان الله تعالی قد سمی المال خیرا فی مواضع من کتابه العزیز فقال جل وعز ان ترک خیرا الایة وقال
رسول الله صلی الله علیه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وکل ما جاء فی ثواب الصدقة والحج فهو ثناء علی المال اذ لا یمکن الوصول الیهما الا به
وقال تعالی ویسخر لکم انهارا وقال تعالی ممتنا علی عباده ویمددکم باموال وبنین ویجعل لکم
جنات ویجعل لکم انهارا وقال صلی الله علیه وسلم کاد الفقر ان یکون کفرا وهو ثناء علی المال ولا تقف علی وجه الجمع بین الذم والمدح الا بان تعرف

قره بضم القاف نوع من الخیل جمع قاره وهو الذی یحمل الاثقال
یکفاءه ای یمیل ویقلب
ضیعة الرجل ما یکون معاشه کالضیعة والتجارة وغیر ذلک
شمیط بن عجلان کذا فی النسخ

حقيقة المال ومفهوده وذاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه
ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فمدح لا محالة نارة وذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك العين المحمود منه غير المذموم
وبيانه بالاستمداد مما كوناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المنفع فيه هو ان مقصدنا الكياس من ارباب البصائر سعادة
الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا داب الكرام والاكياس ذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس واكيسهم
فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم لما استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي لفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق و
الفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها
والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادا ان لغيرهما ولا يراد لذاتهما اذ النفس هي الجوهر النفيس
المطلوب سعادتها وانما تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء
والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها
بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن
الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعلم انتهاء الغاية ملتقتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع
وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة
عن سعادة الاخرة ويسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم فمن اخذ من
الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها
والدا فيها ومعينا عليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء عليهم السلام من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام اللهم
اجعل قوت ال محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيرة وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين واستعاذ
ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الجوهرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان
يعتقد الالهية في شيء من هذه الجمادة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس
عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عابدا
لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه الا منون فانه اخفى من دبيب النمل
وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع **بيان** تفصيل ذات المال وفوائده اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياق وغوائله سمومها ونعني بغوائله
وفوائده امكانه ان يحترز من شره ويستدر منه خيره + **اما الفوائد** فهي تنقسم الى دنيوية ودينية + اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان
معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها + واما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه
على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من
امهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضروريات المعيشة فان هذه الحاجات
اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة
على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه
الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها تطفئ غضب الرب تعالى وقد
ذكرنا فضائلها فيما تقدم + واما المروءة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى
صدقة بل الصدقة مما يسلم الى محتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق
بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع للمعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة
في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها + واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لنفع هجو الشعراء
وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى
به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يتولد من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة
والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة + واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه

ج ٥ ص ١٢٤ ١ اذ فقد كفى قبل النبوة عبادتها مهما الصفر ١٢
٢ انتعش العاثر نهض من عثرته مختار
٣ النقش تتخلج الشوك يعني اذا شيك ثوبه فلا يقدر على انتقاشها واخراجها بالنقاش ١٢
٤ فهو عابد صنم ان كان قلبه وكل من كان كذلك فهو مشرك ١٢
٥ غير الدرهم والدينار ١٢
٦ تنجز عاجلة كتنجيم ١٢

ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذى هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه
من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت
به اذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى غير حسوان **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى
انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات وسد الموارد والمرضى ونصب الجباب فى الطريق وغير ذلك من الاوقات
المرصدة للخيرات وهى من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة ببركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه
جملة فوائد المال فى الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل المسؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة
الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة فى القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية **واما الآفات**
فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاث **الاولى** انه يجر الى المعاصى فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة
ان لا يقدر مهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة
يحرك داعية المعاصى وارتكاب الفجور فان افتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع فى شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم
من فتنة الضراء **الثانية** انه يجر الى التنعم فى المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير
ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى ملكه فاحسن احواله ان يتنعم
بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجر البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه
بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض فى المرايا ة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه
فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلابد ان يناقضهم ويعصى الله فى طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهى
مباشرة المحظوظ فلا يسلم عن هذه امر لا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويبتنى عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب
والنميمة والغيبة وسائر المعاصى التى تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدى ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى
حفظه واصلاحه **الثالثة** وهى التى لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران لا محالة
قال عيسى عليه الصلاة والسلام فى المال ثلاث آفات ان يأخذ من غير حله قيل ان اخذه من حله فقال يضعه فى غير حقه فقيل ان
وضعه فى حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر فى جلاله وذلك يستدعى قلبا
فارغا وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرا فى خصومة الفلاح ومحاسبته وفى خصومة الشركاء ومنازعتهم فى الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان فى الخراج
وخصومة الاجراء فى التقصير فى العمارة وخصومة الفلاحين فى خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره
فى العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشى وهكذا سائر اصناف الاموال ابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال تفكره متردد افيما يصرف
اليه وفى كيفية حفظه وفى اخون ممن يعثر عليه وفى دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذى معه قوت يومه فى سلامة من جميع
ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال فى الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتحشم المضاهب فى
حفظ المال وكسبه فاذا تريا ق المال اخذ القوت منه وصرف الباقى الى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه
وكرمه انه على ذلك قدير

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما فى ايدى الناس + اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه فى كتاب الفقر ولكن ينبغى
ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة
من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على قدر ما يسد خلته مما يرد اليه يوما بيوم او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثرة او طول امله فانه عز القناعة
وتدنس لا محالة بالمطمع وذل بالحرص وجرة الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمى على الحرص والطمع
وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى واديا هما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من
تاب وعن ابى واقد الليثى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحى اليه اتيناه يعلمنا مما اوحى اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا
المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن ادم واد من ذهب لاحب ان يكون له ثان ولو كان له الثانى لاحب ان يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن ادم
الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم ولو ان
لابن ادم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم

ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن ادم ويشب معه اثنتان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة وغريزة مهلكة
الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد تقير ولا اخنى
الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وغنى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال
الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام
سأل ربه تعالى فقال اي رب عبادك اغنى قال قنعهم بما اعطيته قال فأيهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب قال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى صلى الله عليه وسلم عن
الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن
بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في ايدي الناس قال عوف بن مالك الا شجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية
او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا اولسنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا
قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا
قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل احدا ان يناوله اياه + **الآثار** قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه
من ييأس عما في ايدي الناس يستغن عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل **اشعار**
العيش ساعات تمر + وخطوب ايام تكر + اقنع بعيشك ترضه + واترك هواك تعيش حرا + فلرب حتف ساقه + ذهب يا قوت ودر +
وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خبروني اكم مالم تبتلوا به وخير مما ابتليتم به فاخرج
من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال شميط بن عجلان انما بطنك يا ابن ادم شبر
في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو
كانت الدنيا كلها لك ثم لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم
الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم
يغرم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل
وايما شيء اعون على دفع الحزن فقال استرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضاء بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس
غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص واحفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل
اشعار ارزق ببال فتى امسى على ثقة + ان الذي قسم الارزاق يرزقه + فالعرض منه مصون لا يدنسه + والوجه منه جديد ليس يخلقه + ان القناعة
من يحلل بساحتها + لم يلق في دهره شيئا يؤرقه + وقد قيل ايضا **اشعار** حتى متى انا في حل وترحال + وطول سعي واد بار واقبال + وناذح الدار لا انفك
مغتربا + عن الاحبة لا يدرون ما حالي + بمشرق الارض طورا ثم مغربها + لا يخطر اللوت من حرصي على بالي + ولو قنعت اتاني الرزق في دعة +
القنوع الغنى لا كثرة المال + وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يستغني من الظهر لحجي وعمرتي
وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو يأدي
على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته
وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وناهدا مرزوقا وفي ذلك قيل **قطعة** اراك يزيدك
الا ثراء حرصا + على الدنيا كانك لا تموت + فهل لك غاية ان حزت يوما + اليها قلت حسبي قد رضيت + وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت
ما تريدان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قوم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هن خير لك من اكلي ما واحدة فاعلمك
وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة
قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين كل درة
عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت لست قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك

نفث في روعي يعني
ص ٢ الروع
بالضم القلب والعقل
ص ٣ اجملوا في الطلب
اي اتركوا وداعوا الحرص
ص ٤ الهجم النوم
اذا هجم عليه والاسم الهجوع
ويقال ايضا اجمع امرك
اي عزمه ومنه اجمع الصيام
ص ٥ الخطب الشان
والامر صغر او عظم جمعه
خطوب قال
ص ٦ قوله مال في صيغة
تعجب وقد اسمى في صيغة
صفة فتى وانطلق اليه
كناية عن النزال بالرجل
وتجريده اليه كناية عن
ضمه اليه وارتفاعه عن
ص ٧ نزحت الدار
بعدت والوخد السير
في ارتفاع والقنوع بالضم
السؤال التذلل والرضا
بالقسم وقد
ص ٨ نسي كرضي كثر
ص ٩ القسم ككتف
من الاصابع الواحدة
بضمتين والقصر وتثنيتها
كما يخص بها الثنتان
مصباح

ولا تصدق بما لا يكون الا ان لحمى دمى وديشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درنكان كل واحدة عشرين مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال
لفرط طمع الادمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر سما لا يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل فى قلبك وقيد فى رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد
من رجلك وقال ابو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رانى تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال
نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدنى **قطعة** اذا ستد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى
ينفتح لك بابها * فان قوام البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوءات الامور اجتنابها * ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصى يجتنبك عقابها
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لى قول
كعب قال يطمع الرجل فى الشئ يطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس فى هذا وفى هذا حتى لا تحب ان يفوتها شئ ويكون لك الى من حاجة طلى من
اذا قضاها هلك خرم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له نفسك كخضوعك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه
لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان * وقال بعض الحكماء من عجيب
امر الانسان انه لو نودى بدوام البقاء فى ايام الدنيا لم يكن فى قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد
ابن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل قال من بيد اللطيف الخبير الذى خلق الارض وما بينها بالطين وما بيده الى ما اضر اسه فسبحان القدير الخبير

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به صفة القناعة * اعلم ان هذا الداء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك ثلاثة
امور * الاول وهو العمل الاقتصاد فى المعيشة والرفق فى الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغى ان يسد عن نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا
بد له منه فان من اكثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغى ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باى طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه
ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فيتيسر ذلك فى جهد ويمكن معه الاجمال فى الطلب والاقتصاد فى المعيشة وهو الاصل فى القناعة
ونعنى به الرفق فى الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق فى الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال
صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الرضى والغضب وروى ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط
حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك فى معيشتك وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدى
الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة وفى الخبر التدبير نصف العيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله
عز وجل احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة فى الانفاق من اهم الامور * الثانى
انه اذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فلا ينبغى ان يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذى قدر له لا بد وان
يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هى السبب لوصول الارزاق بل ينبغى ان يكون واثقا بوعد الله تعالى فقال عز وجل وما من دابة فى الارض
الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعد الفقر ويامره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل
فى السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه فى الطلب فمن التعب يضحك عليه فى احتمال التعب فتزداد مع الغفلة عن الله لتوهم تعب فى ثانى الحال وربما لا يكون
وفى مثله قيل **شعر** ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر * وقد دخل ابو خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما
لا يتأس من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود
وهو حزين فقال له لا تكثرن همك بما لم يقدر فانه ما قدر يكن وما ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له
ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير ارزاق العباد
وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال فى الطلب بل ينبغى ان يعلم ان رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغى ان يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم
ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اى لا يترك التقى فاقة الفرد ته بل يلقى الله فى قلوب
المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال للفضل الضبى قلت لاعرابى من اين معاشك قال يرد الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث
تدرى لم نعش وقال ابو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لى فلن اعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا منهما
هو لغيرى فذلك لم اله فيما مضى فلا ارجوه فيما بقى يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى اى هذين افنى عمرى فهذا دواء من جهة
المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان واغتراره بالفقر * الثالث ان يعرف ما فى القناعة من عز الاستغناء وما فى الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق

١ القراءة بنون الاولى وبالراء بعد الكاف فيهما صحيح بخطه وسوط ١٢ منه
٢ اى الذى فعله الفقر فالفقر هو الذى فعل الفقر ١٢ مصححه
٣ البيشة قرية بتهامة ١٢ مصححه
٤ فى بعض النسخ ومن ورد الحاج وفى بعضها ومن يرد الحاج ١٢ مصححه

عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه فى الحرص لا يخلو من تعب فى الطمع لا يخلو من ذل وليس فى القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الاخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس ولا تمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوات البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره واحسن الى من شئت تكن اميره + الرابع ان يكثر تأمله فى تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب والاخلاق ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويسمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الناس وعلى الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم فى البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم فى الوقاع فالخنزير على رتبة منه وان تزين فى الملبس والخيل ففى اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته الا الانبياء والاولياء + الخامس ان يفهم ما فى جمع المال من الخطر كما ذكرنا فى آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما فى خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر ابدا الى من دونه فى الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره فى الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ويصرف نظره فى الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم وقال ابو ذر اوصانى خليلى صلوات الله عليه ان انظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى اى فى الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل الله عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره فى الدنيا ايام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء + **بيان** فضيلة السخاء + اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغى ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغى ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء عليهم السلام وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس ورد الى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى اكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود ويحب معالى الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه واتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بنى العنبر فأمر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد فما بال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاءه فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن انس عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى

١ ن نقصان فى بعض النسخ لفظ نقصان ولعل المراد بالنقصان ما يضاف الى المال من الخطر المذكور

٢ ن السفسا ما لا خير فيه من كل شئ والمراد الخبيث ١٢ ق

عليه السلام استكثروا من شئ لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى احب الى الله من عالم بخيل وداء الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتى لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيى بها اهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غنى او فقير صدقة وددت ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامرى فانه سخى وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا واقمر عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهلهم فسخرلهم قيس تسع ركائب فحدث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الآثار** قال على كرم الله وجهه اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى لها انشد **قطعه** لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة + فليس ينفعها التبذير والسرف + وان تولت فاحرى ان تجود بها + فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف + وسال معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بصنيعه وحسن المنازعة والاقدام فى الكريهة واما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن + واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام فى المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل + ورفع رجل الى الحسن بن على رضى الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت فى رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال انى لاستحى من الله عز وجل ان ذل مقامه بين يدى حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب فقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين رضى الله عنهما من وصف بذل ماله الطلابه ثم يكن سخيا وانما السخى من يبتدئ بحقوق الله تعالى فى اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصرى ما السخاء فقال ان تجود بمالك فى الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال اعون من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله عز وجل يقول انى جواد كريم لا يجاورنى لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر فى النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان فى الجنة وقال حذيفة رضى الله عنه رب فاجر فى دينه اخرق فى معيشته يدخل الجنة بسماحة وروى ان الاحنف بن قيس رأى رجلا فى يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لى فقال اما انه ليسرك حتى يخرج من يدك وفى معناه قيل **شعر** انت للمال اذا امسكته + فاذا انفقته فالمال لك + وسمى واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاسمى كتب الحسن بن على الى الحسين بن على رضوان الله عليهم يعتب عليه فى اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال قال وددت ابى خمسين الف درهم فبعث بها صرة الى اخوانه وقال قد كنت اسأل الله تعالى لاخوانى الجنة فى صلاتى انا ابخل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود فى بذل الموجود ومنتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من اكثر ايادى عندى قيل فان لم يكن قال من اكثرت ايادى عنده وقال عبد العزيز بن ابى داود الرجل لا مكنه من نفسه حتى اضع معروفى عنده فيده عندى مثل يدى عنده وقال المهدى لشبيب بن شيبة كيف رأيت الناس فى دارى فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين **قطعه** ان الصنيعة لا تكون صنيعة + حتى يصاب بها طريق المصنع + فاذا اصطنعت صليعة فاعمد بها + لله او لذوى القرابة اودع + فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا + **حكايات الاسخياء** + عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عايشة رضى الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال فى غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمى فطورى فجاءت بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتنى لفعلت + وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عندى اليوم فأتوه حتى ملأوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فأمر عبد الله بنوع فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا فقال عبد الله لو كلفناه اموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء فى كل يوم + وقال مصعب بن الزبير لجح معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن على لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم

عليه فلما خرج معاوية قال الحسن ان علينا دينا ولابد لنا من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمر واعليه يختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيني وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال صرفوه بما عليه الى ابي محمد + وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد صبت فاردد في بسط يدك وان لم اكن قد اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد باذاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المأمون اياي بالحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف درهم وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر الحظية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف درهم فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع اليه الحسن وداءه لكراء الحمالين فقال له موالية والله ما عندنا درهم قال فلكني ارجوان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا التاجار صموام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من المقدم ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من التكبر بها لان نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا + وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد امير هم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال بحاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل والتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم يبيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تبلغه صلاته وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال الرجل يجي على ابن ابي طالب فلما وهبت لي نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل + وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن قد مني الى القاضي وادع علي بعشرة الاف درهم حتى اقرك بها ثم احبسني فما هلك كريم محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وقذفها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن على راس الماء فلما ابصر بالخشبة اخذها وقرأها فاذا مكتوب عليها **شعرا** يا جود معن ناج معنا بحاجتي + قبل الممات لنا وقبل سؤالك شفيع + فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمر له بعشرة بدر فأخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار + وقال ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا فنفقاتهم فنجا هوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوه ولقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا وقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتري لها من شياه الصدقة ثلثمائة شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فأمر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فأمر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار + وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو

ل ١ اجدبها القوم اصابهم الجدب ٢ ان عال عيالا كثيرا ٣ ان الرخص بالضم ضد الغلاء وقد رخص ككرم ٤ ان الخبار ككتاب من الابنية يكون من ورد وصوف او شعر ٥ انتخت الجمل فاستخ اي ابرکته فبرک ٦ مخاد الكرجانب البرذون ٧ الذي كاليمن اللبن الممزوج بالماء ٨ الكشة تنبيح الجلد من الشاة وفيها فعل بالفتح يفعل بالكسر ٩ ابرد دخل في آخر النهار ١٠ ان

و حده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشى وحدك فقلت اتيك بنفسى واعوذ بالله ان طالبجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكى ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم فى النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبى وكان السخى الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له فى النوم نعم فباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره فى النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركب فقال الرجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيرى بنجيبه فى النوم فقال خذه هذا نجيبه ثم قال هو ابى وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ابنى فادفع نجيبى الى فلان بن فلان وسماه وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعدته الدهر واضر به المرض فقال يا هذا الصناعلى الدهر فقال الرجل للغلام ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام فى حجر الاعرابى اربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى * واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابى معيط داره التى فى السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ايتهم فأعلمهم ان المال والدار لهم جميعا وقيل باع هارون الرشيد الى مالك بن انس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ اليه الف دينار فغضب هارون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتى فقال يا امير المؤمنين ان لى من غلتى كل يوم الف دينار فاستحييت ان اعطى مثله اقل من دخل يوم * وحكى انه لم تجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم الف دينار وحكى ان امراة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئا من عسل فأمر لها بزق من عسل فقبل لها انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا * وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندى فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى فى علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ * وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بنت خارجة بلغنى عنك خصال فحدثنى بها فقالت هى من غيرى احسن منها منى فقال عزمت عليك لاحدثنى بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلى بين يدى جليس لى قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت اليه قوما الا كانوا امن على منى عليهم ولا نهرت لى رجل وجهه قط ليسألنى شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه * ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر سليمان اليه تمثل بهذا البيت فقال **شعر** انى سمعت مع الصباح مناديا * يا من يعين على الفتى المعوان ثم قال ما حاجتك قال دينى قال وكم هو قال ثلاثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر منادیا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه برئ قال فانكسرت درجته بالعشى لكثرة من زاره وعاده * وعن ابى سحاق قال صليت الفجر فى مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لى فلما صليت وضع بين يدى حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندى قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى فى المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ ابو سعيد الحركوشى النيسابورى رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل حرث بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت له ولد لى مولود وليس معى شئ فقام معى ودخل على جماعة فلم يفتح له بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع وانى ذرت اليوم على جماعة فخلفتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لى شئ قال ثم قام واخرج دينارا وكسره نصفين وناولنى نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك بشئ قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لى به فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن فى الجواب ولكن احضر منزلى وقل لاولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا ما لكم وليس لرؤيا فيه حكم فقالوا هو يتنحى ميتا ونحن لا تنسى احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذى اقرضه وحمل النصف الاخر وقال اكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادرى اى هؤلاء اسخى وروى ان الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلنى فلما توفى بلغه خبر وفاته فحضر وقال امنونى بتذكرتها

فأتى بها منظر فيها فاذا على الشافعي سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا اغسل ايادة اى اراد به هذا وقال ابو سعيد الواعظ الحركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وذرياتهم فرايت فيهم سيماء الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا * وقال الشافعي رحمه الله لا ازال احب حماد بن ابي سليمان لشئ بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فتوقع على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وانشد الشافعي رحمه الله لنفسه **قطعه** يا لهف قلبي على مال اجود به على المقلين من اهل المروءات * ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ما ليس عندي لمن احدى المصيبات * وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شئ وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت لينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقفت اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول **قطعه** ارى نفسي تتوق الى امور * يقصر دون مبلغهن مالي * فنفسي لا تطاوعني بخيل * ومالي لا يبلغني فعالي * وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابو منذر على المأمون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المأمون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائتي الف اخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك قال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى * ودخل ابو تمام على ابراهيم ابن شكلة باربيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بقبول ما يصلح وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافئه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه يقول **قطعه** ان حرما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجي من الصفد * كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد * فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه **قطعه** اعجلتنا فاتاك عاجل برنا * فلو امهلتنا لم تقلل * فخذ القليل وكن كانك لم تقل * ونكون نحن كاننا لم نفعل * وروى انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروءتك * وقالت سعدى بنت عون دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت له مالك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت ما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان قال اربعمائة الف * وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذا الرحم ما سألني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمان ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن * وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم ار اتى ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني * واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال علي اربعمائة درهم دين فوزن اربعمائة درهم واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقده حاله حتى احتاج الى مقاتحتي به فوحتم الله من هذه صفاتهم وغفرلهم اجمعين * **بيان** ذم البخل * قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان اردّ الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا التفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم

١ الزرّ بالكسر الذي يوضع في القميص ق

٢ الضفر بالتحريك العطاء ١٢ ق والقل بالضم والقلة بالكسر ضد الكثرة ١٢ ق والجزر ويكسر ١٢ ق

٣ الزلق قرح اللقوة وهي الضفدع الذي بين فقرة التحر والعانق وهما رقوتان من الجانبين وورمها فحولة تفتح الفاء وضمها الاسم ١٢ منه وواضح

٤ سبغت لغة انسعت يا ذي يزني الضجر النحا تسعت

٥ قلص الشئ ارتفع وبابه جلس وكذا قلص تقليصا وتقلص كلها بمعنى انضم وانزوى ١٢ مختار

فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع ٠ وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته بأكية فقالت واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست ببخال وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله عز وجل خلق الجود فجعل في سودة رجل وجعل سته راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل سته راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قيل لبني لحيان من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا لسيدنا جد ابن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزينه بالبخل فقال عليه السلام واي داء ادوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي المجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشح والايمان لا يجتمعان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت اغفر لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو اعظم من ان اصفه لك فقال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون فقال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال افتذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فتذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل فيّ ثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الآثار قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري ثمرك وحجابك وكراسيك وحليك وحلالك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز ان البخيل لو كان البخل فيصيرا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته انه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمر الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى يأخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما بعد غورا في نار جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال الخبز

ل ١ فتش المطبع محمد ٢ ق ٣ ص ٥٣ ب ٣٠ ق ٣ ص ٥٣ ب ٣٠ ق ٣ ص ٥٣ ب ٣٠

من الفتى سخيا وعند الغضب جوادا وفى القول متأنيا وفى الرفعة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا وقام الرومى فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك فى قوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا قال البخل امساك الله تعالى ايديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان ينادیان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعى سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان فى عينى اعظم الدنيا فى عينه وكانما يرى بالسائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة وقال على كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض قال الجاحظ ما بقى من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب قال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبى صلى الله عليه وسلم ابنة انا لبخيل ومدحت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسى القلب لقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ يأبى القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا ويأبى للبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقى يحيى بن ذكريا عليهما السلام ابليس فى صورته فقال له يا ابليس خبرنى بأحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الى المؤمن البخيل وابغض الناس الى الفاسق السخى قال له لم قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى اخوف ان يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك ✦ **حكايات البخلاء** ✦ قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طبيخا هجة ببيض فأكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ طبيخا هجة ببيض الموت والله ولا اتقيأ طبيخا هجة ببيض ✦ وقيل اقبل اعرابى يطلب جلا وبين يديه تينان فغطى التينين بكسائه فجلس الاعرابى فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم نقرأ والزيتون وطور سينين فقال اين التينان قال هو تحت كسائك ✦ ودعا بعضهم لخاله ولم يطعمه شيئا فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتى اى صوت تشتهى ان اسمعك قال صوت المقلى ✦ ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب لكان يألفه عنه فقال له قائل صف لى مائدته فقال هى فترى فترى وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما يأكل معه قال بلى الذباب فقال سوأة له انت خاص به وثوبك محرق قال انى والله ما اقدر على برة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاء جبريل وميكائيل عليهما السلام ومعهما يعقوب النبى عليه السلام يضمنون منه برة ويسألونه اعرنا اياها نخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما فعل ✦ ويقال كان مروان بن ابى حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له رأسا فاكله فقيل له ذاك لانك لا تأكل الا الرؤس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الراس اعرف سعرا من خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبننى فيه وليس لحم يطبخ للغلام فيقدر ان يأكل منه واما الراس ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا عينيه لونا واذنيه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لى فيه موانق ✦ وخرج يوما يريد الخليفة المهدى فقالت له امراة من اهله مالى عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطى ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحما بدراهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال كره الاسراف ✦ وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرة وملحا فابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب لا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب بحيك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعونى على كسرة وملح فلا والله ما زادنى عليهما ✦ **بيان الايثار وفضله** ✦ اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فادفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهى الى ان يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهى الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهى الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن لو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة فى السخاء وقد اثنى الله على الصحابة رضى الله عنهم به فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبى صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عايشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا

---

١ الفتاء وجد ٣٠٠ ت و فى بعض النسخ غير الناس من الفتى عند الرضا سخيا وعند الغضب جوادا الخ ١٢

٢ الطباخ بفتح الباء طعام من لحم وبيض قال الكرخى ولا يكون طبيخا الا الطبيخ ما لم يرق وفيه لحم او شحم واما القلية فيابسة ١٢ مغربى

٣ نوا وليوه قيا وليا بالضم فتله وثناه اى رد بعضه على بعض فالتوى وتلوى ١٢ ت

٤ القرم بالكسر ما بين الاربع للانسان وطرف البعير ١٢ منه

٥ الغلصمة اللحم الذى بين الرأس والعنق ١٢

ولو شئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام واوهمها انه يأطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله التستري قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى فقال يا رب بما اذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا يأتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذا اتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم أثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ان اشبع وهو جائع قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر لأمر على السخاء ان هذا الغلام لا سخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبها له منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان اخي كان جوعا فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى الآخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى جبريل و ميكائيل عليهما السلام اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة واحبها فاوحى الله عز وجل اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده ضيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب لوى ولم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسر الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام محاله لم يأكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شئ فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شئ من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته وسمحت به وجهه فاذا انا به وبه رمق فقلت اسقيك فأشار الى ان نعم فاذا رجل يقول اه فاشار ابن عمي الي ان انطلق به اليه قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال اه فأشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم اجمعين وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه واعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فقعدنا الى موضع حال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعدنا ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي العظام ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقي عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه المتكل فيما يرضيه عز وجل

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما - لعلك تقول قد حرن بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبما ذا يصير الانسان بخيلا وهل من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وبما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويحب من نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فلا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ما لم يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فخفر من يظن انه يأكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية

ل ... فذام يقديه قال ... جعلت فداك ... ع يقال بخ بخ ... مسكتين وبخ بخ ... فقال ... باسكان ... وفي بعض النسخ ... والصحيح ... مناخاة الصبي ... ٥ ... بريموك موضع ... بناحية الشام ومنه ... يوم اليرموك ... صحاح

فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق بحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن المصرف الى ما خلق الصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ولم يكن قلبه طيبا به غير منازع لنفسه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس سخيا بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد للمال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع كالذي يمنع اداء الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة او يمنع دينا وليكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما في المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه للمضايقة من صديق او اخ او قريب او زوجة او ولد او اجنبي وبمن منه المضايقة من صبي او امرأة او شيخ او شاب او عالم او جاهل او موسر او فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة اهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل وتبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب يحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد يقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس يبخل عند هو لم الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جوار محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج صلاحا ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيب نفس لا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى واما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذيلة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع بناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي عوض معجل له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على

ل
ذيوه على غيره لغير
والكثير ١٢ واصح

حيان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى حيان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا الطعام والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان لعبد الله سبحانه سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشرا امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فبأي شئ تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشئ ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات اتحسبون ان السخاء في الدراهم والدينار فقط قيل نعم قالت السخاء عندي في المنهج (جلد ٣) وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل وتسخو قلبك ببذل محبتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لكن تغلب على قلبك حسن جمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك * **بيان** علاج البخل * اعلم ان البخل سببه حب المال وحب المال سببان * احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم وبما كان لا يبخل بما زاد القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب ان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد اقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقائهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجئ الرزق قوي البخل لامحالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل الكان وهو شيخ بلا ولد ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او يأخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في اكبر السن وهو مرض من لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك كان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب عنده كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل لا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده ويريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل ساتر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال انه لما ذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقي يدخره لنفسه في الاخرة بان يحصل له ثواب بانفاقه فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الشهوة فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان بعده القى الفقر ويخوفه ويصده عنه * حكي ان ابا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم امن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الرياء لكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلي الصبي عند الفطام عن الثدي بالعب بالعصا فيرد وغيرها لا ليتخلى واللعب لكن ليتنقل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب بتكسير سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر دعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل غلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع من علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض

ل
على مفعولي تكرمه محذوف
على البخل والجبن والبخيل هو
الولد يحمل الوالدين على
بعض الصفات ويدعوهما اليها
فيسخران ويجبنان ويبخلان
لاجله وانفق ونحوه

البخل غلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ويكبر ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان الى ان تغلب احداهما الاخرى فتأكلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على البعض حتى يقمعها ويجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا تبقى الا واحدة ثم يقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اما اذا الفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي مساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة فتزمنه كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزوايا هم وكان اذا توسم في مريد فرحا بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب فلذلك اذا سرق كل واحد منه المت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب لكل واحد ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى ما دام ماثلا الى جانب القلة ومقتربا من حد الضرورة كان مخفا ويخلى في جملة المخفين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا اخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد **الرابعة** ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له فاذا فعل ذلك لم يضره وجود المال وكذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما تحفظه من قميص وازار وفراش وانية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان تقصد به لمن ينتفع به عبد من عباد الله ولا تمنعه منه حذرا منه فمن فعل ذلك هو الذي اخذ من جيفة المال جوهرها وتريا قها والقى سفها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى البازي الحاذق (الحاذق خ ل) يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج تريا قها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستليا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبه الدنيا

(١) في بعض النسخ ونقل غيره الى زاويته واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس

بالحية فقيل شعر هى دنيا كحية بنفث السم + وان كانت المجسة كانت + وكما يستحيل ان يتشبه العامى بالبصير في تخطى قلل الجبال واطراف البحار والطرق
المشوكة فمحال ان يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال + **بيان** ذم الغنى ومدح الفقر + اعلم ان الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر
على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة
من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فضل ذكره الحارث المحاسبى رضى الله عنه فى بعض كتبه فى الرد على بعض العلماء من الاغنياء
حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبهه نفسه بهم والمحاسبى رحمه الله خير الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين
عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات فكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له فى الرد على علماء السوء يلقنا ان عيسى ابن مريم
عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعلمون فيا سوءا ما تحكمون تتوبون بالقول
والاماني وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمغل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة
كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوة ولا تنقطع منها رغبة
بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكى من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم تأخركم فصلاح الدنيا احب اليكم من
صلاح الآخرة فاى الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدبرين وتقيمون فى محل المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتزودوا
لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا اينبئ عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم
واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتنكسكم على وجوهكم ثم تنكبكم
على مناخركم ثم تأخذ خطايا كم بنواصيكم ثم يدفنكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم
بسوء اعمالكم + ثم قال الحارث رحمه الله اخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على
الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله + وبعد فانى رأيت الهمك الموتر للدنيا
سرمده ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصى والى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجاء فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه
خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيالها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فاتقوا الله اخوانى ولا يغرنكم الشيطان واوليائه
من الانسيين بالحجة الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يعتذرون لانفسهم المعاذير بالحجج ويزعمون انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانت لهم اموال فيتزينون المتفرد دون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال وقد رماهم الشيطان بما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن
ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اختيار الصحابة اراد والمال للتكاثر والسرف والزينة فقد اغتبت
السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد اذريت محمدا والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة
والزهد فى هذا الخير الذى رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت انت متى زعمت ان جمع المال الحلال
اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك
حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا فمتى زعمت ان جمع
المال افضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل فى الجمع
فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما فى المال من الخير والفضل فلذلك رغبت فى الاستكثار كأنك اعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك
ايتها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف
وقد رد عبد الرحمن بن عوف فى القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغنى انه لما توفى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا
فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فتر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضى
يستغيث به واخبره الخبر واقبل ابو ذر يقتص الاثر فى طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان فنظر ابو ذر فقال
له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم ان لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال
يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم
ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبى انت وامى قال ما يسرنى ان لى مثل احد ذهبا انفقه فى سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين قلت

ل الجس المس باليد لتعرف حده
ج ١٢ ق ل ٢ فور كالتى وقعت ١٢ مختار
ع الدبح محركة الدبة بالضم والفتح السير من اول الليل وقد ادبج كمنع فان سار من آخره فادلج بالتشديد ١٢ ق ع ٣ تولهم مهلا
والمرتع لمبنى امس اختار بحركة التاء وكسرها والنقيض اى سوى الدنيا ٣ والدنا نقيض السامى والعرض
بالتحريك ما يعرض للانسان من حطام الدنيا وما كان مال قل او كثر والغنيمة والطمع واسم لما اكتسبوا من اعراض الدنيا ٣ ق ع ٣ تعيب الشئ على حزة ١٢
ع ٣ كلمة ذم ٣ ق ع ٣ بين فى موضعه ١٢ ع ٣ للابهام قدس سره ٣ ق ع ٣ دنيا بائتين فلا
دينا باتقين ولا ماثوبة ١٢ ع ٣ ظلع الامر كمنع اشتد وشق ٣ ق ع ٣ العقاب فى ذلك كالطابق ١٢ ق ع ٣ اى يزخرفون ١٢ ق
ع ٣ كلمة تقولها العرب عند الخبر سماعه سوال فاستثبت كما ١٢ ق ع ٣ ان ينظر فى امره ويتثبت
كما فى ق ع ٣ بالكسر ١٢ ق ع ٣ بالمنية وهى الموت ١٢ ق ع ٣ الامر العظيم ١٢ ق ع ٣ يقال

او قطائين يا رسول الله قال بل قيراطين ثم قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما
ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج * وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة
ضجة واحدة فقالت عايشه رضى الله عنها ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن
فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء
يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها فى سبيل الله وان ارفاءها الحمر لعلى ادخلها
معهم سعيا * وبلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتى وما كدت ان تدخلها الا
حبوا * ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن فى فضله وتقواه وصنائعه للمعروف وبذله الاموال فى سبيل الله مع صحبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة ايضا يوقف فى عرصات القيامة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع للمعروف وانفق منه
قصدا واعطى فى سبيل الله سخا منع من السعى الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو فى اثارهم حبوا فما ظنك بامثالنا الغرقى فى فتن الدنيا
وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ فى تخاليط الشبهات والسمعة وتتكالب على اوساخ الناس وتتقلب فى الشهوات والزينة والمباهاة و
تتقلب فى فتن الدنيا ثم ترجو بعبد الرحمن وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس
ومن فتياه لا وليائه وسأصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابه ولعمرى لقد كان لبعض الصحابة اموال اراد وها
للتعفف والبذل فى سبيل الله فكسبوا حلالا فاكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جاد والله باكثرها وجاد
بعضهم بجميعها وفى الشدة اثروا الله على انفسهم كنيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة
محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله فى ارزاقهم واثقين وبمقاديره مسرورين وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين
وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر دعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزهدوا الدنيا وصبروا على مكارهها
وتجرعوا مرارتها وزهدوا فى نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته
من الله تعالى واذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شئ اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم
شئ اصبح فرحا مسرورا فقيل لسان الناس اذا لم يكن عندهم شئ حزنوا واذا كان عندهم شئ فرحوا وانت لست كذلك فقال انى اذا اصبحت وليس عندى
شئ فرحت اذ كانت لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عندى شئ اغتممت اذ لم يكن لى بال محمد اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا
سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا وما يراد بها انا نخاف ان نرتع على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا
وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك
احوالك ايها المفتون ضدا لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذى النعماء وتقنط عند الضراء
وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تأنف من فخرهم وانت تدخر المال وتجمعه خوفا
من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجئ يوم القيامة قوم يطلبون
حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانتم فى غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم
وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة فى الدنيا وقد بلغنا انه من طلب الدنيا للتكاثر والتفاخر لقى الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث
بما حل بك من غضب ربك حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث فى الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله فانت تكره لقاء الله والله لقائك
اكره وانت فى غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استقل نهرا فانه اقرب من النار مسيرة
سنة وانت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من بيتك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وتراح
لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم
قال انك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك فى الدنيا اذا اقبلت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى
وعساك تعنى بأمور دنياك اضعاف ما تعنى بأمور اخرتك وعساك ترى مصيبتك فى معاصيك اهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك نعم وخوفك من
ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والزينة فى الدنيا وعساك ترضى المخلوقين

نسخة البصير وفى نسخة صاحبها ابن الجوزى مشى على بطنه نحو كذا كذا وجها الصحى تحبوا كذا وجها على الاستدارة تحبوا كذا وجها مشى على الاستدارة تحبوا كذا وجها

الوزن الفرق بفتحتين الدورق بضم الدال وسكون الواو وفتح الراء وبالقاف ليس فيها نا وبالجيم والراء وبالقاف ايضا

الخبث بالكسر والتحريك وكلام الفساق

بفتح الشين وكسر الدال

بالتحريك

مساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك فى القيامة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفى من المخلوقين ويك
ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن
جهلك فكيف تنطوى عندك على الباب هذه المثالب فيك أتيت لك متلوث بالاقذار تحتج بمال الابرار فيهات فيهات ما ابعدك عن المسلك الاخيار
والله لقد بلغنى انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة اشد
استعظاما منكم لكبائر المعاصى فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل
ليت همومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك فى العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغنى عن
بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا وغمتهم ما ذوى عنهم منها فان لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولا معهم فى الاخرة
فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة فى العلو عند الله وفريق امثالكم فى السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فانك
ان زعمت انك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل فى سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى دهرهم
او تحسب انك محتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغنى ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان تقع فى باب من الحرام
افتطمع من نفسك فى مثل هذا الاحتياط لا وربك لكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان
ليوقعك بسبب البر فى اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترأ على الشبهات وشك
ان يقع فى الحرام ايها المغرور أما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها فى سبيل الله
وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بألف دينار من شبهة
لا تدرى ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك ان
كنت كما زعمت بالغا فى الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا المسألة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرنى ان اكتسب كل يوم الف دينار
من حلال وانفقها فى طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لانى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول عبدى
من اين اكتسبت وفى اى شئ انفقت فهؤلاء المتقون كانوا فى جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم
خير المال بشرته وانت نفاية الامة والحلال فى دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال
فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة
ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شئ من الحق فى امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك
الامارة بالسوء ويحك انى لك ناصح ادلك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من نوقش فى الحساب عذب قال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل
قد جمع مالا من حلال وانفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه فى حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى
برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه فى حلال فيقال قف لعلك قصرت فى طلب هذا بشئ مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت فى
شئ من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت فى حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت على فيقال لعلك اختلت فى هذا المال
فى شئ من مركب وثوب بك هيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه فى شئ فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت فى حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت على ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتنى ان اعطيه قال
فيجئ اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض
ولم يختل فى شئ فيقال قف الان هات شكر كل نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المسألة
التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها واتى الفرائض بحدودها كحسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا
الغرقى فى فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا
بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك
للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شئ من سرائرك وعلانيتك
ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الاموال ذا وقفوا للسؤال وتبقى مع الرعيل الاول فى

ل الحجة بالكسر البغية وقد
ن نفاية الشئ بالفتح ثم
الدون وضمها رديئه
وبقيته او ان نفاية
الرجل الجبان او الكثير
منهم والقطعة من الخيل
القليلة او الرعيل او
مقدمتها او قدر الطليعة
او الخمسة او العشرة او الثلاثون

زمرة المصطفى لاجلس عليك للمسألة والحساب فيما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل ضعاليك المهاجرين
قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول الله
قبلكم طلبتي نتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول
مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين عليهم السلام او كونوا وجلين من التخلف ولا تقطع عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما وجل المتقون لقد بلغنا ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم
بكى وبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا ذات يوم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما معه احد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما اراك بين يدي احد فمن تخاطب فقال
هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فاخاف ان تكون
هذه قد حقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجاروا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك
انت في انواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى لانقطاع انك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم محمد المصطفى لتنظرن الى هوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثرة
لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت باحوال المتخلفين لتقطعن عن اصحاب اليمين وعن
رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين فتدبر ويحك ما سمعت وبعه
فان زعمت انك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك موثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر
والتفاخر راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت
نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل
في سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر اذا لا مرو انعم النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار
اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسألة وامن من روعات القيامة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لوان
جبلا في جهنم ناتئ يعطيها والاخر يذكر الله لكان الذاكر افضل وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركها ابر به وبلغنا ان بعض خيار
التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتنا ولها فأيهما افضل
قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها وتلك في العاجل ان تركت
الاشتغال بالمال ان ذلك ادوح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال انت بترك المال افضل
ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل وبعد
فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتأسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى بما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا
يهمك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فنم مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان
يكتسب ما يغنيه يمشي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
الا يا اخي فمتى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة
والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال يحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت
مفتونا بحب المال والدنيا فكن مقرا ان الفضل والخير في الرضى بالبلغة ومجانبة الفضول نعم فكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك
وبلا من الحساب فذلك انجى لك واوب الى الفضل من طلب الحج بجمع المال * اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع
ذلك من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال في
دهرنا فأعاذنا الله واياكم من ذلك * وبعد فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم
رحمنا ورب السماء بأدواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الموت ودنيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت
لكم ان قبلتم والقابلون لمثل هذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته امين * هذا آخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى وكلام يزيد عليه

ل
المصنف رحمه الله تعالى
الفقير الى رحمة ربه
طالبه مطالبه بطلبه
بمنه وكرمه الطالب
محمد بن الامام المطلب
عفى عنهم ولوالديهم
ولجميع المسلمين
آمين

ن
قوله ولوالديهم الخ
ان ذرية المحقق
كالزمن عن

ويشهد لذلك جميع الاخبار التى اوردناها فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روى عن ابى امامة الباهلى ان ثعلبة بن حاطب
قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال يا ثعلبة
اما لك فى اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبى الله تعالى اما والذى نفسى بيده لو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيا لئن
دعوت الله ان يرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه ولافعلن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما
تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى عنها حتى
ترك الجماعة الا الجمعة وهى تفوته كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة
قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين
وقال مر بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم ترجعوا الى فانطلقا نحو السليمى فسمع بهما فقام الى خيار
اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رآياها قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد ان نأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسى بها طيبة
وانما هى لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ارونى كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية انطلقا حتى
ارى رأيى فانطلقا حتى اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمى فاخبراه بالذى صنع ثعلبة وبالذى
صنع السليمى فانزل الله تعالى فى ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم
معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة
فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان
يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعنى
فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء بها
الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فابى ان يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد خلافة عمر رضى الله عنه فهذا اطغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل
بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه انه قال كانت لى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابى انت
وامى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت ببابها فنزل فاطمة فقرع الباب فقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معى قالت
ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ما على الاعباءة فقال اصنعى بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا
جسدك قد واريته فكيف براسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه مخلقة فقال شدى بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت
والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى انى لست اقدر على طعام آكله فقد اجهدنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا بنتاه
فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولو سألت ربى لاطعمنى ولكنى آثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها
ابشرى فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد فقال آسية سيدة نساء عالمها
ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك اتكنى فى بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى يا بن
عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الاخرة فانظر الان الى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت
الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم واثارهم لم يشك فى ان فقد المال افضل من وجوده ولن صرف الى
الخيرات اذا قل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع التوقى ولا توقى
مع شغل المال * وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب بعض بنى اسرائيل عيسى ابن مريم عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر
فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال
الرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادرى فقال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها شفان فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشوى منه فأكل

ع ويح وادٍ فى كل الامم
وويل لمن لم يسلم ابدا

ع الملاوة فعال بالضم
وبالهمز المخففة لوامع

ع القصب
محركة كان يستعمل
من جوهر والزبرجد والذهب
المرصع باليواقيت والدر
الرطب ق

ع الخشف شدة ولد الظبى
اول ما يولد او اول ما يشب
او التى تفرز من امها
وقد شب وقوى الخ

هو وذلك الرجل ثم قال للحشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا ادري ثم انتهيا الى
وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال لسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف
فقال لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام بجمع ترابا فكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا
فقسمه ثلاثة اثلاثا ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال انا الذي اخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه
عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا ان يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى
يشتري لنا طعاما فانا كلنا قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء انا اسلم هؤلاء هذا المال لكني اصنع في هذا الطعام سما فاقتلهما واخذ المال
وحدي فقال ففعل وقال ذانك الرجلان لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه
واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا
فاحذروها وحكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا
تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ودعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قنع كل منهم في معاشه من نبات الارض فاستدل ذو القرنين الى ملكهم فقال اجب الملك ذا القرنين
فقال ما لي اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له ارسلت اليك لتأتيني فابيت فها انا قد
جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على حال لم ار احدا من الامم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا
شيء اقلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يعط منهما شيئا الا نافت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه
فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها وصليتم عندها فقالوا اردنا اذا نظرنا اليها وامتلأنا الدنيا منعتنا قبورنا
من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها فالوا كرهنا ان
نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما
كائنا ما كان ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك
من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالجمر الملقى وقد
احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ادري ومن هو قال هذا
ملك ملكه الله بعده فكان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار
كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال هذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين
ما انت صانع فقال لذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا
ان نكون جميعا قال فذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا
ولا احد يعادني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك
على افات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ويتلوه كتاب ذم الجاه والرياء

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات
وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المتفرد بالملكوت والملك
فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلاة والسلام على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة
السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اوعر
غوائل النفس وبواطن مكائدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا النفس وجاهدوها

وقطعوها عن الشهوات وصانوها عن المشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات فعجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا فى التفريط والاطراء ونظروا اليه بعين التعظيم والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه فى المحافل غاية الاكرام وسامحوه فى البيع والمعاملات وقدموه فى المجالس واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى اغراضه موقرين فاصابت النفس فى ذلك لذة هى اعظم اللذات وشهوة هى اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصى والمفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها فى الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حبه لله ولعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوات الخفية التى تعمى عن درکها الا العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص فى طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه فى جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذى هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول فى سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه فى ترتيب الكتاب على شطرين + الشطر الاول فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب فى كونه محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمى وليس بكمال حقيقى وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب فى حب المدح والثناء وكراهية الذم وبيان العلاج فى حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس فى المدح والذم فهى اثنى عشر فصلا منها تنشأ معانى الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه + **بيان** ذم الشهرة وانتشار الصيت + اعلم اصلحك الله ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن بحمد الله الحديث تاويلا لا بأس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا رأوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع فى دينه والفاسق فى دنياه وقال على كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لنذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب السختيانى والله ما صدق الله عبد قط الا ساءه ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا اكثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابى العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذنابة طمع وفراش نار وقال سليمان بن حنظلة بينا نحن حول ابى بن كعب نمشى خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعونى فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابى ما اتبعنى منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن ورؤى ان رجلا صحب ابن محيريز فى سفر فلما فارقه قال اوصنى فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشى ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسأل فافعل وخرج ايوب فى سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا انى اعلم ان الله يعلم من قلبى انى لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره وقال بعضهم كنت مع ابى قلابة اذ دخل عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذا لابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصنى فقال اخمد ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكى ويقول بلغ اسمى مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وانتفخ وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس + **بيان** فضيلة الخمول + قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم انى اسألك الجنة لاعطاه

ف ظاهرا

ف فقالا مدوح الرفوفه ويحتمل ان يكون بالقاف والظاء للجمع من التقريظ وهى مع الانسان وهى بحق او باطل ١٢

ف انفسهم

ف الخمص تصوت النعال على الارض تبا لوابع الطرب بالكسر الثوب الخلق ١٢ مختار الصحاح

ف فان للابوه لو يؤبه اى اليه ابى به ١٢ مختار الصحاح

الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له للذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا
النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتلجلج في صدره وتتم نوده يوم القيامة على الناس وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يسأله دينارا لم يعطه
اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لاعطاه اياها ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لهوانه
عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان حرم رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان
حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لا دنى المسجد النبي
صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاء رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين او جزيفهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا مطرت علينا الساعة
فلم يرد يديه حتى تغشت السماء بالغمام وامطرت حتى صلح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فاقلع
عنهم فسكن وتبع الرجل صلعبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان
الله انت اتيت وتسألني ان اجيبك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسألت الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا
ينابيع العلم مصابيح الهدى جلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ان اغبط اوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا
في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم تقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض
بلغني ان الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ادنع خلقك
واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وجياع
وقال ابراهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة بت ليلتي في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البلغم فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد
وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى
فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل
فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها
من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغرقى الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى
فالاولى به ان لا يعرف احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

بيان ذم حب الجاه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار
الآخرة للمخالي عن الارادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه حب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكثر زينة من زينتها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة
غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل الله
العفو والعافية بمنه وكرمه

بيان معنى الجاه وحقيقته اعلم ان الجاه والمال هما كنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه
ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد
وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في
اغراضه وما آربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات والتصاوير القلوب
مصورة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له تسخرا بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك
الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الموصوف كاملا في نفسه بل يكفي ان يكون كاملا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كما لا يذعن قلبه للموصوف به
وينقاد انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال

يطلب ملك الارقاء العبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك تصاريفهم ويملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا و العبد متأب يطلبه ولو خلي ودرايه لا تسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي ان تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فهما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس الى اعتقاد القلوب انهم من نعوت الكمال فيه فيقدسما يعتقدون من كماله تذعن لبه قلوبهم ويقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب بقدر قدرته على القلوب يكون وجه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته ولثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرا له مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالقيام والتسليم والتصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب وولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شئ مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محلها في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى اعلم + **بيان** سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة + +

اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في عينها اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي الحصى بمثابة واحدة ولكنها محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب ذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استخدامها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب اليه من المال وملك القلوب ترجح على ملك المال من ثلاثة اوجه + **الاول** ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له الجاه في القلوب لو قصد اكتساب مال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب مبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب + **الثاني** هو ان المال معرض للتوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن حقيقية لا يقدر عليها السراق ولا ننتاها لهما ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتضريب وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله + **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمي ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب دعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسرح من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مورد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالك له ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مورد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجود الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحب المال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب في الطباع امر جميع وراء هذا وهو حب جمع الاموال فكنز الكنوز واد خار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا يبغي اليهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطأها قط ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لان الدنيا ولا في الاخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب ولحب سببان احدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادق فهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الفواصون + فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن موجع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر بباله هذا هاج الخوف من قلبه فلا يدفع

الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب طائفة من ماله استغنى بالاخر هذا خوف لا يوقف على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الا ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اوطانك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف * واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى لكان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن متفردة بكمال معنى الشمسية والمتفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه وجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبوعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومأ اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لغير لوراء الكمال لكل موجود فهو محب لذاته ولكماله ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان لم يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فأن تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشئ بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك ترده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا ايضا هي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز متلذذ بكمال العلم ان علم واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح اما الاجساد ففي الدراهم والدنانير والامتعة فيحب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة وكمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستخدام وان لم يملك قلوبهم فانها بما لم تعتقد كمالا حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة * القسم الثاني نفوس الادميين وقلوبهم وهي

ن ٢ ق ٢ جامع الشهوات صد دنيا به قال في تذكرة الجاه وهي اللذة التي تحصل للمال من جهة انه وقاية من المحتاج اليه ١٢ مختار

ن ٢ ق ٢ التحكم في الحيوان بالركوب ونحوه ازاد الشهوة في الطعام كما تقدم وان لا يشبع من الاكل وهو مشاهد ١٢ منه

ن ٢ ق ٢ في

انفسها على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته واراداته لما فيه من كمال الاستيلاء ولتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب لا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت له القلوب كان له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا المحبوب لقلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان الحديث فاذا مطلوب القلوب الكمال الكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسر كل انسان ولذته بقدر ما يدرك من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو ما وراء كونه محبوبا لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل بما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها ان شاء الله تعالى

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له * قد عرفت ان لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى * والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان للمعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم انواع الكشف على ما هي عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى * والثالث من حيث بقاء العلم ابدا لآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير فلذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى * والمعلومات قسمان متغيرات وازليات **اما المتغيرات** فمثالها العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقد اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقده كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل بمساحة ارض وتعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب **والقسم الثاني** هو المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا اي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف عالم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس معه اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا في معرفة الله تعالى واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرها ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفتها في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام * واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قررناه

ل حال القوس واستحالت بمعنى اي انقلبت عن حالها ما هي مختار

ج لجي منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه الموج من فوقه موج اي اصناف مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها ا بيضاوي

فى كتاب الصبر والشكر وفى كتاب التوحيد والتوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصل الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا تتم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهى وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كما لا فقد جهل فالخلق كلهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبيها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع اثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه وبمنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلاثة ان صدنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كما كمال العلم وكمال الحرية واعنى به عدم العبودية لشهوات وارادة الاسباب الدنيوية وكمال القدرة فللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استخدام القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كما لا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثل الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظنى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وانه اشار ابو الطيب بقوله **شعر** ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وفقته للخير وهديته بلطفك * **بيان** ما يحمد من حب الجاه وما يذم * مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه غرض من اغراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة فكل ما خلق فى الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يجب الطعام او المال الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو من الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه واستاذ يرشده وسلطان يحميه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به موافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل فى قلب سلطان ما يحميه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق فى هذا يفضى الى ان لا يكون المال والجاه باعيانهما محبوبين له بل يزل ذلك ما نزل لتحب الانسان ان يكون له فى داره بئر ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته ويود ان لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بئر الماء فهذا على التحقيق ليس يحب البئر الماء فكل ما يراد للتوصل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببئر الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يجب زوجته كما انه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدنو منه وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستهم حبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما الاجل التوسل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى

ل ١ الثروة الشدة ومنه ثمرات القلوب لشدائده تشبيها لها بالمال الذى يتقوى به على المقاصد ١٢
ل ٢ ز فلانا من موضعه ازعجه والمستفز الخفيف ز من داره وازعجه ١٢
ل ٣ استهوته الشياطين ذهبت بعقله ويهواه او استهامته وحيرته او زينت له هواه ١٢ ق
ل ٤ فجر طغى يطغى ويطغو الانسان وجره شدته فواقع ١٢
ل ٥ ذو بشتاب رفتن ويورد شتن باد كاه وراه كى ١٢ مراح
ل ٦ يعنى اى من محروس فاذنى فحصل الله بما من محروس فاذنى فحصل الله بما من فقر فقد فقد فقد

الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت طلب المنزلة والجاه في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيفما كان او مباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فما قول يطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان منها مباحان وجه منها محظور + اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس اما بالقول او بالمعاملة + واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه الرب تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه + والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقى اليه انه ودع فان قوله اني ودع تلبيس وعدم ايراده بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات ان يحسن الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال بالحرام من غير فرق كما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال + **بيان الاسباب** في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه وبغضها للذم ونفرتها منه + اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب + **السبب الاول** وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا نتيقن ان الكمال محبوب لكل محبوب فادراكه لذيذ فهما شعرت النفس بجمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا اشعر به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه حديد النظر في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره او ردد ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يحترف في القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يحترف في الكلام ولا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو مكروه والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح + **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكرم الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت فيه اعظم + **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملاء فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني احد ربان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس + **السبب الرابع** ان المدح يدل على خشية الممدوح واضطرار المادح الى طلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الخشية ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع حر التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى وهي استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح انه غير صادق في قوله كما اذا مدح بأنه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه لذة اصلا لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة

من حل اسباب المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى * بيان علاج حب الجاه * اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك يذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه واذالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب الى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان علمهم لهم بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال عز وجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي تستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدور التي غليانها وهي متقلبة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له فالاشتغال بمراعاة القلوب لحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي ان تعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول وبرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذا اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل لو ان يفعل من الملاحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من اعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا الصلاح قلوبهم فيه ثم يتدارك كون ما فوط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما وليس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب فقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطريق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي تترتب له في القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم ام لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة

وقطع الطمع ومستعين على جميع ذلك بالاخبار والواردة فى ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة اوقلة اوعلة وينظر فى احوال السلف
وايثارهم الذل على العز ورغبتهم فى ثواب الاخرة رضى الله عنهم اجمعين + **بيان** وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم + اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا
بخوف مذمة الناس وحبا لمدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضى الناس بجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب
معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التى لاجلها يحب المدح ويكره الذم + **اما السبب الاول** فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه
ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التى يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهى اما صفة تستحق بها الفرح كالعلم
والورع واما صفة لا تستحق الفرح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض
الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبى **شعر** اشد الغم عندى فى سرور + يتيقن عنه
صاحبه انتقالا + فلا ينبغى ان يفرح الانسان بعرض الدنيا وان فرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت
الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضى الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر
الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على
رجاء حسن الخاتمة فينبغى ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة فى استشعار الكمال والكمال موجود من
فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغى ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التى مدحت بها انت خال عنها فرحك
بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزء به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذى فى احشائه وما الطيب الروائح التى تفوح منه اذا
قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك انت اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله
مطلع على خبائث باطنك وفواتل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى
من فضل الله عليك وان كذب فينبغى ان يغمك ذلك ولا تفرح به + **واما السبب الثانى** وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح
وكونه سببا لتسخير قلب الاخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله
وبان تعلم ان طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به + **واما السبب الثالث**
وهو الخشية التى اضطرات للمادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قلة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى ان يغمك مدح المادح وتكره
وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفات المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد
امكن الشيطان من ان يدخل فى بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فأنت والله بئس الرجل
وروى فى بعض الاخبار فان صح فهو قاصم الظهر ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا
ترضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة وقال عليه
السلام الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين على وجل عظيم من المدح
وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال انت يا امير المؤمنين خير منى واعلم فغضب
وقال انى لم امرك ان تزكينى وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال انى لا احسبك عرافيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان
عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته وانما كره المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان استشعال قلوبهم
بما لهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح
ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره
بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والاجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه والله الموفق
للصواب برحمته **بيان** علاج كراهة الذم + قد سبق ان العلة فى كراهة الذم هو ضد العلة فى حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من قنعك
لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما ان يكون
كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغى ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغى ان تتقلد منته فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى
المهالك حتى تتقيه فينبغى ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه
غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبح فى عينك

ل يتقن صوابه ترويد يتيقن السرور الذى تيقن صاحبه ان ينتقل عنه الى الغم

ك حتى الرجل التراب بخوه حثوا وتحثيه حثيا من باب رمى لغة اذا اعطاه بيده وبضمهم يقول فيغير صيغه ثم رماه وهو فاحثوا فى وجوههم التراب ١٢ مصباح

لينبعث حرصك على اقتنان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد انبجح تلك اسبابها بسبب سعته من المذمة فهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يخز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به كان نبهك بقوله غيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الآخرة واه انسان ان يبرء فيها من قول اعدائه فينبغي ان تعتمه واما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقبول ان نفعت به انت وتضرر هو به + الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله تعالى فينبغي ان لا تكدر ذلك ولا تشتغل بازالته بل تفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بريء منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع ظهرك وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهوان للمسكين قدحي على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ان كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه حمزة يوم احد ودعا لابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغرفة فقيل له في ذلك فقال علمت اني مأجور بسببه وما كان الذي منه الا خيرا فلا ارضى ان يكون هو مساءا بسببي مما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلبك ممن طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بعدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح وبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا + **بيان** اختلاف احوال الناس في المدح والذم + اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح + الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويعتقد على الذام ويكافئه او يجب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب + الحالة الثانية ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال + الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تهمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يميز عن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجد في المادح ظن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح للطري له اشد تكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما ينال من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا تكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشد ندرته على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون من حيث لا يتهمون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تستوي بينهما فانما استثقالك الذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد او تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب لهواه ثم يتعصب ان الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتدي على الله بهواه ويزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكائد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباد الله تعب اكم يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا + الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ورشده الى معرفته ومهد اليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وسلم رأس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للمادحين ويل للقائمين ويل لصاحب الصوف الا فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا او غاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي المتسوية بين المادح والذام

(ل) في بعض النسخ اللهم اغفر لقومي الى آخر الحديث اللهم اهد قومي الى آخره اهم ابهاة

(م) الثنية من الاسنان ومجمعها ثنايا وثنيات وهي التي تلي الرباعيات مصباح

(ن) الشجة الجراحة وانما سميت بذلك اذا كانت في الوجه والرأس

(س) مصباح بعض من الام كسر ثنيته فغضب حتى عيل صبره نحو ما هنا وبعضهم اضافه فتنه

(ع) اي يعده في عباداته بهواه

فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية فانها لا تفي بها لا محالة بد وان تتسابع الى كرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من التمييز وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب في حدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وتبغض السرور اليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولكن يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له وان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمرد هاطية بالكفر عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم يعجب بها فعساه يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيئا منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب

في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي احد عشر فصلا وبالله التوفيق

بيان ذم الرياء اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار **اما الآيات** فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عز وجل الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء هو ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعبادته واعماله **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل لعبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقاري لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قاري فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث خرطويل ان الله تعالى يقول لملائكته ان هذا لم يرد بي بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المراءين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال المسيح صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم

لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حيث رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى الخفايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك يا رسول الله قال امر تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراءون باعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء باطفاء النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى فقالوا يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق خلقا هو اشد علي من قلب ابن ادم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك بأبي انت وامي يا رسول الله قال انى محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى نورا كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فقر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يتبجح نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى السماء الرابعة فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على ماقته انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسده ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر اضر به بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه اثقلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات والارض حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يرد بي بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ كيف العمل قال ائتمر بي وان كان في عمرك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من البوقعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترفع نفسك بذمهم ولا تضع نفسك عليهم لا تدخل على الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تمازح رجلا ولا تمار عالما ولا تنظر على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزق كلاب النار يوم القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا اتدري من هن يا معاذ قلت ما هن فداء لك ابي انت وامي يا رسول الله

ل
جبلا عظاما اي خلق السموات من عظمه من جبل الزمخ تجليد ١٢ منه

ذات ذنوبهم

قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بأبي انت وامي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث **واما الآثار** فيروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راى رجلا يظ بقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك فقال علي كرم الله وجهه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال جل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال له شر لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل جل سعيد بن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويؤجر فقال له اتحب ان تعقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فأعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال ثم انت فقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم ليتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ولنفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر بغير الاذى على الطريق فما يمنعه ان يتنحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر يا فاجر اذهب فحابط اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يرون بما يعملون وصاروا اليوم يرون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى وهو جل سره يريد يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الكذب فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوفي اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار كان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل اشد من العمل قال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخير احسن فقيل له كيف ذاك قال يحب ان يذكر انه مجاور ويبكي وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوبي ثقتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمرائي به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمرائي به كثير ونجمعه خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء بها اعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات

القسم الاول الرياء في الدين بالبدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يراءي بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم ولذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من تمنع الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مرآة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها

الثاني الرياء بالهيئة والزي اما الهيئة فتشعيث الشعر كما مر وحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتقصير ها الى قريب من الكعاب وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب تركه مخرقا كل ذلك يراءي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه مقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الرزق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة فان سبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الله اعلم

والطيلسان يلبسه من هو خالٍ عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤن بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها انه غير مكترث بالدنيا ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوبا حدهم قيمة ثوب الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلقون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الدبيقي والكتان الدقيق الابيض والقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغبوا في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم يرى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه والى ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فهم اتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برز واللناس على تلك الهيئة مالم يبالغوا في الزينة + **الثالث** الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة واظهار الغزارة العلم ودلالته على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظ ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وابوابه لا تحصر واما اهل الدنيا فرياؤهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** الرياء بالعمل + كمراءاة المصلي بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه ظهر من اهل الدين يسرع الى الوقار واطراق الرأس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا راءه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون تجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راءه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف برياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملاء لا لخوف من الله وحياء منه + واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة + **الخامس** المراءاة بالاصحاب والزائرين والمخالطين + كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويتردد ون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فتباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تتشعب منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يراءى به المراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما كان همته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى

ل ترشد كردان
كه بنده كه از نيكوان باشد
كرد و از زيان باز ايستد
گشت ٣ ترجمه جابري
ل الفوط كه نوعي
بجانب من السراويل
مخطط الواحد فوطة
او هي ثوب صغير
ل فرو گرم فراخ
عرق نيكو تازه جمعه
گرم و سرد تر شود
ل دق
الشي فكره بالدقة
محركة الظهور من جرب
المسلين آن
اخراب جمع نوب و هي الدواب
١٢ س
ل اخبات فروتني
كردن ١٢ س
ل طلق كل شي جانباه فجاء
فاني مطلق الوياعة
١٢ ن

وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤن بالاسباب التى ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام او
مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات
فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة فى قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب
قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات ايضا محمود وهو الذى طلبه يوسف عليه
السلام حيث قال انى حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهى ويطغى وينسى ذكر الله والدار
الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة
حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهمم الى سعة الجاه مبداء الشر وكانصراف الهمم الى كثرة المال ولا يقدر حب
الجاه والمال على ترك معاصى القلب واللسان وغيرهما واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه
فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهمم الى طلب الجاه نقصان
فى الدين ولا يوصف بالتحريم على هذا نقول تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مروءة وهو ليس بحرام لانه ليس برياء بالعبادة
بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل الناس وتزينهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج يوما
الى اصحابه فكان ينظر فى حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد ان يتزين لاخوانه
اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ولو
سقط من اعينهم لم يرغبوا فى اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر
دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قصد فاعهد به ان يحسن نفسه فى اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واستثقالهم
الى توقيرهم واجلالهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحترز من الم الذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم
فاذا اتى بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا
انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات
كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان
الاعمال بالنيات وهذا ليس له قصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم كما دلت عليه الاخبار
والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص ومطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى امر
الدنيا حرام ايضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر الثانى
يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا رائى العبد قال الله للملائكة انظروا اليه كيف
يستهزئ بى ومثاله ان يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك او غلام
من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاى استحقار يزيد على ان يقصد العبد
بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب
اليه من الله اذ اثره على ملك الملوك فجعل مقصود عبادته واى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتى بيانه ان شاء الله تعالى ولا يخلو شئ منه عن اثم خفيف او خفيف
بحسب من يراءيه ولو لم يكن فى الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمرى ولو عظم غير الله
بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى يعظم فى قلبه الناس فان تضمنت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود
من وجه ومهما نال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده باطنا
من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا هذا غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون
من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومآله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم واقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك
قلوبهم ولو وكل الله تعالى اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن ان يملكوا لانفسهم نفعا ولا ضرا
فكيف يملكون لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل تقول الانبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل

له
الحبائر قد اوا الفتوة
منها محمد جابر وجبر
وجاب ٣ ق

عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بجمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى ان تشك فى ان المرائى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصده الاجر والحمد جميعا فى صدقته او صلاته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه فى كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الانكار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا + **بيان** درجات الرياء + اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المراءى به والمرائى لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول** نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف ومساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات اربعا الاولى وهى غلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذى يصلى بين الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل يمايصلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب لو خلا بنفسه لما اداها فهذه الدرجة العليا من الرياء + الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصد الرياء ضعيفا بحيث لو كان فى الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفى عنه المقت والاثم + الثالثة ان يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما على الانفراد لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت له رغبة او كان كل واحد منهما لو انفرد لا يستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فترجو ان يسلم راسا برأس لا له ولا عليه لو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه فى كتاب الاخلاص + الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاتب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب. واما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء اربح + **الركن الثانى** + المرائى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها + **القسم الاول** وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات + الاولى الرياء باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد فى النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فى مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى فى دعائهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الاسلام ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد على تباسط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا وبدعة حتى هو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر + الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمته والله يعلم منه انه لو كان فى يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلاة وهو فى جمع فيصلى وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصلى حمدا او يتصدق والده لا عن رغبة لكن خوفا من الناس او يغزو او يحج كذلك فهذا امراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته فى تحصيل اشد من رغبته فى ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسلخ عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد + الثالثة ان لا يراءى بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يراءى بالنوافل والسنن التى لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفقد رغبته فى ثوابها ولانبعاث لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائى جملة ذلك خوفا من المذمة وطلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما اداه على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذى قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق وكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل

ل الرا لخصام لما خصم يخصم الذى فتح يخصم الى كتب وقتل وس ك من رخ احكام يقال فى الجحقة والكبرة اى كلما واحدا منها ع ا الجد فعل تجب اى ما الق ن انسل وانسل فعل فى كتاب ن ا

ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات **القسم الثاني** الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهو ايضا على ثلاث درجات + الاولى ان يراءى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان يخفف اركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راءاه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات ثم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل خلاف ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل اى انه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة فاذا اطلع عليه أدمى احسن الصلاة ومن جلس بين يدى انسان متربعا او متكئا فاخرج غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة فى الملاء دون الخلوة وكذلك الذى يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الردية او مر بالحبل الردى فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث اكثر من صيانة العبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائى انما فعلت ذلك صيانة لا لستتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان هيئة صلاتك وهى خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعث الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت فى هذا الا كمن يهدى وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يقلدها فيهديها اليه وهى عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالى به اذا كان للملك واصلة واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغى ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائى فيه حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والحمدة عند الناس ذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرنى الاخلاص فى تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتى عند الله ناقصة واذانى الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغى ان يستمر على عادته فى الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق + الدرجة الثانية ان يراءى بفعل ما لا نقصان فى تركه ولكن فضله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل فى الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة فى رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة فى القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة فى صوم رمضان وطول اللهمت واختيار الاجود على الجيد فى الزكاة واعتاق الرقبة الغالية فى الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه + الثالثة ان يراءى بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجرى مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى اين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يراءى به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم + **الركن الثالث** + المراءى لاجله فان المرائى مقصوده لا محالة وانما يراءى لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات + الاولى وهى اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يراءى بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال اليتامى فيأخذها او يسلم اليه تفرقة الزكاة او الصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها او يودع الودايع فيأخذها ويجحدها او تسلم اليه الاموال التى تنفق فى طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة فى المعاصى وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى المراة او غلام كاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة فى سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده التظرف من فى الرفقة من امراة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعته سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم فى فسقهم ويقرب من هؤلاء من هو ان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهمة كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتهجد بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى + الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب فى نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذى يرغب فى ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فى تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه + الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال ونكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويتراءى العجلة كيلا يقال انه من اهل

اللحن والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبد ومنه المزاح فيمكن ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتغفل الصغداء
واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يمكن ان ينظر اليه بعين الاحتقار
لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون او يصومون الخميس والاثنين او يتصدقون فيواظبهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق
بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا من ذلك وكالذي يعطش في يوم حرة او حاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه
غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجلها ويدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين
خبيثتين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس مرائيا وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم
ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول فطرت تطييبا
لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كي لا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا
محب للاخوان شديد الرغبة في ان يأكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب
مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في
الباطن اما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون
ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه
وفيه نكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب صنان المراءين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من اشد المهلكات
وان من شدته ان فيه شوائب على اخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر نزل فيه قول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله اعلم +

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل + اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه لو لا قصد الثواب وهو اجلاه واخفى
منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له
وخف عليه وعلم انه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل تأثيرا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك
مستبطن في القلب وسهما لم يؤثر في الداعي الى العمل لم يكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته وتحب عبد يخلص في
عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سرته ذلك وارتاح له وزوال ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا يسير
يدل على رياء خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر اثر عند اطلاع الناس فقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الجمر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور
ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا
خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق لتعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل
كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق واثار الدموع وغلبة النعاس المدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يخفي بحيث
لا يريد الاطلاع ولا يستر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس احب ان يبدوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشط
في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه
يتقاضى لاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليها ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود
العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر
ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص (رخص ارزاني) عليكم السعر الم تكونوا تتعدون
بالسلام الم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه انه قال ان
رجلا من السواح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل
على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احبار (جمع حبر) الناس يعظمونه لمكان دينه وان سأل حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص
عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فترك في موكبه من الناس فاذا المسهل والجبل قد امتلاء بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال
للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر تجعل بحمص وشد قته وياكل كلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف انت قال كالناس
وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عندك امن خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين
من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعلم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك وجلا

ل
نصب ابا حنيفة
والمد تنقل محمود
ف قتار

ع
القلب تحمي لتخالفا
محمود فصاد تنقل محمود
قلب قلب ق

ان تخلص اعمالهم الصالحة فيجازيهم الله فى القيامة باخلاصهم على ملاء من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل فى القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يتصحبون مع انفسهم الذهب المغربى الخالص لعلمهم بان ارباب البوادى لا يروج عندهم الزائف والبهرج والحاجة تشتد فى البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذى يتزود به له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم والصبيان الرضع أم غابوا اطلعوا على حركته ام لم يطلعوا فلو كان مخلصا فانما يعلم الله لا يستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفى ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما ترى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام * الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظر اليه الطلبة فانه يسير للطاعة والمعصية ثم لله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به * الثانى ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه فى الدنيا انه كذلك يفعل فى الاخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد ذنبا فى الدنيا الا ستره عليه فى الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول فى الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل * الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيه فهو مذموم بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به فى طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الرجاء لذيذ موجب للسرور لا محالة * الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم ويجب لهم المطيع ويميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده ويذمهم ويعزأ بها وينسبه الى الرياء ولا يحمده عليها فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص فى مثل هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غير مثل فرحه بحمدهم اياه * واما المذموم وهو الخامس فهو ان يكون فرحه بقيام منزلته فى قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام فى مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى اعلم

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى والجلى وما لا يحبط

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما ان يرد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ او ورد مقارنا له فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يقرن اظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه فهم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت لصبوده رغبة فى اظهاره فتحدث به اظهره فهذا محفوف وفى الآثار والاخبار ما يدل على انه محبط فقد روى عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال لم صمت ولا افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث بعد ان يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا للثواب للعمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذى مضى ومعاقب على ما اتاه بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل واما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقده على الاخلاص ولكن ورد فى اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد ورود لا يؤثر فى العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون فى تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهى ان ينظر اليه او تذكر شيئا كان نسيه من ماله وهو يدان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من ذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان فى فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله اى النظر الى خاتمته وروى انه من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله وهذا منزل على الصلاة فى هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك معتبر فما يطرأ يفسد ايا تى دون الماضى فالصوم والحج من قبيل الصلاة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنع من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى اثناء الصلاة

النظارة الذين ينظرون الى الشئ من قال وقيل والواو

ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لو لاحضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب صار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغى ان يفسد العبادة مهما مقوما كن من ادكانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حال العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب المحاسبى رحمه الله تعالى الى الاحباط فى امر هو اهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال وقد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه ينقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد فى العمل ولا امن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبى انه يحبطه اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انما هما سورتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله وتم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه + احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث انه اراد قبل الفراغ + والثانى انه اراد ان يستر به للاقتداء به او لسرور اخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرور اسبب حب المحمدة والمنزلة به ليدل انه جعل له به اجرا ولا اذاهب من الامة الى ان فى السرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائى اجران + والثالث انه قال اكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل الى ابى هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابى صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة فى الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط ولا ايس عنه لان هذا القدر اذا لم يظهر اثره فى العمل بل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور باطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد فى الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب نفس صدقة وسائر الاعمال ولا ينبغى ان يفسد الصلاة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذى اوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا فى كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة **القسم الثالث** الذى يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف فى انه يقضى ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه فى اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما للابتداء بالاخلاص وختم بالرياء لمن كان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب يبصر لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح كان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة فى الصلاة فتفسد الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف كان الرياء يقدح فى النية واقل الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب فامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلى لاجل الناس فهذه صلاة كاذبة فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لو لا الناس ايضا لكان يصلى الا انه ظهر له الرغبة فى المحمدة ايضا اذا اجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون فى صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او فى عقد صلاة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وان كان فى صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان تكون فرضا او نفلا فان كانت نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة ولا اقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح تبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولو لا اجتماع الناس خلفه وخلا فى بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان للصير الى هذا بعيد

ل لعله زيد وزد
ن فتش جزئى پارسى
فانبوى چرخ اداس
ع وقع فى جميع
النسخ بكذا الا النسخة
المصرية ولعل المراد
بالامور تتمتها الواقعتان
فى ركعتى الصلوة او
الاعمال فى الجملة
كقراءة سورتين للفصد
احدهما فقط او الا تحتمل
والله اعلم

ن لعله اعلما كانا

جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به حابس فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه كان الايجاب لم يتنهض باعثا في حقه بمجرده واستقلالا وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لاداى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشاء صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يرد الوجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر باعث مستقل لنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه ان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلاة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل حاملا عليه واما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو علام الغيوب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

لقد عرفت مما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمر عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ ما من احد يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة فيترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قلع عروقه واصوله التي منها تشعبه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال

المقام الاول في قلع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا تفصل رجع الى ثلاثة اصول وهي حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب انها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي رحله وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه خيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد يجم خيره على صف القتال ولكن اذا آيس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما احرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت اذا شريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احدهما هون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وتأمل ما يحصل له من العار والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد بما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول

ثمر وثمرة وثمر وثمرة ثمار وثمرات او مختلفان في اللام بناء على الفرق بين الشجر والكمأة فيه خلاف وزارة ١٢ قاموس الف بالتحريك الفقر ضنك العيش ١٢ منه دف الرجل جانبه كورا البعير وهو سريع فيه لعله يكون او قرد ذفرى ذفريا وورقا ١٢ مجمع البحار

الى كفة السيئات فترجح به ويهوى الى النار ولو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة تحذيره وان كان مع ذلك سائر حسناته
راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين فقد حط عنهم بسبب الرياء وردّ الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع
ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضى الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضي به فريق يسخط به فريق ورضاء بعضهم
ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا
ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة واما الطمع فيما في ايديهم فبأن يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه
ولا يرزق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب وهم فاسد
وقد يصيب وقد يخطئ واذا اصاب فلا تنفي لذته بألم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذ منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يعجل اجله
ولا يئ خر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة
لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه انه هذه الاسباب في ضرها فترت رغبته واقبل على الله قلبه
فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من تعمد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره
حتى يبغضه الى الناس ويعرّفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بالمدح
والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين + وان ذمي شين + فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمد الله ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار
واي شر لك في ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقرها يتعلق بالخلق
ايام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار
على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للاخرة وسقط
محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل الضبح الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء + واما الله في
العمل فهو ان يجود نفسه اخفاء العبادات واخلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه
النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا
فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء الرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف
سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمده به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما **المقام الثاني** في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة
وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين باستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه
نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان تتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تتزادف على
التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد
الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول وردّه قبل
ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال مالك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في
علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما سبق في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في العروج او قاته الى عمله فكما
ان معرفة اطلاع الناس تفيد شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم
والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة
والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة للشهوة التي كان الضمير منطويا عليها وانما
سبب ذلك امتلاء القلب بحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيغرب عن القلب المعرفة السابقة بآفات
الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد وخوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب يعزم على التحلم عند
جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه

لا نزغة الشيطان نخسه والنزغ ايضا الوسوسة

فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر و
لم نبايعه على الموت فانسيتها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر
الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر
الانسان فيعلم ان الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال
فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه
فتكون الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا ينفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة
والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهيته اذ الغرض من الكراهة
ان تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم
وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في افات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج
بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تخصب
القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء
وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه وميله اليه وغير محب اليه فهل يكون
في زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العباد الا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن تزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها
وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما
كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا نعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او
تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها فقال عليه السلام اوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة
له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله
تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فان يندفع بها ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله
الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك ورضيته
نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما ددت مرادها بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات
والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة
وهي انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص و
حضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن نور المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في
دفع خواطر الرياء على اربع مراتب **الاولى** ان يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم
لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق
نقصان في السلوك + **الثانية** ان يعرف ان الجدال القتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته + **الثالثة** ان
لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قوي في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فليستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل
بالتكذيب ولا بالمخاصمة + **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان
ذا دقيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظ الشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب
ياسه وقنوطه حتى لا يرجع + روي عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك بسوء فقال والله لاغيظن من امره قيل ومن امره قال الشيطان اللهم اغفر له
اني لاغيظه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته + وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان
ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه + وقال ايضا اذا رآك الشيطان متردد اطمع فيك واذا رآك
مدا مما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثلا احسن فيه فقال مثلهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث فلما لوا به فاكثر وفضلا
وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فابى فلما
عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرتضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه

نهاه واستوقفه فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتال الدبل ستمر على ما كان فخاب منه دجاؤه بالكلية فمر به الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى فيوشك ان عاد واومر واعليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فاذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظار الورود او امام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصيرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه فاعترظهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد فى الدعوة الى الخمر والزنى فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير واذا خلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بأن لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحى منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونفثاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى واسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبى صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى مع ان شيطانه قد اسلم ولا يأمره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الامن والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انهما لم ينهيا الا عن شجرة واحدة واطلق لهما وراء ذلك ما اراد فاذا لم يأمن نبى من الانبياء وهو فى الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يأمن فى دار الدنيا وهى منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما اخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه واخذ الحذر حيث امر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله فان من احب الله امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا الزمك بأمر الله الحذر من العدو والكافر وانت تراه فان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه لا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك فأشار الى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر الا قتل هو شهادة وفى اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله عنه وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم ان ذلك قادح فى التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله منه والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل تبيين غلط من زعم ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض ما امتثال لما التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيى والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان الهادى والمضل هو الله ويرى الاسباب سائط مسخرة كما ذكرناه فى التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبى رحمه الله وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وما قابله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لم يغز علمهم ويظنون ان ما هجم عليهم من الاحوال فى بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة اوجه فى كيفية الحذر فقال قوم اذا حدثنا الله تعالى العدو فلا ينبغى ان يكون شىء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدى الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة ونذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا للذكر كنا قد اهملنا ذكر الله فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاولى فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بادمان

لا اذا تمنى القى الشيطان اى اذا تلى القى فى تلاوته ١٢ مجمع البحار

لا فيغان على قلبى اى يغشى استغفر الله فى اليوم سبعين مرة ليغين الغيم وغينت السماء يغان اذا اطبق عليها الغيم وقيل الغين شجر ملتف اراد ما يغشاه من سهو او فتور من شغل الا بشر تعالى فان ذلك عارض وقتا ما عارض بشرى يشغله من امور الامة والملة وصالحها عند ذلك نبأ وقضيا فيفزع الى الاستغفار ١٢ مجمع

لا تضحى اى لا يصيبك حر الضحى ١٢

لا من كل ما يقوى على الكافر

ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان يتنبه فى ذلك الوقت فيتنبه بالليل مرات قبل اوانه لما استكن فى قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه واشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذى يقوى على دفع العدو فاذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد مات منه الهوى واحيى فيه نور العقل والعلم واماط عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان ترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر اريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافى فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذى جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب لكنه تركه جاريا اليها من جانب اخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذى جعل مجرى الماء القذر سدا وملاءها بالماء الصافى فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب + **بيان** الرخصة فى قصد اظهار الطاعات + اعلم ان فى الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس فى الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر آخر ذا العملين ولكن فى الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما فى نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل + **القسم الاول** اظهار نفس العمل كالصدقة فى الملاء لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصارى الذى جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبى صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من تبعه وتجرى سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء فى الصدقة حمل الطباع اغلب فهم الغازى اذا هم بالخروج فاستعد واشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو فى اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد كذلك الرجل قد يرفع صوته فى الصلاة بالليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء اما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ويرغب الناس فى الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس فى الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان فى العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية فى القدوة فافضل من السر ويدل على ذلك ان الله عز وجل امر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام لاجرها واجر من عمل بها وقد روى فى الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا اقتدى بعمله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد فى الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من الظهور الرياء ومهما خطر له شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف فى ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا وربما يقتدى به اهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدى به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل الاقتداء به الثانية ان يراقب قلبه انه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى فيدعوه الى الاظهار بعد الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغى ان تخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء فى الدنيا الم ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء فى الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدى الناس بعمل اخر من اقرانك ويكون ذلك فى السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس به ورغبتهم فى الخير فانهم قد رغبوا فى الخير بالنظر الى غيره واجر قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظة اعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان بمترصد وحب الجاه على القلب غالب فلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغى ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة فى الاخفاء وفى الاظهار من الاخطار

مالا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء + **القسم الثانى** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر فى هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة فى اظهار الدعاوى عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر فى افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس فى عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النيه وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب فى الخير والترغيب فى الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسى بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ما هى قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر رضى الله عنه ما ابالى اصبحت على عسر او يسر لانى لا ادرى ايهما خير لى وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان رضى الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن أوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى آمرها واخطمها خير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنبعث بما حتى ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضره الموت لا تبكوا على فانى ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما قضى الله لى بقضاء قط فسرنى ان يكون قضى لى بغيره وما اصبح لى هوى الا فى مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراآة اذا صدرت ممن يرائى بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على تعمده الاقتداء جائز للاقوياء بالشرط التى ذكرناها فلا ينبغى ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائى للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روى انه كان يجتاز الانسان فى سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا فى دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه وكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائى فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد فى الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى اعلم + **بيان** الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له + اعلم ان الاصل فى الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع غيرك عليك لم تستحى منه وقال ابو مسلم الخولانى ما عملت عملا ابالى ان يطلع الناس عليه الا اتيانى اهلى والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه وبجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر فى الشهوات والا مانى والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه عن العبيد مما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائى واما الصادق الذى لا يرائى فلا ستر المعاصى يصح قصده فيه ويصح اعتماده باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول** هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره فى القيامة اذ ورد فى الخبر ان من ستر الله عليه فى الدنيا ذنبا ستره الله عليه فى الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان + **الثانى** انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصى ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصى واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس له من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغله عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغى ان يكره الحمد الذى يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الفكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان + **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز لها من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق فى ان تزول عنه رقابته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان وربما تألم بالذم محمودا اذا كان الذام من أهل البصيرة فى الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه فى الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يجب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك فى نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فذا السر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يترك الناس حمدا وذمنا فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذا لحمد يطلب للذة وعلم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد

ل
وفى حديث ضمضم لا تنبت الا اكذبت التمنى التكذيب تفعل من منى يمنى اذا قدر لان الكاذب يقدر الحديث فى نفسه ثم يقول ١٢ مجمع البحار ع ٣ البعير خلاه ترعى ع ٣ خطبه بالخاتم بخلم بجيمه ثم حاء مهملة وخاتم كتاب كل ما وضع فى اناء البيع ليقتاد به ١٢ من قاموس

على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله خوفه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر * الخامس ان يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع * السادس ان يستر ذلك كيلا يقصد بشرا اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فلذلك ان يستر ذلك حذرا منه * السابع مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبي مهما اشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي ان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحيي وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يراءي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسمح باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو اسلم على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فلم عند ذلك احوال * احداها ان يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل ويقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء او ينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء * الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج داعي الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه * الثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده لو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب والارذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدوء اوضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحيي من شيبته ان تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن بل احسن منه ان تستحي من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبايح والذنوب * الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ايضا ان يخفي العالم ما يهتم معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب بهذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما تمهد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا تمهد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وجههم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب هم على حبك وغرضك وصلاتك على طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات المحدودة للمعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما * **بيان** ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات * اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يتركه من الاعمال وما لا يتركه لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاسات ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس والحمد لذيذ فذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه

ل
علم بالضم زيده
وكثر خيره وبركته
وانكسال دنيه
١٢ مرح

من اللذة **القسم الاول** الطاعات اللازمة للبدن التى لا تتعلق بالغير ولا لذة فى عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاثة احدها
ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغى ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة
الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها لا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل
لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فلا يشتغل بالعمل الثانية ان ينبعث لاجل الله ولكن
يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغى ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع فى العمل وليجاهد نفسه فى دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات
الذى ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة ان يعقبه على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغى ان يجاهد فى الدفع ولا
يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء
فاذا لم تجب دفعت بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فأى فائدة لك فى عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل
فانا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن يسلم اليه مولاه حنطة فيها زؤان وقال خلصها من الزؤان ونقها منه
تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له
ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكائد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من
حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلو لاجبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم
فماله ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص وأى فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر
بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكائد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع فى ان يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه
بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهى الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض
القى فى قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقولهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه الا بأن تلزم قلبك معرفة
آفة الرياء وهو انه ضرر فى الآخرة ولا نفع فيه فى الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالى وان نزغ العدو ونازع الطبع
فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم
قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمد الخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل
ان قدرت على ان تزيد فى العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تجد فى قلبك من كراهة
الرياء واباءه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد فى قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث دينى بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل
عند ذلك وهو بعيد ممتنع شرح فى العمل لله فانه لا بد ان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روى ان ابراهيم
النخعى دخل عليه انسان وهو يقرأ فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمى اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا
اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان احدهم ليهم بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة
الشهرة وقد ورد فى ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات ممن لا يخشى ازاظهارها الحسن البصرى هذا الكلام فى معرض الوعظ
اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واما طه الاذى عن الطريق نقل ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام فى الافضل والافضل انما يقدر عليه
الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد فى الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يغلبون انفسهم بخلاف الافضل لشدة
الخوف فالاقتداء ينبغى ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابراهيم النخعى المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه
بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى ان لا يراءى فى القراءة بعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك
دفع الاذى عن الطريق ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هى اكبر من دفع خشبة من الطريق فيكون تركه لدفعه
للمحافظة على عبادات هى اكبر منها لا بمجرد خوف الرياء واما قول التيمى اذا اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام
كالفصاحة فى الحكايات وغيرها فان ذلك يدون العجب فاذا اعجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق
المندوب اليه فلم ينقل عليه على ان الآفات ما تعظم فى الكلام فهو واقع فى القسم الثانى وانما كلامنا فى العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس
ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن فى تركهم البكاء واما طه الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية حال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا
يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها * **القسم الثانى** ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار

ل
وضع الرجل تريقا
تقدم كما ندرج وتدرج
ان وتدرج بذريعة
اى توسل اليه سيلا ١٢ ق

ز
الزؤان مثلثة الزاء
الذى يخالط البر ق

واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال + اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقربكم مني مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ يتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي مراءيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او بقه جوره رواه معقل بن يسار ووالاه عمر ولاية فقال يا امير المؤمنين اشر علي قال اجلس فاكتم علي وروى الحسن ان رجلا والاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمرو لا تأمرن على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال لرافع الم تقل لي لا تأمرن على اثنين وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى ولكني اقول الحق ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بعلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميل الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية فان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيدا من خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير حزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا ظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوى به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر لذلك قال صلى الله عليه وسلم انا لا نولي امرنا من سألنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت ان نهي ابي بكر رضي الله عنه انما كان عن الولاية ثم تقلدها ليس بمتناقض واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية اميرا لي لامرنا فذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في الفقهاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدل عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال عليه السلام من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يترك الضعفاء وكل من لا يلتذ بها وزن في عينه وليتقلد الاقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم ذي علم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار + واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأفتى ايضا عظيمة مثل فتنة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال لوسعوالي ودفن بشركز اكذا قمطرا من الحديث وقال يمنعني من الحديث اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتأثيره في قلوب الناس وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يترك

استشار معقل بن يسار عمر رضي الله عنهما في قبول الولاية وقال اشر علي فقال لي ما فوكل في قبولها فأبى قبول الولاية ولكن اكره ما ولا كرهت الناس بشر لي في ذلك ٢٠ ز انتهى يخير انشقاه كخير وشر اخرى اي اختر لي الاصلح ١٢ بل اقرن يقال عليه بعلة الشر بالفتح والضم اي لعنة الله ١٢ استعفاه واستخفه وجده خفيفا من داره وفي ترجمة ١٢ ق

القمطر بالضم الكتب كالقمطة ١٠ ق

قلوب العوام ويعظم منزلته فى قلوبهم فلا يسمع حديثا ولا حكمة الا ويكون فرحه به من حيث انه يصلح لان يذكره على راس المنبر وكان ينبغى ان يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله على بهذه النعمة ونفعنى بهذه الحكمة فانفيضها ليشاركنى فى نفعها اخوانى المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغى ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان تتراض نفسه وتقوى فى الدين مُنَّتُهُ ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكمتم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضى الله عنه ابى بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو فى ذلك يقول ابى سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب فيعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال اتمنعنى من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة فى جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه فى دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفى كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فاما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدى الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التى فيها القبول والرياسة لاقتلوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم انى اقول مع هذا اذا كان فى البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس فى النهى عنه الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن فى البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته فى الظاهر وتجميله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسى فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا تأثير به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذى يرغب فى الاخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ فى هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجئة والتجرئة على المعاصى بطيارات النكت فيجب خلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا فى واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر مبطن فى نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه فى كتاب العلم من الوعيد الوارد فى حق العلماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال المسيح عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني تتعللون بالهوى وما يغنى عنكم ان تنفوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكى من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسد تم اخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاى ناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدبجين وتقيمون فى محلة للتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحشو مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم من اصولكم فتلقيكم على وجهكم ثم تكبكم على منا خركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يخزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحارث المحاسبى هذا الحديث فى بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الاخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد فى العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغى ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مداراة الخلق

ل
فرس طيار مديد الجواد ماض والماتح من الماء من قاموس

ع
اولجها اى سارق فى اول الليل

كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا تقل لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقل ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعث دين ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فاترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء فحق تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث * الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة * الثانية الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بأدنى قوة * الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلاة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء وأسادون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولاة اشبه وان الخذر منه في حق الضعيف اسلم والله اعلم * وهاهنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي دخائل السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك واخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل ما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء ما يسرني انني قمت على درج مسجد دمشق اصيت كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال للمسيح عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها ابر وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله اكبر وافضل وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه ولينزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر ليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجد اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم تدقيق ما ذكرناه عزيز للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر او الكسب للحلال والانفاق في الخيرات وذلك لما في الكسب من الآفات فاما المال الحاصل من الحلال فتفرقته افضل من امساكه بكل حال فان قلت فبماذا علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل عليه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة اقل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام لم يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لا يكون الحسن اليوم ولا نظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب به اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افترق الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله للمسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزى فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء

١ اثر الحديث ذكره من فيه فهو اثر بالدليل نصه ومتنه حديث ماثور اي فالحديث خلف عن سلف * مختار

٢ البرذون بكسر ثم الذال وهي بياء مجمع برازين ق

٣ اقرذ فعل فيه حمار ان الموضع كقرح لزمه ق

٤ طفق الموضع كقرح لزمه ق

٥ غزا العدو سار اليه فتالهم غزوا وغزوانا واغزاه صيره يغزو كغزاه ق

وان لی سبع بنات من العیال فشکا من حاله حتی دق الحسن له واصحابه والحسن مُکِبٌّ فلما فرغ الرجل من کلامه رفع الحسن راسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس علی الدینار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا فی الفساطیط الهیابیة وعلی البغال السبابقة فاذا غزی لحاه اغزاه طاویا راجلا فما قام الحسن حتی ذمهم بأقبح العیب واشده فقام رجل من اهل الشام کان جالسا الی الحسن فسعی به الی الحجاج وحکی له کلامه فلم یلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامیر فقام الحسن واشفقنا علیه من شدة کلامه الذی تکلم به فلم یلبث الحسن ان رجع الی مجلسه وهو یتبسم وقلما رایته فاغرا فاه یضحک انما کان یتبسم فاقبل حتی قعد فی مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة کأنکم تظنون ان الخیانة لیست الا فی الدینار والدرهم ان الخیانة اشد الخیانة ان یجالسنا الرجل فنطمئن الی جانبه ثم ینطلق فیسعی بنا الی شرارة من نار فانی اتیت هذا الرجل فقال اقصر علیک من لسانک وقولک اذا غزا عدو الله کذا وکذا واذا غزی لحاه اغزاه کذا الا ابالک تحرض علینا الناس اما انا علی ذلک لانهم لیصیحنک فاقصر علیک من لسانک قال فدفعه الله عنی وذکب الحسن حمارا یرید المنزل فبینما هو یسیر اذ التفت فرای قوما یتبعونه فوقف فقال هل لکم من حاجة او تسالونی عن شیء والا فارجعوا فما یبقی هذا من قلب العبد فهذه العلامات وامثالها تتبین سریرة الباطن ومهما رایت العلماء یتغایرون ویتحاسدون ولا یتوانسون ولا یتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحیاة الدنیا بالاخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفک یا ارحم الراحمین

بیان ما یصح من نشاط العبد للعبادة بسبب دقیة الخلق وما لا یصح ۔ اعلم ان الرجل قد یبیت مع القوم فی موضع فیقومون للتهجد او یقوم بعضهم فیصلون اللیل کله او بعضه وهو ممن یقوم فی بیته سآمة وریبة فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة حتی یزید علی ما کان یعتاده او یصلی مع انه کان لا یعتاد الصلاة باللیل اصلا وکذلک قد یقع فی موضع یصوم فیه اهل الموضع فینبعث له نشاط فی الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما یظن انه ریاء وان الواجب ترک الموافقة ولیس کذلک علی الاطلاق بل له تفصیل لان کل مؤمن راغب فی عبادة الله تعالی وفی قیام اللیل وصیام النهار ولکن قد تعوقه العوائق ویمنعه الاشتغال ویغلبه التمکن من الشهوات او تستهویه الغفلة فربما تکون مشاهدة الغیر سبب زوال الغفلة وتندفع العوائق والاشتغال فی بعض المواضع فینبعث له النشاط فقد یکون الرجل فی منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمکنه من النوم علی فراش وثیر وتمکنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع فی منزل غریب انقطعت عنه هذه الشواغل التی تفتر رغبته عن الخیر وحصلت له اسباب باعثة علی الخیر کمشاهدته ایاهم وقد اقبلوا علی الله واعرضوا عن الدنیا فانه ینظر الیهم فیلتفت فیهم ویشق علیه ان یسبقوه بطاعة الله فتتحرک داعیته للدین لا للریاء او ربما یفارقه النوم لاستنکاره الموضع او سبب اخر فیفتتح زوال النوم وفی منزله ربما یغلبه النوم وربما ینضاف الیه انه فی منزله علی الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح به نفلا قلیلا فیکون ذلک سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد یعسر علیه الصوم فی منزله ومعه اطایب الاطعمة ویشق علیه الصبر عنها فاذا عوّدته تلک الاطعمة لم یشق علیه فتنبعث داعیة الدین للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدین فاذا سلم منها قوی الباعث فهذا وامثاله من الاسباب یتصور وقوعه ویکون السبب فیه مشاهدة الناس وکونه معهم والشیطان عند ذلک ربما یصدّه عن العمل ویقول لا تعمل فانک تکون مرائیا اذا کنت لا تعمل فی بیتک ولا تزید علی صلاتک المعتادة وقد تکون رغبته فی الزیادة لاجل ریبتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم ایاه الی الکسل لا سیما اذا کانوا یظنون به انه یقوم اللیل فان نفسه لا تسمح بان یسقط من اعینهم فیرید ان یحفظ منزلته وعند ذلک قد یقول الشیطان صَلِّ فانک مخلص ولست تصلی لاجلهم بل لله وانما کنت لا تصلی کل لیلة لکثرة العوائق وانما داعیتک لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا علی ذوی البصائر فاذا عرفت ان المحرک هو الریاء فلا ینبغی ان یزید علی ما کان یعتاده ولا رکعة واحدة لانه یعصی الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان کان اتباعا تدفع العوائق وتحرک الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فلیوافق وعلامة ذلک ان یعرض علی نفسه انه لو رأی هؤلاء یصلون من حیث لا یرونه بل من وراء حجاب وهو فی ذلک الموضع بعینه هل کانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا یرونه فان سخت نفسه به فلیصل فان باعثه الحق وان کان ذلک یثقل علی نفسه لو غاب عن اعینهم فلیترک فان باعثه الریاء وکذلک قد یحضر الانسان یوم الجمعة فی الجامع من نشاط الصلاة ما لا یحضره کل یوم ویمکن ان یکون ذلک بحب حمدهم ویمکن ان یکون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم علی الله تعالی وقد یتحرک بذلک باعث الدین ویقارنه نزوع النفس الی حب الحمد فبهما علم ان الغالب علی قلبه ارادة الدین فلا ینبغی ان یترک العمل بما یجده من حب الحمد بل ینبغی ان یرد ذلک علی نفسه بالکراهة ویشتغل بالعبادة وکذلک قد یبکی جماعة فینظر الیهم فیحضره البکاء خوفا من الله تعالی لا من الریاء ولو سمع ذلک الکلام وحده لما بکی ولکن ببکاء الناس یؤثر فی ترقیق القلب قد لا یحضره البکاء فیتباکی تارة ریاء وتارة مع الصدق اذ یخشی علی نفسه قساوة القلب حین یبکون ولا تسمح عینه فیتباکی تکلفا وذلک محمود وعلامة الصدق فیه ان یعرض علی نفسه انه لو سمع بکاءهم من حیث لا یرونه هل کان یخاف علی نفسه القساوة

الخول الاحتشام الذی من النعم والعبید والاماء غیرهم اتق وعباد الله خولا ای خدما وعبیدا یعنی انهم استخدموهم واستعبدوهم الدول جمع دولة بالضم وهو ما یتداول من المال فیکون لقوم دون قوم یعنی ان الافاضل هم الاشراف بالمال والجهال الفقراء من التفی فلبسة صنع اهل الجاهلیة وذوی العدوان ۱۲ ربما بمعنی اربع مرات ۱۲ سعایة تمامی کمایة ۱۲ فغواه فتح ۱۲ ان الشیطان ای ثبت واغواه ۱۲ لوامع وثره توثیرا وطاه فهو وثیر ۱۲ فوز الشیء کفرح لم یبرح ۱۲ فوز الشیء کفرح لم یبرح ۱۲ احتاج الرفق یقدر علیه ۱۲ مراح

فيتباكى امام الاقران لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسى القلب فينبغى ان يترك التباكى قال لقمان عليه
السلام لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله يذكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن او الذكر او بعض مجارى
الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس
والانين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لذكالمته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية تفى الرياء
وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض
لسخط الله به وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد فى رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها فى حكم الابتداء المجرد
الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبل فيمد عوالى زيادة تحزين للصوت او رفع له او حفظ
الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه
من الخوف فيسقط ثم يستحيى ان يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة تنزعق ويتواجد تكلفا يرى انه سقط لكونه مغشيا
عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقل فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هى كبرق
خاطف فيستديم الرعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد ضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته
صحيحة فلو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل فى المشى ويقرب الخطا يظهر
انه ضعف عن سرعة المشى فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس اذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه فى الباطن و
اطلعوا على ضميره لمقتوه والله مطلع على ضميره وهو اشد مقتا كما روى عن ذى النون رحمه الله انه قام وزعق فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال
يا شيخ الذى يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء فى الخبر نعوذ بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح
والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون خاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون
للرآءة فهذه خواطر ترد على القلب متصادة متراددة تتقارب بها متشابهة فراقب قلبك فى كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه
واحذر معه ذلك ان يكون قد خفى عليك شئ من الرياء الذى هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهى مقبولة ام لا فحوفك على الاخلاص فيها واحذر
ان يتجدد ذلك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك سما يكدر جدا فاذ لخطر لك فتفكر فى اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله
احد الثلاثة النفر الذين حاج ايوب عليه السلام اذ قال يا ايوب ما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التى كان يخادع بها عن نفسه ويجرى بسريرته
وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس انى اخشاك وانت لى ماقت وكان من دعاء على بن الحسين رضى الله عنهما اللهم انى اعوذ بك ان يحسن فى لامعة العيون
علانيتى ويقبح لك فيما اخلو سريرتى محافظا على رياء الناس من نفسى ومضيعا لما انت مطلع عليه منى بدينى للناس حسن امرى وافضى اليك باسوا عملى تقربا
الى الناس بحسناتى وفرارا منهم اليك بسيئاتى فيحل بى مقتك ويجب على غضبك اعذنى من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة نفر لايوب عليه
السلام يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمان تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد
قلبه ليقف عليها فقى اخبار ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف
يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة ولنيته ادراك بعد بذل المجهود فكيف يطمع فى ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش
عن خدعها نسال الله تعالى العافية بمنه وكرمه واحسانه

بيان ما ينبغى للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه + اعلم ان اول ما يلزم المريد
قلبه فى سائر اوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه
على محاسن احواله فان كان فى هذه الرتبة فيلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت ويراقب نفسه عند الطاعات
العظيمة الشاقة التى لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تتلمى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم والبكاء العظيم
لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما فى الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففى
مثل هذا الامر ينبغى ان تثبت قدمه ويتذكر فى مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامها بدوام الاباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته
ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره تغييره محبب اليه وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول كيف ابيع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون
لى على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغى ان يياس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك الجاهد
فى الاخلاص لان المخلط الذى ذلك احوج من المتقى لان المتقى ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا يخلو فرايضه عن النقصان والحاجة الى الجبران

ل
تفضل عنه مد ظله عالى
بصير خافقا ١٢
لامعة العيون اى فى
رؤية العيون البارزة
من الناس

بالنوافل فان لم يسلم صاحبه ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقى فى النار فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده فى جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقى فجهده فى زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقى من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغى ان يلزم قلبه خوف اطلاع الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغى ان يكون وجلا من عمله خائفا انه دبما دخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا فى قبوله وودده مجوزا ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها وردّ عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف فى دوام عمله وبعده لا فى ابتداء العمل بل ينبغى ان يكون متيقنا فى الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية لحبطت عمله من رياء او عجب ولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بإخلاص وشك انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته فى المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذى يتقرب الى الله بالسعى فى حوائج الناس وافادة العلم ينبغى ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكره ومكافاته وحمده وثنائه من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فهما توقع من المتعلم مساعدة فى شغل وخدمة ومرافقة فى المشى فى الطريق ليستكثر باستتباعه او تردد امنه فى حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غير نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فمزجوان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه فلا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع فى بئر فجاء قوم فأدلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ عليه اية من القرآن او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخى اهديت لسفيان الثورى ثوبا فرده على فقلت له يا أبا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذاك ولكن اخوك يسمع منى الحديث فاخاف ان يلين قلبى لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله فى نفسك من ابى شئ فقال يرحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت كيف مرارهذا المال الىّ فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فردّه على فرجع فقال احب ان تأخذ مالك فلم يزل به حتى ردّه عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه فى الله تعالى فكره ان يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك نفسى ان جئت اليه فقلت يا ابت اى شئ قلبك هذا حجارة عدّ انه ليس لك عيال اما ترحمنى اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال الله يا مبارك تاكلها انت حنيفيا مرويا واسأل عنها انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله فى اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان اراد به بطاعته غير الله خسر ان فى الحال العلم بما يفيد وبما لا يفيد فكيف يخسر فى الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير حاصل بل ينبغى ان يتعلم لله ويعبد الله ويخدم المعلم لله لا ليكون له فى قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا بان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغى ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان يرضى الله عنه فى رضى الوالدين ولا يجوز له ان يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية فى الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته عن قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغى له ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محلّ فان ذلك يغرس الرياء فى صدره حتى تتيسر عليه العبادات فى خلوته به وانما سلوته لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدرى انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت فى صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفى وما دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال فى كل ليلة حمّصة قلت فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الذين بجذائك قلت نعم قال انهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا فيزيّنون صومعتى ويطوفون حولها ويعظمونى فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها عزّ تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفى جهد ساعة لعز الابد فوقر فى قلبى المعرفة فقال حسبك او تزيد قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى الىّ دكوة فيها عشرون حمّصة فقال لى ادخل المدر فقد اوتيت ما اردت اليك فلما دخلت المدر اجتمع علىّ النصارى فقالوا يا حنيفى ما الذى ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تنتفع به ونحن احق به فقالوا اسأم قلت عشرون دينارا فأعطونى عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفى ما الذى صنعت قلت بعته

منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لوسألتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا يعبده فانظر كيف يكون حزن من يعبده يا حنيف اقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبها ئر بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا لاكراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه فانه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يدخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على دفنه بكراهة العقل والايمان وبا مداراتي ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجى ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسطوا اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما حصل بأن يعده سريعا او يصمك كثيرا او يأكل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا بخطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى ومن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في الرغبة الى الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي انه لم ير الاغنياء في مجلس اذل منهم فيه في مجلس سفيان الثوري وكان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم تلك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فلا يتارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له مالي اذا اتيت بغدا دفتحت الى الحكمة فقالت الطمع يشجذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكائد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحاذر الصبيان دلته وعوده نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر في مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الاوجاع والآلام عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب قوي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكاره وهات فكذلك للمؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وشهواتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء ان ينجو من حر ابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الآباد ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب لكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات وتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي المراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى بقائي وانى الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر الصدق في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته

تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده +

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور + العزيز الجبار المتكبر + العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع + الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع + وكل مستكبر في جناب عزه مستكين متواضع + فهو القهار الذي لا يدافعه عن مراده دافع + الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع + القادر الذي عم الابصار الخلائق جلاله وبهاؤه + وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه + وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه + وارتفع عن حد قدم احصاؤه واستقصاؤه + فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه + وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه + فالعظمة ازاره والكبرياء ردائه + ومن نازعه فيهما قصمه بداء اللوت فاعجزه دواؤه + جل جلاله وتقدست اسماؤه + والصلاة على محمد الذي انزل عليه النور المنتشر ضياؤه + حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه + وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه + وسلم تسليما كثيرا + **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب ان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح الموبقات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب **الشطر الاول** من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه + **بيان** ذم الكبر + قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم ولا ابالي وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على المروة فتواقفا فمضى بن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست اقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت انه قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال الحين بعده الموت قال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لفصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانهما صلاة كل شيء وبهما يرزق كل شيء وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المغلوبون وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الآخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله

قد علمنا المتكبرون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون قال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة ذر كالذر في صور الرجال تطأهم الناس ليعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس ليعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال انك ابن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو اتخذت ثوبا ارق من هذا فقال اني سمعت ابي يحدث عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول + **الآثار** قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احدكم احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب يمد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فوجم بعض لوجمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل آخر أبيه كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات والارض وقد قيل في وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصائد وفخوخا وان من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب + قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردية اذ اعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان **الآثار** عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال آفات شتاخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق اني تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله لنديمي احد طيلسان تتجلى تجلي المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعبة فسمع ابن الاهتم فوجم يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه معجب بجماله كأن القبر قد واراه بلدك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داوِ قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم + وروي ان عمر بن عبد العزيز خرج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كلمة ازدريا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كرها مرتين او ثلاثا + ويروى ان مطرف بن عبد الله ابن الشخير (قال بعضهم التفسير) رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية تبغضها الله ورسوله فقال له المهلب ما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى اعلم

بيان فضيلة التواضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو دفع نفسه حبناها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فأتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل

ن في مثل صور الذر تطأهم الناس ذر الذال جمع ذارة

ع ٣ ص ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠

فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال ما انى لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه
الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله ـ وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من اصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه
زمانة فلم ينكره منها فاذن له فلما دخل جلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه ونكرهه فما
مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرنى ربى بين ان اكون عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ار بينهما اختار
وكان صفيى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع
لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى والزم قلبه خوفى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من اجلى فقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف
التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم اصحاب الناقة يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين
يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله
عليه وسلم اربع لا يدطيهن الله الا من يحب السمت وهو اقل العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله
ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل فجاء رجل اسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبى صلى
الله عليه وسلم الى جنبه ـ وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبنى ان يحمل الرجل الشئ فى يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال النبى
صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما ما لى لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا
رايتم المتواضعين من امتى فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار **الآثار** قال عمر رضى الله عنه
ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال ينتعش رفعك الله واذا تكبر دعك فى طوره وهضه الله الى الارض وقال اخسأ خسأك الله
فهو فى نفسه كبير وفى اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل
بقطع له وقد جاوزت الشمس لقطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسى فذكرت له ما صنعت فقال لى يا جرير تواضع لله
فى الدنيا فانه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير اتدرى ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا فى الدنيا
وقالت عايشة رضى الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع
من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع فقال هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته
وقال ابن المبارك رأس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو
فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطى مالا او جمالا او بيانا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة
وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممتها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا
فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع له بها درجة فى الاخرة وما انعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها لله ولم
يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له مطبقا من النار يعذبه بها ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اى الرجال افضل قال
من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هارون فقال يا امير المومنين ان تواضعك فى شرفك اشرف
لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ اتاه الله جمالا فى خلقته وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله
وواسى فى ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خاصة اولياء الله فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام
اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجئ الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء فى الثياب
الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء فى الثياب المرتفعة وروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن تدرون ما التواضع
التواضع ان تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح عليه السلام شفعت الجبال
وتطاولت وتواضع الجودى فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الادميين فلم ير
قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك فى الرحمة لولا انى
كنت معهم انى اخشى ان يحرموا بسببى ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند نفسه ارفع ما يكون عند الله

پشت ترجمه

وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لولا ان منادياً ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلاً والله ما كان أحد يستطيع الى الباب لا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا سار مالك وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابداً وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما آيات وكان هذا دأبه وعادته فقال انا اللفظة التي تحت الباء فقال له الشبلي اياد الله شاهدك او تجعل التمسك موضعاً وقال الشبلي في بعض كلامه ذل عظيم ذل اليهود ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال له يا احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعاً قال اذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني ما اتضاعني عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر عليك بمثل تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن في الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس مجبولة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيراً لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركها القناعة مع عون الله عز وجل * وعن الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان نعيم القوم ادناهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد ايضاً التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده تمام التواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى يضعها او يرفعها وعن عمرو ابن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يفتحون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل راكب على حمار طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زماناً صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لوماً عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوماً فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع نسأل الله الكريم حسن التوفيق * **بيان** حقيقة الكبر وآفته * اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجباً ولا يتصور ان يكون متكبراً الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبراً ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبراً فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر اخشى ان تنفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكان لا انسان مما رأى

نفسه بهذه العين وهو الاستعظام تكبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة و تعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها فسمى الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وانفصاه وعن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اقل من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف عن مساواته وتقدم عليه في ضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستزادهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة واليه يهلك اخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العزة ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الايذاء بالناس من اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال للمسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر الا ترى ان من رفع رأسه الى السقف شجه ومن تطأطأ اظله وانه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته فقال من سفه الحق وغمص الناس

بيان المتكبر عليه ودرجاته واقسامه وثمرات الكبر فيه

اعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى او رسله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذا التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثيل له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية فقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر الاستبصاري فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع من المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان اتبعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال لموسى عليه السلام ائذن لي ان اكون ملكك قال حتى اشاورك فشاورها فقال لها ان شئت فكوني حمارا يتبغي ان تكوني عبدا يتعبد فاستنكفت عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما اخبر الله تعالى عنهم

ل ٥ زدي عليه زيادة ومعاتبة كما زدي الاولى باغواء وقتل عليها او امراءه ان يلبس عليه ٢ ق ٥٣ وخر كمن وفرح صرد وذل ٣ ق ٥٣ انكر ق ١٢ منكر شود و مرد ما تاجيب كند ١٢ جاوري ٥٣ من سفه الحق وغمص الناس اي احتقرهم ولم يرهم شيئا من عجزه والعباد المملوكين كقرب وسمع احتقره وعابه ازهري وقاموس ٥٥ اولا انزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدقه ثم رأيت بخطه قيل فتكون رسلا الينا او نرى بانفسنا ٥٦ بتصديقه واتباعه ٥٧ بينادي ٥٨ فيكون موتيرا للعالم صدقه بتصديق الملك ٥٩ اي ليعينه قوة من عنده ٦٠ او يلقي اليه كنزا من عنده ٦١ او يكون له بستان يأكل من ثمره

لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة هو الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا غلام يتيم كيف يبعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي باستحقار الهم واستبعاد النقتهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم بأعينهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه التكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه التكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله * القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم هذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان التكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر وانما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق بحاله التكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدده للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان التكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما يحق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه والخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ثم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة فرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك * الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون ومهما اتضح الحق على لسان احدهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال للدفع بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شارکهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف فقتل فقام اخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك الى فيه وانما تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من احواله لا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به فكان مبدأ الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه ابدا الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن الشماس فقال يا رسول الله اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث اخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس اي ازدراهم واستحقارهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وقوله سفه الحق هو ردته وهي الآفة الثانية فكل من راى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله * **بيان** ما به التكبر * اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ويجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب **الاول** العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى

١ اي من احدى القريتين مكة والطائف ١٢

٢ البطر هو الطغيان عند النعمة وغمص الناس بطر الحق هو ان يجحد استحقاقه من قبوله وجحده باطلا وقيل ان يتجرعه الحق فلا يراه حقا ١٢ تم ج

٣ في انا الذي من سفه الحق والسفه نقيض الحلم والطيش وسفه فلان رايه اذا كان مضطربا لا استقامة له وسفه الحق على انه استعير لضد الحق كما يقال ثوب لضد ثوب والفعل الذي لا اختلاف في انه ضد الحق كالجهل ونحوه ١٢ تم ج

البهائم وليستجهلهم ويتوقع ان يبتدؤه بالسلام فان بدأ واحدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر او تأول له او اجابه الى دعوة دعاه ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يتولاه ويخدمه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يزورونه فلا يزورهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان تصرف له استنكر ذلك كأنهم عبيده او اجراؤه وكان تعليم العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله تعالى اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا ولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيده خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدحداح من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال + فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلة فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه يورث التواضع غالبا + السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد قرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر همتها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا الان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه بالذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه وقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى ان يأذن له وقال له انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم انه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلقن امامك غيري او لتصلن وحدانا فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحرك عز العلم فخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرف ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح اخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقنط ونعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء احوالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله ويستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله **الثاني** العمل والعبادة وليس يخلو عن ذلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما في الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيادتهم اولى منهم بزيادة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الخطوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على انه مزدر بخلق الله معجب بالله من حيث يرى نفسه غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه

لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما اجدهم اذا احبوه لصلاحه ان يقلهم الله الى درجته فى العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حالاهما كما روى ان رجلا فى بنى اسرائيل كان يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده ومر برجل اخر يقال له عابد بنى اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به فقال الخليع فى نفسه انا خليع بنى اسرائيل وهذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمنى فجلس اليه فقال العابد انا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل فكيف يجلس الىّ فانتفض منه وقال له قم عنى فأوحى الله الى نبى ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفى رواية اخرى فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فأيما اهل العاصى اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجلا فى بنى اسرائيل اتى عابدا من بنى اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله اليه ايها المتألى علىّ بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن رحمه الله ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز أى ان صاحب المطرف الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه مؤذ اسبعد ان يغفر الله له ولا يشك فى انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل جمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول ستترون ما يجرى عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كرامته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة اذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاجلهم فى الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الاخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه ولعله فى مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببى لو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الاخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة بجميعهم لو لا كونى فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك رجل بما يضم من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل اخشن المعاصى واعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن من مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبى صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى ادى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس فى القوم افضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن فى قلبه سفعة فى وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات + الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية + الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه واذى ذلك فى العالم ان يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفى العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه من الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا فى الخد حتى يصعر ولا فى الرقبة حتى تطأطأ ولا فى الذيل حتى يضم انما الورع فى القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم فكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا وكذلك قال الحارث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك ببعبوس يمن عليك بتعلمه فلا اكثر الله فى المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا ممن هو فى الرتبة الثالثة وهو الذى يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير فى العلم والعمل اما العابد فانه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيه بالتنقص ثم يثنى على نفسه ويقول انى لم اظر منذ كذا وكذا ولا انام الليل واختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول قصدنى فلان بسوء فهلك ولده واخذ ماله ومرض وما يجرى مجراه يدعى الكرامة لنفسه واما مباهاته

ل الخوض فى الكلام المحمود والذى يقع فيه اكثر الخلق اكثر من ان يحصى كما لا يخفى ع ن
ل ٢ تعالى على اشتراى اقسم ع ن وفى الحديث ومن يتأل على الله يكذبه ع
ل ٣ المطرف بضم الميم وكسر الراء واحد المطارف وهى ثياب من خز مربعة لها اعلام واصل الفضم ع
ل ٤ تحدى برايرى كسر وتشديد كارى پيش خود آوردن خصم را و عيب جستن يقال تحديت فلانا اى بايته فى فضل وناز و غلبه ١٢ منه
ل ٥ فسفعة بالسين المهملة والفاء والعين المهملة تغير لون الوجه وسوء حال ع
ل ٦ تعالى السفعة من الشيطان اى مس من الجن والسفعة بفتح السين وضمها السواد فجعل ما بالرجل من الجن سفعا من الجن وسم بالعلامة فى الخد الذى هو موقع تقليب الوجه ١٢ منه
ل ٧ صعر برگردانيدن ١٢ ص

فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغر ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتمكن بها في المحافل من المناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليتعزز بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح بهما اخطأ واحد منهم ليرده عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وانارته التي يتمنى بها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان ذلك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر ذلك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب من علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل + **الثالث** التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موالي وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وشريته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك فانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب فان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا اباذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء نضل فقال ابو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطاء وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بكل التسعة من اهل النار وانت حاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدفع بانافها القذر + **الرابع** التفاخر بالجمال وذلك اكثر ما يجري بين النساء ويعود ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشأ خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت **الخامس** الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول لست انت مكدا ومسكينا وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث يلتي يساوي اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي الصحبة التي اجابه فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون **السادس** التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السابع** التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من

ف كلها بزيادة واو وهو صحيح ليس المعنى على افضل الاباء بالتقوى او في ترتيب بعض من بعض بل المعنى الكمال المطلق من كل وجه وقيل هو ما على فوق راسي يعني الكمال في الاشياء بان لا يزاد عليه بل يزاد عليه في النقص والقاصر من غاية التمام نجم في قصصه نجما بالكسر الذي لم يبلغ ان يملأ الكيال ثم استعمل في كل اقتفاء فضل لين بالتحريك الاباء التقوى بكذا وطف حال مركوزة او مرفوع على الاوجر محذوف

ع ٢ في نسخة الفصم بالفتح وكاسير الجزء الطائي والفتح واحدة تراق

ع ٣ في نسخة يدون

ع ٤ والجبان بالضم الخوار في البيوت والشر والجبان جرابجاد جمع حبانا جمع حباة اي هو اعلى من السماء فتصبح صعيدا ترابا لا نبت عليها قدم والصحيح ماء غور اي غائرا على وزن فعل وان لم يصح

یدلی بشئ منه علی من لا یدلی به او علی من یدلی بما هو دونه فی اعتقاده وربما کان مثله او فوقه عند الله تعالی کالعالم الذی یتکبر بعلمه علی من هو اعلم منه لظنه انه هو الاعلم وحسن اعتقاده فی نفسه نسأل الله العون بلطفه ورحمته انه علی کل شئ قدیر + **بیان** البواعث علی التکبر واسبابه المهیجة له + اعلم ان الکبر خلق باطن واما ما یظهر من الاخلاق والافعال فهی ثمرته ونتیجته وینبغی ان تسمی تکبرا ویخص اسم الکبر بالمعنی الباطن الذی هو استعظام النفس ورؤیة قدرها فوق قدر الغیر وهذا الباطن له موجب احد وهو العجب کما سیأتی معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او شئ من اسبابه استعظم نفسه وتکبر واما التکبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب فی التکبر وسبب فی المتکبر علیه وسبب یتعلق بغیرهما اما السبب الذی فی المتکبر فهو العجب والذی یتعلق بالمتکبر علیه هو الحقد والحسد والذی یتعلق بغیرهما هو الریاء فتصیر الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والریاء + اما العجب فقد ذکرنا انه یورث الکبر الباطن والکبر الباطن ثم التکبر الظاهر فی الاعمال والاقوال والاحوال + واما الحقد فانه قد یحمل علی التکبر من غیر عجب کالذی یتکبر علی من یری انه مثله او فوقه ولکن قد غضب علیه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ فی قلبه بغضه فهو لذلک لا تطاوعه نفسه ان یتواضع له وان کان عنده مستحقا للتواضع فکم من رذل لا تطاوعه نفسه علی التواضع لواحد من الاکابر لحقده علیه او بغضه له ویحمل ذلک علی رد الحق اذا جاء من جهته وعلی الانفة من قبول نصحه وعلی ان یجتهد فی التقدم علیه وان علم انه لا یستحق ذلک وعلی ان لا یستحله وان ظلمه ولا یعتذر الیه وان جنی علیه ولا یسأله العفو هو جاهل به + واما الحسد فانه ایضا یوجب البغض للمحسود وان لم یکن من جهته ایذاء وسبب یقتضی الغضب الحقد ویدعو الحسد ایضا الی جحد الحق حتی یمنع من قبول النصیحة وتعلم العلم فکم من جاهل یشتاق الی العلم وقد بقی فی رذیلة الجهل لاستنکافه ان یستفید من احد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغیا علیه فهو یعرض عنه ویتکبر علیه مع معرفته بأنه یستحق التواضع بفضل علمه ولکن الحسد یبعثه علی ان یعامله باخلاق التکبر وان کان فی باطنه لیس یری نفسه فوقه + واما الریاء فهو ایضا یدعو الی اخلاق المتکبرین حتی ان الرجل لینأنف من ان یعلم انه افضل منه ولیس بینه وبینه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولکن یمتنع من قبول الحق منه ولا یتواضع له فی الاستفادة خیفة من ان یقول الناس انه افضل منه فیکون باعثه علی التکبر علیه الریاء المجرد ولو خلا معه بنفسه لکان لا یتکبر علیه واما الذی یتکبر بالعجب والحسد والحقد فانه یتکبر ایضا عند الخلوة به معهما لم یکن معهما ثالث وکذلک قد ینتمی الی نسب شریف کاذبا وهو یعلم انه کاذب ثم یتکبر به علی من لیس ینتسب الی ذلک النسب ویترفع علیه فی المجالس ویتقدم علیه فی الطرق ولا یرضی بمساواته فی الکرامة والتوقیر وهو عالم باطنا بانه لا یستحق ذلک وکالکبر فی باطنه لمعرفته بأنه کاذب فی دعوی النسب لکن یحمله الریاء علی افعال المتکبرین وکأن اسم التکبر انما یطلق فی الاکثر علی من یفعل هذه الافعال عن کبر فی الباطن صادر عن العجب والنظر الی الغیر بعین الاحتقار وهو ان سمی متکبرا فلاجل التشبه بافعال الکبر نسأل الله حسن التوفیق والله تعالی اعلم + **بیان** اخلاق المتواضعین ومجامع ما یظهر فیه اثر التواضع والتکبر + اعلم ان التکبر یظهر فی شمائل الرجل کصعر فی وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا او متکئا وفی اقواله حتی فی صوته ونغمته وصنعته فی الایراد ویظهر فی مشیته وتبختره وقیامه وجلوسه وحرکاته وسکناته وفی تعاطیه لافعاله وفی سائر تقلباته فی احواله واقواله واعماله فمن المتکبرین من یجمع ذلک کله ومنهم من یتکبر فی بعض ویتواضع فی بعض فمنها التکبر بان یحب قیام الناس له او بین یدیه وقد قال علی کرم الله وجهه من اراد ان ینظر الی رجل من اهل النار فلینظر الی رجل قاعد وبین یدیه قوم قیام وقال انس لم یکن شخص احب الیهم من رسول الله صلی الله علیه وسلم وکانوا اذا راوه لم یقوموا له لما یعلمون من کراهته لذلک ومنها ان لا یمشی الا ومعه غیره یمشی خلفه قال ابو الدرداء لا یزال العبد یرغد من الله بعدا ما یمشی خلفه وکان عبد الرحمن بن عوف لا یعرف من عبیده اذ کان لا یتمیز عنهم فی صورة ظاهرة ومشی قوم خلف الحسن البصری فمنعهم وقال ما یبقی هذا من قلب العبد وکان رسول الله صلی الله علیه وسلم فی بعض الاوقات یمشی مع الاصحاب فیأمرهم بالتقدم ویمشی فی الغمار اما لتعلیم غیره او لیلقی عن نفسه وسواس الشیطان بالکبر والعجب کما اخرج الثوب الجدید فی الصلاة وابدله بالخلیع لاحد هذین المعنیین ومنها ان لا یزور غیره وان کان یحصل من زیارته خیر لغیره فی الدین وهو ضد التواضع روی ان سفیان الثوری قدم الرملة فبعث الیه ابراهیم بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاء سفیان فقیل له یا أبا اسحاق تبعث الیه بمثل هذا فقال اردت ان انظر کیف تواضعه ومنها ان یستنکف من جلوس غیره بالقرب منه الا ان یجلس بین یدیه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الی عبد العزیز بن ابی دواد فمس فخذی فخذه فنحیت نفسی عنه فاخذ شیابی فجرنی الی نفسه وقال لی لم تفعلون بی ما تفعلون بالجبابرة وانی لا اعرف رجلا منکم شریفا منی وقال انس کانت الولیدة من ولائد المدینة تأخذ بید رسول الله صلی الله علیه وسلم فلا ینزع یده منها حتی تذهب به حیث شاءت ومنها ان یتوقی مجالسة المرضی والمعلولین ویتحاشی عنهم وهو من الکبر دخل رجل علیه جذری قد تقشر فقال یا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه يأكلون ثما جلس عند احد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يجلس على طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ينطفأ فقال لضيفه قوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال فأنبه الغلام فقال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر ما نقص مني شئ وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا يأخذ متاعه ولا يحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شئ الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سنطة له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كأني انظر الى عمر رضي الله عنه معلقا درهما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل حلة وقال بعضهم رايت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين فقال ابو العيال احق ان يحمل * ومنها اللباس الذي يظهر به التكبر والتواضع قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هارون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب علي كرم الله وجهه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما دام ما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لو لا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لو لا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك يا امير المؤمنين فقال ان لكل نفساً وانه تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطباق تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص موقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله ان يدخل له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي شار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضى بالثوب الدرس قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا اداه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شئ ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الاحوال تنزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موروثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام مالكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب لهوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية * ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف في احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فيما مر من حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه فينبغي ان يقتدي به ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شئ من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويلتحن عنه اذا اعيى ويشتري الشئ من السوق ولا يمنعه الحياء ان يحمله بيده او يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر

ل البطة الدبة او اناء كالقارورة ق ١٢

م السطل الدلو كبير طويلة يتخذ من جلود او خزف تجمع سطول او السطل الطست ليس بالسطل المعروف ق ١٢

ن اصبغ بن نباتة تابعي ق ١٢ ان اليه فقاد وقتادة اشتاق ق ١٢

س اي اكرم من جعل على الخلق واحتقر الناس كقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله ق ١٢

ع ثم البيت كنسه من خصف النعل ق ١٢ ان

ما دُعِيَ اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غذاء لعشاء ولا عشاء لغداء هَيِّنٌ لَيِّنٌ الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسّام من غير ضحك محزون من غير عُبُوس شديد فى غير عنف متواضع فى غير مذلة جوادٌ من غير سَرَف رحيم لكل ذى قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتشبّع قط من شِبَع ولم يمدّ يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فحدثتها كلها بما قال ابو سعيد فقالت ما اخطأ حرفا ولقد تضمّن اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبثّ الى احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يطوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ودَعَة عيشها من مشارق الارض ومغاربها لفعل ودما بكيت رحمة له مما اوتى من الجوع فامسح بطنه بيدى واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشدّ من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرمهم واجزل ثوابهم فأجدنى استحيى ان ترفّهت فى معيشتى لان يقصّر بى دونهم فأصبر ايا ما يسيرة احبّ الىّ من ان ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ احب الىّ من اللحوق باخوانى واخلّائى قالت عائشة رضى الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل من احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتدِ به ومن رأى نفسه فوق محلّه صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به فما اشدّ جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا فى الدنيا والدين فلا عزّ ولا رفعة الا فى الاقتداء به ولذلك قال عمر رضى الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العزّ فى غيره لما عوتب فى بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوّة ابدل الله مكانهم قوما من امّة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن لصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر بجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبّر وتواضع فى غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صدّيقا او ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخى انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم فى خشية وغدا فى غفلة ولكن مدا ومدين على حالهم الظاهر هم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة وقلوبهم تصعد اذنيا حا الى الله واشتياقا اليه وقد مضى فى استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوى فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشدّ على من هذه الصفة وكيف لى ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون فى اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حبّ الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد فى الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب فرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخى ان ذلك فى كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا فى ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبى المحبين لك يا رب العالمين فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بيان الطريق فى معالجة الكبر واكتساب التواضع له

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شئ منه واذا لته فرض عين ولا يزول بمجرد التمنى بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفى معالجته مقامان احدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها فى القلب الثانى دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره

المقام الاوّل فى استئصال اصله وعلاجه علمى وعملى ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمى

فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك فى ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذلّ من كل ذليل واقلّ من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع فى ارادة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فان فى القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قُتِلَ الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واى شئ اخسّ واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من ارذل الاشياء ثم من اقذرها اذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا الا وهو على اخسّ الاوصاف النعوت اذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته ثم يحمل

الحشف بالتحريك اردأ التمر او الضعيف لا نوى له او اليابس الغاب والدقل ردئ التمر ١٢ قس

بشم بفتحتين ناگوار شدن طعام ١٢ ص

جمع الحشن وهو الغليظ ١٢ ص

اى المخلوق منازل السلوك الى الله من مصنف الراغب وجرى الخيل ١٢

الشئ بالكسر الاصل ومن السوء نبعة ١٢ ق

قبل علمه وبعاه قبل ابصره وبصمه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اى شئ خلقه من نطفة
خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم
امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما يسر له فى مدة حياته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر
وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه
بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال الم
ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك
الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد
الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان فى ذاته لا شئ واى شئ اخس من لا شئ واى قلة اقل من العدم
المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه
ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين و
هديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده اولا بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله من اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء
وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره جاز ان يطغى وينسى المبتدأ والمنتهى ولكنه
سلط عليه فى دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض
من اجزائه البعض شاء ام ابى رضى ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان
يعلم الشئ فيجهله ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويريد ان ينسى الشئ فيتفكر عنه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول فى اودية الوساوس والافكار
بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه نفسه يشتهى الشئ وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشئ وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه
وترديه ويستبشع الادوية وهى تنفعه وتحييه ولا يأمن فى لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف
روحه ويسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فتى عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه وغيره فاى شئ اذل منه
لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لو لا جهله فهذا وسط احواله فليتأمل اما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم
اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه
وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتتخرق
عظامه وتصير رميما رفاتا وتأكل الدود اجزاءه فتبتدئ بحدقتيه فتقلعهما وبخديه فتقطعهما وسائر اجزائه فيصير دودا فى اجواف الديدان
ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان
ويعمى منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يغن بالامس حصيدا كما كان فى اول امره امدا مديدا وليته بقى كذلك فانما
احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلا فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى
قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة
ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها
وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك
واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب وتساق الى دار العذاب فيتقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنشر الصحيفة ويشاهد
ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره
فما لمن هذه احواله وللتكبر بل ماله وللفرح فى لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار ان
يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع
اذ اوله التراب واخره التراب وهو معزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا

ل امشاج اى مختلط
بعضه اخلاط مادر الاصل
مادر الراء ١٢

ج ٣ ١٣ ريم استخوان
١٢ رفات بالضم زيزه
١٢ من
١٢ غنى بالمكان اقام اى
صار مخصوصا فيه كان
لم يكن قبل يغنى اليوم
ويغنى للقيام فى الوقت
القريب

من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجد ريحه لمات من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يسقى منه فى بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة الا ان يعفو الله عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا وای عبد لم يذنب فيما استحق به العقوبة الا ان يعفو الله الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به السوط فحبس فى السجن وهو ينتظر الى ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدرى يعفى عنه ام لا كيف يكون ذله فى السجن افترى انه يتكبر على من فى السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمى القامع لاصل الكبر + واما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل لسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكينا من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان الا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت رثما لبست جديدا واشار به الى العتق فى الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديما ينفون من الانحناء فكان يسقط من يد الولد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبى صلى الله عليه وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امروا به لتتكسر بذلك خيلاؤهم ويذل الكبر منهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يقتضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تنخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفى العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت + **المقام الثانى** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا فى كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقى هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل فى جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **شعر** لئن فخرت بآباء ذوى شرف + لقد صدقت ولكن بئس ما ولدا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا فى صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذى ينسب اليه حبا لكان له ان يقول الفضل لى دونك انت وانما انت دودة خلقت من بول افترى ان الدودة التى خلقت من بول انسان اشرف من الدودة التى من بول فرس هيهات بل هما متساويتان والشرف للانسان لا للدودة + الثانى ان يعرف نسبه الحقيقى فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذى احسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذى يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا أذل من التراب ويا انتن من الحمأة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فنقول اقتخارها لقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب لا على من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب فصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقى للانسان ومن عرف هذا لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف نعم فيما هو كذلك اذا اخبره عدول لا يشك فى قولهم انه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس فى اذلهم فهو من استشعار الخزى بخسته فى شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر فى اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه فى نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التى يتنزه عنها هو فى نفسه + السبب الثانى الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من الفضائح ما يكد عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار فى جميع اجزائه الرجيع فى امعائه والبول فى مثانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فيه والوسخ فى اذنيه والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والضنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد كل يوم الى الخلاء مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو راءه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا فى حال توسطه وفى اول امره خلق من الاقذار الشنيعة المهود من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر

قال انس رحمه الله كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك قال عاتكة بن عبد العزيز ما هذه مشية من فى بطنه خرا اذ راه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته وهذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه فى حياته يوما لم ينعهدها بالتنظف والغسل لنادت منه الانتان والاقذار دوصارا نتن واقذر من الدواب المهملة التى لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار وسكن فى اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن وكلون الازهار فى البوادى فبينا هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فيتقيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو فى كل حال يتصور ان يزول بمرض او جدرى او قرحة او سبب من الاسباب فكم من وجه جميل تقبح بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال من اكثر تأملها + السبب الثالث التكبر بالقوة والاید ويمنعه من ذلك ان العلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد فى بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت فى انفه او نملة دخلت فى اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت فى رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر فى مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى ان يفتخر بقوته ثم ان قوى الانسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل واى افتخار فى صفة يسبقك فيها البهائم + السبب الرابع الغنى وكثرة المال وفى معناه السبب الخامس وهو كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعمل وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة فى نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى فى اليهود من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل فان تشرف يسبقك به اليهودى وان تشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست فى ذاته وما هو فى ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشئ من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقى لك وان استرجعه زال عنك وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شئ ومن عرف ذلك لا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر العاقل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين ليفعل ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما فى يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لافراطه فى امواله وتقصيره فى طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسا فى منزل احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقى لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا فى الخلاص البتة افترى ان من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل فى نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه واعضاءه وماله وهو مع ذلك بين افات وشهوات وامراض اسقام هى كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة له فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان فى النفس حقيقة ان بان يفرح بهما ولكن فى التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفى كما سنذكره + السبب السادس الكبر بالعلم وهو اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر رضى الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشرة من العالم فانه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه فى العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال جل وعز مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال فى بلعم ابن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس رضى الله عنهما اوتى بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى سواء اتيته الحكمة او لم اوته لا يدع شهوته ويكفى العالم هذا الخطر فاى عالم لم يتبع شهوته اى سكن جبه اليها واى عالم لم يأمر بالخير الذى يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر فى الخطر العظيم الذى

هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا ابذاك وهو كالملك المخاطر بروحه فى ملكه لكثرة اعدائه
فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهى فى الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه
ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغى ان يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان
بعضهم يقول يا ليتنى لم تلدنى امى ويأخذ الاخر تبنة من الارض ويقول يا ليتنى كنت هذه التبنة ويقول الاخر ليتنى كنت شيئا اوكل ويقول
الاخر ليتنى لم اك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوء حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره فى الخطر الذى
هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله مثال عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان فى
بعضها وشك فى بعضها انه هل ادّاها كما يرتضيه سيده ام لا فاخبره مخبر ان سيده ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا يلقيه
على بابه فى الحر والشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ فيه المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن
ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدرى انه من اى الفريقين
يكون فاذا تفكر فى ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر خزيه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من
شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيّعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب فى باطنه من الرياء والحقد والحسد
والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقته كبره لا محالة * الامر الثانى ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل
وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت
لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان
يستيقن انه لا ذنب له مثلا ان تصوّر ذلك وبهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا ان من نازع الله تعالى فى رداء الكبرياء قصمه و
قد اوهم الله بأن يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق وللمبتدع
وكيف يرى نفسه دونه وهو عالم عابد وكيف يجهل افضل العلم والعبادة عند الله وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم
وهو يعلم ان خطر الفاسق وللمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر فى خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور
ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله فى الاخرة والكلب الخنزير على
رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدرى ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضى الله عنه قبل اسلامه فاستحقره
وازدراه لكفره وقد ذوقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين لا بأكثر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع
الفضائل فى الدنيا يراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر منى
وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه سنا قال هذا قد اطاع الله قبلى فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير
قال انى عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدرينى لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن فليدم دوام الهداية
الى كما لم يكن ابتداؤها الى فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفى الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال فى سعادة الاخرة والقرب من الله لا فيما
يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له ولكن هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول
القلب بخوف فضيحته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق يسوء الظن مواقع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة فى جناية وعدوا
بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده
فى مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع فى الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض
فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل
وعالم مغرور باذار أى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن فى نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل
مع خليفتهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان
ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذى يخلصك
عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او عند امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك
الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك والثانى ان تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل

الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فأقول تغضب لمولاك وسيدك اذا امرك ان تغضب لا لنفسك وانت فى غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فأقول اذا كان لك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا بد من ان يغضب مهما رأى ولده قد اساء الادب انما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعزه محاله من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما فى الاخرة عند الله اعظم لما سبق لهما من الحسنى فى الازل ولما سبق لك من سوء القضاء فى الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده اوجب منك فى الاخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر

السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغى ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرف من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى الى غير ذلك مما ورد فى فضل العلم فان قال العابد فذلك لعالم يعمل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فكذلك يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقرها بل يجب عليه التواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغى ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العابد والعالم خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغى ان يكون الغالب عليه فى حق نفسه الخوف وفى حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون فى حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغى ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنوبا واكبر منه عبادة واشد منه حياء لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد على ذنوبك فى طول عمرك فلا ينبغى ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو اكثر منى ذنبا لان عدد ذنوبك فى طول عمرك وذنوب غيرك فى طول العمر لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغى ان تتكبر عليه فان ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والسوء فى صفات الله تعالى تحيل الخطا فى الكثير الاشد يد عند الله فربما جرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب لله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها شاد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هى افضل منه وادفع وفرقة هى شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا يلحق واهلك انا فلا يزال خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادرى لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب على فيختم له بأحسن الاعمال وترى ظاهر فذلك شر لى فلا يأمن فيما اظهره من الطاعة ان يكون دخلها الافات فاحبطتها قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة فمن جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء فى الازل

ل شاد الى الكلية شيده طلاه بالشيد وهو طلاء معروف من جص وغيره ق

اى كان سيء الخ

بشقوته فمثاله سبيل الى ان يتكبر بمجال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف رأى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى ان عابدا اوى الى جبل فقيل له فى النوم ايت فلانا الاسكاف فسلم ان يدعوك فاتاه فسأله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى فى النوم ثانيا فقيل له ايت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصفار الذى بوجهك فاتاه فسأله فقال ما رايت احدا من الناس الا وقع لى انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اى يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات بالدؤب بالاشفاق فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلبة الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسد العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تفهم التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة فانا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغى ان يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى ان تكمل بالعمل وتجرب بافعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هى ادلة على استخراج ما فى الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة + الامتحان الاول ان يناظر فى مسألة مع واحد من اقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكر على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغى ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه فى الخلوة ويثقل عليه فى الملاء فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته فى كماله فى ذاته عند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه فى الخلوة والملاء جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثانى فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان + الامتحان الثانى ان يجتمع مع الاقران والامثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس فى الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايل الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس فى صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغى ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذى يخرج خبث الكبر من الباطن + الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق فى حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فتفور النفس عنها ليس الا لخبث فى الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التى تزيل داء الكبر + الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتداركه وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم + ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة تحطب فقيل له يا ابا ايوب قد كان فى غلمانك وبنيك من يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهى صادقة ام كاذبة وفى الاخبار من حمل الفاكهة والتين فقد برئ من الكبر + الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك فى الملاء رياء وفى الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لا يستنكف ان يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعى ولا يجب دعوة الملوك فمن رغب عن سنتى فليس منى وروى ان ابا موسى الاشعرى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملاء فهو الرياء وما يكون فى الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه + **بيان** غاية الرياضة فى خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذى يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذى يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع فى غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفى قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع اى وضع شيئا من قدره الذى يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهو ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطى كل ذى حق حقه فينبغى ان يتواضع بمثل هذا لاقرانه ومن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق فى السؤال واجابة دعوته والسعى فى حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على خيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله فى اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير رؤية وان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر الاخلاق والنيل من الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير فى المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التبذل والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب على ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثانى من الكتاب فى العجب فيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب

على الجملة وبيان اقسام ما به العجب تفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته + اعلم ان العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك فى معرض الانكار وقال عز وجل وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا مدرج الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه + وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابى ثعلبة حيث ذكر اخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برايه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب انما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعى والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى لا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما + وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت + وقال زيد بن اسلم لا تبرؤها اى لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب وقتى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه فاكبت عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتقرحن ذلك عمر فيه فقال ما زال يعرف فى طلحة بأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبأو هو العجب فى اللغة الا انه لم ينقل فيه انه اظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب مثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذ واحذرهم قال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الى من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من اثنين اذا رأوه ذكر الله تعالى والدار الاخرة لما واظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر فظن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك ما رأيت منى فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا +

بيان آفة العجب اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التى لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب اما لها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد فى تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمى عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب

ف لعله التعجب

ل تخصيص دم جنايتين وجنايتين وجنايتين وجنايتين وجنايتين ١٢ ص

ل اشج ماشد البخل وقيل البخل مع الحرص وقيل البخل فى قراءة الامور واحدها واشح عام وقيل البخل فى مال وهو فى معروف ١٢

ل يعنى انهم فى الاختصاص بالخير بحيث اذا رأوا ذكر الله بحال الرائى من ولايهم لا فيهم من يمارس العبادة او من رآهم يذكر الله ١٢ مجمع

ل الخ بالباء الموحدة والجيم والخاء المعجمة والنون الفوقية ١٢

براءته

لك

اخق الاجل خزانم يغنم والصائد يرجع ولم يصد وطير جايحة فاحتق لم يدركه

قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون المعجب والمعجب يغتر بنفسه ويزكيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فليستبد بنفسه برايه وليكتف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب برأي الخطأ الذي يفرح له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطاياه فان كان رايه في امور دنيوي فيخرق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرء ان واستعان بعلماء الدين واظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته * **بيان** حقيقة العجب والادلال وحدهما * اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة والعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيرهم حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه فهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بأنه له لا من حيث انه مضاف الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ازله عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعلة كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاد ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل كأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعظم غير شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا ومعجب ولا معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ذها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه والله تعالى اعلم * **بيان** علاج العجب على الجملة * اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط ولنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته ثم ينبغي ان يتأمل في قدرته واراداته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم حمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برآن لملك تعلم انه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تقطن في من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال له وتلك الصفة ايضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غير فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لانني صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطيك احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غير فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا ينصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر مالك الملوك المنفرد باختراع الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان عجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة تحبب له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب في العبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك لا علانية فيكون الاعجاب بجوده اذا انعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود اعمالك اسباب

اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل الفيضان
فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده فان قلت لا يمكننى ان اجهل اعمالى وانى انا عملتها فانى انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملى لما انتظرت
ثوابا فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لى الثواب وان كانت الاعمال منى بقدرتى فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين
احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك قدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما
صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصارا لعين بل خلقك و
خلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفى شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر
عليه ثم خلق الحركات فى اعضائك مستبدا باختراعه من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق
فى العضو قوة وفى القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فقد رتبه فى الخلق شيئا بعد
شئ هو الذى خيل لك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه
أليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل شكاكك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور
العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه
وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح لا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهى بيد الله
لا محالة ارايت لو رايت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفاتيحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك
ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بأن تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها وكنك
منها فمهما مددت يدك واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح اوبما اليك من مد اليد واخذها فلا تشك فى انك ترى ذلك نعمة من الخازن
لان المؤنة فى تحريك اليد بأخذ المال قريبة وانما الشأن كله فى تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعى
والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل حينئذ عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب
كلها من الله ليس شئ منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب ممن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى ايثارك اياك على الفساق
من عباده اذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخلاق السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات
وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك
ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصى بل اترك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصى واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا
لا تصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذى اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فلله الشكر
والمنة لا لك وسيأتى فى كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب
اذا رزقه الله عقلا وافقر ممن فاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف مضى قوت يومى وانا العاقل الفاضل وافاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل
الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدرى المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه فى ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير
يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى عنهما فهلا جمعتهما لى وهلا رزقتنى احدهما والى هذا اشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء
فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب از العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه
عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على المليحة
القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدرى المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين
الجمال وبين القبح مع الغنى لاثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها اكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يا رب لم حرمتنى الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه
الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطينى لغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب انى ما اعطيتك فرسا اصارت
نعمتى عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بأن
العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفى العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من
زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما قال داود عليه السلام يا رب ما تأتى ليلة الا وانسان
من آل داود قائم ولا يأتى يوم الا وانسان من آل داود صائم وفى رواية ما تمر ساعة من ليل او نهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلى واما

ف باختراعها

يصوم واما يذكرك فأوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن لابي ولولا عوني اياك ما قويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما
اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود ثم دله به حتى وكل الى نفسه فأذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل
يسألونك بابراهيم واسحاق ويعقوب فتقال لي ابتليتهم فصبروا فقال يا رب انا ان ابتليتني صبرت فأدل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم اخبرهم
باي شئ ابتليهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما
اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال
تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام
قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما وردت على امرا الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى تلك ذلك اي من
اين تلك ذلك قال فأخذ رماده فوضعه على راسه وقال منك يا رب منك يا رب فرجع تسبيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون
لذي بصيرة ان يعجب بعمل او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف
سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول
ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبقى
معه عجب بحال والله تعالى اعلم * **بيان** اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه * اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به
كالعجب بالرأي الخطأ الذي ربن له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام * الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته
وبالجملة بتفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في قذارة
باطنه في اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف نمت في التراب وانتنت في القبور بحيث ستقذرها الطباع * الثاني البطش والقوة
كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله
تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امراة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت اعجابا منه بالقوة ويورث
العجب بالقوة المجموم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل كل من قصد بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف
قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه * الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا
وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأي
والعقل واستحقار الهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك
منه فلا يأمن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما
عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون
منهم وهو لا يدري فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومراعدائه لا من اصدقائه فان من يكافئه فقد اثنى
عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن بجهل نفسه فيزداد به عجبا * الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه يجوز
بشرف نسبه وبجاه آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم
وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمتها النفس ولقد شرفوا
بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب شاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر فكانوا عند الله
شرا من الكلاب والخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم الى اصل واحد ثم ذكر
فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وما قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس ولم يقل من ينتمي الى نبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية
حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان اكرمكم

(ان كان اعجابا منه بالقوة فالبطش بالاموات اقبح)

عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة تأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا اى اعرض عنكم فبين ان انهمك في الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا أغني عنكما من الله شيئا من عرف هذا الاسود وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادته ابانه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع واذا كان طلبنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ويشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا أغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سأبلها ببلالها وقال عليه الصلاة والسلام اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه يخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب ايضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات اتكالا لنعمتها في الدنيا ثم يشفع لها في الاخرة فتكمل انعماتها في الاخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وجده تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل الطب ترجى على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخيرا تلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بعرا ثم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن احوالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليها ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في بلاد الله وانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استفزازا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وهوان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده ولا يرافقه اهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب في الديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الاية فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك السابع العجب بالمال كما قال الله تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال أنا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان يعدو اليك فقرك وذلك العجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في حلته اذ اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فأخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب خلقان فقال لي يا ابا ذر هذا خير

---

١ اي بقيته الجاهلية يعني انكم ولدتم من آدم وآدم من تراب وليس لاحد فضيلة على احد الا بالتقوى فان كانت فضيلة فهي من التقوى فلا تفتخروا بالعشيرة لان الافتخار بها تكبر وتجبر وهو حرام والتقوى يستوي فيها جميع الناس من اي نسب كانوا من اولاد الملوك او اولاد الفقراء

٢ اي اصلكم في الدنيا ولا اغني عنكم من الله شيئا والبلال الجمع بلال وقيل هو كل بل الحلق من الماء واللبن او غيره اه نهاية

٣ اي يخوض في الارض حين تخسف به والجلجلة تحريك مع صوت اه ج

خير من تراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فتقصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بحاله * الثامن العجب بالرأي والخطاء قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها بالعجب بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى في الشبهة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الرأي الخطاء جاهل بخطائه ونوعرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا الا ان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظن انه يحسن تكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله وسنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة لكتاب الله والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول امنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاتقياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز اي جود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مفاليد الامور * وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور * مخرج اوليائه من الظلمات الى النور * ومورد اعدائه ورطات الغرور * والصلاة على محمد مخرج الخلايق من الديجور * وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور * صلاة تتوالى على مر الدهور * وكر الساعات والشهور * اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة * ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة * فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة * ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية * ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة * فالاكياس ارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * فالاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى * والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بداية نفسه كفيلا * وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا * واذا عرفت ان الغرور هو ام الشقاوات * ومنبع المهلكات * فلا بد من شرح مداخله ومجاريه * وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه * ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه * فالموفق من العباد * من عرف مداخل الافات والفساد * فاخذ منها حذره * وبنى على الحزم والبصيرة امره * ونحن نشرح لجناس مجاري الغرور * واصناف المغترين من القضاة والعلماء والمتعبدين * الذين اغتروا بعبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها * ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى * لكن يمكن التنبيه على امثلة يغني عن الاستقصاء * وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف * الصنف الاول من العلماء * الصنف الثاني من العباد * الصنف الثالث من المتصوفة * الصنف

الرابع من ارباب الاموال والمغترّ من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همّه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف والى غير ذلك من مداخل لا تنضبط الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وامثلته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته ✻ اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية كلها فى ذم الغرور ✻ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبّذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشئ ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا به فيه محصورها ومغرورا به وهو الذى يغرّ فيها كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب المحجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور ان غرور الكفار وغرور العصاة والفساق نمورد لهما امثلة تحقيقا للغرور

المثال الاول غرور الكفار فمنهم من خيّل اليه ان الحيوة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور ✻ اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهى اذا خير فلا بدّ من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق قول الله تعالى فى قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفى قوله عز وجل وما عند الله خير وابقى وقوله والآخرة خير وابقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله اعهد الله اليك رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور ويتنزل هذا منزلة تصديق الصبى والمرأة فى ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان تعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يعد دليلا على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منها فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبذل فى تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا احذره الطبيب لفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من الم المرض فى المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون فى الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى الحال فلنسبة لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف جزء من الآخرة فانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حاجة وان نظر من حيث النوع الى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط فى قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشأه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خير من نسيئة هى مثله وان لم يصرح به وعند هذا يفرح الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين بالجائز خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على يقين وفى ربحه على شك والمتفقه فى اجتهاده على يقين وفى ادراكه رتبة العلم على شك والصياد فى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصيد على شك وكذلك الحرث واكثر اعمال العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشيع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين

١ اى اذ لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وقيل على بناء المفعول ٢ اى لانى اتيقن بالربح

ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك فى الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يتول الصبر يوما
قلائل وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم ايام حياتى وقد كنت فى العدم من الاول الى
الآن لا اتنعم فاحسبنى بقيت فى العدم وان كان ما قيل صدقا فأبقى فى النار ابدا الآباد وهذا لا يطاق ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين
ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه فى الاخرة ولكن كلم الملحد على
قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور * واما الاصل الثانى من كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين
ولكن مدرك يقينه مدرك احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا نزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم
مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند آخرهم على ان دواءه النبات الفلانى فانه تطمئن نفس المريض الى
تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقى سوادى أو معتوه يكذبهم فى ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن
الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يفتر فى عمله بسببه
ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقربين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء التام
فى الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة فى البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء وانتبههم عليه اخلق
على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم
من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبى وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبى
الذى استرقه الشهوات لا يشكك فى صحة اقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث
على العمل لا محالة والغرور يزول به وأما المدرك الثانى لمعرفة الاخرة فهو الوحى للانبياء والالهام للاولياء ولا نظن ان معرفة النبى لامر الاخرة والاصول
الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما أن معرفتك تقليد للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وانما يختلف المقلد فقط
وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليها فشاهدوها بالبصيرة
الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر
الله تعالى وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذى يقابل النهى لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشأن حتى يكون المراد به انه من
خلق الله فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق والله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق
اذ الخلق عبارة عن التقدير فى وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة فى ذكره لاستضرار
اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه
امر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب
ورد على ادم صلى الله عليه وسلم وصبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى اليق به بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وانه امر ربانى
وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعى ذاتى الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل
ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم
يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع
القاطها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من
سر القلب الى عالم الملكوت ليس مما يعرفه كل احد وليا وعارفا وهى مبادى مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء اول مقامات
الانبياء * ولنرجع الى الغرض المطلوب فالمقصود ان غرور الشيطان بأن الاخرة شك يدفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة
الباطن والمؤمنون بألسنتهم وبقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار
فى هذا الغرور لانهم اثروا الحياة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين
ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بأن الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال تعالى وانى
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله
كأنك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان

والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها الحبين لها الكارهين للموت
خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة مما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا * ولنذكر للغرور بالله مثالين من
غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبألسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا
فيه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
وجملتا مرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخدما بألف دينار وتزوج امرأة على الف دينار
وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا يفنى ويخرب الا اشتريت قصرا في الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت
بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من
ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل ان يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى
ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا * وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه
فلم يقض لي فقلت اني اخذه في الاخرة فقال لي اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك مالا وولدا اقضيك منه فانزل الله تعالى قوله افرايت الذي كفر
بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا
فيقيسون عليها نعمة الاخرة وينظرون مرة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم
فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا
بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب لكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر (الايمان ١٢ نافية المؤمنون) **شعر** لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي *
وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن
محب لا بل تحت ظنه أن انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل
على الهوان ومثاله ان يكون الرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب يلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب
ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل
كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه
وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام
والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا خزنوا وقالوا اذنب عجلت عقوبته وذاوا
ذلك علامة المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انها
هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي اهانني كلا فبين ان ذلك غرور فقال الحسن كذبوا جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان
او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور بعلاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة او بالتقليد اما بالبصيرة
فبأن يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين
والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق
رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون في تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما
يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن امن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل
بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض
كيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذرنا الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى

١ محاورة باب خداوند بكيوگرا تكاور اى بكاوب ١٢ منه

٢ غرا لكي حتى تملا الى من الفضل والعمل ولى وانما الايزعل ١٢ بيضاوى

٣ وقرا الكوفيون وابن عامر اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف ١٢ بيضاوى

٤ اى تعظيم وتجعلوه والم تعلموا ١٢ بيضاوى

٥ اى نفاه الله عن كلا اعلى ان الكرامة والهوان ليسا بالغنى والفقر بل الكرامة بالطاعة والهوان بالمعصية ١٢ منه

٦ قبض الكريم من اكرمته ١٢ منه

٧ الكسر لاجل الكسرة ١٢ منه

٨ البئس الساكن من الخوف والاطلاس الجرة ١٢ منه

٩ اى تفتح ١٢ منه

١٠ شخص البصر اذا ارتفع وشخص بفتح فقال شخص الرجل بصره اذا فتح عينيه ولا يطرف ١٢ منه

ومكرها مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين
امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد للهمال ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يجوز ان يكون ذلك مكرا منه
وكيدا مع ان السيد لم يحذر مكر نفسه فبأن يجب في ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجا اولى فاذا امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور
انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند للنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى
يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور + **المثال الثاني** غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله
كريم وانا نرجو عفوه وانكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين
وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما
كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة اباءهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم
انهم اكرم على الله من اباءهم اذا باؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور امنون وذلك نهاية الاغترار بالله
تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب ولده وان الله قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور
ان نوحا عليه السلام اراد ان يستصحب ولده معه في السفينة فقال له ان ابني من اهلي فقال تعالى يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير
صالح وان ابراهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له في
الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع
ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب
الى الولد لا شك ان يسري البغض ايضا بل الحق ازر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه يغبو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع بأكل ابيه ويروى
بشرب ابيه ويصير عالما بعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وعند الله جزاء التقوى
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت
فأين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي
الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولو لا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى
خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء بهم اليق وهذا
لانه ذكر ان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر
على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس
ينتظر الاجر ويزعم ان المستأجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهال بالفرق بين الرجاء وبين الغرة + قيل للحسن قوم
يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه + وقال مسلم
بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت تنتيتاي فقال له رجل انا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا
هرب منه كما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او
امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك للعاصي فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي متردد في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع
الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي متردد ا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل
منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على
التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون ما اخبر الله عنهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل
صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سألهم
خزنتها الم يأتكم نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه يوفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم

ان
اى لتنل فتزوجها
وفيل ما يسبها

وعقلهم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم
انه محمود في موضعين + احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة تقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا
ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم اوهم بالانابة وقال تعالى وانى لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راجح وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو
في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان ومر يعدو وهو يرجو ان
يدرك الجمعة فهو راجح وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام للصلاة لاجل الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب
التي لا يعرفها فهو مغرور + الثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه بنعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى
ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم
الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط
والتشمر فكل توبة حث على توبة او على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما انه اذا خطر له
ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولايذاء نفسك وتعذيبها وان ربك كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة
فهو غرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب قابل التوب
شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابدا الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع
على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء
قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسيبا قبالهم على الدنيا وسبب
اعراضهم عن الله تعالى وما هم لهم السعي للاخرة فذلك غرور فقد اخبر صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان
ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم
وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق
آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى
وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون انهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامن
يدرك بالتمني وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم
كلهم طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبرانهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن
وما فيه وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه
انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد القرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه
وترى الناس يهذونه هذا ويخرجون الحروف من مخارجها ويناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات
الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف
لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انهم ترتجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية
الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق
به هو من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان كل الف درهم حرام يقاوم منه التصدق بعشرة من الحرام او الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان في الكفة الاخرى
الفا واراد ان يثقل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه
ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم
ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره

ل قم يقوم ويقوم قومة
يكون بمعنى مرة وللاول
بمعنى ساعة

ع الاكب على الامر والكب
يتعدى ويلزم

ع الهوينا تصغير
الهوني تانيث الاهون
والهون الرفق والدعة
منه

ع قيل لمن قال قرأت
المفصل الليلة انزا
هذا الشعر اراد تخذو
القرآن هذا الترجيع
في قراءته
الشعر والقوم
يرجعون

الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد اوعد الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد فهذا ابدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد فى عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا
يضرونه الى غير ذلك من آفات اللسان فذلك محض الغرور ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد
على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه
اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوات الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة
عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى الامر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء
به القرآن وانا نبرأ الى الله ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التكذيب والتبيين مع هذا البيان ومما احد ممن يقيد على تسليط مثل هذه
الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على باطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله اعلم

بيان اصناف المغترين واتسام فرق كل صنف من الاصناف الاربعة

الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم حكموا العلوم الشرعية
والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان
وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون
فلو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كمعرفة
الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم
قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء
فسعى فى طلب الطبيب بعد ان هاجر من وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التى
منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بليته وهو يكررها
ويقرئها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغنى عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب الف نسخة وعلم الف
مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك عن مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه
ويصبر على مداومته ويكون شربه فى وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه
اصلا فهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره فهكذا الفقيه الذى احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصى ولم يجتنبها واحكم
علم الاخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح
من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما
مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة فى فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده
وهواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرنى فضائل العلم وتنسينى ما ورد فى العالم الفاجر الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى
فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فأى خزى اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقال صلى الله
عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم يلقى العالم فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار
فى الرحى وكقوله عليه الصلاة والسلام شر الناس العلماء السوء وقول ابى الدرداء ويل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذى يعلم
سبع مرات اى ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا علمت فيما علمت وكيف قضيت فكره الله وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة
عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه فى كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا ان هذا مما لا يوافق هوى
العالم الفاجر وما ورد فى فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فشامله ما ذكرناه وان
نظر بعين الايمان فالذى اخبره بفضيلة العلم هو الذى اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده
انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذى يدعى علم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع
امر الله وحدوده فغروره اشد ومثاله مثال من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله
وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا
انه تصدى لخدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون

ن يظهر ون من الكلام

ل
چه باید وکارد نویس
شد چه ایم از کاغذان
شکر بایکنیم و از تقصیر
کنیم از احتقان معذور
۱۲ جامی

ی یعلم ولا یعمل بعلمه
وبالفقیه ما دون ان یکون
۱۲

فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متسلطا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ونسبته الى اسمه
وبلده وصورته وشكله وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه
ويحبه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره فى التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا
الاسامى دون المعانى اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام خفنى كما تخاف السبع الضارى نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من
صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالى ويعلم انه مستخر فى قدرته من يواهلك مثله الا فا مؤلفة ولابد عليهم العذاب بدا لا باد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم
تأخذه عليه رقة ولا اغتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود
كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه
القائم ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا وقال مرة الفقيه يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا
الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين واذا لم يكن بهذه الصفة
فهو من المغرورين **وفرقة اخرى** احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات
المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلا وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما لم يعرف
بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم أدنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة
من فى قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله عليه الصلاة والسلام
حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التى اوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة
فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم و
اعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلوب هو الاصل اذ لا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص و
باطنها نتن او كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة او كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل قصد
الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا يخفى ان ذلك هزء برب المنزل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت وبنت معه حشيش
يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فأخذ يجز رؤسه واطرافه فلا تزال تقوى اصوله فتنبت لان منابت المعاصى هى الاخلاق
الذميمة فى القلب فمن لا يطهر القلب منها لا تثمر له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء
فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقى يتناول ما يزيد فى المادة فلا يزال يطلى الظاهر
والجرب دائم به ينفجر من المادة التى فى الباطن **وفرقة اخرى** علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع
الا انهم لعجبهم بأنفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم
فما هو فاعظم عند الله من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين
واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فانى لو لبست الدون من الثياب فى جلست فى الدون من المجالس لشمت بى علماء الدين
وفرحوا بذلك وكان ذلا على الاسلام ونسى المغرور ان عدوه الذى حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان
النبى صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب
عمر رضى الله عنه فى بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز فى غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين
بالثياب الرقيقة من القصب والديبقى والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسنة فى
اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل فى عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه
الحسد حتى يتفقدها انه لو طعن فى غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله
او لا يغضب مهما طعن فى عالم آخر ومنع بل بما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسدا لاقرانه من حيث باطنه وهكذا يرائى باعماله وعلومه
واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضى من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا الى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى
ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن لم

ل لا تكون لؤلؤة فتنظر
ق ۱۲
ص فزاوة
ويرى صيد ويرى شوك
۱۲ ص

ش الحش الارض الكثيرة الحشيش ومجتمع العذرة ويكثر الحش ثلاثة المخرج لانهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين
۱۲ ق

ع يعنى خواست بادشاه مهمان شود خود نزود بخانه وسه
۱۲ ص

ف القصب لثياب الناعمة من كان الواحد قصبى
۱۲ ق

ظ بر آينه خوش شود بصفاى حيثيات بدست بركى كه بيند

عبيد رضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب اخر وبما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانه اذا اهتدوا بى كان الاجر لى والثواب فانما قوى بثواب الله لا يقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو اخيره نبى بأن ثوابه فى الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه فى الاظهار وحبس مع ذلك فى سجن وقيد بالسلاسل لاحتمال فى هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذى به تظهر رياسته من تدريس ووعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثنى عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع فى مالهم فما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع بهذا شرا عدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه فى كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهى غرور بعضهم الى ان يأخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين فانت امام المسلمين وعلمهم وبك قوام الدين فلا يحل لك ان تأخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس فى ثلاثة امور + احدها فى انه مال لا مالك له فانه يعرف انه يأخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط فى اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف فى انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالاخر + الثانى فى قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا فى طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا فى الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين كما ان امام الدين والامام هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف الدجال هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت فى فم الوادى فلا هى تشرب الماء ولا هى تدع الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم فى هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير **وفرقة اخرى** احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوا بالطاعات واجتنبوا اطوار المعاصى وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا انفسهم فى التبرى منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت فى زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان ومخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها واغفلوا مثالها من يريد تنقية الزرع من الحشيش فقد ظفر عليه وفتش عن كل حشيشة وقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن انه قد قلعها فاذا هو بها فى غفلته وقد نبتت وقويت واقسدت اصول الزرع من حيث لا يدرى وكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد لدقائقها فترا ه يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعة ولعل باعثه الخفى هو طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له فى المهمات وايثاره فى الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بمحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسر وربما تخصص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران واكثر اشكال الجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن فى الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور يحيا به فى الباطن بما انتظم له من امور وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغايرت عليه القلوب واعتقد وا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط اوراده ووظائفه وعساه يستذل بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب فى تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه فى الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون فى العمل وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك كفارة لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب فى ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لانتفاء فى العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى ادم انه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع فى حبائلى وعساه يصنف فى تحريم

ل

بنا بهم وبتواضعهم للسلاطين على الغرور بتواضعه للاغنياء وبخشونة العيش وبالتقلل من المطاعم والملابس على الغرور بالزهد

فيه ظانا انه يجمع علم الله ليُنتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدّع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك
مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا
بالدعاوى الطويلة العريضة واما تضمنا بالطعن في غيره ليُستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غُنية عن الطعن
فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يزيد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق اذا قدر
تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزييف الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة كما
يرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة وستين صحفا في الحكمة
فأوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض بقاقا واني لا اقبل من بقاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين انا اجتمعوا ظن كل واحد
ينفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا او غيره فيفرح
ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا افترقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا
انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا ينشرح لقضاء حوائجه كما كان ينشرح من قبل ولا يحرص
على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحير منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافتة من الاتباع كانت تلحقه في هذه
الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره
فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وان
اثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما تقطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسرّ قلبه راضٍ به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك
فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الاكياس ولا ينتزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف
الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصّره بعيوب نفسه ومن سرّته حسنته وساءته
سيئته فهو موجوّ الحال وامره اقرب من المغرور والمزكّي لنفسه الممقوت عند الله بعلمه وعلمه الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار
ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمّة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بعلم
بعض مهماتهم وتركوا اللهم وهم به مغترون اما الاستغناء ثم عن اصل ذلك العلم واما الاقتصار عليه **فمنهم فرقة** اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات
والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق اصلح للمعايش وخصصوا باسم الفقه بما وسموه الفقه وعلم المذهب وبما ضيعوا مع
ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذلك سائر الجوارح
ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا
وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على
الهلاك وهو محتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن
يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات
والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه
واذا احتيج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور
بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال
وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث
العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في
المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو
العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه
لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه وتمهد
لان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة

ل عسى ما فعل مطلقا ويحتمل ما يقع بعده من النعم اما في محل النصب على المفعولية كما اختاره الجوهري او مرفوع بدل مما قبله بدل اشتمال كما اختاره الرضي او هو فاعل فعل محذوف كما اختاره الزجاج ان عسى بمعنى لعل وهو التفضيل في ج ٢ صفحة ١٣

م ق على القوم بقا وبقاقا كثر كلامه اي لم يقبل من اكثر كرشيا بقاق بياي موحدة وبقاقات ١٢ از ق و ع

ف تحير كبوشه رفتن ١٢ من قوله تعالى او متحيزا الى فئة اي منضما الى جماعة من المسلمين ١٢ ص

ب ك م عليه السلام فيما يرسم بالضم فهو يرسم بالفتح ١٢ ق

منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين وليندروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذى يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشرط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال ودفع القتل والجراحات والمال فى طريق الله تعالى والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله فى الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خزانة الراوية والخف ولا شك فى انه لو لم يكن ليتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج فى شئ وبالتسبيل وقد ذكرنا شرح ذلك فى كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة لالزام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار فى التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقوال والتلفق لانواع التشبيهات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمتهم السفه ولا يقصدون العلم الا ضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه فى المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التى تجرى بين المتصارعين فى الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم فى علم الفتاوى لكن زادوا اذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل فى الفقه بدعة لم يعرفها السلف اما أدلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما واما حيل الجدل من الكسر والقلب فساد الوضع والتركيب التعدية فانما ابدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها وغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق فى مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا فى ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون للعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بأن يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد عرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هى التى تدعو الى غير السنة والحقة هى التى تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم * فأما الضالة فلتفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما أوتيت من حيث انهم لم يتفهموا رأيها ولم يحكموا الشروط الادلة ومنهاجها فرأى احدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة * واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انها اهم الامور وافضل القربات فى دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن ولا مؤمن بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها فى تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا انفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة واحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل لكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياء وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث دعت اليه حاجة وتوسموا فى تحايل قبول ذلك بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه واعرضوا عنه وابغضوه فى الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ فى وجهه حب الرمان من الغضب فقال لهذا بعثتم ام بهذا أمرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لبث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم فى مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا فى المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا فى يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على انفسنا الخطاء فى تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا فى بدعته فاشتغالى بمخاصمة نفسى

ل شبر الشاعر بعفاف نفسه قال فيما انزل وعرض بجهل وشبب فقصيدة حسناء وغنى بها زكى الشباب بعض الزوق كمر الزين ومن الترويق للغزير والتحسين الزين ع الجزيرة سود الخلق وجبان سرير يريد فى تيزير فى شكره ١٢ منه

ع فتى الحين كسرها او فتاها

ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى بى ان اتفقد نفسى وانظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحب لا تتزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه **وفرقة اخرى** اشتغلوا بالوعظ والتذكير واعلام نبذة من يتكلم فى اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرورهؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تجروا فى علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق وتائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولو لا انه مقرب عند الله لما عرفه معنى لقرب البعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل فى طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو امن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العزة والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص فى الوصف ويصف الرياء ويذكره ويراءى بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد فى الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويحث بالله تعالى وهو منه امن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصون الناس عن الخلق وهو على الخلق اشد حرصا لو منع عن مجلسه الذى يدعو الناس فيه الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من قبل الخلق عليه وصلحوا على يديه مما خما وحسدا ولو اثنى احد من المتزهدين عليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان الرغبة فى الاخلاق المحمودة والتنفر عن المذمومة هو العلم بفوائدها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغل حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو ان يدعى مثلا حب الله فما الذى تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعى الخوف فما الذى امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذى تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احد احاديث به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا انسا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل يموتون من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم فى الاخرة يقتضحون بل يطرحون فى النار فتتدلق امعاؤهم فيدورون بها احد التدلقين كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون فى قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعانى وهو حب الله والخوف منه والرضى بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية فى هذه المعانى فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما ذر قهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان للمعرفة للتعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق احاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحب والخوف بل فى القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف فى قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بقصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه درجاته واصنافه فهو لا يفارقهم فى صفة المرض لاتصافه به وانما يفارقهم فى الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل لكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصرى وامثاله رحمة الله عليهم **وفرقة اخرى** منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور وفى بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همتهم بالاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرؤن الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصى ورغبة فى الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فانه تشهد حاله

ل ای مثل اسهامهم السهال السيف من الغمد ۱۲

ع ذهب عليهم ای خفی عليهم فلم يدركوا ۱۲

ع احاديث ناقصة مخرومة فهم ببعضها البعض على غير صحة ۱۲ ان دواعی ع الزعقة الصيحة ۱۲

من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا للغرور اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا
وفرقة اخرى منهم تنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم فى ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة
بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنبر وبعضهم فى المحاريب وبعضهم فى الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة
والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد فاز ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام
ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغره وهؤلاء اظهر من غرورا ممن قبلهم **وفرقة اخرى** اشتغلوا او قاتهم فى علم الحديث
اعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور فى البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروى عن فلان
ولقد لقيت فلانا ومعى من الاسناد ما ليس مع غيرى وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معانى السنة فعلمهم
قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بما وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون به ومنها انهم يتركون العلم الذى هو
فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالى منها ولا حاجة بهم الى شئ من ذلك ومنها وهو الذى اكب عليه اهل الزمان انهم
ايضا لا يقنعون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن به فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل
بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبى يحضر فى مجلس
الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبى يلعب ثم يكتب اسم الصبى فى السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ويما يغفل لا يسمع
ولا يصغى ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او نسخ والشيخ الذى يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ
الاصل فى الحديث ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحفظه كما سمعته وتؤديه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع
فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من يسمع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغى لتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطأه
وتحفظك طريقان + احدهما ان تحفظ بالقلب وتسديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك فى مجارى الاحوال + والثانى ان تكتب
كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفى خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما
غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كذابك مذكرا لما سمعته وقائما من فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ
لا بالقلب ولا بالكتاب يجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه للنسخ
التى سمعتها لم يجزك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدرى لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو فى كلمة فاذا لم يكن معك حفظ
بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم فى
هذا الزمان انا سمعنا ما فى هذا الكتاب فان لم يوجد الشرط الذى ذكرناه فهو كذب صريح واقل شروط السماع ان يجرى على الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر
بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبى والغافل والنائم والذى ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبى فى المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبى وافاق المجنون يسمع عليه
ولا خلاف فى عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين فى البطن فان كان لا يكتب سماع الصبى فى المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبى الذى
يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجاز اجاهل فقال يكتب سماع الصبى فى المهد فليكتب سماع الجنين فى البطن فان فرق بينهما
بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد
بلوغى انى فى صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا ادرى ما هو فلا خلاف فى ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب
صريح ولو جاز اثبات سماع التركى الذى لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبى فى المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوخذ هذا
وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها وكيف يؤدى كما سمع من لا يدرى ما سمع
فهذا افحش انواع الغرور وقد بلى بهذا اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه فى الصبى على هذا الوجه مع الغفلة الا
ان المحدثين فى ذلك جاءوا وقبولا لفجاج المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع فى حلقتهم فينقص جاههم ونقل ايضا احاديثهم التى
قد سمعوها بهذا الشرط بل يعاودون ذلك واقتضوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه ومدة ما وان كان لا يدرى ما يجرى وصحة
السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به فى قوانين اصول الفقه فهذا غرور
هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين فى اقتصارهم على النقل وفى اثناء اعمارهم فى جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين

ل
اى العقل بالضم والفاء
فيه من القتل والطرد
وغيرها والاضافة
فيه من الارضين وما
لا منفعة عليه من الدواب
والشجر المجهول فافهم
١٢ ق

ع
اى ان كلهم جاهل سماع
الصبى فى المهد فقال
لا لزامه فليكتب سماع
الجنين ايضا ١٢
ع
وهم عليكم منتصبا
والدمية التصوير ١٢ ق

ومعرفة معانى الاخبار بل الذى يقصد من تحديث سلوك طريق الاخرة ربما يفنيه الحديث الواحد عما كما روى عن بعض المشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفينى هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يجدون الغرور **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفنى هؤلاء اعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط فى تصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند وانما فادتنا لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريب فى الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهذا فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعانى الشرعية والعمل بها فهذا ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعانى وانما الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء وضيع اوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب القرآت والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين فاللب الاقصى هو العمل الذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقائمون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوزها الى ما وراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب او فى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها ارباب فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة فى انها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثانى محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به **وفرقة اخرى** عظم غرورهم فى فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه فى مجلس القضاء فوضعوا الحيل فى دفع الحقوق وأساؤا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر فلخطأ وافيها وهذا من قبيل الخطأ فى الفتوى والغرور فيه والخطأ فى الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى مثلة له فمن ذلك فتواهم بأن امرأة متى ابرأت من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطاء بل الزوج قد يسيئ الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا على طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابل حتى اذا تردد بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضى فى الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضى الاكبر فى صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا فى تحصيل الابراء وكذلك لا يحل ان يوخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملإ من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله فى خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو ألم التسليم فسلم فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال فى مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذى يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما فى القلب وكذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يوخذ على هذا الوجه فهو حرام الم تر ما جاء فى قصة داود عليه السلام حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لى بخصمى فأمر بالاستحلال منه وكان مليئا فأمر بنداءه فى صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فأجابه لبيك يا نبى الله اخرجتنى الى الجنة

ل
نحاه ساقط
وفهم كتبناه وانجاه
ط ق

فما ذا تريد فقال انى اسأت اليك فى امر فهبه لى قال قد فعلت ذلك يا نبى الله فانصرف وقد لكن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فادع فنادى فبين له فوجع فناداه فقال لبيك يا نبى الله فقال انى اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك قال الا تسألنى ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبى الله قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا اودى الا تجيبنى قال يا نبى الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدى الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الراس حتى رحمه الله ان يستوهبه منه فى القيمة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون فى الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الانسان واختياره حتى تنبعث تلك الدواعى من ذات نفسه لا ان تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة فى اخر الحول من زوجته او ابنها به ما لها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعى قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم فى القيامة ويكون كمن سلم ماله المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تمهد لك بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الامانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم دعوتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها فى العبادة وسلوك طريق الله تعالى فكل ما تناولوه العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء فى امثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول

الصنف الثانى ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غرور فى الصلاة ومنهم فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس قليل ما هم **فمنهم فرقة** اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذى يغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع ابوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو اعز الاشياء فيما له منذوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سنى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك **وفرقة اخرى** غلب عليها الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته وقد يوسوسون فى التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى اول الصلاة ثم يغفلون فى جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا تعبوا انفسهم فى تصحيح النية فى اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم **وفرقة اخرى** تغلب عليهم الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار ومن مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والالتفاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدى الرسالة ويتأنق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها ويحور مرة بعد اخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فيما اخل به بان تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل **وفرقة اخرى** اغلقوا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه فى اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجرى به وقلبه يتردد فى اودية الامانى اذ لا يتفكر فى معانى القرآن ليتزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن المنتهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه وما لكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهى فلم يهتم عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستهزئ بخلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب

قصره ١٢

بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو رقد الحانه بشعر وكلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته **وفرقة اخرى** اغتروا بالصوم ودوامه صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبواطنهم عن الحرام عند الافطار والسنتهم عن الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة اخرى** اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويجفون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه فهو مغرور **وفرقة اخرى** اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا فرد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه فلظا القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي وهزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقدم امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع واعلم منه ثقل عليه **وفرقة اخرى** جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفهم ان فلانا مجاور بمكة وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك وصريح التحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور ويمد عين طمعه الى اوساخ اموال الناس واذا اجتمع من ذلك شيء اشتغل به وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب **وفرقة اخرى** زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال فلو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لابد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله وينصرف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر وردّه في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذين ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء وميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه فيه محسن آخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك يجهل الناس بخبائث باطنه **وفرقة اخرى** حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض وترى احدهم

ل لعل المكس النقص والظلم ودراهم كانت توخذ من بائعي الخمر في ايام الاسواق
م لعله كان في اجارته او دينه
ن لعله والمصدق بدون ذلك
س لعله والصدقة تدفع الرفث كما في الخبر
ع لعله يتحدث
ف لعله حرده يحرده قصده وسعى فيه وكفر برد سمح غضب فهو حارد وحرد
ص لعله تضمخ بالمسك
ق لعله الواسع
ر لعله ان
ش لعله خشن
ت لعله حتى او غزوا لعله
ث لعله الحرير
خ لعله واقتنى الفضة وفرقه نفوذ ان ينفق الفضة وفرقه

يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد الفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشر ربل قد يتعين على الانسان في احدهما يفوت والآخر لا يفوت او تفوت احدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له مَنْ أبرُّ يا رسول الله قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال دناك فادناك فينبغي ان يبدأ في الصلة بالاقرب فالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ما ينفقة الوالدين والحج فرض عين وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة والجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على بوابه واصل السبب في ذلك فالنجاسة محذور وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا اغرر في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب ان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في جوارحه فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهات وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه **الصنف الثالث** المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة **ففرقة منهم** وهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي ادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما اجاز لهم ان يعدوا انفسهم في الصوفية كيف ولم يجوعوا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على التقدير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين مبتت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من دجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تنشرت عليها وتعلمت كيف هيئة تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامرت بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قد رغنائها في الشجاعة فتاجرمت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فالقوها قدام الفيل لسحقها فالقيت الى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وسرهوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب **وفرقة اخرى** زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضى بالدون فاراد ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الشهير والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ادفع قيمة من الحرير والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بتفصيل الثياب وتذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين وشرهم **وفرقة اخرى** ادعت علم المعرفة

ف ١ من ابر الموصول مفعول مقدم كما افضل يعني كالهم كريم صلة واحسان كنم ف ٢ فان السائل والفقاوي تتعلق بالجوامع ف ٣ الصعداء بالفتح والمد تنفس ممدود ١٢ ف ٤ عام فلان على الامر جدا دامه وهم چومان كردن چيزرا برگشتن سر اسپ وچوگان ساق وص ف ٥ سام الامر فلانا كلفه اياه ١٢ ان يتكالبون اي يتواثبون ف ٦ منافسة رغبت كردن دريچيزي كه بسيار باشد وهم نفيس كه دون هم يتنافسون ف ٧ بطل بالتخفيف والتثقيل دليرشدن ص ف ٨ الرجز بالتحريك ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات كما تقدم في الطويل اجزائه وقلة حروف فروان ق نقن سبك گرفتن چيزرا ١٢ ص ف ١٠ الخبي في الحدو بالغ في اجراء فيهم وفلانا اوبته ١٢ ن ف ١١ الزنا بالكسر البئر وتربتها ترحال ق ف ١٢ اللغة الصوف والثياب تجلس من السندس والديباج مخففة ١٢ ق

ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب لا يعرف احد هم هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يردّدها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيردّدها كانه يتكلم عن الوحى ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون ويقول فى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدّعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار والمنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خُلقا ولم يرتّب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف المذيان وحفظه **وفرقة اخرى** وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع ودفضوا الاحكام وسوّوا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم أتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل انما كلفوا تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدّهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على غاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به واحياء اصنافهم يطول **وفرقة اخرى** جاوزت حد هؤلاء واحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصيانته عن المقامات من الزهد والتوكل والرضى والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدّعى الوجد بالحب لله تعالى ويزعم انه والله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة او كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن معارفة ما يكره الله عز وجل وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما ترك حياء من الله تعالى وليس يدرى ان كل ذلك ينافض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدرى ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا بما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها **وفرقة اخرى** ضيّقت على نفسها فى امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه واخذ يتعمق فى غير ذلك وليس يدرى المسكين ان الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور **وفرقة اخرى** ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدّوا للخدمة الصوفية فجمعوا اقواما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارتفاق وغرضهم الاستتباع ولم يظهروا ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جمعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم بجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج كالواحة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة **وفرقة اخرى** اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع احوالهم مشتغلون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب يشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن العيوب وتحرير علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة اخرى** جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها ففرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم

بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك عزو وكان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف السالك مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك **وفرقة اخرى** جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار فى الطريق ولا الى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين فى السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القرية الى الله تعالى فظنوا انهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ولا يصل لسالك الى حجاب من تلك الحجب فى الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها فى الصغر ويعلم انها ليست الهة وهى كثيرة وليست ولعل الجهال يعلمون ان الكوكب ليس بالٰه فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذى لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التى هى من حجب الله عز وجل وهى على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهى حجب من النور بعضها اكبر من بعض واصغر النور الى الكوكب فاستعد لسلفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما ارى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه فى اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذى لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوى فى خضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر ربانى وهو نور من انوار الله تعالى اعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو فى اول الامر محجوب بمشكاة هى كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه دهما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه فى هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى فى المرآة بالمرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ماء الزجاج بالزجاج كما قيل **رباعية** رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر * فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر * وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة او فى ماء فيظن ان الكوكب فى المرآة او فى الماء فيمد اليه اليد لياخذه وهو مغرور وانواع الغرور فى طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختص وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى له من المكاشفات التى اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الان كما يكذب بما سمعه من قبل **الصنف الرابع** ارباب الاموال والمغترون منهم فرق **ففرقة منهم** يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما بأعيانها واما بردبدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان يظهر ذلك للناس فيلبنون الابنية بالاجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحبهم على بقائها لبقاء اسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير * والوجه الثانى انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذى انفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمها ولم يكتب لو لا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك **وفرقة اخرى** ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على المساجد وهى ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون فى جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم وافضل واولى من الصرف الى بناء للمسجد

ح٥ صح عليه اى اقام وصح كما النزل الى جبل ملتبه عليه اقام وكذلك التعريج ١٢ من

ح٥ جون يوشيدن در كار ونه جيز صرفى الامر ٣ من

ح٥ يقال جن عليه الليل وجنه واجنه ستره ١٢ من

ح٥ الهوى السقوط ١٢ من

وزينتها وانما يخف عليهم الصوف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس ۞ والثانى انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التى هى منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة له الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع لله ممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته اذ المسجد للتواضع وحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار اتى رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلى يدخل بيت الله فكتب على المكان عند الله صديقا فبهذا ينبغى ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد كان يرى تلوث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا مِنّة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتى امتى بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التى تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبنى مسجد المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة اذرع طولا فى السماء لا ترخرفه ولا تنقشه فغرد رهذا من حيث انه رأى للتكثر معروفا واتكل عليه **وفرقة اخرى** ينفقون الاموال فى الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء بالمعروف ويكرهون التصدق فى السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود فى اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يمون عليهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يَحْوِى باحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور الى جنبه لا يواسيه وقال ابو نعيم التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتأمرنى بشئ فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفى درهم قال بشر فاى شئ تبتغى بحجتك نزهتا واشتيقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت مرضاة الله تعالى وانت فى منزلك تنفق الفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى افتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مدايون يقضى دينه وفقير يلم به شعثه ومعيل يحيى عياله ومرمل يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخال السرور على قلب مسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام ثم فاخرجها كما امرتك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا ابا نصر سفرى اقوى فى قلبى فتبسم بشر رحمه الله تعالى واقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضى بها وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وتقرب الى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين **وفرقة اخرى** من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل فى ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطلم السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل للبشر ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال للمسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء **وفرقة اخرى** غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردئ الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد فى حاجاتهم او من يحتاجون اليه فى المستقبل للاستخدام فى خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض ويسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور اصحاب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا فى الخير فان لم يهج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة فتبكى النساء فيبكى وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يضع يده على رأسه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء

ای علی المکان الذی وقع فیه فکره وانما وقبل هذا المراد ای نفسه فخر ال لدخل بیته کشریف ۱۲

ای یهوی فرفقادت ۱۲ من در بیکرستان میرود وبمسایه میگوید او محتاج باشد ۱۲ جامعی

مواساة بال ایتان کسی فحوا رکی کردن

ای اصلح وجمع ما تفرق من امور کن وبارمد والشعث بفتحتین الانتشار ۱۲ ع

خشم خذ آوردن کسی را اداالاسم الخشرة وهو الاخیاذ بالغضب ایضا احتشام خشمت داشتن یعنی نرم شدن وخشم آوردن خشم الرجل ۱۲ کان مرد وکسان کردن غضب کنید بر وبگران ۱۲ ص

القصیص قریبا لیدین بعضها علی بعض ۱۲

فيسمع ما يجرى او الجائع الذى يحضر عنده من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغنى عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع
وصف الطاعات دون العمل بها لا يغنى من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغيرا فعالك حتى تقبل على الله تعالى قبالا قويا او ضعيفا و
تعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص منه احد
ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته فى شئ
اظهر اليأس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق فى الوصول الى الغرض
حتى ان الانسان اذا أراد ان يستنزل الطير المحلق فى جو السماء مع بعده منه استنزله واذا اراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحار استصعده
واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة فى البرارى والصحارى اقتنصها واذا اراد
أن يستنزل السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استنزلها واذا اراد ان يأخذ الحيات والافاعى ويعبث بها اخذها واستخرج الدرياق من اجوافها
واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب طولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة
ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر الباذى لاقتناص الطيور وهياء
الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من فنون حيل الادنى كل ذلك لان همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر آخرته فليس عليه
الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتعاذل وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمته هذا الهم
الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شئ لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت
ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت فى ذكر
مداخل الغرور فبهم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها + اما العقل فاعنى به الفطرة
الغريزية والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فضعف
العقل وذكاء الفهم لا بد منه فى اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالمدارسة فاساس
السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوى علمهما وبرهما وصومهما
وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابى الدرداء انه قيل يا رسول
الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو فى سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما تعلم منزلته عند الله يوم
القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اتنى على رجل عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان
الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يتقرب الناس الى قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شدة
عبادته سأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشئ قال
لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى فى اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها + الثانى المعرفة
واعنى بالمعرفة ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا فى هذا العالم
واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه
وليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجائب القلب كتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيهما اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال
الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة ودواءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب فى هذا الكتاب الا فى علوم المعاملة واما معرفة الدنيا
والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله
وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير لهم امور ما يوصله الى الله تعالى وينفعه فى الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته فى الامور
كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته وانتفع عنه كل غرور منشأه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا
والجاه والمال فان ذلك هو للنفس الدنية ومادامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضى الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله
وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعنى العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بان الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك عداوة عناه فى
علوم الدين فى غير من ربع العبادات اشرنا الى طرفا فيد اعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فيأخذه بآداب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه

ل
الوعظ ضد الهوى فكيف يستولى الطريق اذا اراد وعظا
۱۲ ق
ل
تحقيق
بلند تر رفتن مرغ دريرا
۱۲ س

ل
گاه ذلت رجلاه اى
ضعفا فذلان فرو
گذاشتن وباز ماندن
آبهوار رسيد يقال فذلت
الوحشية على الماء وتذالت
شد ۱۲ س

ل
شت گاه پراگنده
وجماعة اشتاتا متفرقين
۱۲ س

ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة فى طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التى لابد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر من الانواع التى اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التى ذكرناها فان قلت فانا نعلم جميع ذلك فما الذى يخاف عليه فأقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب نفسه واخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى فى اوهم سكارى فى دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وتقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فتغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يمدهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ويلزم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق لله وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك لا يتصرف لشدة ضرياز الالم فوجد لدواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة فى تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذى يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفى اوجز زمان فاخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفى من امراض القلب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل دواؤهم وقرب هلاكهم وشفاؤهم وسهل عليه دواءهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم فى الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع فى الزى والهيئة فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من اباهم وامهاتهم واقاربهم فآثروه بابدانهم واموالهم وصار والله خولا كالعبيد والخدم فخدموه وقدموه فى المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطمع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع فى اعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انقياد الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من التغضب بادر الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك افتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد فى الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هى جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه فى القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتم ذلك اذ مثال الذى يرى الرجل جماعة من اخوانه قد قعدوا فى بئر وتعطى راس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من راس البئر فشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى يتيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرضه لنامح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه وكفاه ذلك لم يثقل عليه اذ رأيت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم اكان ينبغى ان يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك فى نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فأقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم واعراضهم

---

١ التعلق الاضطرارى
٢ قربا الى الحج قربانا اشتروه وهو ٢ س
٣ صفوا صفوا الى اصلا صافيا ١٢
٤ تعريض بريا كمنى كردن
٥ الخول تخم الرجل واتباعه جمع خائل وقد يكون واحدا ويقع على العبد والامة ماخوذ من التخيل كأنه قيل من الرعاية ١٢ الخ
وقيعة غيبت كردن ١٢ س

فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فانه لا يبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم يرسائر الناس كالماشية التى لا يلتفت الى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذى يضئ غيره ويحترق فى نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ لاعتذر هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فكيف قول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطل المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا لانه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الا كثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بزكهم فلم يترك النصح وذكر ما فى حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ بحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنى والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصى بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم فانما يخشى ان تندرس طريق الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذى يخاف عليه وما الذى بقى بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقى عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد عجزتنى وافلتّ منى بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله قدرك ومحلك اذ قوّاك على قهرى ومكّنك من التفطن لجميع مداخل غرورى فيصغى اليه ويصدقه ويعجب بنفسه فى ذلك فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب لذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعملك تخلصت منى فبجهلك قد وقعت فى حبائلى فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته فمن عرف ضعف نفسه وعجزه من اقل القليل فاذا اقدم على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذى يخاف عليه بعد نفى العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد شذ عنه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى غير هو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله فى كل طرفة عين غيرا من من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء فى وقت النزع وكان قد بقى له نفس فقال افلتّ منى يا فلان فقال لا بعدُ ولذلك قيل للناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا الغرور دهاك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله ابدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم كتاب ذم الغرور ويليه تم ربع المهلكات ويتلوه فى اول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله اولا واخرا وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

تمت

تم الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع

كتبه اشرف على اشرف

فہرست الجزء الرابع من کتاب احیاء علوم الدین لحجۃ الاسلام ابی حامد محمد الغزالی رحمہ اللہ تعالی

کتاب التوبۃ	۲
الرکن الاول فی نفس التوبۃ بیان حقیقۃ التوبۃ وحدھا	۳
بیان وجوب التوبۃ وفضلھا	″
بیان ان وجوب التوبۃ علی الفور	۵
بیان ان وجوب التوبۃ عام فی الاشخاص والاحوال فلا ینفک احد عن البتۃ	۶
بیان ان التوبۃ اذا استجمعت شرائطھا فھی مقبولۃ لامحالۃ	۸
الرکن الثانی فیما عنہ التوبۃ وھی الذنوب صغائرھا وکبائرھا	۹
بیان اقسام الذنوب بالاضافۃ الی صفات العبد	″
بیان کیفیۃ توزع الدرجات والدرکات فی الاخرۃ علی الحسنات والسیئات فی الدنیا	۱۳
بیان ما تعظم بہ الصغائر من الذنوب	۱۷
الرکن الثالث فی تمام التوبۃ وشروطھا ودوامھا الی آخر العمر	۱۸
بیان اقسام العباد فی دوام التوبۃ	۲۳
بیان ما ینبغی ان یبادر الیہ التائب ان جری علیہ ذنب اما عن قصد او سھو	۲۵
الرکن الرابع فی دواء التوبۃ وطریق العلاج لحل عقدۃ الاصرار	۲۷
کتاب الصبر والشکر	۳۲
الشطر الاول فی الصبر بیان فضیلۃ الصبر	۳۳
بیان حقیقۃ الصبر ومعناہ	″
بیان کون الصبر نصف الایمان	۳۵
بیان الاسامی التی تتجدد للصبر بالاضافۃ الی ما عنہ الصبر	۳۶
بیان اقسام الصبر بحسب اختلاف القوۃ والضعف	″
بیان مظان الحاجۃ الی الصبر وان العبد لا یستغنی عنہ فی حال من الاحوال	۳۷
بیان دواء الصبر وما یستعان بہ علیہ	۴۰
الشطر الثانی من الکتاب فی الشکر الرکن الاول فی نفس الشکر بیان فضیلۃ الشکر	۴۳
بیان حد الشکر وحقیقتہ	″
بیان طریق کشف الغطاء عن الشکر فی حق اللہ تعالی	۴۵
بیان تمییز ما یحبہ اللہ تعالی عما یکرھہ	۴۸
الرکن الثانی من ارکان الشکر ما علیہ الشکر وھو النعمۃ بیان حقیقۃ النعمۃ واقسامھا	۵۴
بیان وجہ الانموذج فی کثرۃ نعم اللہ تعالی وتسلسلھا وخروجھا عن الحصر والاحصاء	۵۹
بیان السبب الصارف للخلق عن الشکر	۶۷
الرکن الثالث فیما یشترک بہ الصبر والشکر بیان وجہ اجتماع الصبر والشکر علی شیء واحد	۶۹
بیان فضل النعمۃ علی البلاء	۷۲
بیان الافضل من الصبر والشکر	۷۳
کتاب الرجاء والخوف	۷۶
الشطر الاول بیان حقیقۃ الرجاء	″
بیان فضیلۃ الرجاء والترغیب فیہ	۷۸
بیان دواء الرجاء والسبیل الذی یحصل منہ حال الرجاء ویغلب	″
الشطر الثانی فی الخوف بیان حقیقۃ الخوف	۸۲
بیان درجات الخوف واختلافھا فی القوۃ والضعف	۸۳
بیان اقسام الخوف بالاضافۃ الی ما یخاف منہ	۸۴
بیان فضیلۃ الخوف والترغیب فیہ	۸۵
بیان ان الافضل ھو غلبۃ الخوف او غلبۃ الرجاء او اعتدالھما	۸۷
بیان الدواء الذی بہ یستجلب حال الخوف	۸۹
بیان معنی سوء الخاتمۃ	۹۲
بیان احوال الانبیاء والملائکۃ علیہم الصلوۃ والسلام فی الخوف	۹۶
بیان احوال الصحابۃ والتابعین والسلف الصالحین فی شدۃ الخوف	۹۸
کتاب الفقر والزھد	۱۰۱
بیان حقیقۃ الفقر واختلاف احوال الفقیر واسامیہ	۱۰۲
بیان فضیلۃ الفقر مطلقا	۱۰۳
بیان فضیلۃ خصوص الفقراء من الراضین والقانعین والصادقین	۱۰۶
بیان فضیلۃ الفقر علی الغنی	۱۰۷
بیان آداب الفقیر فی فقرہ	۱۰۹
بیان آداب الفقیر فی قبول العطاء اذا جاءہ بغیر سوال	۱۱۰
بیان تحریم السوال من غیر ضرورۃ وآداب الفقیر المضطر فیہ	۱۱۲
بیان مقدار الغنی المحرم للسوال	۱۱۴
بیان احوال السائلین	۱۱۵
الشطر الثانی من الکتاب فی الزھد بیان حقیقۃ الزھد	″
بیان فضیلۃ الزھد	۱۱۷
بیان درجات الزھد واقسامہ بالاضافۃ الی نفسہ والی المرغوب عنہ والی المرغوب فیہ	۱۲۰
بیان تفصیل الزھد فیما ھو من ضروریات الحیاۃ	۱۲۲
المھم الاول المطعم	۱۲۳
المھم الثانی الملبس	″
المھم الثالث المسکن	۱۲۵
المھم الرابع اثاث البیت	۱۲۶
المھم الخامس المنکح	″
المھم السادس ما یکون وسیلۃ الی ھذہ الخمسۃ وھو المال والجاہ	۱۲۷
بیان علامات الزھد	۱۲۹
کتاب التوحید والتوکل	۱۲۹
بیان فضیلۃ التوکل	۱۳۰
بیان حقیقۃ التوحید الذی ھو اصل التوکل	″
الشطر الثانی من الکتاب فی احوال التوکل واعمالہ بیان حال التوکل	۱۳۹
بیان ما قالہ الشیوخ فی احوال التوکل	۱۴۲
بیان اعمال المتوکلین الفن الاول فی جلب النافع	″
بیان توکل المعیل	۱۴۶
بیان احوال المتوکلین فی التعلق بالاسباب بضرب مثال	۱۴۸
الفن الثانی فی التعرض لاسباب الادخار	۱۴۹
الفن الثالث فی مباشرۃ الاسباب الدافعۃ للضرر المتوھم للخوف	۱۵۰
بیان اخلاق المتوکلین اذا سرق متاعھم	۱۵۲
الفن الرابع فی السعی فی ازالۃ الضرر کمداوۃ المرض وامثالہ	۱۵۳
بیان ان ترک التداوی قد یحمد فی بعض الاحوال	۱۵۴
بیان الرد علی من قال ان ترک التداوی افضل بکل حال	۱۵۶
بیان حکم التوکل فی اظھار المرض وکتمانہ	۱۵۷
کتاب المحبۃ والشوق والانس والرضا	۱۵۸

بیان شواهد الشرع فی حب العبد الله تعالے	۱۵۹
بیان حقیقة المحبة واسبابها وتحقیق معنی محبة العبد لله تعالے	//
بیان ان المستحق للمحبة هو الله وحده	۱۶۲
بیان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالے والنظر الی وجهه الکریم	۱۶۶
بیان السبب فی زیادة لذة النظر فی الاخرة علی المعرفة فی الدنیا	۱۶۹
بیان الاسباب المقویة لحب الله تعالے	۱۷۱
بیان السبب فی تفاوت الناس فی الحب	۱۷۳
بیان السبب فی قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالے	۱۷۴
بیان معنی الشوق الی الله تعالے	۱۷۵
بیان محبة الله للعبد ومعناها	۱۷۸
القول فی علامات محبة العبد لله تعالے	۱۷۹
بیان معنی الانس بالله تعالے	۱۸۵
بیان معنی الانبساط والادلال الذی تثمره غلبة الانس	//
القول فی معنی الرضا بقضاء الله وحقیقته وما ورد فی فضیلته	۱۸۷
بیان حقیقة الرضا وتصوره فیما یخالف الهوی	۱۸۹
بیان ان الدعاء غیر منافض للرضی	۱۹۱
بیان ان الفرار من البلاد التی هی مظان المعاصی مذمتها لا یقدح فی الرضا	۱۹۳
بیان جملة من حکایات المحبین واقوالهم ومکاشفاتهم	۱۹۴
خاتمة الکتاب بکلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ینتفع بها	۱۹۶
کتاب النیة والاخلاص والصدق	۱۹۷
الباب الاول فی النیة بیان فضیلة النیة	//
بیان حقیقة النیة	۱۹۸
بیان سر قول رسول الله صلی الله علیه وسلم نیة المؤمن خیر من عمله	۱۹۹
بیان تفصیل الاعمال المتعلقة بالنیه	۲۰۱
بیان ان النیة غیر داخلة تحت الاختیار	۲۰۴
الباب الثانی فی الاخلاص وفضیلته وحقیقته ودرجاته بیان فضیلة الاخلاص	۲۰۵
بیان حقیقة الاخلاص	۲۰۷
بیان اقاویل الشیوخ فی الاخلاص	۲۰۸
بیان درجات الشوائب والآفات المکدرة للاخلاص	۲۰۹
بیان حکم العمل المشوب فی استحقاق الثواب به	۲۱۰
الباب الثالث فی الصدق وفضیلته وحقیقته فضیلة الصدق	۲۱۱
بیان حقیقة الصدق	۲۱۲
کتاب المراقبة والمحاسبة	۲۱۵
المقام الاول من المرابطة المشاطة	۲۱۶
المرابطة الثانیة المراقبة	۲۱۷
بیان حقیقة المراقبة ودرجاتها	۲۱۸
المرابطة الثالثة محاسبة النفس	۲۲۲
المرابطة الرابعة فی معاقبة النفس علی تقصیرها	۲۲۳
المرابطة الخامسة المجاهدة	۲۲۴
المرابطة السادسة فی توبیخ النفس ومعاتبتها	۲۲۹
کتاب التفکر والاعتبار	۲۳۳
فضیلة التفکر	۲۳۴
بیان حقیقة التفکر وثمرته	۲۳۵
بیان مجاری الفکر	۲۳۶
بیان کیفیة التفکر فی خلق الله تعالے	۲۴۰
کتاب ذکر الموت وما بعده	۲۴۹
الشطر الاول فی مقدماته وتوابعه	//
الباب الاول فی ذکر الموت والترغیب فی الاکثار من ذکره	۲۵۰
بیان فضل ذکر الموت کیفما کان	//
بیان الطریق فی تحقیق ذکر الموت فی القلب	۲۵۱
الباب الثانی فی طول الامل وفضیلة قصر الامل وسبب طوله وکیفیة معالجته وتحصیل قصر الامل	//
بیان السبب فی طول الامل وعلاجه	۲۵۳
بیان مراتب الناس فی طول الامل وقصره	۲۵۴
بیان المبادرة الی العمل وحذر آفة التاخیر	۲۵۵
الباب الثالث فی سکرات الموت وشدته وما یستحب من الاحوال عند الموت	۲۵۶
بیان ما یستحب من احوال المحتضر عند الموت	۲۵۸
بیان الحسرة عند لقاء ملک الموت بحکایات یعرب بلسان الحال عنها	۲۵۹
الباب الرابع فی وفاة رسول الله صلی الله علیه وسلم والخلفاء الراشدین	۲۶۰
وفاة رسول الله صلی الله علیه وسلم	//
وفاة ابی بکر الصدیق رضی الله عنه	۲۶۴
وفاة عمر بن الخطاب رضی الله عنه	۲۶۵
وفاة عثمان رضی الله عنه	//
وفاة علی کرم الله وجهه	۲۶۶
الباب الخامس فی کلام المحتضرین من الخلفاء والامراء والصالحین رضی الله عنهم اجمعین	//
بیان اقاویل جماعة من خصوص الصالحین من الصحابة والتابعین ومن بعدهم	۲۶۷
الباب السادس فی اقاویل العارفین علی الجنائز والمقابر وحکم زیارة القبور	۲۶۸
بیان حال القبر واقاویلهم عنده القبور	۲۶۹
بیان اقاویلهم عند موت الولد	۲۷۱
بیان زیارة القبور والدعاء للمیت	
الباب السابع فی حقیقة الموت وما یلقاه المیت فی القبر الی نفخ الصور بیان حقیقة الموت	۲۷۳
بیان کلام القبر للمیت وکلام الموتی اما بلسان المقال او بلسان الحال	۲۷۶
بیان عذاب القبر وسوال منکر ونکیر	//
بیان سوال منکر ونکیر وصورتهما وضغطة القبر وبقیة القول فی عذاب القبر	۲۷۸
الباب الثامن فیما عرف من احوال الموتی بالمکاشفة فی المنام	۲۷۹
بیان منامات تکشف عن احوال الموتی والاعمال النافعة فی الاخرة	۲۸۱
بیان منامات المشائخ رحمة الله علیهم اجمعین	//
الشطر الثانی من الکتاب فی احوال المیت من النفخة الصور الی آخر الاستقرار اما فی الجنة واما فی النار وفیه صفة	۲۸۳
صفة ارض المحشر واهله صفة العرق صفة طول یوم القیمة	۲۸۵
صفة یوم القیمة ودواهیها واسامیها صفة المسائلة	۲۸۷
صفة الخصماء ورد المظالم صفة الصراط	۲۹۱
صفة الشفاعة صفة الحوض	۲۹۳
القول فی صفة جهنم وهولها وانکالها	۲۹۴
القول فی صفة الجنة ولمشاهد نعیمها	۲۹۷
بیان جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة ورد ت بها الاخبار	۳۰۰
صفة الرؤیة والنظر الی وجه الله تبارک وتعالے	۳۰۱
نختم الکتاب بباب فی سعة رحمة الله تعالی سبیل التفاول بذلک	۳۰۱

تمت

هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون

لقد من الله على المؤمنين اذ وفقهم لنيل الثواب وصرف همهم الى الاشتغال بطبع هذا
الكتاب المشتمل على الحكم الشرعية النبوية واسرار الملة المصطفوية المنتخبات
لبيناتها والاخبار باثار السالكين ابرار الناطقين بالصدق والمدعو الى الحق وسيلة الواصلين الى الحق يقينا

الدر الثمين والمرجان من احاديث سيد المرسلين

الذي الفه الامام حجة الاسلام فخر الانام العلامة المحقق المدقق الفهامة المشتهر في
المشارق والمغارب مقتدى كل مطلوب طالب شمس الفخر والمعالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه بحبوحة جنانه وامطر عليه شآبيب رضوانه

في المطبعة المنشئة بكوم الخيمي
طبع بالمطبع المختص الجمال نزول كشور الخيمي

اَلرُّبُعُ

اَلرَّابِعُ مِنَ الْاِحْيَاءِ

كِتَابُ التَّوْبَةِ وَهُوَ الْاَوَّلُ مِنْ رُبُعِ الْمُنْجِيَاتِ مِنْ كُتُبِ اِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى بتحميده يستفتح كل كتاب ؛ وبذكره يصدر كل خطاب ؛ وبتحميده يتنعم اهل النعيم فى دار الثواب ؛ وباسمه يتسلى الاشقياء وان اخرج ونم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ؛ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وتتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ؛ ونمزج الخوف برجائنا فرج من لا يرتاب ؛ انه مع كونه غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب اما بعد فان التوبة عن الذنوب ؛ بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب ؛ مبدأ طريق السالكين ؛ وراس مال الفائزين ؛ واول اقدام المريدين ؛ ومفتاح استقامة المائلين ؛ ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ؛ ولابينا آدم عليه الصلوة والسلام وعلى سائر الانبياء اجمعين ؛ وما اجدر بالاولاد ؛ الاقتداء بالآباء والاجداد ؛ فلا غرو ان اذنب الادمى واجترم ؛ فهى شنشنة نعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ؛ ولكن الاب اذا جبر بعده ما كسره وعمر بعد ان هدمه ؛ فليكن النزوع اليه فى كلا طرفى النفى والاثبات والوجود والعدم ؛ ولقد فرع آدم سن الندم ؛ وتندم على ما سبق منه وتقدم ؛ فمن اتخذه قدوة فى الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ؛ بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين ؛ والتجرد للشر دون التلافى سجية الشياطين ؛ والرجوع الى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الادميين ؛ فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان ؛ والمتجرد للشر شيطان ؛ والمتلافى للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان ؛ هذا زوج فى طينة الانسان شائبتان ؛ واصطحب فيه سجيتان ؛ وكل عبد صحح نسبه اما الى الملك او الى آدم او الى الشيطان ؛ فالتائب قد اقام البرهان ؛ على صحة نسبه الى آدم لملازمته حد الانسان ؛ والمصر على الطغيان ؛ مسجل على نفسه بنسب الشيطان ؛ فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان ؛ فان الشر معجون مع الخير فى طينة آدم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضرورى فى تخليص جوهر الانسان من خبائث الشيطان واليك الان اختيار اهون الشرين ؛ والمبادرة الى اخف النارين ؛ قبل ان يطوى بساط الاختيار ؛ ويساق الى دار الاضطرار ؛ اما الى الجنة واما الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها فى صدر ربع المنجيات لشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها وتتضح ذلك بذكر اربعة اركان **الركن الاول** فى نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفى جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة **الركن الثانى** فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى

وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التى بها تعظم الصغائر **الركن الثالث** فى بيان شروط التوبة وادوائها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين فى دوام التوبة **الركن الرابع** فى السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج فى حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة ان شاء الله عز وجل **الركن الاول** فى نفس التوبة **بيان** حقيقة التوبة وحدها اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم الاول والحال الثانى والفعل الثالث والاول موجب للثانى والثانى موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله فى الملك والملكوت **اما العلم** فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تالم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوب تالم فان كان فواته بفعله تاسف على الفعل المفوت فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت للمحبوب ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم فى القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل يتعلق بالحال وبالماضى وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذى كان مرتكبا له واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى اخر العمر واما بالماضى فبتلافى ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعنى بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تاكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرف على القلب نار الندم فيتالم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان فى ظلمة فيسطع النور عليه بانفشاع سحاب وانحسار حجاب فيرى محبوبه وقد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب فى قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك فى الحال والاستقبال والتلافى للماضى ثلاثة معان مرتبة فى الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتاخر وبهذا الاعتبار قال عليه السلام الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعنى ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل فى حد التوبة انه ذوبان الحشا المسبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار فى القلب تلتهب وصدع فى الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل فى حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة وهو الاقاويل فى حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعانى الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل فى حدودها عن الاحاطة قاصر عن جميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة **بيان** وجوب التوبة وفضلها: اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والايات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يمشي بنوره الذى بين يديه فى ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده فى كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغنى عن القائد فى خطوه واما بصير يهديه الى اول الطريق ثم يهتدى بنفسه وكذلك الناس فى طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد فى خطوه فيفتقر الى ان يسمع فى كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله ورب ما يعوزه ذلك فيتحير فيصير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن بصره الله شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طرق عويصة وقطع عقبات متعبة ويشرق فى قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نوره باطنه يحتوى بادنى بيان فكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج الى نص منقول فى كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هى ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك فى ثبوتها وذلك بان يعلم بان معنى الواجب ما هو واجب فى الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد فانه لو لا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشئ وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا اصلا وعاجلا فى فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم ان لا سعادة فى دار البقاء الا فى لقاء الله تعالى وان كل محجوب عن شئ فلا محالة حصول بينه وبين ما يشتهى محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفانى والاكباب على حب الدنيا من فرقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن تخريف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره والمحبة له بعبوديته جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التى هى اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك فى ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتولد الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يندم ولو يتوجع بسبب سلوكه فى طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك فى ان المعانى الثلاثة ضرورية فى الوصول الى

المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يتيسر له مثل هذا المقام المرتفع ذروته عن جدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك قليلا لا خطر فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب ماخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال عليه السلام التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عند رأسه عليها زاده وشرابه فالله تعالى اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ قال من شدة فرحه اذا راد شكر الله انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب ورشتهم التوبة فمن جاءني منهم لبيته كما لبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب في الاخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الوجوب لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب **فاعلم** ان سبيله تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه ولمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلق العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي الابصار وما سوى هذا ضلال **فان قلت** افليس للعبد اختيار في الفعل والترك **قلنا** نعم وذلك لا ينافض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب تجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما ايضا من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جريت به سنة الله تعالى في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة الجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا يبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المال ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والقدرة والارادة ابدا تستتبع الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل وكل من اخترع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض فتاخر البعض كما لا تخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا تخلق الحياة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لان الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لان العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل للقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لخلق الارادة لان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجواد الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد لسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والعبد يجري هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يد تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا اجتمعت

من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا
يا ايها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قلت اذ قلت
ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن
متوسط قائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك
واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى علم الغيب وان تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن درك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط
سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر
والاختراع والكسب انه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن هم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة
من العميان قد سمعوا انه قد حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته
باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه وقع يد بعضهم على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه
فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه لين منها وقال الذي
لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه
خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر
كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا
المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلفت الناس فيه واذا كان هذا كلاما يناط علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى
ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل في الوجوب بكونه واقعا في جملة افعال الله الحصورة
بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينهما وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله ؛ **بيان** ان وجوب التوبة على الفور ؛ اما وجوبها على
الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتقصى عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك
عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التقصي عن مهلته
ما لم يصر باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا
ينافيه الزنى والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان لكون الزنى مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت كما اذا قال الطبيب لهذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال
تناول هو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله
اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى
عن البشرة بان يكون مقصوصا الشارب مقلوما الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول
مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد
والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الباطنة والظاهرة لا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان
يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب
من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الريح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين
اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصيته ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما يبقى له بطانة
على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة
وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقطع اصولك وتتناثر اوراقك
وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار **شعر** وستعرف ان ترى اذا انجلى الغبار ؛ افرس تحتك ام حمار ؛ وهذا امر
يظهر عند الخاتمة ولما انقطع مناط العارفين خوفا من الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا اقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخاتمة

فى النار لسبب معصيته كالصحيح المنهمك فى الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع فجاءة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض
خاف الموت وكذلك العاصى يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود فى النار فالعاصى للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا تزال
تجتمع فى الباطن مغيرة لمزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصى فاذا كان الخائف من الهلاك فى هذه الدنيا
المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات فى كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك واذا كان متناول السم اذا
ندم يجب عليه ان يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه
الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهى الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان الخوف من هذا
السم فوات الاخرى الباقية التى فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفى فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذى تتصور اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير
مدتها اذ ليس لمدتها اخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه الاطباء واختيارهم ولا ينفع بعد
الاحتضار فلا يتجرع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من اهل الكتاب ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم
اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فمقصود الآية الكافرون اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزانى لا يزال حين يزنى
وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذى هو شعب وفروع سيحجب فى الخاتمة عن الايمان الذى هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التى هى
وفروع سيساق الى الموت للعدم للروح التى هى اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الاصل والفرع الا فى شئ واحد وهو ان وجود
الفرع وبقاءه جميعا يستدعى وجود الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعى وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة
متلازمتان لازم الفرع والاصل فلا يستغنى احدهما عن الاخر وان كان احدهما فى رتبة الاصل والاخر فى رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها
خير من وجودها فان هى لم تعمل عملها الذى تراد له قامت موئدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد فى عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردنا من الاخبار فى كتاب العلم

بيان ان وجوب التوبة عام فى كل الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون
لعلكم تفلحون فعم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع على الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة
العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التى هى وسائل الشيطان الى غواية الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقارنة الاربعين واصله انه
يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة فاذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما
للآخر لانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة وهما غلب احدهما ازعج الآخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل فى الصبى والشباب قبل كمال
العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقم للقلب الذى هو محل العقل بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه وتعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل
الذى هو جند الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدى اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجر اللعين موعوده حيث قال
لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوى كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى
للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس فى الوجود آدمى الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التى هى عدة الشيطان
متقدمة على غريزته التى هى عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا فى حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظن ان هذه الضرورة
اختصت بآدم عليه السلام وقد قيل شعر فلا تحسبن هندا لها العذر وحدها ؛ سجية نفس كل غانية هند ؛ بل هو حكم ازلى مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض
خلافه مالم تتبدل السنة الالهية التى لا مطمع فى تبديلها فاذا كمل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فاذا بلغ مسلما متبعا لابويه غافلا عن حقيقة
اسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغنى عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات
من غير صارف بالرجوع الى قالب جدود الله فى المنع والاطلاق والامساك والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع
وتوبة فدل ان التوبة فرض عين فى حق كل شخص لا يتصور ان يستغنى عنها احد من البشر كما لم يستغن آدم فخلقة الولد لا تتسع لم يتسع له خلقة الوالد اصلا واما
بيان وجوبها على الدوام وفى كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد فى القرآن والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم بحسبهم
على خطاياهم فان خلا فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا فى بعض الاحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان
بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه
بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو فى حق الآدمى عن هذا النقص وانما يتفاوتون فى المقادير فاما الاصل

فلابد منه ولهذا قال عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة الحديث ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا نواقص وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست بواجبة اذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع عن نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جوهر الحديد وافسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاديان وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمبانمرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل له اصفاؤه وجلاؤه تراظم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول فهيهات يطول الصقل اذ ليس شغل الصقل في ازالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل اصل المرآة هذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لو جوب العالم فلو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ولو ادى ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانهما فسدت المعايش لو تيفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع اهل كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لابد منه للوصول به الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجوب الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضي ان يكون كلحم على وضم او كخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحياة وماؤه اصل النجاة من السعادات التي بها تتهيأ النجاة يجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحوله كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم للدنيا بالكلية حتى انه لما اتى عيسى عليه السلام الى ان توسد حجرا في منامه فجاءه الشيطان وقال اما كنت تركت الدنيا للاخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسد لهذا الحجر تنعم في الدنيا انك لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعلم ان وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق لو علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة عباده فاذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان في ذلك الا انه راه موثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد عده افترى ان الصديق رضي الله عنه بعد ان شرب اللبن وعلم انه على غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان في ذلك الا سر وقوة في صدره عرف ذلك السر ان فتوى العامة حديث الخروج من خلو طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك الف الف مرة ان يغرك بالله الغرور وهذه اسرار من استنشق مبادئ روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لوبيك العاقل فيما بقي من عمره الا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل انما يملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة يبكي عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سببا لهلاكه كان بكاؤه منها اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل لها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل

مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب به انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك
ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد وقع اليأس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلام اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي
من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة
اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى
من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب
الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي والتوب واتزود صالح النفس فيقول فنيت الايام فلا
يوم فيقول فاخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك
وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب حبل اياله في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد
فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه
عن قرب عهد بالخطيئة بان يندم عليها ويحاول ازالتها بحسنة يردفها اياها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة
الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة
على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار
من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجي
الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فقد عرض نفسه لخطر
قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسريهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له يا عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا
واستودعتك عمرك واتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي
عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك بالمطالبة والعقاب والى الاشارة بقوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون **بيان** ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة: اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك
في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار
الله تعالى ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهقه
وجهة من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور
الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة للكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب
المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب
في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك
التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق
معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للاخر لفظ النور
كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لو بقي من الدين الا قشوره ولو تعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة
الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني بقلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة
تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا
يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون
ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وفي ذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا محال امتناع اصل
التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا
نعضد جنابه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة احدكم الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول

ل الكثير بالكسر والجانب والناحية بالكسر والكثرة والكثافة وبالكسر الغزير اي بالكسر والضم ويجوز
ع التعتب والعتاب الموجدة والملامة والاستعتاب الاعتبى والطلب اليه العتبى
ف قوله ان التوبة الخ بفتح همزة ان وكسرها
ص جمع شرسوف كعصفور وعصافير
ق قوله فانما القبول للمؤمنون ليس

وزيادة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة بمسئ الليل الى النهار ويمسئ النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب والقابل قريب قابل ليس بخائب ولا خائف وهو قبل وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمتم نحلا ما حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فرقا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعمل هذه قال نعم فصلع الحبشي صيحة خرجت فيها روحه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا اخرجت من قلب ابن ادم ما دام في الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا احجبت عنه التوبة ما دام في الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى **واما الآثار** فقد قال سعيد ابن المسيب انخل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى لبشر المذنبين بالهم ان تابوا قبلت منهم وحذرهم الصديقين الى ان وضعت عليهم عدلي حذرتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه وفي ام الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك ان لو تعصمني لا عودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيقر بالذنب فيقول ما انى قد كنت مشفقا منه قال فيغفر له ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب اذنبه هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود فالتفت اليه فراى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحمن توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم عند الله احسن حالا ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال اخرانا من ان اخرم التوبة اخوف من ان اخرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فراى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول لا يرى شخصا احببناه فاحببناك وتركناه فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري رحمه الله ان لله عبادا نضبوا الشجار الخطايا نضب وا مآقي القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عمى ولا بكم والهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم توالهت قلوبهم في الملكوت وجالت افكارهم بين سرادقات الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى حلو الزهد فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى خضروا بجميل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلا حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا بخنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة فان قلت فما قولك فيمن ان قبول التوبة واجب على الله فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شئ من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول لشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها ان شاء الله تعالى **الركن الثاني** فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها: اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشئ الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب

اما واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك او فعل وتفصيل ذلك ليستدعي شرح التكليف من اولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها والله الموفق للصواب برحمته

بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد: اعلم ان اللانسان اوصافا واخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وعوالمه ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة: فاما ما يقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب الثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كاد يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات: الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الخنا واللواط والسرقة واكل مال اليتيم وجمع الحرام لاجل الشهوات: الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها اجل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا والاثر يتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء لله وبعضها على العين والسمع وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح

ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجرأة على الله تعالى كما يفعله بعض الواعظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركا فالامر فيه ارجى وتوقع المرء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد فيما بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر فهو الشرك بالله تعالى واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب بها حتى يقتص منها

ثالثة اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وفي لفظ اخر كفارات ما بينهن الا الكبائر وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هن الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما وجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل لها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من اول سورة النساء الى راس ثلاثين اية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هناك فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهي الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة واحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين واحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما او ان سألاه حاجة فلا يعطيهما او ان يسبهما فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فاذا جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب

والنواع العذاب فلو تعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في السرقة اهي كبيرة ام لا لا يفهم ما لم يفهم معنى الكبيرة وهو المراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا لا مطمع في تعريفه الا بعد تعريف الحرام ولا اثر البحث عن وجوه في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه وصغير بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظرة صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما يوعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ويعني بوصفه بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيمة وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول لتخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه فيكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ ذنوب القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وسائر ما تأمل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان نعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات لما بينهن لا الكبائر فان هذا اثبات حكم الكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما يعد استعظاما لها والى ما يعلم انها معدودة في الصغائر والى ما يشك فيه فلا اثر لذكر حكمه فالمهم في معرفة حد جامع او عدد جامع مانع طلب لما لا يغني فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول اني اردت بالكبائر عشرا او خمسا او نيفا فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان المسبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد الذي ينحصر فكيف يطمع في عدها هذا لم يعده الشرع وربما قصد الشرع انها لم تكن معلومة للعباد منه على وجل كما اخفى ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياسة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه والله لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف به بالربوبية وينسبه بالعبودية ولا بد ان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتوصل الى هذا الا بالحياة الدنيا وهو المعني بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الاخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا اذ به الدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالاخرة شيئان النفوس والاموال فاول ما يسد باب معرفة الله فهو اكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويليه ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحياة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلاثة امور لا يتصور ان يختلف فيها الملل فلا يجوز ان الله تعالى يبعث نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يامرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ثلاث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل والوسيلة المقربة اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف الله ووثق بكرمه ان يكون امنا لان يكون قانطا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تفاوت ما يجهل منها وانما وشرائعه وبواطن امره وفواتحه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن والى ما يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع والمرتبة الثانية للنفوس اذ بقاؤها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكبائر ان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حياة الدنيا لا تراد الا للاخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو جاز لتناسل الناس على الانقطاع بالذكور في قضاء الشهوات فقط فيقل النسل ودفع الوجود قريب من قطع الوجود وما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم مع الترتيب الفاصل منها بامارات يختص بها عن سائر الفحول وذلك لا يتصور ان يكون مباحا في اصل الشرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تعيين نسب مراد من الاسباب ما يؤدي الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته والمرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق ولا يخفى تسليط الناس على تناولها كيف شاؤا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرها بل ينبغي ان تحفظ لتبقى بها النفوس بل ان الاموال اذا خربت امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها لنفسها اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي ان يكون ذلك من الكبائر وذلك باربع طرق احدها الخفية

وهى السرقة فانه اذا لم يعلم عليه غالبا كيف يتدارك الثانى اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعنى به فى حق الولى والقيم فانه مؤتمن فيه وليس الخصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرف فتعظيم الامر فيه واجتنابه بخلاف الغصب فان ظاهر يعرف بخلاف الخيانة فى الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه ان شاء تقويتها بشهادة الزور والرابعة اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرائع فى قوتها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان تكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد فى بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم فى مصالح الدنيا تاثيرها واما اكل الربا فليس فيه اكل مال الغير بالتراضى مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان تختلف الشرائع فى مثله واذا لم يجعل الغصب الذى هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضى الشرع من الكبائر فاكل الربا اكل برضى المالك ولكن دون رضى الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل مال اتق بالخيانة او الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع فى مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغى ان تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا فى الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكى القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل الاخير فى النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجرى فى قطرة من الخمر فلا شك فانه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها فى محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس فى القوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع فى انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال فى القوة والتناول لها مراتب واعظمها التناول بالقذف بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واغلظ ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذى نريد بالكبيرة الآن ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا رأى انسانا يزنى فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لو تقبل شهادته فحده ليس ضروريا فى مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة فى رتبة الحاجات فاذا هذا ايضا يلحق بالكبائر فى حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغى ان يجعل فى حقه من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذى يتولد منه من هلاك نفس ومرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغى ان يكون من حيث القياس فى محل التوقف واذا قطع بان سبب الناس بكل شئ سوى الزنا وضربهم وظلمهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلاءهم من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك فى السبع عشرة كبيرة وهو اكثر مما قيل فيه فالتوقف فى هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعنى بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغى ان تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفى والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله لا نص كتاب وسنة واذ لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت هذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم ان كل ما يتعلق به حكم فى الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هى دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها فى الدنيا من حيث انها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة باسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا لم يتعلق به الى الآخرة والابهام لا يليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ونكن لا نجتنب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر ولمس فان جاهدته نفسه بالكف عن الوقاع اشد تاثيرا فى تنوير قلبه من اقدامه على النظر فى اظلامه فهذا امعنى تكفيره فان كان معنيا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهى الخمر بطبعه ولو اتيح له لم يشرب به فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التى هى من مقدمات تكبر كسماع الملاهى والاوتار نعم من يشتهى الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها فى السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت اليه من معصية السماع وكل هذه احكام اخروية ويجوز ان يبقى بعضها فى محل الشك وتكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولو ورد النص بعد لا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما نكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا او امثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى الاشكال مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا من يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا فى قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف فى ان من يسمع الملاهى

ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولو يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه اذا شرب الحنفي النبيذ حدته ولو اراد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولو يرد به الشهادة فدل على ان الشهادة تفيد واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة لان لا يخلو الانسان عنها غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاحوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واكل الشبهات وسب الوالد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامور الاخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الاول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة اهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم احاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لا اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وتلبس الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره هذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الاخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والاخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالاخرة حالتك بعد الموت فدنياك واخرتك صفاتك واحوالك ليس لقريب الدار الى منها دنيا والمتاخر اخرة ونحن الان نتكلم من الدنيا وفي الاخرة فانا الان نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الاخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الاخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا بكسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرف من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين فقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل اخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها فافتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال اخر رايت كاني اقد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى اخره مثال تعرفك طريق ضرب الامثال وانما لغنى بالمثل اداء المعنى فصورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ صد عنه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقد عقولهم في النوم والنائم لا يكشف له عن شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال الجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثال في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى الله عن قوله علوا كبيرا وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن هنا زل من زل في الصفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قدير دفي امر الاخرة ضرب امثاله يكذب به الملحد بجمودي نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى اعز هؤلاء الحمقى عن معرفة اسراره فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه جئ بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع اليأس منه فان المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه بما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحمل المثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الاخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله يؤتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها وبواسطتها ولذلك عبر القران بقوله لكن ميكائيل عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلا وجه الان الى الغرض فالمقصود ان تعريف تواقع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب المثال فليفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته

فتفاوت الناس فى الآخرة بتفاوت درجاتهم فى السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا فى سعادة الدنيا وشقاوتها
ولا تفارق الآخرة الدنيا فى هذا المعنى اصلا البتة فان مدبر الدارين والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا عجزنا
عن احصاء اعداد الدرجات فلا نجزم عن احصاء الاجناس فنقول الناس ينقسمون فى الآخرة بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين ومثاله فى الدنيا ان يستولى
ملوك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلى بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك
عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحد الاستحقاق الملك معاند له فى اصل الله ولا يعذب الا مقصر فى خدمته مع الاعتراف بعبوديته
وعلو درجته ولا يخلى الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من بلى عمره فى الخدمة والنصح فينبغى ان تكون خلع
الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم فى الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بخرق الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم فى المعاندة وتعذيب المعذبين فى
الجهة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تحصى ولا تحصر
فكذلك فافهم ان الناس فى الآخرة هكذا يتفاوتون فى هالك ومن معذب بمدة ومن ناج يحل فى دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحيون فى جنات عدن
او جنات المأوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا او الى من يعذب الف سنة الا فى سبعة الا فى تسعة وذلك اخر من يخرج من النار كما ورد
فى الخبر وكذلك الهالكون لا ييئسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصى فلنذكر كيفية تنوعها عليها الرتبة الاولى
وهى رتبة الهالكين ونعنى بالهالكين الا يئسين من رحمة الله تعالى اذ الذى قتله الملك فى المثال الذى ضربناه ايس من رضى الملك واكرامه فلا نقف عن معانى المثال وهذه
الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية فى القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك لا ينال
اصلا الا بالمعرفة التى يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى الا الاقلون وهم الذين يكذبون برب العالمين و
بانبيائه المرسلين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فحول بينه وبين ما يشتهيه لا محالة فهو لا محالة يكون محترقا مع نار جهنم بنار
الفراق وذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا لحور العين وانما مطلبنا اللقاء وهو سنام الحب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم
ان يعبده ويطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا اياته فقط فامام الحور العين الفواكه متروكة لا يشتهيها واما النار فقد
لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت بما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ونار جهنم لا تشغل بها الا ام
الاجساد والا جساد ليستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل شعر فى فؤاد المحب نار هوى ✽ احر نار الجحيم ابرد منها ✽ ولا ينبغى ان تنكر هذا فى علم
الآخرة اذ له نظير مشاهد فى عالم الدنيا فقد يروى من غلب عليه الوجد فعذاب النار وعلى اصول القصب الجارحة القدم وهو لا يحس به لفرط غلبة حالة فانى قد
ترى الغضبان يستولى عليه الغضب فى القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها فى الحال لان الغضب نار فى القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب
قطعة من النار واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد والاشتغال يبطل الاحساس بالالم ضعف كما تراه فليس للملك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين
جزئين يربط احدهما بالاخر برابطة التاليف الممكن فى الاجسام فالذى يفرق بين القلب وبين محبوبه الذى يرتبط به برابطة تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام
فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا تثبت شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبر لو خير بين الم
الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لاختار الم الحرمان عن رتبة السلطان اضعافه وتزيد ذلك الما وقال العدو فى الميدان مع الصولجان
احب الى من الف سرير للسلطان ومع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة انبطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين معدة تقهره الاعداء ويفرح به الاصدقاء لاختار
الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذى به يصير الجاه محبوبا ووجود المعنى الذى به يصير الطعام لذيذا وذلك من اسوء رقة صفات البهائم والسباع ولم
تظهر فيه صفات الملائكة التى لا يناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين والم يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا فى اللسان والسمع الا فى الاذن فلا تكون
هذه الصفة الا فى القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر ليس له ادراك الالحان وحسن الصور والالوان ليس لكل انسان قلب ولو كان الناس قد اتفقوا
ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلسا من القلب ولست اعنى بالقلب هذا اللحم الذى تكتنفه عظام الصدر بل اعنى به السر الذى هو من عالم
الامر وهذا اللحم الذى هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه وملكته والله الخالق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فى
قل الروح من امر ربى هو الامير والملك الذى بين عالم الامر عالم الخلق ترتيبا وعالم الامر مربى على عالم الخلق وهو اللطيفة التى اذا صلحت صلح لها سائر الجسد ومن
عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يتم العبد مبادئ درجاته ✽ المعنى المطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته
ونظر بين الرحمة الى الحاملين على ظهر لفظه والى المتعسفين فى طرق تاويله وان كانت رحمته للحاملين على اللفظ اكثر من رحمته للمتعسفين فى التاويل لان الرحمة على
قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر ولئن اشتركوا فى مصيبة الحرمان عن جنة الامر فالحقيقة فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهى جملته

ل ٥ الخ الخرق القطع
ش يا فتى گوش وبينى
بيرون والاهم
منه التشبيه بالفهم
ج ٥ ٤ فى القبر الجحيم
نار العشق التى هى
نار جهنم ابدية
ج ٥ ٤ وهو من
الطعم المر
ج ٥ ٤ جلت عبارته
ل ٥ ٤

يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا العنان الطول وطولنا النفس في امر هو احد من علوم المعاملات التي نقصد
في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فلنذكر له نوعا

الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تخلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان اصل الايمان هو الالتزام والتوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع
هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بالسنته لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى الله تر انهم في كل واد يهيمون وهو ان تذر بالكلية غير الله
ومعنى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط
الموصوف في الاخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير فلا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم
فذلك يقتضي لا محالة نقصانا في درجات القرب ومع كل نقصان نار ان نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط
المستقيم معذبا بنارتين من وجهين ولكن بشدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة اما يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى و
قلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولذلك
قال الخائفون من السلف نما خوفنا الا ايقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة وما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان
قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان احدا لا يخرج من النار بعد سبعة الاف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الاف
سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار بكبائر خاطف ولا يكون فيها البتة وبين اللحظة وبين سبعة الاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد
وان الاختلاف بالشدة والنهاية لا علاوة ودناءة التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب
بالسياط وقد يعذب بسوط اخر من العذاب فيتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ
المال وقطع اليد واستباحة الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغير هذه الاختلافات ثابتة في عذاب الاخرة داخلها قواطع الشرع
وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها واما الكثرة فبكثرتها واما اختلاف
انواعه فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف هذا الارباب القلوب عند مشاهدة القرآن بنور الايمان وهو المعنى بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله
تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد
في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه بجانب العفو والرحمة رجح اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم
سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذا هذه الامور الجلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات
معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يقف الا الظنا ومستند ظواهر الاخبار ونوع حدس لمستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فقول كل من
احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون هذه المناقشة في الحساب
فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر يكفر
القرآن مكفر للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور رجحان الخير (٢)
وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية لنعم التحاقه باصحاب اليمين وبالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فكذلك يتبع اصل الايمان لان الايمان
تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون وليستمرون عليه وايمان يكشفي تحصل بانشراح الصدر ونور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فينتهي الكل الى الله
مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وصفاته وافعاله فهذه الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى وهم ايضا على
اصناف فمنهم السابقون ومنهم مرجون ومنهم متفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر اذ لا احاطة بكنه جلال الله عز
وجل معرفة ليس له ساحل وعمق واغا يغوص فيه الغواصون بقدر فهمهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الازل فالطريق الى الله تعالى لا نهاية لمنازله فالسالكون
سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب
رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر وادى الفرائض كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة
والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر واهمل بعض الاركان فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له و
الثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة ولا يسلم
اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال باد نى شك وخيال والعارف البصير الجبان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلا يهان ما تعلق
الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب

قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المغلبون في درجات اصحاب اليمين والعارفون
المستبصرون في اعلى عليين فهذا الخبر لخوف من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف فلا تظن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام كان يقابل كل ذرة
او عشرة بعشرين فان هذا لجهل بطريق ضرب المثال بل هذا كقول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير واعطاه مائة دينار
فان لم يفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وازنوا
دون اشخاصها وهيأكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروح المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة
الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيتك عشرة
امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرة لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي
ويقول ما هذه الجوهرة الا بحجر وزنه مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيتك عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق
ذلك عند الصبي بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي يدرك به ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم
المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول صلى الله عليه وسلم لخزنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون
عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي وكما ان الجوهري مرجوم اذا بلي بالبدوي والقروي في تفهيم
تلك الموازنة فالعارف مرجوم اذا بلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلاثة عالما بين الجهال وغنيا قوم افقر وعزيزا قوم ذل
والانبياء مرجومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنتهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الازلي وهو المعني بقوله
عليه السلام البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام ايضا من
البلاء العظيم اذ بلي بجاعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي
باكثر من هذا فصبر فاذا كانت الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين فلم تخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما ينفك الاولياء عن ضروب من الايذاء وانواع
البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والتشفي عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المغمض عن
الجمل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فامن بقوله عليه السلام انه يعطى الخارج من النار مثل الدنيا
عشر مرات واياك ان تقصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس وانما انت مفارق للحمار بسر الهي
عرض على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنه واشفقن منه فادراك ما يخبر عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي فارقت به الحمار وسائر
البهائم فزن هل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها وتشبيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين
نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليس في ذات الله مدرك في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله انساه الله
لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم وترك الترقي الى الافق الاعلى وخان في الامانة التي اودعه الله تعالى وانعم عليه كما فوت الانعام ومتعرض النقمة لانه سوى
حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة مسترجعة لا محالة الى من دعها فاليه مرجعه الامانة ومصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة واما صفحات
الى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود الى بارئها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة
المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رؤسها عن جهتا على عليين الى جهة سفلى
سافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون قد انقلبت وجوههم الى افئدتهم وانتكست
رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولوحيده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول الى منازل الجهال هذا حكم انقسام
من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا واكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك و
والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته واياك الغالمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان
ولا ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان يرى الاموال كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه انما يرى الوسائط وانما يرى مسبب
الاسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في
قلبه مثقال دينار من ايمان فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان واخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال
والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون من بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود
واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فلما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها فهي الاثقال التي العبد يوقف بين

ف ١٥ الى الخ من اختيار الهم
ف ٢٠ لفت عذاب كردن
ف ٢٣ الافئدة جمع القلب

يدى الله تعالى ولو من الحسنات امثال الجبال لو سلمت لمن كان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سبب عرض هذا واخذ مال هذا وعرض هذا فيقضى من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تعالى القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجى المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عرضا ظلم به وقد حكى عن ابن الجلا ان بعض اخوانه اغتابه فارسل اليه يستحله فقال الافضل ليس فى صحيفتى حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب خولانى من حسناتى اريد ان ازين بها صحيفتك فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد فى المعاد فى درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر اسباب يضاهى حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض بخر بان عادم خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب فى اكثر الاحوال ولكن قد تشوب عن المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذى العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من اسرار الله تعالى الخفية فى ارواح الاحياء وغموض الاسباب التى بتهيئها مسبب الاسباب يقدر معلوم اذ ليس فى قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز فى الاخرة لهما اسباب خفية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفى المفضى الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضى الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشيئة الالهية الازلية التى لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصى وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى فى القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفى فيه يقتضى العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذى يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا ما بانفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشان فى انفتاح بصيرة القلب والا ما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب وانما الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى

الرتبة الثالثة رتبة الناجين واعنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا الله تعالى ولم يتقربوا اليه ولكن لم يتعلق عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ولا يشبه ان يكون هذا حال البالغين من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة فى اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فهم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون فى منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحمل طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على العين كالحكم مثلا ان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقا فى حالم النبوة ويبعد ان ترتقى اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار فى حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عائشة رضى الله عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك فان الاشكال والاشتباه اغلب فى هذا المقام

الرتبة الرابعة رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقربين وهم المقربون السابقون فان المقربين وان كان لهم فوق على الجملة بمقام فى الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يليق هو لا يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذى لا يمكن التعبير عنه فى هذا العالم فهو الذى اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقوله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التى لا يتصور ان تخطر على قلب بشر فى هذا العالم واما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلى والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله تعالى الكريم فى غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية رحمة الله عليها كيف رغبتك فى الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شئ سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقة المستولى على همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه فى حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه فى بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فنى عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصار همه موجها واحدا وهو محجوب ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت الى نفسه والى غير نفسه وهذه الحالة هى التى يوصل فى الآخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر فى هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان تخطر صورة الانسان على قلب الاصم والاكمه الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعا انه لم يتصور ان تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ويذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف فى بيان توزع الدرجات على الحسنات والله الموفق بلطفه

بيان ما تنظم به الصغائر من الذنوب: اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار وكبيرة واحدة تتصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها وان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المتصرم قليل النفع فى تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئة اذا دام عظم تاثيره فى اظلام القلب الا

ان الكبيرة قلما يتصور المحروم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان الخوف فيها الرجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والحذر وتسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فطار وقال بعضهم الذنب الذي لا تغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظيم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم من تهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من عصيته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي في اعينكم ادق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله تعالى فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتحدث بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رأيتني كيف فضحته وكيف كرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحققته فهذا وامثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الحر شربة لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بما من الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان يأتي الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره فان في ذلك جناية منه على ستر الله الذي سدله عليه وتحريك لرغبة الناس فيمن سمع ذنبه او شهد فعله فهما جنايتان انضمتا الى الجناية فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جنايته بالغة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين بيبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب فبذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية تولهوها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كتلبيس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال الوقف من اموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاق اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كالعلم بالجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العلم ويبقى شره مستطيرا في العالم آماد امتطاولة فطوبى لمن اذا مات مات ذنبه معه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الا ينقص من اوزارهم شيئا قال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس وينيبون بها في الاقاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق معها واي امر اشليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان تبت لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احداهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك البخل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدى به العلماء والعوام ويكون له مثل ثوابهم وان مال الى البخل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على البخل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي للتوبة توبة عنها

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر

قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه والعلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شروط فلا بد من بيانها

ا ه مراودة على كذا مراودة ومراداة بالكسر وادارة ٢ ه الثبت المس ٣ ه او بفتح مسوا بالكسر ٤ ه التبجح الفرح والاعجاب ٥ ه المقارفة المقاربة ٦ ه الكلب المتوثب ٧ ه اى الى لئلا يطلع عليه او ارخاه ٨ ه بسبح اى وهو الذهاب

اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي **واما الندم** فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي سبب ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدث انسان واحد ليسمى طبيبا ان مرض ولده المريض لا يبرأ وانه سيموت متلطخا في الحال الحزن فليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها الى النار فالندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب ابعى فعلامة صحة الندم رقة القلب فيغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامتها ان تتكدر مرآة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن جلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه وتعالى قال لبعض انبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم يرقبول توبته فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب التي تابت منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه والمه وتنائر شعره وقلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان النائب مرارة الذنب كذلك يكون وفي ذلك لعلمه بان كل ذنب فيه وقد ذوق اصل وعلمه عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان وما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله تعالى متهاونا بالذنوب مصرا عليها هذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لو لم يكن ضرره من العسل بل ما فيه ولو لم يكن ضرر الثائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنى بل من مخالفته اوامر الله تعالى ونواهيه جار في كل ذنب **واما القصد** الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب تدارك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيه منها والى المعاصي فالذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها في ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن اخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه واما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته فان اداه لاعلى وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف ويلزمه ان يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج ولا ان قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكتسب ولا مال فعليه ان يسأل الناس ليصرف اليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والحج الطائر بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فيجب ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظره الى غير محرم وقعوده في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر ومزمار ملاه وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنه بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو اطيب منه واحب اليه وعد جميع المعاصي غير الممكن واغا القصد سلوك الطريق المعتادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء له اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا موثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة واتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين اليها فلا جرم كان كل ما يصيب المسلم يتوب بسببه قلبه عن الدنيا يكون

كفارة له اذا القلب بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ اخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث
عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال تكفرها ادخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو
ظلمة الذنوب والهم بها شعور القلب بوقعة الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب لخطيئة
والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد
حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد فاذن الهموم ايضا مكفرات حقوق الله فمذ لهم ما بينه وبين الله تعالى واما مظالم العباد
ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل او
الاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاءه الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بمثله الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقذف
فيهم بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من قرنه وامثاله ويكفر قتل النفوس بالاعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده
والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في الكفر والمحو مشهود له في الشرع حيث
كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض والقلوب اعني الايذاء
المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا
للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز
له الاخفاء وليس هذا كالزنى او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره و
يلتمس من الولي استيفاء حق الله تعالى بل عليه ان يستر لستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله تعالى
قريب من التائبين النادمين فان رفع امره هذا الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي ان ماعز بن
مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فردده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت
فرده الثانية فلما كان في الثالثة امر به فحفر له حفرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فريقين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة
اصدق من توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني فردها
فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم ترددني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال صلى الله عليه وسلم اما لا فاذهبي حتى تضعي فلما ولدت اتت
بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام
فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت **واما القصاص** وحد القذف فلا بد من
تحكيم صاحب المستحق فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او خطأ في معاملة بنوع تلبيس كتزويج زائف وستر عيب من المبيع او نقصان اجرة اجير ومنع اجرته فكل ذلك
يجب ان يفتش عنه لامر جد بلوغه بل من مدة وجوده فان لم يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظلما مطالبا به في الدنيا
في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليأسف بنفسه على الحسنات الذاهبة من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيامة ولينا قش نفسه قبل ان يناقش فمن لم يحاسب
نفسه في الدنيا طال في الاخرة حسابه فاذا حصل المجموع مما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم ويطلبهم
وليستحلهم وليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه
ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى يقتص عنه يوم القيامة فتوفى خذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولئن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه
فلعله ان لم تفنها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم
فكيف في ذلك مما لا يعرف وربما يكون لاجل قريبا فينبغي ان يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشميره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة
في ذمته اما ما توالله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحلال بالحرام فعليه ان يعرف قدر الحرام بالاجتهاد
ويصدق بذلك المقدار مما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام **واما الجناية** على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض لسانه في
اوآذى قلبه بفضل من افضاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات وغاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات التي توخذ منه عوضا في القيامة واما من وجده واحله
بطيب قلبه منه فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فلا استحلال البهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وتعدى عليه لم تطب نفسه بالاحلال واذا خرج ذلك في
القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجارية او اهله او نسبته باللسان الى عيب

ل الكسب والكفاية والغم وهو الحال والاكل والادخار
ك حزن ١٢ قاموس
ك امراة ثاكل وثكلى فقدت ولدها ١٢
ف في صريح الم ما لا فلا بد ان يحوجه الى بيع وصلح الغرض هذه كلمة تذكر في المحاورات كما تقول في غرضي من كذا كذا وفي ان وما لا فاء عند النون في الميم وما ذكر في اللغة لا يطابق ما في الكتاب
ك الغرض من الكتب ١٢
ك الانسان من جزئيات الانسان ١٢

من خفايا عيوبه يعظم اذاه مما تشوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منها فتبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب واما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة فيجب الاستحلال منها لو مما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه ثم ليتهم نفسه بالاستحلال هيبت المظلمة عليه فان هذا حق فعليه ان يتلطف به ويسعى في محاته واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمح نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبرها في القيامة جنايته وليكن قد سعيه في فرحه وسروره قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في اذاه حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيامة بحكم الله به عليكم ان الله في الدنيا ملا الاجناء بمثله فامتنع من له المال عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء ام ابى وكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال له انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فهذا تعرف انه لا خلاص الا بحسنات ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير حسناته هذا حكم القصد المتعلق بالماضي واما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد ويثق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرض ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لو نزل مرضه عن هذا العزم يتأكد في الحال فان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لو يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يلوذ ذلك للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان اساس المعاصي كل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه سبع وارا لم يبتل بها وقال الخ من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يتعلم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب في الزنى وانغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فهذا اعظم خطأ انك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطأ بل النجاة والفوز بترك جميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله فان قال من ذهب الى انها تصح اني اردت به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة وليستحيل ان يندم عليها دون الزنى ان كان توجه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجه على قتله بالسيف يتوجه على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف او بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة والزنى فكيف يتوجه على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي لان المعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذا امتنع عدم الصحة ان الله تعالى وعد التائبين رتبه وتلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول فقول ان العقد لا يصح اي لم تترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع ليستنطق للمنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فما يمكن الا ان يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقر الجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية ولو يكن احد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعر معه انه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون

السكر فهذا غير محال وجوده وان اكلهما جميعا لحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر: الثانى ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه ان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع الغفران اليه فهذا ايضا ممكن كما فى تفاوت الكبائر والصغائر لان الكبائر ايضا متفاوتة فى انفسها وفى اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التى لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنى مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصى وهو لا يدرى فبحسب ترجح شر الخمر عنده يتبعث منه خوف يوجب ذلك تركا فى المستقبل وندما على الماضى: الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذى يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم او ما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف من معاصيه نادم على فعله ندما ما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه فى تلك المعصية اقوى من الم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون منيبا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بل لو عارضه الا ما هو اضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون لضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة لضعفه دون القوية فيوجب عليه جند الخوف اتباعا للعزم للترك بل يقول هذا الفاسق فى نفسه قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى فلا ينبغى ان اخلط العذاب واخى العنان بالكلية بل اجاهده فى بعض المعاصى فعسانى اغلبه فيكون قهرى له فى البعض كفارة لبعض ذنوبى ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلى ويصوم ويقال له ان كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله تعالى مع ان تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله تعالى على امران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان واما فى احدهما فقهر الشيطان عاجز عنه فى الاخر فانا اقهره فيما اقدر عليه وارجو مجاهدتى فيه ان يكفر عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة فى بعض الذنوب ممكن وجودها والخوف اذا كان من فعل ماض ورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولو لم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولو لم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذا المعانى تبين سقوط قول القائل ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لانها متماثلة فى حق الشهوة وفى حق التعرض الى سخط الله تعالى نعم يجوز ان يتوب عن شرب الخمر دون النبيذ لتفاوتهما فى اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة الذنوب تاثيرا فى كثرة العقوبة فيساعد العقوبة بالشهوة بالقدر الذى يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى كالمريض الذى حذره الطبيب الفالجة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شئ ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقى عليه اما فى شدة المعصية واما فى غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت فى اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله فى الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله فى الترك فمن مده على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله فى جميع الاوامر والنواهى فان قلت هل تصح توبة العنين من الزنى الذى قارفه قبل طريان العنة فاقول الان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد الندم بنفسه لا بتركه اياه ولكنى اقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنى الذى قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فانى ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه ومما حيا عنه سيئاته اذ لا خلاف فى انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وان لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسبابها قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنى لو ظهر قصده فلذلك لا يستحيل ان تبلغ قوة الندم فى حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرف من نفسه فان كل من لا يشتهى شيئا يقدر بنفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة فى هذا كله ترجع الى ان ظلمة المعصية تنمحى عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر شدة المجاهدة بالترك فى المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل اصلا لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه فى عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والاخر بقى فى نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابى الحوارى واصحاب ابى سليمان الدارانى ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر فى توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة القصور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذى انقطع نزوع نفسه له حالتان: احداهما ان يكون انقطاع نزوعه اليها بفتور فى نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوتها فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعنى بقوة الدين قوة الارادة التى تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشيطان فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل ان هذا سلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطاء وهو كقول القائل

ف جبل فى تحرير مثله فيقبل فى مختار ويجوز بالبدل والادغام ٢ مصباح ١٢ وفى القاموس الملأ الجبل الاشراف والغلظة ١٢

ف ضراوة وهل صيد دونه كلفة ضرية ١٢

ف شب غير مكفن وهم العذاب بالكسر من اللجام ما سال على قفا الفرس واخطل الشر تفعل عدت الفرس بالعنان اى شددت عذاره وهو خلع العذار ١٢ ق

ف سباسك ١٢

ف الفوران الهيجان ١٢

ف المنزوع الميلان ١٢

العنين افضل من الفحل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القادر لاعدائه لان المفلس لعدوه الملك ربما يُغلَب مرة وان غَلَب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاعزار بل هو كقول القائل ان الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب افضل في صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من ان يجرحه به فرسه فتنكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من ان يعضه الكلب ويتدرى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة واحرى بذلك سعادة الصيد

الحالة الثانية: ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ تبلغ مبلغا تقمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا بالاشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع مواد العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما ثمان عنده بعد ترك الكلب للضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب بعد ولقد زل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولو يعلموا ان في ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق وظن لغرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال اخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف لاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على ما هي عليه افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريق الى الله ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعليم فالطرق الى الله تعالى كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول حضور الذنب وذكره والتفجع عليه كما في حق المبتدئ المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك ليستخرج منه الحزن والخوف والزجر عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان في شغله مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشفت له انوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولو بقي فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق المسافر عن الطريق الى بلد من البلاد ظهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره مدة من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متاسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا اخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا فعذر السلوك وكان على طريقه الهار وهو يخاف على نفسه ان عبرها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتاكد بطول الحزن حزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بالذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا الامر عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في النعيم في الاخرة لتزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي ان يطيل فكرة في كل ماله نظير في الدنيا كالحور والقصور فان في ذلك الفكر ربما يحرك رغبته في طلب العاجلة ولا يرضى بالاخر له بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله تعالى فقط فان ذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدئ ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة بامهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع امهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقاماتهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتاديب النفس لتسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع وفي لفظ انما انسى لاسن ولا تعجب من هذا فان الامور في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الاباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه ومما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه علم انه لا يفهم منطوق الفصحاء ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طائرا يصوت به رغاء او صفيرا تشبها بالبهيمة والطائر ويتلطف في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها من زلة العارفين فضلا عن الغافلين نسال الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان اقسام العباد في دوام التوبة: اعلم ان طبقات التائبين في التوبة على اربع طبقات

الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات
مما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه
النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله
تعالى وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة على رتب من حيث
النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة فقد نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه
ملي بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمختطف
يموت قريبا من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره تمادت استقامته وكثرت حسناته وحاها هذا اعلى وافضل اذ كان
سيئة فانما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي ان يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من
الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق في تهييج الشهوة وتحفزه الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع
في الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى يبعد طرقها على نفسه
ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبهذا تسلم توبته في الابتداء **الطبقة الثانية** تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وترك كبائر الفواحش
كلها الا انه لم ينفك عن ذنوب تقترن لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها
لام نفسه وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على غايات تهفو
له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتحكيم رأي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر ممجوج من
بطينة الادمي فلما ينفك عنه ولها غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد
وهؤلاء هم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل الم يقع بصغيرة لا عن تصميم
نفسه عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع
ظلمهم لانفسهم لتندمهم ولومهم لنفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه حيا
كل مفتن تواب وفي خبر اخر المؤمن كالسنبلة يفيء احيانا ويميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين فكل ذلك
ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام صحته
بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق
في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم
من الفترات ومفارقة السيئات المختطفات قال النبي صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون المستغفرون وقال ايضا المؤمن واه
راقع فخيرهم من مات على رقعة اي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة فما
وصفهم بعدم السيئة اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم لغلبة الشهوة في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق
وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او
الشهوتان وهو يود لو اقدره الله تعالى على قهرها وكفاه شرها هذا امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وساتوب عنه
واجاهد نفسي في قهرها لكنه يسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى
فيهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته
مخطرة من حيث تسويفه وتاخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته
شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل انه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم حال تقدره على انه
سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه وانما يسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة
العالمين فكذلك ارتباط سعادات الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط
حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم
الا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها والقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق

في الازل بتدبير رب الارباب ولذلك قال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكيها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة ما قبله اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والاوقات في الحذر ودوامت الحسرات حين لا ينفع التحسر

الطبقة الرابعة : ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب والذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل يهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خربا بيد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من التجأ استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله حيا عاريزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب بعيد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعد عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويج حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق عن معصية ليست تضر ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب ينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضيرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام وليستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الاسباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الاخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الاخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد في الاخرة وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر في الدنيا وينسى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا التباس على اعم الراس والغماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بان يكون اخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من رد واعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب اعلم ان كل ذنب ما عن قصد وشهوة غالبة او عن الهام بحكم الاتفاق عليه ذنب ما عن قصد وشهوة غالبة او عن الهام بحكم الاتفاق : اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكر في الطريقة فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يبدأ بالحسنة السيئة فيمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا فالحسنات الماحية للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكثره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذلك له بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فان العبد الآبق المذنب وجد للتكبر على سائر العباد وكذلك يضم بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الاثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وتخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الاثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم اوما صليت معنا صلاة الغداة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن من الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت

ل لعله الشهوة والهوى والعقل
ل لعله يجوز ان يكون ذو يكسر
ل لعله الاغترار مع عزم ترك الخطر في بعض الاوقات
ل لعله الوعد على الاوقات والطرق ضمان بالوفاء
ل لعله ان الله تعالى
ل لعله يدل على ان الزنى
ل لعله ان لم يكن
ل لعله اصابها
ل لعله من الجماع
ل لعله مصر

رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى في الاستغفار ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار المجرد باللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن باس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتاثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان لا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فضلا لان تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب والتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان اوسنته الى اولها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن لجواله ان يرجع اليه في كل شئ فان عصى قال يا رب ستر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه من الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده ماواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجات ثم المصافاة ثم المولاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الاية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقتصد ان للتوبة ثمرتين احداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضه محو لاصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا تخلو ذرة من خير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذرات وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجح بدرجات الخير الى ان يثقل فترفع كفة السيئات فاياك ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمراة الحرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غناء يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المسكينة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل القول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان اجمع عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم وفضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخ ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال شكر الله اذا استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعودها الذكر ولو يستعمل في الشر ولم يعودها الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصيرها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى قوله ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال اعوذ بالله سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنا اجرا عظيما فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا الادنى الطاعات وتضعيف الاخرة الكبرى لو كانوا يعلمون فاياك وان تتهاون في الطاعات مجردا لافات فتفتر رغبتك عن العبادات فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعبته على المغرورين وخيل اليهم انكم ارباب بصائر واهل التفطن للخفايا والسرائر فاي خير في ذكر باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلثة اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها باطلا فلاجرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي روى حرج الشيطان ينثر الملح عليه واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاستعف الشيطان وتدلى عليه بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والموافقة كما قيل وافق شن طبقة وافقا فاعتنقا واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتقطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسئل الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة اصلا واصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال الاكثر

ل١ الغشمة الذي لا تعرف الصناعة والاحق منه الحمق ١٢
ل٢ الغنا بالفتح الغنى والمجدة الكفاية وهو محدود مقصور تقول فلان لا غنا ولا غناء له والغنى بكسر الغين في المال والغناء للاغاني والكفاية ١٢ توشيح على الكفاء
ل٣ اسعاف حاجت روا كردن اسعفته بحاجة قضيتها له ١٢
ل٤ والاه بغير همز اراد وقه وتولى من الشجاي تلقى مر ١٢
ل٥ قوله افي شن ابن اقحى اوى الخ شن القربة الخلقة اثبت بها ادم شن ظفره ازاله بها موي شن ابن اقحى اوى الخ شن ابن اقحى اوى الخ

مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا اترك الحياكة واما ما قالت رابعة العدوية
استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة
لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى الاستغفارين لا الى استغفار واحد هكذا ينبغي ان تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى
ما قال القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات
والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى اخبأ ثلاثا في ثلاث لرضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها
شيئا فلعل غضبه فيه واخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله تعالى وزاد واخبأ اجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الاجابة فيه

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون
الى مصرين والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء
من لا يقف على الداء اذ لا مغنى للدواء الا مناقضة سبب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله ولا يبطل الشئ الا بضده
ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال تعالى واولئك
هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون فلا دواء اذن للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر
وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان يفهم علاج القلب بما به من مرض الاصرار
فاذن لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر ولا بد من بيانهما فان قلت اينفع كل علم لحل الاصرار ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم يجلبها ادوية
لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم الطب نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الاصرار فلنذكر خصوص
ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى تصديق بامور: **الاول** ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا
يتوصل اليها بالاختيار على مراتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويبقى عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان
باصل الشرع وهو ان السعادة في الاخرة سببها الطاعة والشقاوة سببها المعصية وهذا هو الايمان باصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق
او تقليد وكلاهما من جملة الايمان **الثاني** انه لا بد ان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيصدق فيما يعبر عنه لا يلتبس ولا يكذب فان
ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا
خلف **الثالث** انه لا بد ان يصغي الى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فتكون شدة الخوف
باعثة له على الاحتماء ووزانه من الدين الاصغاء الى الايات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق
بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الاخر في العلاج **الرابع** ان يصغي الى الطبيب فيما
يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل ما يضره من افعاله واحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شئ ولا ينفع
كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة
وانما حاجته في الحال ان يتفقه في العلم بانها ذنوب ثم في العلم بانها قاتلة وقد يضر رها في الدين ثم في العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم في العلم بكيفية تكفير ما سبق
منها فهذه علوم يختص بها الاطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فالعالم ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري
ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه ذلك وذلك بان يتكفل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد فيعلم اهل دينهم وغير ما يضرهم عما ينفعهم
وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على
جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابوابهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي
ظهر على وجهه برص والمرأة معلا يعرف مرضها لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا
يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع والدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض لا ميت ولا على ظهرها الا
سقيم ومرضى القلوب اكثر من مرضى الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره
كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وانما صار مرض
القلوب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل احداها ان المريض لا يدري انه مريض والثانية ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت

صبوة وصبا يصبو
صبا الى الشئ والصبا
الجهل والفعل
لواسع

مشاهدة تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال على دواء والثالثة وهو الداء العضال تقدر الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء يفنون الاغواء فليتهم ان لم ينصحوا لم يغشوا وان لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذي الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها لحكم القنوط واليأس استغراما لذنوبه التي سبقت يعالج ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من غاية الجهال والاغبياء فاذا فساد الاطباء هي المضلة للداء التي لا تقبل الدواء اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع: الاول ان يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره وليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان بأربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لما خلقوا فيقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لما خلقوا علموا بما علموا وفي بعض الروايات يا ليتهم تجالسوا فتذاكروا ما علموا ويقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعلموا بما علموا تابوا بما علموا وقال بعض السلف ذاك اذنب لعبد ام صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه لئن يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب والا استغفر لو يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقف من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعله يتوب الي فاغفر له ولعله يستبدل صالحا فابدله لحسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت المحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف مفتوحة كلما اذنب العبد ذنبا انقبضت اصبع حتى تقبض الاصابع كلها فيختم على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن ان بين العبد وبين الله حرما من المعاصي معلوما فاذا بلغ العبد طبع الله على قلبه فلم يوفق بعدها لخير والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما انما خلف العلم والحكمة وورثة كل عالم بقدر ما اجابه **النوع الثاني** حكايات الانبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيى التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن راسه والاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني قال فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا اول شؤم المعصية لنخرجنا من جوار الحبيب وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل لان المرأة سألته ان يحكم لابيها فقال نعم ولو يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لكانها منه فسلب ملكه اربعين يوما فعرف تألمها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطعم فاذا قال الطعام لي فاني سليمان بن داود شتم وطرد وضرب وحكي انه استطعم من بيت امرأة فطردته وبصقت في وجهه وفي رواية اخرجت عجين زجرة فيها بول فصبته على راسه الى ان لخرج الله له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين يوما ايام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر اليه بعض من كان جنى عليه فقال لا لوم عليكم فيما فعلتم من قبل ولا احدثكم في عذركم الان ان هذا امر كان من السماء ولا بد منه وروي في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة اخرى فارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنباه الله ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بم اطلعك الله على علم الغيب قال بتركي للمعاصي لاجل الله تعالى وروي ان الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر الى قميص نظرة وكان جديدا فكانه اعجبه قال فوضعته الريح فقال لو فعلت هذا ولم أرك قالت اذا نطيعك اذا اطعت الله وروي

ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام ابتدرلم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لاقال لقولك لاخفت اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون
لو خفت عليه الذئب ولو ترحمني ولو نظرت الى غفلة اخوته ولو تنظر الى حفظي له وتدارى لوردد ته عليك قال لاقال لانك رجوتني وقلت عسى الله ان يأتيني بهم جميعا
وبما قلت اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك اذكرني عند ربك قال الله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تحصر ولم يرد بها القرآن والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم ان الانبياء عليهم السلام لم
يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار نعم كانت سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الاخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا
اثما ولان عذاب الاخرة اشد وابقى فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جلسنا على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة **النوع الثالث** ان يقرر عندهم ان
تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا
الكثير لفرط جهله فينبغي ان يخوف بها فان الذنوب كلها اذا تجمل في الدنيا شؤمها في غالب الامر وكما حكي في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى انه قد يضيق على العبد رزقه
بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولي عليه اعداؤه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود اني لاحسب ان العبد
ينسى العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام من فارقه ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوداء في الوجه وقصما في الظهر انما اللعنة
ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق الخير وييسر له الشر فقد ابعد والحرمان عن ذوق التوفيق اعظم جرم
وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر وبتضاعف فيحرم العبد بعد ذوق الناقم من مجالسة العلماء المتكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله تعالى فيمقته الصالحون
وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا عن نقطة رجله حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا لمثل
العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب فذنبين فعند هذا يخوض في الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنب تعجل عقوبته بالاجزار الى ذنب اخر و
لذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك وذنوبك وذنوبك وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال اخر عرفت العقوبة
في فأر بيتي وقال بعض الصوفية بالشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقعت نظرة عليه فمر بي ابن الجلا الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان
تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت النار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة وقال ابو
سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى
ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائما ذات يوم اصلي
فجاءني قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم اخرج ثلاثة ايام وكنت اجلد غسلي في
الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيد وكان قد وجاني فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي ما استحييت من الله تعالى كنت قائما
بين يديه فسارت نفسك بشهوة حتى استولت عليك واخرجتك بين يدي الله تعالى فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك الذنب
قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا ظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخر
عنه حتى يهلك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة ان يتسبب ما بعده صفقة فان
لشيء كان عقوبته لا يحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه وان اصابته نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته
ان تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفى تلك حسناته وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته **النوع الرابع** ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب
كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غيرها هله ووضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب
الحاذق فيستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له ولجدا وضئي يا رسول الله ولا تكذبي على قال لا تغضب وقال له اخوا وضئي يا رسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في ايدي
الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة موقع واياك وما تعتذر منه وقال له اخوا وضئي فقال لا تكذب وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني
فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة قال وكيف لي بذلك قال ازهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الاول مخائل الغضب فنهاه عنه و
في السائل الاخر مخائل الطمع في الناس وطول الامل وفي الاخر مخائل تحريف الكلام وقيل لمحمد بن واسع في السائل مخائل الحرص على الدنيا وقال بعض العلماء اوصني فقال كن
رحيما اكن لك بالجنة زعيما فانه تفرس فيه آثار الغلظة والفظاظة وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم
الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم بالناس بل انسوا في وعاء الناس فكانه تفرس فيه انه الخالطة واخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته و
كان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل ولي من ان يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رضي الله عنه الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه

ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس
ومن التمس سخط الله برضى الناس وكله الله الى الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب
مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الله الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذا على كل احد
ان تكون عنايته مصروفة الى تفريس الصفات الخفية وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فان كفاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة و
الاشتغال بوعظ بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الوعظ يتكلم في جمع او سأله من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم
ان طريقه في ذلك ان يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية فالاغذية للكافة والادوية للاربا
العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني قال عليك بتقوى الله عز وجل فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن
فانه نورلك في اهل الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز امرك يعزك الله قال
لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا على
اعناق الرجال كلا ولا صم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر صلوتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين وقال ايضا
يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني
ان من يتحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما الوجاك الموت عليه
فراينه غنيمة فالزمه وكل ما الوجاك الميت عليه فراينه مصيبة فاجتنبه وقال موسى الخضر عليهما السلام اوصني فقال كن بساما ولا تكن ضحاكا وكن نفاعا
ولا تكن ضرارا وانزع عن الحاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام
اوصني فقال اجتهد في رضى خالقك بقدر ما تجتهد في رضى نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال الجل لدينك غلافا كغلاف المصحف ان تداس
الافات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى
عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى اما بعد فخف مما خوفك الله واحذره مما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام
وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن يسأله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما
بالنجاة واما بالعطب فاعلم انه من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن اعتبر
اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا جهلت فاسأل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر
بن عبد العزيز رحمه الله اما بعد فان الدنيا دار عقوبة وهي بحيث من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدوا
لما يخاف من عاقبة الدا ء وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدو اولياء الله وعدو اعداء الله فاما اولياؤه
فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك واعلم
انك لا تأتي الى الناس شيئا الا كان نزالا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عز وجل لخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة
ووعظ من لا يدري خصوص واقتصر هذه المواعظ مثل الاخذية التي يشترك الكافة في الانتفاع بها لاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ الخمسة باب الاتعاظ وغلبة
المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط
عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا
كان طلب الطبيب وعلاج المرضى فطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله **الاصل الثاني الصبر** ووجه الحاجة اليه ان المرض
انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناول ذلك اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فله سببان فما ذكرناه هو علاج الغفلة فبقي علاج الشهوة و
طريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته لتناول كل مضر فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه ولا يزال
يتسلى عنه بما يقرب اليه منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي بنا له في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج
الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فليبحث ان يستشعر ضرر
ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة للشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول الدواء الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا
بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب

مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمام الفهم حالة خوف واذا قوى الخوف تيسر بمعونة الصبر وانبعث للدواء لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسيسره الله تعالى لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيسره للعسرى فلا يغنى عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مما هلك وتردى مما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وانما الله الاخرة والاولى فان قلت فقد جمع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر عنه والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون الا بالعلم والعلم لا يحصل الا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق بالله ورسوله وهو الايمان فكان من اصر على الذنب لو يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الاخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر متأثرها بالموعود ضعيف لا اضافة الى تأثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها آجلة وهي في الحال آخذة بالخناق وقد قوي ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل الخوف الآجل شديد على النفس في ذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال عز وجل بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذا كان الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الباقلى لشدة عطشه ممكنا بايا صل الطب والامكنا بايا ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والوا الصبر عنه عاجز فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بانه لك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير من حيث جاوه التوفيق للتوبة بما يقدم عليه صح الايمان الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو معتقد ان الذنوب لا توجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالا على فضل الله تعالى فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب لسبب خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه اويشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو التفكر وذلك بان يقدر على نفسه في السبب الاول وهو تاخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غد للناظرين قريب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتاخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحصل له في ثاني الحال بل لو مرض فاخبره طبيب نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد اذ ذاك اشياء عنده تركه مع ان الموت الم لحظة اذا لم يخف ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات عند ادون قول نصراني طبيب يدعي الطب المفسد بلا معجزة على طبه ولا يشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندي اخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر يصبر نفسه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر عن خارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان التسويف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على التوبة غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا غلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة تراعوج اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا احماقة في الدنيا اعظم من جماقة اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المغني الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلدة وترك ذخائر امواله في صحن

داره وقد على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله تعالى ان يسلط غفلة او عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري واذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة وقد حكى في الاسمار ان مثل ذلك وقع فقال انتظر من فضل الله مثله فنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة واما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات على صدقه هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالة ذلك فهو اخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعاما لك في البيت لحظة انه ولغت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله او تتركه وان كان الذل لا طعمة فتقول التركه لاحتمالة لانى اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شاكا فهو قريب وان صدق فتفوتني الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام واضاعة شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تخرج صدق الانبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الاولياء والعلماء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الاخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى لم توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص ابد الآباد شيئا فكيف يفتر راى العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الآباد وذلك لا منتهى له ولذلك قال ابو العلاء احمد بن سليمان المعري شعر قال المنجم والطبيب كلاهما لن تبعث الاموات قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان يشاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكتا اى العاقل ليس له طريق الا من في جميع الاهوال فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من امن من باصل الشرع وتفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر الناضج هو الفكر في عقاب الاخرة واهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لداغ عمدا لم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني ان الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حالة من احواله ونفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوته فهو مشغول بتدبير حيلة وصارت لذته في طلب الحيلة فيها وفي مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما علاج هذين المانعين فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تالما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساة اذا وقع وانت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتالوبه واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يتحقق ان فوات لذات الاخرة اشد واعظم فالها الاخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به ولو لم يكن للطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما يضاف اليه من نعيم الاخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذن هذه الافكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الاخرة وقد روي في حديث طويل انه قام ابن ياسر فقال يا امير المومنين لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه اخبرنا عن الكفر على ما اذ ابني فقال علي رضي الله عنه بني على اربع دعائمه على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك غرته الاماني فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فاذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر في التوبة كاف واذا كان الصبر ركنا من اركان الدين وام التوبة فلا بد من بيان الصبر فلنذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى تم كتاب التوبة بحمد الله وحسن توفيقه والصلوة على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الاولياء بقوة الصبر على البراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى اله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام

٥١ اى تشبيه الغير امر العقل ١٢
٥٢ وفي ابن خزيمة مكان الاخرة يقال وفي الكلبي شر ابنا و في شر ابنا ومن ١٢ من
٥٣ اليكما اى يحق عني قال ما اسمع وقولكما ٥٤ وقوله يبشرين شان ١٢ من شرح ابن ٥٥ عاوعنه اى ال وعل ١٢ ق

عن الفناء: ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء: **اما بعد** فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمي نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل للوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والقاعد عن معرفة الصبر والشكر قاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما الحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط احدهما بالآخر ان شاء الله تعالى **الشطر الاول**: في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اسمائه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان طرق الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة الصبر

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وليجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحسابه الا الصبر والاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول **واما الاخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سيأتي وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من قل ماؤه قل صبره ومن عظمت مصيبته عظم يقينه ومن عظمت عزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح الدنيا عليكم بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا اجرهم الآية وروي جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال ايضا صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي الي الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكرهون خير كثير وقال المسيح صلى الله عليه وسلم انكم لا تزالون بخير ما تحتملون الاذى بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى **واما الآثار** فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وفي ذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة بالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العديلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجاه اعطى واثنى اي هو المعطى للصبر وهو المثنى وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضاء بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل واما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهم له الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق

بيان حقيقة الصبر ومعناه

اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا تتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنهما والعمل هو كالثمرة يصدر عنهما ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة اما في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة و

تردها عن مقتضاها حتى ليسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة عليهم السلام فانهم حرد والشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند اخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق فى ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذى هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة الكلام على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند فى مقابلة جند اخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس فى الصبى الا جند الهوى كما فى البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده اكرم ابن آدم ورفع درجته عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقارنة البلوغ ملكين احدهما يهديه والاخر يقويه فيتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذى اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها فى الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ واما الذى النافع مع كونه مضرا فى الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة فى العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا اخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف فى الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الانسان البهائم فى قمع الشهوات وقهرها باعتاد دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال الشهوانية عمل بثمرة حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذى هو فى مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال ثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها الاسباب السعادات فى الدنيا والاخرة فاذا قوى يقينه اعنى المعرفة التى تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف ما تقتضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تفجع مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الادميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادى اعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك ان جانب اليمين الذى هو اشرف الجانبين من جنبتى الدست ينبغى ان يكون مسلما لهواذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبد طوران فى الغفلة والفكر وفى الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسئ اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب قباله لحسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسئ اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان فى صحائف مطوية فى سر القلب مطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليها فى هذا العالم فاهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وشئ من عالم الملكوت لا تدركه الابصار فى هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة فى القيامة الصغرى ومرة فى القيامة الكبرى واعنى بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفى هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا واما فى القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون فى حدة بل يجاء يومئذ بجهنم يساق المنقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا احادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى وجميع اهوال القيامة الكبرى نظير فى القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تزلزل فى الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة فى حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارض مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك فى الارض التى انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله ان يتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تحتشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهى ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك ورأسك سماء ارضك وقلبك شمس

ل الغريزة مائة الشئ كالمغرزة بالفتح ١٢ قاموس
ص السجال الدلو العظيمة مملوة او فارغة جمعه سجال والسجول والكتاب اسم السجل منهما على بولاء والنصرة بين القوم سنة ولاء اى يتنال بولاء منهم تارة ويتنالون اخرى ١٢ قاموس وغيره
ش الدست من الرياب ما يلبسه الاتان ١٢

انضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومغيض العرق من بدنك بحار ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من العروق فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رممت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا ابطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الارض ومدت حتى القت ما فيها وتخلت واستطولت الجميع موازنة الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يفوتك من القيامة الكبرى شئ مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ما ذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسف الشمس وانجلاؤها والاهما قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد اسفل والهول بعد مؤخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم ان هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لو ذكرنا عشر عشيرها وصافها وهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فشر الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل اعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين واليه الاشارة بقوله تعالى ونشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مومن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فيا اعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تومن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال فما لا تكفيك القيامة الصغرى وما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا وما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت وما استحيى من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فيا تيهم الموت فلا ينزجرون ويا تيهم الشيب سولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن افيظنون انهم في الدنيا خالدون الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون او يحسبون ان الموتى سافوا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الادميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين اذ قد ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري انه قد تظهر مبادئ اشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها مدة قاصرة لا ترشد الى مضار الاخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الاخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما يشرف في الاخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على يمين الكرام الكاتبين البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث خلاق الملائكة واستعلها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين والى الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة واشار الى اصبعيه الكريمتين صلى الله عليه وسلم

بيان كون الصبر نصف الايمان اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين **احدهما** ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة

ع انه ورث البيت ع انه ورث البيت ع انه ورث البيت

ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من قال ما او تيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره **الاعتبار الثانى** ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال او على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه فى الدنيا والاخرة او يضره فيما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطرى الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعى الشهوة ودواعى الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغى ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان تعرف كثرة ابواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة **بيان** الاسامى التى تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر اعلم ان الصبر ضربان احدهما ضرب بدنى تحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطى الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسى عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى عفة وان كان على احتمال مكروه اختلف اسامیه عند الناس باختلاف المكروه الذى عليه الصبر فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاد حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان فى كظم الغيظ والغضب سمى حلما ويضاده التهور وان كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان فى اخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمى زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ويضاده الشرة فاكثر اخلاق الايمان داخل فى الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكبر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين فى البأساء اى المصيبة والضراء اى الفقر وحين البأس اى المحاربة اولئك الذين صدقوا اولئك هم المتقون فاذا هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعانى من الاسامى يظن ان هذه الاحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث اسامى الاسامى مختلفة والذى يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعانى ولا يقطع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامى فانها وضعت دالة على المعانى فالمعانى هى الاصول والالفاظ هى التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لابد وان يزل الى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الالعكاسات نسئل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه **بيان** اقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة احوال **احدها** ان يقهر داعى الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فالاجرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وايام ينادى المنادى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية **الحالة الثانية** ان تغلب داعى الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد لبأسه من المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله فى قلوبهم التى هى سر من اسرار الله تعالى وام من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست اطمع فيها ولو يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة الى توبتى وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا فى استنباط دقائق الحيل التى بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله فى يد شهواته كمسلم اسير فى ايدى الكفار فهم يستخدمونه فى رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لان تفاحش جنايته بسببه انه سخر ما كان حقه ان يستسخر وسلط من حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة

ل المتن تحريك
ش نفس الحزين
ل تذم الرجل
لم تنفسه على فائت
وتغضب وعليه
تشكر او واوه
ق قاموس
ش التبرم
الملال وبه الامل

الدين وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه وجب من حق غيره عليه فهما اخوان
المعنى الشريف الذى هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذى هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن ارق مسلما الكافر بل هو
كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد فى الارض
عند الله تعالى والعقل اعز موجود خلق على وجه الارض **الحالة الثالثة** ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من
المجاهدين بعدلا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف يتطرق اليه ايضا
ثلاثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا
صالحا واخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتارك للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبههون بالانعام بل هم اضل سبيلا اذ البهيمة
لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل **شعر** ولم ار فى عيوب الناس
شيئا كنقص القادرين على التمام ؛ وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد
ليس ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دامت التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة
من الحسنى تيسر الصبر وازداد قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوى
يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حيلة واليسر قوة بحيث لا يلقاه فى مصارعته اعياء ولا الغوث ولا تضطرب فيه نفسه لا يتبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد
الا بتعب ومزيد جهد وعرف جبين فكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما
اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضاء كما سيأتى فى كتاب الرضاء فالرضاء اعلى
من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضاء فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات
اولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين والثانية الرضاء بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين
فى كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضاء كما ان مقام الرضاء اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجرى فى صبر خاص وهو الصبر
على المصائب والبلايا واعلم ان الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على
الاذى المحظور كمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتصبر غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على
ما يجرى على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان
لا ينبغى ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة **بيان** مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغنى عنه فى حال من الاحوال
اعلم ان جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياة لا يخلو عن نوعين احدهما هو الذى يوافق هواه والآخر هو الذى لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد منهما وهو
فى جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين وعن كليهما فواد لا يستغنى قط عن الصبر **النوع الاول** ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال و
الجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما يحوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال
والركون اليها والانهماك فى ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه
المؤمن والعوافى لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة
الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن
ذكر الله وقال عز وجل ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة ولما نظر عليه السلام الى ولده الحسن رضى الله
عنه يعثر فى قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة انى لما رايت ابنى يتعثر لم املك نفسى ان اخذته فعلى ذلك عبر الاولى الا يصبر
فالرجل كل الرجل من يتصبر للعافية ومعنى الصبر هاهنا ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع على القرب فلا يرسل نفسه فى
الفرح بها ولا ينهمك فى التنعم واللذة واللهو واللعب وان يرعى حقوق الله فى ماله بالانفاق وفى بدنه ببذل المجهودة فى الخدمة وفى لسانه ببذل الصدق وكذلك
فى سائر ما انعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتى وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن الغصة
ان لا تقدر والصبر على الجائعة والفقد اذا لوالاه خير لك اليسر من الصبر على فصدك نفسك وجاعتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه
اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقد بعثها فلهذا عظمت فتنة السراء **النوع الثانى** ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار
العبد كالطاعات والمعاصى او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار فى ازالته كالتشفى من المؤذى بالانتقام منفذة

ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة او معصية وهما ضربان **الضرب الاول** الطاعة وهو
يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره
فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره اذا استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من
هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان امتناعه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية
في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا
كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاث احوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر
على شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس
وقد نبه عليه صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفي هذا المعنى قدم الله تعالى الصبر
على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط
الادب الى آخر العمل فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الى
تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط
اثره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض
ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء
ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر **الضرب الثاني** المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى انواع المعاصي في قوله تعالى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث الهوى واشد انواع الصبر
عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان
على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثوران كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة
والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح
فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احداهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وهما
تتولاه الربوبية التي هي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر
عنها حتى يطلق استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الابتلاء بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق
لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنى ومن لم يملك لسانه في المحاورات لم يقدر على الصبر على
ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف
داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها واليسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في الغيبة ولا يمكن الصبر عنها صلا
الا بان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومهم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوساوس عنه **القسم**
الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختياران في دفعه كالاذى بفعل وقول وجني عليه في نفسه وماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون
واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولتصبرن على ما اذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على
ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافاة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص
وغيره فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف
عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل
من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى
فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب جميعا **القسم الثالث** ما لا يدخل تحت

الاختيار اوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر انواع البلاء
فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضى الله عنهما الصبر فى القران على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة
وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من الفضائل التى
ما قبلها وهى من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم واما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا بضياعة الصديقين فان ذلك
شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون علىّ به مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال ابو سليمان والله
ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه او ماله او ولده
ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال
صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اْجُرْنى فى مصيبتى واعقبنى خيرا منها الا
فعل الله به ذلك وقال انس حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال ياجبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
قال تعالى جزاؤه الخلود فى جهنم وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى الى عواده ابدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه فاذا ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتى وقال داود عليه السلام يارب ما جزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء
مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه
منها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقوا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضاء بقضاء الله
قيل وكيف ذلك قال الراضى لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلى رحمه الله فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤك زائرين
فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائى لصبرتم على بلائى وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان
فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امراة فقد الموصلى عزت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابها ازالت عن
قلبى مرارة وجعه وقال داود وسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضاء فيما قد نال وحسن الصبر فيما تفلت
وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفى كمه بيضة
فاذا هى قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها منى وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابى حذيفة وهو فى القتلى وبه رمق فقلت له
اسقيك ماء فقال جرنى قليلا الى العدو واجعل الماء فى الترس فانى صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالك طريق الاخرة على بلاء الله تعالى فان قلت
فبماذا تنال درجة الصبر فى المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا تكون فى نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل فى الاختيار
فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة فى الشكوى واظهار الحاية وتغيير العادة فى الملبس والمفرش والمطعم وهذه
الامور داخلة تحت اختياره فينبغى ان يجتنب جميعها ويظهر الرضاء بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روى
عن ام سليم ام انس رضى الله عنهما انها قالت توفى ابن لى وزوجى ابو طلحة غائب فهممت فسجيته فى ناحية البيت فقدم ابو طلحة فهممت فهيأت له فطاره فجعل يأكل
فقال كيف الصبى فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى باسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن مما كنت اتصنع له قبل ذلك حتى اصاب منى حاجته ثم قلت
الا تعجب من جيراننا قال مالهم قلت اعاروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله قبضه
اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما فى ليلتهما قال الراوى فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرؤا
القران وروى جابر انه عليه السلام قال رايتنى دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امراة ابى طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا
يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد
النبى صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضاء فالمقدم
على الحجامة والفصاد راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه اذا عظم المه وسيأتى ذلك فى كتاب الرضاء ان شاء الله تعالى وكتب ابن ابى نجيح يعزى بعض
الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه له فاعلم ان الماضى قبلك هو الباقى لك والباقى بعدك هو المأمول فيك فاعلم
ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما عوفوا منه فاذا دفع الكراهة بالتفكر فى نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين فهم من كمال الصبر
كتمان المرض والفقر وسائر المصيبات وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام فى جميع الاحوال الا فيما
فان الذى كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن

واكثر جولان الخواطر انما يكون فى فائت لا تدارك له او فى مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعة عمره فاذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسانا لله تعالى او عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون هذا ان كان فكره وسواسا فى المباحات مقصورا عليه ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر فى وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك حلى خلاف غرضه فى جميع عمره او من يتوهم به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل بتقدير المخالفة من اخلص الناس فى حبه حتى فى اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر فى كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به فى مخالفته ولا يزال فى شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جند السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين فابى واستكبر واستعصى وعرف سبب استعصائه بان قال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغى ان يطمع فى سجوده لاولاده وهما كف عن القلب وسواس وحداثه وطيرانه وجولانه فقد ظهر انقياده وانقياد بالاذعان بعجز منه شفوق روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامة الدالة عليه بالاصطلاح ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدى المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغى ان يدهش لك صدف الجوهر عن الجوهر وقلب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فكثيرون ممن قيد عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصير وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين فى الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجرى من ابن آدم مجرى الدم وسبيلا له مثل الهواء فى القدح فانك ان اردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت فى غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم فى الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله تعالى ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل اشتغل بباطله بما يستعين به على دينه كالظاهر فارغا ولو بقى قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج افراخه ايضا ويبيض مرة اخرى ويفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة فى نفس شاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا يبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذا اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهى صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هى لفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت نسئل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

بيان

دواء الصبر وما يستعان به على ان الذى انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر ان كان شافيا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمجموع العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التى منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق فى بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث لا يتمالك معها فوجد اعمالك فرجه لكن ليس بملك عينه او عمالك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصادمة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الاخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الاخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة واما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان تنظر الى مادة قوتها وهى الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل فى نفسه ضعيف فى جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة الثانى قطع اسبابه المهيجة له فى الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والتزام منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان او الهرب من صوب ميه فانه انما يرمى هذا السهم عن قوس الصوت فاذا انقلبت عن صوب الصوت لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذى

يشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففى المباحات ما يغنى عن المحظورات وهذا هو العلاج الانفع فى حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا تقمع الشهوة فى حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهى قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضارى ليضعف فتسقط قوته والثانى يضاهى تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهى تسليتها بشئ قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التاديب واما تقوية باعث الدين فانما تكون بطريقين احدهما الطاعة فى فوائد المجاهدة وثمراتها فى الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره فى الاخبار التى اوردناها فى فضل الصبر وفى حسن عواقبه فى الدنيا والاخرة وفى الاثران ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا فى نفيس فلا ينبغى ان يحزن لفوات الخسيس فى الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوى فهو باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المولد لعزيمة الصبر واقل ما اوتى الناس اليقين وعزيمة الصبر والثانى ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى مئونته فى مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التى تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحجامين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فقوة الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين فى ذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهى اطماع المصارع فى الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة تكاوعده فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى حيث قال وانكم اذا لمن المقربين والثانى يضاهى تعويد الصبى الذى يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة اسبابها ذلك منذ الصبى حتى يانس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه مئونته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج فى جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشد مالف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة واثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة لانقطاع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفى ما لم تنصرم الهموم هما واحدا وهو الله تعالى فمهما اغلب ذلك على القلب فلا يكفى ذلك ما لم يكن له مجال فى الفكر وسير بالباطن فى ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر ابواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه رفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة فى كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات لا بعضها اذ لا يخلو فى جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالط اذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض اسباب معيشته فهذا احد الانواع الشاغلة واما النوع الثانى فهو ضرورى اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان تهيئة ذلك ايضا تحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب ممن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به مهمة وواقعة وفى تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من اسرار الله تعالى فى ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التى يمكن ان تنال بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى فى الاحوال والاعمال فذلك يجرى مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فلها توازى اعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم لاختيار العبد فى ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجذوب الى اسفل سافلين لا يجذب الى اعلى عليين وكل منهوم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى ييسر الله تعالى اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذى يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه لا بمطر ولا يدرى متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى ورحمته انه لا يخلى سنة عن مطر فلذلك قل ان تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغى ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب ريح الرحمة كما يقوى انتظار الامطار فى اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات فى الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى نستدر بها الامطار فى اوقات الاستسقاء وهى لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات

حاضرة معك فى قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصارت لك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تكسر الشق ويرفع الحجاب فتشرق انوار المعارف من باطن القلب فى ظاهر ماء الارض بحفر القنى اسهل واقرب من استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا فى القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال تعالى وليتذكر اولوا الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو اخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله المسير من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق فى جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب لشدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات فى الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون اغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهى الربوبية والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لاصل الربوبية وعنى بالعبارة بقوله قل الروح من امر ربى وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلطه وقعوده بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الاخرة فليس يطلب الا بقاء لا افناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا انقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلبه ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن للملك ملكان ملك مشوب بانواع الالام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو فى الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا زوال ولا يقطعه قاطع ولكنه اجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا فى العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التى فى طبعه فاستخف بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحق فوعده بالغرور فى الاخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الاخرة كما قال صلى الله عليه وسلم والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولو تبدل الموفى بحبل غروره اذ علم مدخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذول بقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال تعالى ان هولاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان فى كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل واوحى اليهم ما اوحى الى الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقى عن الملك المجازى الذى لا اصل له ان سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف ابراهيم وموسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الاخرة اما ملك الدنيا فالزهد فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الاخرة فبالقرب من الله تعالى بدلك بقاء لا افناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين لا خفيت فى هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الاخرة يفوت به اذ الدنيا والاخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له ايضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم فى التدبيرات وكذا سائر اسباب الجاه ثم مهما تسلم وتتم الاسباب ينقضى العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد فى الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقاد ان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبد الفرج وبطنه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة اخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الاخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة وملكى اعظم من ملكك قال كيف قال من انت عبد فهو عبد لى فقال كيف ذاك قال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدى فهذا ذا هو الملك فى الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك فى الاخرة فالمخذول عون بغرور الشيطان خسر الدنيا والاخرة جميعا والمؤيد بالدين وفقه الله للاشتداد على الصراط المستقيم فاز بالدنيا والاخرة جميعا فاذا عرفت الان معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط فى ذلك وكيفية تعمية الشيطان فى تلبيسه سهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الاخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كى لا يشاهد اسبابه فيسهل عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله فى سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فهاجروا فيها الثانى ان يكلف نفسه فى اعماله افعالا تخالف ما اعتاده

ل ۵۱ شقا وشق
ل ۵۲ الفا
ل ۵۳ يجرى

فيبدل التكلف بالتبذل وزى الحشمة بزى التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل فى مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغى
ان يبدلها بنقائضها حتى يرتاض باعتياد ذلك ضد ما ارتاض فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يرعى فى ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل
دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك
البعض ابتداء بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقمع تلك الصفات التى رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والية الاشارة بقوله عليه السلام
لا شاد واهذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قمع الذين طرق المجاهدة فى كتاب رياضة
النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر فى جميع الاقسام التى فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى
حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا
بالتجربة والذوق وله نظير فى العادات فان الصبى يحمل على المتعلم فى الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته والتذ بالعلم انقلب
الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض العارفين انه سال الشبلى عن الصبر اية اشد فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا
فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل فى معنى قوله تعالى اصبروا
وصابروا ورابطوا اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل
فى معناه **شعر** الصبر عنك فذموم عواقبه ٭ والصبر فى سائر الاشياء محمود ٭ وقيل ايضا ٭ الصبر يحمل فى المواطن كلها ٭ الا عليك فانه لا يجمل ٭ هذا
آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره **الشطر الثانى** من الكتاب فى الشكر وله ثلاث اركان **الاول** فى فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه والحكم
الثانى فى حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة **الثالث** فى بيان الافضل من الشكر والصبر **الركن الاول** فى نفس الشكر **بيان** فضيلة
الشكر اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع انه قال لذكر الله اكبر فقال تعالى فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن بليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم فقيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة
الشكر طعن اللعين فى الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم واستثنى فى خمسة اشياء فى الاعناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه
ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم
وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **واما الاخبار**
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واى شانه لم يكن عجبا انه اتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى او قالت فى لحافى حتى مس جلدى جلدى ثم قال ائذنى ابنة ابى بكر ان اتعبد لربى قالت قلت انى احب قربك لكنى احب ما يسرك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع
فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل ذلك وقد انزل الله تعالى على فى خلق السموات والارض الاية وهذا يدل على ان البكاء ينبغى ان لا ينقطع
ابدا والى هذا السر يشير ما روى انه مر بعض الانبياء بحجر صغير فخرج منه ماء كثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس
والحجارة فانا ابكى من خوفه فسأله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الان فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور
وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة
ليقم الحامدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى لفظ آخر الذين يشكرون الله
على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن واوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلام انى رضيت بالشكر مكافاة من ابلى فى كلام طويل
واوحى الله تعالى اليه ايضا فى صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى ازيدهم
ولما نزل فى الكنوز ما نزل قال عمر رضى الله عنه اى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال و
قال ابن مسعود الشكر نصف الايمان **بيان** حد الشكر وحقيقته اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل
فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم

وفى نسخة الشيء وفى نسخة وفى نسخة
الجلال وفى نسخة العبد
وفى الارض
فيما يرضى
وفى نسخة من لباسه وطيبه وفراشه
اى من لباسه وطيبه وفراشه
وفى نسخة والمزاوجة
وفى نسخة وهو
ان الذين يشترون
فيه برزق من يشاء

ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان فلابد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه **فالاصل الاول** العلم وهو علم بثلاثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لابد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لابد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فاما في حق الله تعالى فلا يتم الايمان بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف انه مقدس فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شئ من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة بنفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوزيره او وكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا يغض من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيع الذي كتبه بقلمه وبالكاغذ الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغذ ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران من جهة الملك في الايصال وانه لو ورد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك لرماه في الحال وامر جزم بخلافه حاقبته لما سلم اليه فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغذ فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في نفسه ان خيره في الدنيا والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به وبعد ان خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعتك في منفعته في منفعتك لما انفك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال الله عز وجل علم ان كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذا لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا فلم تعرف الا النعمة ولا المنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فينقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل **الاصل الثاني** الحال المستفادة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر حتى لو تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان حاويا شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم فرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وهو مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا ولاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته مرتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه لا يتمكن بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشئ من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب

ل ٥ فضافة نقصان شرك ان تقدر كي صدر يقال شخص نزيه ونقص من قدره ٢ ر عمر

لاختيار القرب لهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس فرحه بالفرس كالجشع فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث هو معرفة عناية التي استحقته على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه واما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا واما رتبة ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ومعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لو يريد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومركب بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستلذ بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة كما قيل

شعر ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مرا به الماء الزلالا

فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل ولا مغزى فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه

الاصل الثالث العمل موجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه بمسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت قال بخير فاحمد الله صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون وغايتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حاله فهو بين ان يشكر او يشكو ويسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد وفد وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امنا منها عدلك ونحن وفد الشكر جئناك لنشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك في الشكر طفيليا اشارة الى ان معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص وهؤلاء اقوالهم تعرب عن احوالهم فلذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لا تقابل حال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان تظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانما لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل اصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني او يتناول بعضها مقصورا او بقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس في ذلك من علم طريق الآخرة في شئ والله الموفق برحمته

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى لعله يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم لا بشئ من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين احدهما ان الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة والثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعا سجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه ايضا هي شكرنا الملك المنعم علينا بان نام في بيوتنا او نسجد او نركع اذ لا حظ

تملك فيه وهو غائب لا علم له ولا حظ لله تعالى في افعالنا كلها الوجه الثاني ان كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة اخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا
وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي اسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو اعطانا الملك مركبا فاحتجنا
مركبا آخر لنركبه واعطانا الملك مركبا آخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا بل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر لا بنعمة اخرى
فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر
قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر وشكري لك
نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت ان النعمة مني رضيت منك بذلك شكرا فان قلت
فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما اوحى اليهم فاني اعلم استحالة الشكر لله تعالى فما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا
نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك
السر فيه فان امكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا اقرع باب من المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملامح نقول
ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر لعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غير
ان كل شئ هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل
هو محال ان يوجد اذ الموجود الحق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فاني اعتبر ذاته لو لم يلتفت الى
غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره لبقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود
غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد لا يتصور ان يكون غيره ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام عرفت ان الكل من
مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرأ وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى على اعطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد اليمني حيث قرئ بين
يديه يحبهم ويحبونه فقال العمى يحبهم ودعه يحبهم فحق يحبهم لانه انما يحب بنفسه اشار به الى انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها
الا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده
من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه
فحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى فمن لم يفهم هذا
ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله يأكل في كل يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال الجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة
العارفين ان يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا
الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فترى ان ضحك العارفين عليهم خذا اعظم اذ قال
تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك امة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة
فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود
انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم تعاموا عما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي
هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فقائم به ولو تبصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا العلم انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا
وجود لهم ولا وجود هم من حيث وجدوا الا من حيث وجد او فرق بين الموجد وبين الموجد وليس في الوجود الا موجد واحد وموجد فالموجد حق
والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام الفرق الثاني
ليس هم عمي ولكنهم عور لانهم يبصرون بأحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لو يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت
موجودا اخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذي قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا
فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر
له من نقصان ما اثبته سوى الله تعالى فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينمحي عن رؤية ما سوى الله فلا يرى الا الله تعالى فيكون قد بلغ
كمال التوحيد وحيث ادرك نقصا في وجود ما سوى الله تعالى دخل في اوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فهذا تفاوت درجات الموحدين وكتب الله
المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي به يحصل انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه

ان لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت له ما ولكن لا يدوم الدوام فيه عن قرب لكل الى شأو العلا حركات ؛ ولكن عز ير فى الرجال ثبات ؛ ولما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له اسجد واقترب قال فى سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم لا احصى خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثنى والمثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود وان كل شئ هالك الا وجهه فكان اول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله تعالى وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ما اذا انتهت نهاية اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصانا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض اولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضى الله عنها اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد فى المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذى وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة واما الشرح كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيظهر فى ذلك المقام وبالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول ليمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غناء فى خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد فى ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغنى منه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك به فنزل العباد من الله تعالى فى المنزلة الثانية لا فى المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التى ارادها الملك منه واما فى الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد فى بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه واذا استعمل نعمته فى محبته اى فيما احبه لعبده لا لنفسه وان لكبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا فى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خالق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم فى القرب منه فاعدلهم من النعم ما يقدرون على استعماله فى نيل رتبة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا الآية فاذا نعم الله تعالى الآت يترقى العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غنى عنه قرب ام بعد والعبد فيها بين ان يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها فى معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها ولم يستعملها فى طاعته ولا معصيته فهو ايضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق فى الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة وينال القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله فى الاشياء التى استعملها فى الطاعة وكل كسلان

ترك الاستعمال او حاصل استعملها فى طريق البعد فهو كافر جار فى غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشية ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة
بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذى منع من افشائه وقد اخل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور
خلاف فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا يخل الثانى فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله فى جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة فى جهة المحبة بفعل الله فقد
حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث انت محله فقد اثنى عليك واثاوه بنعمة اخرى منه اليك فهو الذى اعطى وهو الذى اثنى وصار احد فعليه
سببا لانصراف فعله الثانى الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذى الشكر عبارة عنه لا بمعنى
انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق للعلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك وصفك
بانك شاكر اثبات شيئية لك وانت شئ اذ جعلك خالق الاشياء شيئا واما انت لا شئ اذ كنت انت ظان لنفسك شيئية من حيث انك فاما باعتبار النظر
الى الذى جعل الاشياء اشياء فانت شئ اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شئ تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا
فكل ميسر لما خلق له لما قيل له فيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فتبين ان الخلق مجارى قدرة الله تعالى ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله و
لكن بعض افعاله محل لبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق ان العمل نافع وعلمهم فعل
من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهى ايضا
من افعال الله تعالى ولكن بعض افعاله سبب للبعض اى الاول شرط للثانى كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرطا لخلق العلم
وخلق العلم شرطا لخلق الارادة والكل من افعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض اى هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد
لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول الغير وهذا
اذا حققت ارتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون مذمومون على العصيان وما الينا شئ فكيف نذم وانما الكل
الى الله تعالى فاعلم ان هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور
وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له فى الازل السعادة ييسر له هذه الاسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله
بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم
لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقى فى حزب الشيطان وان جمعنا لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون
الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط
الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا ادبار الا لملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن
اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص
ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو بناء على ما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتوالا بمعرفة ما يحبه الله تعالى اذ معنى الشكر استعمال نعم الله تعالى فى محابه ومعنى الكفر نقيض
ذلك اما بترك الاستعمال او باستعمالها فى مكارهه ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدرك ان احدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثانى بصيرة القلب وهو النظر
بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تبتنى على معرفة جميع احكام الشرع فى
افعال العباد فمن لا يطلع على احكام الشرع فى جميع افعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثانى وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى فى كل موجود
خلقه اذ ما خلق شيئا فى العالم الا وفيه حكمة وخلف الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان الحكمة
فى خلق الشمس ان يحصل بها الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس وكل الحكم
فيها بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة فى الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد نطق
القرآن على جملة من الحكم الجلية التى تحملها افهام الخلق دون الدقيق الذى يقصرون عن فهمها اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا
وعنبا الآية واما الحكمة فى سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذى يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر
اليها واشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع بناء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته واعضاء
حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف الى عشرة الاف وكذا اعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين
للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشى والرجل للمشى لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلية ولحاد العروق والاعصاب والعضلات

وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والاخراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها او لا على الوجه الذي اريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ بها ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار تيتم بها وانما خلقت ليبصر بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بها ما يضره فيهما فقد استعملها في غير ما اريد تابه وهذا هو المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى لا وصول اليه لا بمحبته ولا انس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا لا انس لا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالغذاء ولا يتم الغذاء الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا فكمل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فلذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقامة على تلك المعصية ولنذكر مثالا لاحد الحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير ولهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه وعلك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن علك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن او الصورة وكذا من يشترى دارا بثياب وعبدا بخف ودقيقا بهما فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا بد وان يقدر الجمل كم يساوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقدرت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يساوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يساوى مائة فهما من حيث انهما مساويان لشئ واحد اذا متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال بالنسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لو عرى الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شئ هو في صورته كانه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء والشئ انما استوى نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيد ها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم بطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكام بل يخالف الغرض المقصود بالحكام فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المغني الذي عجزوا عن ادراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير انية من ذهب او فضة فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنزها ان مثال هذا مثال من يستخدم حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس والجلس اهون منه وذلك ان الحرف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المالية عن ان تتبدد ولا تبقى لكن لا يكفي الحرف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا الانكشاف له بالترجمة الالهية وقيل لمن شرب في انية من ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشترى به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما وموقعهما في الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فنوجازله ان يبيع

بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيدا عنده ونزل منزلة الملكن فيتقيد الحاكر والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى
لبيع النقد بالنقد لاتخاذ النقد مقصود اللادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان اتحاد النقدين يخالف
الآخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا فنهي المنع منه ما يشوش المقصود الحاصل به وهو تيسير
التوصل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مجانا تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض
واخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض واخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوق النفوس اليه الا ان يكون احدهما
اجود من الآخر وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي فلا ينتظم العقد وان طلب زيادة في الردي فذلك مما قد يقصد فلا
جرم منعه منه ونحكم بان جيدها ورديئها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي ان ينظر الى
مصارفات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد وانما اذا
باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز ذلك لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان ففي القرض وهو مكرمة مندوب عنه لتبقى صورة المسامحة
فيكون له حمد واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتقوى
بها ويتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويتوعر عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق الطعام
الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه طعام فلم لا يأكله
ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبيعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو
ايضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور واذا احدهما لا يسد مسد
الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد
بمثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد واما جيد بردیئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي في اصل الفائدة ويخالفه في
وجوه التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه
اقوى من جميع ما اوردناه في الخلافيات ولهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب
والدواب اولى بالدخول ولو لا اللج لكان مذهب مالك رحمه الله اقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان يضبط بحد و
تحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم لحوى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تقيط باطراف لا تقوى
فيها اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى لكمال
قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع
وانما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره فالداخل في الحد
داخل في التحريم بحكمة الحسم كما دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل
ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من قد عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب
هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولو الالباب لذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى
ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفران لا يتصور ان ينفك
عنهما وبعض ذلك يصفه في لسان الفقه الذي يناطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالخطر وكل ذلك عند ارباب القلوب موصوف بالخطر فاقول مثلا
لو استنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله لك اليدين وجعل احداهما اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحان في الغالب الشريف والتفضيل
وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل فواجب من اعطاك اليدين الى اعمال بعضها شريف كاخذ المصحف وبعضها خسيس كازالة النجاسة
فاذا اخذت المصحف باليسار وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فخضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت
مثلا في جهة القبلة او استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعا لحركاتك
وقسم الجهات الى ما لا يشرف فيها والى ما يشرف فيها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد بهمتك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة
على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت افعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق فاذا رميت
بصاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت

لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيخطو البداءة فى الخطوط ينبغى ان تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع الزرار من الخطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة نعم الفقيه لايقدر على تخيير الامر فى هذه الامور لانه مسكين بلى باصلاح العوام الذين تقرب فى جهنم من رجيتها الانعام وهم مغموسون فى ظلمات اظلم واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال للذى شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والاخر الاخذ باليسار ومن باع حرا فى وقت النداء يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالف من وجهين احدهما بيع الحر والاخر البيع فى وقت النداء ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح ان يذكر تركه الادب فى قضاء الحاجة من حيث انه لو يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصى كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فينبغى بعضها فى جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين اعزا ولاده لو يتبع لاستعمال السكين بغير اذن حكم ونكاية فى نفسه فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الاداب وتسامحنا فيه فى الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر فى العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن جدود القرب الى عالم البعد الذى هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى فى خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة واما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لقصد الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الانسان فانها جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس فى بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا والية الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه نعم اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها فلا تفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفى بحاجة واحدة ولو خصص احدها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصبأ الاختصاص هو الذى حصل البذر ووضعه فى الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو اولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك فان نبت ذلك فى موات لا بسعى دمى اختص بغرسه او بغرسه فلا بد من طلب اختصاص اخر وهو السبق الى اخذه فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذى له ما فى السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو فى نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم لخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم فى الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واخرى عن يمينه او بين يديه فجاء عبد اخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصبأ اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت لقمة بعينها لا تفى بحاجة كل العبيد فالعدل فى التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدانى ذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغى ان تفهم امر الله فى عباده ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفى عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق فى طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا فى حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس فى استشعار الفقر فى الاستقبال مختلفة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجرى مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقون ذلك فتركنا الاعتراض عليهم فى اللعب واللهو واباحتنا ذلك اياهم لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا العوام حفظ الاموال والاقتصاد فى الانفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذى لا كدورة فيه والعدل الذى لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب فكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب اخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التى بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه فى الدنيا والاخرة فمن فهم حكمة الله تعالى فى جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ولا تفى الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الاية من لم يعرف هذا كله وامورا اخر وراءه وهذا تقتضى الاعمار دون استقصاء مبادية فاما تفسير الاية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجع حاصل هذا الكلام الى ان لله تعالى حكمة فى كل شئ وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافى بمقتضى الحكمة حتى استقامت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف

وصنع الاسباب من ان تتساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يرفعها
هو ايضا من فعل الله تعالى فاين العبد في المبين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا
فيما سبق الى تلويحات بمبادیها ونحن الان نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا
عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تليها عبارة
واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شانها والحطاط رتبة واضع اللغات عن ان يمتد
طرفهم الى مبادي اسرارها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش
فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا
لها اسم القدرة فتجاسروا بالسبب باستعارتهم على النطق فقلنا الله تعالى صفته القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات
ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها امرا مجملا عند
المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم
انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما يتساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة
لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة
الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منها امرا مجملا عند طالبي الفهم
من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشيئة الازلية ان يستعمل لاستيفاء حكمته دون غايتها ويكون
ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد
من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة لهم عبارة الرضاء واستعير للذين استوقف بهم اسباب الحكمة دون غايتها
عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وارد ف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال و
ظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وارد ف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضاء والقبول
والاقبال فكان الحاصل انه تعالى اعطى الجمال ثم اشنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان يتظلف الملك عبدا ويهيئ عن اوساخه ثم يليسه من محاسن ثيابه
فاذا تم زينته قال ما اجمل ما اجملك واجل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكانه لو بين من حيث المعنى
الاعلى نفسه واغا العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل الازل وهكذا تتسلسل الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب
الاسباب ولو يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلي بالبصر او هو اقرب فاضت بحار
المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير واستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي
ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فحظ بعض العباد ان اقتضت هذا
التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا عما لا يطيقوا
خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى في السموات
والارض وكان زيتهم اولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنورها فادركوا
الامور كلها كما هي عليه فقيل لهم تادبوا بآداب الله تعالى واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحوالتكم ضعفاء الابصار فسير وا بسير
اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليا نس بكم
الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انوارکم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيى بحياة يحملها شخصه
وحاله وان كان لا يحيى به حياة المتردد بين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم **شعر** شربنا شرابا طيبا عند طيب : كذاك شراب الطيبين
يطيب : شربنا واهرقنا على الارض فضلة : وللارض من كاس الكرام نصيب : فهكذا كان اول هذا الامر واخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا
كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف
وادق من الشعر قد الطائر على ان يطير عليه لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولو يمكن العبور الا بالسباحة فقد
يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق

كنسبة المشى على الماء الى المشى على الارض والسباحة ليمكن ان تتعلم فاما المشى على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام يقال انه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة الكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذا عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة فى حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع امين مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال تعالى ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذى غضب عليه والارشاد سياقه لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذى احبه وعندك فى العادة له مثال فالملك اذا كان محتاجا الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض اليه حمل الشراب الطيب الا الى احسنهما واكملهما واجبهما اليه ولا ينبغى ان تقول هذا فعله ولو يكون فعله على ذوق فعلى فانك اخطأت اذا ضفت ذلك الى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لائمة لك فيها وتارة يتم فيك فانك ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر اسباب حركاتك فى التعيين هو فعله الذى تبه بالعدل ترتيبا تصدر منه افعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك فى عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبى الذى ينظر ليلا الى لعب المشعبذ الذى يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهى مؤلفة من خرق لا تحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر فى ظلام الليل ورؤسها فى يد المشعبذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذى يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذى الامر اليه والجاذب بيده فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيميلون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة بالاطراف باشخاص اهل الارض لا تدركها تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط فى مناطات لها هى معلقتها وشاهدوا تلك المناطات مقابض هى فى ايدى الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كى لا يعصوا الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات فى القرآن فقيل وفى السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من القدر والامر فقيل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما وهذه امور لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون فى العلم وعبر ابن عباس رضى الله عنهما عن اختصاص الراسخين فى العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الاية لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قضية الاختيار وامتزج بعلم المعاملة مما ليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا فى اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد لربهم الى الله واقربهم اليه واقربهم الى الله الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا وله مقام معلوم واعلاهم فى رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام واتما علو درجتهم لانهم فى انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله تعالى لهم الانبياء عليهم السلام وهم اشرف مخلوق على وجه الارض وتلى درجتهم درجة الانبياء فانهم فى انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم انزل الله الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم فى انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم على قدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان افضل من سائر الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين اصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله تعالى بهم لانهم ومن عداهؤلاء فهج رعاع واعلم ان السلطان بتقوى الله فلا ينبغى ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص رحمه الله امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبى صلى الله عليه وسلم سيكون بعدى عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن جاءه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اى الناس

خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة افكارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة اعلى ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

الركن الثاني من اركان الشكر ما عليه الشكر: وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد والله الموفق للصواب

بيان حقيقة النعمة واقسامها: اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الاخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الاخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيحة وصدق الاجل ان يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات

القسمة الاولى ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا مسموما فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء الكريه الشرب في الحال مذافه لانه شفاء من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعو اليها فان الاب لكمال عقله يرى العاقبة والام لفرط جهلها وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة ممن يمسك دون ابيه ويأنس اليها والى شفقتها ويفر من الاب وعطفه وله وعقل العلم ان العلم حد وباطنا في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى المراض والآلام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو

قسمة ثانية اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه اكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يتكافأ ضره ونفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله في يصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من رب به طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه

قسمة ثالثة اعلم ان الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته ولغيره فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرى التي لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في انفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالرياء ويظنوا انها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجيء بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة منافاتها تقصد ليتقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى او ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن المشي الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا هو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما من حيث انهما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة

قسمة رابعة اعلم ان الخيرات باعتبار اخر تنقسم الى نافع ولذيذ وجميل فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحسن الجاهل بالجهله اذا عرف انه جاهل وذلك بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فتنبعث

منه شهوة العلم للذته ثم قسه بمنع الحسد والكبر والشهوات المانعة عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المرض فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل و درك النقصان وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دائم لا محالة والضرب الثانى مقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع ومؤلم كقطع الاصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع فقد قيل الاستراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح فى الحال الى ان يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال فى البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس فى نجاتها والنافع قسمان ضرورى كالايمان وتحسين الخلق فى الايصال الى سعادة الآخرة واعنى بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء فاذ قدر على تسكينها بما هو مثله او مقاربه

قسمة خامسة اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصها او مشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهى اشرفها اما قلتها فلان لا يستلذها الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسمهم واما شرفها فلانها لا تزول ابدا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة ودائمة لا تمل والطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصوران تمل و تستثقل ومن قدر على الشريف الباقى ابدا الآباد ارضى بالخسيس الفانى فى اقرب الآماد فهو مصاب فى عقله محروم لشقاوته وتردى بادرته واقل امر فيهما ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا يمتد اليه ايدى السراق بالاخذ ولا ايدى السلاطين بالعزل فيكون صاحبه فى روح لا من ابدا وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل فى كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى مواضع وان سماه خيرا فى مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما فساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذى لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما القصور فخطتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التى بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذى لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابة اللبن تدل على انه اللذ الاشياء قاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اما من لم يحيى بعد باطنا كالطفل واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى فى قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله عز وجل لينذر من كان حيا اشارة الى من حيى حياة باطنة وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وبعض الحيوانات الثالثة ما يشارك بها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهى اخسها ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت بلذة الغلبة وهى اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وانما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واما شرة البطن والفرج فكسرة مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفى اختلاف الاحوال البشرية ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى فى احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله تعالى ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدرى ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه فى بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه فى بعض الاحوال تلذذ بالعلم وللمعرفة اما الاول فان كان ممكنا فى الوجود فهو فى غاية البعد واما الثانى فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون ذلك الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت فى القلة والكثرة وانما تكون كثرة فى الاعصار القريبة من اعصار الانبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة ويقضى الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادئ ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فمما لا يكون الفائق فى الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا فى ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة فى المرآة تابعة لصورة الناظر

فى المرأة والصورة فى المرأة وان كانت هى الثانية فى رتبة الوجود فانها اولى فى حق رويتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك فى المرأة ولا تعرف انها صورتك انما هى
قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع فى الوجود متبوعا فى حق المعرفة وانقلب المتاخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم
فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يبصر له نظر الاعتبار فلا ينظر فى شئ من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد
امر الخلق بهذا قال فاعتبروا يا اولى الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس فى علم الملك والشهادة وسينفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس ممتلئ نارا
من شاءها ان تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك المهاجما فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله تعالى الحق على لسان قوم يستنطقهم بالحق فقالوا
الجنة والنار مخلوقتان ولكن الحجاب تدرك مرة بادراك ليسمى علم اليقين ومرة بادراك اخر يسمى عين اليقين وحق اليقين لا يكون الا فى الاخرة وعلم اليقين قد يكون فى الدنيا
ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اى فى الدنيا ثم لترونها عين اليقين اى فى الاخرة فاذا قد ظهر ان
القلب الصالح لملك الاخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا **قسمة سادسة** حاوية لجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هى غاية مطلوبة لذاتها
والى ما هى مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده
وهى النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الاخرة وقال ذلك مرة فى الشدة تسلية للنفس وذلك فى وقت حفر الخندق فى
شدة الضر وقال ذلك مرة فى السرور منعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به فى حجة الوداع وقال رجل اللهم انى اسالك تمام النعمة فقال
النبى صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال تمام النعمة دخول الجنة واما الوسائل فتنقسم الى القرب الاخص كفضائل النفس والى ما يليه فى القرب كفضائل
البدن وهو الثانى والى ما يليه فى القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس
وبين الخاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهى اذا اربعة انواع **النوع الاول** وهو الاخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان
وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى
الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل فى الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه
بالميزان العدل الذى انزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن
خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الافات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان
ومن افرط فى شهوة البطن والفرج فقد طغى فى الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعدل به كفتا الميزان فاذا الفضائل
الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى اربعة علم مكاشفة وحلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا فى غالب الامر الا بالنوع الثانى وهى الفضائل البدنية وهى اربعة الصحة
والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهى النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهى اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة
ولا ينتفع بشئ من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهى الاسباب التى يجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهى اربعة هداية الله
ورشده وتسديده وتاييده فمجموع هذه النعم ست عشرة اذ قسمناها الى اربعة وقسمنا كل واحدة من الاربعة الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض
اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الاخرة البتة الا بهما فليس للانسان
الا ما سعى وليس لاحد فى الاخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب هذه العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورى واما الحاجة
النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان فى ذلك لو عدم بما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت
فما وجه الحاجة لطريق الاخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب اجانية مجرى الجناح المبلغ والالة المسهلة للقصود
اما المال فالفقير فى طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح ومكابد يروم الصيد ولا يصطاد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال
الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات فى طلب القوات وفى هيئة
اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعوض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الا بسلاح المال فوق مع ذلك يحرم عن فضيلة
الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فانى رايت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الامن
فانى رايت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية فانى رايت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فانى رايت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره
اشارة الى نعيم الدنيا ولكن من حيث انه معين على الاخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اصبح معافى فى بدنه امنا فى سربه عنده
قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المراة الصالحة
وقال صلى الله عليه وسلم فى الولد اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد فى كتاب النكاح واما الاقارب

ص من الرجل و
الخطوا به موحدة
ص
قاربه من الخوف
ص
ص
ص

فهما اكثرا ولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاحبين والايدى فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة فى دينها والفرد بسلطان اشغله وكل ما يفرغ قلبك
عن ضروريات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذا نعمة واما العز والجاه فمبيد فهو الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو
يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ليشغل قلبه وقلبه اسير ماله واغا تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توءمان قال تعالى ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب
لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر عن نفسه
وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم
او الاستئثار والاستكثار فى الدنيا متابعتهم ولا تظنن ان نعمة الله تعالى على رسوله حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن فى القلوب حبه
حتى اتسع به عزه وجاهه كانت اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة فان قلت كرم العشيرة وشرف الاهل هو من النعم ام لا قلت نعم و
لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من اكرم اروماته فى نسب ادم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا
لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعنى بهذا الانتساب الى الظلمة
وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ائمة العلماء والى الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما غناء الفضائل البدنية
فانها قل ان تخلو عن الاخطار بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى ونحن
لا نستحق من جملتها مرتبة الجمال فيقال يكفى ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحرى الخيرات ولعمرى الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما فى الدنيا فلا
نفعه فيها واما فى الاخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه فى الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه
جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تحصيل حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الاخرة بواسطتها
والثانى ان الجمال فى الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تواشرقه تادى الى البدن فالمنظر وللخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك قول اصحاب الفراسة فى معرفة
مكارم النفس على هيئات البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيهما نور الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما فى النفس وقيل ما فى الارض
قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المامون جيشا فعرض عليه رجل قبيح الوجه فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح ان اشرقت
على الظاهر فصباحة وعلى الباطن فصاحة وهذا ليس لظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضى الله تعالى عنه اذا بعثتم
رسولا فاطلبوا احسن الوجوه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة قال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة
فى العلم والجسم ولسنا نعنى بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعنى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال فى اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف
خلقة الوجه بحيث لا تنبو عنه الطباع عن النظر اليه فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد فى خير النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله
صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة وقال على كرم الله وجهه
فى ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من ياخذ العلوم
الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك العلوم على ما هى عليه فهو تنزيل للنقل على ما ظهر له
منها بالتاويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على الاخرة لا سبيل الى جحدها الا انها فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع
فان اصابها المعزم الذى يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادى الغرفى عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر
الذى تحته اصناف الجواهر واللالى فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وان خاض جاهلا بذلك
فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكذلك مدح الجاه والعز
اذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان اظهره على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن المنقول فى مدحهما قليل والمنقول فى ذم المال
والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقتضاه اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب واغلب هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم جهال يظنون
الرقية لحية المال وطريق الغوص فى بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تسع بحر الجاه قبل الغوص على جواهره و
لو كانا فى اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليها الغنى كما كان
لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معززون فقد يضر الصبى ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان لا يريد بقاءه
وصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده واخذ الحية اذا راها ليلعب بها فهلك فله غرض فى الترياق وله غرض فى حفظ الولد فواجب عليه

ان يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره بها لكن فوات
عليه ان يهرب عن الحية اذا رآها ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا يخلص منه احد ولا يحدثها اصلا بما فيها من نفع الترياق
فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر رأى من ولده لا تتبعه وهلك فوجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر و
النهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر بهما رأى والده يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر
الانبياء عليهم السلام كالصبيان لاغنياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون على النار تهافت
الفراش وانا اخذ بحجزكم وحظكم لا وفر في حظ اولادهم عن المهالك فانهم لو يعتنوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت
وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان لا انفاق في الترياق وفي الامساك السم لو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لما والوا الى هم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال و
المعنى به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها مما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الحرمات
فلا يذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختصر في حمله فاما اذا سمحت نفسه بطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء
فلا باس به للاستكثار وقوله عليه السلام ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان ممن روى هذا الحديث ويعمل به من
يأخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاغنياء يدخلون الجنة بشدة
استاذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في ان يخرج عن جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري
الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواءها بدائها ومرجوحها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها
متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا يثق بهذا البعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم
الا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني
عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت
العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال الى الباطل عن الحق وكذا
الارتداد والاخفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل **شعر** اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده ؛ فاما الهداية فلا يحتاج
احد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا
فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال
تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله
تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وللهداية ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه
النجدين وقد انعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت
لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابهما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة الاية وعن الكبر والحسد العبارة
بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى ابشر امنا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية
الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة
فيهتدي بها الى ما لا يهتدي اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات هو الذي
شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله تعالى او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس والمعنى بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فمعنى به العناية الالهية
التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد اتينا ابراهيم
رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خير الحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء
ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لانعدام هداية بل لفصور هداية عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره
فقد اعطي الهداية ومنع عن الرشد الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال

ل الحجر مشرشة حضين الانسان ق ٣
ل الثعالب الثعالب والثعالب بالفتح بيوته التي تتهافت عليها السراج
ل وصل الحجرة توضع شد الازار ثم قيل للازار حجزة للجاورة بين الرجل بالازار شده على وسطه كما يشد للاعتصام والاستجارة والتمسك بالشيء والتعلق بحجزة الحديث منهم من تاخذه النار

ل الوجوه الاراء وجمع
ل فاما اخذه بقدر الكفاية
ل وتفاوت القلوب
ل لفقد فضيلة شفقة
ل اخرى في فاطمة ان
ل بعد الطواف
ل الرفع الحجر والحجارة

وهى نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليستدل بصوب الصواب او اسرع وقد علمت ان الهداية بمجردها لا تكفى بل لابد من هداية محركة للداعية وهى الرشد والرشد لا يكفى بل لابد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد بما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية للتيقظ والتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء فى صوب السداد واما التاييد فهو جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل اذ ايدتك بروح القدس وتقرب منه العصمة وهى عبارة عن جود الهى ليس فى الباطن تقوى به الانسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كانه من باطن غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فهذه هى مجامع النعم ولن تنتثبت الابما يحوله الله من الفهم الصافى الثاقب والسمع الواعى والقلب البصير المتواضع لمراعى والعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعى كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعى تلك الاسباب اسبابا الى ان تنتهى بالاخرة الى دليل المتحيرين وملجاء للمضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها القوى جاليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وبالله التوفيق **بيان** وجه الامور فى كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء اعلم ان جمعنا النعم فى ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة فى الرتبة المتاخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصى الاسباب التى بها تمت هذه النعمة لو نقدر عليها ولكن لا بد احد اسباب الصحة فلنذكر بعضه من جملة الاسباب التى بها تتم نعمة الاكل فلا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من ماكول والماكول من اصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلح فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادات ثم اسباب القدرة ثم اسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء **الطرف الاول** فى نعم الله تعالى فى خلق اسباب الادراك: اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التى لا تنمى ولا تتغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله وهو عروقه التى فى الارض وهى له آلات فيها يجتذب الغذاء وهى العروق الدقيقة التى تراها فى كل ورقة ثم تغلظ اصولها ثم تنشعب ولا تزال تتشعب وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط فى اجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه اذا اعوزه غذاء يأتى اليه بما تمتص اصوله جف وبلى ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك ان خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة فى طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى فى خلق الحواس الخمس التى هى آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا اول حس يخلق الحيوان ولا يتصور حيوان لا يكون له هذا الحس لانه لو لم يحس اصلا فليس بحيوان وانقص درجات الحس ان يحس بالملاصقة وياسه فان الاحساس بما يبعد منه احساس ثم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة فى الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت الهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم لانك تدرك به الرائحة ولا تدرى لها جاءت من اية ناحية فتحتاج الى ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذى شممت ريحه ورب ما لم تعثر فتكون فى غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدة حجب بينك وبينه وامامك بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الابعد قرب لعدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لانك لا تدرك بالبصر الا الاشياء حاضرا واما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينظم من حروف واصوات تدرك بحس السمع فاشتدت الحاجة فخلق لك فم ليميز بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان ليغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصيب اصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سببا لهلاكها فتوكل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق فى مقدمة دماغك ادراك الخل ليسمى حاسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا فوجدته مرا فى الحال فتركته فاذا رأيته مرة اخرى فلا تعرف انه مر مضر ما لم تذقه ثانيا ولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فتمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشارك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الا هذا لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتوخذ فلا تدرى كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقى نفسها فى بئر ولا تدرى ان ذلك مهلكها ولا تدرك كل البهيمة ما تستلذه فى الحال ويضرها فى ثانى الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فلما ادرك العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة الغوى هى اشرف

من الكل وهو العقل فيه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضر في المال وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك و
هو اخس فوائد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك فتكون الحواس
الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار للوكلين بنواحي المملكة وقد وكلت كل واحدة منها بامر تختص به فواحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار
الروائح والاخرى باخبار الطعام والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتصون الاخبار من اقطار
المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم
فياخذها وهي مختومة ويسلمها اذ ليس له الا اخذها وجمعها وحفظها فاما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك سلم الاشياء
اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك
الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي نعني له هذه سياقة نعمة الله عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان
الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها
اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر
صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب ولو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء
والكحالون كلهم هذا في حس واحد فتفكر في حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان تستوفي حكم الله تعالى وانواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان
جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف بجميع البدن وسائر اعضائه وعجائب هذه مرامز الى نعم الله تعالى لخلق الادراكات **الطرف الثاني** في اصناف النعم في
خلق الارادات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له لاستحثك على الحركة لكان البصر معطلا
فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى
ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك وكلما لك
كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا
اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسفله
حتى يفسد فيحتاج الى ادمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل فيبقى ببدنك خلق لك شهوة
الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من المني ودم الحيض وكيفية
خلق الاشيين والعروق السالكة اليهما من انفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المراة من التراقي بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر
الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما
ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى راس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الاعضاء لقضيت من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدا خلقك كل العجب فضلا
عما تراه الان ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده كي لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك
فانه تاتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للافات ولاخذ منك كل ما حصلته
من الغذاء فان كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ثم هذا
لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضره وينفع في الحال واما في المال فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة اخرى مسخرة تحت
اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه
الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما افردت
بمعرفة العواقب وقد سميناها هذه الارادة باعتاد دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا **الطرف الثالث** في نعم الله تعالى في خلق
القدرة والآلات الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب
والهرب فكم من مريض مشتاق الى شيء بعيد عن مدرك له ولكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او لفلج وخدر فيهما فالانسان
آلات الحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر
الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان و
القرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعته

ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وفي ذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول دويبة الطعام
من بعد وحركتك اليه لا تكفي ما لو تأخذه فانتقرت الى آلة باطشة فانعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل
كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا لخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع
وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويد رعلى الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها
كانت للتعريفة وان ضممتها او ثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها اظفارا
واسند اليها رؤس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تعريها الاصابع فتاخذها رؤس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليدين فمن
اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم
الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين
من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى طحن بعد ذلك
فقسم الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك
الاسفل ويتاخر حتى يده رعلى الفك الاعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر الاضراب احدهما على الاخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحى
الاسفل متحركا حركة دورية واللحى الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدار الاعلى لان هذا
الرحى الذي صنعه الله تعالى اذيد ورمنه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام
في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان او كيف تتجره الاسنان الى نفسها او كيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف انعم الله عليك
بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق
وعجائب قوة النطق والحكم التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على ابتلاع الابان يزلق الى الحلق
بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا تفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينجرع الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى
الطعام من بعد فتور للمسكينة للخدمة ونضب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام المطحون المنجرع من يوصله الى
المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيا الله تعالى للمرئ والحنجرة وجعل على راسها طبقات
تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يقلب الطعام بضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المرئ فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة
فلا يصلح الا ان يصير كيموسا وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وان يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر يقع فيها الطعام
فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال الاعضاء تبثه فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر
الطحال ومن قدام الترب ومن خلفه الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها
يصلح للتغذي في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من
العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء
الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى تستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها زمانا يحصل له نضج اخر ويحصل له هيئة الدم
الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما ينطبخ احداهما شبيهة بالردي والعكر
وهو الخلط السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفضل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد
منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا لينا فيه الا زيادة رقة و
نطوبة تلافيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصعدا الى الاعضاء فخلق الله سبحانه الكليتين واخرج من كل واحدة منهما
عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما لينزل داخلا في تجويف الكبد بل متصلا بالعروق الطائفة من جذبة الكبد حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع
من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولو يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث
نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم لشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم
ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المفتتة شعرية كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل
منها الغذاء بالرشح الى سائر الاعضاء ولو جلب بالمرارة افة فلم تجتذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة

ح ٩ ح

وان خلت بالطحال فانه لم يجذب الخلط السوداوي وحدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية بجملتها الى الكلية منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بالفتق الاخر الى الامعاء ليحصل المزج في نقل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق وتكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة الحادة التي يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولا مولى لغير سواه بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك اولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تقوى من نعمة الله سبحانه الا على الاكل وهو اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتأكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع وليس تريح فيقمص ويرمح فاذا لو تعرفت انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فتفس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه خوفا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة من بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها بخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله فيه ذلك الجزء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يلقى في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا لحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله الجوهر نار السراج والقلب كالمشرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح ايضا ينطفئ بما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تتشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفئ لسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج بفناء الزيت وبفساد الفتيلة او بريح عاصف وباطفاء انسان لا يكون الا بسببا مقدرة في حلم الله عز وجل ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل في ام الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفأ اظلم البيت كله فالروح اذا انطفأ اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيد هامن الروح وهي انوار الاحساس والقدرة والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي عز وجل فسبحان من كفر بالله تعالى وسبحان من كفر نعمته سبحانه ان قلت فهلا وصفت الروح ومثلته وقول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذا غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان خللا ما وقع في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبكة العصب وبواسطته يتأدى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء فامره سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه لانسان بان يقال هو او ربي كما قال تعالى قل الروح من امر ربي وهو من الامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تحيرت فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة فتصدى البصر عن ادراك الالوان متزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجواهر والاعراض المحسوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل نور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية لنسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانما لقام شرف

ملك نفس الفرس وغيره
يفرس فحصا وقاصا اى
كسرت ودوان يرفع
ويضع بها ما يلي
ربت الارض بيديها
اى عاجن ١٢ صحاح
صحاح
تقمص البعير
تقمص البعير ق

ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ الجناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شرب كل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد والجناب الحق صدد وفى مقدمة الصدد مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هى مستقر ذلك الامر الربانى فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا الحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا فى خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظ بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الربانى كالكرة التى يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبى فظن انه ادرك الامر الربانى كان كمن رأى الكرة التى يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك فى ان خطأه فاحش وهذا الخطأ افحش منه جدا ولما كانت العقول التى بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففى قوله تعالى من امر ربى واما فعله تعالى فقد ذكر فى قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ولنرجع الان الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى فى الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى فى آلات الاكل **الطرف الرابع** فى نعم الله تعالى فى الاصول التى يحصل منها الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمى بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة والله تعالى فى خلقها عجائب كثيرة لا تحصى واسباب استوائه لا تتناهى وذكرنا فى كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما اغذية واما فواكه واما اغذية فلنا خذ الاغذية فانها الاصل ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فاولها فنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة فى نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفى بتمام حاجتك فخلق الله تعالى فى حبة الحنطة من القوى ما يغتذى بكما خلق فيك فان النبات انما يفارقك فى الحس والحركة ولا يخالفك فى الاغتذاء لانه يغتذى بالماء ويجتذبه الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذى انت وتجتذب بلسانك طنبى ذكر آلات النبات فى اجتذاب الغذاء الى نفسه لكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذى بكل شئ بل تحتاج الى شئ مخصوص بدليل انك لو تركتها فى البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها فى الماء لم تزد ولو تركتها فى ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا والية الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفى الماء والتراب اذ لو تركت فى ارض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فتحتاج الى تركها فى ارض رخوة متخلخلة تتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها والية الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها فى ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان فى برد مفرط وشتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ما ذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء لينساق الى ارض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقى فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض بما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار الارض وهى سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسلها مدرارا على الاراضى فى وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشى ونعم الله فى الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض فى وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احد احكام الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير القاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار فى ظل لمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك له بالليل فتغلب على راسك الرطوبة التى يوبرعنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفاكهة ايضا ولا تطول فيما لا مطمع فى استقصائه بل نقول كل كوكب فى السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفى قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولو صح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس فى اعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس فى اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد واحاد اجسامه كالاعضاء له وهى متعاونة تعاون اعضاء بدنك فى جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغى ان تظن بان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله سبحانه فى امور جعلت اسبابا لها يحكم الحكمة يخالف للشرع بل ورد فيه من النهى عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل النهى عنه فى النجوم امران احدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثانى تصديق المنجمين فى تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التى لا تشترك كافة الخلق فى درکها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم الاحكام النجومى كان معجزة لبعض الانبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك

العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطاء فاعتقاد كون الكواكب اسبابا للآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات وفي الحيوان
ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين وكذلك اذا كان معك ثوب عسلته وتريد تجفيفه
فقال لك غيرك اخرج الثوب والبسطه فان الشمس قد طلعت وهي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الاقرار عليه بجواز ان الهواء على طلوع الشمس واذا سالت
عن تغير وجه الانسان فقال قد غشي الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار الا ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول
فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الركام لبعض الفرق فاذا
الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مر بها سبلته ومعناه ان يقرأ ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف
لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن فقه منه معرفة ذلك فهو الذي مر بها سبلته فسبحان الله تعالى في ملكوت السموات والارض والانفس
والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطالب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك
الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف
المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب الشعوذي ترقص وتحرك حركات موزونة متناسبة
فلا تتعجب من اللعب فانها خرق مزخرفة لا محركة ولكن تعجب من حذق الشعوذي المحرك لها بر وابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم
الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها
وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات **الطرف الخامس**
في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك: اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الامكنة دون
بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد بعدت عنهم الاطعمة وحيل بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص المال وشهوة
الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل ربما ان تغرق بهم السفن او تنهبهم قطاع الطريق او يموتوا في بعض البلاد فياخذها السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذ منهم
ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الاخطار ويغرروا بالارواح في
ركوب البحر فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات و
سخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري
وتطوى للرحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج
وتامل ما يحتاج اليه الحيوان من اسبابها وادواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة ولحصاء ذلك عد
ممكن ويتمادى ذلك الى امور خارجة عن الحصر نزى تركها طلبا للايجاز **الطرف السادس** في اصلاح الاطعمة: اعلم ان الذي ينبت في الارض من النبات
وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويوكل وهو كذلك لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى
واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول
ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم
الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الاعمال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج
اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى
الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا
واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين لم يعن عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من المنجل الذي يجز السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من حجة الملائكة
حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من مائة الف صانع كل صانع اصل من اصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال
الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر
على يد الابري خمسا وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا
بعد نبات لتلف عمرك وعجزت عنه فلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر
الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الآخر فيقتلانه ولان الشيء معا ويقطعان بسرعته ولو يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه

ل قوع الباب كمنع وقد وفي القاموس من فرع بابا وضع
ش شغوف حبر كمنع وشغف بوجد كفرح اي عنى القلب من فوقه ١٢
ش الشعوذة خفة في اليد واخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما هو على الصفة في العين والشعوذي والشعبذي واحد ١٢
ش غرر بنفسه تعرضها للتهلكة والاذى ١٢ منه
ش قضم كمنع اكل بأطراف الاسنان وقد اكل باب ١٢ ق
ش الجلم كمحبن المقراض والجلمان بضمتين التثنية شاذ كما يقال في القراض المقراضان والقمر والقمران ويجوز ان يكون الجلمان والقمران اسما واحدا على فعل كالرطان والبران ويكون النون حرف اعراب ويجوز ان يبنيا على الياء في اعراب المثنى فقال تثنية الجلمين والقضمين وجلمت الشيء قطعته من باب ضرب فتدبر

لمن قبلنا واقتدينا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا تم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي الابصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بالك عن الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحائك او عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء **الطرف السابع** في اصلاح المصلحين اعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يجمعهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فلاجل الالف والتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد وزينوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر صنائع البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك مما يؤدي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طرق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد لسبب ترتبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء عليهم السلام حتى اصلحوا السلاطين للمصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يصلح العجين بالطبخ والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلح بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين للآلات للاطعمة والسلطان يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولو لا عزله ايانا عن ان نطمح بنور الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فبالله وان سكتنا فبقهره فنقبضنا الا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار **الطرف الثامن** في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظن انهم مقتصرون في اغاثتهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يغتذي الا بان يوكل به سبعة من الملائكة هو اقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف وذلك الغذاء يصير دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما واذا صار لحما وعظما ثم لم يغتذ اوك والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في تردده في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مخبوزا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك اخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق والعظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق المستدير بالمستدير وما لا بعض له مستدير بما لا بعض له مستدير وبالعريض ما لا يزيل عرضه والمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على الف الصبي ما يجمع على فيل الكبر اغتذى بطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان لا يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الاخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد من هذه

من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لو يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمي به الى احدى الرجلين مثلا لنبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا ذي قامة رجل وله رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم يطبخ هذه من شكل نفسه فان تحيل هذه الامور على الطبخ جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك الذي لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركب تفصيل ذلك للاجاز وللملائكة الارضية مدد هم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم عليهم بالتاييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام وقد اخبار الوارد في الملائكة الموكلين بالسموات والارض واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب يخرج من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به فان قلت فلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولو افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا تحتاج الى من يطحن اولا ثم الى من يعجن ثانيا ثم الى من يخبز رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرقدها غفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد وليستقل به فلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو واحد الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد وليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافر وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك وتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل بسبب اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس واحد الصفة فلم يكن واحد الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والواحد منهم لا كم ابدا والساجد منهم ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور لكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال لمخالفته فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك متى اجزمت الارادة بفتح الاجفان لو يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه لكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليك في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك انهم في غرض الاكل فحظ دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكر هذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف احاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل اقول كل من عصى الله تعالى ولو في قطرة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره ايضا به فان لله تعالى في كل لطيفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات وقد ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها انها تجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله في ترتيبها صفا واحدا ان يكون ما نابا لهواء من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوام نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من النجاة وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لو يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء الى نواحي العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلها من الغبار واذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا مقصورا فيه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نتبع عجائب صنع الله تعالى فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محروم قد كفر نعمة فتح العين نعمة الله تعالى في الاجفان ولا تقوم الاجفان لا بعين ولا العين لا براس ولا الراس لا بجميع البدن ولا البدن لا بالغذاء ولا الغذاء لا بالماء والارض وللهواء وللمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء

من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشئ الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا فقد كفر كل نعمة
في الوجود من منتهى الثرى الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها
الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم ولذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شئ حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ
كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بتطريقة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الى ان يتوب السيئة بمثلها
نحو ما فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلام ما من عبد لي من الادميين الا ومعه ملكان
فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فلكفى بالشاكرين علو رتبة عندك الى اشكر شكرهم وملائكة
يدعون لهم والبقاع تجبهم والآثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق
من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد منفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عند وهلك بل اليوم والليلة
اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك
بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال
الهي كيف اشكرك وانك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طميت راسها ولذلك ورد في الاثر ان من لم يعرف نعم الله الا في مطعمه
ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم بفان البصير لا تقع عينه في العالم على شئ ولا يلم خاطره
بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه في غير مطمع **بيان** السبب الصارف للخلق عن الشكر: اعلم انه
لو يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا النعمة
ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله اشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يتبع
من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم
الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه
منهم اختصاصا به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو اخذ بخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت
حمام فيه هواء حار او في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان اثنى واحد منهم بشئ من ذلك فربما قد رذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية
الجهال اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولى بان تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر
صحة بصره الى ان ينعم عينه فعند ذلك لو اعيد عليه بصره احسن به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذل لهم في جميع الاحوال فلم يعده
الجاهل نعمة وهذا اجهل من مثل العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون
الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة ويلتفتون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكا بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر والبصر شدة اغتمامه به
فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك قطع اليدين والرجلين ولك عشرون
الفا فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف فقال لا فقال اما تستحيي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض الفراء اشتد به الفقر
ضاق به ذرعا فرأى في المنام كان قائلا يقول له تود انا نسينا ك من القرآن سورة الانعام وان لك الف دينار فقال لا فقال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا
فعدد عليه سورا الى ان قال فهل لك قيمة مائة الف دينار وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال
لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لو تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا
يساوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة
نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله رأى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه
لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل
فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقلما يسأل الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان
اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب عليه وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت ارض
فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها
ولا خلا قا يذمها ولا يذمها من حيث يرى نفسه بريئا عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ وما العلم

فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به لو كشف الغطاء حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع عليه الناس كافة فاذن لكل عبد علم باهر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الناس وخصص عليه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فاقول اما من عبد الا وقد رزقه الله تعالى في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه او جاهه او في سائر اصحابه امورا تو ذلك منه واعطى ما خص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا او انسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها لم يرض به بل الاموال لا يبدل بها احوال الآدميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره واذا كان لا يعرف شخص يرتضي لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذا لله تعالى عليه نعم ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي دنياه بدنيه ليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قيل **شعر** من شاء عيشا رحيبا يستطيل به ؛ في دينه ثم في دنياه اقبالا ؛ فلينظرن الى من فوقه ورعا ؛ ولينظرن الى من دونه مالا ؛ وقال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال عليه السلام ان القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام من اتاه الله القرآن فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزأ بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال عليه السلام كفى بالقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة ان عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذه الثلاث **شعر** اذا ما القوت يأتيك ؛ كذا الصحة والامن ؛ واصبحت اخا حزن ؛ فلا فارقك الحزن ؛ بل ارشق العبارات واصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم ليشكون ويتألمون من امور وراء هذه الثلاث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل المبصر ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قبضة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك باع عن عشر عشير علمك او يأخذه ذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجو بكالمخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسترق ولا تغصب ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذاتها بآلامها ولا فرحها بغمها هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتخيب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني حتى اذا تقيد بها قلبا استعصت عليه وتحببت عنه فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك باغترارة بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقعت ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان نقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض يفضي الى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي الى الالم في الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة الخاصة والعامة فان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر فاقول اما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله تعالى العامة واما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خبرتها او شعرت بالبلاء معها فسبيله ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية اذا كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد انواع بلاء الله تعالى عليهم فتوتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند مشاهدته بلاء الامراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب

ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات وليشكر الله تعالى على نعمة الامن وبحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى الله فليتدارك واما من اطاع فليزد في الطاعة فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت اقدر على اكثر من هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات واما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود من الدنيا للاخرة فهذا اصلاح هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساه ان تشكر وقد كان الربيع ابن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تاكيد المعرفة فكان قد حفر في داره قبرا وكان يضع غلاة في عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد وما ينبغي ان تعالج به القلوب البعيد عن الشكر ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولو تعود لذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن قام لهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فهذا تمام هذا الركن

الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك به الصبر والشكر ويرتبط احدهما بالاخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى ان لله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر فانا وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما ايضا متضادان وما معنى ما ذكر تموه من ان لله تعالى في كل ما اوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان فقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الاخرة فكسعادة القرب بالنزول في جوار الله تعالى واما في الدنيا فكالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الاخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة واما ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم لسبب غشية او غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ما ليس للعبد ازالته فاذا يرجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فذلك يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يكون سببا لهلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز ان تصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض وفي لوصحة بدنه وكثرة ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الماء وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها يتصور ان تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضدادها اذ النعمة في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال لمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها لبغضه واذاه وكان في ذلك وبال عليه في الدنيا والاخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك واذى كان اثمه لا محالة اعظم فليس من اذى نبيا او وليا وهو يعرف كمن اذى وهو لا يعرف ومنها الهام الله تعالى ام القيامة والهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة والهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر داعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل احد ولا يستثنى عنه بالظن الا الالام التي يخلقها في بعض الناس وهي ايضا قد تكون نعمة في حق المتالم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطع يد نفسه ووسمه بشرته فانه يتالم به وهو عاص به والوالكفار في النار فهو ايضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لان حصائب

قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها فضرر اهل الجنة انما يتضا
اذا تفكروا في الام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر
الى زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ما ذكرناه
من ان الله تعالى لو لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذا في خلق الله تعالى البلاء نعمة ايضا اما على المبتلى
او على غير المبتلى فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف
يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشئ الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر
من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور ان يكون
اكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ما ذا كان يرده ويحجزه فليشكر اذا لم تكن اعظم منها في الدنيا: الثاني انه كان يمكن
ان تكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فافسد التوحيد
ما ذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلوة والسلام في دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما
ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم يحرم الرضاء به واذ أرجو الثواب عليه وكان لبعض ارباب القلوب
صديق فحبسه السلطان فارسل اليه يعلمه ويشكو اليه فقال له اشكر الله فضربه فارسل اليه يعلمه ويشكو اليه فقال اشكر الله فجئ بالمجوسي فحبس عنده وكان مبطونا
فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله فكان المجوسي يحتاج الى ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف
على رأسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا وأي بلاء اعظم من هذا فقال لرجل الزنار الذي في وسطه على وسطك ما ذا
كنت تصنع فاذا ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه بظاهره وباطنه في حق مولاه لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به
عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك ان يقطع يديك فترك احداهما فهو
مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان تصب
على النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج الى الاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان
قلت كيف فرحوا رؤى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به من الكفار فاعلم ان الكافر قد حبي له ما هو اكثر وانما امهل
حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منه وربما خطر بسوء ادب
في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واثم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن
اين تعلم ان غيرك اعصى منك فلعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في
الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخفف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم
وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت
مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه واذ قد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر
منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين احدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة في حق
الصبي فانه لو خلي واللعب كان لم ينصرف ذلك عن العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي
اعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملاحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا
ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى
ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو يصلح العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذ رأوا ثواب الله على البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل
والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء من الله تعالى تاديب وعناية بعباده انتهى واوفى من عناية الآباء
بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تتهم الله في شئ قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك
فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له الوجه الثاني ان رأس الخطايا
المهلكة حب الدنيا ورأس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومؤاتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمانينة القلب

الى الدنيا واسبابها وانسه بها حتى يتصور كالجنة فى حقه فيعظم بلاؤه عند الموت لسبب مفارقتها واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا
ولو يسكن اليها ولو يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا
سجن للمؤمن وجنة الكافر والكافر وكل من اعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضى بها واطمأن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا
شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفى وبقدر حب الدنيا فى القلب يسرى فيه الشرك الخفى بل الموحد المطلق هو الذى
لا يحب الا الواحد الحق فاذا فى البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به واما التالم فهو ضرورى وذلك يضاهى فرحك عند الحاجة الى الحجامة من
يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا يشفيك وهو مجان فانك تتالم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء فى الامور الدنيوية
مثاله الدواء الذى يؤلم فى الحال وينفع فى المال بل من دخل دار ملك للتضارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه عن الدار
كان ذلك وبالا وبلاء عليه لانه يورثه الا لمن ينزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عنيفا فى المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره
حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء
وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلايا ومن لم يعرف هذه النعم فى البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر
يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة اكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكى ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابنه فقال
شعر اصبر نكن بك صابرين فانما ... صبر الرعية بعد صبر الراس ... خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس ... فقال ابن عباس ما عزانى احد
احسن من تعزيته والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اذا وجهت الى عبدى مصيبة فى بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او
انشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى فى مصيبتى واعقبنى خيرا
منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود فى جارى والنظر الى وجهى وروى ان رجلا قال يا رسول
الله ذهب مالى وسقم جسمى فقال صلى الله عليه وسلم لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه فى ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله ان ينصرنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان
قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له فى الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن على كرم الله وجهه قال ايما رجل حبسه
السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء
رضى الله تعالى عنه تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتتركون ما يبقى الا احبذ المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وحث عليه حثا فاذا دعاه قالت الملئكة صوت معروف وان عاد ثانيا
فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدى وسعديك لا تسالنى شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير واخرت لك عندى ما هو افضل منه فاذا كان
يوم القيامة جيئ باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم وفى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم
الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل العافية فى الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب فى ذلك
قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال شكا نبى من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن
يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء
وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد لى وكل يسبح بحمدى فيكون المؤمن حليف من الذنوب فازوى عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون
كفارة لذنوبه حتى يلقانى فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له فى الرزق وازوى عنه البلاء فاجزيه بحسناته فى الدنيا حتى يلقانى فاجزيه بسيئاته
وروى انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر
الست تمرض الست يصيبك الاذى الست تحزن فهذا مما تجزون به يعنى ان جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب
كل شئ يعنى لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اى بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن البصرى رحمه الله ان رجلا من الصحابة رضى الله
عنهم راى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدم حائطا فاثر فى وجهه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال

صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم باجمع اية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فما اصابكم في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيامة وعن انس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر لوجهها ولا قطرت قطرة احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله او قطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد لا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى صلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فتحيا بين يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذدت بذدا فلما استحصدت مر بهذا فافسده فقال الآخر ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام ولم بذلت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابت لان يكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه ابنه فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفاها الله واجرا ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال ما صنعنا ما امر الله تعالى قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وعن ابن المبارك انه مات له ابن فعزاه مجوسي تعزية فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذا وقال بعض العلماء ان الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال الحواريون ان الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيامة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب صلوات الله عليهم وروي ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة تعرفوا ذلك فجئ بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا فان منه انة فاوحى الله تعالى اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحون اسمك من ديوان النبوة فغض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع شطرين وقال ابن مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ محاير يدان يقاتل به ربه عز وجل وقال لقمان رحمه الله لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فاذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضاء ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلعتها ثلاثا فقال لقد كثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي واشك الي كما لا اشكوك الى ملائكتي اخاصعت مساويك وفضائحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل في الدنيا والآخرة

بيان فضل النعمة على البلاء لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا ان نسأل الله البلاء فاقول لا وجل ذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها وقال علي كرم الله وجهه اللهم اني اسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية وروي الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما اعطي احد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا ظهر من ان يحتاج فيه الى دليل واستشهاد وهذا الان البلاء صار نعمة باعتبار ين احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر منه اما في الدنيا او في الدين والآخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فيجوزون واكون انا في النار وقال مسنون رحمه الله تعالى

شعر وليلى في سوالك خط ... فكيف ما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال للبلاء فاعلم انه حكي عن مسنون المحب رحمه الله انه بكى بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين افرطت بهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كان يراود ها زوجها فتمنعه فقال ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقال الشاعر

شعر اريد وصاله ويريد هجري ... فاترك ما اريد لما يريد

وهو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا يريد لان من اراد الوصال ما

ل١ اي ايقنت والباء بمعنى في ١٢ منه

ل٢ اي عان وتعب حصاده ١٢

ل٣ الجادة بتثليث اوله وسطه الطريق جمعه جواد وفي رواية ذوات ١٢ مصباح

ل٤ الذين ماتوا الكهام

ل٥ مضغة ولحيه كسر وسخ مضغا وعضغا مكسرة نباتا او بالصاد ويضاد حفيضا الزنة ١٢ او آزرة ازق وجمعه

ل٦ الحصر بالضم العي في البطن ١٢ قاموس

اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذى لو يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين احدهما ان يكون ذلك فى بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذى يتوصل
به الى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضاء والرضاء وسيلة الوصال الى المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبة فيكون مثاله
مثال حب المال اذا اسلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم فى الحال الثانى ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضاه فقط
ويكون له لذة فى استشعاره رضى محبوبه بمنه تزيد تلك اللذة على لذته فى مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضى فلذلك قد
انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم فى البلاء فى استشعارهم رضى الله عنهم اكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضاء فهؤلاء اذا قدروا ان
رضاه فى البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها فى غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة ام حالة
اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر مما سبق ان العافية خير من البلاء
فنسال الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والاخرة **بيان** الافضل من الصبر والشكر اعلم ان الناس اختلفوا فى ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر
وقال اخرون الشكر افضل وقال اخرون هما سيان وقال اخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن
التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول فى بيان ذلك مقامان **المقام الاول** البيان على سبيل التساهل وهو
ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش تحقيقه وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا
الفن من الكلام هو الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والطف المشفقة لا ينبغى ان تصلح الصبى الطفل بالطيور
السمان وضروب الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذى هو عليه
فى بنيته فنقول هذا المقام فى البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فان
الشكر وان وردت اخبار كثيرة فى فضله فاذا اضيف اليه ما ورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر اكثر بل فيه الفاظ صريحة فى التفضيل كقوله
صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفى الخبر يؤتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض
فيقال له اما ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليك فشكرت وابتليتك فصبرت لاضعفن
لك الاجر فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل
على ان الفضيلة فى الصبر اذ ذكر ذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى رتبته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر
لما كان الحاق الشكر به مبالغة فى الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر
كعابد الوثن وايد المشبه به ينبغى ان يكون اعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام
الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم قسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل
ذلك على ان العمل يساوى العلم وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء دخولا الى الجنة سليمان ابن داود عليهما السلام لمكان ملكه واخر
اصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفى لفظ اخر يدخل سليمان الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا وفى الخبر ابواب الجنة كم مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخل اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلام وكل ما ورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان
حال الفقير والشكر حال الغنى فهذا هو المقام الذى يقنع العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم **المقام الثانى**
هو البيان الذى نقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيكل امرين مهمين لا يمكن الموازنة بينهما
مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان تفرد الاحاد بالموازنة حتى
يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما فى الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من
امور ثلاثة علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هى كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين فى الظواهر ان العلوم
تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هى الافضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم
فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما احاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا
اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهى ارفع من علوم المعاملة بل
علوم المعاملة دون المعاملة لانها تراد للمعاملة فهذه قدر لها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة
الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب التكشف

ل بعضها قرين بعض ... بجواز الزمان بالضعف والشدة ... والبلاء والسنة ... لا يكون فى الارض ... الا وقد فارق بعضها بعضا ... اربعون خريفا ... فهذه ... ست ... ل ... ك ... ون ... با ... لصبر ... ن ... ا ... لصبر ... ن ... ا ... لعبد ... ا ... لشكور ... ا ... لصابرون ... ل ... لا ... لبر ... ا ... لعلم ... ا ... لعمل ... ا ... لعمل ... ا ... لعلم ... ا ... لعلم ... ا ... لعمل ... ا ... لعلم ... ا ... لعمل ... ا ... لعلم ... ا ... لعمل

له جلال الله تعالى فى ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهى الغاية التى تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هى عين السعادة
ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها فى الآخرة فهى المعرفة الحرة[1] التى لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد خدم
بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان نفعها وشرفها بحسب نفعها فى الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضى الى بعض اما بواسطة او بوسائط
كثيرة فكل ما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهى افضل واما الاحوال فغنى بها احوال القلب فى تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى
اذا طهر وصفا اتضح له الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تاثيرها فى اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان تحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المرآة يحتاج
الى ان يتقدم على تمام الجلاء المرآة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القربية او المقربة من صفاء القلب هى افضل مما دونها لا محالة لسبب
القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها فى تاكيد صفاء القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة نافعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب
جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثانى الطاعة والمعاصى
من حيث التاثير فى ظلمة القلب وقساوته وتدنسه وكذا الطاعات فى تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال
وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغنى
الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج الدرهم له افضل من قيام ليال وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او
منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذا لم تكن حاله هذا الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع
فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذى يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر فى
المهلك الذى استولى عليه والشحم المطاع من جملة المهلكات فلا يزيل صيام مائة سنة وقيام الف ليلة منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بماله
تفصيل هذا اما ذكرناه فى ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز افضل ام الماء
لم يكن فيه جواب حتى الا ان الخبز الجائع افضل والماء للعطشان افضل فان اجتمعا فلينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان كان الجوع اغلب فالخبز افضل
فان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء فهو
عدم الصفراء لان السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذا فى بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب
الدنيا من القلب وتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه فالافضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال
وبالغ فى ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الافضل فاعلم
ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه وعلى انه افضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر
به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرأة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معالجته فى الشتاء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد
يزيل البرص حتى يستحث فرط الشتاء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب فيه
ولنضرب مثلا اقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم والقرآن واراد ان يثبت ذلك فى حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار والدراسة لبقى له
محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بى الى تكرار ودراسته لانه يظن ان ما يحفظه فى الحال يبقى كذلك ابدا وكان لصبيه فاما الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل
لتتوفر دواعيه على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبى المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما بالى قد
استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابى لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دونى بتكليفى به واعلم انه لا نقصان لابى بفقد هؤلاء العبيد فضلا
عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتمادا على استغنائه بنيه وعلى كرمه فى العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث
لا يدرى وقد انخدع لمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا فاى معنى لقوله من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين اطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين
كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين فى كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم
فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل بهكثيرا ويهدى به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل المساكين والفقراء ولاجل الله
تعالى ثم قالوا الاحظ لنا فى المساكين ولا حظ لله فينا وفى اموالنا سواء انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبى لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد
ولم يشعر بانه كان المقصود فى ثبات صفة العلم فى نفسه وتاكده فى قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته فى الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به فى استجراره الى
ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذا المسكين الآخذ لمال لك ليستوفى بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك

[1] الحرة ضد العبد وخيار كل شئ ١٢

فانه مهلك لك فهو كالحجام ليستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه
خادما بان يكون له غرض فى ان يصنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات فى القلب كما سبق فى
ربع المهلكات والقلب بحسب تأثرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلى والقانون الاصلى الذى ينبغى ان يرجع اليه فى معرفة فضائل الاعمال
والاحوال والمعارف ولنرجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول فى كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان نقابل المعرفة فى احدهما
بالحال والعمل فى الاخر بل يقابل كل واحد منها بنظيره حتى يظهر التناسب بعد التناسب يظهر الفضل وهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا
الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا
ان اعتبرنا فى البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة
لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيهما
لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ
باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرف الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشئ على نفسه فاذا فهمت
الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما فى الطاعة وللمعصية واما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان تقع ضرورية كالعينين مثلا
واما ان تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضاء بقضاء الله تعالى ولا يترخص
لسبب العمى فى بعض المعاصى وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمر من احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والآخر ان يستعملهما فى الطاعة وكل واحد من الامرين
لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصلوة الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر
نعمة العينين فقد دخل الصبر فى شكره وكذا اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد ايضا فيه من صبر على الطاعة ثم تشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى
ليتوصل به الى معرفة الله تعالى سبحانه فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولو لا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة
موسى عليهما السلام وغيره من الانبياء لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لو يصبر ولكان الكمال فى ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك
كلهم على وضم وذلك محال بل الان كل واحد من هذه الاعضاء آلة فى الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيما هى آلة فيه
من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فاذا لم يفوت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه
ففى الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان تصرف الى الخيرات او ان لا تستعمل فى المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر
الذى هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الوفى صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان
الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شئ واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره
بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغنى الممسك ماله الصارف اياه
الى المباحات لا من الغنى الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر شهوتها ولحسن الرضاء على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعى
لا محالة قوة والغنى اتبع لهمته واطلع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة فى الصبر عن الحرام ايضا
الا ان القوة التى عنها يصدر صبر الفقير اعلى واتم من القوة التى يصدر عنها الاقتصار فى التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التى يدل العمل
عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة فى الايمان فهو افضل
لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر فى الآيات والاخبار انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة
الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر افضل
من الشكر اى الصبر الذى تفهمه العامة افضل من الشكر الذى تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر
والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح فى الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى تصحبه فيما عليه
اشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير تصحبه فيما عليه اشياء تو لم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما
كان الذى آلم صفته وازعجها التوحال الا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر فى القسم الاخير الذى ذكرناه
وهو لو يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك وقال الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر ورد عليه الجنيد فاصابه فاصاب

من البلاء من قتل اولاده وتلف امواله وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الشاكر وهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر كما سبق ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات ويمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها فان صرف لو يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الفقير الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر الم الصبر فان كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه وهو يخيل به وانما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فان الم النفس ليس مطلوبا لعينه بل التأديب بها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب فلذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليهما في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان اطلق الجنيد القول بان الذي يؤلم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام واما اذا اردت التحقيق ففصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهية وراءها الرضاء وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضاء اذ الصبر مع التألم والرضاء لم يكن مبنيا لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها وتدخل في جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكشف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر والوسائط شكر وقال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر احادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار وقد روي عن بعضهم انه قال رأيت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال ان كنت في ابتداء عمري لهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولو تفرغ احدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل ومنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة قالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على بلاء الفرقة ان لو لم يجمعهما الله بينهما والتمسا صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل فاذا لا وقوف على حقائق المعضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم

كتاب الرجاء والخوف وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف الآئه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وصرف لبساط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض للائمته والتهدف لسخطه ونقمته قود الاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته **اما بعد** فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف **اما الشطر الاول** فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يحتلب به الرجاء **بيان** حقيقة الرجاء اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين ولعلا يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة

ل ما لفظه وهو يحمد الله على نعمها ما دام صبر الفرقة على ما مر في الوصال

ع الاستعطاف

ع اي بعيان مصدر مؤكد

ع من التوقيع في وظائف الملوك

ع قادمين الى بخشه بالفتح اي

ع عقبة كؤود اي شاقة

ع المصعد الارجاء الطرق

ع الاعباء الاثقال

الوجل والى ماهو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار فى كل
وصف من اوصاف القلب وغرضنا الان حقيقة الرجاء فالرجاء ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضى العمل وكان للرجاء اسم
للحال من جملة الثلاثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود فى الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر فى الاستقبال فاذا
خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا وذوقا وادراكا وانما سمى وجدا لانها حالة تجدها
من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شئ فى الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم فى القلب
سمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة فى القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء
هو ارتياح القلب لانتظاره ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول الكل اسبابه فاسم
الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة
الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد
فيه اما ما يقطع بره فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف
انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها و
مجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التى لا تنمو فيها البذور ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد الا
الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا تنمو بذور فى ارض سبخة فينبغى ان يقاس رجاء العبد
المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه فى اوقاته ونقى
الارض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر ويفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ
غايته سمى انتظاره رجاء وان بث البذر فى ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حمقا
وغرورا لا رجاء وان بث البذر فى ارض طيبة لكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الا مطار ولا تمتنع ايضا سمى انتظاره تمنيا لا رجاء
فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية
الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى اسباب الايمان فى اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده
بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا بردائل الاخلاق والهمك فى طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا: وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت
الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصى حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة
واما العاصى فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره
الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهى التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى
السبب الذى قد يفضى الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله معناه اولئك يستحقون ان يرجوا رحمة الله وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجو ولكن خصصهم باستحقاق
الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر فى ارض سبخة
وعزم على ان لا يتعهده بسقى ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله
تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الاقدام على الكبائر شعر
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب
وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء
على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من
التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء مغور وان البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب فى تعهدها والرجاء محمود لانه باعث واليأس

مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال ومن ثماره التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لابد ان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك عن علامة الله فيمن يريد وعلامة منه فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني منه شئ حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو اراد بك للآخرة هيأ لك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير من الرجحي ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله تعالى اجهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن به غائب لا سيما في وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه انك لو فرقت بينك وبين يوسف لانك قلت اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لو خفت الذئب ولو ترجحني ولو نظرت الى غفلة اخوته ولو تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل اخوجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا اتأيأس من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قادر عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال الله عز وجل عبيري وما ظن ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم اردا كم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرتك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه الله يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لك لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورئي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء فقال اوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احبيك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورئي يحيى بن اكثم بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني الله بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق انس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فاكببت ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول الله تعالى يوم القيامة اليوم اويئس منك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على يديه فيقول الله تعالى لم كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان قال فيقول ردوه الى مكانه قال فيمضي ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي شئ تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب العلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع

العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عوج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف ايضا لكاد لا ترد هم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي كرم الله وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجاء لتستعمل في حق الايس وفيمن غلب عليه الحوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفاء في حق اصناف المرضى ليستعمل العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذي يظن ان كل شيء من الادوية صالح لكل مريض كيفما كان وحال الرجاء يغلب بفنين احدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار والآثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينتظم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان تفوتهم المزايا والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسببا تهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت ابدا مثلا او لا يحس اصلا فليست كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر جدا لا يقتناه الا في حال نادرة وواقعة عجيبة فاذا كان اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التامل قوي اسباب الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى اية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول اية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه

الفن الثاني

استقراء الآيات والاخبار: فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يأس انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وبقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لو نزل بساحل في امتي حتى قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد واحد من امتي في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله عز وجل قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله تعالى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار فقد روى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار وفي لفظ اخر يؤتى كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار فليقيق فيها وقال صلى الله عليه وسلم الحمى سجن من سجن جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام اني اجعل حساب امتك اليك قال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذا لا نخزيك فيهم وروي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي وانا ارحم بهم منك لاجعل حسابهم الى غيري لئلا انتظر الى مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام الذي ما تفسير يا كريم العفو هو ان عفا عن المسيئات برحمته فبدلها حسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة قال العلماء قد اتم الله علينا نعمته

برضاء الاسلام لنا اذ قال تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملا
انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء
عفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد
اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ الخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
وهو امير عليه الق هذه السيئة حتى القى من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فتلقى عنه هذه السيئة وروى انس في حديث
اذ عليه الصلاة والسلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي وان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه
قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار
فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة
لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراء ها حسن عفو الله عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا اصوم
الا الشهر لا ازيد عليه ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع فاين انا اذا مت قال في الجنة قال معك يا رسول الله فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر
الى ما حرم الله وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل الا ان ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال
الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفى واذا حاسب سامح فقال
النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي الا الكريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تعالى شرف الكعبة
وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا لاحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم
اولياء الله تعالى اما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن
طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا ليسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر اخر يقول الله عز وجل
انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا
جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن
جبل والنس بن مالك ان صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك
بشيئا حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي خبر اخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنة احد ولما نال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي يوم هذا يوم يقال لادم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول
كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج
امم لا يحصيها الا الله تعالى انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم
بازمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف ولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد ولا اخر
لم يكن مناقضا للاول ولكن فكر في الاول ما راءه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بهذا الواعظ
فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ما لاحظ العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده بوعظه اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لذهب
الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وفي لفظ اخر لذهب بكم وجاء بخلق اخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب
قيل وما هو قال العجب قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة
ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا
رحمة واحدة فبها يتراحم الخلائق فحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها
على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال عليه افضل الصلاة والسلام اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال صلى الله
عليه وسلم اني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اتروها للمطيعين المتقين بل هي للمتلوثين المخلطين وقال عليه الصلاة والسلام بعثت

بالحنيفية السمحة السهلة وقال صلى الله عليه وسلم احب الدين الى الله الحنيفية السمحة وقال صلى الله عليه وسلم احب ان يعلم اهل الكتابين ان فى ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين فى قولهم ولا تحمل علينا اصرا وقال تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن على رضى الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال عليه السلام اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله تعالى اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى اليهما ميكائيل عليه السلام وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبكوى والاخبار الواردة فى اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى **واما الآثار** فقد قال على كرم الله وجهه من اذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره فى الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة وقال الثورى ما احب ان يعجل حسابى الى ابوى لانى اعلم ان الله تعالى ارحم بى منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستر عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم يخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو ويقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عنى صوت عبدى قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى اشهدكم انى قد غفرت له وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله عليه خلا لى الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمنى حتى لا اعصيك ابدا فهتف بى هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسأل العصمة وكل عبادى المومنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد رحمه الله تعالى ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقى مالك بن دينار رابعا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى انى لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفى حديث ربعى بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخى سجى ثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان وربى غير غضبان وانى رايت الامر ايسر مما تظنون فلا تفترروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت خصاة وقعت فى طشت فحملناه ودفناه وفى الحديث ان رجلين من بنى اسرائيل تواخيا فى الله تعالى فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعنى وربى ابعثت على رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة ايستطيع احد ان يحظر رحمتى على عبادى اذهب انت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه واخرته وروى ايضا ان لصا كان يقطع الطريق فى بنى اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل من الحواريين فقال اللص فى نفسه هذا نبى الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريدان يدنو من الحوارى ويزدرى نفسه تعظيما للحوارى ويقول فى نفسه مثلى لا يمشى الى جنب هذا العابد قال واحس به الحوارى فقال فى نفسه هذا يمشى الى جانبى فضم منه نفسه وتقدم الى عيسى عليه الصلوة والسلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحوارى فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه فى سياحته وجعله من حواريه وروى عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ عنقه بعض العتاة حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبى عليه الصلاة والسلام راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتألى على فى عبادى انى قد غفرت له ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته فنزل عليه قوله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامتهم اولئك للاسلام وروى فى الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة قال فاذا دخلا الجنة رفع احدهما فى الدرجات العلا على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا فى الدنيا باكثر منى عبادة فوفقته على فى حلبين فيقول الله سبحانه انه كان يسالنى فى الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالنى النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجى منها على الخائف فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانكم تسالون كريما وقال اذا سالتموه فاعظموا الرغبة واسالوا الفردوس الاعلى فان الله تعالى لا يتعاظمه شئ وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك قال لا ادرى ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم فى حساب وشر ما برحنا حتى اغمضناه وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته يكاد رجاءى لك مع الذنوب يغلب

رجائی ایاك مع الاعمال لانی اعتمد فی الاعمال علی الاخلاص وکیف احرزها وانا بالآفة معروف واجدنی فی الذنوب اعتمد علی عفوك وکیف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقیل ان مجوسیا استضاف ابراهیم الخلیل علیه الصلاة والسلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسی فاوحی الله تعالی الیه یا ابراهیم لو تطعمه الا بتغییر دینه ونحن نمن سبعین سنة نطعمه علی کفره فلو اضفته لیلة ما ذا کان علیك فمر ابراهیم یسعی خلف المجوسی فرده واضافه فقال له المجوسی ما السبب فیما بدا لك فذکر له فقال له المجوسی هکذا یعاملنی ثم قال اعرض علی الاسلام فاسلم ورای الاستاذ ابو سهل الصعلوکی اباسهل الزجاجی فی المنام وکان یقول بوعید الابد فقال له کیف حالك فقال وجدنا الامر اهون مما توهمنا ورأی بعضهم اباسهل الصعلوکی فی المنام علی هیئة حسنة لا توصف فقال له یا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظنی بربی وحکی ان اباالعباس بن شریح رحمه الله تعالی رأی فی مرض موته فی منامه کان القیامة قد قامت واذا الجبار سبحانه یقول این العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا علمتم فیما علمتم قال فقلنا یا رب تصرنا واسأنا قال فأعاد السؤال کانه لم یرض بالجواب واراد جوابا غیره فقلت اما انا فلیس فی صحیفتی الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لکم ومات بعد ذلك بثلاث لیال وقیل کان رجل شریر یجمع قوما من ندمائه ودفع الی غلام له اربعة دراهم وامره ان یشتری شیئا من الفواکه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو یسأل الفقیر شیئا ویقول من دفع الیه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الیه الدراهم فقال منصور ما الذی تریدان ادعو لك فقال لی سیدی أرید ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخری فقال ان یخلف الله علی دراهمی فدعا ثم قال الاخری قال أن یتوب الله علی سیدی فدعا ثم قال الاخری فقال ان یغفر الله لی ولسیدی ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سیده لم ابطأت فقص علیه القصة قال وبردعا فقال سالت لنفسی المعتق فقال له اذهب فانت حر قال وایش الثانی قال ان یخلف الله علی الدراهم قال لك اربعة آلاف درهم قال وایش الثالث قال ان یتوب الله علیك قال تبت الی الله تعالی قال وایش الرابع قال ان یغفر الله لی ولك وللقوم وللمذکر قال هذا الواحد لیس الی فلما بات تلك اللیلة رای فی المنام کان قائلا یقول له ما انت فعلت ما کان الیك أفتری انی لا افعل ما الی قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرین اجمعین وروی عن عبد الوهاب بن عبد المجید الثقفی قال رایت ثلاثة من الرجال وامرأة یحملون جنازه قال فاخذت مکان المرأة وذهبنا الی المقبرة وصلینا علیها ودفنا المیت فقلت للمرأة من کان هذا المیت منك قالت ابنی قلت ولم یکن لکم جیران قالت بلی ولکن صغروا امره قلت وایش کان هذا قالت مخنث قال فرحتها وذهبت بها الی منزلی واعطیتها دراهم وحنطة وثیابا قال فرایت تلك اللیلة کانه اتانی آت کانه القمر لیلة البدر وعلیه ثیاب بیض فجعل یشکرنی فقلت من انت فقال المخنث الذی دفنتموه الیوم رحمنی ربی باحتقار الناس ایای وقال ابراهیم الاطروش کنا قعودا ببغداد مع معروف الکرخی علی دجلة اذ مر قوم احداث فی زورق یضربون بالدف ویشربون ویلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم یعصون الله مجاهرین ادع الله علیهم فرفع یدیه وقال الهی کما فرحتهم فی الدنیا ففرحهم فی الاخرة فقال القوم انما سالناك ان تدعو علیهم فقال انا فرحهم فی الاخرة تاب علیهم وکان بعض السلف یقول فی دعائه یا رب ای اهل دهر لم یعصوك فکانت نعمتك علیهم سابغة ورزقك علیهم دارا فسبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصی فتسبغ النعمة وتدر الرزق حتی لکأنك یا ربنا انما تطاع سبحانك ما احلمك تعصی وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتی لکانك یا ربنا لا تغضب فهذه هی الاسباب التی بها یجلب روح الرجاء الی قلوب الخائفین والایسین فاما الحمقی المغرورون فلا ینبغی ان یسمعوا اشیاء من ذلك بل یسمعون ما سنورده فی اسباب الخوف فان اکثر الناس لا یصلح الا علی الخوف کالعبد السوء والصبی العرم لا یستقیم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة فی الکلام واما ضد ذلك فیسد علیهم باب الصلاح فی الدین والله ولی التوفیق

الشطر الثانی من الکتاب فی الخوف وفیه بیان حقیقة الخوف وبیان درجات الخوف وبیان اقسام الخائفین وبیان فضیلة الخوف وبیان الافضل من الخوف والرجاء وبیان دواء الخوف وبیان معنی سوء الخاتمة وبیان احوال الخائفین من الانبیاء والصالحین

بیان حقیقة الخوف اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه لسبب توقع مکروه فی الاستقبال وقد ظهر هذا فی بیان حقیقة الرجاء ومن آنس بالله وملك الحق قلبه وصار ایمانه مشاهدة بکمال الحق علی الدوام لم یبق التفات الی المستقبل فلم یکن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلی من الخوف والرجاء فانهما زمامان یمنعان النفس عن الخروج الی عوناتها والی هذا اشار الواسطی حیث قال الخوف حجاب بین الله وبین العبد وقال ایضا اذا ظهر الحق علی السر لا یبقی فیها فضلة لرجاء ولا لخوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه فی مشاهدة المحبوب بخوف الفراق کان ذلك نقصانا فی الشهود وانما دوام الشهود غایة المقامات ولکن الآن انما نتکلم فی اوائل المقامات فنقول حال الخوف ینتظم ایضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضی الی المکروه وذلك کمن جنی علی ملك ثم وقع فی یده فیخاف القتل مثلا ویجوز العفو والافلات ولکن یکون تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضیة الی قتله وهو تفاحش جنایته وکون الملك فی نفسه حقودا غضوبا منتقما وکونه محنوقا بمن یحثه علی الانتقام خالیا ممن یتشفع الیه فی حقه وکان هذا الخائف عاطلا عن کل وسیلة وحسنة تحوا ثر جنایته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب یضعف

ع ای الرب کی یتوب الی الرب بالشراب ق

ع ای کثیر الکرم وغریب الکرم وعظیم الکرم وعوانة وعوابا بالفتح فهو عارم وعرم الشدید والصبی العرم الشریر والطرار وفسره ق

الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة الخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف منه لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتالمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون لهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالذبول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تتشقق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا للماضي واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذي يحمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما قاتلا فتترك الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضاري لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تالم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف ما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسلي الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يوثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت الحسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت انه صديق فقد قلت انه تقي وورع وعفيف فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معاني كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما **بيان** درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكل ما كان اقوى والكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصيلي للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمودة وكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع اية من القران فتورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضربه دابة قوية لا يولمها المؤلم جدا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني العلماء بالله

وبايامنه وافعاله وذلك مما قد عز وجوده الان ولذلك قال الفضيل بن عياض اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت
وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر فى الجوارح فهو حديث نفس وحركة
خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فانه الذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد
من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه
ليس يدرى عاقبة امره ولو عرف لو يكن خائفا لان الخوف هو الذى يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة
الى نقص الادمى وانما المحمود فى نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به ومالا يجوز وصف الله به فليس بكمال فى ذاته وانما يصير
محمودا بالاضافة الى نقص هو اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف
ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبى والسوط الذى
يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى
الى القنوط واحد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضى الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر و
الورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل
وكل ما يقدح فى هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان الدابة
بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات فى ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره فى طاعة
الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل لسالك سبيل الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى فى درجات المعارف فى كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا
هذا لكانت رتبة صبى يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبى او ولى يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغى ان يظن هذا بل افضل السعادات طول
العمر فى طاعة الله تعالى فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التى يتعطل العمر بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة
بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبيين والصديقين فاذن الخوف ان لم يؤثر فى العمل فوجوده كعدمه
مثل السوط الذى لا يزيد فى حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهى الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا اثمر
الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا
اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحو والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه
باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع ايانا كثيرة احفظوا عقولكم فانه لو لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه اعلم ان الخوف لا يتحقق الا باستظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها فى ذاته كالنار واما ان يكون
مكروها لانه يفضى الى المكروه كما ان كره المعاصى لاداتها الى مكروه فى الاخرة كما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت فلا بد لكل خائف من ان يتمثل فى نفسه
مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره فى قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات
المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف
ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة
فى اتباع الشهوات المألوفة او خوف ان يكله الله تعالى الى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها فى عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف
الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات
الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما لا يدرى انه يحدث فى بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل
الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته فى حال غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف
السابقة التى سبقت له فى الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر مما يفضى الى المحذور فمن يخاف
استيلاء العادة عليه فيواظب على الصيام عن العادة والذى يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية
الاقسام والغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تتبع
السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء فى ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة
كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه خزف الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما

ج ٤

بايانه

ل بايامره

وقائه الى وقعت
على ادائهم الفرايض و
ترك المعاصى وربما
ويقتل بعضهم شوطا ١٢
بيضاوى

ل من مات حتف
انفه اى وهو ان يموت
على فراشه كانه سقط
فانقطع فمات والحتف
الهلاك كانوا يقولون
ان الحى المريض يخرج
من انفه فان خرج من
جراحة قال ابن
الجوزى لان نفسه يخرج
من فيه والقرغلب
اصل الاسم فى الماء و
ما فى النهاية ١٢ مجمع

ل نظام الصبى فضله
عن امه ١٢

بحالة وصول التوقيع وتنشره وانه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحال توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذى خطر له فى حال التوقيع من رحمة او غضب و
هذه التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك الالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوقيع القلم اعلى من الالتفات
الى ما يظهر فى الابد واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم
واسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص
وليعلن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم ليستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعلن اهل الشقاوة بعمل
اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم ليسبق عليهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء
الله والاعمال بالخواتيم وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله واوصافه
التى تقتضى الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان فى طاعة الصديقين واما الآخر فهو فى عرصة الغرور والامن وان اطاب على
الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه و
عرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصى لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا انه
مخوف فى نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولو لم يسبق قبل المعصية معصية استحق
بها ان يسخر للمعصية وتجرى عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسلها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصى قد قضى
عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع الذى يرفع محمد صلى الله عليه وسلم الى علليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع ابا جهل
فى اسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف منه لصفة جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة
واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذى عصى عصى لانه تسلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب
والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعرى ما الذى اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذى
اوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعى المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية ولا
وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد جزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذى لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف
منه فى صفاته جل جلاله الا بمثال لولا اذن الشرع لم يستجز ئ على ذكره ذو بصيرة فقد جاء فى الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفنى
كما تخاف السبع الضارى فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف
ذلك الا اهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالى
فان تملقك لم يرق قلبه ولو نيالو بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقت عليك وابقاء على روحك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا
كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك مثلك عنده وعدم وتيرة واحدة لذلا يقدح ذلك فى عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته
وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التى هى اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق فى قوله هؤلاء فى الجنة
ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة الطبقة الثانية من الخائفين ان
ان يتمثل فى انفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدى
تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية المعبور عليه او الخوف من النار واغلالها وانهارها او
او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة
فى انفسها فلا محالة مخوفة وتختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل
ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد و
الفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك فى باطنه منكرا وتعجب منه فى نفسه وربما انكر لذة النظر الى
وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق ببلاذ لا يعرف الا لذة البطن و
الفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك شرح
حرام مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استغنى به عن نفسه واستغنى عن ان يشرح له غيره فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين وبيان
فضيلة الخوف والترغيب فيه اعلم ان فضيل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان

فضيلة الشئ بقدر عنايته فى الافضاء الى سعادة لقاء الله تعالى فى الاخرة اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا فى لقاء مولاه والقرب منه فكل
ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله فى الاخرة الا بتحصيل محبته ولا انس به فى الدنيا ولا تحصل
المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا
من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تقمع الشهوة بشئ كما تقمع بنار الخوف
فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف
درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون للخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الاعمال الفاضلة المحمودة التى تقرب الى الله
زلفى واما بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد فى فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى
والرحمة والعلم والرضوان وهى مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وصفهم بالعلم لخشيتهم وقال عز وجل رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف
ثمرة العلم ولذلك جاء فى خبر موسى عليه افضل الصلاة والسلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى
وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى مرض موته بين البقاء فى الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الى ثمرة فهو العلم وان نظر الى ثمرتين فالورع
والتقوى ولا يخفى ما ورد فى فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم واله اجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه
فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ولذلك اوصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل فخافونى
ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه فى الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف
معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم فاذا هم بصوت يسمع اقصاهم
كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس انى قد انصتّ لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هى اعمالكم ترد عليكم ايها الناس انى قد جعلت نسبا
وجعلتم نسبا فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم وقلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم
وارفع نسبى اين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه الصلاة والسلام رأس الحكمة مخافة الله و
قال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود ان اردت ان تلقانى فاكثر من الخوف بعدى وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلى رحمه الله ما
الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو فتغلب
بين اسدين وفى خبر موسى عليه الصلاة والسلام واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما فى يديه الا الورعين فانى استحيى منهم وحلهم
ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامٍ اشتقت من معان يشرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه الاسامى وكذلك ما ورد فى فضائل الذكر لا يخفى
وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتى لا اجمع
على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله
تعالى خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شئ وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم خوفا لله تعالى واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى
عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله اذاب
قلبه واشتد حبه وصح له لبه وقال ذو النون ايضا ينبغى ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسين الضرير
يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن من
الخلق غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالس قوام ما يخوفوننا
حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله انك ان تصحب قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف و
قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة هو الرجل يسرق ويزنى قال لا بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة فى الامن من مكر الله وغلبة

لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشئ ثناء على ضده الذى ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء اليأس وكما دلت مذمة القنوط على
فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد فى فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان
فان كل من رجا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته فمن كان لا يخاف فوته فهو اذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل
انفكاك احدهما عن الآخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر فى الحال لغفلته
عنه وهذا الان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذى يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة تقدير
وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان فى ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد
طرفى الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء و
خفى الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان لذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك
عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون وكثيرا ما ورد فى القران الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب
التعبير عن الشئ بما يلازمه بل نقول كل ما ورد فى فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال عز وجل افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون وقال صلى
الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية
الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت
عائشة رضى الله عنها قلت يا رسول الله ايدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب
الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى او قطرة دم اهريقت فى سبيل الله سبحانه وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان
بذرف الدمع قبل ان تصير الدموع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه من استطاع ان يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر رحمه الله
اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغنى ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا فوالذى نفسى بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الدارانى رحمه الله ما تزغر
عين بماء لها الا لو يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فان سالت دموعه اطفأت بأول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى فى
امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطيب من الشوق وقال كعب الاحبار رضى الله عنه والذى نفسى بيده لان
ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى احب الى من ان اتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية
الله احب الى من ان اتصدق بالف دينار وروى عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت
منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلى فدنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم و
اخذنا فى الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت فى نفسى قد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادى نافق حنظلة فاستقبلنى
ابو بكر الصديق رضى الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت
الى اهلى فاخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة
فى الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذا كل ما ورد فى فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن
فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق المسبب **بيان** ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة
الرجاء او اعتدالهما اعلم ان الاخبار فى فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك فى ان الافضل لهما وقول القائل
الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد ايضا هى قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان
فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان كان العطش اغلب فالماء افضل وان استويا فهما متساويان وهذا
لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواء ان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود

فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل
وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التاويل الذى يقال فيه الخبز افضل من
السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار
غلبة الخوف افضل لان المعاصى والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى
الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستند
الا التفات الى الصفات التى تقتضى العنف فلا تمازجه المحبة مما مزجتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغى ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فمعلوم
اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصى فاما التقى الذى ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه
ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بنى خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات
اهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال عمر رضى الله عنه لو نودى ليدخل النار
كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا
عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فمثل عمر رضى الله عنه ينبغى ان يستوى خوفه و
رجاؤه فاما العاصى اذا ظن انه الرجل الذى استثنى من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضى الله عنه لم ينبغى ان
يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغى ان يغلب رجاؤه كما سبق فى اول كتاب الرجاء وان قوته ينبغى ان تكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع و
معلوم ان من بث البذر الصحيح فى ارض نقية وواظب على تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الادراك ولو لم يكن خوفه مساويا
لرجائه فهكذا ينبغى ان تكون احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يعنينا ما نحن
فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاوتها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة فى
تلك البقاع وغيرها وانما مثال مسألتنا بذر لو يجرب جلسة وقد بث فى ارض غريبة لو يعهدها الزارع ولو يختبرها وهى فى بلاد ليس يدرى اكثر الصواعق
فيها ام لا فمثل هذا الزارع وان ادى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر فى مسألتنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة
والارض القلب وخفايا خبثه وصفاته من الشرك الخفى والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات فى الشهوات وزخارف الدنيا والتفات
القلب اليها فى مستقبل الزمان وان سلم فى الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولو يجرب مثله
والصواعق هى اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لو يجرب ثم حصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك
لو يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا فى نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى فى احوال الخائفين من الصحابة والتابعين
وان كان قوى القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضى الله عنه يبالغ فى تفتيش قلبه حتى كان يسأل
حذيفة رضى الله عنه انه هل يعرفه من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن ذا الذى يقدر على تطهير قلبه من
خفايا النفاق والشرك الخفى وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن اين يأمن مكر الله تعالى تبليس حاله عليه واخفاء عيبه عنه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على
ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفى رواية الا قدر فواق ناقة
فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقد رأينا الناقة لا يحتمل حملها بالجوارح انما هو لمقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء فكيف
يؤمن ذلك فاذن اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء فى غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما
فى وصف من اثنى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل ويدعوننا رغبا ورهبا وان مثل عمر رضى الله عنه فالخلق الموجودون فى هذا الزمان كلهم
الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى
فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على العمل ويكد جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافى عن دار الغرور فهو الخوف
المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن
عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقى من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء
فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فانا لا بد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف
على الموت واما عند الموت فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جاء ليحرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم

لا يطيق اسباب الخوف فانه لا يقطع نياط قلبه ويعين على تحصيل موته واما رجاء فانه يقوى قلبه ويحبب اليه ربه الذى اليه رجاؤه ولا ينبغى ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجاء تقارن المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم و الاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوب عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محجوب كلها فى الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة جميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يحبه فاذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاستراح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعده الله لعباده الصالحين مما لا ترة عين ولا تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الاثقال والسلاسل والاغلال وضروب الخزى والنكال فنسأل الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع فى اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه وحب ما يقربنى الى حبك واجعل حبك احب الى من الماء البارد والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب لذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء ولما حضرت سليمان التيمى الوفاة قال لابنه يا بنى حدثنى بالرخص واذكر لى الرجاء حتى القى الله عز وجل وانا احسن الظن به وكذلك لما حضرت الثورى الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لى الاخبار التى فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ان حببنى الى عبادى فقال بما اذا قال بان تذكرهم الائى ونعمائى فاذا غاية السعادة ان يموت محبا لله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب لذلك رأى بعض الصالحين اباسليمان الدارانى فى المنام وهو يطير فسأله فقال الان افلت فلما اصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة

بيان الدواء الذى به يستجلب حال الخوف اعلم ان ما ذكرناه فى دواء الصبر وشرحناه فى كتاب الصبر والشكر هو كاف فى هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان اول مقامات الدين اليقين الذى هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات فتؤدى مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدى دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدى كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب فى سلوك منازل الدين وليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه فى علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملى فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الآخر ومثاله ان الصبى اذا كان فى بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليلتقطها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبى الى ابيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال فى الهرب منها قام منه وغلب عليه الخوف ووافقه فى الهرب خوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فايمان مجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف فى نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يعرف وجهه واذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثانى الخوف من ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء واربابا القلوب العارفين فمن صفاته ما يقتضى الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته واما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه لسبب الغفلة وسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر فى اهوال يوم القيامة واصناف العذاب فى الآخرة وتزول ايضا بالنظر الى الخائفين وبمجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثانى وهو الاعلى فان يكون الله هو المخوف لا عن ان يخاف

البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجى وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين ايضا لحظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهى خوف الصبى من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم ضعيف ويزول على قرب حتى ان الصبى ربما يرى المعلم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيتجرأ على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها تقليد لابيه والعقائد التقليدية ضعيفة فى الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها فى تكثير الطاعات واجتناب المعاصى مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج بجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقعا فى مخالبه لا يحتاج الى علاج بجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء ام ابى ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام خفنى كما تخاف السبع الضارى والحيلة فى جلب الخوف من السبع الضارى لا معرفة السبع ومعرفة الوقوع فى مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالى ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة والبعد لابليس من غير جريمة سالفة بل صفتهما توجب قوله هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى وان خطر ببالك ان لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لو عمد المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولو عمد العاصى بدواعى المعصية حتى يعصى شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان لبعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه فى الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى انت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان أخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله على قبل ان اعمله وقبل ان يخلقنى باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب فى هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع فى قبضة القدرة ووقوع الصبى الضعيف فى مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك لاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا اضيف الى من لا يعرف سمى اتفاقا وان اضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع فى مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترسه وان سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا ليسوقه القدر المتفرغ عن القضاء الجزم الازلى الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا سخرهم لاسبابها شاءوا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخرهم لاسبابها شاءوا ام ابوا فلا يرى احد نفسه فى ملتطم امواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع احوال الخائفين العارفين واقوالهم ويتشبه بعقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى فى ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والاغبياء اما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روى انه كان يصلى على طفل ففى رواية انه سمع فى دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفى رواية ثانية انه سمع قائلا يقول هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك والله انى رسول الله وما ادرى ما يصنع بى ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت ام سلمة هنيأ لك الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكى احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكى احدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابى الذى ولدنى قال فثارت الشيعة عليه فاخذ يذكر من فضائل على ومناقبه وروى فى حديث اخر عن رجل من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وفى حديث اخر انه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيأ لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله تعالى فقال المريض هى امى يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتنى سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت ونحو يتساءلون فقال العلماء

لعل ذلك لما فى سورة هود من الابعاد كقوله تعالى الا بعدا لعادا قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم
بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لاتى كل نفس هداها وفى سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اى حين القلم بما هو كائن وقعت الساعة
حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين فى الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين فى الدنيا وفى سورة التكوير اهوال يوم القيامة
وانكشاف الخاتمة وهو قوله تعالى واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفى عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه الآية وقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى انى
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن احادها واشدها منه قوله تعالى فاما من تاب
وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وقوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان وقوله عز وجل فامنوا
مكر الله الآية وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا الآيتين
وقوله تعالى وان منكم الا واردها الآية وقوله اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الى آخر السورة فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض
عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى ان النبى وجبريل عليهما الصلوة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى الله
اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكانهما اذ علما ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله
قد امنتكما ابتلاء وامتحانا لهما ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر لهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع فى المنجنيق
قال حسبى الله وكانت هذه من اقاوى العظام فامتحن وعوض جبريل فى الهواء حتى قال له الك حاجة فقال امّا اليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله
حسبى الله فاخبر الله تعالى عنه فقال وابراهيم الذى وفى اى بموجب قوله حسبى الله وبمثل هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال انا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انى معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة سحروهم اوجس موسى فى نفسه خيفة اذ لم يأمن مكر الله والتدبير
الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه
العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فانه وافٍ لك بما وعدك فكان مقام
الصديق رضى الله عنه مقام الشفقة لوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال
المعرفة باسرار الله تعالى وخفايا افعاله ومعانى صفاته التى يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى
ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له انت قلت
للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
الآية فوض الامر الى المشيئة واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس له من الامر شئ وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد
المعقولات والمتالوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين
اذ الطامة الكبرى هى ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالى بك ان اهلكك فقد اهلك امثالك ممن لا يحصى ولو نزل فى الدنيا يعذبهم بانواع الآلام و
الامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلده العقاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى
لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى وتمت كلمت ربك لاملأن جهنم الآية فكيف لا يخاف ما خوى من القول فى الازل لا مطمع فى تدارك
ولو كان الامر اتفاقا كانت الاطماع ممتدة الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم فيه واستقراء خفى السابقة من جلى الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت
له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر
لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان
الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وان القلب اشد تقلبا من القدر فى غليانها وقد قال مقلب القلوب عز وجل ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس
من امنه وهو ينادى بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء
رحمة لخواص الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب
قال بعض العارفين لو حالت بينى وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لانى لا ادرى ما ظهر له من التقلب وقال

بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لانى لا ادرى ما يعرض لقلبى بين باب الحجرة وباب الدار
وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احدًا من على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند
كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكى ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من
ذنوبك فقال وعلى ذنوبى ابكى لو علمت انى اموت على التوحيد لم ابال بان القى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكى عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه
فقال اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند راسى فان رأيتنى مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس
المنقلب وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس ذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من احب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء بعد الوفاة قال وما اعرف ان
فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصى والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر
وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان فى وسطى نار الخوف ان يذهب الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عنى الزنار هذا الكل لهم حسنات وروى
عن المسيح عليه الصلاة والسلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروى فى اخبار الانبياء ان نبيا شكا
الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه عبدى اما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر بى حتى تسألنى الدنيا
فاخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمنى من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة
فكيف لا يخاف الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف
الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اعلم انى برئ من النفاق كان احب الى مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذى هو ضد اصل الايمان بل
المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى و
صام وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا
خاصم فجر وفى لفظ اخر واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شئ منه لا صديقا اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف
السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذى يخلو عن هذه المعانى بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة
ولنسى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم فى اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من
الناس ما تأتى مثله وان تحب على شئ من الجور وان تبغض على شئ من الحق وقيل من النفاق انك اذا مدح بشئ ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رحمه الله انا ندخل
على هؤلاء الامراء فنصدقهم فيما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى انه سمع رجلا يذم
الحجاج ويقع فيه فقال لو رايت لو كان الحجاج حاضرا كنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد
من ذلك ما روى ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون فى شئ من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما
كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق و
كان يقول انه يأتى على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتى عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة
فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببا مورا تقدمه منها البدع ومنها المعاصى ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شئ من جملة
ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل مرا من النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين انى اخاف على نفسى النفاق فقال لو كنت
منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين
بين اجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فو الذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من
دار الا الجنة او النار والله المستعان

بيان معنى سوء الخاتمة فان قلت ان اكثر هؤلاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان
سوء الخاتمة على رتبتين احداهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود
فتقبض الروح على حال غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضى البعد الدائم والعذاب
المخلد والثانية وهى دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك فى قلبه وليستغرق حتى لا يبقى فى تلك الحالة
متسع لغيره فيتفق قبض روحه فى تلك الحال فيكون استغراق قلبه بمنكسر رأسه الى الدنيا صارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى

حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوب عنه فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه
الى الله تعالى فتقول له النار جُز يا مؤمن فان نورك قد اطفأ لهبي فهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه
ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت
الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب
مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال خرج من النار
في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن الا مثقال حبة خردل فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد الاف سنين فان قلت فما ذكرته
يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان كل من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله
تعالى وعن نور القرآن ونور الايمان بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض
الجنة وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف
اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده لو المناقشة في الحساب والافتضاح على ملاء من الاشهاد
في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مردّدا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال
معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فتجمع الاجزاء المتفرقة
وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على
حالة تضاد هذه الحال ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها
على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في فنين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح
في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول المقول فيه
بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل
الخصم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه رهبا ينكشف
له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه قد ينكشف به بعض الامور فيهما
بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لا لتجائه فيه الى رأيه الفاسد وعقله
الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاده انه الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون
الكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق ذهوق روحه في هذه الحظرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان
فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله عز وجل
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون
في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة
للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك
في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأي والمعقول فهو في هذا الخطر
والزهد والصلاح لا يكفي له دفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبلة بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر
ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشتغلوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف
المتكلمين في تقليدا قاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام
والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله عز وجل جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم
عن الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤود ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية
الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون بضاعة عقولهم مضطرب متعارض والقلوب لما القي
اليها في مبدأ النشاة الاولى متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة او المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر
ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا عن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي

ل الزبانية جمع زبن بالكسر الدفع سموا بذلك لدفعهم اهل النار الى العذاب
ل الاخسرين اعمالا نصب على التمييز
ل الذين ضل سعيهم رفع على الابتداء
ل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الجملة خبر الذين

والمعقول مع تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعى الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع
لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق فى ان يشتغلوا
بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد
ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين وليعلمن نبأه بعد حين وينبغى ان ينشد فى هؤلاء
عنه كشف الغطاء **شعر** احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ؛ ولم تخف سوء ما يأتى به القدر ؛ وسالمتك الليالى فاغتررت بها ؛ وعند
صفو الليالى يحدث الكدر ؛ واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض فى البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال
من انكسرت سفينته وهو فى ملتطم الامواج برميه موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك عليه اغلب وكل ناز على عقيدة
تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التى حرروها فى تعصباتهم او دون الادلة فانه ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان
واثقا به فهو امن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض فى البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حد المعقول الى نور المكاشفة
الذى هو مشرق فى عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر والى يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام او الذين شغلهم خوف النار
بطاعة الله فلم يخوضوا فى هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة فى سوء الخاتمة واما السبب الثانى فهو ضعف الايمان فى الاصل ثم استيلاء حب الدنيا
على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث النفس
ولا يظهر له اثر فى مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة
الذنوب على القلب فلا يزال يطفئ مما فيه من نور الايمان على ضعف حتى يصير طبعا وريبا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعنى حب الله ضعفا
لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهى المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختل ضميره بانكاره ما قدر عليه
من الموت وكراهته ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور فى باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما ان الذى يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده او ماله
التى هى احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق ذهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد خلط عملا سيئا
وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذى يفضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب
لضعف حب الله تعالى فمن وجد فى قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة
وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحب الا من يعرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى
الله بامره الآية فاذا كل من فارقته روحه فى حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه فى تفريقه بينه وبين اهله وماله وسائر
محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزى
والنكال واما الذى يتوفى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذى تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا فى لقائه
فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام **واما الخاتمة الثانية**
التى هى دون الاولى وليست مقتضية للخلود فى النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصى وان قوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى
وذلك لان مفارقة المعاصى سببها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الف الانسان فى عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته
فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه
عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذى لا يفارق الذنب الا الفيئة بعد الفيئة
فهو البعد عن هذا الخطر والذى لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصى وكانت اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح
منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا وتعرف هذا بمثال وهو الذى لا يخفى عليك ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول
عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة وحتى ان المراهق الذى يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة
لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذى قضى عمره فى النفقة يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره
فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة واسبابها اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول
الالف او لسبب آخر من الاسباب والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف

ل السفر الى عرفات وبلاد الوقوف والتشاغل فيها بالذكر والدعاء وبقية المناسك

ح هو بفتح الفاء وسكون القاف وبعدها ياء مثناة تحت

ك فان الفيئة بالياء والفيئة بالهاء والصحيح فيهما الاول مخفوف الآخر مقصور

وعوده الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصى والطاعات ايضا مرجح ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان تمثل صورة فاحشة فى قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر فى اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشئ الى ما بينا سببه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معا اما بالمشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر واما بالمضادة فبان ينظر الى خسيس فيتذكر قبيحا ويتامل فى شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شئ الى شئ ولا يدرى وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل ان ينتقل الخاطر من شئ الى شئ ثان ومنه الى شئ ثالث ثم ينسى الثانى ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن تكون بينه وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر فى المنام اسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصى والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر فى فطام نفسه عنها وفى قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فكم يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة فيقول خمسة ستة اربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال الفه له قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا تطبع مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها فاذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى احوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من هذا فان النائم يدرك ما يكون فى المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهى جزء من اجزاء النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تاثير فهذا اعظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى فى المنام الا احوال الصالحين واحوال الصادقين من الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر فى النوم لما غلب فى اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا على الفارمدى رحمة الله عليه يصف لى وجوب حسن ادب المريد للشيخ وان لا يكون فى قلبه انكار لكل ما يقوله ولا فى لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخى ابى القاسم الكركانى منامات لى وقلت له انك قلت لى كذا فقلت لو ذاك قال فهجرنى شهرا ولم يكلمنى وقال لولا انه كان فى باطنك تجويز المطالبة وانكار ما قوله لك لما جرى ذلك على لسانك فى النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان فى منامه خلاف ما يغلب فى اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذى نصح بذكره فى علم المعاملة من اسرار الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل فى علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان لا امن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هى عليه من غير جهل وتزجى جميع العمر فى طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك وتياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم فى النفس الاخير الذى عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب مواج الخواطر مشكلة جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول انى لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكنى اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فاسد فيها خيارنا وكان الثورى يوما يبكى فقيل له على م تبكى فقال يكبنا على الذنوب ما نافلان نبكى على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته فى لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة فى حقه ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم تلاطما من امواج البحر وانما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق الناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كانى دخلت الجنة فرأيت ثلثمائة نبى فسألتهم ما اخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاءة مكروها اما الموت فجاءة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلاء على القلب والقلب لا يخلو عن امثاله الا ان يدفع بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح فى حالة الزحف فى القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب فلا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت لاجل الله

فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الخواطر اكثر اشغاله فانك تراه يومى الى راسه كانه ياخذ ابرة ليخيط بها ويميل اصبعه التى تحاذيها عادة بالكستبان وياخذ الازار من فوقه ويقدره بشبره كانه يتعاطى تفصيلا فيعيد يده الى المقراض هذه العبارة وجدت فى النسخة المصرية داخلة فى المتن ليست فى سائر النسخ

وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذى بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
والبائع راغب عن المبيع لامحالة وخروج حبه عن القلب ومجرد حب العوض للمطلوب فى قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب فى بعض الاحوال ولكن
لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة
فان من هذا حاله وان قتل فى المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل
بالاستعداد لها وواظب على ذكر الله تعالى واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصى جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة
المعاصى ومشاهدة اهلها جهدك فان فى ذلك ايضا تأثيرا فى قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة
فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك فى كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك اذ يمكن
ان تختطف فيها روحك هذا ما دمت فى يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر
الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا
عليه وانه لا يغلب فى النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا يبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك فى نومك والموت والبعث شبيه النوم واليقظة
فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه فى يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه فى نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على
ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وامن بهذا تصديقا باعتقاد
القلب ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب نفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك
كله كنت مع ذلك فى خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى
الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلموا ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقى
كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغى ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون غبتك فيه اكثر من رغبتك
فى قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام فى البطن واخراجه فهما ضرورتان فى الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التى يشتغل بها قلبك
فلا ينبغى ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انك ان كان همتك ما يدخل فى بطنك فهمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام
الا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر فى ثلاثة امور من ماكولك فى وقته وقدره وجنسه اما الوقت
فاقلل ان تكتفى فى اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم واما قدره فبان لا تزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب لذائذ الاطعمة
بل تقنع بما تيسر فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات واللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تأكل الا
من حله فان الحلال يعز ولا يفى بجميع الشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو
قلنسوة بدانق فطلبك لغيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائر والعناء القائم فى تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام
والشبهة وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لو تكلفت به فى خساسته وقدره وجنسه لم يكن لك موقف عذر
بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فغلبتك
بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا
بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت فى مهواة يبعد قيك منها وهكذا
جميع ضرورات امورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اول درجة
الامانى تشعبت همومك ولم يبال الله فى اى واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود و
الاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم فى تسويفك او غفلتك اختطفت فجاءة فى غير وقت ارادتك ولو تفارقك حسرتك وندامتك
فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه بضعف خوفك اذ لو تكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية فى تخويفك فانا سنورد عليك من احوال
الخائفين ما نرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعملهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك و
عملك ومكانك فتامل مع كمال بصيرتك وعمق عين قلبك فى احوالهم لو اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش و
بعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا عجب ان كان ذلك لا يؤثر فى قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون **بيان** احوال الانبياء والملائكة

عليهم الصلاة والسلام في الخوف روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح صاحت صفة يتغير وجهه
ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا
وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالابطح فصعق وروي انه عليه السلام كان اذا دخل في الصلاة يسمع لصدره ازيز
كازيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان
فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت
النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن انس انه عليه السلام سال جبريل ما لا اراى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك
ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله تعالى ملائكة لو ضحك احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر
رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت
يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة لو اذوق طعاما ولو اجده ولو سألت ربي لاعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن
عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لو يامركم بكنز المال ولا بانباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية
فان الحياة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبأ رزق الغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم اذا قام
في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى
راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فخب ضبة صاح العود فاحترق من جر خوفه ثم انزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة
فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا راها فابكت قال وكان يوتى بالقدح
ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء
من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي سبحانك الهي اتيت
اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب
صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لا اريد كوانما اريد كل بكاء على خطيئته فلا استقبلني الا بالبكاء ومن
لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود للقاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء وقبل تحرق العظام واشتعال
الحشا وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمير لما اصاب داود الخطيئة نقص
صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يا رب
اما ترحم بكائي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري
عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي والتف الوحوش الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه
يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب
كرامتي وتوجته بتاج وقاري وسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريان فيا ليلا يا داود اسمع مني والحق اقول لطعنا
فاطعناك وسألتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلام
كان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له منبر الى البرية فيقوم
سليمان ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والاكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح
داود على نفسه فليات قال فتاتي الوحوش من البراري والاكام وتاتي السباع من الغياض وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن
وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على راسه فياخذ
في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيامة
وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا راى سليمان كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن
الوحوش والهوام فياخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان
الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت

المرأة تأتي بالسرير وتحمل وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله فوراذا افاق داود قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واخلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان انت على داود ولا يزال يناجي فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن فيريد خل ومعه قوص من شعير فيقول يا ابتاه تقوّ بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القوص ما شاء الله فيخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم الى الناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فمات منهم ثلاثون الفا ومات رجل الا في عشرة الاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعد تا على صدره وعلى حلقه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبّاد قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى محتهدهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى اطراف بيت المقدس فقال ذلك فرجع الى ابويه فرآه صبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال انى لم أخلق للعب قال فاتى ابويه فسألهما ان يدّرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمها رأو يصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الازدن وقد انقع رجليه في الماء حتى كاد العطش ينهجه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق باردا الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فسأله ابواه ان يقطع على قوص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمضى بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلو ينزل يبكي حتى خرقت دموعهم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك عن الناظرين فاذن لها فغدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما فانا راى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يوما يا بني انما سالت ربي ان يهبك لي لتقرّ عيناي بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل عليه السلام اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني فانك وقال المسيح عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحتي اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلاما اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل انى اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم اجمعين وعلى كل عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف روى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا وقال ابو ذر رضي الله عنه وددت اني شجرة تعضد وكذلك قال طلحة وقال عثمان رضي الله عنه وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت اني كنت نسيا منسيا وروى ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم تلدني امي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان اسودان من الدموع وقال رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولو لا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع مال من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يديه لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكأني بالقوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين وددت ان اكون رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وددت اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كأن النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ مضر القارئ يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه فلما افاق قال وعزتك لا عصيتك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المنذر بن مخرمة لا يقوى ان يسمع شيأ من القران لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الخوف والاية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال

ق فاعل الصيد ضمنه الكلب
النفس ت ق ل ق ق ل ق ق
وقال ق ق ق ق ق ق ق
النحو والعالق فعلوه لقوله ق ق ق
ق ق ق ق ق ق ق ق ق
الطهور ق ق ق ق ق
جمعه الطوارق ق ق ق
النقاوة بخطوفي الجيم
نسخة الكيف والجيم عن ابن
فيكيف والجيم عن ابن
ق ق ق ق ق ق ق ق
ق ق ق ق ق ق ق ق
ق ق ق ق ق ق ق ق

انا من المجرمين ولست من المتقين اعذ على القول ايها القارى فاعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالاخرة وقرأ عند يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة مكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف البصرة وقال مالك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت ذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهى تقول يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب ما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكى فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدى على راسى صارخا اقول ثكلت مالكا امه وروى ان الفضيل رؤى يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوأتاه منك وان غفرت فانقلب مع الناس وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحت واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدى الله ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب وهو مستغرق فى ضحكه وهو جالس مع قوم فى مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدرى الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رؤى ذلك الفتى بعدها ضاحكا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الامن وانا غير امن اذ عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة فى قلوب العباد رحمة كى لا يموتوا من خشية الله تعالى وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان يقيدونى ويغلونى ثم يطلقونى الى ربى كما يطلق العبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة وقد لقى آدم عليه السلام فيها ما لقى ولا تغتر بكثرة العباد فان ابليس عبد الله طول عبادته لقى ما لقى ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ما ذا لقى ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر منزلة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السرى انى لا نظر الى الفى كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهى وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادى فى نفسى ان الله ينظر الى نظر السخط واما الى تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال انى اجترأت المبارحة على الله سألته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظى لابنها يا بنى انى اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع فى ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمننى ان يكون الله تعالى قد اطلع على بعض ذنوبى فمقتنى وقال وعزتى وجلالى لا غفرت لك وقال الفضيل انى لا غبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا ليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكى حتى حبسته تلك فى البيت فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروى عن ابن ابى مليكة انه كان اذا اوى الى فراشه يقول لليته يا امى لم تلدنى فقالت له امه يا بنى ان الله تعالى قد احسن اليك هداك الى الاسلام فقال اجل ولكن الله قد بين لنا انا واردو النار ولم يبين لنا اناصادرون عنها وقيل لفرقد السنجى اخبرنا باعجب شئ بلغك عن بنى اسرائيل قال بلغنى انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا فى يوم واحد وكان عطاء السلمى من الخائفين ولو يكن يسأل الله الجنة ابدا انما كان يسأل العفو وقيل له فى مرضه الا تشتهى شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع فى قلبى موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع راسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع راسه يوما ففزع فسقط فانفتق فى بطنه فتق وكان يمس جسده فى بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء طعام قال هذا من اجلى يصيبهم لو ما عطاء لاستراح الناس قال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد توضت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم فى رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فينامهم ليشون ادم احدهم بمكان فخر معتشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون فى يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسألوه عن امره فقال انى ذكرت انى كنت عصيت الله فى ذلك المكان وقال صالح المرى قرأت على جل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فضعق فمر افاق فقال ردنى يا صالح فانى اجد غما فمرت كلما اراد ان يخرج منها اعيد وافيها فخر ميتا وروى ان زرارة بن ابى اوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر فى الناقور فخر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشى على عمر بن عبد العزيز فقال عظنى يا يزيد فقال يا امير المومنين اعلم انك لست اول خليفة يموت فبكى ثم قال زدنى قال يا امير المومنين ليس بينك وبين ادم اب الا ميت فبكى ثم قال زدنى يا يزيد فقال يا امير المومنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فخر مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسى ووضع يده على راسه وخرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدرون عليه ورأى داود الطائى امراة تبكى على راس قبر ولدها وهى تقول يا ابناه ليت شعرى اى خديك بدأ البلى وداود لا فضعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثورى فعرض دليله على طبيب ذمى فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عروقه ثم قال ما علمت ان فى الملة الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل رحمه الله عليه سالت الله عز وجل ان يفتح على يابا من الخوف فتح فخفت على عقلى فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن قلبى وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فو الذى نفسى بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبرى اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض

فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترحف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كذا في الغرر
انما هذا زمان لحفظ لسانك واخفِ مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وذر عنك الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له الى اين قال الا ادري وكان يمشي والهاً من الجوع قال
ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر مابال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت انت سمعت البكاء من كل جانب فقال اي بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة وحكى ان فرقدا
وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل و
كان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ائتوني
من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعول خوصا فقرأت عليه هذه الاغلال في اعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا فقرأت هذه الآية فشهق شهقة
وخر مغشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لو تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبذر الدم
من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل يخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت على السابع فاستأذنت
فاذا امرأة من داخل الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال كاد ان الخلق غدا مقاما
فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فالتحافاه شاخصا ببصره يصيح بصوت ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته لنخرجوا فانكم
لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حالته مبهوتا
متحيرا لا يؤدي فوضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف انه لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا
ابدا فما رؤي ضاحكا ولا مضطجعا ولا اكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لو تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم
قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي
ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حالٍ هم قال الرجل على حال شديدة قال الحسن فاني
اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في
منامها ثم انتبهت فقالت يا امير المؤمنين اني والله رأيت عجبا قال وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها
فقال هيه قالت نجي بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك
فحمل عليه فما مضى الا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسير حتى انكفأ به الصراط
فهوى كذلك فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر رحمه الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا
امير المومنين اني رأيتك والله قد نجوت اني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويبكي ان اويسا القرني رحمه الله كان
يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا يتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المؤمن
لا يسكن رعدة حتى يترك جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى
الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري رحمه الله يخرج من النار رجل بعد الف عام بالليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه
من الخلود وسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال وكنت اذا رأيته قاعدا كانه اسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر
عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع في على بعض ما يكره فمقتني
فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت اليوم
بكلمة ما كنت ابالي ان لا اسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اين ما في الجنة او في النار ثم غاب عني فافتقدته
في المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع
قلوب الخائفين طول الخلود اين ما في الجنة او في النار قال ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة
قلت بما ذا قال بالكلمة هذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء
القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة لحوالنا غفلتنا وقسوتنا
فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا لحظ الخاتمة يزعجنا فنسأل الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده
احوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان مجردا السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار

ء البراری وخاطرنا وان اردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا فی حفظه وتکراره وسهرنا نجتهد فی طلب ادناها فلا نشق بضمان الله لنا ولا نجلس فی بیوتنا فنقول
اللهم ارزقنا فاذا طمحت اعیننا نحو الملک الدائم المقیم قمنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذی الیه رجاؤنا وبه اعتزازنا یا دیناه ویقول
وان لیس للانسان الا ما سعی ولا یغرنکم بالله الغرور ویا ایها الانسان ما غرک بربک الکریم توکل ذلک لا ینبهنا ولا یخرجنا عن اودیة غرورنا
واما نحن فانا هذه الامحنة هائلة ان لم یتفضل الله علینا بتوبة نصوح یتدارکنا بها ویجیرنا فنسأل الله تعالی ان یتوب علینا بل نسأله ان یشوق
الی التوبة سرائر قلوبنا وان لا یجعل حرکة اللسان بسوال التوبة غایة حظنا فنکون ممن یقول ولا یعمل ویسمع ولا یقبل اذا سمعنا الوعظ بکینا واذا
جاء وقت العمل بما سمعنا عصینا فلا علامة للمخذلان اعظم من هذا فنسأل الله تعالی ان یمن علینا بالتوفیق والرشد بمنه وفضله ولنقتصر من
حکایة احوال الخائفین علی ما اوردناه فان القلیل من هذا یصادف القلب القابل فیکفی والکثیر منه وان افیض علی القلب الغافل فلا یغنی ولقد
صدق الراهب الذی حکی عنه عیسی بن مالک الخولانی وکان من خیار العباد انه راه علی باب بیت المقدس واقفا کهیئة المحزون من شدة الملة فما یکاد
یرفع رأسه من کثرة البکاء فقال عیسی لما رایته هالنی منظره فقلت ایها الراهب اوصنی بوصیة احفظها عنک فقال یا اخی بحسبک اذا وصلت ان استطعت
ان تکون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر یخاف ان یغفل فتفترسه السباع او یسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب
وجل فهو فی المخافة لیله وان امن المغترون وفی الحزن نهاره وان فرح البطالون تولی وترکنی فقلت لو زدتنی شیئا عسی ینفعنی فقال الظمآن یکفیه
من الماء الیسیر وقد صدق فان القلب الصافی یحرکه ادنی مخافة والقلب الجامد تنبو عنه کل المواعظ وما ذکره من تقدیره انه احتوشته السباع و
الهوام فلا ینبغی ان یظن انه تقدیر بل هو تحقیق فانک لو شاهدت بنور البصیرة باطنک لرأیته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب
والشهوة والحقد والحسد والکبر والعجب والریاء وغیرها وهی التی لا تزال تفترسک وتهمشک ان غفلت عنها لحظة الا انک محجوب العین عن
مشاهدتها فاذا انکشف الغطاء ووضعت فی قبرک عاینتها وقد تمثلت لک بصورها واشکالها الموافقة لمعانیها فتری بعینک العقارب والحیات
وقد احدقت بک فی قبرک وانما هی صفاتک الحاضرة الآن قد انکشف لک صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر علیها قبل الموت
فافعل والا فوطن نفسک علی لدغها ونهشها لصمیم قلبک فضلا عن ظاهر بشرتک وجسمک والسلام

کتاب الفقر والزهد وهو الکتاب الرابع من ربع المنجیات من کتاب احیاء علوم الدین

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله الذی تسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتتدکدک من مهیبته الجبال خلق الانسان من الطین اللازب والصلصال وزین صورته
باحسن تقویم والتواعتدال وعصم قلبه بنور الهدایة عن ورطات الضلال واذن له فی وقوع باب الخدمة بالغدو والآصال فکحل بصیرة
المخلص فی خدمته بنور العبرة حتی لاحظ بضیائه حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبهاء والکمال ما استقبح دون مبادیه اشراق کل حسن و
جمال فاستثقل کل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غایة الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنیا فی صورة امراة جمیلة تمیس فی حلل وتختال والکشف له باطنها
عن عجوز شوهاء عجنت من طینة الخزی وضربت فی قالب النکال وهی متلفعة بجلبابها لتخفی قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتیال وقد نصبت
حبائلها فی مدارج الرجال فهی تقتنصهم بضروب المکر والاغتیال فلا تجتزی معهم بالخلف فی مواعید الوصال بل تقیدهم مع قطع الوصال
بالسلاسل والاغلال وتبتلیهم بانواع البلایا والاشکال فلما انکشف للعارفین منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فیها زهد المبغض لها فترکوها
وترکوا التفاخر والتکاثر بالاموال والاولاد وانکبوا بهمهم علی حضرة الجلال واثقین منها بوصال لیس دونه انفصال ومشاهدة ابدیة لا یعتریها فناء
ولا زوال والصلاة علی سیدنا محمد سید الانبیاء وعلی آله الاخیار اما بعد فان الدنیا مدودة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمکرها زل
من زل فجبها رأس الخطایا والسیئات وبغضها ام الطاعات ورأس القربات وقد استقصینا ما یتعلق بوصفها وذم الحب لها فی کتاب ذم الدنیا
من ربع المهلکات ونحن الآن نذکر فضل البغض لها والزهد فیها فانه راس المنجیات فلا مطمع فی النجاة الا بالانقطاع عن الدنیا والبعد منها
ولکن مقاطعتها اما ان تکون بانزوائها عن العبد ویسمی ذلک فقرا واما بانزواء العبد عنها ویسمی ذلک زهدا ولکل واحد منهما درجة فی نیل
السعادات وحظ فی الاحاطة علی الفوز والنجاة ونحن الآن نذکر حقیقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحکامهما ونذکر
الفقر فی شطر من الکتاب ونذکر الزهد فی شطر آخر منه ونبدأ بذکر الفقر الشطر الاول من الکتاب فی الفقر وفیه بیان حقیقة الفقر
وبیان فضیلة الفقر مطلقا وبیان فضیلة خصوص الفقراء وبیان فضیلة الفقر علی الغنی وبیان ادب الفقیر فی فقره وبیان ادبه فی قبول العطاء

وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه **بيان** حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واسامية اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا فقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا تنحصر ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها **الحالة الاولى** وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد **الثانية** ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا **الثالثة** ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبته له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان يمرض لطلبه بل ان اتاه صفوا عفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذا قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة **الرابعة** ان يكون تركه الطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى الطلب ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص **الخامسة** ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان ينضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهي ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتأذ وان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها اذا اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتيني لفعلت فمن هذه حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزائن الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه اما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى ادخول في يده فغناه الى العموم اميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله تعالى اقرب وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغني المطلق عن كل شيء واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن اشياء اخر سواه ولو استغنى عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان تقلب المقيد حب المال الى رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لا تحصى بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذه الان الكارة للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله تعالى بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب الى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرق العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الآخر بل الكمال في ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا

يجتمع ايضا بغض وحب فى حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو فى غفلته سالك
فى طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهى حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهوق فالكمال
له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله تعالى فالمحب والمبغض كرجلين فى طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما
مستقبل للكعبة والآخر مستدبر لها فهما سيان بالاضافة الى الحال فى ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل
محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول اليها وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف فى الكعبة والملازم لها الذى لا يخرج منها حتى يفتقر الى
الاشتغال بالدابة فى الوصول اليها فلا ينبغى ان نظن ان بغض الدنيا مقصود فى عينه بل الدنيا حائل عن الله تعالى والوصول اليه لا بد فيه من دفع العائق
ولذلك قال ابو سليمان الدارانى رحمه الله من زهد فى الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغى ان يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة
وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذا قد ظهر ان الزهد فى الدنيا ان اريد به عدم الرغبة فى وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة فى عدمها
فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضى والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغنى بل الكمال فى حق المال ان يستوى عندك المال والماء وكثرة
الماء فى جوارك لا توذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته توذيك لانى قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك
مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثيرة ولا ببغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا تجبن به على احد
فهكذا ينبغى ان يكون المال لان الخبز والماء واحد فى الحاجة وانما الفرق بينهما فى قلة احدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى وثقت بتدبيره الذى
دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل ان شاء الله
تعالى قال احمد بن ابى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التى اهديتها لى فان العدو يوسوس
الى ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد فى الدنيا ما عليه من اخذها فبين ان كراهيته كون الركوة فى بيته التفات
اليها سببه الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا
الا قدر حاجتهم فنفروا عما وراءه ولم يجموع فى القرب والروايا يريدون مع انفسهم بل تركوه فى الانهار والآبار والبرارى للمحتاجين اليه لانهم كانت
قلوبهم مشغولة بحبه او ببغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فاخذوها ووضعوها فى
مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم المال والماء والذهب والحجر وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف ان الاخذ
ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فالاجرم البغض للمال والهرب منه فى حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان
كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان ينقل عن قوى بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار تنزلا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك
اذ لو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدى اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه انه لو اخذها اخذها اولاده اذا رأوها فيهلكون
والمسير لبسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد عرفت اذا أن المراتب ستة وان اعلاها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع
ثم الحريص واما المضطر فيتصور فى حقه ايضا الزهد والرضى والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة
اما تسمية المستغنى فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل ان سمى فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى فى جميع اموره عامة وفى بقاء استغنائه
عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما
للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا
الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احينى مسكينا
وامتنى مسكينا اذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذى سأله ودعا
صلى الله عليه وسلم **بيان** فضيلة الفقر مطلقا اما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
الآية وقال تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض ساق الكلام فى معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على
وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر **واما الاخبار** فى مدح الفقر فاكثر من ان تحصى روى عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اى الناس خير فقالوا موسر من المال يعطى حق الله فى نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا فاى الناس شر
قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطى جهده وقال صلى الله عليه وسلم لبلال اتق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف
ابا العيال وفى الخبر المشهور يدخل فقراء امتى الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفى حديث آخر باربعين خريفا اى اربعين سنة فيكون المراد به تقدير

تقدم الفقير الحريص على الغنى الحريص والمقدر بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقير
بالضرورة تفاوتا بين الفقراء فى درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة
ولا تظن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرى على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى
ان هو الا وحى يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير بتحقيق لا محالة ولكن ليس فى قوة
غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبى ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها
ان يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الاخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف
والثانى ان له فى نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا وباختيارنا وهى القدرة وان كان
القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات
والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون فى الغيب اما فى اليقظة او فى المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات
يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها
الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن الا بظن وتخمين فلا بد
تحقيقا انه الذى اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وانما المعلوم مجامع الصفات التى بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشد الى
معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء لهم درجات كما سبق فاما لو كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجتا الفقير الزاهد حتى تحرر
له التقدم بالكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوة البشر غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين والاوفق
به والغرض التنبيه على منهاج التقدير فى امثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل
الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم ايضا اخر هذه الامة غرا وهما واسرعها تضعضعا فى الجنة
ضعفاؤهما وقال صلى الله عليه وسلم ان لى حوفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبنى ومن ابغضهما فقد ابغضنى الفقر والجهاد وروى ان جبريل عليه
السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول التحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك
اينما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال جبريل
يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى ان المسيح صلى الله عليه وسلم مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فايقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى
فقال ما تريد منى انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبى ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب تحت راسه لبنة ووجهه
ولحيته فى التراب وهو مؤتزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا فى الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى ما علمتنى اذا نظرت الى عبدى
بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابى رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلنى الى رجل من يهود
خيبر وقال قل له يقول لك محمد اسلفنى او بعنى دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال اما والله انى لامين فى اهل السماء امين فى اهل الارض ولو باعنى او اسلفنى لاديت اليه اذهب بدرعى هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت
هذه الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الاية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله
عليه وسلم الفقر زين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم معافى فى جسمه امنا فى سربه عنده قوت يومه فكانما نالت
له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء
الخراسانى مر نبى من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى الشبكة فلم يخرج فيها شيئا ثم مر بآخر فقال بسم الشيطان والقى شبكته
فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبى يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدى
عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت فى الجنة فرأيت
اكثر اهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء والنساء وفى لفظ آخر فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجدود وفى حديث آخر
ورأيت اكثر اهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر وفى
الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر اصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفى حديث
آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشرة يدخل الغنى الجنة وفى خبر آخر عن اهل البيت رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم

قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفى الخبر اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يارب من احباؤك من خلقك حتى اجبهم لاجلك
فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثانى للتوكيد ويمكن ان يكون المراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه الى لاحب المسكنة وابغض
الغناء وكان احب الاسامى اليه صلوات الله عليه ان يقال له يا مسكين ولما قالت سادات العرب واغنيا وهم للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما
ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجئ ونجئ اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وابى ذر وخباب بن الارت
وعمار بن ياسر وابى مريرة واصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم اجمعين اجابهم النبى صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه
التاذى برائحتهم وكان لباس القوم الصوف فى شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس
التميمى وعيينة بن بدر الفزارى وعباس بن مرداس السلمى وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجمعهم وايا هم مجلس واحد فانزل
عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعنى الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا
يعنى الاغنياء ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعنى الاغنياء وقل الحق من ربكم يريد مع الفقراء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية
واستاذن ابن ام مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى يعنى ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعنى هذا الشرف
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى
ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدى الى هذه الصفوف فمن اطعمك فى او كساك فى فخذ
بذلك وجهى فخذ بيده فهولك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام
اكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من اطعمكم
كسرة او سقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده فاقيضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامى فنظرت فاذا بلال
ونظرت فى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما النساء فاشغلهن
الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابى فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يمشى
فقلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما خلصت اليك حتى لقيت الشيبات وظننت انى لا اراك فقلت لو قال كنت احاسب بمالى فانظر
الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين
قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
رجل فقير فلم يره شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل
ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وقال عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة
وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بابى انت وامى يا رسول الله فقام
وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله
قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الاعباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف براسى فالقى
اليها مُلاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف اصبحت قال اصبحت والله وجعة و
زادنى وجعا على ما بى انى لست اقدر على طعام آكله فقد اضرنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما
منذ ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولو سالت ربى لاطعمنى ولكن اثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة
نساء اهل الجنة قالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء
عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى
الدنيا سيدا فى الآخرة وروى عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتحاكموا على
جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء **واما الآثار**
فقد قال ابو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين اشد حسابا او قال اشد حسابا من ذى الدرهم وارسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار

فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته احدث امر قال اشد من ذلك ثم قال ارينى درعك الخلق فشقه وجعله خرقا وفوقه ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء امتى الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده فيخرج وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشراب فلا يقال له ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثورى رحمه الله فقال له لو كنت غنيا لما قربناك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت الغنى اذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير اعز منه فى مجلس الثورى رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن ادم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن احدا من الخلق ان ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفى الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه عليهم السلام احذر ان امقتك فتسقط من عينى فاصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تفرق مائة الف درهم فى يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتينى لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة الاف درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليه الرجل فقال له ابراهيم اتريد ان امحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة الاف درهم لا افعل ذلك ابدا رضى الله عنه

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضى ويكاد يشعر هذا بفهوم ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضى هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة فى فعله فتلك الكراهة هى التى تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر يحشرهم الله تعالى يوم القيامة وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع يرزقه الراضى عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتى قوتا فى الدنيا واوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصابرون وقال صلى الله عليه وسلم لا حد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائى الراضون بقضائى ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون هذا فى القانع والراضى واما الزاهد فسنذكر فضله فى الشطر الثالث من الكتاب ان شاء الله تعالى واما الآثار فى الرضى والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس مما فى ايدى الناس قنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ما من يوم الا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء رضى الله تعالى عنه ما من احد الا وفى عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن ادم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو يتشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله فلما اكمل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئنى به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال فرويت طيبا قال نعم فقال ابراهيم فى نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال لا اذلك على من رضى بشئ من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن رحمه الله لعن الله اقواما اقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان ابو ذر رضى الله عنه يوما جالسا فى الناس فانتهره امرأته فقالت له اجلس بين هؤلاء والله ما فى البيت هفتة ولا سفتة فقال لها هذه ان بين يدينا عقبة كؤودا لا يجوز منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية وقال ذو النون رحمه الله اقرب الناس

الى الكفر وفاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فاني محسن اليك وقد قيل في القناعة **شعر** اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ... واقنع بيأس فان العز في اليأس ... واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... ان الغنى من استغنى عن الناس ... وقد قيل في هذا المعنى ايضا **شعر** يا جامعا ما نعا والدهر يرمقه ... مقدرا اي باب منه يغلقه ... مفكرا كيف تأتيه منيته ... اغاديا ام بما يسري فيطرقه ... جمعت ما لا تقل لي هل جمعت له ... يا جامع المال ايا ما تفرقه ... المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك الا يوم تنفقه ... ارقى نيالا فتى يغدو على ثقة ... ان الذي قسم الارزاق يرزقه ... فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه ... ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هما يؤرقه ... **بيان** فضيلة الفقر على الغنى ... اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغنى الشاكر القانع افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد دخل على ابن عطاء لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يستقم من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس حريصا على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غنى منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص فلا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغنى الحريص الممسك وان الغنى المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فوجه ما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغنى المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما نالوه الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعاد الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء ايضا لما سئل عن ذلك فقال الغنى افضل لانه وصف الحق اما دليل الاول ففيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك ولمن بعثك من عندهم قوم اجبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لو بلغ الغنى بالفقير ولو انفق فيها عشرة آلاف درهم ولذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فاخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قولا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال ارأيت ان الله تعالى غني بالا سبأ والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب اخرون فقالوا ان التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روي عنه نبينا صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بأنه صفة الحق والتكبر فكذلك يناقض قول من فضل الفقر بأنه وصف العبد بالجهل والغفلة لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فلكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والا فليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوبا لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غني لو لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه

او فى وصاله وربما يكون شغله فى الفراق اكثر وربما يكون شغله فى الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين والمحروم منها مشغول بطلبها والقادر
عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال فى حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير
متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن
الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة رضى الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا
بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ الفذ الذى لا يوجد فى الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل
لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا
الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال المض حلاوة الايمان وفى الخبر ان لكل امة عجلا وعجل
هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء
عليهم السلام والاولياء ثم يتيسر لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا اليك عنى اذ كانت تتمثل له
بزينتها وكان على كرم الله وجهه يقول يا صفراء غرى غيرى ويا بيضاء غرى غيرى وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادى الاغترار بها
لولا ان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا
فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها
واستشعار راحة فى بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم ويقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته
سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى
الله تعالى وكان مؤمنا بأسه انصرف لا محالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس فى الوجود الا الله تعالى وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل
عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الاخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الاخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد
بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد عن الاخر بل حين القرب من احدهما هو حين البعد من الاخر فحين حب الدنيا هو حين بغض الله تعالى فينبغى ان يكون
مطمح نظر العارف قلبه فى عزوفه عن الدنيا وانسه بها فاذا افضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة
قدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون جمد فينا فى باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفرقته
او اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سريرته لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية
اشتعلت من قلبه النار التى كانت مستكنة فيه فتحقق اذا انه كان مغرورا وان العشق كان مستكنا فى الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل
الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير والانس بالدنيا اضعف
وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تاثيرها
فى اثارة الانس فى قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها فى قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو فى طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفا
ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى نفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غنى الف عام وعن
الضحاك قال من دخل السوق فراى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار يتفقها كلها فى سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحارث
رحمه الله ادع الله لى فقد اضر بى العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لى فى ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائى
وكان يقول مثل الغنى المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء
وقد قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه اللهم انى اسالك الذل عند النصف من نفسى والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل الصديق رضى الله عنه فى
كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك فى ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغنى ان يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول
حسابه فى عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تاخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة فكان مشغولا بالحساب كما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدرداء رضى الله عنه ما احب ان لى حانوتا على باب المسجد ولا تخطئنى فيه صلاة وذكر انه ربح كل يوم
خمسين دينارا او اتصدق بها فى سبيل الله تعالى قيل وما انكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة اشياء واختار
الاغنياء ثلاثة اشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره
ابن عطاء من ان الغنى وصف الحق فهو بذلك افضل فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فاما اذا كان

غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهى غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر من الرد
عليه بان الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح فى ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو
افضل شئ للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشائخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل ان يقطع الطريق
تصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اى يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه
ليس من صفات الله تعالى واما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصى فيليق به نعم قد يراد بالتكبر
الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله تعالى انه اكبر من كل شئ وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب
اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصى و
العالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله تعالى منها فلو راى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها كانت
صفة التكبر حاصلة له ولا تقدح به وفضيلة فى حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدرى الخاتمة كيف تكون
وكيف تتفق فلم له بذلك وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به
لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشئ على ما هو به كان العلم كمالا فى حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء
قد تضره صار ذلك العلم نقصانا فى حقه اذ ليس من اوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور التى لا ضرر فيها هى التى تتصور فى العبد من صفات الله
فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهى بوجه من الوجوه
الغنى الذى يوصف الله سبحانه فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر **المقام**
الثانى فى نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص ولنفرض ذلك فى شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له فتر وجده فله حالة الفقد و
حالة الوجود فاى حالتيه افضل فنقول ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه فى المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين وليستعين به على حاله فحال
الوجود افضل لان الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر الا قدر ما مدخولة بشغل والمكفى هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان
المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقر افضل واصلح لانهما استويا فى الحرص وحب المال واستويا
فى ان كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا فى ان كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا فى ان الواحد
يأنس بما وجده فيتأكد حبه فى قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذى يتبغى الخلاص منه و
بهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لان حاله اذا يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الاخرة
يتأكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى احبب من شئت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق
المحبوب شديد فينبغى ان تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى اذ يكون
قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه فى فراقه بقدر حبه وقد انسم به والنس الواجد للدنيا القادر
عليها اكثر من النس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا فى موضعين
احدهما غنى مثل غنى عائشة رضى الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقراء والمساكين وجمع همتهم والثانى
الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقى حياته ليستعين بقوته وحياته على الكفر و
المعاصى ولو مات جوعا لكانت معاصيا قل فلا اصل له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول فى الغنى والفقر ويبقى النظر فى
فقير حريص متكالب على طلب المال ليس لهم سواه وفى غنى دونه فى الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا فى محل
النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه **بيان** اداب الفقير
فى افتقره اعلم ان للفقير آدابا فى باطنه وظاهره وفى اخلاقه وافعاله ينبغى ان يراعيها فاما ما ادب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من
الفقر اعنى ان لا يكون كارها فضل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا
كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة هذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا
الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا واارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به

لتعلم بغوائل الغنى ويكون متوكلا فى باطنه على الله تعالى واثقا به فى قد يضرورته انه يأتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه ان الله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علاماته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقر فليس بمحمود بل الذى لا يتسخط او يرضى ويفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطى عبد شيأ من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب واما الادب الظاهر فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففى الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند الحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما فى اعماله فادبان لا يتواضع لغنى لاجل غناه بل يتكبر عليه قال على كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله تعالى واحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل هذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك من مبادى الطمع قال الثورى رحمه الله اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مرائ واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء اخلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل وينبغى ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا فى العطاء واما ادبه فى افعاله فان لا يفتر لسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة الالف وينبغى ان لا يدخر من المال ما خذ قدر الحاجة ويخرج الباقى وفى الادخار ثلاث درجات احداها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهى درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل فى طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام فمنهم من رخصت فى امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهى اقصى المراتب وهى رتبة الصالحين ومن زاد فى الادخار على هذا فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ففى الصحيح الضعيف فى طمانينة قلبه فى قوت سنة وغنى الخصوص فى اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهن قوت اربعين يوما وبعضهن يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة رضى الله عنهما

بيان اداب الفقير فى قبول العطاء اذ جاءه بغير سؤال ينبغى ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض المعطى وغرضه فى الاخذ اما نفس المال فينبغى ان يكون حلالا خالصا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطى فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة او الزكاة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغى ان لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما تطمئن فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن واقط ولبس فقبل السمن والاقط ورد اللبس وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لو دعيت ان لا اجيب الا من قرشى او ثقفى او انصارى او دوسى وقبل هدايا جماعة من التابعين وجاءت الى فتح الموصلى صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسالة فرده فانما يرد على الله تعالى فقبلها ففتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروى هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسى هذا او قبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له اخلاق وهذا يدل على ان امر العالم والواعظ اشد فى قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمى يسأل من اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا ياخذها وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيأ يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله فى قلبك افضل منى قبل القبول فاخبرنى حتى اخذه ولا فلا واما رد هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه فى قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سالت احدا قط شيأ الا سريا السقطى لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراسانى الى الجنيد رحمه الله بمال وسأله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا قال ومتى عيشك حتى آكل هذا قال ما اريد ان تنفقه فى الخل والبقل بل فى الحلاوات والطيبات فقيل ذلك منه فقال الخراسانى ما اجد فى بغداد من يحل منك فقال الجنيد ولا ينبغى ان يقبل الا من مثلك الثانى ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكاة فعليه ان ينظر فى صفات نفسه هل هو

مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه
فان كان مُقارِفا للمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام لخذه كما لو اعطاه لظنه انه علوي
او لوجيه فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه الثالث ان يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي ان يَرُدَّ عليه قصدَه الفاسد ولا يقبل اذ يكون
مُعينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري رحمه الله يرد ما يعطي ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك فتخار ابه لاخذت وعوتب بعضهم في رد
ما كان يأتيه من صلة فقال انما اردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما
غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد له منه او هو مستغنٍ عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في
المُعطي فالافضل له الاخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعطى من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال صلى الله عليه وسلم من اتاه شيء من
هذا المال من غير مسالة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ اخر فلا يَرُدَّه وقال بعض العلماء من اعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان
سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيأ فرده مرة فقال له السري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد على ما قلت
فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا الان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال بعض العلماء يخاف في
الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال
بنفسه او التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق
الاخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهو له مقامان احدهما ان يأخذ
في العلانية ويرد في السر او يأخذ في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني
ان يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الا من هو احوج منه او يأخذ ويوصل الى من هو احوج منه فيفعل كليهما في السر او كليهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل
اظهار الاخذ او اخفاؤه في كتاب اسرار الزكاة مع جملة من احكام الفقر فليطلب من موضعه واما امتناع احمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي
رحمهما الله فانما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولو رض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع
يكون حذرا من مظان الآفات اذ لو يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله
فسمعت هتيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي انا جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يُرى فنظرت فاذا على خلقان
لا تكاد توارية فقلت في نفسي لاجدلك دراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم وقال اربعة لمن مثلي وبدرهم
انفقه ثلاثا فلا حاجة بي الى الباقي فرددته قال فرايته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فجئت في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي فاطاف بي
معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر
ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود من هذه
ان الزيادة على قدر الحاجة انما تاتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق
والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم
صلبه وثوب يُوارِي عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في اخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض
للحساب وان عصيت الله فانت متعرض للعذاب ومن الاحتياط ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتاتيك
عفوا صفوا التمتع بها قوة عقلك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن
قهرها دون ذلك مهما وهو الزهد فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون واما اذا كان حالك السخاء و
والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره
فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختيار وربما يخلو في قلبك فيمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة
الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب بره فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على عتاد
السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك بشرطان يكون مكشوف الحال
عند من يقرضه فلا يغره المقرض ولا يغتر بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال
بيت المال ومن الزكوة وقد قال تعالى ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله قيل معناه ليبع لاحد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما اتاه الله

وقال بعضهم ان الله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف
الاتقياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاتقياء فهم اهل التوكل على الله تعالى واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله تعالى واما الاغنياء فهم
اهل الانقطاع الى الله تعالى فاذا عرفتها وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي ان يرى ما يأخذه من الله لا من المعطي لان المعطي واسطة
قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد دخل ان بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل
مائدة حسنة فلما تغدوا قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير الى صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا ثابتا
منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل الشقيق ماذا قصدت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يا رب
جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغدونني هذا يوما ويعشينني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين
من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر مأجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه **بيان** تحريم السؤال
من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه اعلم انه قد وردت مناه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه
وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محترق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما اجاز اعانة المعتدي على حد واندا الاعطاء
اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا
ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو
عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة
كما تحل الميتة الثاني ان فيه ابذال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه واما سائر الخلق فهم
عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة وفي السؤال ذل السائل بالاضافة الى المسؤول الثالث انه لا ينفك عن ايذاء للمسؤول غالبا لانه ربما لا يسمح
نفسه بالبذل عن طيبة قلب منه فان بذل احياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة
البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام لا بضرورة ومما ذممت هذه
المحظورات الثلاث فقد ذممت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة
ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر
جهنم ومن سأل له ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ
صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفية ولا تسألوا الناس
شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال من لم يسألنا هو احب الينا وقال صلى الله
عليه وسلم استعفوا عن الناس ما قل من السؤال هو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد
من قومه عش الرجل فغشاه ثم سمعه ثانية يسأل فقال الوافل لك عش الرجل قال فنعشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك
تاجر تأخذ المخلاة وتذرين يديك ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا نعد ولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف
الضيق الموصاة ليستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه فتأديب وقد ورد الشرع بالتعزير فاما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة باخذ المال
فكيف استجازه وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله و
مصالح عباده أفترى انه لو يعلم ان المصادرة بالمال غير جائزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعا
نبي الله صلى الله عليه وسلم وجهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذي لا خلاف له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه شيئا فانما اعطاه على اعتقاد
انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لا يعرف اصحابه بأعيانهم فبقوا ملكا له فوجب صرفه الى
المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما يأخذه و
كاخذ الصوفي والصالح الذي يغلب صلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما أخذوه على هذا الوجه
لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد الى مالكه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع
ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت ان السؤال مباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه ومحتاجا اليه حاجة
مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف

ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤل بكونه مباحا والمسؤل منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من لم يحفظ فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله سؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله لكن لا يخلو عن خوف وكمن له حبة لا قميص يحتمي بها في الشتاء وهو يتأذى بالتردد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة هذا ايضا ينبغي ان يشترسل عليه لا باحتلاها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه اولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها محاصدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يوذيني اذي أطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر به الخروق من ثيابه عن اعين الناس ومن يسأل لاجل الادم وهو واجد للخبز ومن يسأل لكراء الفرس في الطريق وهو واجد لكراء الحمار او يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبيس حال لاظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شئ من المحذورات الثلاثة من الشكوى او الذل او ايذاء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا يصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شئ من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السوال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فبان يسأل اباه او قريبا او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد لغمه ما لمثل هذه الكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للبنية لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا حيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مروءته تحثه لو لم يبذل لكان بالحري ان لا يصح هذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون لا حب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي ان لا يصح بل يعرض تعريضا يبقي له سبيلا الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته فانه غير متأذ به وينبغي ان يسأل من لا يستحي منه لو رده او تغافل عنه فان الحياء من السائل يوذي كما ان الرياء مع غير السائل يوذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث الخطر هو الحياء منا ومن الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب ويضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الباطن قد رضي به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انما احكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن بدهم الى البواطن وقد انا الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع ان ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم للقاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الاخرة ويفتواهم النجاة من سطوة سلطان الاخرة كما ان يفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذا اخذه مع الكراهة لاجله بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده على صاحبه فان كان يستحي من ان يسترده ولو يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة لينفض عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو حاصل بالتصرف فيه بالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل الى الخلاص منه وربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا تركك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من احد شيئا اصلا فكان لسان لا يأخذ من احد الا من السري رحمة الله عليهما وقال لا اني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال وتأكد الامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى انما يحل بضرورة وهو ان يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يتهيأ له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له اكل لحم الخنزير واكل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطي بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والسمن والهدية وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبة طمعا في جاه او طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى ولخضر عليهم السلام ولا شك في انهم ما سألوا الا من علموا انه يرغب في اعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب بغضي القلب لا بنطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون

بمباسطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم فى اقتدارلخوانهم على مايريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد باحة السؤال ان تعلم ان المسؤل بصفة لوعلم مابك من الحاجة لابتدأك دون السؤال فلايكون لسؤالك تاثيرالا فى تعريف حاجتك فاما فى تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالخيل فلا ويتصدى للسائل حالة لايشك فيها فى الرضى بالباطن وحالة لايشك فى الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ فى الحالة الاولى حلال طلق وفى الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حرازة القلب فانه لاثم وليدع مايريبه الى مالايريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما ليس بغرض فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبجملة الدقائق يطلع على سرقوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتى جوامع الكلم لان من لاكسب له ولامال ورثه من كسب ابيه او احد قرابته فيأكل من ايدى الناس وان اعطى بغير سؤال فانما يعطى بدينه وربما يكون باطنه بحيث لو انكشف لايعطى بدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطى بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل واين من يقتصر فى السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدى الناس علمت ان جميع ما ياكله او اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذى اكتسبته بحلالك انت او مورثك فاذا بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدى الناس فسل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده فانه على ما يشاء قدير

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يسأل جمرا فليستقل منه او ليستكثر صريح فى التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل ليستدل على ذلك بالتوقيف وقد ورد فى الحديث استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفى حديث آخر من سأل وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وورد فى لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغى ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق فى نفسه لايكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن آدم الا فى ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يوارى به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا فى الحاجات لبيان اجناسها والنظر فى الاجناس وللمقادير والاوقات فاما الاجناس فهى هذه الثلاثة ويلحق بها ما فى معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشى وكذلك ما يجرى مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة ايضا واما المقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل وهذا سنى واما الثانى من كل جنس فهو مستغنى عنه ويقاس على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغى ان يطلب رقة الثياب وكون الاوانى من النحاس والصفر فيما يكفى فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه ما لم يكن فى غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره فى اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففى طلبه فى بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه فى الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احداها ما يحتاج اليه فى غد والثانية ما يحتاج اليه فى اربعين يوما او خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه فى السنة ونقطع بان من معه ما يكفيه ولعياله ان كان لاعيال السنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما فى الحديث فان خمسة دنانير تكفى المنفرد فى السنة اذا اقتصد اما للعيال فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن فى الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذى ورد فى التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير بعيد فهو بتاخير السؤال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عما يعنيه فان كان خوف العجز عن السؤال فى المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يحل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخى المدة التى فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بدينه وبين الله تعالى فليستفت فيه قلبه وليعلم ان كان سالكا طريق الاخرة وكل من كان بقينه اقوى وثقته بمجئ الرزق فى المستقبل اقوى وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله تعالى اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التى ابيحت بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه فى السنة اشد من حال من ملك ما لا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباح فى الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا

وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من امهات المهلكات نسال الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه **بيان** احوال السائلين كان بشير رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان اعطى لا ياخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين وفقير لا يسال وان اعطى اخذ فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس وفقير يسال عند الحاجة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فانا اقد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى ان مع الفاقة تحط المرتبة والدرجة قال ابراهيم بن ادهم لشقيق البلخى حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه ما وصفهم بترك السؤال قد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحاق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذا درجات ارباب الاحوال فى الرضى والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة اقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الترقى من حضيضها الى بقاعها ومن اسفل سافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان فى احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقى قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضى ان يكون السؤال مزيدا لهم فى درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى ان بعضهم راى ابا الحسن النورى رحمه الله يمد يده ويسال الناس فى بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد رحمه الله فاخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النورى لو سال الناس لا يعطيهم وانما سالهم ليثيبهم فى الاخرة فيوجرون من حيث لا يضره وكانه اشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هى العليا فقال بعضهم يد المعطى هى يد الاخذ للمال لانه يعطى الثواب والقبول له الا باخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائتى درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها فقلت فى نفسى انما يوزن الشئ ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال زدها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فراد تعجبى فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه ووزن المائة لنفسه طلبا للثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله تبارك وتعالى وردت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخزم اله ورد ما لنا الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان ليشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن يتشاهد القلوب تتناجى الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله تعالى لكنه الهمة فمن انكر ذلك قبل تجربته طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كده مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر فى حقه خاصة لعلة فى باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان فى الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة فى زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة واتباع الشياطين فسال الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين فى العلم القائلين امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد فى المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروب المعيشة وبيان علامة الزهد **بيان** حقيقة الزهد اعلم ان الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول ظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمى سلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب فى الحال يجرى مجرى الثمرة والعمل يجرى من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعنى بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شئ الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فى غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون هو ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا فى نفسه لا يسمى زاهدا اذ ترك الحجر والتراب وما اشبهه لا يسمى زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان التراب والحجر ليسا فى مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا ولمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه و

بالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق
الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا فى ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من يوسف وباعوه طمعا
فى العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن فى الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم
الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل فى وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب لجملة
لم يتصور الا بالعدول الى شئ هو احب منه والا فترك المحبوب بغير محبوب محال والذى يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب الا الله تعالى
هو الزاهد المطلق والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار والفواكه فهو
ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذى يترك من خطوط الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه او يترك التوسع فى الاكل ولا يترك
التجمل فى الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته فى الزهد دون درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصى
صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التى هى حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات
دون بعض كما لا يبعد ذلك فى المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد فى المحظور وانصرف عنه ولكن العادة
تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا دون الى الآخرة او عن غير الله تعالى دون الى الله تعالى وهى الدنيا
العليا وكما يشترط فى المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فليشترط فى المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال والترك
يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها واما انا فيما اذا رهدت واما
العلم الذى هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى الماخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم
ان تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اى لذاتها خير فى انفسها وابقى كما تكون الجواهر خيرا وابقى من
الثلج مثلا ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر والا لى فهكذا امثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع فى الشمس لا يزال فى الذوبان الى الانقراض و
الآخرة كالجوهر الذى لا فناء له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة فى البيع والمعاملة حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه
وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى
بايعتم به فليس يحتاج من العلم فى الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف عمله ويقينه واما
لاستيلاء الشهوة فى الحال عليه وكونه مقهورا فى يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان فى التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطف الموت ولا
يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب فى احد منهما
قال رجل فى دعائه اللهم ارنى الدنيا كما تراها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارنى الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى
يراها حقيرة كما هى وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة فى حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان
رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل فى درجة
واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذى يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزاهد
فهو ترك واخذ لا نه بيع ومعاملة واستبدال الذى هو خير بالذى هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض
فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهى الدنيا بأسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب جبها ويدخل حب الطاعات ويخرج
من العين واليد ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان ممن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين
فى الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذى بايع به فان الذى بايع بهذا البيع وفى بالعهد فمن اسلم حاضرا فى غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى فى طلب الغائب
سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقد رتبه ووفائه بالعهد ومادام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك وصف
الله تعالى اخوة يوسف بالزهد فى بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة واعلى ابعاده كما ازعموا على ابعاد يوسف حتى تنفع
فيه حديثهم فتركه ولا وصفهم ايضا بالزهد فى يوسف عند العزم على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج
فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك
الزهد لان ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك ان الدنيا وان لم تأتك فانت زاهد فيها فلا ينبغى ان تتخيل

جبل عزوره دون ان تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فلذلك اذا رجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان نفسه قوية
المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق بوعدها
في المباحات والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف ولا سيما
ظاهرا وباطنا فلا باس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع بالجملة
فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا تقفي في
مسالة الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام ما هو لكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها
وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنحب دنيانا ولو علمنا في اي شئ محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رحمه الله قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم يعني
من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وانما الزهد
على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب لا على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشئ منه في العبادات وانما الزهد
ان تترك الدنيا لعملك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء
وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من الحظوظ العاجلة وهي الذ واهنى من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في
العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة
الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من انتهت الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها
من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى
غيره او تركها طمعا في ثواب الله في الاخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك النفر
في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة خوفا
من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فاثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا اعلم بان ما في الاخرة خير
وابقى وان ما سوى هذا المعاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا **بيان** فضيلة الزهد قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته
الى قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد
فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة
من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا
واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن
الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه
امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل
غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد وقد اعطي ضمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة
انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا اثم فيه ولا
غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الاخرة ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه
وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد في الدنيا من افضل
المقامات ومفهومه ايضا ان حب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا
قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي
عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه عيان

ل ٢ الفضة والعبد ١٢
ل ٣ غير كذا في ب والذي في ج ١٢
ل ٤ انفق لك شئ ذلك في الكنوز ١٢
ل ٥ صنع ١٢
ل ٦ بالضم فيهما كما في ب ١٢
ل ٧ عن الليث وابن السكيت ١٢
ل ٨ جمع الجار ١٢
ل ٩ اي ينبغي ١٢
ل ١٠ الا ان يستثنى ١٢
ل ١١ غير ١٢
ل ١٢ والنصب ١٢

فانظر كيف بدأ اظهار حقيقة الايمان بغروف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان
ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال النور
اذا دخل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافى عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى
من الله تعالى فقال ليس كذلك تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك ينافض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود
قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضى بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت
بالاعداء فقال عليه الصلوة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد كله لاعمالهم
وقال جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخالط بها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه على كرم الله وجهه
فقال بابى انت وامى يا رسول الله ما لا يخالط بها غيرها صفه لنا وفسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون
عمل الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة وفى الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك لا يدخل
الجنة من شك وقال ايضا السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة
فى الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لاعماله وروى عن ابن المسيب عن ابى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد
فى الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروى انه صلى الله عليه وسلم مر فى
اصحابه بعشار من النوق حفل هى الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها فى قلوبهم قال الله
تعالى واذا العشار عطلت فقال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه النفس اموالنا لا ننظر اليها فقال قد نهانا
الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الاية وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم ربك
فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سالت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من
الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله
لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبروا ولو العزم من
الرسل والله مالى بد من طاعته وانى والله لاصبرن كما صبر ولا يجهدنى ولا قوة الا بالله وروى عن عمر رضى الله عنه انه حين فتح عليه الفتوحات
قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها البس لين الثياب لذا وفدت عليك الوفود من الآفاق وقرب صنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر
يا حفصة الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى
النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبى صلى الله
عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرب اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك ووضع على الارض
ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فاثنيت له ليلة باربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال
منعتمونى قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه للغسل
فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد لوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج فيها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صنعت له امرأة من بنى ظفر كسائين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد
طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال يقول حتى ابكاها وبكى عمر رضى الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفى بعض الروايات زيادة من قول عمر
وهو انه قال كان لى صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما وانى والله ساصبر على عيشهما الشديد لعلى ادرك
معهما عيشهما الرغيد وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر فلا يلبس الا العباءة وان كان
احدهم ليستلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه
السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى فى بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختار الانبياء الله ورسله وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز عنده
وفى حديث عمر رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا

نبأ للدينار والدرهم فقلنا يارسول الله لهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأى شئ ندخر فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفى حديث حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله ببلاث ثم لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغنى ابدا وحرصا لا يشبع ابدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قليل الشئ احب اليه من كثيره وقال المسيح صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ولا تعمروها وقيل له يا نبى الله لو امرتنا ان نبنى بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة محب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربى عز وجل عرض على ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك واذكرك واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشى وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذى بعثك بالحق نبيا ما مسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلاما باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ الى جبريل ان تواضع لله فقال نبيا عبدا للا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لرجل ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس وقال صلوات الله عليه من اراد ان يوتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهاها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام اربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ وايراد جميع الاخبار الواردة فى مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة وأكثر يرجع اكثر كلامهم مع الخلق وفيما اوردناه كفاية والله المستعان

واما الآثار فقد جاء فى الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما انقص من دنياهم وفى لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى امر الآخرة ابلغ من زهد الدنيا وقال بعض الصحابة لصلة من التابعين انك اكثرت عملا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منك قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد فى الدنيا منك وقال عمر رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدك فى الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهى ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين فى الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط رحمه الله انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس على ملكى درهم ولا يكون على دين ولا على عظمى لحم فاعطى ذلك كله وروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال لمبلغه قد قبل الفقهاء وانت ترد على حالتك هذه فمكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلى ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها قبل ان لا ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحى على كبر سنى موتوا يا اهل جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد ينام حيث ادركه المساء نام وقالت امراة ابى حازم لابى حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغتسل ثيابك قال الا امر اعجل من ذلك وقال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اشياء غطيت فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود رضى الله عنه كعبتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله تعالى من عبادة المتعبد بن المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته وما اعطانا والتفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه فافهم هذا علم ان النعمة فى المنع المؤدى الى الصحة اكثر منها فى الاعطاء المؤدى الى السقم وكان الثورى يقول الدنيا دار البواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفرح بمدح الناس ولا يحزن بذمهم وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفرح من اربعة اشياء الجوع والعرى والفقر والذل وقال

الحسن البصري ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من امر الدنيا اقبل ولا يأسفون على شئ منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام على اقدامهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسألوا الله ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك وو الله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه **بيان** درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت فوته على ثلاث درجات الدرجة الاولى وهي السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم يكيسه والزاهد اولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه بشهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة لها في قليل او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لا استحقارا اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن في نفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهدا اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شئ فيكون كمن ترك خرقة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الاخرة اخس من خرقة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسبب كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخرقة بالجوهرة امن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد رحمه الله تعالى لابي موسى عبد الرحيم في اي شئ تتكلم قال في الزهد قال في اي شئ قال في الدنيا فنفض يده وقال ما التفت انه يتكلم في شئ الدنيا لا شئ ابيش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها الى نعيم لا بد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الى نعيم لا بد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده واما اقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيها ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقة لصدرت رواء فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمدي لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هما واحدا هو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى الا ان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لو حبك الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور

متسع فى قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اقران الارض بالاضافة الى لذة
الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبى الطالب للعب بالعصفور التارك لذة الملك لقصوره
عن ادراك لذة الملك لان اللعب بالعصفور فى نفسه اعلى والذم من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة الى الاولى
عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتبين ان
ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد اجمال وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل فاما
الاجمال فى الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغى ان يزهد فيه حتى يزهد فى نفسه ايضا والاجمال فى الدرجة الثانية ان يزهد فى كل صفة للنفس فيها
متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفى الدرجة الثالثة ان يزهد فى المال والجاه
اسبابها اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفى الدرجة الرابعة ان يزهد فى العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فمجمعها
الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعنى بكل علم وقدرة مقصودهما ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب
والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد
عن الحصر وقد ذكر الله تعالى فى آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده فى آية اخرى الى خمسة فقال عز وجل اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ثم رده تعالى فى موضع آخر الى اثنين فقال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد فى
موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس فى الدنيا فينبغى ان يكون الزهد فيه واذا فهمت
طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارق فى الشرح مرة والاجمال اخرى فالحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ
النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء فى الدنيا فقصر امله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان
من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود او ممكن فى هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يرد ذلك ولذلك لما كتب علينا
القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اى لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر
عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا فى سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى
الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمأن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة
الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر بكى على فراشه وكان
يقول كم عرضت بروحى وجهمت على الصفوف طمعا فى الشهادة وانا الآن اموت موت البعائر فلما مات عد على جسده ثمانية وثمانون من آثار
الجراحات هكذا كان حال الصادقين فى الايمان رضى الله تعالى عنهم اجمعين واما المنافقون فرقوا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذى
تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذى هو ادنى بالذى هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا او
ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذى بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون فى حد الزهد لم
يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال البشر رحمه الله تعالى الزهد فى الدنيا هو الزهد
فى الناس وهذا اشارة الى الزهد فى الجاه خاصة وقال قاسم الجوعى الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الجوع فقد يملك الملك من بطنه كذلك تملك
من الزهد وهذا اشارة الى الزهد فى شهوة واحدة والجوع هى لغلب الشهوات على الاكل وهى المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد فى الدنيا هو
القناعة وهذا اشارة الى المال خاصة وقال الثورى الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء
فيطول امله ومن قصر امله فانما رغب عن الشهوات كلها وقال اويس اذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل
التوكل شرطا فى الزهد وقال اويس ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراى والمعقول فى
الزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الراى الفاسد والمعقول الذى يطلب الجاه فى الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب
الجاه خاصة او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه فى الاخرة وقد طول فيها حتى ينقضى عمر الانسان فى الاشتغال بواحد منها
فشرط الزاهد ان يكون الفضول كل مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذى اذا راى احدا قال هذا افضل منى فذهب الى ان الزهد هو التواضع

وهذا اشارة الى نفى الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال وابن هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال وليس
ولاشك فى انه اراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من الحلال فقد اخذ باصل
الزهد وفى الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم نر فى نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة
واما من انكشف له الحق فى نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا يتلفت من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصوره بصيرته وعلى
اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور فى البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم
ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التى هى مقام العبد فى نفسه
والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المجزة عنها تختلف واما الحق فى نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف واضاف الجامع من هذه الاقاويل الكامل فى
نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الدارانى اذ قال سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شئ يشغلك عن الله عز وجل
وقد فصل مرة وقال من تزوج اوسافر فى طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ ابو سليمان قوله تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم فقال هو القلب الذى ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم من هموم الاخرة فهذا بيان انقسام
الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد فى
الحرام والنفل هو الزهد فى الحلال والسلامة هو الزهد فى الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وذلك من
الزهد اذ قيل لمالك بن انس ما الزهد قال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات
واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماء العلماء بل الامور الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن
اقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان ما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك قال وما الذى تجدى قال
توسدت الحجر اى تنعمت برفع راسك عن الارض فى النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلم
انه لبس المسوح حتى تقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى
اليه يا يحيى اثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه وقال احمد رحمه الله الزهد زهدان ويس بالغ من القوى الى ان جلس فى قوصرة وجلس
عيسى عليه السلام فى ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال ما تمنى انت انما اقامنى الذى لو يرض لى ان انتعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد
ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجاته الزهد فى كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد فى الحلال لا فى الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته
فى شئ نورا وانه لم يبق حلال فى اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور
ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى
هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن
البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لو تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشئ الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة ولسقيها
فى طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغى ان يكون بدنك فى طريق الله مثل ناقتك فى طريق الحج ولا غرض لك فى تنعم ناقتك باللذات بل غرضك
مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغى ان تكون فى صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب و
عن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا ينافى الزهد بل هو
شرط الزهد وان قلت فلا بد وان تتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ
الشرب ويرجح حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضى حاجة قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب
منصرفا اليه فالانسان قد يستريح فى قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الاطيار ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة مما يصيبه من
ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان فى الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وان القلب مصروف
فيكون فيه انس بالدنيا ونقصان فى الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله وذلك كان داود الطائى له حجرة مكشوف فيها فوه فكان لا يرفع
من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه محاوف المحاطين والحزم فى جميع ذلك الاحتياط
فافهم ان كان شاقا فمد تتر قويته والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة
اليقين فى معرفة المضادة التى بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم اجمعين **بيان** تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة اعلم

ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما يقتنيها للتنزه بركوبها وهو قادر على المهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد في المهمات ستة امور للمطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب الاعراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على بيان هذه المهمات الستة **الاول المطعم** ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يوم فقد لا ينفع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذه حالته فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غداه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية ان يدخر لشهر او اربعين يوما الدرجة الثالثة ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من ايدي الناس كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا بأس به اصل الزهد الاعتدال من جهل التوكل شرط الزهد واما عرضه فبالاضافة الى المقدار واقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسط خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا مير من النخالة وصار حوارى فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد فضلا عن اوائله واما الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن اخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب واعلاه ان ينتهي الى ان يطوي ثلاثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شهوته في ربع المهلكات ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تأتي علينا اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار فقيل لها فيم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويلبس الخصوف ويلعق اصابعه ويأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وقال المسيح عليه السلام يحق اقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة ايام من خبز البر وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم والمشرب في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى النبي صلى الله عليه وسلم اهل قباء اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال لما انا لست احرمه ولكن اتركه تواضعا لله تعالى واتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال العز والغنى حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا بجنبه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شاده والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى **المهم الثاني الملبس** واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به او وسطه قميص وقلنسوة وتبان واعلاه ان يكون معه مندیل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج من جميع ابواب الزهد هذا من حيث المقدار اما الجنس فاقله الصوف الخشن واوسطه الصوف الحسن واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما حتى يقع بعضهم ثوبه يوري الشجر وان كان يباع في البيداء واوسطه ما يتأسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونة ثوب فقد يتبع ذلك فوت ودوام فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر في احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين و

قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب المتبذل الذى لا يبالى ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسى لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل
على دثار ابدا ولا اركب على ما ثور ابدا ولا املا جوفى من طعام ابدا فقال عمر رضى الله عنه من سره ان ينظر الى هدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفى الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا عرض الله عنه حتى يتزعه وكان عند حبيبا واشترى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكانت قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره اربعة اذرع ونصفا واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين
من صوف وكانت تسمى حلة لانها ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين او حبرتين من هذه الغلاظ وفى الخبر كان قميص رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص نبأ ورث ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان
اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد ان يكرمه فلبسه
ثم تزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه لاعلامه التحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه
فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة فى شان بريرة اشترطى لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرمه وكما اباح للمتعة ثلاثا ثم
حرمها لتاكيد امر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خميصة لها علم فلما سلم قال شغلنى النظر الى هذا اذهبوا بها الى ابى جهم واتونى
بانبجانيته يعنى كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد انخلق فابدل بشراك جديد ثم صلى فيه فلما سلم قال اعيد والشراك
الخلق وانزعوا هذا الجديد فانى نظرت اليه فى الصلاة ولبس خاتما من ذهب ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به فقال شغلنى هذا عنكم نظرة اليه ونظرة
اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فنزعهما وجاد وقال اعجبنى حسنهما فتواضعت لربى خشية ان يمقتنى
ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين يراه وعن سنان بن سعد قال حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف اتمارا وجعلت حاشيتها سوداء
فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما الينها قال فقام اليه اعرابى فقال يا رسول الله هبها لى قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا لم يخل بقال
فدفعها اليه وامر ان يحاك له واحدة اخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهى فى الحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله
تعالى عنها وهى تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل الله عليه ولسوف يعطيك ربك
فترضى وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتى قوما ياتى الملاء الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى يكون سترا من خوف عذابه
مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم فى الارض وافئدتهم عند العرش فهذه كانت سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الملابس وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال من احبنى فليستن بسنتى وقال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين
من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها
خاصة وقال لها الى اردت اللحوق بى فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تتخذى ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص عمر رضى الله عنه نيفا وعشرة رقعة بعضها من
ادم واشترى على بن ابى طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو فى الخلافة وقطع كمه من الرسغين وقال الحمد لله الذى كسانى هذا من
رياشه وقال الثورى وغيره اللبس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بى وانا اصلى فادعه يجوز و
يمر بى واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قمت مثل ثوبى سفيان ونعليه بدراهم واربعة دوانق وقال
ابن شبرمة اخر ثيابى ما خدمنى وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يحطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك
وقال ابو سليمان الدارانى الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره
حسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرة الى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبسون اكثر
من قطعتين قميص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قميصه على راسه وقال بعض السلف اول النسك الزى وفى الخبر البذاذة من الايمان وفى الخبر من
ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخله من عنقرى الجنة فى نخلات الياقوت واوحى الله تعالى
الى بعض انبيائه قل لاوليائى لا يلبسوا ملابس اعدائى ولا يدخلوا مداخل اعدائى فيكونوا اعدائى كما هم اعدائى ونظر رافع بن خديج الى بشر بن
مروان على منبر الكوفة وهو يخطب فقال انظروا الى امير كم يخطب الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة
الى ابى ذر فى برنس فجعل يتكلم فى الزهد فوضع ابو ذر لحيته على قميصه وجعل يخرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر رضى الله عنه فقال انت
صنعت بنفسك تتكلم فى الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرم الله وجهه ان الله تعالى اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا فى مثل ادنى احوال
الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بالفقير فقره ولما عوتب فى خشونة لباسه قال هو اقرب الى التواضع وابعد لان يقتدى به المسلم وفى صلى الله

ع ٤

عليه وسلم عن التنعم وقال ان لله تعالى عبادا ليسوا بالمتنعمين وروى فضالة بن عبيد وهو والى مصر اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال لهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نختفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر رئوا اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي كرم الله وجهه من ترفا بزي قوم فهو منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرآء او لحمق وقال الاوزاعي بأس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة ابن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى هذه الصوف فسكت فقال الملك لا يجنبه فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فخرا فاشكو ربي وقال ابو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلا اوحى اليه اذا ورعورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شئ الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا يأتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه مالك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا عتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لقد قدم السنجي تحسب ان لك فضلا على الناس بكساتك بلغني ان اكثر اصحاب النار اصحاب الاكسية نفاقا وقال يحيى بن معين رايت ابا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبرا الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويبكي

المهم الثالث المسكن

وللزهد فيه ايضا ثلاث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل اوخ مبني من سعف وخص وما يشبهها وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة فان كان قد وسع المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتحصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من بسطة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن فاختلاف جنس البناء بان يكون من الخص او القصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين وسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول وساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شئ ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد في البنيان بالجص والاجر وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الخبر يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمانية وام رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم عليه كان قد علا بها وامر علي السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاء اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل اصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر انه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله لعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كرم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما لا بد منه من حر وبرد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الاجر ويقال ان فرعون هو اول من بنى له بالجص والاجر واول من عملها هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وراى بعض السلف جماعة في بعض الامصار فقال ادركت هذه المساجد مبنية من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من ربض ثم رايته الان مبنيا باللبن قال فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الربض وكان اصحاب الربض خيرا من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من اذا جع او غزا نزع بابه او وهبه لجيرانه

فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب لان بلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمر وبرجنيا اذا علا العبد البنيان فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالناظر اليه معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكني اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم وهم يموتون على غير دينكم **المهم الرابع اثاث البيت** والزهد فيه ايضا درجات اعلاها حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى بالمشط ورأى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل اثاث فانه انما يراد لمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يأكل الثريد فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال الاواني في اشياء للتخفيف واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول وليتأمل الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى اثر الشريط في جنبه عليه السلام فدمعت عينا عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الاخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا اباذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد اميرا على حمص على عمر رضي الله عنهما قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فراى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بها عليهم فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت قد احسنت وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب منزل عائشة سترا اهتكه وقال كلما راينه ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فاذا ان تقلب ليلة فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة وفي هذا الفراش عني قد اسهرني الليلة وكذلك تته دنانير خمسة او ستة ليلا فبيتها فسهر ليلة حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذا عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه **المهم الخامس المنكح** وقد قال قائلون لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني رحمه الله اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم والمراة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل له فمع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد فان علم ان المراة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم من المقربات واللذة التي

تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا نضره اذا لو تكن هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شئ لان في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة والاشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن بمجرد لذة الوقاع والنظر ولكن ان يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف من ان تشغله الكثرة مهما رأى جمال المرأة فليتزوج واحدة غير جميلة ولتراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في الدنيا ان يختار المرأة الدون والتيمة على المرأة الجميلة والشريفة وقال الجنيد رحمه الله احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث ولا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرأ لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا

المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه

اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها يتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته او افتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى به الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او لخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم بأجرة يخدم وان لم يكن عنده للمستأجر قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل ويكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما التوهمات والتقديرات التي تخرج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا والتيسير منه داع الى الكثير وضرا ونذر اشد من ضر اوتذر الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفيطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كان ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد يغني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الاخرة من المقامات المحمودة لا ينالانه والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وانما التفرد في جميع ذلك اخف من امر العيال وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يزهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يحبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يفضل الانسان اليه من جاه ومال ليس يحمد وربما الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا لكنه مضر وما يقرب من الضرورة هو وان لم يكن دواء نافعا لكنه قليل الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه وزد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له ليستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغائلة سماعه بان يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون اعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع

الشهوات بدواعي القرب لا يزال يلح على نفسه حتى يقيدها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من
اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشمائتهم الاحد
ومراءاة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد لحظ أفيه فقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال
لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها
دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه
الى الاخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الاخر بالمجاذبة عن الجانبين والذي ينشر بالمنشار
انما ينزل المؤلم ببدنه وبالجملة قلبه بذلك بطريق السراية من حيث اثره فما ظنك بالم يمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره
هذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب
تتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فوتب العذاب
بالنار على الوجه الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا ضيفت العلاوة اليه فنسأل الله تعالى ان يقرر في اسماعنا ما نفتش في وقوع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب من احببت فانك مفارقه وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر كذا فذ لك ودواعي القرب يلمح
دائما: ويهلك غما وسط ما هو ناعم ؛ ولما انكشف لاولياء الله تعالى ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك ودواعي القرب
نفسر رضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ اخر كانوا ابالبلاء اشد
فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب
وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه ويقول اخاف اي يفسد على قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين امات
حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون وقال عز وجل ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال
ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال لا استطيع
فقال عيسى عليه السلام يعجب يدخل الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارق الا واربعة املاك ينادون في الانس باربعة
اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا
واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان بالمغرب احدهما ادنو الموت وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب **بيان** علامات
الزهد: اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الناس
من رد والفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازم وادي الاباب له وانما مسرة احدهم معرفة الناس حاله وتظرهم اليه ومدحهم
له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي
جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخرة من
اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظرها الى الفقراء فيحقروا فيعطوا كما تعطى الملوك
ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة اليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا
بالحقائق والجئوا الى المضائق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم
فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص رحمه الله فاذا معرفة الزهد امر مشكل بل حال الزهد
على الزهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات **العلامة الاولى** ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال
تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده **العلامة**
الثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه **العلامة**
الثالثة ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة
الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله استغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك
قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان

بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعملهما واذا بطن الايمان فى سويداء القلب باشره بغض الدنيا فلا ينظر اليها ولو يعلم ما ولد زاهد
فى دعاء آدم عليه السلام اللهم انى اسالك ايمانا يباشر قلبى وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن
شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لابد وان يكون فى احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعن هذا
يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابى الحوارى قلت لابى
سليمان اكان داود الطائى زاهدا قال نعم قلت قد بلغنى انه ورث عن ابيه عشرين دينارا فانفقها فى عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو
يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا
بالزهد فى جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل فى الزهد بقدر ما تركه وآخره ان يترك كل
ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرى على الطمع
فى غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا ان الله تعالى لا يتعاظمه شئ فلا بعد
فى ان نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الانس بالله و
يتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالى من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هى فلا يقول ابنى رباطا
او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة فى الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو
عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغى ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة
دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله علامة الزهد قصر الامل وقال السرى لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش
العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصرابادى الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث
عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخذل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال لرجل متى ادخل
حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة
ايام لم تضعف فى نفسك يقينك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا امن عليك ان تفتضح وقال ايضا الدنيا
كالعرس ومن يطلبها ما شطنها والزاهد فيها يسحم وجهها ويلتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى لا يلتفت اليها وقال
السرى ما رست كل شئ من امر الزهد فثلث منه ما اريد الا الزهد فى الناس فانى لو ابلغه لم اطقه وقال الفضيل رحمه الله جعل الله الشر
كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه
واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع فى بيانه ان شاء الله تعالى

كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المدبر للملك والملكوت : المتفرد بالعزة والجبروت : الرافع للسماء بغير عماد : الممهد بالرزق العباد : الذى صرف عن فهوى القلوب
والالباب : عن ملاحظة الوسايط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع همم هم عن الالتفات الى ما عداه : والاعتماد على مدبر سواه : فلم يعبده
الا اياه : علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله : وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق : عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق : وانهم من ذرة الى الله خلقها
وما من دابة الا على الله رزقها : فلما تحققوا انه لا رزق فى عباده ضامن وبه كفيل : توكلوا عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل : والصلوة على محمد
قامع الاباطيل الهادى الى سواء السبيل : وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات
الموقنين بل هو من معالى درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ومجموضه من حيث انه يجمع ان
ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان
ترى اسبابا تغير فى وجه العقل وانغماس فى غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فى غاية الغموض والعسر
ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة هذا الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا :
ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا وحق لا ان نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد فى شطر الاول من

وتذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني **بيان** فضيلة التوكل **اما من الايات** فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه وتعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم
بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى املا بسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب قد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية فاذ سوال في معرض
استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال عز وجل ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز
لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم بين ان كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال عز وجل ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال عز وجل
يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار واما
الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود اريت الامم في الموسم فرايت امتي قد ملاؤا السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم و
هيأتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا
يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه
ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة يقول بهذا امرني ربي عز وجل قال عز وجل وامر
اهلك بالصلاة واصطبر عليها الاية وقال صلى الله عليه وسلم لو يتوكل من استرقى واكتوى وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد دفع
الى النار بالمنجنيق الك حاجة قال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به فانزل الله تعالى وابراهيم الذي
وفى واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا واما **الاثار**
فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلجاء الى احد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد احرز قوته و
قال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك
وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابراهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من اين
ناكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى الشام قال هرم
كيف المعيشة قال ويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير
سبيلا نسال الله تعالى حسن الادب **بيان** حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان
لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل
وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج
منها الى ما يبتنى عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك للملك
والايمان بالحي هو الحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
فقد تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول
وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا بد من التعرض للقدر الذي يتعلق
بالمعاملة لا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا
الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين ولبا وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي ان يقول الانسان بلسانه
لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة

ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكنه يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابطة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده ومعنى انه فنى عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح ولا افساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الاخرة ان توفي عليه ولو تضعف بالمعاصي عقدته ولهذه العقدة حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله ليسمى بدعة ولحيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لو يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه الا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام وللمتكلمين اذ لو يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لو يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لو تعرضوا لشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وافساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكأنه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عالي للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم نذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر وهو مشاهدة اخرى واحد اذ تقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة ذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواه كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا فاستفيد لهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لو تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم تكن ممن آمنت به بصفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرء كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث دار في الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد اتعبت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا

علیه بل یحصل حال التوکل بالتوحید الثالث واما الاول وهو النفاق فهو واضح واما الثانی وهو الاعتقاد فهو موجود فی عموم المسلمین وطریق تأییده
بالکلام ودفع حیل المبتدعة فیه مذکور فی علم الکلام وقد ذکرنا فی کتاب الاقتصاد فی الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذی یبتنی
علیه التوکل اذ بمجرد التوحید بالاعتقاد لا یورث حال التوکل فلنذکر منه القدر الذی یرتبط التوکل به دون تفصیله الذی لا یحتمله امثال هذا الکتاب
وحاصله ان ینکشف لک ان لا فاعل الا الله تعالی وان کل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحیاة وموت وغنی وفقر الی غیر ذلک مما یطلق
علیه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شریک له فیه واذا انکشف لک هذا لم تنظر الی غیره بل کان منه خوفک والیه رجاؤک وبه
ثقتک وعلیه اتکالک فانه الفاعل علی الانفراد دون غیره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحریک ذرة من ملکوت السموات والارض واذا انفتح
لک ابواب المکاشفة اتضح لک هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما یصدک الشیطان عن هذا التوحید فی مقامین یبتغی بهما ان یطرق الی قلبک
شائبة الشرک لسببین احدهما الالتفات الی اختیار الحیوانات والثانی الالتفات الی الجمادات اما الالتفات الی الجمادات فکاعتمادک علی المطر فی
خروج الزرع ونباته ونمائه وعلی الغیم فی نزول المطر وعلی البرد فی اجتماع الغیم وعلی الریح فی استواء السفینة وسیرها وهذا کله شرک فی التوحید وجهل
بحقائق الامور ولذلک قال تعالی فاذا رکبوا فی الفلک دعوا الله مخلصین له الدین فلما نجاهم الی البر اذا هم یشرکون قیل معناه انهم یقولون لولا
استواء الریح لما نجونا ومن انکشف له امر العالم کما هو علیه علم ان الریح هو الهواء والهواء لا یحرک بنفسه ما لم یحرکه محرک وکذلک محرکه وهلم
الی ان ینتهی الی المحرک الاول الذی لا محرک الا هو متحرک فی نفسه عز وجل فالتفات العبد فی النجاة الی الریح یضاهی التفات من اخذ لیخز رقبته فکتب
الملک توقیعا بالعفو عنه وتخلیته فاخذ یشتغل بذکر الحبر والکاغد والقلم الذی به کتب التوقیع ویقول لولا القلم لما تخلصت فیری نجاته من
القلم لا من محرک القلم وهو غایة الجهل ومن علم ان القلم لا حکم له فی نفسه وانما هو مسخر فی ید الکاتب لم یلتفت الیه ولم یشکر الا الکاتب بل ربما
یدهشه فرح النجاة وشکر الملک الموقع من ان یخطر بباله القلم والحبر والدواة فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغیم والارض وکل حیوان وجماد مسخرات
فی قبضة القدرة کتسخیر القلم فی ید الکاتب بل هذا تمثیل فی حقک لاعتقادک ان الملک الموقع هو کاتب التوقیع والحق ان الله تبارک وتعالی
هو الکاتب کما قال تعالی وما رمیت اذ رمیت ولکن الله رمی فاذا انکشف لک ان جمیع ما فی السموات والارض مسخرات علی هذا الوجه
انصرف عنک الشیطان خائبا وایس عن مزج توحیدک بهذا الشرک فاتاک فی المهلکة الثانیة وهی الالتفات الی اختیار الحیوانات فی الافعال
الاختیاریة ویقول کیف ترجو الخلق من الله وهذا الانسان یعطیک رزقک باختیاره فان شاء اعطاک وان شاء قطع عنک وهذا الشخص هو الذی
یخز رقبتک بسیفه وهو قادر علیک ان شاء خز رقبتک وان شاء عفا عنک فکیف لا تخافه وکیف لا ترجوه وامرک بیده وانت تشاهد
ذلک ولا تشک فیه ویقول له ایضا نعم ان کنت لا تری القلم لانه مسخر فکیف لا تری الکاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت اقدام الاکثرین الا
عباد الله المخلصین الذین لا سلطان علیهم للشیطان للعین فشاهدوا بنور البصائر کون الکاتب مسخرا مضطرا کما شاهد جمیع الضعفاء
کون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء فی ذلک کغلط النملة مثلا لو کانت تدب علی الکاغذ فتری رأس القلم یسعی الکاغذ ولم یمتد بصرها الی الید
والاصابع فضلا عن صاحب الید فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبیاض وذلک لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم الضیق حدقتها
فکذلک من لم ینشرح بنور الله تعالی صدره للاسلام قصرت بصیرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة کونه قاهرا وراء الکل فوقف
فی الطریق علی الکاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله تعالی فی حقهم کل ذرة فی السموات والارض بقدرته التی بها انطق
کل شیء حتی سمعوا تقدیسها وتسبیحها لله تعالی وشهادتها علی انفسها بالعجز بلسان ناطق تکلم بلا حرف ولا صوت لا یسمعه الذین هم عن
السمع لمعزولون ولست اعنی به السمع الظاهر الذی لا یجاوز الاصوات فان الحمار شریک فیه ولا قدر لما یشارک فیه البهائم وانما اریده سمعا
یدرک به کلاما لیس بحرف ولا صوت ولا هو عربی ولا عجمی فان قلت فهذه اعجوبة لا یقبلها العقل فصف لی کیفیة نطقها وانها کیف نطقت
وبماذا نطقت وکیف سبحت وقدست وکیف شهدت علی نفسها بالعجز فاعلم ان لکل ذرة فی السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة
فی السر وذلک مما لا ینحصر ولا یتناهی فانها کلمات تستمد من بحر کلام الله تعالی الذی لا نهایة له ولو کان البحر مدادا لکلمات ربی لنفد البحر
الایة ثم انها تتناجی باسرار الملک والملکوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رایت قط امینا علی اسرار الملک قد
یرجی بخفایاه فنادی ببعره علی ملأ من الخلق ولو جاز افشاء کل سر لنا لما قال صلی الله علیه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحکتم قلیلا ولبکیتم کثیرا بل کان
یذکر ذلک لهم حتی یبکون ولا یضحکون ولما نهی عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذکر النجوم فامسکوا واذا ذکر القدر فامسکوا واذا ذکر اصحابی
فامسکوا ولما خص حذیفة رضی الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حکایات مناجاة ذرات الملک والملکوت لقلوب ارباب المشاهدات ما تعان احدها

مقام

لم یحصل

ان یکشف لک

ان لا فاعل

ان کل ذرة

استحالة افشاء السر والثانى خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا فى المثال الذى كنا فيه وهى حركة القلم نحكى من مناجاتها قدر ايسير ايفهم به على الجملة كيفية ابتناء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هى حروفا واصواتا ولكن هى فى ضرورة التفهيم فقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغذ وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغذ ما ايضفتنى فى هذه المطالبة فانى ما سودت وجهى بنفسى ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافرنى الوطن ونزل بى ما ترى وجهى ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتنى فانى كنت فى المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفنى من وطنى واجلانى عن بلادى وفرق جمعى وبددنى كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علىّ فقال صدقت فرسال القلم عن السبب فى ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فقال سل اليد والاصابع فانى كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتنى اليد بسكين فجزت عنى قشرتى ومزقت على ثيابى واقتلعتنى من اصلى ثم فصلت بين انابيبى ثم برتنى وشقت راسى ثم غمستنى فى سواد الحبر ومرادته وهى تستخدمنى وتمشينى على قمة راسى ولقد نذرت الملح على جرحى لسؤالك وعتابك فتح عنى وسل من قهرنى فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبنى فارس يقال له القدرة والقوة هى التى تردد لى وتحول بى فى نواحى الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لو ركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر اما ترى ايدى الموتى تساوينى فى صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بينى وبين القلم فسل القدرة عن شانى فانى مركب ازعجنى من ركبنى فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها فى استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها لها فقال دع عنك لومى ومعاتبتى فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفى عليك امرى وكيف ظننت انى ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بى انى ميتة او معدومة لانى ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءنى موكل ازعجنى وارهقنى الى ما تراه منى فكانت لى قوة على مساعدته ولو لم تكن لى قوة على مخالفته وهذا الموكل ليس بى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذا زعجنى من غمرة النوم وارهقنى الى ما كان لى منه وحتم عنه لو خلانى ورأيى فقال صدقت ثم سال الارادة ما الذى جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لو تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل على فلعل لنا عذرا وانت تلوم فانى ما انتهضت بنفسى ولكنى انهضت وما ابعثت ولكنى بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فانى مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادرى باى جرم وقعت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكنى ادرى انى فى دعته وسكون ما لو يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقعت عليه قفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لى معه مجال جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمرى ما دام هو فى التردد على نفسه والتحير فى حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه ازعجت بطبع وقهرت طاعته فى اشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شانى ودع عنى عتابك فانى كما قال القائل **شعر** متى ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا ايام على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انا بسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت فى بياض اللوح لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسى فكم كان هذا اللوح قبلى خاليا عنى فسل القلم عنى فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند ذلك يتتبع السائل ولم يقنعه جواب وقال قد طال تعبى فى هذا الطريق وكثرت منازلى ولا يزال يحيلنى من طمعت به فى معرفة هذا الامر على غيره ولكنى قد لنت اطيب نفسا بكثرة التردد لما كنت اسمع كلاما مقبولا فى الفؤاد وعذرا ظاهرا فى دفع السؤال فاما قولك انى خط ونقش وانما خطنى قلم فلست افهمه فانى لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار والى لا اسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد من ذلك شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك فى الطريق التى توجهت اليها كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بغيتك فادرج فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا فى استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم فى طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثانى عالم الملكوت وهو وراءى فاذا جاوزتنى انتهيت الى منازله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادرى كيف تستقيم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل اذ فى اوائلها منزل القدرة والارادة

والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منطريقا وعالم الملكوت وعرمنه منهجا واما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت
يشبهه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض (الحوارتة) ونباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم
الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم
الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولو بقي بين يديك الا الماء الصافي فاول
علم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى
عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما ان قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل تحيرت في امري واستعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر
الطريق ولست ادري اطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لك من علامة قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك
القلم الذي به كتبت في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت ووقع بابا من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما تراني
ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ انزل عليه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت
بصري وحدقته فوالله ما ارى هيولى ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد بعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما
علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته سائر الذوات وكذلك لا يشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه
امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته جسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا
لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا محنثا بين فجوة التنزيه
وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف تزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها وتزهت كلامه عن معاني
الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة
الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر
لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا مجملا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع لسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى و
لعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه محنث بين التشبيه
والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما
نفخ فيه العلم بجذوته اشتعل نيرانا على نور فقال له العلم اغتنم الان هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له
القلم الالهي فاذا هو كما وصف العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا نصب ولا قراس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف
العلوم وكان له في كل قلب اساس ولا اساس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله تعالى عني خيرا فالان اظهر لي صدق انبائه عن اوصاف
القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومراودتي لك وانا عازم على ان اسافر الى حضرة القلم فاسأله
عن شانه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تحط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات
فقال آه وقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته فاحالك على اليد قال اكذلك هو قال فجوابي مثل جوابه قال كيف
وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شاني القلب يمين الملك فانني في قبضته وهو الذي يردد
وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال فمن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله تعالى
والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال فالاقلام ايضا في قبضة يمينه وهو الذي يردد ما فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائب
ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه ولكن فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا
كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين
التي رأيتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأى
فيه من العجائب ما استحقر عنده ما قبله فسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فاسأل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات
وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت
بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك

واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح لى صدرى لاعرفك واحلل عقدة من لسانى لاثنى عليك فنودى من وراء الحجاب ايلعان تطمع فى الثناء
وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما اتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله فقله فانه مازاد فى هذه الحضرة على ان قال سبحانك
لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهى ان لم يكن للسان جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع فى معرفتك فنودى اياك ان
تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز
عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السائك
واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذرى فانى كنت غريبا حديث العهد بالدخول
فى هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكارى عليكم الا من قصور وجهل والآن قد صح عندى عذركم وانكشف لى ان المتفرد بالملك والملكوت
والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون فى قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر
ذلك فى علم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول
ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيب واحد بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير
السائرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو آخر فى المشاهدة اول
فى الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين فى عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه فى السراج الذى اشتعل
فى قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة فى عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين بطرق التوحيد فى الفعل اعنى من انكشف له ان الفاعل واحد فان
قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى انه يبتنى على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا حلاج له الا ان يقال
له انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم فى الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك
بالحواس الخمس فلا زموا حضيض عالم الشهادة فان قال وانا منهم فانى لا اهتدى الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال انكارك
لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق بقولنا نراه فى المنام فان قال وانا من جملتهم فانى شاك
ايضا فى المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك اياما قلائل فما كل مريض يقوى على علاج الاطباء هذا حكم الجاحد واما
الذى لا يجحد ولكن لا يفهم طريق السالكين فيسان ينظروا الى عينه التى يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدها صحيحة فى الاصل وقد نزل فيها ماء
اسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته وازالته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك الطريق الذى ذكرناه فى التوحيد ولو لم يمكنه ان يسمع كلام
ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت ورددوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان فى عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ
يعلم كل احد ان المنزل يفسد باصحابين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما يراه فى عالم الشهادة فينغرس لاعتقاد التوحيد فى قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الانبياء
ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عاداتهم فى المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادى هل
يصلح ان يكون عماد التوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوى عمل عمل الكشف فى اثارة الاحوال الا انه فى الغالب يضعف ويتسارع اليه
الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه والى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التى تلقنها من استاذه او
من ابويه او من اهل بلده واما الذى شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شئ من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا
كما ان الذى يرى انسانا فى وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا فى تفصيل خلقته وما مثال الحاكم
والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامرى فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم فرأوا
من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضى هذه الحيوة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير واما اصحاب
السامرى لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامرى وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه
لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف
والتضاد فى عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد

جديد

الوجى

يقدر

تلقنها

تناقضا

ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا فى حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا
فاعلم انه لو كان مع هذه ايشاءات ان اراد ان يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكنى علمت انه يفعل اذا شاء و
يشاء شاء ام لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه فمهما وجدت
المشيئة التى تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة
ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة فى القلب هذه ضروريات تترتب بعضها على البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها
ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر فى الجميع فان قلت فهذا لجبر محض والجبر ناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا قلت لو انكشف الغطاء
لعرفت انه فى عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا
يليق بما ذكرناه متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا علم للمعاملة ولكنى اقول لفظ الفعل فى الانسان يطلق على ثلاثة اوجه اذ يقال الانسان
يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والحجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق فى الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة فى حقيقة
الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك فى امور فلنعرفك عنها بثلاث عبارات فنسمى خرقه للماء عنده وقوعه على وجه فعلا طبيعيا و
نسمى تنفسه فعلا ارادياً ونسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر فى الفعل الطبيعى لانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح للهواء الخرق
لا محالة فيكون الخرق بعد التخطى ضروريا والتنفس فى معناه فان نسبة حركة الحجرة الى ارادة التنفس كنسبة اختراق الماء الى ثقل البدن فمهما
كان الثقل موجودا وجد الاختراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصدت عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا
ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادى ولكنه اذا تمثل صورة الابرة فى مشاهدة بالادراك حدثت الارادة
بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع ان الفعل بالقدرة والارادة فقد تحقق هذا بالفعل الطبيعى فى كونه ضروريا
واما الثالث وهو الاختيار فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذى يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن
من هذا ان الامر اليه وهذا الجهل يعنى الاختيار فلنكشف عنه ونبين ان الارادة تتبع للعلم الذى يحكم بان الشئ موافق لك والاشياء ينقسم الى ما تدركه
مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذى تقطع به من غير تردد ان يقصد عينك
مثلا بابرة او بدنك بسيف فلا يكون فى علمك تردد فى ان دفع ذلك خير لك وموافق فلاجرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل
حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه
فلا يدرى انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتميز ان الخير فى الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير تحقق ذلك
بالذى يقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه
الارادة اختيارا مشتقا من الخير اى هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر فى انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة
وهو ظهور خيرية الفعل فى حقه الا ان الخيرية فى دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة
وهى التى انبعثت باشارة العقل فيما له فى ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث
الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحرك بقبة نفسه مثلا لم يمكنه لعدم القدرة فى اليد ولعدم السكين و
لكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل موافقا وقتل نفسه ليس موافقا له
فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان فى عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل حينئذ يقف فى الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح
له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة
واهلك نفسه كالذى يتبع بالسيف للقتل فانه يرمى بنفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالى ولا يمكنه ان لا يرمى نفسه ان كان يتبع بضرب خفيف
فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمى فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمى نفسه ولا تنبعث له داعيته البتة لان داعية
الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر بالضرورة فيه من حيث لا يدرى فانما هو محل
ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولا فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غير لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة
حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار فى الاحراق مثلا جبر محض
وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر حل الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما ان كان فى ما ذكرنا ثالثا

وائتموا فيه بكتاب الله تعالى فنموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تخير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان تستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله تعالى وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل هو الذي جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فافهم وقنعوا على كنه معناه والكافة وقنعوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز ان يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق ولا فالا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا ايضا هي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن اللحظة الا لفقد شرط الحياة ولا تتاخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك على نهاج الحق وترتيب الحق ليس في شئ من ذلك لعب ولا اتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى ذقنه فالحدث لا يرتفع عن اعضاءه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فقد القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء وعلى الماء في سائر اعضاءه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل يحصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل ايضا مثل ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطاء بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه والماء لو تغير واليد لو تغير ولو حدث فيها شئ ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا فرع باب اخر لعالم اخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد وهو الحق والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر عن ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قولك لا اله الا الله وما الخف مؤونة على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظ على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مترددا بينهما لو بينا قض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه الارادة بعد ان خلق الله فيه العلم فارتبطت القدرة والارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا لا كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافي ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى افرأيتم ما تحرثون اضاف ذلك الينا

الذي رفع الحدث

الفعل وبين القدرتين

ثم قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال عز وجل فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم
قال تعالى فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل
وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب
به راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن
وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرايتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة ملك
الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر
ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يروح الارواح في الاجساد وانما يتفاضلون
بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يحيا في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده ارباب القلوب ببصائرهم
فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم بدون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الادلة والآيات في الارض والسموات
ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين ان الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة
فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي
وهو معنى قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر ان ملكي
الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحياة انا احيي الموتى فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخر تكاله من الصنع
وانا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي
ناوله التمرة خذها لولم تأكلها لانك اضفت الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي على الوجه الذي ياتي الانسان اليها وكذلك لما قال ذلك التائب
اتوب الى الله تعالى ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحق الذي عرف الحق والحقيقة لاهله ومن اضاف الى
غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه والمتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته قسماه فاعلا
بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى النسبة الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان
الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعتها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فلا اسم له بالحقيقة وغيره بالمجاز اي تجوز بما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى
على لسان بعض الاعراب قصدا واتفاقا صدق قد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل اي كل
ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقة بغيره لا بنفسه فاذا الحق بالحقيقة هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شئ فانه
قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فما كنت اليوم صرت تقول انا
وانا كن الآن كما لم تكن فانك اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر الان ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف غضب على فعل نفسه
فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا
الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم
حال التوكل كما سياتي الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق الكاشفين فيه
تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله عز وجل لو خلق
الخلق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما
وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر و
النفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله
سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب
او نقص او فقر او ضر عمن قضى به ولا ان ينزل صحة او كمال او غنى او نفع ممن انعم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر
وطوّلوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة
ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان ابدع

الاجسام

غضب

الخلائق

ولو يفعل

احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولو يتفضل بفعله لكان بخلا وينا قض الجود وظلما وينا قض العدل ولو لو يكن قادرا لكان عجزا وينا قض الالهية بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعوت على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران وفداء اهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لو يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولو لا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تأكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الان بحر اخر عظيم العمق واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السفن من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولو يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد كان ما قضي به ولجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لو يكن ليخطئك وما اخطأك لو يكن ليصيبك ولنقصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة وحسبنا الله ونعم الوكيل

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره والله الموفق برحمته

بيان حال التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه وستوكلا عليه مما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم تتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل الخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شئ اصلا واما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجر القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بالاقة لسانه على حل عقدة التلبيس واما منتهى الشفقة فيكون باعثا على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر بخصمه او لم يظفر هلك بحقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحدة منها او جوز ان يكون خصمه في هذه الاربعة اكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير لدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلاجرم تتفاوت احوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والله الموكل وهو الذي يسمى جمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل اليقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل القطع به وذلك بطول المدارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال ففرع عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف وباعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد وتمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد وبالاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة تكل الاحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وارجاعه لسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما تقيأ

طبعه عن ذلك وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا بكونه ميتا وادرك ذلك في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشر الا ان ولا يحييه وان كان قادرا عليه وانها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او البيت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف فلما يخلو الانسان عن شئ منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شئ واليقين شئ آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لابراهيم عليه السلام اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يكون مشاهدا احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امره الى ان يبلغ في الآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربعة احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته على انسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم من استعز بالعبيد اذله الله تعالى واذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات **الدرجة الاولى** ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى في الثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل **الثانية** وهي اقوى ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى اخذ سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تقلق في كل حال بذيلها ولو بخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظ ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان بالله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كلف بكما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب فليس فانيا عن توكله اي له التفات الى توكله وشعوره وذلك شغل صادر عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك الاماني قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه **الثالثة** وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كله يحدث جبرا فيكون في عين الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثل صبي علم انه وان لم يزعق بامه فلا ام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فلا ام تحمله وان لم يسألها اللبن فلا ام تطعمه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير استحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه بعد سنين يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفوة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى ينجلي عن ظاهر البشرة الى الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من وراءه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير رأسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله بدا والتدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته بان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لاجله بالتدبير للحضور ولا يكون هذا منافيا توكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة ولا الى

حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم من عادته واطراد سنته
فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون متعوّلا على سنته وعادته وافيا بمقتضاها وهو ان
يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله
فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان حضر وفاء باشارته واحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثالث في
الثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يتفرغ الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فوّض الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل
باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في
التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال
فاذا فوّض المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا ينافي التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فانا
لا نصير مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا لحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان
هذه الكلمة لا يحمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالقا لحوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيدين في انفسهما ولو لم يكونا مفيدين لما فعله وانما يصدق ذلك
في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد
والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا وصدقا فمن شاهد هذا الكل كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله
وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها وبديهات فاقا
ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ولنسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احدهما الى الاخرى اذ في هذه
الكلمة اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين
لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات والكل الخلق قد
قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه مخلصا وجبت له الجنة
وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد به المطلق المقيد كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضافها الى مجرد
الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب بيضا حديث ولكن حديث
نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات
عند الله تعالى وان كانت لا تنتهي الى الملك اما ترى ان الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة
متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظر والمشرب
والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان
لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة افترى ان احوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار
واصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان تكون عند ذوي الكمال مغبوطة من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب
من جوار رب العالمين في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اخاير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار
درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شيء منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة اكثر من نزوعها الى
صنعة الكتابة فهو بالاساكفة اشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم اكثر من نزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم
الذين يقال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها الطلب للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال الحقيقي
بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول
ولا قوة الا بالله ومن ليس قائلا لهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين
الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين
ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عاقل يفهم ان الارض
والسماء ليستا من جهة الادميين بل هما من خلق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن بدا في ابنه
بد قي النظر في الرأي والمعقول حتى ليشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة محطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون اذا ثبتوا لانفسهم امرا وهم

شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان احداهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي لعظم العقبتين ولخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل ان شاء الله تعالى **بيان** ما قاله الشيوخ في احوال التوكل ليتبين ان شيأ منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الدينوري قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد لغم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اجل احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد فلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير لسببه سره او يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وانما يزول التوكل بتحرك سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال ولكن سيأتي ان امثال ذلك واكثر منه لا ينافي التوكل فان حركة البر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله فان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية وانزاجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل احمد بن القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دين لو تأمن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى ان يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك فالاول عام للمقامات الثلاث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلام الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه دوامه ان وجد ابعد منه واعز قال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب فلعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطراب بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بين يدي امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات للمتوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه **بيان** اعمال المتوكلين اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة او كاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه لعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل بعد كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع **الفن الاول** في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد

اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق احالى الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شئ فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو ترك الارض وطمعت في ان يخلق الله تعالى انباتا من غير بذر او تلقيح وتلقيح من غير رياح كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وامثال هذا مما لا يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة والذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال او تقطع وكيف تعول على قوة ربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعمله فليد اليد فانه متوكل الدرجة الثانية الا اسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز ومن اعالي مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا اسعى في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يقوم من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى محلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيي به مجاهدة نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات وللعطش في كل يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلاة ولا يقوم مقامها في الخياطة والقطع شئ مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يترك الطعام ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا القول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روي ان لقمان الزاهد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لابنه لا تسال احدا شيئا حتى يأتيني بنو برزق فقعد سبعا فكاد يموت ولو بالته رزقه فقال يا رب ان احييتني فاتني ببرزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله جل ذكره اليه وعزتي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيده قد رتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مع الغفلة عن الحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنته الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في التوكل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فصرف المتوكل في الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب الخفي لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب هو حرام او مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعل ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج اولى له ولكن ليس فعله حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال لنيا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس

رضی الله عنهما اختلف الناس فی کل شئ الا فی الرزق والاجل فانهم اجمعوا علی ان لا رازق ولا ممیت الا الله تعالی وقال صلی الله علیه وسلم لو توکلتم علی الله
حق توکله لرزقکم کما یرزق الطیر تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائکم الجبال وقال عیسی علیه السلام انظروا الی الطیر لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر
والله تعالی یرزقها یوما بیوم فان قلتم نحن الکیس یبطونا فانظروا الی الانعام کیف قیض الله تعالی لها هذا الخلق للرزق وقال ابو یعقوب السوسی المتوکلون
یجری ارزاقهم علی ایدی العباد بلا تعب منهم وغیرهم مشغولون مکدودون وقال بعضهم العبید کلهم فی رزق الله تعالی لکن بعضهم یاکل بذل کالسؤال
وبعضهم بتعب وانتظار کالتجار وبعضهم بامتهان کالصناع وبعضهم بعز کالصوفیة یشهدون العزیز فیأخذون رزقهم من یده ولا یرون الواسطة
الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التی یتوهم افضاؤها الی المسببات من غیر ثقة ظاهرة کالذی یستقصی فی التدبیرات الدقیقة فی تحصیل الاکتساب وجوهه
وذلک یخرج بالکلیة عن درجات التوکل کلها وهو الذی فیه الناس کلهم اعنی من یکتسب بالحیل الدقیقة اکتسابا مباحا المال مبلح فاما اخذ الشبهة او الکسب
بطریق فیه شبهة فذلک غایة الحرص علی الدنیا والاتکال علی الاسباب فلا یخفی ان ذلک یبطل التوکل وهذا مثل الاسباب التی نسبتها الی جلب النافع
مثل نسبة الرقیة والطیرة والکی بالاضافة الی ازالة الضار فان النبی صلی الله علیه وسلم وصف المتوکلین بذلک ولم یصفهم بانهم لا یکتسبون ولا
یسکنون الامصار ولا یاخذون من احد شیئا بل وصفهم بانهم یتعاطون هذه الاسباب وامثال هذه الاسباب التی لا یوثق بها فی المسببات
مما یکثر فلا یمکن احصاؤها وقال سهل فی التوکل انه ترک التدبیر وقال ان الله خلق الخلق ولم یحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبیرهم ولعله اراد به
استنباط الاسباب البعیدة بالفکر فهی التی تحتاج الی التدبیر دون الاسباب الجلیة فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الی ما یخرج التعلق بها عن
التوکل والی ما لا یخرج وان الذی لا یخرج ینقسم الی مقطوع به والی مظنون وان المقطوع به لا یخرج عن التوکل عنده وجود حال التوکل وعلمه وهو الاتکال
علی مسبب الاسباب فالتوکل فیها بالحال والعلم لا بالعمل واما المظنونات فالتوکل فیها بالحال والعلم والعمل جمیعا والمتوکلون فی ملابسة هذه
الاسباب علی ثلاث مقامات **الاول** مقام الخواص ونظرائه وهو الذی یدور فی البوادی بغیر زاد ثقة بفضل الله تعالی علیه فی تقویته علی
الصبر اسبوعا وما فی قرا وتیسیر حشیش له اوقوت او تثبیته علی الرضی بالموت ان لو تیسر شئ من ذلک فان الذی یحمل الزاد قد یفقد زاده او یضل
بغیره ویموت جوعا فذلک ممکن مع الزاد کما انه لیکن مع فقده **المقام الثانی** ان یقعد فی بیته او فی مسجد ولکنه فی القری والامصار
وهذا اضعف من الاول ولکنه ایضا متوکل لانه تارک للکسب والاسباب الظاهرة معول علی فضل الله تعالی فی تدبیر امره من جهة الاسباب
الخفیة ولکنه بالقعود فی الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلک من الاسباب الجلیة الا ان ذلک لا یبطل توکله اذا کان نظره الی الذی یسخر له
سکان البلد لا یصال رزقه الیه لا الی سکان البلد اذ یتصور ان یغفل جمیعهم عنه ویضیعونه لولا فضل الله تعالی بتعریفهم وتحریک دواعیهم
المقام الثالث ان یخرج ویکتسب اکتسابا علی الوجه الذی ذکرناه فی الباب الثالث والرابع من کتاب آداب الکسب وهذا السعی لا یخرجه
ایضا عن مقامات التوکل اذا لم یکن طمأنینة نفسه الی الکفایة وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلک کله رجما یهلکه الله تعالی جمیعه فی لحظة بل یکون نظره الی
الکفیل الحق بحفظ جمیع ذلک وتیسیر اسبابه له بل یری کسبه وبضاعته وکفایته بالاضافة الی قدرة الله تعالی کما یری القلم فی ید الملک الموقع فلا
یکون نظره الی القلم بل الی قلب الملک انه بما ذا یحرکه والی ما ذا یمیل ویوجه ثم ان کان هذا المکتسب مکتسبا لعیاله او لیفرق علی المساکین فهو بمنزلة
مکتسب وقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد فی بیته والدلیل علی ان الکسب لا ینافی حال التوکل اذا رعیت فیه الشروط وانضاف الیه الحال
والمعرفة کما سبق ان الصدیق رضی الله عنه لما بویع بالخلافة اصبح فاخذ برزمة متاع تحت حضنه ودخل السوق فکره المسلمون ذلک فقالوا
کیف تفعل هذا وقد ائمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلونی عن عیالی فانی ان اضیعهم کنت لما سواهم اضیع حتی فرضوا له قوت اهل بیت من المسلمین
فلما رضوا بذلک رای مساعدتهم وتطییب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمین اولی ویستحیل ان یقال لم یکن الصدیق فی مقام التوکل
فمن اولی بهذا المقام منه فدل علی انه کان متوکلا لا باعتبار ترک الکسب والسعی بل باعتبار قطع الالتفات الی قوته وکفایته والعلم بان الله هو
الکتاب ومدبر الاسباب وبشروط کان یراعیها فی طریق الکسب من الاکتفاء بقدر الحاجة من غیر استکثار وتفاخر وادخار ومن غیر ان یکون
درهم احب الیه من درهم غیره فمن دخل السوق ودرهم احب الیه من درهم غیره فهو حریص علی الدنیا ومحب لها ولا یصح التوکل الا مع الزهد فی الدنیا
نعم یصح الزهد دون التوکل فان التوکل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شیخ الجنید رحمة الله علیهما وکان من المتوکلین اخفیت التوکل
عشرین سنة وما فارقت السوق کنت اکتسب فی کل یوم دینارا لا ابیت منه دانقا ولا استریح منه الا قیراطا دخل به الحمام بل اخرجه کله قبل اللیل
وکان الجنید لا یتکلم فی التوکل بحضرته وکان یقول استحیی ان اتکلم فی مقامه وهو حاضر عندی واعلم ان الجلوس فی رباطات الصوفیة مع معلوم یعیله
من التوکل فان لم یکن معلوم ووقف وامر والخادم بالخروج للطلب لم یصح معه التوکل الا علی ضعف ولکن یقوی بالحال والعلم کتوکل المکتسب وان

ليسا لوا بل تنعوا بما يحمل اليهم فهذا اقوى فى توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد فى بيته او يخرج ويكتسب فاعلم ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس فى انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون قوى القلب فى الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه فى البيت ويستشرف الى الناس فالكسب له اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروذى ان يعطى بعض الفقراء شيئا فضلا هما كان استأجره عليه فردده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه ونال احمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فردّ فلما خرج القطع طمعه واليس فاخذه وكان الخواص رحمه الله اذا نظر الى عبد فى العطاء او خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئا وقال الخواص بعد ان سئل عن اعجب ما رآه فى اسفاره رايت الخضر وَرَضِيَ بصحبتى ولكنى فارقته خيفة ان تسكن نفسى اليه فيكون نقصا فى توكلى فاذا المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق فى كتاب الكسب وهو ان لا يقصد به الاستكثار ولو يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه فى السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شئ لم يضطرب بفقده ومن اضطرب لفقد شئ فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك لان البعلوى كاتبه قال بلغنى انك استعنت على رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من وقع ذلك فى قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول ان يعلم ان الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلاك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغى ان يعتقد ان الموت جوعا خير له فى الاخرة مما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها وقضى الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقنى من دهانى وما هى الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا ابالى اصبحت غنيا او فقيرا فانى لا ادرى ايهما خير لى ومن لم يتكامل يقينه لهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الدارانى لاحمد بن ابى الحوارى لى من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل للمبارك فانى ما شممت منه رائحة هذا كلام مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقتضاه ومما لو يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لو يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تبتنى على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى فى تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه مشغوف باستماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق لسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد انه حلف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد عليه ثلاثا فقال فى الرابعة ليهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم دينارين فقال ان كان صادقا فى ضمانه فحلفك فى المسجد خير لك فقال يا هذا ولو تكن اماما تقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من اين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع فى حسن الظن مجئ الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب تقدير الله تعالى فى املاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة المرعشى وقد كان خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا فى طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الينا ابراهيم وقال يا حذيفة ادى بك الجوع فقلت هو ما ارى الشيخ

فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب شعرا اشعر اناحامد اذا شاكرا ناذاكرا اناخائف اناراجع اناتائب اناعابد اناحامدى ؛ هى ستة وانا الضمين لنصفها يا مولى ضمين لنصفها يا جارى مدحى لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ؛ ثم دفعه الى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى كيسا فيه سبعمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسالته عن راكب البغلة فقال هذا رجل نصرانى فجئت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجئ الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى فاكب على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصرى حججت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فى نفسى بالخروج فخرجت الى الوادى لعلى اجد شيئا يسكن ضعفى فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكان قائلا يقول لى حججت عشرة ايام والخرء يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت فاذا انا برجل اعجمى قد اقبل فجاء حتى جلس بين يدى ومعه قطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتنى بها قال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصنى الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميذ مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى الى اصحابك هدية منى اليكم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك ليس يريك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادى وقال محمد بن مشاد الدينورى كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرايت فى النوم كان قائلا يقول بالخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقلا ولا قصابا ولا غيرهما وحكى عن بنان الحمال قال كنت فى طريق مكة اجئ من مصر ومعى زاد فجاءتنى امراة وقالت لى يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم اتى على ثلاث لم اكل فوجدت خللا فى الطريق فقلت فى نفسى احمله حتى يجئ صاحبه فربما يعطينى شيئا فاردله عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لى انت تاجر تقول عسى يجئ صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت الى شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مكة وحكى ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجئ القفل فنشترى ما يوافق فلما ورد القفل اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال لهم ليست للبيع فالحوا عليه فقال لهم بنان الحمال احدثها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان فى الزمان الاول رجل فى سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله عز وجل به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه خيرا فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقى القرص عنده وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتنى فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت فى نفسى انى سكنت واتكلت على غيره واليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفيرة ووارت جسدى فيها الى صدرى فسمعوا صوتا فى نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى الى القرية وروى ان رجلا لازم باب عمر فاذا هو بقائل يقول يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله تعالى اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له انى قد اشتقت اليك فما الذى شغلك عنا فقال انى قرات القران فاغنانى عن عمر وال عمر فقال عمر رحمك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى السماء وانا اطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك ياتيه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الزيات حججت سنة من السنين فبينا انا امشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فاردت نفسى ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للاخر تعال حتى نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البئر فهممت ان اصيح فقلت فى نفسى الى من اصيح هو اقرب منهما وسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشئ جاء وكشف عن راس البئر وادلى رجله وكان يقول تعلق بى فى مهمهة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجنى فاذا هو سبع فمر وهتف بى هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن بحيائك من التلف بالتلف قال فمشيت وانا اقول سبحانى حيائى منك ان اكشف اهوائى واغنيتنى بالفهم منك عن الكشف ؛ تلطفت فى امرى فابديت شاهدى ؛ الى غائبى واللطف يدرك باللطف ؛ تراءيت لى بالغيب حتى كانما ؛ تبشرنى بالغيب انك فى الكف ؛ اراك ولى من هيبتى لك وحشة ؛ فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف ؛ وتحيى محبا انت فى الحب حتفه ؛ وذا عجبا كون الحياة مع الحتف وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوى الايمان بر وانضم اليه القدرة على الجوع قد اسبوع من غير ضيق صدر وقوى الايمان بان الرزق ليس اليه رزقه فى اسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه توكل لهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا **بيان** توكل العيال اعلم ان من له عيال حكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان

ذكرناها ومن جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم يأنه رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضيا بذلك وانه كذا قضي وقدر له فهذا يتم التوكل المنفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذا سائر ابواب الايمان فانها لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فانا دخول البراري وترك العيال توكلا في حقهم او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا لحرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فلا ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده ولا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عباداته ليجوز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضربه بدنه كتوكله في عياله وانما يفارقهم في شيء واحد وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضى بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار وملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه هذه كلها اسباب لبقاء ولكن مع نوع من الاذى اذ لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب لا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا تلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لو يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه هل ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى تنتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولو يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما تفضل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله تعالى اليها اشعل في قلبها من نار الحب لها لو يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فدر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته فكان هذا لحيلة الطفل او لحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحين لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة لجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقصت اسباب معيشته ببلوغه بل ازدادت فاذا لم يكن قادرا على الاكتساب فلان قد قدر فوادت قدرته ثم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهي الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين بل اهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا لاحظ محتاجا تالم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فكان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فمتى راوه محتاجا ولو راوه بسبب سلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذونه ويلفلونه فما ترى الى الان في سني الخصب بيسر قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فما ذا ينفع ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولو يشتغل في الصبي قد كان المشفق واحدا وشفق الان الف نعم كانت شفقة الام اقوى واحظى ولكنها واحدة وشفقة احاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة الاحاد بكثرة المشفقين ويترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث يقول ؛ جرى قلم القضاء بما يكون ؛ فسيان التحرك والسكون ؛ جنون منك ان تسعى لرزق ؛ ويرزق في غشاوته الجنين ؛ فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا صباه واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا قد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد او البيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه مؤن كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يفر الى جبل من بين الناس وما رؤي الى الان عالم او عابد استعفى الا وقات بالله تعالى وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل

له ومن اشتغل بالله عز وجل القى الله حبه فى قلوب الناس وسخر القلوب كما سخر قلب الام لولدها فتدبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وامن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما يدبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلواء والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك ايضا فى بعض الاحوال لكن تدبره تدبيرا يصل الى كل مشغول بعبادة الله تعالى فى كل اسبوع قرص شعير او حشيش يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس فى التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الاخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو فى الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفى النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك والملكوت تدبير الايجاد لعبده من عباده رزقه وان سكن الا نادرا ندرا عظيما يتصور مثله فى حق المضطرب فاذا انكشف هذه الامور وكان معه قوة فى القلب وشجاعة فى النفس ثم ما قاله الحسن البصرى رحمه الله اذ قال وددت ان اهل البصرة فى عيالى وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقى لظننت انى مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم فى نفسه وممكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين الافلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالقوت القليل والرضى بالقوت فانه ياتيك لا محالة وان فرت منه وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يدى من لا تحتسب فان اشتغلت بالنقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية لا انه لو تكفل له ان يرزقه كما الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذى تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضمان واطمان الى ضمانه فان الذى لحاظ به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه من السماء قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال ما اذا تطلبون قالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اى موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا اندخل البيت ونتوكل ونتظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت فى البادية فانانى جوع شديد فغلبتنى نفسى ان اسال الله تعالى طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتنى ان اسال الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف بى ويقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا وليس الناس على الافتار جهدا كانا لا نراه ولا يرانا فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالحبن باطنه وقوى ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس بدا واثقا بالله عز وجل فان اسوا حالا ان يموت ولا بد ان ياتيه الموت كما ياتى من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل قناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذى ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التى دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التى لم تكن فى ظنك وحسابك ولا تكن فى توكلك منتظرا للاسباب بل للمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغى ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البرارى بلا زاد ويقعد فى الامصار وهو حامل طعاما الذى له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع فى اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق باهل الدين فهذا ياتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره لسبب ظاهر يجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار فى حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدى الناس ويا كل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله عز وجل واعانة للمعطى على نيل الثواب ومن نظر الى مجارى سنة الله تعالى علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب لذلك سال بعض الاكابر سرى حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال لراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو ترك كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم قال الشاعر ولو كانت الارزاق تجرى على الحجا هلكن اذا من جهلهن لبهائم

بيان احوال المتوكلين فى التعلق بالاسباب بضرب مثال اعلم ان مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقفوا فى ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم

ل الرزق المقدر والرزق المطلوب

ل الرزق الحلال والحرام

ل التوكل وصبر

ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهد وا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر منادیا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن يتعلق بالغلمان وأذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان اقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف في احد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطأه غلماني فما اوصلوا اليه شيأ فبات الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل اليته اوصل الي رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جائعون وبادروا الى الغلمان فاذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولو ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوفا لعقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرئى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن لا نأخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وخرجوا عن مرءى اعين الغلمان وقالوا ان اتبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطأونا فاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال بذلك رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما تفهم ذلك اذ تبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق خلو الميدان اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصبح فنال رتبة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق في الميدان هو الحياة في الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير ذل يرد الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتمد في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظهر الميدان بمرءى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمحتفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاتباع تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تتعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وثلاثة في البوادي ثلاثة ويسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الاعصار السالفة واما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى الواحد من عشرة الاف **الفن الثاني** في التعرض لاسباب الادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في الادخار ثلاثة اوجه الاولى ان يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا القدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لهذه الخارجة عن حدود التوكل ان يدخره لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفأرة والنملة وابن آدم الحالة الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن حد التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم ينبغي ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذلك السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين تلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما مدة امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يؤمل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال عليه السلام ان الله خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة لتتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذا ما وراء السنة لا يدخر له الا بحكم ضعف القلب والركون الى الظاهر من الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان سبب الدخل

فى الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم تكن درجته كدرجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلاثة اشهر بل هو بينهما فى الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله اكثر وقد روى فى الفقير الذى امر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه واسامة ان يغسلاه فغسلاه و كفناه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هى يا رسول الله قال كان صوّاما قوّاما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام فى معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة واما ثوب الشتاء فلا يحتاج اليه فى الصيف وهذا فى حق من لا يتزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى ايدى الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر فى نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والحذر مما يشغل عن الله عز وجل والافالدنيا فى عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوى ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك ينافى قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى امته وغيرها ان تدخر شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار فى كسرة خبز ادخرها لغطر عليها فقال صلى الله عليه وسلم انفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال صلى الله عليه وسلم له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ فلا اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر امله بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلى لا ابلغه وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعليما للاقوياء من امته فان اقواء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر عليه السلام لعياله سنة لان الضعف قلب فيه وفى عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من امته بل اخبر ان الله تعالى يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهى بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون اليسير من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلى ان بعض اصحاب الصفة توفى فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين فى داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيّتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك فى حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما ان اراد كيتان من النار كما قال تعالى تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثانى ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين فى الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته فى الاخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره من الاخرة واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن بشر قال الحسين المغازلى من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الى كفا مرجرجا فوهم وقال اشتر لنا من اطيب ما انفق عليه من الطعام والطيب وما قال لى قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شئ كثير فاخذه الرجل وجمعه فى ثوبه وحمله معه وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لى بشر لعلك انكرت فعلى قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذلك اخونا فتى الموصل زارنا اليوم من الموصل فانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار

الفن الثالث فى مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المتعرض للخوف

اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف فى نفس او مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة رأسا اما فى النفس فكالنوم فى كل ارض المتسبعة او فى مجارى السيل من الوادى او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها والى مظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى تسبتها الى دفع الضرر نسبة الكى والرقية فان الكى والرقية قد يقدم به على

المحذور فعالما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين لا بترك الكي والرقية والطيرة ولو سئلوا عنها لم يفهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة ولبدة تلبد فعالما للبرد المتوقع وكذلك كل ما نفى معناها من الاسباب نعم الاستظهار بالكل المتوهم مثلا عند الخروج الى السفر في الشتاء تهيجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجدانا لله الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل ودع اذاهم وتوكل على الله وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس واما الصبر على اذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شئ اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب المنافع فلا تطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بأغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال تعالى في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين الاعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة ان منهم من وضع الاسد يده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه فلا ينبغي ان يغرك ذلك المقام فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت وهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابق عليه ان يسخر لك كلب هو معك في اهابك ليسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا باشارتك وكان مسخر الك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى من ان يكون مسخر الك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى ان يتسخر لك من كلب دارك فاذا لم يتسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من ان ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل لو يندفع الا بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او يفلت وكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا تتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فانه ان حضر ولم يحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت علي ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا استرجعها او عارية وودبعة فتستردها ولا ادري انه رزق اوسبقت مشيئتك في الازل بانه رزق غيري وكيفما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصينا من قضائك ولتحفظه بل جريا على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علما لو خرج عن حد التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وان لم يجده بل وجد مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك علما انه ما اخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الاخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا من لا يتاسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما ياتي بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذلك في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق في نفسه في دعاوي الا ان يدل على صدقه غرورها فانها خداعة امارة بالسوء مدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كنصف آجر فيها وكوز يشرب منه وانا يتوضأ منه وجراب يحفظ فيه زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضروريات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخارا على هذه النية مبطلا للتوكل وليس من شرط التوكل لخراج الكوز الذي

يشرب منه والجراب الذى فيه زاده وانما ذلك فى الماكول وفى كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين فى زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة فى كل يوم وفى كل اسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرط التوكل ولذلك كان الخواص ياخذون فى السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذى هو محتاج اليه ولا يتاسف عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه واغلق الباب عليه وان كان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتاذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظ ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له فى ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيما رزقه الله تعالى ولما اعطاه اياه فاستدعاء ذلك وتيسيره الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولو يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان تكون خيرته فى ان يبتلى بفقده ذلك حتى يثاب فى تحصيل غرضه ويكون ثوابه فى النصب والتعب اكثر فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه فى جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله عز وجل علم ان الخيرة كانت لى فى وجودها الى الان والخيرة لى الان فى عدمها لما اخذها منى فيمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه يراها مسببة الاسباب عناية به وتلطفا وهو كالمريض بين يدى الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه يعرف ان الغذاء شفائى وقد قويت على احتماله لما قربه الى وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك ايضا فرح وقال لولا ان الغذاء يضرنى ويسوقنى الى الموت لما حال بينى وبينه وكل من لا يعتقد فى لطف الله تعالى ما يعتقده المريض فى الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته فى اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدرى اى الاسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه لا ابالى اصبحت غنيا او فقيرا فانى لا ادرى ايهما خير لى فكذلك ينبغى ان لا يبالى المتوكل بسرق متاعه او لا يسرق فانه لا يدرى ايهما خير له لا فى الدنيا ولا فى الاخرة فكم من متاع فى الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يبتلى بالفقر لاجل غناه فيقول يا ليتنى كنت فقيرا

بيان اداب المتوكلين اذا سرق متاعهم للمتوكل اداب فى متاع بيته اذا خرج عنه **الاول** ان يغلق الباب ولا يستقصى فى اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق ولجمعه غلقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الملاب ما شد وترايضا **الثانى** ان لا يترك فى البيت متاعا يحرض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم او مساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال خذها لا حاجة لى اليها قال انى اخاف ان يسوس الى لعدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد فى الدنيا فما عليه من اخذها **الثالث** ان ما يضطر الى تركه فى البيت ينبغى ان ينوى عند خروجه الرضى بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه فى حل وهو فى سبيل الله تعالى وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى فيكون له نيتان لو اخذه على احدهما ان يكون ماله ما نعا له من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد نال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله فى حل والثانية ان لا يظلم مسلما اخر فيكون ماله فداء لمال مسلم اخر ومهما ينوى حراسة مال غيره بمال نفسه او ينوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصر الظالم ان تمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له ولينبغى ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلى ولكن يتحقق بالزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يوجد حصل له الاجر ايضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك الغزل فاقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله تعالى وان كان لم يولد له لانه ليس اليه فى ام الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم يتعدم فكذلك ام السرقة **الرابع** انه اذا وجد المال مسروقا فينبغى ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثوابه لم يكن قد جعله فى سبيل الله عز وجل فلا يبالغ فى طلبه وفى اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله فى سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدم ذخيرة لنفسه الى الاخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله فى سبيل الله عز وجل وان قبله فهو فى ملكه فى ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محجوب عند المتوكلين وقد روى ان ابن عمر رض سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال فى سبيل الله تعالى فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاء رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك فى مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال انى كنت قلت فى سبيل الله وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخوانى فى النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى وادخلنى الجنة وعرض على منازلى

على اللص فى ان يغلق الباب ولا يستقصى فى اسباب الحفظ
على قوله ان يغلق الباب ولا يستقصى فى اسباب الحفظ
على قوله ان ما يضطر الى تركه فى البيت

فيها فرآيتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك ودخلت الجنة وانت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم انى لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذاك قال انى لما رايت منازلى فى الجنة رفعت لى مقامات وعليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى منادٍ من فوقها اصرفوا عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقيل لى كنت تقول للشئ انه فى سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضينا لك وحكى عن بعض العباد بمكة انه كان نائما الى جنب جمل معه هميانه فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال له كن كان فى هميانك فذكر له فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو واصحابه معه وردّ والذهب فابى وقال خذوها حلالا طيبا فما كنت لاعود فى مال اخرجته فى سبيل الله عز وجل فلم يقبل فالحّوا عليه فدعا ابناله وجعل يصرّه صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شئ فهكذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخذ بغيفا ليعطى فقيرا فغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطى فقيرا آخر وكذلك فى الدراهم والدنانير وسائر الصدقات **الخامس** وهو اقل الدرجات ان لا يدعو على السارق الذى ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل ايضا اجره فيما اصيب به ففى الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكى ان الربيع بن خثيم سرق فرسه وكان فيمته عشرين الفا وكان قائما يصلى فلم يقطع صلاته ولم يتزعج لطلبه فجاءه قوم يعزّونه فقال اما انى قد كنت رايته وهو يحمل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احبّ الىّ من ذلك يعنى الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فانى قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم فى شئ فكان سرق له لا تدعو على ظالمك قال بما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا آخذه ولا انظر اليه وقال كنت قد احللته له وقيل لآخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمنى احد ثم قال انما ظلم نفسه لا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عنده بعض السلف فى ظلمه فقال لا تغرق فى شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله ودمه وفى الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال الشتم ظالمه وليسبّه حتى يكون بمقدار ما ظلم ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم **السادس** ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا فى دينه لا نقصانا فى دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن لك غم انه قد صار فى المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فانا نصحت للمسلمين وسرق من على بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكى ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكى فقال لا والله ولكن على المسكين انه يُسأل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال انى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه اخلاق السلف رضى الله عنهم اجمعين **الفن الرابع** فى السعى فى ازالة الضرر كالمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر ابواب الطب اعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهى الاسباب الظاهرة فى الطب والى موهوم كالكى والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكى ويليه الرقية والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء فتركه ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون افضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص فهى على درجتين الدرجتين ويدل على ان التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره بل ما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعنى الموت وقال عليه السلام تداووا عباد الله فان الذى انزل الداء انزل الدواء وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله شيأ قال هى من قدر الله وفى الخبر المشهور ما مرت بملاء من الملائكة الا قالوا مُرْ أمتك بالحجامة وفى الحديث اذا مر بها وقال احتجموا لسبع عشرة ولتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيّغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها فى البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل اصلا وفى خبر مقطوع به من احتجم يوم الثلثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره صلى الله عليه وسلم فقد امر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالحجامة وقطع لسعدين معاذ عرقا اى فصده وكوى سعد بن زرارة وقال لعلى رضى الله تعالى عنه وكان رمد العين لا تاكل من هذا يعنى الرطب وكل من هذا فانداء فى اناك يعنى سلقا قد طبخ بدقيق شعير وقال لصهيب وقد رآه ياكل التمر وهو وجع العين تاكل تمرا وانت رمد فقال انما آكل بالجانب الاخر فتبسم صلى الله عليه وسلم واما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى فى حديث من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة قبل

السنا المكي وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروى انه كان اذا نزل عليه الوحي صُدِّعَ راسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روى في تداويه وامره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل عِلَّة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى واقامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروى في خبر لخوان بنيا من الانبياء عليهم السلام شكا علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض وشكا بنى لخر الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روى ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا تبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والاهويتا اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط اخر في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال واما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الاسباب بدا يحصر في هذين الشيئين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة متى تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يا رب ممن الدواء والشفاء فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي او قضائي فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع فاما ترك التداوي رأسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بأمر وهو انه لحراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه لحراق فالاحراق بالنار جرح مخوف للمنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الا يتركوه حتى اكتوى فكان يقول كنت اري نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتويت فانقطعت فوالله ما افلحت ولا انجحت بل تبت من ذلك واناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من امر الملائكة وقال المطرف بن عبد الله الوتر الى الكرامة التي كان اكرمني الله بها قد ردها الله تعالى علي بعد ان كان اخبره بفقدها فاذا الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير فهو مذموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها والله اعلم **بيان** ان ترك التداوي قد يجد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا ينافي فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا يحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم علي منهما وكان الربيع بن خثيم اصابه فالج فقيل له لو تداويت فقال قد همت فذكرت عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيأ وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان يعلل فلا يخبر المتطبب بها ايضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله ونظرا الى قيام الله تعالى عليه فاذا من ترك التداوي وراءه ففيهم كثرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصواب

عن التداوى فنقول ان لترك التداوى اسبابا **السبب الاول** ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برويا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق وليشبه ان يكون ترك الصديق رضى الله عنه التداوى من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة رضى الله عنها فى ام الميراث انما هما اخواك وانما كان لها اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به **السبب الثانى** ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابى ذر اذ قال انى عنهما مشغول وكلام ابى الدرداء اذ قال انما اشكو ذنوبى فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذى يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكر الحى القيوم فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سالناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه ما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها **السبب الثالث** ان تكون العلة مزمنة والدواء الذى يومر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكى والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى اى ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك فى نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له ولا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك فى ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا فى الادوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوى من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيأ موهوما لا اصل له وذلك صحيح فى بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح فى البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوى تعمقا فى الاسباب كالكى والرقى فيتركه توكلا **السبب الرابع** ان يقصد العبد بترك التداوى استبقاء المرض ليتال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى وليجرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان اشتد عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفى الخبر ان الله تعالى يحب عبده بالبلاء كما يحب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفى حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الصائلة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المومن اصح شئ قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شئ جسما وامرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحمى اخذت على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قعودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى افضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففى الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا العبد كصالح ما كان يعمله فانه فى وثاقى ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتى وقد قال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوى وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوى لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان اذا راى العبد يصلى من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام فى الصلاة والنهوض الى الطاعات يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضى بحاله افضل من التداوى للقوة والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شئ من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل فى شئ منه فهو افضل لانه ان اخذ شيأ من الدواء ولو كان هو الماء البارد ليسئل عنه لم اخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوة لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضى والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المرض غالبا مدهشا وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة **السبب الخامس** ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوى خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الارض كالبردة ما عليه ذنب والخطيئة وفى الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها قوة سنة وقيل للانسان

ثلاثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى فى جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل الوكفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من اذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان فى الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه وروى ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف ارحمه فمنابه ارحمه اى به اكفر ذنوبه وازيد فى درجاته **السبب السادس** ان يستشعر العبد فى نفسه مبادى البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان وطول الامل والتسويف فى تدارك الفائت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصى واقلها ان تدعو الى التنعم فى المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال للربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التاديب بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد روى ان الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض قيدى احبس به من احب من خلقى فاذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصى فاى خير يزيد عليه ولا ينبغى ان يشتغل بعلاج من يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى ترك المعاصى فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدك قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله عز وجل فانت فى عافية وان كنت قد عصيته فاى داء اد وء من المعصية ما عوفى من عصى الله وقال على كرم الله وجهه لما راى زينة النبط بالعراق فى يوم عيد ما هذا الذى اظهروه قالوا يا امير المؤمنين هذا يوم عيدهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يرمد له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو اخذته الشقيقة يوما الشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقد قيل لحمى بريد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت يا غافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص فى نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن فى كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب ببلية حتى روى ان عمار ابن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبى صلى الله عليه وسلم عرض عليه امرأة فحكى من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل له انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لى فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وسلم اليك عنى من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد فى الخبر ان الحمى حظ كل مؤمن من النار وفى حديث انس وعائشة رضى الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفى لفظ آخر الذى يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك فى ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد المرض راى جماعة ترك الحيلة فى ازالتها اذرا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم **بيان** الرد على من قال ان ترك التداوى افضل بكل حال فلو قال قائل انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال له فينبغى ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ان ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان تلدغه العقرب والحية فلا يحميها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاى فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغى ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة رضى الله عنهم اجمعين فى قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقى بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة اخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فتكون كمن قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فوجموا الى عمر فسألوه عن راية فقال ترجع ولا تدخل على الوباء فقال له المخالفون فى راى افر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال ارايتم لو كان لاحدكم وعثم وله شعبان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة

رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما اصبح جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك
فقال عندي فيه يا امير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فسر عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى
اذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل
فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء واظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم كره ذلك
فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير منهي عنه اذ الحمية والفصد فرار من المضر وترك التوكل في امثال هذا مباح وهذا لا يدل على المقصود
ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى ان الهواء لا يضر من حيث انه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة
ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص
غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا
للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانضافة اليه امر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين
اقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقد والمتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرة تعهد انفسهم
فيكون في ذلك سعي في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظرا ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لوتلن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا ولكن الخروج
قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر
اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لو يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم لو لم يرد
بالبلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول وهنا لاجل الاحاد ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض
للضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين وبهذا اشبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب على المسلمين
وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده اكثر ما يسمعه وغلط العباد والزهاد في مثل
هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك فان قلت فهلا ترك التداوي فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى
ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على
ما اودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحالة تمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله
عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة
الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي ان تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند
وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لو تضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال
نقص والرغبة عن المال كراهيته له وان كانت كمالا فهي ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب اكمل من
الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى
قوتهم لاشتغالهم على نفوسهم من امساكه فانه كان اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده
مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما لمس الحاجة مع
انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر لا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهى
عنه من حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المؤمنين لا يرى
الدواء نافعا بنفسه بل من حيث ان جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا لكن التداوي في مقصوده كحكم الكسب فانه
ان الكسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان له حكمها وان الكسب للتنعم المباح فله حكم فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك
التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي قد يكون افضل في بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات
وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك يقدح في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين بيان
حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضى بحكم الله و

الصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة **الاول** ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى **الثاني** ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا احمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى **الثالث** ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف انت قال لبشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلدا على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والصرامة وتادب فيه بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم اياه حيث مرض علي كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله تعالى العافية فهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السوال عن الفقر الا بضرورة وبصير الاظهار شكاية بقرينة التسخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى فان خلا عن قرينة التسخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يؤدي الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدواء افضل من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من ثبت لو يصبر وقيل في معنى قوله صبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفزعت لشكواي الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا لا يكتب على المريض انينه في مرضه كانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس لعنه الله من ايوب عليه السلام الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظروا ما يقول العواده فان حمد الله واثنى بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك نكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم فضيل بن عياض ووهيب بن الورد وبشر بن الحارث وكان فضيل يقول اشتهي ان امراض بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد رضي الله عنه وعنهم اجمعين كمل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والانس والرضى

كتاب المحبة والشوق والانس والرضى وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى زخرف الدنيا ونضرته وصفى اسرارهم من ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعلوم على بساط عزته ثم تجلى لهم باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال عشيها من الدهش ما اعجز في وجه العقل وبصيرته وكلما مالت بالانصراف اليسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الاليس عن نيل الحق بجهله وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول عرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى اله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته وسلم تسليما كثيرا: اما بعد فان المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والدرجة العليا من الدرجات ثم ما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضى واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان لها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى
ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضى وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة
المعاصي لا ينافي قضاه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذا جميع بيانات هذا الكتاب **بيان** شواهد الشرع
في حب العبد لله تعالى اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة
والطاعة تتبع الحب وثمرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله
تعالى والذين امنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار
كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث اخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الآية وانما الجرى ذلك في معرض التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا
لما يغذوكم به من نعمة واحبوني لحب الله اياي ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد
للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا
الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين ابويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابراهيم
عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت
الآن فاقبض وهذا لا يجد الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يسكن اليه وقد قال نبينا
صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال الرسول
الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من
خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا
تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف ليشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى عليه السلام
مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى
ثلاثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة
آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرآة من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الحب لله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون
انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال
تدعى الامم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم يتادون يا اولياء الله هلموا
الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه نظر
الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو جيده في الدنيا وبروح في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف برضوانه
ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبيد هش العقول فكيف وده وودة يتسنى مادونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب
فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال ذرة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك
مشغول ببثانك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك واملكتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا او توبة وزهدا وشوقا او
رضى وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقربك ولما طرحتني بابي ولاح طائلي فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا
وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة الا ان محبك وكل محب لحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد
ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به **بيان** حقيقة المحبة
واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر
بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان تحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور
ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انفسها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه ويناقره

ويؤلموا الى ملا يؤثر فيه بايلام والالذاذ فكل ما فى ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما فى ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن
استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع ميلا اليه ومعنى كونه
مبغوضا ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن
المؤلم المتعب فاذا قوى سمى مقتا هذا اصل فى حقيقة معنى الحب لابد من معرفته **الاصل الثانى** ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة
انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة فى بعض المدركات وللطبع بسبب
تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين فى الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة و
لذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم فى الروائح الطيبة ولذة الذوق فى الطعوم ولذة اللمس فى اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات
بالحواس ملذة كانت محبوبة اى كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل
قرة عينى فى الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم و
الذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مطلعة القلب لا يدركه الا
من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يحب
بالحواس ولا يتمثل فى الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذى يعبر عنه تارة بالعقل وبالنهى واوبالقلب
او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعانى
المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التى تجل عن ان تدركها
الحواس اقوى وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة كما سيأتى تفصيله فلا ينكر اذا
حب الله تعالى الا من قعد به القصور فى درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا **الاصل الثالث** ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه
ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب
الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اسباب المحبة واقسامها وبيانه
ان المحبوب الاول عند كل حى نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان فى طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع
هو الملائم للمحب واى شئ اتم ملائمة من نفسه ودوام وجوده واى شئ اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان
دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير توقع
ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض لا لمقاساة الم فى الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء
فان احب العدم لو حيبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب كما ان دوام الوجود محبوب
فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى الفاقد والمفقود وهو هلاك بالنسبة
اليه والهلاك والعدم ممقوت فى الصفات وكمال الوجود كما انه ممقوت فى اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود
محبوب وهذه غريزة فى الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله
وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا
آلة فى دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه فى دوام الوجود وكماله بها حتى انه
ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه فى الوجود بعد عدمه فيكون فى بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء
نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن التطرق فى بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله
اثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه
فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا لاجلهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب
بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب السبب الثانى
الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل لفاجر على يدا فيحمد قلبى اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرارى لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها ولهذا السبب

قد يحب الانسان الاجنبى الذى لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امدّ بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول اللحظ التى بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان لاعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهى عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذى يكون سببا فى دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذى هو سبب الصحة اذا الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سببا للعلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال لزال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه **السبب الثالث** ان يحب الشئ لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجارى والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملاذ وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال **السبب الرابع** فى بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحسوس فى مضيق الخيالات والمحسوسات بما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حس الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا متشكلا ولا ملونا متقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن فى ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فاى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا فى الصور ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شئ من المدركات الا وهى منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شئ فجماله وحسنه فى ان يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو فى غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كرو فر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شئ كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شئ فى كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به السوط ولا يحسن الا وانى بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت هذه الاشياء وان لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهى محسوسات ولا ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك فى غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود فى غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآثر ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعى وابى حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى امامه ومتبوعه فكم من دم أريق فى نصرة ارباب المذاهب وليت شعرى من يحب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم تستحسن صورته فاستحسانه الذى حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما

يحب لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان المحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير ينشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس الجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي الخلي وطبعه اذا رأنا ان نحب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لو يكن لنا سبيل الى ذلك الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم تمالك في نفسه ولو يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض ابي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل بما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد الديار وتنائي الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نفسا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة **السبب الخامس** المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب ذرب شخصين تناكد المحبة بينهما لا لسبب جمال او حظ ولكن لمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذا ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب موجب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الغلو ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال الخمس بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فتبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى **بيان** ان المستحق للمحبة هو الله وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره الا احادها والفاها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي الا يحب احد غير الله تعالى فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لها لاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجوده ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله والى الله وبالله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم

صرف ولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده ولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود ولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شئ له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده وللدليل له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المتعلق بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذ انكشف لارباب القلوب الكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام المكيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا ينبغي ان يطلب فيها الحقائق فاذا كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن يبقوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجوهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فانما اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر نظره على شهواته المحسوسة وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطأ ارضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم واما السبب الثاني وهو حبه من احسن اليه قواما ونماء بماله ولطفه بكلامه ومدده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فليست اعدها اذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الان على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنعرض ذلك فمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها للتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه بربه وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حبب اليك صرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا خلق ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسلط عليه الله واعي الباعثة المرتبة الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا واشكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله لا لغرض له في البذل اما اجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستبخار والثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذا لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصودا بل يد ك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والشكر او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا المحسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك اصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الداعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الداعي عليه والقى في نفسه ان خطه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله لحظ هو اوفى عنده واحب مما بذله فكالبائع محسنا لانه بذل لعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب والحمد والثناء او عوضا اخر وليس من شرط العوض ان يكون ثمنا متموّلا بل الحظوظ كلها اعواض تستحق بالاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي انعم على العباد احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غير محال ومتنع

امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المتفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى
اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل يعني الاحسان وحقيقته واما السبب الثالث
وهو حب المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانك اذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس
متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك
فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك ايس من خير الاول وامن من شر الثاني
لانقطاع طمعك عن التوغل في بلادهما فهذا احب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي
ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافر والمتفضل على جميع اصناف الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم
بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورات
ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد
ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استواء الحاجبين وحمرة الشفتين وتلوز العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تحتج به حاجة
ولا ضرورة ومثال الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال للمزايا والزوائد خضرة
الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تحتاج بعدها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل
حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غير محسن وذلك المحسن حسنة
من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب لهذه العلة لغيره ايضا جهل محض ومن عرف ذلك
لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان في ذلك محبوبا في
الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصور الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه
الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب والابصار كهم فيمن لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محجوب عنه مدرك
الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محجوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حجب الانبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق الرضية
فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدل الحس آثاره الصادرة
منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله تعالى عنه او الشافعي
رحمة الله عليه فلا يحبهم لا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل لدل حسن افعالهم على حسن الصفات التي
هي مصدر الافعال اذ الافعال انما تصادر عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء
انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم اشرف وانور جلالا وعظمة
كان العلم اشرف واجل وكذا المقدور كلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تعالى فلا
اجرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقارب ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحجبهم القلوب
طبعا ترجع الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله
بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وعلى هذا يحب الانبياء
والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فالنسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والآخرين من علم
الله تعالى الذي يحيط بالكل لحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل وما
اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او تعوضته لم يطلعوا على عشر عشير ذلك
ولا يحيطوا بشئ من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم
وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه
بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب لسبب العلم الا الجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا خلو عن علم ما يقتضاه معيشته
والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلائق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلائق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية
يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته

لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية **واما صفة القدرة** فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليستمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا لمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فاذن نوع كمال فانتسب الآن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عدد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات والارض وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والمتمكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مذللة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يتحلى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل ان يحب عبد من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول لاحد ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف الف مرة لم يعي بخلقها ولا يتيسر لغوب ولا فتور في اختراعها فلا قدرة ولا اقدار الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قدر الكمال قدرته فلا يستحق بكمال القدرة سواه اصلا **واما صفة التنزه** عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في البواطن والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه الله وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المتنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقدس والتنزه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا لكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد منه نقصانا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل المحبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضته وقدرته اعناق الجبابرة ولا يتفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الاول الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المتفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم اجمعين لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضي الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا أ ينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من ادركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان بغيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب لهذه الاسباب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان ودادا ووداء الى من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقال لو اخلاف الناس

ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا فاختتم ومخلوقا رجوتم ومع قوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم أمرت
ان اقيم وقال ابو حازم انى لاستحيى ان اعبد الله لثواب والعقاب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفى الخبر لا يكون احدكم كالاجير السوء ان لم
يعط اجره لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشئ منجذب اليه والشكل الى الشكل
اميل ولذلك ترى الصبى يألف الصبى والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس التجار
بالتجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا مما تشهد له التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه فى باب الاخوة فى الله من كتاب آداب الصحبة
فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون فى معنى ظاهر كمناسبة الصبى الصبى فى معنى الصبى وقد يكون خفيا حتى لا يطلع
عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال او طمع فى مال او غيره كما اشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضى حب الله تعالى
لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة فى الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت
غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى امر فيها بالاقتداء
والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك فى الكتاب محامد الصفات التى هى من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان
واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله
سبحانه لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الادمى فهى التى يومى اليها
قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى اذ بين انه امر ربانى خارج عن حد عقول الخلق واوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحى وله ذلك اسجدوا له ملائكته ويشير اليه قوله تعالى انا جاعلك خليفة فى الارض اذ لو لم يستحق آدم خلافة الله تعالى لابتلاك المناسبة والبيرقى
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا وتعالى
الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا والية الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يا رب وكيف ذلك قال مرض
عبدى فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتنى عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال
العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وهذا موضع يجب فيه ضن
القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه ظاهرا والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال
بعضهم انا الحق وضل النصارى فى عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به واما
الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسن النورى عن هذا
المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد فى قول القائل شعر لما نزلت انزل من ودادك منزلا : تحير الالباب عند نزوله : فلم يزل يعدو فى وجد على اجنحة قصب
قد قطع قصبها وبقى اصولها حتى تشققت قدماه وتورمتا ومات من ذلك وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا
فهذه هى المعلومة من اسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى اعلى الدرجات لا فى ادناها فكان المعقول للقبول
عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما ان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور
ان يحب غيره لمشاركته اياه فى السبب والشركة تنقصان فى الحب وعض من كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد
فيمكن ان يوجد كما الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التى هى نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فى ذلك وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك فيه كما
فلا جرم لا يكون فى حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يسأم
فيه اصلا **بيان** ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى لا من جرم هذه
اللذة اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها فى نيلها المقتضى طبعها الذى
له فان هذه الغرائز ما ركبت فى الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفى و
الانتقام فلا جرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها وغريزة الشهوة خلقت لتحصيل الاطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام فلا جرم لذتها فى
نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم
ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك فى القلب غريزة تسمى النور الالهى لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى

العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامى فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان
الاختلاف واقع فى المعانى لان الضعيف يطلب المعانى من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفته بها يدرك المعانى التى ليست
متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم او افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ونسمى تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ
العقل ما يدرك بطرق الجدلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل لهذا ولهذا ذم بعض الصوفية والا فالصفة التى فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفة
الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغى ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهى لذتها كما ان مقتضى طبع سائر
الغرائز هو لذتها وليس يخفى ان فى العلم والمعرفة لذة حتى ان الذى ينسب الى العلم والمعرفة ولو فى شئ خسيس يفرح به والذى ينسب الى الجهل ولو فى شئ حقير يغتم
به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدث بالعلم والتمدح به فى الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن
التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال و
لذلك يرتاح الطبع اذا اثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال حلمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم بالجزائر
والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض
بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذى يعلم بواطن احوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وان جهله تقاضاه طبعه
ان يفحص عنه فان علم بواطن احوال دنيس البلد واسرار تدبيره فى رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حائك فان اطلع على اسرار
الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه فى امور الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك والسلطان الذى هو
المستولى على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن اسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه اشد وحبله اكثر لان
لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها واشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان فى المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم
فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعرى هل فى الوجود شئ اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها
ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومربيها وهل يتصور ان يكون حضرة فى الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربانية التى لا يحيط
بمبادى جلالها وعجائب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك فى ذلك فلا ينبغى ان تشك فى ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتب الامور
الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف بكمالها
وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره فى مملكته
من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغى ان يعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعنى لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات
مختلفة بالنوع او لا لمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهى مختلفة بالضعف والقوة لمخالفة لذة الشبق المعتلم من الجماع بالاضافة
الى لذة الفاتر الشهوة ولمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الفائق للجمال بالاضافة الى ما دونه فى الجمال وانما تعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير
بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها الذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا
حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة فى الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق
فى الكشف عن ترجيح اللذات فنقول وبقول الله تنقسم اللذات الظاهرة كلذات الحواس الخمس الى الباطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست
هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعانى الباطنة اغلب على ذوى الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة
الهريسة واللجاج السمين اللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان الخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة لختار اللحم والحلاوة
وان كان على الهمة كامل العقل لختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل على انها الذ عنده من
المطعومات الطيبة نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبى او كالذى مانت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على
لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبى والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر
الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التى هى اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال لا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وانا اعلم
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر
وينغمس فى بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرونهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا باللكدورات التى لا يتصور
الخلو عنها وكونه مقطوعا بفوت الذى لا بد من ابانته مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة

اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات منسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو امن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع افطار ملكوت السموات والارض صيد العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حجاب الى ان يترك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم ولهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوس هالك والمتوهم تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فما معنى كون معرفة الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم النفنج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا الرائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فما من طال فكره في معرفة الله سبحانه ولقد تنكشف له من اسرار ملك الله ولو الشئ اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدلك الا بالذوق والحكايات فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه ألذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخي له اخبرني يا ابا محفوظ اي شئ هاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فنسكت فقال ذكر الموت فقال واي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شئ القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيدك ان اصبت انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشعوفا بطلب الرب تعالى فقدا لهاه ذلك عما سواه وراى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الورّاق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق قال رايتني في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال فدخلت وزحمتها الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت للرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباح النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الحارث بن بشر بن الحارث واحمد بن حنبل لذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما

اشعار

احبك حبين حب الهوى ٭ وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى ٭ فشغلي بذكرك عمن سواكا
واما الذي انت اهل له ٭ فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ٭ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها اردت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بالحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجلاله الذي انكشف لها وهو على الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الحاكي عن ربه تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم

انى لا اقول يا رب يا الله فاجد ذلك على قلبى اثقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رايت جليسا ينادى جليسه وقال اذا بلغ الرجل
فى هذا العلم الغاية رضاه الخلق بالحجارة اى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهى قوة
العين التى لا تعلم نفس ما اخفى لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب بسيطة فرقا بنعيمها فتوانقى فى المنار لو حسن بها استغراقا
ولو عرض عليه نعيم الجنة لو يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية وليت شعرى من لم يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر
الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل واى معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره اذا عظم النعم بالى من عرف الله عرف ان اللذات المتفرقة بالشهوات
المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال بعضهم **شعر** كانت لقلبى اهواء مفرقة ٭ فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى ٭ فصار يحسدنى
من كنت احسده ٭ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى ٭ تركت للناس دنياهم ودينهم ٭ شغلا بذكرك يا دينى ودنياى ٭ ولذلك قال
بعضهم **شعر** وهجره اعظم من ناره ٭ ووصله اطيب من جنته ٭ وما اراد وا بهذا الا ايثار لذة القلب فى معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب و
النكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته فى لقاء الله فقط ومثال اطوار الخلق فى لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبى فى اول حركته وتمييزه
يظهر فيه عزيزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون فى تلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها
لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها فى الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهى اخر لذات الدنيا
واعلاها واقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الاية ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة
الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب فى سن التمييز وحب النساء والزينة فى سن البلوغ
وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهى الغاية العليا وكما ان الصبى يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب
الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف
تعلمون **بيان** السبب فى زيادة لذة النظر فى الاخرة على المعرفة فى الدنيا اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل فى الخيال كالصور المتخيلة والاجسام
الملونة والمتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل فى الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى
انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة فى خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى استلاف بين الصورتين
لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئى صارت بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص
يرى فى وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرؤى عند تمام الضوء فانه لا تفارق احدى الحالتين الاخرى الا فى مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول
الادراك والرؤية هو الاستكمال الادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف الا انه فى العين بل لو خلق الله هذا الادراك
الكامل المكشوف فى الجبهة او الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا فى المتخيلات فاعلم ان المعلومات التى لا تتشكل ايضا فى الخيال لمعرفتها
وادراكها درجتان احداهما اولى والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت فى مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئى فيسمى الثانى
ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان
تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئى ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وسالو ترتفع كان الادراك الحاصل
مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها
لا تنتهى الى المشاهدة واللقاء فى المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول
فى سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام لن ترانى وقال تعالى لا تدركه الابصار اى فى الدنيا والصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما راى الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت
متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمراة التى فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون
عن ربهم ابد الآباد نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع
منه الخبث الذى هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها فى حق المؤمنين كما وردت به الاخبار
سبعة الاف سنة ولن تزحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فاذا اكمل الله تطهيرها
وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه احدا

من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة
لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه
المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك
مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الاخرة كذلك بل
اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة فلا يكون بين المشاهدة في الاخرة والمعلوم في الدنيا
اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات شيء وجهة فلا يكون في استكمال
تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها لا تفترق منها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي
المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف
ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا
ومن لا نواة في ارضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الاخرة ولما كانت
المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى
اختلاف البذور اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة
فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره
ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة يتجلى انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة
العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا فكذلك يكون
في الاخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا
من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر ما الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل الرابعة
ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت ان ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الاخرة
وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الاخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الاخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد الا ما زرع ولا يشتهي
المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا انه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء
فتضاعف اللذة بركما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل
احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتاذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى
بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان
كان اضعافها فالان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا
الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا
فكيف يدرك لذتها فالعارفون في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة
الجنة تؤهذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح
الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق
في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق
فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر
رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة للضاجعة مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد والرابع اندفاع
العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور او المريض المتالم او المشغول
قلبه بهم من المهمات فقد ذهب عاشق ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع الانكشاف كنه صورته في حالة
اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة اخرى
بها الستر واشرق بها الضوء واندفع عنه الموءذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر

ل غبرة وكدورة من غبار
ونحوها فترهقها سواد وظلمة
ل ومن لم يتجل له في الدنيا
لم يتجل له في الاخرة
ل بصدره

كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الوجع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال قصور النفس فى الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملاء الاعلى وانقطاعها الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبى عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت فى الدنيا معرفته فما يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق فى بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة فى هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال فى المعرفة فان المعرفة كالبذر ولجر المعرفة لا ساحل له فلا احاطة بكنه جلال الله محال فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وافعاله وباسرار ملكته وقويت كثر النعيم فى الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا فى الدنيا ولا يزرع الا فى صعيد القلب ولا حصاد الا فى الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر فى طاعة الله لان المعرفة انما تحمل وتكثر وتتسع فى العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعى ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لانه رأى نفسه واقفا فى المعرفة بالغا الى منتهى ما يتيسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما يختاره فوته لو مات فهذا سبب كراهة الموت وجهه عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما لو لم تكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين فى الآخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا فى ذلك وارباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهى رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته تحلق فى عينه او فى جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين او غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا فى حكم الجواز فاما الواقع فى الآخرة من الجائزين فلا يدلك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة واجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة فى الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة والله تعالى اعلم

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى اعلم ان اسعد الخلق حالا فى الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من مرد وام مشاهدته ابدا لا باد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى فى الدنيا واصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهى الى الاستهتار الذى يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذى لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وكمال الحب فى ان يحب الله عز وجل بكل قلبه ومادام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما اشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء فى الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اى لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى ارأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض الاله عبد فى الارض الهوى ولذلك قال عليه السلام من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها ما تقطعه من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بلا من ابد لا باد فاحد اسباب ضعف حب الله فى القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فقدر ما الذى

بالدنيا ينقص انسه بالله ولا يؤثر احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الاخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا وينبعد بالضرورة
من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب قد انكشف ذلك لاذكياء والنور
انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء
فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واوله
الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار ثم ينشعب منه الخوف والرجاء وينشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم يخرج ذلك الى الزهد في الدنيا وفي
المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعد ذلك لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك مقدمات
لتطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة
المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع
البذر في الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله لها مثلا
حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب في
المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب ولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته
فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الاخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة
صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان
معتدل المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة
ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا الفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي
صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاولياء ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره و
الى الضعفاء ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شهيد وبقوله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله
تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الاية وبقوله عز وجل اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى
قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى
من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر
دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح لنا منهما ما يستعان به على
تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فموخامض والكلام فيه خارج عن حد فهم
اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فالكثرة غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن
التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من
اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا ينتهي بل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن
يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبه لجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى وهو الافعال الالهية لتعذره
فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها وللنظر في عجائبها فاقل المخلوقات هو الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك
ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر جرمها هي مثل الارض مائة وثيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض
بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى
ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير
وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاعطبة في
الارض ومصداق هذا معروف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر
الى الادمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك

اى بزيادة الجار

اصغر ما تعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر الى البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خالقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فانبت جناحه واخرج يديه ورجله وشق سمعه وبصره ودبره في باطنه من اعضاء الغذاء والآلة ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والحاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو مجرد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغوز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداده له وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب فاذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجمه وجهره وانظر الى ان حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقتها الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على آلة وام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود ليجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها متهافتة على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى للسكين ضوء السراج بالليل ظن انه ضوء نهار وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة اخرى الى ان يحترق ولعلك تظن ان هذا نقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ تلوح للادمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمي بنفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاك الموبد فليت كان جهل الادمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال فالادمي يبقى في النار ابد الآباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم هذه لمحة من عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورته فما ظنك بما معاني ذلك فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تختص لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل وعجائبها وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما شفاء والآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله تعالى لها اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها عجبا ثم العجب ان كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك لودع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها وبيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل السدس فلا ابتنى بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن درکها وهو ان اوسع الاشكال ذوات الزوايا المستديرة وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذا خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية لوجوده وما هو محتاج اليه ليتهيأ له معاشه فسبحانه ما اعظم شأنه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر لهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه والنسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به العلماء والانبياء والا فلا نسبة لما احاط به علم الخلائق كلهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه بل الى ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريق وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا لسعادة لقاء الله تعالى فابذل الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في ذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تتخلى عما لقدر يسير وتنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له **بيان** السبب في تفاوت الناس في الحب اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل المحبة لاشتراكهم

فى اصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم فى المعرفة وفى حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات
والاسماء التى قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معانى تتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل انمو
بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون
وقد ذكر الله حال الاصناف الثلاثة فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الاية واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب
لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعى مثلا يشتركون فى حب الشافعى رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون فى معرفة فضله ودينه
وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامى يعرف عنه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به اتم واعجابه به وحبه اشد فان من رأى
مصنفا فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا اخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته
بعلمه وكذلك يعتقد الرجل فى الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما اعظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر
الصناعات والفضائل والعامى قد يسمع ان فلانا مصنف واحسن التصنيف ولكن لا يدرى ما فى التصنيف فيكون له معرفة مجملا ويكون لحسبه من ذلك مجمل
والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل
والمصنف والعالم بجملة صنع الله تعالى وتصنيفه والعامى يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى فى البعوض
مثلا من عجائب صنعه ما يبهر عقله ويحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته فى قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد علما
بعجائب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبجوهره المعرفة اعنى معرفة عجائب صنع الله
تعالى بحرا لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة فى الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التى ذكرناها للحب فان من يحب الله
مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولو يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه فى حالة البلاء كحبه فى حالة الرضى والنعماء واما من
يحبه لذاته لانه مستحق للحب لسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس فى المحبة
والتفاوت فى المحبة هو السبب للتفاوت فى سعادة الاخرة ولذلك قال تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا **بيان** السبب فى قصور افهام
الخلق عن معرفة الله سبحانه اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى
الافهام واسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال
وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب او يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة
والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه
كمقدار طوله واختلاف لونه بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلى عندنا من غير ان يتعلق حس البصير
بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو
نظرنا الى كل ما فى العالم سواه لم نعرف به صفة فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلى واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته
يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار
وهواء وجوهر وعرض بل اقل شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا فى حركاتنا وسكناتنا واظهر
الاشياء فى علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد
ودليل واحد وجميع ما فى العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته و
الموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما احسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر
عندنا ما لا يتصور فى الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادى بلسان حالها ان لها موجدا
بنفسها ولا حركتها بذاتها وانما تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا و
منابت شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لو تألفت بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لو تحركت بنفسها ولكن لما
لم يليق فى الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه
فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه فى نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والاخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش
يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت فتكون

لعله لفظ سبب كرر خطأ
لعله فى ذكر فروح وريحان بالنعيم
كذا بالاصل ولعله بالجنة
الشمس من الاعمى

قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيئا الا اذا مزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة و
جمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لو لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض
لصار ظهوره سببا لخفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا تتعجب من اختفاء ذلك لسبب الظهور
فان الاشياء تستبان باضدادها وبما عم وجوده حتى انه لا ضد له عز ادراكه فلو اختلفت الاشياء قل بعضها دون بعض ادركت التفرقة
على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض
ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما
فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة
بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه
لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك
سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره لسبب ظهوره لو اطردان ضده فالله تعالى هو الظاهر الامور به
ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لاهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادراك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان
بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في
الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف بنيته فانه في حال اعتدال
امره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من اثاره قد تفنى تابعته فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود الواحد
الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حالته فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان وشجر
بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان وخطه وتصنيفه ورأى غير الشاعر والكاتب والمصنف و
رأى اثاره من حيث انه اثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث
انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى
الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه والية الاشارة بقول من قال كلانا
ففينا عنا فبقينا بلا انا ففهم هذه امور معلومة عند ذوي البصائر واشكلت لضعف الافهام عن درکها وقصور قدرة العلماء بما عن ايضاحها وبيانها بعبارة
مفهمة موصلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله
تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبي عند فقد العقل فم تبد وفيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مشغول
الهم بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والقها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس فلذلك اذا راى على سبيل الفجاءة حيوانا غريبا او نباتا
غريبا او فعلا من افعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انظلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات
المألوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض لكمه بلغ حاقلا ثم انفتحت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار
والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاءة لحيف على عقله ان يبهر لعظم تعجبه من مشاهدة هذه العجائب لخالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الافهام
في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالدهوش الذي يبصر
بالمثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليتحقق ولذلك قيل **شعر** لقد
ظهرت فما تخفى على احد ... الا على اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى
وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والآثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل
محبوب يشتاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى نيل امر والموجود لا يطلب ولكن بيانا ان الشوق
لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه
وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مدادا وما للناظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما
ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى

استكمال خيالية الرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق اليه في وقت الرؤية فمعنى شوق
تشوق نفسه الى استكمال خياله فذلك قد يراه في خلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء
عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق الى رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن
الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران
في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اقتضى للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق
فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات لا تفترق في هذا العالم عن التمثل والمحاكاة بجميع المعلومات وهي مكدرات
للعارفين ومنغصات وكذلك يضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الاخرة وذلك بالضرورة
يوجب الشوق فان منتهى محبوب العارفين فهذا احد دواعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اقتضى اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما
ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلوم
اكثر مما حضر فلا يزال يبقى له مشوقا مشتاقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة
غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابراهيم يناديهم من
المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي الفلق قال فرأيت في
النوم انا وقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسألني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه
فقلت يا رب هبت في جنبك فلم اجد مما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك
فان هذا الشوق يسكن في الاخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الاخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الاخرة من
جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لو
انكشف له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة لانه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا
لذيذا لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابدا لا باد وتكون لذة ما يتجدد
من الطاف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان
ذلك غير مبذول فيكون النعيم وافيا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور مما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد به اتمام النور في عين ما استناروا
في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم يزداد في الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا بالرجم انظنون محظور ولو ينكشف لنا
فيه بعد ما يوثق به فنسأل الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من الطامح البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه واما
شواهد الاخبار والآثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسألك الرضى بعد القضاء وبردا
العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص اية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى
طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وفي كتاب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني وموانس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد علم ذلك يقينا من قلبه الا
قبلته لنفسي واحببته حبا لا يقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها
وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وآنسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت جنة عدن لمن اجباءي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد
صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي
يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان حدت
عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى
وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي

وجوههم وناجوني بكلامي وتلقوا الي بانعامي فبين صارخ وبالٍ وبين متاوهٍ وشاكٍ وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون
من اجلي وبسمعي ما يشتكون من جهتي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات
والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار
داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان
المشتاقين الي كالذين صفيتهم من كل كدر ونبذتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي والي لاجل قلوبهم بيدي فاضعها على سماءي فواد هو نجباء
ملائكتي فاذا اجتمعوا سجد والي فاقول الى لواد حكم لتسجد والي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الى فان قلوبهم
لتضيء في سماءي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت
ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل
لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا اتيتهم فاقرأهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم
الا تسألون حاجة فانكم احباءي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون
في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال لهم داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا
اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسألون حاجة الا نادوني اسمع صوتكم وكلامكم
فانكم احباءي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم
فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من اعمارنا وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن
عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افتجترئ على الدجاء وقد
علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فاقدم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه
بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك فيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبنا الدنو من
نورك وقال الاخر كلتنا السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة مننك على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك
وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ العبد على سيده
اذا مرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات بين اطباق السموات وقال الاخر ندعوك ان تقبل علينا وتديم عندنا وقال الاخر نسألك
تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الاخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الاخر اسالك من بينهم
ان تلهي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالاخرة وقال الاخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال
القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخل لنفسه
سرورا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بوأنا لواهذا منك قال فحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات
بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا ينالة الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه
وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي لنظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض
الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش اروبته واذيقه طعم ذكري فانما فعلت ذلك به يا داود صمت نفسه عن الدنيا واهلها ولم اخيبها اليلا يفتر عن الاشتغال
بي ليستحلني القدوم وانا اكره ان امنعه لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد اذابت نفسه وقطعت جسمه وتشتت
اعضاؤه وانخلع قلبا اذا سمع بذكري لابا هي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لا تعذبه في الفردوس الاشفين صدره
من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضى وفي اخبار داود ايضا قال لعبادي المتوجهين الي محبتي ما ضركم اذا اجتمعت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى
تنظروا الى بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ودي لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي اخبار داود ايضا ان
الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبي مخالصة وخالط
اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلد ديني ولا تقلد دينك الرجال امامك استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلد ديني حتى على الي
اسارع الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطياك من غير ان تسألني واعينك على الشدائد واني قد حلفت على نفسي الا اثيب عبدا ان
الا عبدا قد عرفت من طلبته واردت لقاءه كنته بين يدي وانا لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فان

قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها واضف اليها اضعف الاشياء الى الا تضاد عملك فتكون متعنتا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تحدث لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد لزيادة مني حدا تر اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم واراد تهم عني انخ لهم ملاعين بارات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي بصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في راسك الى الذين حجبت قلوبهم وعقولهم عني فاقر جوهها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا افتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تتعلم منه ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لا تخرج مريدا من سكرة هو فيها لتستقذره فاكنبك عندي جهبذا ومن كتبته عندي جهبذا لا تكون عليه وحشة ولا افاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤنس بعبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعف خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لو ارض المدنيا ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك حالما يحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه يا داود تحببت الى بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك فرحا انما اداريك مداراة لتقوى على توالي اذا منحت عليك به والي احسن عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني واحسن ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي اذا رجع الي هذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معناها فينكشف بما سبق **بيان** محبة الله للعبد ومعناها اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وتلى ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما محب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظير اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق لاحدهما ان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه وهذا التباعد في سائر الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الموافق ملائم وهذا انما يتصور في نفس فاقتضاؤها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق الالهية فهو حاصل وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وافعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يحب زوجته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة

بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ فى حبه لعباده فهو مأوّل ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الازل فحبه لمن احبه ازلى مهما اضيف الى الارادة الازلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق هذا القرب واذا اضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له فى كل وقت فى حضور بساط ميل الملك اليه لما ينصره بقوته او ليسترح حبشا هديته او ليستشيره فى رايه او ليهيئ اسباب طعامه وشرابه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق للائق له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستئناس ولكن ليكون العبد فى نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق بان يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثانى لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثانى بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله فى البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بكارم الاخلاق التى هى الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال فى حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال فى نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه فى ازل الازال ولا ينكشف هذا الامثال فى القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير فى احدهما من غير تغير فى الاخر بل القرب فى الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه فى كمال العلم وجماله والاستاذ واقف فى كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ان يقارع العلم فلا يزال دائما فى التغير والترقى الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغى ان يفهم ترقى العبد فى درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واوسع علما واحاط بحقائق الامور واثبت قوة فى قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك فى حق الله محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد فى درجات الكمال متناه ولا ينتهى الا الى حد محدود فلا مطمع فى المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله للعبد تقربه من نفسه بازالة الشواغل المعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كما يرى بقلبه واما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت فمحبة الله للعبد امر ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله فالقول يستدل عليه بعلامات وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشترى حمارا فتركبه فقال انا اعز على الله تعالى من ان يشغلنى عن نفسه بحمار وفى الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال بعض العلماء اذا اراد الله تحببه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشئ من المحبة فقال يا بنى هل ابتلاك بمحبوب سواه فاتزت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع فى المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه وقد قال اذا اراد الله بعبد خيرا بصّره بعيوب نفسه فاخص علامات حب الله فانى ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهرا وباطنا وسرا وجهرا فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته هذا وامثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله فانها ايضا علامات حب الله للعبد **القول** فى علامات محبة العبد لله تعالى اعلم ان المحبة يدّعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغى ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس بما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت فى قلب المحب وفرعها فى السماء وثمارها تظهر فى القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهى كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة فى دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغى ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الوصول

الى الشاهدة قال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف
ما من خصلة احب الى الانسان تكون فى العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق فى
القتل فى سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل فى سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا
وقال عز وجل يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفى وصية ابى بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مرئ والباطل خفيف وهو
مع خفته وبئ فان حفظت وصيتى لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتى لم يكن غائب ابغض اليك من
الموت ولن تعجزه ويروى عن اسحاق بن سعد بن ابى وقاص قال حدثنى ابى ان عبد الله بن جحش قال لية يوم احد الا ندعو الله فخلوا فى ناحية فدعا عبد الله
ابن جحش فقال يا رب انى اقسمت عليك اذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديدا باسا شديدا احرده فاقاتله فيك ويقاتلنى ثم يأخذنى فيجدع انفى
واذنى ويبقر بطنى فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك يا رب وفى رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد
رأيته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان فى خيط وقال سعيد بن المسيب الجوان يبر الله اخر قسم كما ابر اوله وقد كان الثورى وبشر الحافى يقولان
لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه وقال البوبطى لبعض الزهاد تحب الموت فكاد توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته
وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به
لان الرضى بقضاء الله تعالى افضل من طلب الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله فاقول كراهة الموت قد تكون
بحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافى كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان
يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون فى الحب ويدل على التفاوت ما روى ان ابا حذيفة بن
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما تزوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله
لقد انكحته اياها وانا لا علم انه خير منها فكان قوله ذلك اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهى اخت ملك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحب ويحب ايضا
غيره فلا حرم يكون تنعمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراقه لديا عند الموت على قدر حبه لها **واما السبب**
الثانى للكراهة فهو ان يكون العبد فى ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلة قبل ان يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على
ضعف الحب وهو كالمحب الذى وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فلحب ان يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ
القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة لهذا السبب لا تنافى كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب فى العمل واستغراق الهم فى الاستعداد
ومنها ان يكون موثرا ما احب الله تعالى على ما يحبه فى ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن عتة الكسل ولا يزال مواظبا
على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب فى قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالايثار فقال
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن بقى مستمرا على متابعة الهوى
فمحبوبه ما يهواه بل يترك الحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل **شعر** اريد وصاله ويريد هجرى ٭ فاترك ما اريد لما يريد ٭ بل الحب اذا غلب
قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى ان زليخا لما امنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت
الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتذاقعد الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرف
فاما اذا عرفت فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرنى بذلك واخبرنى انه مخرج منك ولدين وجاعلهما
نبيين فقالت ما اذا كان الله تعالى امرك بذلك وجعلنى طريقا اليه فطاعة الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذا من احب الله لا يعصيه
لذلك قال ابن المبارك فيه **شعر** تعصى الاله وانت تظهر حبه ٭ هذا العمرى فى الفعال بديع ٭ لو كان حبك صادقا لاطعته ٭ ان المحب لمن
يحب مطيع ٭ وفى هذا المعنى قيل ايضا **شعر** واترك ما اهوى لما قد هويته ٭ فارضى بما ترضى وان سخطت نفسى ٭ وقال سهل رحمه الله تعالى
علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهى وهو كما قال لان محبة الله تعالى
سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا احب الله تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذلها الله ولا يكله الى
هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول
انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه

ل لعل الموت حبيب جاء على فاقة

ل الى مجاهدة

ل والشهادة

ل الصفة

ل عليه

ل نبيا

ل وبيعة

ل بكل نفسه

ل ان

ل بالضم

ل وفى

ل او ملكت

لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى ان نعمان كان يوتى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى كل قليل فيجده فى معصية يركبها الى أن أتى به يوما فجده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يوتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر
القلب احب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احب الحب البالغ وترك المعاصى وبالجملة فى دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل الى اقيل
لك المحب لله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم
اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا فى جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله
تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيأ اكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه
وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف
بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة فى الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل
على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع خلق الله لانهم خلقه فليف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا فى
كتاب آداب الالفة والصحبة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم
به من نعمه واحبونى لله تعالى وقال سفيان من احب من يحب الله تعالى فانما احب الله ومن اكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض
المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فى سر الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتنى فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت
قائلا يقول فى المنام ان كنت تزعم انك تحبنى فلم جفوت كتابى اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابى قال فانتبهت وقد اشرب فى قلبى محبة القرآن فعادت
الى حالى وقال ابن مسعود لا ينبغى ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله
وقال سهل رحمه الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها
ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق واقل درجات الحب
التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث اثقل عنده واطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن ادهم وقد
نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله وفى اخبار داود عليه السلام لا تستانس الى احد من خلقى فانى انما اقطع عنى رجلين رجلا استبطأ توانى فانقطع
ورجلا نسيتنى فرضى بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعم فى الدنيا حيران وهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا
عن درجة محبته وفى قصته برخ وهو العبد الاسود الذى استسقى ابا موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ان برخا نعم العبد هو لكنه الآن
فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فليسكن اليه ومن احبنى لم يسكن الى شئ وروى ان عابدا لعبد الله تعالى فى غيضة مر طويلا فنظر الى طائر
وقد عشش فى شجرة يأوى اليها ويصفر عندها فقال لو خرجت من مسجدى الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان
قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشئ من عملك ابدا فاذا علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال
الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذى يخاطب معشوقه وبينه وبينه
وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان فى صلاته ووقع الحريق فى داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم لسبب علة اصابته وهو فى الصلاة فلم يشعر به
مما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع بها جميع الهموم بل لا يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا مالم تتكرر على سمعه مرارا
مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه والنسى فى الباطن بذكر حبيبه فاطلب من لا يطمئن الا بمحبوبه قال قتادة فى قوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قل مشت اليه واستانست به وقال الصديق رضى الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن
جميع البشر وقال معروف بن ابى بكر الحب لا يسأم من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتى اذا جنه الليل نام عنى اليس
كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبنى وقال موسى عليه السلام يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن
معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق
والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تاسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر
رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستغاثة والتوبة قال بعض العارفين ان لله عباد الجوه واطماكوا اليه فذهب عنهم التاسف على الفائت فلم يلتفتوا

على الجملة

بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب والسؤال ويقول رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيأ الا منه لم يتاسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضى وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتقى محب لله من طاعته ولو حمل بعظيم الوسائل فكل هذا وامثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهرا لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقد قيل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شئ ما كان سبب ذلك هذا في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال المحبوب ان كنت تحبني فايش تتقول على قال يا سيدي املكك ما املك ثم افق عليك روحي حتى تملكني فقلت هذا خلق بخلق وعبد لعبد فكيف يجد المحبوب فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تاخذه في الله لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبهذا وصف الله اولياءه اذ قال الذين يكظمون الغيظ كما يكظم الصبي بالشئ وياوون الى ذكره كما يأوي الفرخ الى الشجر ويكرهون ويغضبون لمحارمه كما يغضب الشجاع اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشئ لم يفارقه اصلا وان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه بغضه ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه انه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الاخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الاخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الابرار ان الابرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي هو للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علوكتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم فكذلك يكون حالهم في الاخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدأنا اول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفاقا اي وافيا للجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا ورجاؤه للنعيم الجنة والحور العين والقصور ممكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنتهي لذاته في الاخرة لانها ما يعطى كل انسان في الجنة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار ينعمون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة حاضرون بظرفهم عليها ليستحقروا نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللجالسة اقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا لهيبة العظمة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب والخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى هو سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب ذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب فرجوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله

ل هو
ن هو يهود ۱۲
س كابدت
ع كان كنح
اول ۱۲ ف
ص وزالقو
ك كردن
ض غضب كردن ۱۲
ص
ن فضل زاد
ف فضل بار بك
ص سراج
ع البعيد يفتقر
الملك ويليه ك
۱۲ مختار

صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفارة من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق
والالتفات الى غير المحبوب كما روي ان الله تعالى يقول ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد
بسبب الشهوات عقوبة للعموم فاما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي
لا يقدر على الاحتراز منه الاذو والاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على سبيل
شعر كل شئ منك مغفور رستهي الاعراض عنا ؛ قد وهبنا لك ما فات منا ؛ فاضطرب وعشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال
ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن
طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب فوته وسبب جفوته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل على المحب من حيث
لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا اراد الله المكر به استدرجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو
فيقف مع الرجاء ويفتر بحسن الظن او تغلبه الغفلة او الهوى او النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان التي كان
من اوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو كما وصاف الجبروت والعزة و
الاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة
هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملازمة الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها
فظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة
دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله
تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف
احبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى انتشر فيها ولم يكن له من الخوف
الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لو تبلت لذلك خطرات
البشرية فانما الخوف يعدله ويخففه وقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته
ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله وولهَ قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ فسأل الله الصديق ربه تعالى فقال ارب انقصه من الذرة
بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزأ من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي
سألني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سألت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه
من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر عشير معشاره وهو جزء من عشرة الاف جزء من مائة
الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكر وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف **ت** قريب الوجد ذو قرب بعيد عن الاحوال
منهم والعبيد ؛ غريب الوصف في وصف غريب ؛ كان فؤاده زبر الحديد ؛ لقد عزت معانيه وجلت ؛ عن الابصار الا للشهيد ؛ يرى الاحياء وهو الاوقات
تجري ؛ له في كل يوم الف عيد ؛ وللاحباب افراح بعيد ؛ ولا يجد السرور له بعيد ؛ وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار احوال العارفين و
ان كان ذلك لا يجوز اظهاره وهي هذه الابيات ؛ سرت بأناس في الغيوب قلوبهم ؛ فحلوا بقرب الماجد المتفضل ؛ عراصا بقرب الله في ظل قدسه ؛ تجول بها
ارواحهم وتنقل ؛ موارد هم فيها على الغر والنهى ؛ ومصدرهم عنها لما هو اكمل ؛ تروح بعز مفرد من صفاته ؛ وفي حلل التوحيد تمشى وترفل ؛ ومن بعد هذا
ما تذوق صفاته ؛ وما كتمه اولى لديه واعدل ؛ سأكتم من علمي به ما يصونه ؛ فابذل منه ما ارى الحق يبذل ؛ واعطي عباد الله منه حقوقهم ؛ وامنع منه
ما ارى المنع افضل ؛ على ان للرحمن سرا يصونه ؛ الى اهله في السر والصون اجمل ؛ وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان
يظهر ما من انكشف له شئ من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال
اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعائش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولو فتحت الالسنة والاقلام عن كنوز ما
انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب
الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى
ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للحب سكرة في حبه حتى يدل فيه

وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تحمل او اكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما يشتعل من الحب نيران فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول ٥ وقالوا تريب قلت ما انا صانع ؛ بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري ؛ فما لي منه غير ذكر بخاطري هيج نار الحب والشوق في صدري ؛ والعاجز عنه يقول ٥ يخفي فيبدي الدمع اسراره ؛ ويظهر الوجد عليه النفس ؛ ويقول ايضا ٥ ومن قلبه مع غيره كيف حاله ؛ ومن سره في جفنه كيف يكتم ؛ وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة بركانه اراد من يكثر التعريض به في كل شئ ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الوضر به فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهار ما اظهار الخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها محمود ايضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكثار وحق المحب ان يتم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب والى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما اذا اراد به اطلاع غيره فقد شرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك بر علانيته واذا صمت فادهن راسك لئلا يعلم بذلك غيرك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فاطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا اخي له مجنون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في جدهم الدائم وشوقهم الدائم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكرت اشياء من مكاشفات ايات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة يعدد جميع ما خلق الله من شئ فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده هاهنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم تشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة ما له فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فضحكت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ابيض جلدي على عظمي ولا انحل جسمي الا لحبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته ومنها الانس والرضى كما سيأتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتما لكون ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فانالوا المحبة بعظم القدرة والعدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى ثم يمتنعوا ان احبوه اذا استحى عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو زال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه لحكم الغرور والجهل فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات ويلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا لحم مع انسان قال يا دوست يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن القائل سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات المحبة ابياتا وهي هذه ٥ لا تخدعن فالحبيب دلائل ؛ ولديه من تحف الحبيب رسائل ؛ منها تنعم بمرة بلائه ؛ وسروره في كل ما هو فاعل ؛ فالمنع منه عطية مقبولة ؛ والفقر اكرام وبر عاجل ؛ ومن الدلائل ان ترى من عزمه ؛ طوع الحبيب وان اتى العاذل ؛ ومن الدلائل ان يرى متبسما ؛ والقلب فيه من الحبيب بلابل ؛ ومن الدلائل ان يرى متفهما ؛ لكلام من يحظى لديه السائل ؛ ومن الدلائل ان يرى منقشعا ؛ متحفظا من كل ما هو قائل ؛ وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله ٥ ومن الدلائل ان تراه مشمرا ؛ في خرقتين على شطوط الساحل ؛ ومن الدلائل حزنه وتفكره

حاشية: لك ان ترى زاده بجوده ... اجتهاده طلبا لما يحبيه ... وان الامر للاشتر راجع ... الى المالك ١٢

حاشية: ٥ في نسخة فيفضي ... الى الخالق ١٢ منه

جوف الظلام فماله من عاذل ؛ ومن الدلائل ان تراه مسافرا ؛ نحو الجهاد وكل فعل فاضل ؛ ومن الدلائل نهده فيما يري ؛ من جاور ذل والنعيم النائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا ؛ اَنَ قد رأه على قبيح فعائل ؛ ومن الدلائل ان تراه مسلما ؛ كل الامور الى المليك العادل ؛ ومن الدلائل ان تراه راضيا
بمليكه في كل حكم نازل ؛ ومن الدلائل ضحكه بين الورى ؛ والقلب محزون كقلب الثاكل + **بيان** معنى الانس بالله تعالى قد ذكرنا ان الانس و
الخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب
الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج
شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال
الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أُنسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم
المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب
تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال
عظم نعيمه ولذته ومن ههنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق
بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن
ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من
من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحبيب يوحشه غير
كلام المحبوب وعذوبته ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله عز وجل
لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبي مستأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بترك ما لا يعنيني والنسي من لم يزل
قال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذ لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة
راس العبادة فقلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس
بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف
اراد وا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق و
التبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور
مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين
واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه
والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنهم ان ذلك يدل
على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل
انكر على الجنيد وعلى ابي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضى وقال ليس الا الصبر فاما الرضى فغير متصور
وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين
قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن ان الجوز خشب كله ويستهيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عنده
غير مقبول وقد قيل الانس بالله لا يحويه بنان ؛ وليس يدركه بالحول محتال ؛ والانسون رجال كلهم نجب ؛ وكلهم صفوة لله تعالى **بيان** معنى
الانبساط والادلال الذي تثمره غلبة الانس اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من
الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكرا لصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في
ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يسأله
ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم
وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه
موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه
فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين لنخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه هذا

من فعالك ولا هذا من جملك وما الذي بذا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الريح عن ط عنك ام تقدما عند لغام اشتد غضبك على المذنبين
الست كنت عفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل
بالقطر وانبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف
انصفني فهم به موسى عليه السلام فاوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن قال اما ترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها
خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتى الشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقمت
على ربي عز وجل ان لا يحرقه فقال ابو موسى رضي الله عنه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة
ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقمت
على ربي عز وجل ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم على النار ان تطفأ قال فعزم عليها فطفئت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رمناق مدهوش فقال
له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال فظهر حماره في الوقت
ومر ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يعرى لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد رحمه الله اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في
خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام للغروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك محل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل
وقوم تخالجهم زهو نسبيدهم : والعبد يزهو على مقدار مولاه : تاهوا برؤيته عما سواه له : ياحسن ويتهم في عزما تاهوا : ولا تستبعد رضا
عن العبد بما يغضب به على غيره لما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت لجميع قصص القرآن تنبيهات
لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانها هي عند ذوي الاعتبار من الاسمار فاول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس اما
ترا هما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم عليه السلام
فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبده والاقبال على عبده وهما
في العدو بسبيان ولكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الاخر اما من استغنى فانت له تصدى
وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل
بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني وقوله انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس بالاطف و
يحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم القيامة
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به وقيل له فاصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل و
التفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من
المفضلين لانه سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس
واما يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احمل الاخوة يوسف ما فعلوه
بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى اخر العشرين من اخباره تعالى عن ذهابهم
فيه بنفاوار بعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والاربع فغفرلهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل
عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان اوصف من
المسرفين وكانت معصيته في الجراح فعفا عنه فقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمان عليه السلام يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى
كم يعصيني ابن خالك اصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عصفة من عصفاتي لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده
فلما دخل اصف على سليمان عليه السلام اخبره بما اوحى الله تعالى اليه فخر حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدي
انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعرفن ذا فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا اصف انت انت وانا انا

ل خضل الثرى اي اخضلا
ل اي مفعول على الاضمار
ل اي النظر فتح الفاء وكسرها
ل اي بجمع نظارة بالباء
ل اي ضمن للفقير ثوبه
ل اي ودلوه وثوبه
ل اي ثوبه
ل اي الشيخ
ل اي الشيخ الذي لا يستره
ل اي الشيخ
ل اي الشيخ
ل اي الشيخ

استقبل التوبة فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام يُدل به على هارب منه ناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تذرّ
بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دوني امة من الامم فمذ لا سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم
والتاخير على ما سبقت به المشيئة الازلية وهذه القصص اوردت في القران لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القران سي
الا وهو هدى ونور وتعرّف من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة والمرجوة
فيتلو عليهم سنته في اعدائه وفي انبيائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القران هذه
الاقسام الثلثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص
على احد هذه الاقسام الثلثة وهو التقديس وازدهار سول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القران
لان منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون نوعا حاصلا من هو نظير
وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته فان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى
قل هو الله احد وجملة تفصيل ذلك لا اله الا الله فهذه اسرار القران ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القران ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ثوروا القران والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والاخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في احاده كلمانه فكره
وصفا له فهمه حتى انتهد له بكل كلمة منه بانها كلام جبار قاهر مليك قادر وانها خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القران مغيبة في طي القصص
والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانسان
الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى اعلم **القول** في معنى الرضى بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته اعلم
ان الرضى ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن
علمه الله تعالى التاويل وفهمه وفقهه في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضى بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضى بكل شئ لانه فعل الله فينبغي
ان يرضى بالكفر والمعاصي والخلع بذلك قوم فروا الرضى بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه
الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدأ
ببيان فضيلة الرضى ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضى وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضى وليس منه
كترك الدعاء والسكوت على المعاصي **بيان** فضيلة الرضى **اما من الايات** فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضى الله عن عبده وهو ثواب رضى العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن
ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله الرضى فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر
فكما ان مشاهدة المذكور في الصلاة اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى
يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك وفنوا لهم الرضى بعد النظر لغاية التفضيل واما رضى العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله تعالى
عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن درکه ومن يقوى عليه فيستقل
بادراكه من نفسه وهذه الجملة فلا رتبة فوق المنظر اليه فانما سالوا الرضى لانه سبب دوام النظر فكانهم راوه غاية الغايات واقصى الامانى لما ظفروا
النظر فلما امروا بالسؤال لم يسألوا الا دامة علموا ان الرضى هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيسالني اهل
الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله
تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضى الله تعالى
وهو ثمرة رضى العبد **واما الاخبار** فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة
ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم
ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق
رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيامة

اثبت الله تعالى لطائفة من امتى اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسيرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رايتم الحساب فيقولون
ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رايتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة من امة من انتم فيقولون
من امة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدنا كم الله حدثونا ما كانت اعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كنا فيهما فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله
فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيى ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا
الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفى اخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا لرسل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى بعنا
فقال موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه
قال من احب ان يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفى اخبار داود
عليه السلام ما لاولياءى والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم يا داود ان محبتى من اولياءى ان يكونوا روحانيين لا يغفلون وروى ان
موسى عليه السلام قال يا رب دلنى على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاى فى كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلنى عليه قال
فان رضاى فى رضاك بقضاءى وفى مناجاة موسى عليه السلام اى رب اى خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمنى قال فاى خلقك
انت عليه ساخط قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيت له سخط قضاءى قد روى ما هو اشد من ذلك وهو ان الله تعالى قال انا الله لا اله الا انا من لم
يصبر على بلاءى ولم يشكر على نعماءى ولم يرض بقضاءى فليتخذ ربا سواءى ومثله فى الشدة قوله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تم
قدرت المقادير ودبرت التدابير وحكمت الصنع فمن رضى فله الرضى منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى وفى الخبر المشهور يقول الله تعالى
خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وليجرى الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفى الاخبار
السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندى
فى ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك
ام تريد ان ابدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتى وجلالى لئن اخلجك هذه فى صدرك مرة اخرى لاعودنك
من ديوان النبوة وروى ان آدم عليه السلام كان يعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجلا على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد
الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده يا ليت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا
فقال يا بنى انى رايت ما لو تراوا وعلمت ما لم تعلموا انى تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن جوار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك
حركة اخرى فيصيبنى ما لا اعلم وقال انس بن مالك رضى الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم
افعله الا فعلته ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ولا فى شئ لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمنى مخاصم من اهله يقول دعوه لو قضى شئ كان ويروى ان الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود انك تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون
الا ما اريد **واما الآثار** فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن
عبد العزيز ما بقى لى سرور الا فى مواقع القدر وقيل له ما تشتهى فقال ما يقضى الله تعالى وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس بحقه دواء وقال
الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز ابن ابى رواد ليس الشان فى اكل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف والشعر
ولكن الشان فى الرضى عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان احتسب حسرة احزنت ما احزنت وابقت ما ابقت احب الى من ان اقول لشئ كان
ليته لم يكن ولشئ لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال انى لارحمك من هذه القرحة فقال انى لا شكرها منذ خرجت افلم
تخرج فى عينى وروى فى الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فاري فى المنام فلانة الراعية رفيقتك فى الجنة فسال عنها الى ان وجدها
فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما ويتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال لها ملك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا
ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم اتمن ان اكون فى رخاء وان كنت فى مرض لم اتمن
ان اكون فى صحة وان كنت فى الشمس لم اتمن ان اكون فى الظل فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة يعجز عنها
العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى فى السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم
والرضى بالقدر وقال عمر رضى الله عنه ما ابالى على اى حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال الثورى يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت
اما تستحيى من الله ان تسأله الرضى وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعى فمتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره

بالمهيبة مثل سروره بالذخيرة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى وقال احمد بن ابى الحوارى قال ابو سليمان الدارانى ان الله عز وجل من كرمه قد يرضى من عبيده بما يرضى العبيد من موالیهم قلت وكيف ذاك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه ولا قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضى وحظهم من الرضى على قدر علمهم مع الله عز وجل وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط **بيان** حقيقة الرضى وتصوره فيما يخالف الهوى اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فما الرضى فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضى بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى عليه المولم ولا يحس به وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه فى حال غضبه او فى حال خوفه تصيبه جراحة وهو لا يحس حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذى يغدو فى شغل قريب قد تصيبه شوكة فى قدمه ولا يحس الوذلك لشغل قلبه بل الذى يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم به فان كان مشغول القلب بهم من مهمات فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لو يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم له لو لا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا فى الم يسير لسبب حب خفيف تصور فى الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه فى القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس بجمال ولا جلال فمن ينكشف له شئ منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه فقد روى ان امراة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها بما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبى مرارة وجعه وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له فى ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه الثانى فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل الخبا فيه مريدا له اعنى بعقله وان كان كارها بطبعه كالذى يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك الم ذلك الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد منة بفعله فهذا حال الراضى بما يجرى عليه من الالم وكذلك كل من يسافر فى طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذى ادخره له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذى يجازى به عليه وهو ان يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب فى مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل فعله موجود فى المشاهدات فى حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون فى نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد ولحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك الجمال فهى العين الخسيسة التى تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك فى حب الجمال الالهى الابدى الذى لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التى لا يعتريها الغلط ولا يدوريها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق البلخى من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها وقال الجنيد سالت سريا السقطى هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شئ يحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط فى شرقية بغداد ولو يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لو ضربت فقال لانى عاشق فقلت له ولو سكت قال لان معشوقى كان بحذائى ينظر الى فقلت فلو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فوعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم فى قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان فى بدايتى فاذا انا برجل اعمى مجذوم مخنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فوقفت اسر فوضعته فى حجرى واذا ردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى لو قطعنى ارباربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها وقال ابو عمر ومحمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فتشغلهم جماله عن الاحساس بالجوع بل فى القران ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع

النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسن بذلك وقال سعيد بن احمد رايت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول يشعر يوم الفراق من القيامة اطول والموت من الم التفرق اجمل قالوا الرجل فعلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل ثم بقي بالمدينة بطنة وخرميتا فسالت عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب بسمعه وبصره فسمعه وهو يقول الهي متعتني بما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار يقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم قال فجاء الثعلب فاخذ الديك فخرقوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فخرقوا عليه فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا فقال انما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه مما جعل في قلبي من معرفته فقال ليصدقن هارت يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس جسما وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وابقى اثنتين لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع وردة تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايتهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حاله الا الرضى فما لي منه الا مشام الريح وقال لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لبعارف اخر هل نلت غاية الرضى عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام الرضى قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحنثة لقسمه وبدلا من خليفته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت بمتابعته وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول رضى محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم احوال الاولياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت ان جسمي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف وان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد ثقب له في سريره من حيث كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال له ما يبكيك فقال لو تبكي فقال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان حبا الى الله تعالى احبه الي ثم قال احدثك شيئا لعل الله ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فانكرها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سلب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته اهلي فداؤك ما نظعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة وذبلت الحاقين وصحت النضو الا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي وقاص الى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا كان وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في اخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي احسن من بصري وضاح لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام لو يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد انه قال الى اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله سبحانه ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد هنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له يا حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فما مرادك منه الصوم

والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه انك لو فتح لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلب وانما انت بعدُ في طبقات اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي رحمه الله تعالى ؎ ان للمحبة للرحمن آيات ليست تكون من الانسان والشيطان
وهل رايت محبا غير سكران
وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا ولعله قد كذب بوده ذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان لها ظل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء نزيه اهل الآخرة وهم يستكفون منه وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل للبري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضى بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضى بالالم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضى بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضى بالالم وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضى له فقد يغلب الحب بحيث ينعم مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الآلام عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل فما الجرح اذا ارضاكم الا طيب وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكر من فقده من نفسه لانه انما فقد لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه وقد روى عن عمرو بن الحارث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت ؎ علامة ذل الهوى ؛ على العاشقين البكا ؛ ولا سيما عاشق ؛ اذا لم يجد مشتكى ؛ فقال لها الفتى احسنتِ والله يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت فقالت مُتْ راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى هذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله اني صادق فيما اوردته حتى لو قلت لي مُتْ لمُتُّ فقال ان كنت صادقا فمت فقال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل ولجاريته يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل يعللها حينا فحينا فبينا هو يحركها اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت اللعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا قال هذا مكان قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول ؎ من مات عشقا فليمت هكذا ؛ لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه الى الارض فخلوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوق والقلب به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب **بيان** ان الدعاء غير مناقض للرضى ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضى وكذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينافضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضى به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبد نا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلنا وفي كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعلى المقامات من الرضى وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضى بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضى به فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضي به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال على الشركة اعلاه وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله وقد ام الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات ونهى عن الشر ورفقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها في الناس ويعلمها ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو اتاني الله مثل ما اتى هذا لفعلت مثل ما يفعل واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون

الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وفى الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن قال عليه السلام المرء مع من احب قال من احب قوما والاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله وشواهد هذا كثيرة قد ذكرناها فى بيان الحب والبغض فى الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفى كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا نعيده فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضى بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصى بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح فى التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضى والكراهة فى شىء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاما من مقامات الرضى وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضى والكراهة يتضادان اذا تواردا على شىء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد فى شىء ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذى هو ايضا عدو لبعض اعدائك وساع فى اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره واراده فيرضى به من هذا الوجه لشيئا الملك الى ملك الملوك ورضى بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله ومبغضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا الاشكال فلنفرض محجوبا من الخلق قال بين يدى صحبه انى اريد ان اميز بين من يحبنى ويبغضنى وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو انى اقصد الى فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم لى حتى اذا شتمنى ابغضته واتخذته عدوا لى فكل من احبه فاعلم ايضا انه عدوى وكل من ابغضه فاعلم انه صديقى وبحسبى ان افعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة فحتى على كل من هو صادق فى محبته وعلم بشرط المحبة ان يقول ما تدبيرك فى ايذاء هذا الشخص وضربه والعداوة وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك واراداتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مراداك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذى دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا فى تدبيرك وتعويقا فى مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف هذا الشخص وكسبه وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضى ان يحمل منك الضرب لا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا واما بغضه لك فانى ابغضه من حيث انك اردت ان يبغضك افابعد ترى نفسك وسلطت عليه دواعى البغض ولكنى ابغضه من حيث انه وصف ذلك البغض وكسبه وفعله وانا مقتك لذلك فهو ممقوت عندى لمقته اياك وبغضه ومقتك ايضا عندى مكروه من حيث انه وصف وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضى وانما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضى ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه وليشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله دواعى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهى ضرب المحبوب الشخص الذى ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره ليشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده اعنى تسليط دواعى المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله ان يبغض من بغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادى من ابعده الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغى ان يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما ورد به الاخبار من البغض فى الله والحب فى الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة فى مقتهم مع الرضى بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذى لا رخصة فى افشائه وهو ان الشر والخير كالايمان والكفر خلان فى المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال الكفر جميعا منه من غير افتراق فى الرضى والكراهة فهذا بعض ما قصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتأدب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه و

ذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضى بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع انها من قضاء
الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين
غير مناقض للرضى بقضاء الله تعالى فان الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك
جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا للتواتر من ايادي اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضى بقضاء الله تعالى في العطش وشرب
الماء طلبا لازالة العطش ومباشرة سبب من مسببات الاسباب فكذلك الدعاء سبب نبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب
جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضى لان الرضى مقام ملاصق للتوكل ويتصل به
نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضى واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى
لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضى بقضاء الله تعالى ان لا يقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء
فهو شكر والشكوى تناقض الرضى بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع
الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضى بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره
والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي **بيان** ان الفرار من البلاد التي هي مظان
المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضى اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون
يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد
بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا وله لذلك شبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا
حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار منه لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة فما زال السلف الصالح يعيبون
ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا اشر
من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد قال ما رأيت
بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قارئا حيران ولا ينبغي ان تظن ان ذلك من الغيبة لانه لو تبغرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به
وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد ربما استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة
عشر دينارا كل يوم دينارا كفارة لمقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له اين تسكن فقال العراق
قال فما تصنع به بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء
العضال وقد قيل قسم الخير عشرة اجزاء تسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة اجزاء على العكس من ذلك وقال بعض اصحاب الحديث
كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متبدع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال ما تمنينا احدهم
في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش وكان يقول لا تفسدوا
بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد اثر في نفسي قبل فاين تختار السكنى
قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا
عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال وعلاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا
بحاله مطمئن النفس اليها بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء و
عم الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شيء من اسباب نقص الدين البتة رضى مطلق
الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فانها مساخط في انفسها فلا وجه للرضى بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل المقامات الثلاث رجل
يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسألة الى بعض
العارفين فقال صاحب الرضى افضلهم لانه اعلمهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره
موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لو قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال العلي

اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لو هيب البش تقول انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الى الله تعالى سبحانه فقبل الثورى بين عينيه وقال روحانيته ورب الكعبه **بيان** جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب قيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا اكل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فحجبت عنه وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لو مت ولى الله تعالى الا عرفته الا ولا يت في ذلك اليوم وليلتها لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح فوقال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى فخرمت علي فغرمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستويا على صدور قدميه رافعا الخمصتين مع عقبيه عن الارض ضاربا بأذقنه على صلاته شاخصا ببصره لا يطرف قال فوجد عند السحر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم ملك الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال منذ متى انت ها هنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشئ فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدوّرني في الملكوت السفلي وارانى الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وارانى ما فيهن من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شئ رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيئا استحسنه فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فانهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لو اسالتك المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت علي مني حتى لا احب ان يعرفه سواه وحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد فقال اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد هلج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رايت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهلج طبعي ولو املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله فيظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في اخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظرة اليك قتلته قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لو انكشف له بوصفة فلما رانا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى ان يدفعهم فسكت فوقال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لرجف على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لو قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في نفسها فمن لم يخط بشئ منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لا هم الا مثل فلا مثل وقد قال بعض العارفين لو شفت بأربعين حوراء رايتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما فلو كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي ثم لا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لا فلا عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا فوق مكاشفة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن الكدورات الالتفات

الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادى الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجرى مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة
فى الحديدة اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما فى يده من برّة حديد مظلمة استولى عليه الصدأ والخبث وهو
لا يحكى صورة من الصور فانكر امكان انكشاف الطرق فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات
الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبئس المستند ذلك فى انكار قدرة الله تعالى بل انما يشمّ روائح المكاشفة من سلك
شيئا ولو من مبادى الطريق كما قيل لبشر بأى شئ بلغت هذه المنزلة قال لم أكن كاتوا لله تعالى حالى معناه اسأله ان يكتم علىّ ويخفى امرى وروى انه راى
الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لى فقال ليسّر الله عليك طاعته قلت زدنى قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل معناه
سترها عنك حتى لا تلتفت اليها وعن بعضهم انه قال اقلقنى الشوق الى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة ان يرينى اياه ليعلمنى شيئا كان
اهمّ الاشياء علىّ قال فرايته فما غلب على همى لا همتى الا ان قلت له يا ابا العباس علمنى شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لى فيها قدر ولا
يعرفنى احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل علىّ كثيف سترك وحُطْ على سرادقات حجبك واجعلنى مكنونا فى غيبك واحجبنى عن قلوب خلقك
قال فوعاب فلم اره ولو اشتق اليه بعد ذلك فما زلت اقول هذه الكلمات فى كل يوم فحكى انه صار بحيث كان يُستذل ويُمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون
به ويستخزونه فى الطرق بحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ووجود قلبه واستقامة حاله فى ذله وخموله فهكذا
حال اولياء الله تعالى ففى امثال هؤلاء ينبغى ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقّعات والطيالسة وفى المشهورين بين الخلق بالعلم والورع
والرياسة وغيرة الله تعالى على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال تعالى اولياءى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذى
طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابرّه وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعانى القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب
القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذُلّ واهتُضِم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه
فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا فى حقه بل يرى نفسه وذلك حتى
صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يُرجى له ان يستنشق مبادى هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغى
ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله فليكن محبا لاولياء الله مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب وليشهد لهذا
ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبنى اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا فى التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا فى قلب مثل التراب لقد انتهى
المريدون لولاية الله تعالى فى طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبى وهو استاذ الجنيد دعاه رجل الى طعام
ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله فى المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضّت نفسى على الذل عشرين سنة حتى
صارت بمنزلة الكلب يُطرد فينطرد ثم يُدعى فيرمى له عظم فيعود ولو ردد تنى خمسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت فى
محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتّت على قلبى فدخلت الحمام وعنيت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى فوقها وخرجت وجعلت
امشى قليلا قليلا فلحقونى فنزعوا مرقعتى واخذوا الثياب وصفعونى واوجعونى ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسى فهكذا
كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب
ببعد وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام كان
لا يفارق مجلس ابى يزيد فقال له يوما انا منذ ثلاثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد فى قلبى من هذا العلم الذى تذكر
شيئا وانا اصدّق به واحبه فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك
قال افلهذا دواء قال نعم قال قل لى حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لى حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس
واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعنى صفعة اعطيته جوزة وادخل السوق وطف
الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لى مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال
وكيف قال لانك عظّمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلنى على غيره فقال ابتدءى بهذا قبل كل شئ فقال لا اطيقه
قال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذى ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا يبغى من هذا المرض دواء سوى
هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغى ان ينكر امكان الشفاء فى حق من يرجو لنفسه بعد المرض ولو بمرض مثل هذا المرض اصلا فاقل درجات
الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية فى الشرع واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه

من علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون قلة الشئ احب اليه من كثرته وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من
ان يعرف وقال عليه السلام ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشئ من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا
والآخر للآخرة اثر امر الآخرة على امر الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا
رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلاث من لم تكن فيه فقد انتفى من الايمان ما انتفى ان الحلم والعدل في الرضى والغضب
والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاولى الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين
ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراء الايمان
وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر علي شيئا من خلقي وان احرق بالنار
لو غبطك لحر النار وجعا وان قطع بالمناشير لو جد لمس الحديد المؤلم لو سبق الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات
والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال
عليه السلام للصديق رضي الله عنه ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من امن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من امن به من ولد آدم
وفي حديث الخوان الله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في منها خلق فقال كلها فيك يا ابا بكر
واجهها الى الله السخاء وقال عليه السلام رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجئ
بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لو تتبع قلبه لخلة مع غيره فقال
لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه **خاتمة الكتاب** بكلمات متفرقة
تتعلق بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم
كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز
القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض
زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم
هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي رحمه الله **شعر** يا ايها السيد الكريم ؛ حبك بين الحشا مقيم ؛ يا رافع النوم عن جفوني ؛ انت بما مر
بي عليم ؛ ولغيره ؛ عجبت لمن يقول ذكرت الفي ؛ وهل انسى فاذكر ما نسيت ؛ اموت اذا ذكرتك ثم احيى ؛ ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيى بالمنى واموت شوقا ؛ فكم احيى عليك وكم اموت ؛ شربت الحب كاسا بعد كاس ؛ فما نفد الشراب وما رويت ؛ فليت خيالك لم يغب
لعيني ؛ فان قصرت في نظري عميت ؛ وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعت
عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي
وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل يقهقه بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن
ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وانسيتني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال
السري رحمه الله من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاشئ والعاقل عن عيوبه فتاش وقيل لرابعة كيف حبك
للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله اني لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن
افضل الاعمال فقال الرضى عن الله تعالى والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب
دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو ذكرك عنك حتى لا يبقى فيك شئ راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب
بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب
عبده لمشاهدة بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة الحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة
لان هاتين المنزلتين تبقيان مع اهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل
عليه واذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الغفرة وهو بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة وقال
عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جاريتي والله لقد شممت من الحياء حتى لو وجدت للموت
من يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك فقالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني برافته يعذبني

وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي و
اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني واحسن ما كون
بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا
معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي رحمه الله اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم من احب حبيبا صدق
قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق البه جد في مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقاه لمن يراني ولا اراه وقال
الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اصفر وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك
شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني و
الحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر دوائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جالت
في ميدان الفكرة فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض
المشائخ رايت في جبل اللكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يفر من حجر الى حجر وهو يقول الشوق والهوى صيراني كما ترى يقال الشوق
نار الله اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات لهذا القدر كفاية في شرح المحبة والانس والشوق
والرضى فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضى والانس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق

كتاب النية والاخلاص والصدق وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا الله رب العالمين وخالق السموات و
الارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
ماسه الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه
الطيبين الطاهرين **اما بعد** فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة
فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل
بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى
في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف يصح نية من لا يعرف حقيقة
النية او كيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص وكيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد
اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية اولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة و
الخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب **الباب الاول** في حقيقة النية ومعناها **الباب الثاني** في
الاخلاص وحقائقه **الباب الثالث** في الصدق وحقيقته **الباب الاول في النية** وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة
النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار **بيان** فضيلة النية قال الله
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال
بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته
الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال تعالى ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما
نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى
فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي فينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك

فيقول الله تعالى انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه فى ماله فيقول رجل لو اتانى الله تعالى
مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل اتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو اتانى الله مثل ما اتاه
عملت كما يعمل فهما فى الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية فى محاسن عمله ومساويه وكذلك فى حديث انس بن مالك لما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة
الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفى حديث ابن مسعود
من هاجر يبتغى شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء فى الخبر ان رجلا قتل فى سبيل الله وكان يدعى
قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فثقل على ذلك فاضيف الى نيته وفى حديث عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوى
الا عقالا فله ما نوى وقال ابى استعنت رجلا ليغزو معى فقال لا حتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ليس
له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروى فى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثيب من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان هذا الرمل طعاما فتصدقت
بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت
به وقد ورد فى اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفى حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين
عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الاخرة نيته جعل الله تعالى غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفى حديث
ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال
عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة
تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة
الله هى العليا فهو فى سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفى حديث الاحنف
عن ابى بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفى حديث
ابى هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوى اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوى قضاءه فهو سارق وقال صلى الله عليه
وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة

واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية
فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان
نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائى البر همة التقوى
فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثورى كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون
العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوى الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلنى
على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فانى لا احب ان يأتى على ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من اعمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل
الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهمم بعمله فان الهمام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها
وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين والمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت
ولا همّ لها بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكى ويردد ها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن
انما خلد اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب فى التوراة ما اريد به وجهى فقليله كثير وما اريد به
غيرى فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قولا مؤمن فلا يدعه الله عز وجل بقوله حتى ينظر فى عمله فاذا عمل لم يدعه الله حتى
ينظر فى ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر ما ذا نوى فان صلحت النية فبالحرى ان يصلح ما دون ذلك فاذن عماد الاعمال النيات فالعمل
مفتقر الى النية ليصيرها خيرا والنية فى نفسها خير وان تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات
متوازدة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه و
ذلك لان كل عمل لمعنى كل حركة وسكون اختيارى فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم

الارض خبيثة السبخة ونحوها مما لا ينبت الزرع
الاشتراك فى الاجر
الاشتراك فى الاجر
الاشتراك فى الاجر
سلب يسلب سلبا نزع
اصل الضم ثقل
الاثم ما تحمل من شئ قبيح
الكثيب الرمل
الكثيب الرمل
الفاعل الذى يظلم لنفسه او غيره
النار
عمد

ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المال فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فيحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشئ المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من منافان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من عرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق له لا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل لفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني بجزء ما في نفسه اليه توجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما يرغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشئ موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشئ موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضته باعث اخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مستقلا بالانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا والاخر لكن الاخر انتهض معاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما **اما الاول** فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتفرد كما اذا هجم على الانسان سبع فقام راه قام من موضعه فلا مرجح له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال بنيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل موجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره ومعارضته **واما الثاني** فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شئ بمقدار من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا ان يساله قريب الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لو لا فقره لكان يقضيها لمجرد القرابة وانه لو لا قرابته لكان يقضيها لمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني غير فقير في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لو لم يكن يوم عرفة لكان بترك الطعام خميته ولو لا الحمية لكان يتركه لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا موافقة البواعث **والثالث** ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله من غرضنا ان يقصد قريبه الغني فيطلب دينا فلا يعطيه ويقصد الاجنبي الفقير فيطلب دينا فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته مجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وله ذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا اورثا مجموعهما تحريك القلب فلنسم هذا الجنس مشاركة **والرابع** ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يلوح للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه لسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو سبب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس للمعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص في الغرض

الآن بيان اقسام النية فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لاحكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع **بيان** سر قوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي

عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى اخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلاة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية ولا على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خير هما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومرجحة على العمل فلا يفهمه الا من يفهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء للقلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس به الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب ادامتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترسخ الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو تبعه وعمل بمقتضاه فدام على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم لها القلب وترى القلب اذا نالم بعلم يموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون لان القلب هو الاصل المتبوع فكأنه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال عليه السلام اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح فيجب ان تكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير واراداته وعزوضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا نالمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة بالشرب خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان يفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث ان بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه وهذا لو يكن العمل لغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا او نيلشر من اعضائه اثر الى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا

وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لو ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتاكد به التواضع فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده
عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال للعبادة بغير نية باطلة وهذا معناه وهذا اذا فعل عن غفلة فاذا قصد به رياء او
تعظيم شخص اخر لو يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لو تؤكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة للمطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي
هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة لان هم
القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان
الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا معنى القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا
كما تقدم ذكره لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد
وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث
التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة **بيان** تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية اعلم ان
الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة
اقسام طاعات ومعاص ومباحات **القسم الاول المعاصي** وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم
قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا ليراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او
يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده الخير بهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير
بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر اخر فان عرفه فهو عاص للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما تعرف
كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا مهما بل الروح لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا
الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى ما عصي الله تعالى
بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم
فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله تعالى به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم
العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم
والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعده مهلة للتعلم وقد قال الله سبحانه
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم
ان يسكت على علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين
بالفسق والفجور القاصرين همتهم على مجاراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين والتيامن
والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد
عن التقوى ويتجرى الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذ ويدرس ايضا الى ان يصير وسيلة في الشر و
اتباع الهوى ويتسلسل من ذلك ووبال جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعاصي من اقواله وافعاله
وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى اثار شره منتشرة في العالم الف سنة مثلا والفي سنة وطوبى لمن مات ومات معه ذنوبه
ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به
الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه الشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت
شعري ماجوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق واعده خيلا واسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق
باخلاق الله الجميلة وقصدت بان يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان
هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري لو حرم هذا السخاء ولو وجب عليه ان
ينظر الى قرنية الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه ان امكنه فان لم يعلم او لم يقدر

سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون به اعداء الله عز وجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثر الدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز
عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون احوال من يتردد اليهم
فلو راوا منه تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا او استحلال حرام هجروه ولفظوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه
فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم
بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل حكي عن بعض اصحاب احمد بن حنبل رحمه الله انه كان يتردد اليه سنين ثم انقبض عنه احمد وهجره
وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد اخذت قدر شبر من الطين
وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلاب العلم وهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع
الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على
التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق وتتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس
والتقدم على الاقران فاذا قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات يخص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي فان المعاصي
تنقلب معصية بالقصد ويكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا
نعم للنية دخل فيها وهو انها اذا انضاف اليها قصد خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة **القسم**
الثاني الطاعات وهي مرتبط بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان
نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له
بكل نية ثواب ذلك واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشرا مثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن
ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله
فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام
زائره وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع و
البصر والاعضاء عن الحركات والتردادات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال
الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره او للتذكر بهما روي في الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد
في سبيل الله تعالى وسادسها ان يقصد افادة علم بامر معروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عن بسيء في صلاته او يتعاطى ما لا يحل له
فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خير الذي تعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك
غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى ولجنبا من
ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من اراد من الاخلاف الى المسجد رزقه الله احدى
سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هداه او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية
او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات فانه ما من طاعة الا ويحتمل نيات كثيرة وانما يحضر في قلب العبد المؤمن
بقدر رجوعه في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات **القسم الثالث المباحات** وما من
شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها و
يتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة
انه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب وفي حديث معاذ
بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر
آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح
ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما اراي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر
الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم

ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن والامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل الطيب معصية فبذلك يكون انتن من الجيفة فى القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اتى شيأ من مباح الدنيا لم يعذب عليه فى الاخرة ولكن ينقص من نعيم الاخرة له بقدره وناهيك حسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى واما الباقيات الحسنة فان ينوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وينوى بذلك ايضا تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى ان يدخله زائرا الا طيب الرائحة وان يقصد بتروح جيرانه ليستريحوا فى المسجد عنه مجاورته برائحة وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التى تؤدى الى ايذاء مخالطيه وان يقصد بباب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصونه بسببه فمن تعرض للفتنة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك فى تلك المعصية كما قيل شعر

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لترد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال الشافعى رحمه الله من طاب ردىء زاد عقله هذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الاخرة وطلب الخير غالبة على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معدودا منها لاحديث النفس وليس ذلك من النية فى شىء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فتشتغل بهذا الواحد عما عداه ولهذا قال بعض العارفين من السلف انى لاستحب ان يكون لى فى كل شىء نية حتى فى اكلى وشربى ونومى ودخولى الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصد من الاكل التقوى على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب خطوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الاخرة وكذلك ينبغى ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو فى سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيأته وستنقل الى ديوانه حسناته وليس ذلك ببعيد عن الجواب ففى الخبر ان العبد ليجاء به يوم القيامة فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار فيشير له من الاعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب متى عملت هذه الاعمال فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفى الخبر ان العبد ليؤتى يوم القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتى وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول الله تعالى اقوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيأ من حركاتك فالاحتراز من غرورها وشرورها ولا تعدها جوابها يوم السؤال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اترب من حائط جارلى فخرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثورى فرأى مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال انى لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بينى وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت تبنة من حائطى واخذت خيطا من ثوبى فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائنين فان كنت من اولى العزم والتمييز ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل ولا انك لو تحركت وما اذا تقصد وما الذى تنال به من الدنيا وما الذى يفوتك به من الاخرة وبماذا ترجح الدنيا على الاخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك فى امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغى ان يكون لداعى هوى خفى لا يطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات واقطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روى عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل فى حائط بالطين وكان اجير القوم فقدموا له رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدع هم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير فى طلب المساعدة فى الطعام فقال الى اعمل لقوم يأكل وقدموا الى رغيفك لاتقوى به على عملهم فلو اكلتم معى لوفيكم ولو يكفينى وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص فى فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص فى فضل والاحكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمنى حتى لعق اصابعه ثم قال لولا انى اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة فى ان ياكل منه فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثانى تعريضه اخاه لما يكره لو علم فهذا ينبغى ان يتفقه

العبد نيته فى سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار **بيان** ان النية غير داخلة تحت الاختيار اعلم ان الجاهل ليسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيقول فى نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر لله او اكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر وانتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل من جميع ذلك وانما النية ابتعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما حاجلا واما آجلا وللنيل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه والكتساب بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهى الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبى فذلك محال بل الطريق الى اكتساب صرف القلب الى الشئ وميله اليه وتوجهه نحوه لا باكتساب اسبابه و ذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تتبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده فى كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عن الغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن فى كل وقت والدواعى والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا فى الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هى اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوى الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضلها لا يمكن ان ينوى بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوى اولا ايمانه بالشرع ويقوى ايمانه بعظم ثواب من سعى فى تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره فى نفسه ويردده فى قلبه من قصد الولد وسواس وهديان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين لو يصلى على جنازة الحسن البصرى وقال لى لم تحضرنى نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هات المدرى فقالت اجئ بالمرأة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له فى ذلك فقال كان لى فى المدرى نية ولو تحضرنى فى المرأة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد ابن ابى سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثورى الا تشهد جنازته فقال لو كان لى نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله نية فعلنا وكان طاؤس لا يحدث الا بنية وكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل له فى ذلك فقال اخشى ان احدث بغير نية اذا حضرتنى نية فعلت وحكى ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاء به احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا وردده فقال مالك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لو اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده على حتى انظر فيه بالعين التى نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاؤس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا فى طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لى بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض علينا العشاء قال ليس من نيتى وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بنية لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليست هى قول القائل بلسانه نويت بل هو ابتعاث القلب بجرى مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر فى بعض الاوقات وقد تتعذر فى بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الله تيسر عليه فى اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى الفرائض الا بجهد جهيد وغاية ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب فى الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس فى الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقى النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة فى الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيم لذاته وجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود فى الاخرة وان كان من جنس الحظوظ فى الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوى الالباب فانها لاجل وجه الله تعالى وذكره والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وسائر الاعمال تكون مع لذات

ورواد فـ وهولاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم فى الجنة فانهم لو قصدوا هابل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فالاجرام يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية لشهوتها بقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضهم عن جمال الله الكريم ايضا هى استعظام الخفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله جلا بصائرها عمى الخفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستخفت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم حكى ان احمد بن حضرويه رأى ربه عز وجل فى المنام فقال لكل الناس يطلبون منى الجنة الا ابا يزيد فانه يطلبنى ورأى ابو يزيد ربه فى المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال الى وروى الشبلى بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لو يطالبنى على الدعاوى بالبرهان لا على قول واحد قلت يوما اى خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اى خسارة اعظم من خسران لقاءى والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية فى مباح ولم تحضر فى فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة فى حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار فى الظلم وربما تحضره نية فى الانتصار دون العفو فيكون فى ذلك افضل ومثل ان يكون له نية فى الاكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادات فى المستقبل وليس تنبعث نيته فى الحالين للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو ملأ العبادة مواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث حاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة قال ابو الدرداء انى لاستجم نفسى بشئ من اللهو فيكون ذلك عونا لى على الحق وقال على كرم الله وجهه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر فى الطب انما يبتغى به ان يعيد اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق فى لعب الشطرنج مثلا قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك الى الغلبة والبصير قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدى قرنه ويولى دبره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل ليستبعد ما الضعفاء فلا ينبغى للمريد ان يضم انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغى ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرار ذلك بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق

الباب الثانى فى الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

بيان فضيلة الاخلاص قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابى ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من اسرارى استودعته قلب من احببت من عبادى وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل اخلص العمل يجزك منه القليل وقال عليه السلام ما من عبد يخلص لله العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال عليه السلام اول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل اتاه الله العلم فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل فى سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى وقال يا ابا هريرة

اولئك اول خلق تسعّر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل راوى هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال صدق
الله اذ قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية وفى الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون
شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك واخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله
قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتى قال فانى
لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقنى حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس
باهذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك والله تعالى انبياء نى اقاليم الارض ولو شاء
لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لابدّ لى من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فجز ابليس فقال له هل لك
فى امر فصل بينى وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقنى حتى اقوله لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شئ لك انما انت كل على
الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسى جيرانك وتستغنى عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك على
ان اجعل عند راسك فى كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون فى ذلك نفع لك و
للمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق
الشيخ لست بنبي فيلزمنى قطع هذه الشجرة ولا امرنى الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له
فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب و
اخذ فاسه على عاتقه فاستقبله ابليس فى صورة شيخ فقال له الى اين قال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا
سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليفعل به كما فعل اول مرة فقال ههات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره
وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتنى فخل عنى واخبرنى كيف غلبتك اولا وغلبتنى الان
فقال لانك غضبت اول مرة لله وكانت نيتك الاخرة فنجانى الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصدق
قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد عن الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخى رحمه الله تعالى يضرب
نفسه ويقول يا نفس اخلصى تتخلصى وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت لخطوة
واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى ابى موسى الاشعرى من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين
الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية فى اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختيانى تخليص النيات على العمال اشد عليهم
من جميع الاعمال وكان معروف يقول من صفا صفى له ومن خلط خلط عليه ورؤى بعضهم فى المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك فقال كل شئ
عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى مرة ماتت لنا رايتها فى كفة الحسنات وكان فى قلنسوتى خيط من حرير فرايته فى كفة السيئات
وكان قد نفق حمار لى قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنّور فى كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لى انه قد وجد
حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت فى لعنة الله فبطل اجرك فيه ولو قلت فى سبيل الله لوجدته فى حسناتك وفى رواية قال
وكنت قد تصدقت بصدقتين الناس فاعجبنى نظرهم الى فوجدت ذلك لا على ولا لى قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فقد
مُحسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كما يميز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج فى زىّ النساء ويحضر كل موضع
يجتمع فيه النساء من عرس وماتم فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون
واحدة واحدة حتى بلغت النوبة الى الرجل والى امراة معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت
الدرة مع تلك المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابى عبيد التسترى وهو يحرث ارضه
بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشئ فقال ابو عبيد لا فمرّ كالسحاب فى وجه الارض حتى غاب عن عينى فقلت لابى عبيد
ما قال لك فقال سالنى ان احج معه قلت لا قلت فهلا فعلت قال ليس لى فى الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشبة فاخاف ان
حججت معه لاجله تعرضت لمقت الله تعالى لانى ادخل فى عمل الله شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندى من سبعين حجة ويروى عن بعضهم
قال غزوت فى البحر فعرض بعضنا تخلاة فقلت اشترها فانتفع بها فى غزوى فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت
تلك الليلة فى النوم كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب لغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا و

الكرخى بالكاف والراء والخاء المعجمة

فلان تاجرا و فلان فى سبيل الله ثم نظر الى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت لله الله فى امرى ما خرجت التجر وما معى تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت منى مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبونى تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى فى طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى وقال يرى السقطى رحمه الله تعالى الان تصلى ركعتين فى خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو اسناد وقال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسى مراد الله من عمل الخلائق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزى الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل منه بك وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت فى الدارين

بيان حقيقة الاخلاص اعلم ان كل شئ يصفى ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص من بضاعته الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات فالاخلاص فى التوحيد بضاعته التشريك فى الالهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك فى القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية والها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمى الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ قد ذكرنا ما يتعلق به فى كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امره ما ورد فى الخبر من ان المرائى يدعى يوم القيامة باربع اسامى يا مرائى يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب لكن امتزج هذا الباعث باعثا اخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبده ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يتخلص من شر يعرض له فى بلده او يهرب عن عدو له فى منزله او يتبرم باهله وولده او لشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلى بالليل وله غرض فى دفع النعاس عن نفسه به ليراقب حاله او اهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال وليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وماله محروسا بغير العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء او الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند النساء او لينال بره رفقا فى الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه او حج ماشيا ليخف عن نفسه الكراء او توضأ ليتنظف او يتبرد او اغتسل للتطيب او افتصد او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف فى المسجد ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخف عن نفسه التردد فى طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه فى السؤال عن نفسه او يعود مريضا ليعاد اذا مرض او يشيع جنازة ليشيع جنازته اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك وقد قال تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل او كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط فى حظوظه منغمس فى شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له فى عمره لحظة واحدة تخالصه لوجه الله نجا وذلك لغلبة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذى لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هى الباعثة وحدها فلا تخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلى هو التقرب وانضافت اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان تكون فى رتبة الموافقة او فى رتبة المشاركة او فى رتبة المعاونة كما سبق فى بيان النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسى مثل الباعث الدينى او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم اخر كما سنذكره وانما الاخلاص

تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من يحب الله مستهترا بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لو بقي لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب وقضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعد كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال مسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك الا نادرا فاذا علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لانه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض فلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والتضلع عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ من على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظ السلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك بالانصراف وجوه الناس عنك الى غيرك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي ابي بكر رضي الله تعالى عنه للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح منه اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله تعالى باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد يخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر فاذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يفت بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فعرف حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالعمل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله تعالى الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعز وقيل لسهل اي شئ اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الى ان حظوظ النفس آفة اجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة مغلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة ولا هو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وقول القائل لا يترك الانسان الا حظه والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم

انما اراد به البراءة عما يسمية الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة فى الجنة فقط فاما المتلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتجنبون منه وهؤلاء لو عرضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لا ستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركاتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق فقط وهذه اشارة الى افة الرياء فقط وكذلك قول بعضهم الاخلاص فى العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا جمع للمقاصد وقال المحاسبى الاخلاص هو اخراج الخلق عن معاملة الرب هذا اشارة الى مجرد نفى الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذى يعمل العمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعوض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية العمل من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل فى هذا كثيرة ولا فائدة فى تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافى بيان سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربى الله ثم تستقيم كما امرت اى لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم فى عبادته كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والافات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الافات المشوشة للاخلاص بعضها جلى وبعضها خفى وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الخفاء ولا يقهم لاختلاف درجاتها فى الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الافة على المصلى مهما كان مخلصا فى صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتحسن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر فى صلاته كما كان فيأتى فى معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسأت فاحسن عملك بين يديه فساه يقتدى بك فى الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد يخدع به من لا يخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك فى الخلوة ولا يمكن ان تكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذى استقام فى نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهى ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه فى ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص فى ان تكون صلاته فى الخلوة مثل صلاته فى الملاء وتستحيى من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة حظه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه فى الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذى يرتضيه فى الملاء ويصلى فى الملاء ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته فى الخلوة لتحسن فى الملاء فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته فى الخلوة والملاء الى الخلق بل الاخلاص ان تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تستحى بأساءة الصلاة بين اظهر الناس فلم تستحى من نفسه ان يكون فى صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوى صلاته فى الخلاء والملاء وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق بحال لا يلتفت الى الجمادات فى الخلاء والملاء جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق فى الملاء والخلاء جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهى ادق وافخى ان ينظر اليه الناس وهو فى صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكرى عظمة الله تعالى وجلاله ومن انت واقفة بين يديه واستحى من ان ينظر الله الى قلبك وهو غافل عنه فيخضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه فى الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر مما يلتفت فى الخلوة كما يلتفت فى الملاء ولا يكون حضور الغير هو السبب فى حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق فى احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفى من الرياء وهذا الشرك اخفى فى قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء

في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من شاء الله ونظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة والنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها والاستئناس بالطبع بما فيه دعوة الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون ابتعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوات الخفية او مشوبتها شوب يخرج عن حد الاخلاص لسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الاخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعرى الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودخل الشيطان وخبث النفس اعرض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوداء الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فليقنع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب به اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف الناس في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه واما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب واما النظر في المشوب وظاهر الاخبار تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي يجرد للرياء ولو امتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حيط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا اسقط لسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاومه قدرا وقوته فيكون بعد تناولهما كما لو لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا يفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا يفك عن تاثير في اثارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحد افضل له لا محالة شبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا تنفك نفس السفر عن ثواب وبيانه عندي ان الغزاة لا بد وان يكون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تعالى وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله عليه

وسلم عمن يصطنع المعروف وقال يتصدق فيحب ان يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وروى عن عبادة ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري وَدَعْتُ نصيبي لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد مَلأَ دَفَّتَي رَحْلِهِ وَرَقًا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فتقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وحد وان الان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها واما لفظ الشركة حيث ورد مطلق للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب لان الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو ويعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقد رعلى غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية والاخرى فقيرة فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قطعا لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب الى الله ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد متردِّدا بين الرد والقبول خائفا ان تكون في عبادته آفة فيكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال الله تعالى الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان او في من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منا فالمقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد في الاخلاص يوما ما يريد اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن امره فاخبره بمطالبة نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل لاجل الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديقين مشتق منه واسم الله تعالى وصف الانبياء به في معرض المدح والثناء فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وقال تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم اؤمل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على

الاغنياء — الفقراء — الاخلاص في الحركات

ثلاثة ان كان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال المؤدى فى قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من صدقنى فى سريرته صدقته عنه المخلوقين فى علانيته وصلح رجل فى مجلس الشبلى ورمى نفسه فى دجلة فقال الشبلى ان كان صادقا فالله تعالى يجيبه كما انجى موسى عليه السلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى فى الاحوال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بنى اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها لا اكثر انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العلم ولا رفيق اشين من الجهل ولا اشرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا داء الين من الرفق ولا داء اوجع من الحرق ولا رسول احدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنأ من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا نعمة خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزى اذا طلبت الله بالصدق انالك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذى النون هل للعبد الى صلاح امره سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى ... نطلب الصدق ما اليه سبيل

فدعاوى الهوى تخف علينا ... وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذى نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل له دنا فقال التقى والحياء وطيب الغذاء وعن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد فى قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه اعلم ان لفظ الصدق يستعمل فى ستة معان صدق فى القول وصدق فى النية والارادة وصدق فى العزم وصدق فى الوفاء بالعزم وصدق فى العمل وصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق فى جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق ثم لهم ايضا على درجات فمن كان له حظ من الصدق فى شئ من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه

الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا فى الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وبيانه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضى او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والحلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هى عليه فهو صادق ولكن هذا الصدق كما ان احد حكميه الاحتراز عن المعاريض فقد قيل فى المعاريض مندوحة عن الكذب فى ذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ الحذور من الكذب تفهيم الشئ على خلاف ما هو عليه فى نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة فى بعض الاحوال وفى تاديب الصبيان والنسوان ومن يجرى مجراهم وفى الحذر عن الظلمة وفى قتال العدو والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شئ من ذلك فقصد فيه ان يكون ناطقا فيه لله فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم فى مثل هذا الموضع ينبغى ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كى لا ينتهى الخبر الى الاعداء فيقصدوا وليس هذا من الكذب فى شئ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص فى النطق على وفق المصلحة فى ثلاثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان فى مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت الخيرارادته كان صادقا وصدقا كيفما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره فقال لزوجته خطى باصبعك دائرة وضعى الاصبع على الدائرة وقولى ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس فى الدار فالكمال الاول فى اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثانى ان يراعى معنى الصدق فى الالفاظ التى يناجى بها ربه كقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد وكقوله انما عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طوبى يوم القيامة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فان كان عبد النفس عبدا للدنيا او عبد الشهوات لم يكن صادقا فى قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشئ عبد الله وانما العبد الحق لله عز وجل من اعتق ولا عن غير الله تعالى

فصار حرًّا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله ومحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريده الله له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته فى ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقود النفس موجود السيد ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضى لو بقى فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل وهذا منتهى الصدق فى العبودية لله تعالى فالعبد الحق هو الذى وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق فى القول **الصدق الثانى** فى النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث فى الحركات والسكنات الا الله تعالى فان فارجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا فى فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسأل العالم ما عملت فيما علمت فيقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جالم فانه لو يكذبه ولو يقل له لم تعمل ولكنه كذب به فى ارادته ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوجه فى القصد وكذلك قول الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقول فكذب فى دلالته بقرينة الحال على ما فى قلبه فانه كذب فى ذلك وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معانى الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وان يكون مخلصا **الصدق الثالث** صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا تصدقت بجميعه او ببشطره وان لقيت عدوا فى سبيل الله تعالى قاتلت ولا يبالى وان قتلت وان اعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولو اعصى الله تعالى بظلم ومیل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهى عزيمة جازمة صادقة وقد يكون فى عزمه نوع میل وتردد وضعف يضاد الصدق فى العزيمة فكان الصدق ها هنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال للفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوى وكانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذى تصادف عزيمته فى الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها میل ولا ضعف ولا تردد بل تحمل نفسه ابدا بالعزم الصميم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضى الله عنه لان اقدم فتضرب عنقى احب الى من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضى الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر مع وجود ابى بكر رضى الله عنه والف ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين فى العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهى به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلى وراية لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لانقض عزمه بل فى الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه من حياة ابى بكر الصديق رضى الله عنه **الصدق الرابع** فى الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم فى الحال اذ لا مشقة فى الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات لحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا ايضا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روى عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع قال فشهد احدا فى العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة انى لاجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون جرحا من بين رمية وضربة وطعنة فقالت اخته بنت النضر ما عرفت اخى الا ببنانه فنزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوى فلا ادرى قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جيد الايمان اذا لقى العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم غرب فقتله فهو فى الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا واخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الثالثة ورجل مؤمن اسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك فى الدرجة الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملاء من الناس تعودا فقالا ان رزقنا الله تعالى مالا لنصدقن فرزقوا فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن وفى

ل البنان رؤس الاصابع

ل على رضى الله عنه

ل الغرر الجرح

لنكونن من الصلحين وقال بعضهم انما عوتب ثوذه فى انفسهم لو يتكلموا به فمنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصلحين فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء بصدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدائد عليها و لهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب لذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لان اقدم فتضرب عنقى احب الى من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لى نفسى عند القتل شيئا لا اجده الآن لانى لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتعرى عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رأيت فى المنام كان ملكين نزلا من السماء فقال الى ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقال الى صدقت وعرجا الى السماء **الصدق الخامس** فى الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر فى باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرنا من ترك الرياء لان المرائى هو الذى يقصد ذلك وربما وقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو بالباطن قائم فى السوق بين يدى شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن خلافه وهو كاذب وهو مطالب بالصدق فى الاعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مراءيا اياهم ولا يخلى من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر على الباطن فاذا مخالفة الظاهر للباطن ان كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الاخلاص وان كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة وقال زيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجهد وانشدوا

اذا السر والاعلان فى المرء استوى ... فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا

فان خالف الاعلان سر افعاله ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا

كما خالص الدينار فى السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المرء علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدى حقا وقال معاوية بن قرة من يدلنى على بكاء بالليل يسلم بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشئ كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من اترك الناس له ولو اراد احد ان يشبه سريرة بعلانيته منه فكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة ويبكى وقال ابو يعقوب النهرجورى الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق **الصدق السادس** وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضى والتوكل والحب وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشئ وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذا هى الشهوة الصادقة وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرأ هذه الآية فقيل للسائل عن الايمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرأ هذه الآية لينضرب للخوف مثلا فمن عبد يومن بالله واليوم الآخر ولا ومن خاف من الله عز وجل بيطلق عليه الاسم ولكن خوف غير صادق لنى غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق فى سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع باهله وولده وقد يزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور وترى انه يخاف النار ولا يظهر عليه شئ من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو ارى مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق فى هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله ما ضعيف واما قوى فاذا قوى سمى صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب ان اراك فى صورتك التى هى صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارنى قال فواعدته البقيع فى ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق يعنى جوانب السماء فوقع النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل الى صورته الاولى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعنى كالعصفور الصغير فانظر ما الذى يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم فى المعرفة فهذا هو الصدق فى التعظيم وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى وجبريل بالملاء الاعلى كالحلس البالى من خشية الله تعالى يعنى الكساء الذى يلقى على ظهر البعير

كذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يبلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما لن تبلغ حقيقة الايمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى فى دين الله وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر فى جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها الحقر الصاغر فالصادق اذا فى جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الامور دون بعض فان كان صادقا فى الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوى وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسى حتى افرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسى بغيرها هى قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا فى النبى عليه السلام فهذا صدق فى هذه الامور وكم قوم من اجلة الصحابة قد واظبوا على الصلوة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشائخ فى حقيقة الصدق فى الاغلب لا تتعرض الا لاحاد هذه المعانى نعم قد قال ابو بكر الوراق الصادق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه فى الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غير الله كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكونى الى خلقى خذلته ولا ابالى فاذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها: تم كتاب النية والصدق والاخلاص يتلوه كتاب المراقبة والمحاسبة والحمد لله

كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت: الرقيب على كل جارحة بما اجترحت: المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست: الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت: الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت او سكنت: المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت: المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت: المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت: وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت: وتنظر فيما قدمت واخرت: فتعلم انه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيامة وهلكت بعد الحساب والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها للزجاة لخابت وخسرت: فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت: واسبغت رحمته الخلائق فى الدنيا والاخرة وغمرت: فبنفحات فضله التمعت القلوب للايمان وانشرحت: وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت: وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت: وبتائيده ونصرته انقطعت مكائد الشيطان واندفعت: وبلطف عنايته تترجح كفة الحسنات اذا ثقلت: وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت: فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وعلى اصحابه قادة الاتقياء **اما بعد** فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون فى الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس فى الانفاس والحركات ومحاسبتها فى الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف فى القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت فى عرصات القيامة

وتفاته وقادته الى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انهم لا ينجيهم منه الا طاعة الله وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل يا أيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم فى المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق

المقام الاول من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين فى التجارات المشتركين فى البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر فى طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس فى هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذى يتجر فى ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه ويعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فان لو اهملها لم يرم منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغى ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب فى هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيق فى ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء والاخير فى خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذى لا يدوم اذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذى لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير وذلك قيل اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ؛ فحتم على كل ذى حزم امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها فى حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنوز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابدا الابد فانقضاء هذه الانفاس ضائعا او مصروفا الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم وهائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالى بضاعة الا العمر ومهما فنى نفد فنى راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلنى الله فيه وانسأ فى اجلى وانعم علىّ به ولو توفانى لكنت اتمنى ان يرجعنى الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبى انك قد توفيت ثم قد رددت فاياك ثم اياك ان تضيع هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمى يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد فى الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التى عملها فى تلك الساعة فينال له من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التى هى وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لاذهلهم فى تلك الفور عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويتغشاه ظلامها وهى الساعة التى عصى الله فيها فينال له من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس له فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهى الساعة التى نام فيها او غفل او اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها وينال له من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائنه واوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدى اليوم فى ان تعمرى خزائنك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى اسباب ملكك ولا تميلى الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن وحسرته لا يطاق وان كان دون النار وقد قال بعضهم هب ان المسئ قد عفى عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته للنفس فى اوقاته ثم ليستانف لها وصيته فى اعضائه السبعة وهى العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها اليها فانها خدامه فى هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فبحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم او الى عورة مسلم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذه الوقائع بتر حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر فى

كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل الامر عليها في عضو عضو لا سيما
اللسان والبطن اما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق
والاطمئة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو يصدد ذلك كله مع ان خلق الذكر
والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان
طول النهار الا في الذكر فنطق المؤمن ذكره ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما البطن فيكلفه ترك الشبهة و
تقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة وليشترط على نفسه انها ان خالفت شيئا من ذلك
عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها الاكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معالجة
الاعضاء وطاعاتها ثم ليستانف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على
الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان
شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة
فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد ووقعة حادثة تظهر حكم جديد والله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا
من ولاية او تجارة او تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة فيحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه استقامته فيها و
الانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستحقة
عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي
محاسبته قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل
وكل نظر في كثرة ومقدار المعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة
وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال
تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل وروى عبادة بن الصامت ان
عليه السلام قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض
الحكماء اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من مكث خفة
الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة اءمن الندامة وروى شداد بن اوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه و
عمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه اي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله انا لمدينون اي
لمحاسبون وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيأوا للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري
حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله قال ويل لدبان الارض من دبان السماء فعلاه بالدرة وقال
الا من حاسب نفسه فقال كعب يا امير المؤمنين انها الى جنبها في التوراة بما يبنهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل
اذ قال من ان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الاعمال اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها **المرابطة الثانية**
المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت
طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها **اما الفضيلة** فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك
تراه وقال عليه السلام اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى الم يعلم بان
الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك
لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك ترى الله عز وجل وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي
بغيره وقال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياستها بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات
مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما و
قال ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب
على باطنك وحكي انه كان لبعض المشائخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب و

شيوخ فدعا بوزة طيور وناول كل واحد منهم طائرا ليوسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك
وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا
لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرم وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام
قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف مالك اتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه رأى
جارية عن نفسها فقالت له الا تستحيي فقال ممن استحيي وما يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر فقال
بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه قال الجنيد وانما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك
ابن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها جوار خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن
الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبون والذين اثبتت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي لانهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت
الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة
مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى ان الله تعالى قال للملائكة انتم موكلون بالظاهر وانا الرقيب على الباطن وقال محمد بن علي
الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك
لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل ليتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن قوله
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب به عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة
فقال بخمس استقامة ليس فيها دوران واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك
قبل ان تحاسب قد قيل اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما تخفيه
عنه يغيب الوتر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله
خاليا ظننت انه يراك لقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه
خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فوقد السنجي ان المنافق ينظر فاذا الوزير احد اهل مدخل السر
وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرس في بعض الطريق فانحدر عليه
راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذا الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله قال فبكى عمر رضي الله عنه ثم
غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الاخرة

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم اليه فمن احترز من امر من الامور لسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ويعنى لهذه
المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة التي هي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته
اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم
على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا غالبا
خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته قرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استحوذت
القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همته اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم
على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة للتعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال
ومملوءا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب
اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير
وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح
مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همهما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد
يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا اصم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم
يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فمرني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة للملوك الارض حتى ان خدم الملك
قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر

فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لو فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يتراموون وواحد جالس بعيدا منهم فقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من بين من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى قال الكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكتا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شئ فقال له من اين اخذت هذه المراقبة والسكون فقال من مسنور كانت لنا فكانت اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال لي عيسى ابن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور واتيتها عطشان وفي وسطي خرقة وليس علي كثير شئ فدخلت المسجد فاذا الشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجابا فسلمت ثانيا وثالثا فلم اسمع الجواب فقلت انشدكما بالله الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فاحذر من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا قال فاخذ بكليتي فنظر الي ثم طاطا راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صليا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعناي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا شيئا ولا شربا ولا اناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع الشاب راسه وقال لي يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا هذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يتسع فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين الطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لو تداعشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع مداومتها الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر ان ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى امضاه وان كان لغير الله استحيى من الله وانكف عنه ثم لا يدع نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها واهانة نفسها ان لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول لله والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لواي لو فعلت هذا كان عليك ان تفعله لمولاك او ولت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف نعلت هذا فان لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت العلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال له لمن عملت ايوجد لله خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لامراة خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملت لتنال عاجل دنياك فقد وفينا نصيبك من الدنيا ام عملت لسهو وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي فتعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله

لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ويحك انما سعتني قول لا اله الا الله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه يصدق هذه المطالب والتوبيخات طالب نفسه قبل ان تطالب واعد للسؤال جوابا ولكن الجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه قال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بعد قرنظر وتثبت فان كان لله امضاه وقال الحسن رحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فان كان لله امضى وان كان لغير تاخر وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المومن وقاف متان يقف عند همه ليس كما تظن فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكائد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه ودبه وعدوه ابليس لم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا تظن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعد رهبانا بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكائد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان ضاحك فرح وشامت فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل الخالي تدعو اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان تحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضئ بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضاء انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضئ بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدنيا فلتكن همة المريد ولا في احكام العلم وفي طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان حقا فمن ليس له عقل وارع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الادمي به حتى يعمد الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندست في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة في اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه واخرجوا هذا العلم الذي هو نقد الدين عن جملة العلوم وتجرد وا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انتم اليوم في زمان خير كثير فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خير كثير فيه المتثبت وهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم الامر كسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برائه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قول الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه لصعوبة هذا الامر وعظمه كان جاء الصديق رضي الله تعالى عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال على الله قصد السبيل وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة نعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء

ظن بغم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت
به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك وان كنت جازعا على ما اضيع مما في يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك
واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه والمرء لا يدرك ما لم يكن ليفوته وليسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن
به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لاخرتك وهمك فيما بعد الموت
وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فاذا النظر الاول للراقب نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال صلى
الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة
اثر الاخرة على الدنيا والظهر ما ينكشف له فحركاته ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويحاط
على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله
تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل
به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا
يقول هكذا تجالس الملوك فما جلست بعد ذلك متربعا وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الاداب التي ذكرناها في مواضعها
فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاة لادابها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او في معصية او في
مباح فمراقبته في الطاعات بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الافات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم و
الاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله
عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل
يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه
عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه
في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقد علم الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مرتبة
بحج وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يا خذ العبد من دنياه لاخرته كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من
الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة او راحة وساعة
مستقبلة لو تاتت بعد لا يدري العبد العيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان
لو تاتت الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله حتى بين
سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه فلعله آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون آخر انفاسه ينبغي
ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة او تكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر رضي الله عنه من قوله عليه السلام
لا يكون للمؤمن طامعا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وما روي عنه ايضا في معناه وعلى العاقل ان تكون له اربع ساعات ساعة
يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على بقية
الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي
يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصر
والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لا سبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات
المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون جلالة
اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو من مقامات
العارفين وعلامات المحبين اذا المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع
الله تعالى فله في النظر منه الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص

فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطين والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطين والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على المداوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج من احكم الاصول **المرابطة الثالثة** محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها **اما الفضيلة** فقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفى الخبر انه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصنى فقال امستوص انت فقال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفى الخبر وينبغى للعاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه الحديث وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى واتوب اليه فى اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان ابا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال اما انا اعز على من عمر فانظروا كيف لفظ بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفى حديث شداد بن سلام انه جعل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان فى بيتك وخدامك ما يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب نفسى هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجاه الشئ يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك لمن حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ فيرجع الى نفسه فيقول ما ذا اردت بهذا والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبينى وبينه جدار وهو فى الحائط عمر بن الخطاب امير المومنين خ ف والله لتتقين الله او ليعذبنك قال الحسن فى قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المومن الا يعاتب نفسه ما ذا اردت بكلمتى ما ذا اردت باكلتى ما ذا اردت بشربتى والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتى فى موضعه وقال ميمون بن مهران التقى اشد محاسبة لنفسه من سلطان عاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمى مثلت نفسى فى الجنة اكل من ثمرها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسى فى النار اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسى يا نفس اى شئ تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت فانت فى الامنية فاعملى وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ انظر فى ميزانه فما زال يقول امرأ امرأ حتى ابكانى وحكى صاحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجئ الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا **بيان** حقيقة المحاسبة بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت فى اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغى ان يكون له فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة او شهر او يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا ايام قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر فى راس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه باضعافه وكلفه تدارکه فى المستقبل فكذلك راس مال العبد فى دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها فى مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها ما يتدارك به ما فوت

فيتاسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطين والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطين والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على المداوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج من احكم الاصول **المرابطة الثالثة** محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها **اما الفضيلة** فقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفى الخبر انه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصنى فقال امستوص انت فقال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفى الخبر وينبغى للعاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه الحديث وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى واتوب اليه فى اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان ابا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فاعادت عليه ما قال فقال اما انا اعز على من عمر فانظروا كيف لفظ بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفى حديث شداد بن سلام انه جعل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان فى بيتك وخدامك ما يكفونك هذا فقال اردت ان اجرب نفسى هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجاه الشئ يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك لمن حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ فيرجع الى نفسه فيقول ما ذا اردت بهذا والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبينى وبينه جدار وهو فى الحائط عمر بن الخطاب امير المومنين خ ف والله لتتقين الله او ليعذبنك قال الحسن فى قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المومن الا يعاتب نفسه ما ذا اردت بكلمتى ما ذا اردت بشربتى والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم زمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتى فى موضعه وقال ميمون بن مهران التقى اشد محاسبة لنفسه من سلطان عاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمى مثلت نفسى فى الجنة اكل من ثمرها واشرب من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسى فى النار اكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسى يا نفس اى شئ تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت فانت فى الامنية فاعملى وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ انظر فى مكياله رحم الله امرأ انظر فى ميزانه فما زال يقول امرأ امرأ حتى ابكانى وحكى صاحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجئ الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا **بيان** حقيقة المحاسبة بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت فى اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغى ان يكون له فى آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة او شهر او يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم فى فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا ايام قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر فى راس المال وفى الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه باضعافه وكلفه تدارکه فى المستقبل فكذلك راس مال العبد فى دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها فى مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها ما يتدارك به ما فوت

كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يخفى عليه شئ منها فينبغي ان يبقى غيبة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لو سكت وعن سكونه لو سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما اداى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليبتدئه حينها وليكتبه في صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها بارد عينه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شئ من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة وساعة وساعتي في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان يحاسب نفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى القى الملك باحد وعشرين الف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الى قوله في الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصيته جراني داره لامتلاءت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك احصاه الله ونسوه

المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي والنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان في ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكلت لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطرافه بمنعه عن شهوته هكذا كانت عادة سالكي طريق الاخرة فقد روي عن منصور بن ابراهيم ان بعلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى نشئت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فاشرفت يوما فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله ببسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصم الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال مهيات مهيات رجل خرجت تريد ان تفسي الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وانزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن ابي حنيفة قال سمعت ابن الكريبي يقول اصابني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تاخرا وتقصيرا فاخذت اثني نفسي بالتاخير حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعنى على نفسي ففطنت واعجباه انا اعامل الله في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد في المسارعة واجد الوقوف والتاخر البتة ان لا اغتسل الا في موقعتي هذه واليت ان لا انزعها ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نغرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان ابن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تالين عملا لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا له نوقظك فجاء الرسول وقال له اشغل من ان يفهم عني شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت وقت نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تكلمين بما لا تعلمين اما ان لله علي عهدا الا افقضه ابدا ان لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة لك اما تستحيين كوتي تخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى عن تميم الداري انه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء فكان يقول لنفسه ذوقي وناد جهنم اشد حرا اجيفت بالليل بطالة بالنهار فبينما هو كذلك اذ ابصر بالنبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مابهم وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على وجه الارض

نفس ابغض الى منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائى حين مات وهو فى بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل فى كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اوتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن ادم ساعنك هذا خير من عبادتك التى مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا فى غزاة لنا فحضر العدو فضج الناس فقاموا الى المصاف فى يوم شديد الريح واذا رجل امامى وهو يخاطب نفسه ويقول اى نفس الا تشهد مشهد كذا وكذا فقلت لاهلك وعيالك فاطعتك ورجعت الا تشهد مشهد كذا فقلت لاهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعوضنك اليوم على الله اخذك وتركك فقلت لارمقنه اليوم فحمل الناس على عدوهم فكان فى اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان فى موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذاك دأبه حتى راية صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث ابى طلحة انه كان يتقى قلبه فى الصلاة بطائر فى حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وان عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول ما ذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء ما دام فى الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا وكره وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدغه حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير ورأى محمد بن بشر داود الطائى وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال ان نفسى تتوق الى الملح منذ سنة ولا اذيق داود ملحا ما دام فى الدنيا فهذا كانت عقوبته اولى الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير فى امرك وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهى اعظم عدوك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فانى غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخرة وان فيه النعيم المقيم الذى لا اخر له ونفسك هى التى تنغص عليك عيش الاخرة فهى بالمعاقبة اولى من غيرها

المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرأى انها قد قارفت معصية فينبغى ان يعاقبها بالعقوبات التى مضت وان رأى انها تتوانى بحكم الكسل فى شئ من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغى ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وندبا لما فرط فهكذا كان يفعل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر فى جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة فى جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابى ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول سبيلك فى ذلك ان تتهمها بما ورد فى الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد فى العبادة فتلاحظ احواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتنى فترة فى العبادة نظرت الى احوال محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا العلاج قد تعذر اذ قد فقد فى هذا الزمان من يجتهد فى العبادة اجتهاد الاولين فينبغى ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شئ انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم ابدا لا يبيد ولا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدى بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابدا لا يبيد نعوذ بالله من ذلك ونحن نورد من اوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد فى الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما علموا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يقول لملائكته ما بال عبادى مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شئ فاشتاقوا اليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رأى عبادى فيقولون لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون لشئ من الدنيا اقبل ولا يتاسفون على شئ منها ادبر ولهى كانت اهون فى اعينهم من هذا التراب الذى تطأونه بأرجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا فى شكرها وسألوا الله ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسألوا الله ان يغفرها لهم

والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب لا نجوا الا بالمغفرة ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه فاذا فيهم شاب ناجل الجسم فقال عمر يا فتى ما الذى بلغ بك ما ارى فقال يا امير المومنين اسقام وامراض فقال سالتك بالله لا صدقتنى فقال يا امير المومنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عندى ذهبها وحجرها وكانى انظر الى عرش ربى والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهارى واسهرت ليلى وقليل حقير كل ما انا فيه فى جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائى يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له فى ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قرأة خمسين اية ودخل بجل عليه يوما فقال ان فى سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخى ان لى فى البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن ردين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له فى ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وسادا ه منتفخة ان من طول الصلاة وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكى رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود فى جوف الليل وعجالسة اقوام ينتقون طايب الكلام كما ينتقى اطايب التمر فى الحر وكان الاسود بن يزيد يجتهد فى العبادة ويصوم فى الحر حتى تخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى تخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله عز وجل لو يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا حبيت به وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلى جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البنانى قد حبب اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلى لك فى قبره فاذن لى ان اصلى فى قبرى وقال الجنيد ما رايت اعبد من السرى انت عليه ثمان وتسعون سنة قاعدا مضطجعا الا فى علة الموت وقال الحارث بن سعد مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فعابوه فى ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا حظهم الاكبر منهم فبكى القوم عن اخرهم وعن ابى محمد المغازلى قال جاور ابو محمد الجريرى بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر الكتانى فسلم عليه وقال له يا ابا محمد لو قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطنى فاعاننى على ظاهرى فاطرق الكتانى ومشى مفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلى فراينه قد مد كفيه يبكى حتى رايت الدموع تخرج من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له وبالله يا فتح بكيت الدم فقال لولا انك حلفتنى بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ما ذا بكيت الدموع فقال على تخلفى عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لى الدموع قال فراينه بعد موته فى المنام فقلت ما صنع الله بك قال غفر لى فقلت له فما ذا صنع فى دموعك فقال قرنى ربى عز وجل وقال لى يا فتح الدموع على ما ذا قلت يا رب على تخلفى عن واجب حقك فقال والدم على ما ذا قلت على دموعى ان لا يصلى فقال لى يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتى وجلالى لقد صعد حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان قوما ارادوا سفرا فجادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطانا الطريق فكيف الطريق قال فاومأ برأسه الى السماء فعلم القوم ما اراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه فى صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبنى فناديته الثانية فلم يجبنى فناديته الثالثة فاشرف على وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله فى سمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده على الائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسالة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فملك عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذى قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخى لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها الا انها محل للمعاصى للذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله تعالى من نبذ اقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائى لو سترت حتى لحيتك فقال انى لاذا الفارغ وكان اويس القرنى يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله فى ركعة واذا كانت الليلة الاتية قال هذه ليلة السجود فيحيى الليل كله فى سجدة وقيل له ما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك قال الرفق اطلب منى اتعب قليلا واستغم طويلا وقيل حج مسروق فما نام

خط الا ساجدا على وجهه وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السُرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا
بلغ اربعين سنة طوى فراشه اى كان لا ينام طول الليل وكان همس بن الحسن يصلى كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومى يا مأوى كل شر فلما اضعف قصر
على خمسمائة ثم كان يبكى ويقول ذهب نصف عملى وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول له يا ابت مالى ارى الناس ينامون وانت لا تنام فيقول يا ابنتاه ان اباك
يخاف البيات ولمارات ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بنى لعلك قتلت قتيلا قال نعم يا اماه قالت فمن هو حتى نطلب اهله فيعفو عنك فقال
لو يعلمون ما انت فيه لرحموا لك وعفوا عنك فيقول يا اماه هى نفسى وعن عمر ابن اخت بشر بن الحارث قال سمعت خالى بشر بن الحارث يقول لامى يا اختى جوعى
وخواصرى تضرب على فقالت له امى يا اخى ناذن لى حتى اصلح لك قليل حساء بكف دقيق تحساه يرم جوفك فقال لها ويحك اخاف ان يقول من ابان
هذا الدقيق فلا ادرى ايش اقول له فبكت امى وبكى معها وبكيت معهم قال عمر ورات امى ما ببشر من شدة الجوع وحمل ينتف نفسا ضعيفا فقالت له امى يا
ليت امك لم تلدنى فقد والله تقطعت كبدى مما ارى بك فسمعته يقول لها وانا فليت امى لم تلدنى واذ ولدتنى لم يدد ثديها على قال عمر وكانت امى تبكى عليه
الليل والنهار وقال الربيع اليت ليلا ونهارا فوجدته نجالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست قلت لا اشغله عن التسبيح فملك مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة
حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم انى اعوذ بك
من عين نؤامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبى هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى اويس فقال يا ابا عبد الله مالى اراك كانك مريض فقال وما لا ويس
ان لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوق سوان النار تسعر تحته كيف
ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابراهيم بن ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى
جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يحدث وضوءا فاك ذلك فى صدرى فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا
ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا فى رياض الجنة احيانا وفى اودية النار احيانا فهل فى خلال نوم وقال ثابت البنانى ادركت رجالا كان احدهم
يصلى فيعجز عن ان ياتى فراشه الا جوءا وقيل ملك ابو بكر بن عياش اربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء فى احدى عينيه فملك عشرين سنة
لا يعلم باهله وقيل كان ورد سمنون فى كل يوم خمسمائة ركعة وعن ابى بكر المطوعى قال كان وردى فى شبيبتى كل يوم وليلة اقرا فيه قل هو الله احد الفا وثلاثين
الف مرة او اربعين الف مرة شك الراوى وكان منصور بن المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبته منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان
حركته جاءت عيناه بادلع ولقد قالت له امه ما هذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لا تسكت لعلك يا بنى اصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا
فيقول يا امه انا اعلم بما صنعت بنفسى وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا انى صرفت طعام النهار الى الليل
ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك خطير امر وكان يقول ما رايت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر النار النوم
فما ينام حتى يصبح فاذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف اذلج عند الصباح يحمد القوم السُرى وقال بعضهم صحبت
عامر بن عبد القيس اربعة اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار ويروى عن رجل من اصحاب على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه قال صليت خلف على رضى
الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما
ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا
ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله وكان ابو مسلم الخولانى قد علق
سوطا فى مسجد بنية يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لادعفن بك دعفا حتى يكون الكلال منبك لا منى فاذا دخلته الفترة تناول السوط
وضرب به ساقه ويقول لنفسه انت اولى بالضرب من دابتى وكان يقول ايظن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يستأثروا بدونا كلا والله لنزاحمنهم
عليه زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا
ما وجد متزائدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان فى الصيف اضطجع داخل البيوت يجد الحر والغم فلا ينام وانه مات
وهو ساجد وانه كان يقول اللهم انى احب لقاءك فاحب لقاءى وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضى الله عنها
اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكى وتدعو وتردد الاية فقمت حتى مللت
وهى كما هى فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتى ثم ارجع فلما فرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كما هى تردد الاية وتبكى وتدعو وقال
محمد بن اسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم
ما الخاف من الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون

من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل لحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا
من نوره وكان عامر بن عبد القيس يقول الهي خلقتني ولو توا مرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني
ولا اراه ثم قلت لي استمساك الهي كيف استمساك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الاخرة العقاب والحساب فاين الراحة والفرح
وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلث الليل صاح
صيحة ثم وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى الثلث الثاني صاح صيحة ثم وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة
قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه ولكن انظر الى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح وعن القاسم بن راشد الشيباني
قال كان زمعة نار لا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون
اكل هذا الليل ترقدون افلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع
الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض الحكماء ان لله عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا
عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون وبه
وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن او صافان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج
حسناوهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن اراد هم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يوتيه من يشاء وقال بعض الصالحين
بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك فاذا انا بصوت قد علا واذا تلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت
فاذا انا برجل قائم عليها شجر ملتف واذا انا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست
خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا عليه فقلت واسفاه هذا الشقاء ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة
فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال المبطلين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال الهي خشعت قلوب الخائفين واليك
فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه فقال مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا يا بناء جنسك والاف
يعمك الى محبيك فاذهبي اياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا
عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره مخاوف سبقها بالموت الى انفسهم كيف يفرغ من
ذهبت ايامه وبقيت آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لها عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اشد من الاولى
وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب شرافاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساءتي من
فضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرمك وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به لا كلمتني فقال عليك
بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع مذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجدوا عونا علي ليخرجني مما انا
فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت حالي ومالت الى حديثك شعبة من قلبي وانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجوان يعيذني
من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما انا
اسير في مسير لي اذ مللت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان الموت لو ميت لقام على وجهه فاتبعته
فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر ومذر الحذر ولو يكن
له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملأ قلبي من المحبة لك واجرني من ذل التوبيخ غدا عندك فقد ان لي الحياء
منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لي يعني اجلي ولولا عفوك لو بسط فيما عندك املي ثم مضى وتركني وقد انشد في هذا المعنى
نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بفنية او بطراد ... ينوح على معاصٍ فاضحات ... يكد ثقلها صفو الرقاد ... فان هاجت مخاوفه ونادت ... فداعيه
اغثني يا عمادي ... فانت بما لاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد ... وقيل ايضا ... الذ من التلذذ بالغواني ... اذا اقبلن في حلل حسان ... منيب فر
من اهل ومال ... ليسرع الى مكان من مكان ... ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظفر في العبادة بالامان ... تلذذه التلاوة اين ولي ... وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير ... يبشره بالنجاة من الهوان ... فيدرك ما اراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان ... وكان كرز بن وبرة يختم القرآن
في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد جهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال
كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال كيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت

سبعة الاف سنة وتخلص من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لاغاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين فى مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع فى القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوال هؤلاء فان لم تكن ابلا فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر فى الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترض لها ان تنخرط فى سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتوثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفين ان تكونى اقل من امراة فاخمسين رجلا تقصر عن امراة فى امر دينها ودنياها ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات اهدى وعن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهى قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا طلع الفجر قالت الهى هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعرى اقبلت منى ليلتى فاهنأ ام ردتها على فاعزى وعزتك هذا دابى ودابك ما ابقيتنى وعزتك لو انتهرتنى عن بابك ما برحته لما وقع فى نفسى من جودك وكرمك ويروى عن عجرده انها كانت تحيى الليل وكانت مكفوفة البصر فاذا كان فى السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالى ليستبقوا الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهى اسالك لا بغيرك ان تجعلنى فى اول زمرة السابقين وان ترفعنى لديك فى عليين وفى درجة المقربين وان تلحقنى بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحماء واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكى الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحبى لو اتيناها اذا خلت فمازحناها بالرفق بنفسها فقال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها ارفقى بنفسك واقصرى عن هذا البكاء شيئا فكان لك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت انى ابكى حتى تنفد دموعى ثم ابكى دما حتى لا تبقى قطرة من دم فى جارحة من جوارحى واتى لى بالبكاء وانى لى بالبكاء فلم تزل تردد وانى لى بالبكاء حتى غشى عليها وقال محمد بن معاذ حدثتنى امراة من المتعبدات قالت رايت فى منامى كانك ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لى قائل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التى زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المراة فقيل امة سوداء من اهل الاثلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختى والله قالت فبينما انا كذلك اذا اقبل بها على نجيبة تطير بها فى الهواء فلما رايتها ناديت يا اختى ما ترين مكانى من مكانك فلو دعوت لى مولاك فاحظى بك قالت فتبسمت الى وقالت لو ان لقدومك ولكن احفظى عنى اثنتين الزمى الحزن قلبك وقدمى محبة الله على هواك فلا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لى جارية دومية وكنت بها معجبا فكانت فى بعض الليالى نائمة الى جنبى فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هى ساجدة وهى تقول بحبك لى الا ما غفرت لى ذنوبى فقلت لها الا تقولى بحبك لى ولكن قولى بحبى لك فقالت لا يا مولاى حبه لى اخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى ايقظ عينى وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشى قدمت علينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت فى بعض ديارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لى اشرف على هذه المراة ما ذا تصنع قال فاشرف عليها فاذا هى تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة تقول خلقت سربى ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهى مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة اتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شئ قدير وقال ذو النون المصرى خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى اذا سواد مقبل على وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكى فلما قرب منى اذا هى امراة عليها جبة صوف وبيدها دكوة فقالت لى من انت غير فارغ منى فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غريب فقال فبكيت لقولها فقالت لى ما الذى ابكاك فقلت ذنوب وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع فى نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكى قالت لا قلت فلو ذاك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن على استاذنا على عفيرة فحجبنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهى تقول اللهم انى اعوذ بك ممن جاء ليشغلنى عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعى لنا فقالت جعلنا الله واياكم فى بيتى المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمى اربعين سنة فكان لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق فى بدء لنه فيا ليت عفيرة اذا رفعت راسها لم تعص ويا ليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعى جارية حبشة فاحتبستها فى موضع بناحية السوق وذهبت فى بعض حوائجى وقلت لا تبرحى حتى

انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي
يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لوارفة ذاكرا الله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت
ساء ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الان فقد ذهب عني احدهما وقال ابن العلاء السعدي كانت ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت و
كانت كثيرة القراءة في المصحف فكلما انتهت الى آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المرأة حتى
نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت قالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء
قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فانه يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فيزيدهما بكاء اطول من هذا ثم لعوضت
قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء الليل تقول هذا يوم الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا
جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى المحراب لها وقمت انا الى ناحية
من البيت. فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم به غدا وكانت شيوا فترتقبل
في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي في جزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الا مليء ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان
دنا اجلي ولم تقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل علي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن احد امنك هنالك
الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا يا مع حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد
ربوت ممن تولاني في حياتي باحسانك ان يسعفني عند مماتي بغفرانك الهي كيف آيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت
ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني فثقل من امري ما انت اهله وعد بفضلك علي من غمرة جهلي الهي لو اردت اهانتي لم اهدك هدايتني ولو اردت
فضيحتي لم تسترني فتمنى بما انت اهله هدايتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت
عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رجلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت
وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذاكرناها شيئا من امر الصوفيين عليها الامر قال فشهقت ثم قالت علي بنفسي قرح فوادي و
كلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال
الرجال والنساء من المجتهدين ليبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطلع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل
الله وحكايات المجتهدين غير مصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح
احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل
زمانك وقالت انما تتيسر الخيرات في ذلك الزمان لكثرة الاخوان والاعوان فان خالفت اهل زمانك رأوك مجنونا وشنعوا بك فوافقتهم فيما هم فيه
وعليه فلا تجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتتخدع بتزويرها وقل لها ارأيت لو هجم
سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم منه بحقيقة الحال وقدرت انت على ان تفارقهم وتركبي في سفينة
تتخلصين بها من الغرق فهل تحتاجين في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب لا بد وانك متعرضة له في كل حال
من اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث
قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك
معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها بسوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها **المرابطة الخامسة** في توبيخ النفس ومعاتبتها
اعلم ان احدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل
القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تطمئن بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ
والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة
عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى
عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها
فتقرر عندها جهلها وغباوتها وانها ابدا تتغرر بظنتها وهدايتها وليشتد انفها واستبدادها اذا نسبتها الى الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك

تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعما ك اليوم تختطفين ام غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطأة وانه لا يأتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاءة فان لم يكن للموت فجأة فيكون المرض فجاءة ثم يفضي الى الموت فمالك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جبلي نفسك ان الهاك البطر عن اليوم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا اردت قوتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا يقضى الا بالدنانير والدراهم فمالك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعاونك على كنزا وليسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب افتحسبين ان الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الآخرة والدنيا واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة وانك تدعين الايمان بلسانك وانر النفاق ظاهر عليك الويل لك سيدك ومولاك ومالك ورازقك ومدبر آيتك في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فلذ به بأفعالك واصبحت تبكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر وكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فما ذا كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات تحسبين انك تتركين سدى الم تكوني نطفة من مني تمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى الذي خلق بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه مما ذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فمالك لا تأخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في اثناء طمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه فكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يجربك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انك لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبته له بدليل وبرهان فكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء ام صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا يوما واقل منه ما هذه افعال العقلاء بل لو انكشف لبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وامنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل للتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة عند رجوعه الى الوطن هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه لو هب ان الجهد في اخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان اوحي اليك بالامهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا تعصين فيه الله تعالى بشهوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا يخلق فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا بحال وجوده اما تتأملين ما ذكرته لنفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته او ما علمت ان الغد الذي

جاء وصار يوما كان له حكم الامس بل تعجز عنه اليوم فانت خدلته عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعهد العبد بقلعها فاذا
عجز العبد عن قلعها للضعف لآخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة
قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا وههنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من اعناء رياضة الهرم ومن التعذيب
تهذيب الذئب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور
الجلية وتركنين الى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وانت حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة
الشهوات وقوة صبري على الآلام والمشقات فما اشد غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن
الكدورات الدائمة ابد الآباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فانظرها في مخالفتها فرب كلمة تمنع اكلات وما قولك في
عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنأ بشربه طول عمره واخبره انه ان شرب ذلك مرض مرضا فمنع عليه
شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أ يصبر ثلاثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام
حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة
ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة او الم النار في دركات جهنم فمن
لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق الرعذاب الله ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا للكفر الخفي والحمق الجلي اما الكفر الخفي فهو ضعف
ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب اما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدناه
واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تستمتعين بها من الخلق بل تتوصلين الى
غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك
فما امرك بهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فلا انفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب منك بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم و
الفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس ما تستعدين للشتاء بقدر
طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير
جبة ولبد وحطب وغير ذلك فانه قادر على ذلك افتظنين ايتها النفس انه مهرير جهنم لخف بردا واقصر مدة من مهرير الشتاء ام تظنين
ان العبد ينجو منها بغير سعي فيها كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد و
خندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن وليسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى
في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعها برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب و
الجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك ايضا هو مستغن عنها
وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك
فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا اول خلق نعيده وكما بدأكم تعودون وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلا ولا تحويلا ويحك يا نفس
ما اراك الا آلفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها ومؤكدة في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن
عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيامة واحوالها فانت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل دارا لك ليخرج من الجانب
الآخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار
ملك الملوك ومالك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي
احبب ما احببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزي به وعش ما شئت فانك ميت ويحك يا نفس اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ
الدنيا ويانس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري او ما تنظرين الى الذين مضوا
كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف ورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما ترينهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون و
يأملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانكاس اعظم من هذا يعمر الواحد
دنياه وهو مرتحل عنها بقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسبي انك لست ذات

بصيرة تهتدى الى هذه الامور وانما تقيلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسى عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هولاء المكبين على الدنيا
واقتدى من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين فى نفسك العقل والذكاء يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك
عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس سكرك حب الجاه وادهشك عن فهم ما تنكرين ان الجاه لا معنى له الا
ميل القلوب من بعض الناس اليك فاحسبى ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعك انما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت
ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسيأتى زمان لا يبقى ذكرك ولا اذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل
تحسن منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى ابدا الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقى هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض
سلم لك الشرق والغرب حتى اذا عنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف ويابى ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك ام محلتك بل ام دارك
فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة فى الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فانك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن
كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام مالك لا تزهدين فى قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها ومالك تنزحين بدنيا ان ساحدتك فلا تخلو
بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك فى نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هولاء الاخساء فما اجهلك واخس
همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكونى فى زمرة المقربين من النبيين والصديقين فى جوار رب العالمين ابدا الابدين لتكونى فى صف
النعال من جملة الحمقى الجاهلين يا ما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فيا دريتى ويحك يا نفس فقد اشرفت على المهالك واقترب
الموت وورد النذير فمن ذا يصلى عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضى عنك ربك بعد الموت ويحك يا نفس ما لك
الا ايام معدودة هى بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة فى حق نفسك
فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على حادثك اما تعلمين يا نفس ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك
والفزع الاكبر بين يديك اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى عند ك على باب البلد ينتظرونك وقد الوا على انفسهم كلهم بالايمان المغلظة انهم
لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت فى
امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك فى الغفلة والبطالة ويحك يا نفس اما
تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله فى السر بالظائر افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين
عليك اما مرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وانت عنه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين يا نفس
ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين فى تطهير غيرك وانت غير طيبة فى نفسك ويحك يا نفس لو عرف نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس ما يصيبهم
بلاء الا بشومك ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا لابليس تقودك الى حيث يريد ليسخر بك ومعه فتعجبين بعمله وفيه من الافات ما لو نجوت منه اسابرا لكان الرجح
فى يديك وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وذلك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده ما تى الف سنة واخرج ادم من
الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغرك ويحك يا نفس ما اوقحك ويحك يا نفس ما اجهلك وما اجرأك
على المعاصى ويحك كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تمهدين فتفسدين ويحك يا نفس التشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك
غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا
ويحك يا نفس امالك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الاخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما
انت الا فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فانى على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يكون قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس
منك التراقى ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وتبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك
الحزن او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة
مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يا نفس تعرضين عن الاخرة وهى مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا
وهى معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه فانت تشاهدين ذلك فى اخوانك واقاربك وجيرانك فترين
نحسرهم عند الموت لم لا ترجعين عن جهالتك فاحذرى ايتها النفس المسكينة يوما يأتى الله فيه على نفسان لا يترك فيه عبدا امره فى الدنيا
ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظرى يا نفس باى بدن تستقبلين يدى الله وباى لسان تجيبين اعد للسؤال
جوابا والجواب صوابا واعلى بقية عمرك فى ايام قصار لا يام طوال وفى دار زوال لدار مقامة وفى دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعلى

قبل ان لا تعملى لخروجى من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجى منها على الاضطرار ولا تفرحى بما يساعدك من نهرات الدنيا فرب مسرور مغبون
ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له فى كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا
نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكونى ممن يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغى الزيادة
فيما بقى وينهى الناس ولا ينتهى واعلمى يا نفس انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر
فاتعظى يا نفس بهذه الموعظة واقبلى هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية
فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعينى عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة
والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمى ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على
ظاهره وباطنه فوطنى نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك محل
للوعظ فاقنطى من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء مع انسداد طرق الخير
عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظرى الان هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التى ابتليت بها وهل تسح عينك بدمعة رحمة منك
على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بئر الرحمة فقد بقى فيك موضع للرجاء فواظبى على النياحة والبكاء واستغيثى بارحم الراحمين واشتكى
الى اكرم الاكرمين وادمنى الاستغاثة ولا تملى طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتمادت
قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجاء ولا منجا الا الى مولاك فافزعى
اليه بالتضرع واخشعى فى تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر
وقد اصبحت اليه اليوم مضطرة والى رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل واسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولو تخلى عنك العطاء
ولو يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤل جواد والمستغاث به بر رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولى يا ارحم الراحمين
يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا المجرئ الذى لا اقلع انا المتمادى الذى لا استحيى هذا مقام المتضرع المسكين والبائس
الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتى وفرجى وارنى آثار رحمتك واذقنى برد عفوك ومغفرتك وازذقنى قوة عصمتك يا ارحم
الراحمين اقتداء بابيك آدم عليه السلام فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله آدم من الجنة الى الارض مكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله عز وجل
عليه فى اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس الرأس فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ما هذا الجهد الذى اراه بك قال يا رب عظمت مصيبتى
واحاطت بى خطيئتى واخرجت من ملكوت ربى فصرت فى دار الهوان بعد الكرامة وفى دار الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار
البلاء بعد العافية وفى دار الزوال بعد القرار وفى دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكى على خطيئتى فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الم
اصطفك لنفسى واحللك دارى وخصصتك بكرامتى وحذرتك سخطى الم اخلقك بيدى ونفخت فيك من روحى واسجدت لك ملائكتى
فعصيت امرى ونسيت عهدى وتعرضت لسخطى فوعزتى وجلالى لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوننى ثم يسجنونى ثم عصونى لانزلتهم
منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام وكان عبيد الله البجلى كثير البكاء يقول فى بكائه طول ليله الهى انا الذى كلما طال عمرى
زادت ذنوبى انا الذى كلما هممت بترك خطيئة عرضت لى شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لو تبلو صاحبها فى طلب اخرى واعبيداه ان كانت
النار لك مقيلا وماوى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك نهيأ واعبيداه قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى وقال منصور بن
عمار سمعت فى بعض الليالى بالكوفة عابدا يناجى ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك
وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لى نفسى واعاننى على ذلك شقوتى وغرنى سترك المرخى على فعصيتك
بجهلى وخالفتك بفعلى فمن عذابك الان من يستنقذنى وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عنى واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفاء
جوزوا وقيل للمثقلين خطوا مع المخفين اجوزام مع المثقلين احط ويلى كلما كبرت سنى كثرت ذنوبى ويلى كلما طال عمرى كثرت معاصى فالى متى اتوب و
الى متى اعود اما ان لى ان استحيى من ربى هذه طرق القوم فى مناجاة مولاهم وفى معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء و
مقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهل المعاتبة والمناجاة لو يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام تم
كتاب المحاسبة والمراقبة يتلوه كتاب التفكر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

كِتَابُ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ وَهُوَ الْكِتَابُ التَّاسِعُ مِنْ رُبُعِ الْمُنْجِيَاتِ مِنْ كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لم يقيد الافهام عزة بحوا ولا قطرا: ولم يجعل لمرقى اقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته مجرى: بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء حيرة والهة تجرى: كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا: واذا همت بالانصراف آيسة نودیت من سرادقات الجلال صبرا صبرا ثم قيل لها تجلى فى ذل العبودية منك فكرا يلاك لو تفكرت فى جلال الربوبية لو تقدرى له قدرا: وان طلبت وراء الفكر فى صفاتك امرا: فانظرى فى نعم الله تعالى وايادیه كيف توالت عليك تترى: وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا: وتاملى فى بحار القادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا فان جاوزت النظر فى الافعال الى النظر فى الذات فقد حاولت امرا امرا: وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر ظلما وجورا: فقد انبهرت العقول دون مبادى اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وان كان لم يعد سيادته فخرا صلاة تبقى لنا فى عرصات القيامة عدة وذخرا: وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم فى سماء الدين بدرا: ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث فى كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره وموارده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولو يعلم انه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولما ذا يتفكر وما الذى يطلب به اهو مراد لعينه ام لثمرة تستفاد منه فان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهى من العلوم او من الاحوال ومنهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر او لا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى **فضيلة التفكر** قد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فيه فان هذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما جاء خلق من خلق الله عز وجل لو عصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا وعن عطاء قال انطلقت يوما انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فلخبرنا بأعجب شئ رآيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى فقال ذرينى اتعبد لربى عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى ان ابكى وقد انزل الله تعالى على فى هذه الليلة آن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها قيل للاوزاعى ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ابى الدرداء بعد موت ابى الدرداء فسالها عن عبادة ابى الدرداء فقالت كان نهاره اجمع فى ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة فى الخير تلقح العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل اذا المرء كانت له فكرة: ففى كل شئ له عبرة: وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال امتنع قلوبهم التفكر فى امرى وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لم تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يضف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عز وجل من افضل العبادة

وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن حلى وراه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشى اذ جلس فقنع بكسائه فجعل يبكى فقلنا ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب اجلى وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ابو سليمان الفكر فى الدنيا حجاب عن الاخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر فى الاخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر فى الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال فى بعض كتبه انى لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه تحدثا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحاق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء فتفكر فى ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جاره قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال ايضا صحة النظر فى الامور نجاة من الغرور والعزم فى الراى سلامة من التفريط والندم الروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها فى الشهوة والثالثة القوة وقوامها فى الغضب والرابعة العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء فى الفكرة وما شرع احد منهم فى ذكر حقيقتها وبيان مجاريها **بيان** حقيقة الفكر وثمرته اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة واثر الحيوة الدنيا واراد ان يعرف ان الاخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الاخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الاخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثانى ان يعرف ان الباقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الاخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الاخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين فى القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهى مختلفة المعانى وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شئ واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل عليه مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار يطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة وان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فيطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكر تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحى عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت فى القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة تنتج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج اخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طرق زيادة المعارف بالموت او بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدى الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة فى العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف التى منها تستثمر العلوم كالذى لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضى الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهى فى القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف تحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير فى الايراد فكم من انسان يعلم ان الاخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الباقى اولى بالايثار وان الاخرة ابقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة التفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى

معرفة ثالثة وأما ثمرة الفكر في العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح الى الخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من الكراهة الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الاخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الاخرة اولى بالايثار فاذا دام سخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الاخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الاخرة فهاهنا خمس درجات اولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيتها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها للوضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويولف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد وتتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لو يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لو يكن يراه لو لم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما تنتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاما ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي تتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها وهذا الوارد مريدان يحصروا في الفكر ومجاريه وانى فيما ذا يتفكر لو يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون في ذلك ضبطا اجماليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر **بيان** مجاري الفكر اعلم ان الفكر قد يجري فيما يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان تتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله ولا يمكن ان يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه والاحاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته وذاته ليتنعم بالفكر فيه ومشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على الطافه وصفاته ليكون في ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقط من عين محبوبه حتى يتنزه عنها وفي الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل هو الذي يستغرق العاشق ويستولي على القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا يعد ونظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو المقصود بهذا الكتاب واما القسم الاخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى الظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما يتعلق بجميع البدن كالفرار من الزحف في صف القتال وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجيء في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارف فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح احاد هذه الانقسامات

يطول ولكن انحصر هذا القسم فى اربعة انواع الطاعات والمعاصى والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر فى كل نوع مثالا يقيس به المريد بصائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه **النوع الاول المعاصى** ينبغى ان يفتش الانسان صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم يدبر على الجملة هل هو فى الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها فى نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر فى اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والمماذحة والخوض فيما لا يعنى الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا فى نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر فى شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر فى احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منه ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد وبالجملة الاصل الحافظ فيما ينكر عليه منها تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حجرا فى فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر فى حيلة الاحتراز ويتفكر فى سمعه انه يصغى به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمع من يد ومن عمرو وانه كيف ينبغى ان يحترز عنه بالاعتزال او بالنهى عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر فى بطنه انه انما يحصله الله تعالى فيه بالاكل والشرب فما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند اهل مقوية للشهوة التى هى سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه ومركبه وما يكسبه ويتفكر فى طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر فى طريق الحيلة فى الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس للعبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل صلاة عبد فى ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر فى اعضائه ففى هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فيما يحصل بالتفكر حقيقة المعرفة لهذه الاحوال ثم يشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها و

اما النوع الثانى وهو الطاعات فينظر اولا فى الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر فى الافعال التى تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر فى ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل فى طاعة الله تعالى وتنظر فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين فى طاعة الله تعالى بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول فى سمعه انى قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فلم اعطله وقد انعم الله على به وادعنيه لاشكره فما لى اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر فى اللسان و يقول انى قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح والسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب ذى الصلاح وعمر والعالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر فى ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلانى فانى مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقنى الله تعالى مثله وان كنت محتاجا الان فانا الى ثواب الايثار احوج منى الى ذلك المال وهكذا يفتش عن جميع اعضائه وجملة بدنه واعماله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادوات واسباب يقدر على ان يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغب فى البدار الى تلك الطاعات ويتفكر فى اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات

واما النوع الثالث فهى الصفات المهلكة التى محلها القلب فيعرفها مما ذكرنا فى ربع المهلكات وهى استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر فى كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليها فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغى ان يجرب نفسه بحمل حزمة حطب فى السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب ينال له من غيره ثم يجربها فى كظم الغيظ وكذلك فى سائر الصفات وهذا تفكر فى انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا وذلك علامات ذكرناها فى ربع المهلكات فاذ ادلت العلامة على وجودها فكر فى الاسباب التى تقتضى تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث المدخلة كما يرائى فى نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملى ببدنى وجارحتى وبقدرتى وارادتى وكل ذلك ليس منى ولا الى واغا هو من خلق الله وفضله على فهو الذى خلقنى وخلق جارحتى وخلق قدرتى وارادتى وهو الذى حرك اعضائى بقدرته ولذلك قدرتى وارادتى فكيف اعجب بعملى او بنفسى ولاقوام لنفسى بنفسى فاذا احس فى نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر فى الحال يموت مقربا الى الله تعالى لتبرئه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصل الحماقة فيتفكر فى علاج ازالة ذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد فى نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر فى ان هذه صفة البهائم ولو كان فى شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من

صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرد على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب

واما النوع الرابع وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضى بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه احوال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه بالنظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى يلتمع له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه وايادية عليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فلتطلع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير الى طرف يسير منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم ليتفكر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده ان يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بعد هذا هول القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها والهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها والهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها والهم اذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا والهم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فليتفكر في الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محمودة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأ العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم فليتوقف في التأمل فيها وليلتذ بها فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح احاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي لحب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للتأملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقهم وحال ذلك بينهم وبين التفاتهم الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة ويزينه باطنه وظاهره على الكمال وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه ان ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عنده لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يلتذ بالقرب ولذلك كان الخواص يدورون في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال فيم انت فقال ادور في البوادي اصلح حالي في التوكل فقال الحسين افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها ووجهها وشعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يحركك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة فدونك واتعاب البدن

بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للجالسة اقوام اخرون واذا عرفت مجال
الفكر فى علوم المعاملة التى بين العبد وبين ربه فينبغى ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن
صفاتك المبعدة من الله تعالى واحوالك المقربة اليه سبحانه وتعالى بل كل مريد فينبغى ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات
وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصى والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم وليكفيه من المهلكات النظر فى عشرة فان ان سلم منها سلم من
غيرها وهى البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم
على الذنوب والصبر على البلاء والرضى بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد فى الدنيا والاخلاص فى الاعمال وحسن
الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط
عليها فى جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم ان ذلك لو تيسر الا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله
الى نفسه لم يقدر على محاولة الرجوع عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات
فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقى وهذا يحتاج اليه المريد المشمر واما اكثر الناس من المعدودين من الصالحين
فينبغى ان يثبتوا فى جرائدهم المعاصى الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط فى معاداة
الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان الكثير من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن
جملة من هذه المعاصى فى جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع
من المعصية فينبغى ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا فى معاصى هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو فى غالب الامر عن اظهار
نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون
فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع فى القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه
لم يخل عن غيظ وانفة وحقد على من يرده وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق
وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلاما ويرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستكاف
من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد
يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه فى القلب اعلاء لدين الله فان كان فرحه بحسن اللفظ
وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخادع وانما يدان حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما احتاج ضميرك
لهذه الصفات ظهر على ظاهرك ذلك حتى يكون للمرء قوله المعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد فرحا واستبشارا ممن يغلو فى مولاة غيره و
ان كان ذلك الغير مستحقا للمولاة وربما ينتهى الامر باهل العلم الى ان يتغايروا وتغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان
يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه فى دينه وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة فى سر القلب التى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها
وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ولا مطمع له فى سلامة العوام فمن احس من نفسه بهذه الصفات
فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى ومهما سئل فقد كان المسجد يحوى فى زمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم جمعا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتى كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغى ان يتقى شياطين الانس
اذا قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عنى فانى قد كان محمورا قبلى وكذلك يكون
بعدى ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام فان الدين مستغن عنى واما انا فلست مستغنيا عن صلاح قلبى واما اداء ذلك الى الدراسة العلم فخيال يدل
على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان
الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل
ينتهض لنشر العلم اقوام لا نصيب لهم فى الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر فلا ينبغى ان يغتر العالم بهذه التلبيسات وينشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق
قال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة
غنم بأكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل

ل ٢ الزهد فى الدنيا وفى نسخة الاعراض عن الدنيا
ل ٣ الصوت الخفى الذى لا يسمعه الا الصبيان
ل ٤ الفتاوى جمع فتوى وهى الجواب عن المسئلة
ل ٥ الزريبة الحظيرة التى تكون للغنم

ما يزيد جاهر في قلوبهم فليكن فكر العالم في التقطن لخبايا هذه الصفات من قلبه في استنباط طريق الخلاص منها وهذا وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا
فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب اذ لو رأنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فاما اعمالنا
اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي و
نحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا ان يقتدي بنا في الحرص
على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء احق واولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا
فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه
مجاري افكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بشاهدته
بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منها قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا
مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد
اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في اكمال التنعم الا باخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات
وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الولد غها على لدغ العقارب والحيات هذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه
المحجوبة وللمكروهة عند ربه تعالى القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامات المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني
اسمائه وهذا ما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون
ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل
يختفي لها راوانما يتردد ليلا لا ينظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر على النظر اليها
ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو ادام النظر ونظره المختطف اليها يورث العشى ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث الحيرة
والدهش واضطراب العقل فالصواب اذا ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمل بل القدر اليسير الذي صرح
به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو
منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعاظم ويتعالى
عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال
بعض الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله يظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف
الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غاية ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه
غلمان يمتثلون امره فلا جرم غاية ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس في الخالق جناحان
ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني فيكون مقصوص الجناح او يكون منا لا يقدر على الطيران ويكون له الة
وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان جهول ظلوم كفارا ولذلك اوحى الله تعالى
الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطرا من هذا الوجه
او بالشرع وصلاح الخلق ان لا تعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله ومجاري قدرته وعجائب صنعه وبدائع
امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر الى صفاته من آثار صفاته
فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور
القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة تامة وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر
وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من انوار ذاته بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء
كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض
الشمس فقد جرت العادة بان يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق
النظر اليها فكذلك الافعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا نور الذات بعد ان تباعد عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله
عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله تعالى **بيان** كيفية التفكر في خلق الله تعالى اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى

فهو فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته
واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر قبل ان ينفد عشر عشيره ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال
لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى ويخلق
ما لا تعلمون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها
ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر
فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك ومجال الفكر في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي
المدركات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في
طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض هو الجو مدرك
بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصفها بل هذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض
وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع منها ينقسم الى اصناف ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه
في اختلاف صفاته وهيآته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ولا نبات ولا
حيوان ولا فلك ولا كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال
على جلاله وكبريائه وهي الايات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الايات كما قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وكما قال تعالى ومن آياته ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الايات

فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار
في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في
نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم افلا تبصرون وذكرك انك مخلوق من نطفة قذرة فقال فلينظر الانسان مما خلق خلق من ماء
فقدره ثم السبيل ييسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم وقال ولقد
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة
عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الاية فتكرير ذكر النطفة في
الكتاب العزيز ليس ليسمح لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الان الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت
وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة
المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق
المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم
كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء
الظاهرة فدوّر الراس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مدّ اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل
ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار
مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة
مخصوصة لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا الى نصف ما في احاد هذه الاعضاء من العجائب
والآيات لانقضى فيه الاعمار فانظر الان الى العظام وهي اجسام صلبة في غاية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا
له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا
الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه مفتقرا التردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى يتيسر بها الحركة
وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار رابطتها من احد طرفي العظم والصقها بالعظم
الآخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار

لم يمش مع الاشياخ ولم يجتمع بهم ولكنه رآهم وسمع كلامهم وقرأ عليهم
والجمع بينهما بالرؤية ورؤيا
الاشياخ التي تجتمع في اليقظة
كذا في الاصل
كذا في الاصل
كذا في الاصل

العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لو يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تحض القحف واربعة عشر للحى الاعلى واثنان للحى الاسفل والبقية هى الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهى الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات ينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة فيتصل برمز اسفله عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين و عظام العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام فى بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التى حشى بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان ينظر منها فى مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها واحد الكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحد الكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج فى جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى الآلات لتحريك العظام وهى العضلات فخلق فى بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب وربط واغشية وهى مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقد رجحاجا لها فاربع وعشرون عضلة منها هى لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين وهكذا الكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها والشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللمتفكر مجال فى احاد هذه الاجزاء ثم فى احاد هذه الاعضاء ثم فى جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله فى قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه فى قطرة ماء فما صنعه فى ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته فى اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هى احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما فى الارض الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى ءأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل انه لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون على ذلك بل لو اراد وا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصور على حائط تائق النقاش فى تصويرها حتى قوب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم فى قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالحائط وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشىء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها فى الاصلاب والترائب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام فى ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سببا لبقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن جاويا للآلات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيأتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر فى مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن ليجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تجويفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطوال طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها دابة فى حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمها واغذيتها وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وتروحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه

ك الغضاريف الطرفية للاضلاع
ل خرزة الظهر ٢٤ ت
م العصص كقفة عجب الذنب
ن اصله ارق
س تقدار ارتفاعها واخفضها
ع الذاهب فى الظلمة ينقبض
ف اغطش الليل اذا اظلم
ص تعلق فى عجب الانسان
ق الرجاء مقصور ايجيء الجيد
ر وكل ما جيء رجاء فالرفع
ش وروح نسيم وريح وريح الجنة
ت سورة الشمس

اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما فى القلب وزين الفم بالاسنان ولتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤسها وبيض لونها
ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كالها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما التنطبق على الفم فتسد
منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت فى مخارج
مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طرق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال فى الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة
الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض
الناس عن بعض بمجرد الصوت فى الظلمة ثم زين الراس بالشعور والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب بدقة الشعر و
استقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة
الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها
والكلية تخدمها بجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرج فى طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد فى ايصال
الدم الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولها لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل
ووضع الاربعة فى جانب الابهام فى جانب لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر
فى وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع فى الطول وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا على اخر
الترتيب صلحت اليد للقبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت له آلة للضرب وان ضمها ضما
غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها
حتى لا تقطع وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تنتنا ولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذى هو اخس الاعضاء لو عدمه
الانسان وظهر ببحلة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولو لم يقم احد مقامه فى حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد اليه ولو فى النوم
والغفلة من غير حاجة الى طلب ولو استعان بغيره لو يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من المظفة وهى فى داخل الرحم فى
ظلمات ثلث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر اليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل ترى
مصورا او فاعلا الا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته
فانه لما ضاق الرحم عن الصبى لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم
لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدى ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له فى خلق اللبن اللطيف واستخرجه من
بين الفرث والدم سائغا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت لهما حلمتين على قدر ما يطبق عليهما فم الصبى ثم فتح فى حلمة
الثدى ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من
ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته ورأفته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه فى الحولين لا يتغذى
الا باللبن فيستغنى عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند
الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة فى تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره فى الوقت
الذى كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لو يسلط الله الرحمة على قلوبهما كان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف زينه القدرة والتمييز
والعقل والهداية بتدريج حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او شكورا مطيعا او عاصيا مؤمنا او كافرا تصديقا
لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية والعجب كل العجب ممن يرى خطا
حسنا او نقشا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى التفكر فى النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال
يستعظمه فى نفسه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب فى نفسه وفى غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا يهتدى
عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التى لا يمكن استقصاؤه فهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك
وانت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهى فتجامع وتغضب فتقاتل وتشاركك
فى معرفة ذلك البهائم والسباع كلها وانما خاصية الانسان التى حجبت البها ثم عنها معرفة الله تعالى بالنظر فى ملكوت السموات والارض و

عجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد فى زمرة الملائكة المقربين ويحشر فى زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست هذه المنزلة لبهائم ولا للانسان رضى من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهائم بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر فى نفسك فتفكر فى الارض التى هى مقرك ثم فى انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السموات **اما الارض** فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا فى مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها تمنعها من ان تميد بكم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثرت نطوافهم فقال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا وقد اكثر فى كتابه العزيز من ذكر الارض ليتفكر فى عجائبها فظهرها مقر الاحياء وبطنها مرقد الاموات ولذلك قال الله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى الارض وهى ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت عجائب النبات وخرجت منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف ودع المياه تحتها فتحجرت العيون واسال الانهار تجرى على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شئ حى فاخرج به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والاذكية يفضل بعضها على بعض فى الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من ارض واحدة فان قلت ان اختلافها باختلاف بذورها واصولها فمتى كان فى النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان فى حبة واحدة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى ارض البوادى وفلش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف ودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليهما وهذا يصفى الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح فى تربيته الى عمل مخصوص فالنخل تؤبر والكرم يقطع والزرع ينقى عند الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبت ببث البذر فى الارض وبعضه بغرس الاغصان وبعضه يركب فى الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات وانواعها ومنافعها واحوالها وعجائبها لانقضت الايام فى وصف ذلك فيكفيك من كل جنس بذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات **ومن آياته** الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض فهى الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت الطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاوانى والآلات والنقود والحلى منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضى سبخة بحيث يجتمع فيها الماء الصافى من المطر فيستحيل ملحا ماكحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنأ عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شئ منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغى وعلى الوجه الذى ينبغى وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق **ومن آياته** اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشى وانقسام ما يمشى الى ما يمشى على رجلين والى ما يمشى على اربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد فى بعض الحشرات ثم انقسامها فى المنافع والصور والاشكال والاطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه فى عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان يستقصى ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحلة او العنكبوت وهى من صغار الحيوانات فى بنائها وبيتها وفى جمعها غذاءها وفى الفها لزوجها وفى ادخارها لنفسها وفى حذقها فى هندسة بيتها وفى هدايتها الى حاجاتها لم تقدر على ذلك فترى العنكبوت يبنى بيته على طرف هر فيطلب ولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل الخيطين

ل اولا لانه فيه شوا
ن بيانا او مثل الخ
ل العيش
ل عن ان يطا والاصل
ل حيث شئ
ل الاول الفوقية
ل لفقا الكافة
ل اى لضم وجمع
ل الضم والعصر
ل كان كما
ل الواو
ل على الارض
ل ظهرا بعد
ل مفعول ثان
ل الاباء بالفوقية
ل من طلع النخل
ل الخ
ل ابو نخلة وابوة
ل الفوقية
ل الطوفة
ل الخ

طرفه ثم يبتدى ويلقى اللعاب الذى هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعود والى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا
ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى استغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى
ويضيف بعضها الى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعى فى جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها
البق والذباب ويقعد فى زاويته مترصدا لوقوع الصيد فى الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك
طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفى الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسا فى الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت ذباب
دمى بنفسه اليه فلخذه ولف خيطه على رجليه واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه
الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كودا دمى او علمه اولا هادى له ولا معلم افيشك ذو بصيرة فى انه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم المخصه
الظاهرة قوته عاجز عن ام نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره
الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى فى هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه
الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة
وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا راى حيوانا غريبا ولودوده اتجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان
اعجب الحيوانات وليس تعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التى الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها
واصوافها واوبارها واشعارها التى جعلها الله لباسا لخلقه واكنانا لهم فى ظعنهم واقامتهم واثاثا لاشربتهم واوعيتها لاغذيتهم وصوفا
لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها ذلية للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادى والمفازات البعيدة
لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور ملشوفة
فى علمه من غير تفكر ومن غير تامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج باقل القليل ما خلقه صدق
الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده ما الخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته
فمن فهم اللذى يحصى ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسال الله تعالى ان يكرمنا بهدايته
بمنه ورافته **ومن آياته** البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التى هى قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع
المكشوف من البوادى والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبى صلى الله عليه وسلم
الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض وما فيها
فتامل الآن عجائب البحر فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض و
لعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها فى البحر فتظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحتفر بالديران اذا اشتعلت فتحرك و
يعلم انها حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس وطير او بقر او انسان الا وفى البحر امثاله واضعافه وفيه اجناس لا يعهد لها نظير
فى البر وقد ذكرت وصافها فى مجلدات وجمعها اقوام غنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوده فى صدف تحت الماء وانظر
كيف انبت المرجان من صم الصخر تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من البحر ثم تامل ما عداه من العنبر واصناف النفائس التى يقذفها
البحر ويستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك
لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله فى البحر فى
مجلدات واعجب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية فطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شئ واحد
لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو
احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا فى تحصيلها او ملك ذلك ثم لو شربها وضع من اخراجها لبذل جميع
خزائن الارض وملك الدنيا فى اخراجها فالعجب من الآدمى كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله فى شربة ماء اذا احتاج
الى شربها او الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها فتامل فى عجائب المياه والانهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد ناطقة
وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية لارباب القلوب بنعتها قائلة لكل ذى لب ما ترانى و
ما ترى صورتى وتركيبى وصفاتى ومنافعى واختلاف حالاتى وكثرة فوائدى انظن انى تكونت بنفسى او خلقنى احد من جنسى او ما تستحيى ان تنظر

فى كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانها من صنعة آدمى عالم قادر مريد متكلم فتنظر الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهى بالقلم الالهى الذى لا تدركه الابصار ذاته ولا تحركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمنى فى ظلمة الاحشاء مغمورة فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط والتصوير على وجهى فينقش النقاش حدقتى واجفانى وجبهتى وخدى وشفتى فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم انما هذا النقاش بأعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرة او مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذى يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها ان الذى صوّر ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما ان نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانا نتعجب من كل عجب فان الذى اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبيين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصائر احبائه فشاهدوه فى جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واحتجب عنهم بعزه وجلاله فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه **ومن آياته** الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة فى جو السماء وهى سابحة فيه باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر فى الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله بشرا بين يدى رحمته كما قال سبحانه وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدة قوته مهما ضغط فى الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمسه فى الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص فى الماء لان الهواء ينقبض عن الغوص فى الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة فى الهواء اللطيف كالذى يقع فى بئر فيعلق بذيل رجل قوى ممتنع عن الهوى فى البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الماء فسبحان من علق المركب الثقيل فى الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق ففى عجائب ما بين السماء والارض وقد اشار القرآن الى جملة ذلك فى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذى بينهما واشار الى تفصيله فى مواضع شتى حيث قال تعالى والسحاب المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك فى هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الى عالم الملاء الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرا فغمض عينيك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب اسرارها وهذا ايضا باب يطول الفكر فيه اذ لا مطمع فى استقصائه فتامل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له فى جو السماء الى ان ياذن الله فى ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى اراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى تصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عن ذلك ولا يعلم عددها الا الذى اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض لكل حيوان فيها من طير ووحش ودود وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة حظ الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انها رزق الدودة الفلانية التى فى ناحية الجبل الفلانى تصل اليها عند عطشها فى الوقت الفلانى هذا مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التى لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمومنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جماله وعظمته والاعتراف بالعجز عن الاحاطة بكيفيته ورجم الظنون بذكر وسببه

فيقول الجاهل المغرور انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذى خلقه ومن الذى خلق الماء الذى طبعه الثقل وما الذى رقى الماء المصبوب فى اسافل الشجر الى اعالى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى اسفل ثم ارتفع الى فوق فى داخل تجاويف الاشجار شيئا شيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع اطراف الاوراق فيغذى كل جزء من كل ورقة ويجرى اليها فى تجاويف عروق شعرية صغار يروى منها العرق الذى هو اصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورقة عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق اصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط فى جميع عرض الورقة فيصل الماء فى اجوافها الى سائر اجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويربيها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر اجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذى سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهى بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل **ومن آياته** ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة فى بحر او اصغر ثم انظر كيف عظم الله امر السموات والنجوم فى كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيمها فى مواضع وكم من قسم فى القرآن بها كقوله تعالى والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها وكقوله تعالى والشمس وضحيها والقمر اذا تلاها وكقوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم اذا هوى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجائب الخطفة القدرة عجز عن معرفتها الاولون والاخرون وما اقسم الله بها فما ظنك بما اقسم الله تعالى به ولحال الارزاق حلى بها واضافها اليه فقال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون فى خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مج بها سبلته اى تجاوزها من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاى نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهى متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال سبحانه وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال ءأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى ذرة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان اليها ترتشادك فى هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشئ من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاطل ايها العاقل فكرك فى الملكوت فعسى ان تقرع لك ابواب السماء فتجول بقلبك فى اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال رأى قلبى ربى وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شئ اليك نفسك ثم الارض التى هى مقر ثم الهواء الملتف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسى ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منتجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسى والسموات والارض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز والفيافى والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهى معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فبماذا اتقلعت وفى ماذا تفكرت والى ما ذا اتطلعت فارفع لا ان راسك الى السماء وانظر فيها وفى كواكبها وفى دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها ولختلاف مشارقها ومغاربها ودوامها على الدوام من غير فتور فى حركتها ومن غير تغير فى سيرها بل تجرى جميعا فى منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله تعالى طى السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصى ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة فى الارض الا ولها مثال فى السماء ثم انظر الى مسير الشمس فى فلكها فى مدة سنة ثم هى تطلع فى كل يوم وتغرب لسبب آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولاطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل

لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء فى مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت فى وسط السماء اشتد القيظ واذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع فى احصاء عشر عشير جزء من اجزاءها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة فى خلقه ثم فى مقداره ثم فى شكله ثم فى لونه ثم فى وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التى بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا فى كبر جسم ولا فى كثرة معانيه وقس التفاوت الذى بينهما فى كثرة المعانى بما بينهما من التفاوت فى كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر آدمى على ان يذرعها ويدا ويجوبها وقد اتفق الناظرون على ان الشمس مثل الارض مائة وبيفا وستين مرة وفى الاخبار ما يدل على عظمها ثم الكواكب التى تراها اصغرها مثل الارض ثمانى مرات واكبرها ينتهى الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك اشار الله تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفى الاخبار ان ما بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض اضعافا فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التى الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا عن ان تدرك سرعتها الكثر لا تشك انها فى لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فهذه دار الفلك فى هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها فى حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل بيت غنى فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه الى هوائه والى عجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذى تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جزء من الارض التى هى احسن اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت ربك وهو الذى انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر على ان تاكل عشر ما تاكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان تقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فيسألونك بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك فى موادتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون فى بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر فى جمال ملكوت السموات والارض ثم غفلت عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذى حفرته فى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجوارى والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها واخذها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذى فى القصر فهى بمعزل عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها واخذها وبيتها الى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت ايضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول فى الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة الى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الانبياء كلهم قليل بالاضافة الى ما عرفته الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس

للاحياء والموتى والجوابة والارامل
للموتى والاحياء والارامل
ليس له شبيه
ليس له شبيه
وبالفتح مصدر مجهول

اذا اضيف الى علم الله سبحانه لو يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي يحوم فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا يزال تطلع على غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد لحبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منها بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف الى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصر النظر عليها من حيث تاثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى بملحفة الضلال ونساله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته * تم الكتاب التاسع من ربع المنجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد واله وسلامه يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده وبه يكمل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه وفضله *

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات وبه اختتام كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قصر بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة: وقصر به امال القياصرة: الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة: حتى حم بما الوعد الحق فاردام في الحافرة: فنقلوا من القصور الى القبور: ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود: ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مقاساة الهوام والديدان: ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب: ومن انس العشيرة الى وحشة الوحدة: ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا: واتخذوا من دونه حجابا وحرزا: وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا: فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء: واستاثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء: وجعل الموت مخلصا للاتقياء: وموعدا حتما للقاء: وجعل القبر سجنا للاشقياء: وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء: فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة: والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة: والايات الباهرة: وعلى اله واصحابه وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فجدير من الموت مصرعه والتراب مضجعه: والدود انيسه: ومنكر ونكير جليسه: والقبر مقره: وبطن الارض مستقره والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار ونزبص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشئ الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الاخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا له على الاستعداد فقد قرب الرحيل وما بقي من العمر الا القليل والخلق عنه غافلون اقرب الناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين **الشطر الاول** في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في ذم طول الامل وقصره الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده لموت الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام *

الباب الاول فى ذكر الموت والترغيب فى الاكثار من ذكره اعلم ان المنهمك فى الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه وأولئك هم الذين قال الله فيهم قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منته اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتاسف على دنياه ويشتغل بذمته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فلا يكثر من ذكر الموت لينبعث بمزعج قلبه الخوف والخشية فيقضى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطف قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا ان يكون حرصه على الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك فى الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد للقاء الحبيب والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا فى غالب الامر يستطيل مجىء الموت ويحب محبته ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الى من الغنى والسقم احب الى من الصحة والموت احب الى من العيش فسهل على الموت حتى القاك فاذا التائب معذور فى كراهة الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد تجرد بفرط المحبة الولاء الى مقام التسليم والرضى وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك فى الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة **بيان** فضل ذكر الموت لقيما كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكرت الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويقتضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن فلا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولو يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض وقال عطاء الخراسانى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضى الله عنهما اتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة **واما الآثار** فقد قال الحسن رحمه الله تعالى افضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بى احدا وسلونى الى ربى سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخى احذر الموت فى هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم التيمى شيأ ان قطعا عنى لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كان قائلا يقول فى وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا واجمين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار والامر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضى الله عنها ان امراة اشتكت الى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز

لبعض العلماء عظنى فقال لستَ اول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من ابائك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات ليستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيق عليك وان كنت ضيق العيش وسع عليك وقال ابو سليمان الدارانى قلت لام هارون الحبابين الموت قالت لا قلت لو قالت لو عصيت آدم بما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته **بيان** الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب اعلم ان الموت هائل و خطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شئ الا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه كالذى يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يوثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانجع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقران الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم فى مناصبهم واموالهم ويتامل كيف محا التراب الا ان حسن صورهم و تبددت اجزاؤهم فى قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجلا رجلا وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وامله للعيش والبقاء ونسيانه للموت واغتراره بموانات الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد هدمت رجلاه ومفاصله وانزكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر فى نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء رضى الله عنه اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله عز وجل تضعونه فى صدع من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى فى التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا ينبغى ان يتذكر فى الحال انه لابد له من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثانى فى طول الامل وفضيلة قصر الامل وسببه وكيفية معالجته **فضيلة** قصر الامل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا وروى على كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحب الدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدرى اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذى نفسى بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلى لا ابلغه وروى انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلام مثل ابن آدم والى جنبه تسع

وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع فى الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذا الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم هو يؤمل وهذا الحتوف شوارع اليه فايها أمر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذى فى الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض الخطوط التى حوله تنهشه ان اخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل يعنى الخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والامل وفى رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخر هذه الامة بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثيرها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لى نفسى الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة و اضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتى وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثنوا الجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم انى اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل **الاثار** قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما هنئوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق وقال الثورى بلغنى ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم تهنه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بغفلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه ثلاث اعجبتنى حتى اضحكتنى وامؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى لساخط رب العالمين عليه ام راض وثلاث احزنتنى حتى ابكتنى فراق الاحبة محمدا وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدى الله ولا ادرى الى الجنة يؤمر بى او الى النار وقال بعضهم رايت زرارة بن ابى اوفى بعد موته فى المنام فقلت اى الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر الامل وقال الثورى الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا بلبس العباءة وسأل الفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم هاج به فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد الا تغسل فتيصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا لارجل ما ارد عنقه والسيف عليه ينتظر متى يضرب عنقه وقال داود الطائى لو املت ان اعيش شهرا لرأيتنى قد انيت عظيما وكيف املى ذلك وادنى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار وحكى ان دجاجا شقيق البلخى الى استاذ له يقال له ابو هاشم الرمانى وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك فقال لو زادت دفعها الى فقال لعجبان تقطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق فى وجهى الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الاخرة ليهوى وكونوا ممن عاين ما اعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامل فتقسو قلوبكم وتنقادوا للعدو كم فانه والله ما بسط امل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسى بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رايت ورايتم من كان بالله بنيا مغترا وانما نقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وانما يفرح من امن من اهوال يوم القيامة فاما من لا يدرى كما لا اصابه جرح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله من ان ارى كوميا انهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر غبنتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد غبنتم يا مر لو غبنت به النجوم لانكدرت ولو غبنت به الجبال الذابت ولو غبنت به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والاخرة يقظة والمتوسط بينهما اللوت ونحن فى اضغاث احلام والسلام وكتب اخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب والنقص فى كل يوم منه نصيب والبلاء فى جسمه نصيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن كان لادم عليه السلام قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول الجبل امله بين عينيه واجله خلف ظهره وقال عبد الله بن سميط سمعت ابى يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رايت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من ذنوبك ايا الصحة تغترون ام بطول العافية تفرحون ام الموت تأمنون ام على الموت تجترؤن ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمتم ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا اعمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكرياء التيمى بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام

Stamp: Property of Maulana Azad Library, Aligarh Muslim University

اذا اتى بحر منقور فطلب من يقرأه فاتى بوهب بن منبه فاذا فيه ابن ادم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في
الزيادة من عملك ولقصر من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لوقد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الوالد
والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل اليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء
شديدا وقال بعضهم رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني
احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فيا نيك منكر ونكير فيفعلانك
وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك
صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار واسعرت النيران ووضعت
الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب
ومرحوم فيالبيت شعري ما حالي وحالك يومئذ فني هذا ما هديم اللذات واسلى عن الشهوات وقصر عن الامل وايقظ النائمين وحذر الغافلين
اعاننا الله واياكم على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والاخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام وخطب
عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل
فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى و
باع قليلا بكثير وفانيا ببا قٍ وشقوة لسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون
غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب
وواجه الحساب واليه والله اني لا اقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد كم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها سنتي من الله عادلة امر فيها بطاعته
والهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات وقال الفضل
ابن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شيء عن شيء وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا
المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي ولو اتاني ما امرته لشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله
ابن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ
فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آتٍ قريب
واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما ينتظرون متى ما يخلفون ويفرحون
بما يقدمون فيا ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يفتتنون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروى ان معروفا الكرخي رحمه
الله تعالى اقام الصلاة قال محمد بن ابي توبة فقال لي تقدم فقلت اني اصليت بكم هذه الصلاة لو اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث
نفسك ان تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قرار كتب
كتب الله عليها الفناء وكتب على اهلها الظعن عنها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها
الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن ادم في الدنيا ينافس وهو بها قرير العين
اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا
وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه كان يقول في خطبته ايها الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك
الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا
ثم النجا النجا **بيان** السبب في طول الامل وعلاجه اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والاخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا
انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن
نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهم ويقدره في
نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء وادوات وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا
عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام تبقيك
الى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة

او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قصر هذا العدو الذى يشمت بك فلا يزال يسوّف ويوخر ولا يخوض فى شغل الا و يتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج فيخرج يوما بعد يوم ويفضى به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تخطفه المنية فى وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوء ما يقولون واحزناه من سوف والمسوّف المسكين لا يدرى ان الذى يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها كما قيل **شعر** فما قضى احد منها لبانته ... وما انتهى ارب الا الى ارب : واصل هذه الامانى كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم احبب من احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا والخالوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاءة ولا يدرى ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه فانه لم يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى بعد هذه فهو الاول وهو الاخر وسبيله ان يقين نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن فى قبره ولعل اللبن الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سبب الجهل حب الدنيا فالعلاج فى اخراجه من القلب فلا جد فمه سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافى من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج فى اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذى اعيى الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا وتفاسة الاخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب وكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها ويترسخ فى القلب حبها مع الايمان بالاخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج فى تقريب الموت فى القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال والهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا امامن كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا فلينظر الانسان كل ساعة فى اطراف اعضائه وليتدبر انها كيف تاكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبدأ بحدقة اليمنى او اليسرى فما على بدنه شئ الا وهو طعمة الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وفزع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هى التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس فى طول الامل وقصره اعلم ان الناس فى ذلك يتفاوتون فمنهم من يامل البقاء ويشتهى ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذى شاهده ورآه وهو الذى يحب الدنيا جدا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وان التفتت تريقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجودا فى عام قابل ولكن هذا يستعد فى الصيف للشتاء وفى الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل مدة الصيف او الشتاء فلا يدخر فى الصيف ثياب الشتاء ولا فى الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما لليلة فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من اجالكم فستاتى فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعته كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة ويقول لعلى لا ابلغ ومنهم من يكون الموت نصب عينه كان واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذى يصلى صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه انه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت خطوة الا ظننت انى لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو جثى انه كان يصلى ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انظر ملك الموت من اى جهة ياتينى فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصورا على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فربما اثر قصر الامل فى المبادرة الى العمل وكل انسان يدعى انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتنى باسباب ما لا يحتاج اليها فى سنة فيدل ذلك على

طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم لستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد وبالنة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير جاد بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا لكون كذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه **بيان** المبادرة الى العمل وحذر افة التاخير اعلم ان من له اخوان غائبان وينتظر قدومهما احدهما في غد وينتظر قدوم الاخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة وانسى ما وراء المدة فيصبح كل يوم وهو منتظر للسنة كما لها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس رض قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما لو يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الرجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر رض خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا كمثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومستكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومنادٍ ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فضحكت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائي فساله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الاخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر الى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس ثم العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامراته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدو به الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يفد بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فالتقى عبد ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين اليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانما بين احدكم وبين

الجنة او النار الا الموت ان يتزل به فيا لها حسرة على ذى غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة جعلنا الله وايا كم ممن لا يتطرق
نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما وانه فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين
فى قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور
وقال الحسن تصبروا وتسددوا فانما هى ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانقلوا بصالح
ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو عبيدة الناجى
دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا حياكم الله بالسلام وحلنا وايا كم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم
وصدقتم والقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوا بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم
فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون انتم ورب
الكعبة كأنكم والامر معا رحم الله عبدا اجمل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد فى العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من
العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لى فضيل الرقاشى وانا سائله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك
فان الامر يخلص اليك وحدك ولا تقل اذهب هنا وهنا فينقطع عنك النهار فى لا شئ فان الامر محفوظ عليك ولم ترشيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم انه لو لم يكن

بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت مجردها لكان جديرا بان تنغض عليه عيشه وتنكد عليه سروره ويفارقه
سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بين سواك لا تدرى
متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بنى امر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان فى اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو
فانتظر ان يدخل عليه جندى فيضربه بخمس خشبات لنكدت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو فى كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات
النزع وهو عنه غافل فما هذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها
اما بالقياس الى الالام التى ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس فى النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذى يشهد له فهو ان كل عضو
لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسرى الى الروح
يتالم والمولم ينفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الالم فان كان فى الالم ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره فما اعظم ذلك
الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح للمنتشر فى اعماق البدن الا وقد حل به الالم
فلو اصابته شوكة فالالم الذى يجده انما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار
تغوص فى سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر اجزاء اللحم والجراحة
فانما تصيب الموضع الذى مسه الحديد فقط فكان لذلك الالم الجرح دون الالم النار فالالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه
فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من
الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب السيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن
بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا جاء من المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه
وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة الالم لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة
فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة
بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعته عند نزع الروح وجذبها خوارا او غرغرة من حلقه وصدره
وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذى هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر فى داخله وخارجه
حتى ترتفع الحدقتان الى اعالى اجفانه وتنقلص الشفتان وينقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالى موضعهما وتنخضر اناملة فلا تنثنى
عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المنالم الا من عرق واحد بل
من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها وينغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبل

توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال الى تبت الآن قال اذا
عاين الرسل فعند ذلك يبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هوّن على محمد سكرات الموت والناس انما لا تستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء
قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام
يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى ان يهوّن على هذه السكرة يعنى الموت فقد خفت الموت فخافة او تفنى خوفى من الموت على الموت وروى
ان نفرا من بنى اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذا هم
برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة ما
الموت من قلبى وقالت عائشة رضى الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذى رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى انه عليه السلام كان يقول اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعنى على الموت وهوّنه على وعن الحسن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته
فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال
انى اعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده
لالف ضربة بالسيف اهون على من موت على فراش وقال الاوزاعى بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس
الموت افظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو ان الميت نشر فاخبر اهل
الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بالعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه
الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يخفف عنه هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير
الى النار وعن بعضهم انه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجدك فقال كأن السموات مطبقة على الارض
وكأن نفسى يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن واسف على الفاجر وروى عن مكحول عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان فى كل شعرة الموت ولا ينفع
الموت بشئ الا مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى
له كيف وجدت الموت يا خليلى فقال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال ما اناقه هوّنا عليك وروى عن موسى عليه السلام
انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت
فيستريح ولا يفر فيطير وروى عنه انه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد الفصاب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح
من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن على سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرباه
لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضى الله عنه للكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المؤمنين ان
الموت كغصن كثير الشوك ادخل فى جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق فجذب به رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال
النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى
وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى وتتوالى علينا مع سكرات
الموت بقية الدواهى فان دواهى الموت ثلاث **الاولى** شدة النزع كما ذكرناه **الداهية الثانية** مشاهدة صورة ملك الموت
ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن
ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع ان ترينى صورتك التى تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال
فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشى
على ابراهيم عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يطق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك
لكان حسبه وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج اغلق الابواب فاغلق ذات
يوم وخرج فاشرفت امرأته فاذا هى برجل فى الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليفتضحن منه فجاء داود فرآه فقال من انت

فقال انا الذى لا اهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت وذكر داود عليه السلام مكانه وروى ان عيسى عليه السلام مر بمججمة فضربها برجله فقال تكلمى باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس فى ملكى على عاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى اذ بدا الى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله فوخرجت نفسى اليه فيا ليت ما كان من ذلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال واما المطيع فانه يراه فى احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من ادخلك دارى فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها منى منك فقال فمن انت من الملائكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عنى فاعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق جلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد جلستنا وعمل غير صالح احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك حين شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا **الداهية الثالثة** مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحد البشيرين اما البشرى يا عدو الله بالنار او البشرى يا ولى الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المؤمن اذا فرح له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروى ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر اى ساعة هى فقام ابن مسعود فرجاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار ودخل مروان على ابى هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم شدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكى حرصا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشيرين من ربى الجنة ام بنار وروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا رضى عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فاستنى بروحه لا ريحه حسبى من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه وصرخ قال فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطى هذا العبد من الكرامة اين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن الا فى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهى قال نظرة الى الحسن فلما دخل على الحسن قيل له هذا الحسن فوضع طرفه اليه ثم قال يا اخوانا ه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوانا ه عليكم السلام الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى فى الدنيا ابدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب لخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهى العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته **بيان** ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى اما الصورة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه ودمعت عيناه وبلت بشفتاه فهى من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهى علامة الخير قال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفى رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبد الله وهو يشهد وقال عثمان رض اذا حضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضى الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا فنكث لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله نغفر له بكلمة الاخلاص وينبغى للملقن ان لا يلح فى التلقين ولكن يتلطف

وربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقاله الملقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون في ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فاذا لم يسبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوب به غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها ماسفا على لذاتها وكانت الكلمة على راس اللسان ولم يطق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله تعالى بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن بالله دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله قال اغرقتني ذنوبي واشرفت على هلكة ولكني ارجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي يرجو وامنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكان له ام تعظه كثيرا وتقول له يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به ما نزل به غمه الله تعالى اكبت عليه امه وجعلت تقول لا يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما فقال يا امه ان لي ربا كثير المعروف والى لارجو ان لا يعدم مني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه وقال جابر بن وداعة كان شاب به زهو فاحتضر فقالت له امه يا بني الا توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبنيه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤي في المنام فقال الخبر وا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال ايي يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال لي ابي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله عز وجل وانا احسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات بعرب بلسان الحال عنها قال اشعث بن اسلم سال ابراهيم عليه السلام ملك الموت في اسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع اذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بادهى والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين وقال قد رفعت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بانه خليل الله عز وجل وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك بأعلم منك انما هي صحف اوكتب تلقى الي فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اذا اراد ان يركب الى ارض دعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلبته فاتي بها فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس ففخ في منخره نفخة فملاءه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل فرت الهيبة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الان فقهره على لجام دابته فقال اذكر ما قال فوسع فاذن له راسه فشاره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك ولا تقبلك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فشاره وقال انا ملك الموت فقال اهلا ومرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الارض غائب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى قال فاخبرني على اي حال شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فامهلني حتى اتوضأ واصلي ثم اقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى حسرة عليه فراه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرق فيها قال فهيهات انقطعت عنك المهلة هل لا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فاعتى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شانك فقال ادعوا الى مولاكم فقالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى

فوثب اليه الحرس فقال اخبروه انى ملك الموت فلما سمعوه القى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا ليّنا وقولوا هل تأخذ احدا فدخل عليه وقال اصنع فى مالك ما انت صانع فانى لست بخارج منها حتى اخرج روحك فاومى اليه حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مالك شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى ان اتخلى لربى فانطق الله المال فقال لو تسبّنى وقد كنت تدخل على السلاطين بى ويرد المقلّون عن بابهم وكنت تنكح المتعمّات بى وتجلس مجالس الملوك بى وتنفقنى فى سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتنى فى سبيل الخير نفعتك خلقت يا ابن آدم من تراب فتطلق بيرّ ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما فى الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشدّ رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض نفس امرأة فى فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها الصغره وكونه فى فلاة لا معهد له بها فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس الغراس وينكح الازواج ويبنى البنيان وان اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى وقال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه وان قبل اهله برّته وبكاء فياخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا يبقى منكم احد قال الحسن فوالله لو يرون مقامه وليسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشى بينما جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس فى منزلة قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال له من انت ومن ادخلك علىّ دارى فقال اما الذى ادخلنى الدار فربها واما انا فالذى لا يمنعنى الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف سطوة المتسلطين ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط فى يدى الجبار وارتعد حتى سقط منكبّا على وجهه ثم رفع راسه اليه مستخيا منه يا ستند للاله فقال له انت اذا ملك الموت قال انا هو قال فهل انت مؤجلى حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بى قال الى عملك الذى قد متّ به الى بيتك الذى مهّدته قال فانى لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى النار بئس المثوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشى لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر من الاسف عن بخشية قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه شديدا فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد دلّ به ينظر الىّ كانه يريدنى قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصنى منه فيأمر الريح حتى تحملنى الى اقصى الهند ففعلت الريح ثم قال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه فانيا رأيتك شديد النظر الى واحد من جلسائى قال نعم كنت اتعجب منه لانى كنت امرت ان اقبض روحه بالهند فى ساعة قريبة فكان عندك فعجبت من ذلك

الباب الرابع فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لو يكن احكم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيّه وكان صفيّه ورسوله ونبيه فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته بل ارسل الله اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدّ فى ابرز الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق فى جوار الرحمن فاشتدّ مع ذلك فى النزع كربه وظهر انينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغيّر لونه وعرق جبينه واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لصرعة من حضره والنحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيها هلا وعشيرا وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان بهما مورا واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب كل العجب انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيئات فيا بؤسا لنا ان لم نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن اننا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن اننا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن الورود مستيقنون وللصدر عنها متوهمون لا بل ظلمنا انفسنا ان كنا لذلك بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انزل الظالمين انزل ام الى المتقين فانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا

له من الخائفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فواق
الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب الى جنة المأوى قال ابن مسعود رضى الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت امنا
عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله
اوصيكم بتقوى الله واوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة
المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على انفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله وروى ان صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لامتى بعدى فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبى الا اخذله فى امته وبشره بانه اسرع الناس
خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته فقال الآن قرت عينى وقالت عائشة رضى الله
عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر
لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم
ان الانصار عيبتى التى اويت اليها فاكرموا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله
فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضى الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب
الشوارع فى المسجد الا باب ابى بكر فانى لا اعلم امرأ افضل عندى فى الصحبة من ابى بكر قالت عائشة رضى الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم
فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على اخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه
يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فاومأ برأسه اى نعم فناولته اياه فادخله فى فيه فاشتد عليه فقلت آليّنه لك فاومأ برأسه اى نعم فليّنته
وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يديه فيها يمسح وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا
والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رأت الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل
العباس رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل على الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل على رضى الله عنه
فاعلمه بمثله فمد يده وقال ما فتئنا ولوه فقال ما يقولون قال يقولون نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبى صلى الله عليه وسلم
فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على على والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه
حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغنى انكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت
وما تنكرون من موت نبيكم اما انه عليكم ونعى اليكم انفسكم هل خلد بنى قبلى فيمن بعث فاخلد فيكم الا انى لاحق بربى وانكم لاحقون به واتى
اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا الى آخرها وان
الامور تجرى باذن الله فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم
ان يحسنوا اليهم الوسيا طرحوا الثمار الربوسعوا عليكم فى الديار الربوثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا من ولى ان يحكم بين رجلين
فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا وانى فرط لكم وانتم لاحقون بى الا وان موعدكم الحوض عرضه
ما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ
ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله الا من احب ان يرده عمى غدا فليكفف لسانه ويده الا بما
ينبغى فقال العباس يا بنى الله اوص بقريش فقال انما اوصى بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا
اى قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس بركم الله ائمتهم واذا فجر الناس عفوهم قال الله تعالى
وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه
سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا بنى الله ما عند الله فليت شعرى اين منقلبك فقال
الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ الابقى والعيش الهنى فقال يا نبى الله
من يلى غسلك قال رجال من اهل بيتى الادنى فالادنى قال فبم تكفننى قال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر فقال كيف الصلاة
عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا اعفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى

ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي على الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فاول من يدخل علي من خلق الله
ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا
علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان
قال فمن يدخل القبر قال زمر من اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا تروهم وهم يرونكم فوموا فادوا عني الى من بعدكم وقال عبد الله بن زمعة
جاء بلال في اول ربيع الاول فاذن بالصلوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال
ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى
الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق القلب اذا قام في
مقامك غلبه البكاء فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلوة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة
بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله اني لو اراد احد اولى بذلك
منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن ابي بكر الا رغبة بي عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا من سلم الله وخشيت
ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء الله فيحسد وندوبغون عليه ويتشاءمون بذلك
الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصم الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدنيا والدين وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم راوح منه خفة في اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي
فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتضيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم اندعاني فاعاد رأسه في حجري وقال للنسوة
ادخلن فقلت ما هذا بحسن جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل
ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تأذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تأمرني فماذا امرك فقلت
الكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا بأمر لو يكن له عندنا جواب ولا رأي
فوجمنا وكنا ما ضربنا بصاحبة ما نخير اليه شيئا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل
في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك
ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان تكون سنة في امتك فقال اجدني وجعا فقال البشر فان الله تعالى
اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن علي واخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق لو اعلمك الذي
يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على احد قط ولا يستأذن عليه ابدا الا ان ربك متمم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا
حتى يجيء واذن للنساء فقال يا فاطمة ادني فالتبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمعان باربع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني يا سلك
فالتبت عليه فناجاها فوضعت راسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا فسألتها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت
اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي فضحكت وادنت اينيها منه فشمتهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فاذن له فقال الملك مأمرنا يا محمد قال
الحقني بربي الان فقال بلى من يريك هذا اما ان بك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج وقالت
وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما انزل في الى الارض ابدا لطوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض حاجة غيرك وما لي
في حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي قالت لا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يخبر اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجالنا
لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فمت الى النبي صلى الله عليه حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل نبي الله عليه
حتى يغلب وجهته ترشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت لريحه شيء اطيب منه فكنت اقول له اخاقا
بابي انت وامي ونفسي واهلي ما ابلقي وجهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار
فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده الا بعثه الى ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء احد والتفا
صدهم الله عنه لاد ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلاة الصلاة
انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضي الله عنها

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضى الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين
والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضى الله عنها لما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم افحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم
فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلا توا الكلام بغير بيان وبقي اخرون معهم عقولهم واقعد اخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته
وعلى فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس وخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مات لبعثه الله عز وجل وليقطعن
ايدي رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو اتيكم وفي رواية
انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لو مات والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي فانه اقعد فلم يبرح في البيت واما عثمان فجعل لا يكلم احدا ويخر بيده فيجاء به ويذهب به ولو بكى لحد من
المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس فان الله عز وجل عزم لهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرتدوا الا بقول ابي بكر رضي جاء العباس فقال
والله الذي لا اله الا هو لقد خاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم
القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب
عليه فقبله ثم قال بابي وانت وامي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس
فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكان الناس لو سمعوا هذه الاية الا يموتون في رواية ان ابا بكر رضي الله عنه لما بلغه
الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصته ترتفع فقصع الجرة وهو في
ذلك جلد الفعال والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي و
اهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى
صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا الحزن بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء
لانفدنا عليك ماء العيون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وآكاد محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك
عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظ فينا وعن ابن عمر انه
لما دخل ابو بكر البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمع اهل المصلى كما ذكر شيئا ازداد وانما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت
جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه
فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عاد وافكبوا فنادام منادي اخر لا يعرفون صوته يا
اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغيبة فالله فاطيعوا وبامره
فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر واليأس عليهما السلام حضر النبي صلى الله عليه وسلم واستوى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر رضي الله عنه
فقال قام ابو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه على كل حال وقال اشهد
ان لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد
ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك و
نبيك وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه
مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والاخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وال محمد كما صليت وباركت على ابراهيم انك حميد مجيد ايها الناس ان من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات و
من كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده
على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين امنوا كونوا من

بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم اما ترى ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا يوم كذا كذا وكذا وقال تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكأني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى ابي بكر وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل لا يدري من هو اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغوا من غسله كفن وقال علي كرم الله وجهه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما شاء ان يقلب لنا منه عضو لم نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان معنا حفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستلقون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه قال ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعده فانه مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة **وفاة** ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما احتضر ابو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت **بيت** لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ... فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد ادلج من الميت وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته ... وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للارامل ... فقال ابو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي طبيبي وقال اني فعال لما اريد ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر رضي الله تعالى عنه واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر رضي الله عنه فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان لله حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان ان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان ان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل انا دون هؤلاء ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله ذكر اهل النار باسوأ اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل انا افضل من هؤلاء وان الله ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكونن غائب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غائب ابغض اليك من الموت ولا بد لك منه ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه اتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار واطيار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم فجعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فاسعدني بطاعتك ولا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا تخيص لها مما علمت فاجعلني ممن يستعمله بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الهدى وشرحت صدورهم واردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي وكرهني الى الكفر والفسوق والعصيان واجعلني من الراشدين اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك

فانت ثقتي ورجاءي ولاحول ولاقوة الا بالله قال ابوبكر هذا كله في كتاب الله عز وجل **وفاة** عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا او شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم سبعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر من قتلني قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال عمر رضي الله عنه قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فادِهِ من اموالهم والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال وانطلق الى ام المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين قد اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قضيت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين واستخلف فقال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به ايكم ما امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة الاموال وغيظ العدو وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يؤخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل لهم من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر فاني كنت لارجو ولاظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمان رضي الله عنه الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فاخذ الى دلو فيه ماء فشربت حتى رويت حتى ان لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم

وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه وقال عبد الله بن سلام من حضر تشحط عثمان فى الموت حين جرح
ماذا قال عثمان وهو يتشحط فقالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذى نفسى بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا
ما اجتمعوا الى يوم القيمة وعن ثمامة بن حزن القشيرى قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال انتونى بصاحبيكم اللذين
البا كما على فجئ بهما كانهما جملان او حماران فاشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة فاشتريتها
من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون انى جهزت جيش العسرة من مالى
قالوا نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها
فى المسجد بخير منها فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فانتم اليوم تمنعونى ان اصلى فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال
ثبير ما عليك الا نبى وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهد والى ورب الكعبة انى شهيد وروى عن شيخ من ضبة ان عثمان حين ضرب
والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى استعديك عليهم واستعينك على جميع امورى و
اسألك الصبر على ما ابتليتنى به **وفاة** على كرم الله وجهه قال الاصبغ الحنظلى لما كانت الليلة التى اصيب فيها على كرم الله وجهه اتاه
ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على يمشى وهو يقول اشدد
حيازيمك للموت: فان الموت لاقيكا: ولا تجزع من الموت: اذا حل بواديكا: فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم
ابنة على رضى الله عنه فجعلت تقول مالى ولصلاة الغداة قتل زوجى اميرا المؤمنين صلاة الغداة وقتل ابى صلاة الغداة وعن شيخ من قريش ان عليا
كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن على انه لما ضرب وصى بثلثه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما ثقل
بن على رضى الله عنهما دخل عليه الحسين رضى الله عنه فقال يا اخى لاى شئ تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن ابى طالب وهما
ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا اخى اقدم على امر لم اقدم على مثله وعن محمد بن الحسين
رضى الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وايقن انهم قاتلوه قام فى اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون وان
الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء فالا ترى الموت الا حيبا من عيش كالمرعى الوبيل
الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى وانى لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا حرما نا

الباب الخامس فى كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين لما حضرت معاوية بن ابى سفيان الوفاة قال اقعدونى
فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والاحتطام لا كان هذا وغصن الشباب نضير ثم بكى حتى علا بكاؤه
وقال يا رب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك وروى عن شيخ من قريش
انه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرآه فى جلده عضوا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل الدنيا الا ما جربنا ورأينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها
بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما البشت الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وغرة بعد غرة فاصبحت الدنيا وقد ودعتنا واخلفتنا واستلامت
الينا اف للدنيا من دار ثم اف لها من دار وروى ان آخر خطبة خطبها معاوية ان قال ايها الناس ان من ذرع قد استحصد وانى قد وليتكم ولن يليكم احد
من بعدى الا من هو شر منى كما كان من قبلى خيرا منى ويا يزيد اذا وفى اجلى فول غسلى رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فليعم الغسل وليجهر بالتكبير
ثم اعمد الى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وقلامته من شعره واظفاره فاستودع القلامة انفى وفمى واذنى وعينى واجعل
الثوب على جلدى دون اكفانى ويا يزيد احفظ وصية الله فى الوالدين فاذا ادرجتمونى فى جلدى ووضعتمونى فى حفرتى فخلوا معاوية واهل الارض
وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وانى لم ار من هذا الامر شيئا ولما حضرت عبد الملك
بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك والله ليتنى كنت غسالا اكل من كسب يدى
يوما بيوم ولم ار من امر الدنيا شيئا فبلغ ذلك اباحازم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضر هو الموت يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن
ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه كيف تجدك يا امير المؤمنين قال اجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه

يقول اللهم لخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر بينى وبينه باب هوى فتبته فسمعته
يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت
لوصيف له انظر انائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المؤمنين قال احذركم مثل مصرعى هذا انه
لا بد لكم منه وروى انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر اليه قال ارى الرجل قد سقى السم ولا امن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال
ولا انا من الموت ايضا على من لو يسقى السم قال الطبيب هل حسست بذلك يا امير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال فتعالج
يا امير المومنين فانى اخاف ان تذهب نفسك قال ربى خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائى عند شحمة اذنى ما رفعت يدى الى اذنى
فتناولته اللهم خير لعمر فى لقائك فلم يلبث الا اياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا امير المومنين ابشر فقد احيى الله
بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال ليس اوقف فاسأل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى ان لا تقوم بحجتها بين يدى الله
الا ان يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وغاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال اجلسونى فاجلسوه فقال انا
الذى امرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له فى ذلك فقال انى لارى خضرة ما هم بانس
ولا جن ثم قبض رحمه الله وحكى عن هارون الرشيد انه انتفى الكفاد بيده عند الموت وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عنى مالية هلك عنى
سلطانيه وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت
ان عمرى هكذا قصير ما فعلت ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا باس عليك يا امير المومنين فقال ليس الا
هذا القد ذهبت الدنيا وانقبلت الاخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديق لبنيه من ياخذها بما فيها اليته كان نعوا وقال الحجاج
عند موته اللهم اغفر لى فان الناس يقولون انك لا تغفر لى فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكى ذلك
للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى

بيان

اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف رضى الله
عنهم اجمعين لما حضر معاذ رضى الله عنه الوفاة قال اللهم انى قد كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم انى لو اكن احب الدنيا
وطول البقاء فيها لجرى الانهار ولا غرس الاشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر
ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد كان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقنى خنقك فوعزتك انك تعلم ان قلبى يحبك
فلما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكى جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون بلغة
احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امراته واحزناه فقال
بل واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر
ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة او بالنار ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك
فقال والله ما ابكى لذنب اعلم انى اتيته ولكن اخاف انى اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى
فقيل له ما يبكيك قال ما ابكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكى على ما يفوتنى من ظماء الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء ولما حضرت
فضيلا الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه واقلة زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسى على التراب
فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فانى سالت الله تعالى ان يحيينى حياة الاغنياء
وان يميتنى موت الفقراء ثم قال له لقينى ولا تعد على مالى الكلو بكلام ثان وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له بخ بخ فقال
ما امنك بعد يبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال اتيت فى كتاب الله تعالى قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن رضى الله عنه على
رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى اخره وان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد فى اوله وقال الجريرى كنت عند الجنيد فى حال نزعه
وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرا القران فختم فقلت له فى هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك منى وهو ذا تطوى صحيفتى وقال
رويم حضرت وفاة ابى سعيد الخراز وهو يقول حنين قلوب العارفين الى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للسر اديرت كؤوس المنايا عليهم فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذى السكر هو مهم جوالة بمعسكر به اهل ودادالله كالانجم الزهر فاجسامهم فى الارض قتلى محبة واروا
فى الحب غير العلا تشرى فما عرسوا الا بقرب حبيبهم وما عرجوا من ميس بؤس ولا ضر وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند
الموت فقال لم يكن يعجبنى ان تطير روحه اشتياقا وقيل لذى النون عند موته ما تشتهى قال ان اعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو فى النزع

ل فارالسلاسل فى اللام
ع جعل لك فيه الخير ق
ع وانقاه وتقاه و
ع انتقاه اختاره ١٢ ق
ع اخنق خنقه بالضم ١٢ ق
ع مصدر خفه يخفه بالضم ١٢ ق
ع اللغة بالضم تبلغ بلدا
ع بن العيش تبلغ ق
ع الكفى ١٢ ق
ع ما جاد بنفسه قارب
ع ان يقضى ان يغفى ق
ع غفى يغفو نام ١٢ ق
ع نفسك كفى نفسك ١٢ ق
ع عرس النعوم للاستراحة
ع فى خرس الليل للاستراحة ق
ع كؤوس المنايا
ع الخمس بفتح الاول والثانى
ع طنبك ما لوى عنق
ع فبكى

قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى فتقدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينورى يتكلم فى مجلس فصاحت امرأة نواجدا فقال لها موتى فماتت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابى على الروذبادى قالت لما قرب اجل ابى على الروذبادى وكان راسه فى حجرى فتح عينيه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا على قد بلغناك الرتبة القصوى وان لو ترددها ثم انشأ يقول

وحقك لا نظرت الى سواكا ؛ لعين مودة حتى اراكا ؛ ارالك معذبى بفتور لحظ ؛ وبالخد المورد من حياكا ؛ وقيل الجنيد قل لا اله الا الله فقال ما تنتهى فاذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينورى خادم الشبلى ما الذى رايت منه عند موته فقال قال على درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبها الوف فما على قلبى شغل اعظم منه ثم قال وضئنى للصلوة ففعلت فلست تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدى وادخلها فى لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره ادب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشتهى عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن منمار لا توصى بابنك وعيالك فقال انى لاستحيى من الله ان اوصى بهم الى غيره ولما احتضر ابو سليمان الدارانى اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم لا تقولون اخذ فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر ابو بكر الواسطى قيل له اوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكى فقال ان كنت باكية فابكى على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد دخلت على سرى السقطى اعوده فى مرض موته فقلت كيف تجدك فانشأ يقول

كيف اشكو الى طبيبى ما بى ؛ والذى بى اصابنى من طبيبى ؛ فلحظت المروحة لا روحنى فقال كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشأ يقول

القلب محترق والدمع مستبق ؛ والكرب مجتمع والصبر مفترق ؛ كيف القرار على من لا قرار له ؛ مما حناه الهوى والشوق والقلق ؛ يا رب ان يك شئ فيه لى فرج ؛ فامنن على به ما دام بى رمق ؛ وحكى ان قوما من اصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشأ يقول

ان بليتى انت ساكنة ؛ غير محتاج الى السرج ؛ وجهك المأمول حجتنا ؛ يوم يأتى الناس بالحجج

لا اتاح الله لى فرجا ؛ يوم ادعو منك بالفرج ؛ وحكى ان ابا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرنى فانى كنت فى ورد ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتانى لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلى ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبى اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم موت عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لى انى بكل شخص رفيق ثم طفئ ولما حضر تميم بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال له يا ابا محمد هذا او ان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع وانى لا اعلم انى صدقت الله فى شئ من عملى فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله فى شئ من عمله وعن المغازلى قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك ان تحمل ما تريد فارفق بى ودخل بعض المشائخ على ممشاد الدينورى فى وقت فلتة فقال له فعل الله بك وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما اعرتها طرفى وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال لا احسن غيره ولما حضر الثورى الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس الى ثم امر ودخل المزنى على الشافعى رحمة الله عليهما فى مرضه الذى توفى فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادرى اروحى تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ؛ جعلت رجائى نحو عفوك سلما ؛ تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ؛ بعفوك ربى كان عفوك اعظما ؛ فما زلت اعفو عن الذنب لم تزل ؛ تجود وتعفو منة وتكرما ؛ ولولاك لم يغو بابليس عابد ؛ فكيف وقد اغوى صفيك آدما ؛ ولما حضر احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسالة فدمعت عيناه وقال يا بنى باب كنت ادق خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لى لا ادرى يفتح لى بالسعادة او بالشقاوة فالى لو ان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم

الباب السادس

فى اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور اعلم ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لاهل الغفلة فانهم لا تزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون ويحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب منهم

فلا ينظرون عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله فى غد وبعد غد ويروى عن ابى هريرة انه كان اذا
راى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقى اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر
لا عقل له وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة قط فحدثتنى نفسى بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار خرج
مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لا تقر عينى حتى اعلم الى ما اصارت اليه ولا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى
لحزن الجميع وقال ثابت البنانى كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا مستفنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا تنظر الى جماعة يحضرون جنازة
الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا فى ميراثه وما خلف لورثته ولا يتفكرا قوا ندوا قاربه الا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ما خلفه ولا
يتفكر واحد منهم الى ما شاء الله فى جنازة نفسه وفى حالها اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب حتى
نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التى بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة
فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا البكوا على انفسهم لا على الميت لا بهم بالبكاء على انفسهم احرى من البكاء
على الميت نظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجملك الموت
وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن وقال ابو عمرو بن العلا جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة
فامسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز وانشا يقول ٥ تروعنا الجنائز مقبلات ٥ ونلهو حين تذهب مدبرات ٥ كروعة ثلة لغارة ذئب
فلما غاب عادت راتعات ٥ ومن اداب حضور الجنائز التفكر والتنبيه والاستعداد والمشى امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا ادابه وسننه
فى فن الفقه ومن ادابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة محظورة لا يدرى حقيقتها
ولذلك روى عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها
فلما أدلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب ذو خطايا
فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته
اذ لو يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على ميل قريب
من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلى عليها فانتشر الخبر فى البلد بان الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج
اهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لى فى المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها
احد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان
طول نهاره فى الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة اشياء كان كل يوم يفيق من
سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثانى انه كان ابدا لا يخلو بليته من يتيم او
يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق فى اثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول
يا رب اى زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملأها بهذا الخبيث يعنى به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره وعن صلة بن اشيم وقد
دفن اخ له فقال على قبره **شعر** فان تبخ منها تنج من ذى عظيمة ٥ ولا فانى لا إخالك ناجيا **بيان** حال القبر واقاويلهم عند القبور قال
الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه
وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلى كرم الله وجهه ما شانك جاورت المقبرة قال انى اجدهم خير جيران الى ان صدق
ليكفون الالسنة ويذكرون الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا القبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال
هذا قبر أمى آمنة بنت وهب استاذنت ربى فى زيارتها فاذن لى فاستاذنته فى ان استغفر لها فابى على فاذكركم ما يذكر الولد من الرقة
وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على
قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده
اشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما صيل بينهم وبين
فاحببت ان اتقرب الى الله بها وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت

ل كان فى نسخة كون الزمان
بفتح الهمزة والعلة فى الثقلة اى فكانه فى زمان
قال المصنف اى فى زمانه قوله
فكان مفتوحة وسكون الكاف
فكان اى فكان قوله
ل اى الثقلة حاضرة من الغفلة
ل او الكثرة منها او من الغفلة
ل اى البعد الاوامر
ل عفرت وعفروا فى القبر
ل خبار وتفعل فى الشئ بقلة
اخبار تفعل اخبارا فهو
ابو العباس الاخبار
على

لك فماذا اعددت لى وقال ابو ذر الا اخبرك بيوم فقرى يوم اوضع فى قبرى وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال اجلس الى
قوم يذكرونى معادى واذا قمت لم يغتابونى وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا ويقول يا اهل القبور مالى اذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول اجل
والله بينهم وبين جوابى وكانى بى اكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت
الليلة اتفكر فى القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثلاث فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تحول فيه
الهوام ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة
خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشى يقول ايها المقبور فى حفرته والمتخلى فى القبر بوحدته المستانس فى بطن الارض باعماله ليت شعرى باى
اعمالك استبشرت ويأى اخوانك اغتبطت ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه
المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خارت كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولو يدع لهم فقد
خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بى عقيما ان لا بنك فى القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال
يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته
من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهركم انما الداهى فى بواطنكم وكان عطاء السلمى اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم فواموتاه وعاينتم اعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطاء فى القبور غدا عطاء فى القبور فلا يزال ذلك دابه حتى يصبح وقال سفيان من اكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع
بن خثيم قد حفر فى داره قبرا فكان اذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعونى لعلى اعمل صالحا فيما تركت
يردد ها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعناك فاعمل وقال احمد بن حرب تعجب الارض من رجل يهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم فتقول يا ابن آدم لم
لا تذكر طول بلاك وما بينى وبينك شئ وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل على فقال يا
ميمون هذه قبور آبائى بنى امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلاء واصابتهم
الهوام مقبلا فى ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا نعم ممن صار الى هذه القبور وقل امن من عذاب الله وقال ثابت البنانى دخلت المقابر
فلما فصلت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك سكوت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسن نظرت الى
جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت ٥ وكانوا رجاء ثم امسوا رزية ٥ لقد عظمت تلك الرزايا وجلت : وقيل انها صرخت
على قبره منكبا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجد اما فقدوا
فسمعوا من الجانب الاخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التيمى توفيت امراة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا
ابا فراس ماذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت اقام الفرزدق على قبرها فقال ٥ اخاف وراء القبر
ان لم تعافنى : اشد من القبر التهابا واضيقا : اذا جاءنى يوم القيامة قائد : عنيف وسواق يسوق الفرزدقا : لقد خاب من اولاد آدم من مشى : الى النار
مغلول القلادة ازرقا : وقد انشدوا فى اهل القبور ٥ قف بالقبور وقل على سكانها : من منكم المغمور فى ظلماتها : ومن المكرم منكم فى قعرها :
قد ذاق برد الامر من روعاتها : اما السكوت فتلك فى القبور واحد : لا يستبين الفضل فى درجاتها : لو جاوبوك لاخبروك بالسن : نصف الحقائق
بعد من حالاتها : اما المطيع فنازل فى روضة : يفضى الى ما شاء من لذاتها : والمجرم الطاغى بها منقلب : فى حفرة يأوى الى حياتها : وعقارب
تسعى اليه فروحه : فى شدة التعذيب من لدغاتها : ومر داود الطائى على امراة تبكى على قبر وهى تقول ٥ عدمت الحياة ولا ذتها : اذا كنت فى
قد الحدود كما : فكيف اذوق لطعم الكرى : وانت بيمناك قد وسدكا : ثم قالت يا اباه ليت شعرى باى خديك تلقى الدود فصعق داود مكانه
وخر مغشيا عليه : وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشأت اقول ٥ اتيت القبور فنادينها : فاين المعظم والمحتقر : واين المدل ببطشه
واين المزكى اذا ما افتخر : قال فنوديت من بينها اسمع صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول ٥ تفانوا جميعا فما مخبر : وماتوا جميعا وماتت الخبر :
تروح وتغدو بنات الثرى : فتمحو محاسن تلك الصور : فيا سائلى عن اناس مضوا : اما لك فيما ترى معتبر : قال فوجمت وانا باك **ابيات**
وجدت مكتوبة على القبور وجد مكتوبا على قبر ٥ تناجيك اجداث وصم صموت : وسكانها لفحت التراب خفوت : اياجامع الدنيا لغير
بلاغة : لمن تجمع الدنيا وانت تموت : ووجد على قبر اخر مكتوبا ٥ اياغافلا اما ذاك واسع : وقبرك معمور الجوانب مخلع : وما ينفع المقبور
عمران قبره : اذا كان فيه جسمه يتهدم : وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب ٥ يمرا قاربى جنبات قبرى : كان اقاربى

ف ٣٤ ج

لم يعرفوني ؛ ذو والميراث يقتسمون مالي ؛ وما يألون ان جدوا ديوني ؛ وقد اخذوا اسها مهم وعاشوا ؛ فيا لله اسرع ما نسوني ؛ ووجد على قبر مكتوبا ٥ ان الحبيب من الاحباب مختلس ؛ لا يمنع الموت بواب ولا حرس ؛ فكيف تفرح بالدنيا ولذاتها ؛ يا من يعد عليه اللفظ والنفس ؛ اصبحت يا غافلا في القصر منغمسا ؛ وانت دهرك في اللذات منغمس ؛ لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ؛ ولا الذي كان منه العلم يقتبس ؛ كواحرس الموت في قبر وقفت به ؛ عن الجواب لسانا ما به خرس ؛ قد كان قصرك معمورا له شرف ؛ فقبرك اليوم في الاجداث مندرس ؛ ووجدت على قبر اخر مكتوبا ٥ وقفت على الاحبة حين صفت ؛ قبورهم كافراس الرهان ؛ فلما ان بكيت وفاض دمعي ؛ رأت عيناي بينهم مكاني ؛ ووجد على قبر طبيب مكتوبا ٥ قد قلت لما قال لي قائل ؛ قد صار نعمان الى رمسيه ؛ فاين ما يوصف من طبه ؛ وحذقه في الماء مع حبسيه ؛ هيهات لا يدفع عن غيره ؛ من كان لا يدفع عن نفسه ؛ ووجد على قبر اخر مكتوبا ٥ ايها الناس كان لي امل ؛ قصر بي عن بلوغه الاجل ؛ فليتق الله ربه رجل كانت في حياته العمل ؛ ما انا وحدي نقلت حيث ترى ؛ كل الى مثله سينتقل ؛ هذه ابيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم ملام يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذ لم تلحق نصيبك من ساعتك على سبيل الابتداء فقد قال بعض الصالحين رأيت اخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لرب العالمين قال لان اقدر على ان اقولها يعني الحمد لله رب العالمين احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الوتر حيث كنت فصل فاني قد قمت فصليت ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها **بيان** اقاويلهم عند موت الولد حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كانا في سفر فسبقها الولد الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه انه لاحق به على القرب ليس بينهما الا التقدم والتاخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزي به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عندك قال مثل الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر في الاخرة مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى دعاء واقربه الى الاجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وامنن خوفي ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب علي فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما ذا قلت وما ذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبته له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو اقتنا ما نفعناك ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقال له عبد الله اني ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه وما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ الى جبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحزن قالت فاطمة فدونك الدهر كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغي ان تتذكر عند موت الاولاد لتتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر **بيان** زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعد روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم

عن زيارة القبور الا فزوروها فانها تذكركم الاخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه فى الف مقنع فلم ير باكيا
اكثر من يومئذ وفى هذا اليوم قال اذن لى فى الزيارة دون الاستغفار كما اوردنا من قبل وقال ابن ابى مليكة قالت عائشة رضى الله عنها
يوما من المقابر فقلت يا ام المومنين من اين اقبلت قالت من قبر اخى عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت
نعم نهى عنها ولا ينبغى ان يمنعك بهذا فيؤذن للنساء فى الخروج الى المقابر فالمهن يكثرن الهجر على رؤس المقابر فلا يفى خمر زيارتهن بشرها
ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائر والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المرأة فى ثياب بذلة ترد اعين
الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على راس القبر وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها
الاخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين فى ظل الله وقال ابن ابى مليكة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر احد الا وقف
عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة فى الايام فتصلى وتبكى عنده وقال
النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت
والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى وقال
صلى الله عليه وسلم من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من
الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى
اذا انشقت الارض خرج عليه السلام فى سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب فى زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا
لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجئ الى القبر فيقول
السلام على النبى السلام على ابى بكر السلام على ابى وينصرف وعن ابى امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم
عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من ال عاصم الجحدرى رايت عاصما فى منامى بعد موته بسنتين
فقلت اليس قد مت قال بلى فقلت اين انت فقال انا والله فى روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصيحتها الى ابى بكر بن عبد الله
المزنى فنتلاقى باخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما نتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم
بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع
يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى يوم الاثنين قال بلغنى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا قبل طلوع
الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذاك قال لكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة
فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال انس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم
لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلى ولوات المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينما انا نائم اذا انا بخلق كثير قد
جاءونى فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت
وما هى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب البجرانى رايت رابعة العدوية العابدة فى
منامى وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى يا بشار بن الغالب هدايا كم تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك قالت و
هكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتى به الميت فقيل له هذه هدية
فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت فى قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه وصديق له فاذا لحقته
كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لى فرايته فى المنام فقلت ما كان حالك
حيث وضعت فى قبرك قال اتانى اتٍ بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لرايت انه سيضربنى به وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن
الدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودى شهدت ابا امامة الباهلى وهو فى النزع فقال يا ابا سعيد اذا مت فاصنعوا بى كما امرنا رسول الله

ع ج ٤

ل التعبير بالهجر من الكلام القبيح وفى الحديث ان الرجل ليهجر

ل نفع بالكسر ضد الضر وبالفتح المصدر وقد يستعمل بمعنى المنفعة

ل الشئ بالشئ مقابلته به

ل موضع القضاء والزاء

ل الحجارة

ل الجبان بالضم الميت

ل نخوى من باب رمى اى خلا

صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا
فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت
عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن
اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا
رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء ولا باس بقراءة القرآن على القبور روى عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل
في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا
من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني
مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند راسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر
يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد بن حنبل يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة
الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اذا قبلت من الشام الى البصرة فلقيت
الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد اذيتني منذ الليلة ثم قال
انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله عنا اهل الدنيا خيرا قراءهم السلام
فانه قد يدخل علينا من دعائهم نورا امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل الزائر
عن الدعاء لنفسه وللميت وللا عن الاعتبار به وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه
على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن ابي بكر الهلالي قال كانت عجوز في بني عبد القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل حرمت ثم قامت الى
المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا وليته الا رسوم
البلى وانا لآتي القبور فكاني انظر قد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتغيرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان
الدسمة فيالها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم لما انكل مرارتها للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره
عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته للكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلاث وقد دخلت
قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتاء البطن فعلا من
الصدر وخرج الصلب من له بروخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الان ويستحب ايضا الثناء على الميت وان لا يذكر الا
بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تلقوا
وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليها شرا فقال عليه
السلام وجبت ومروا باخرى فاثنوا عليها خيرا فقال صلى الله عليه وسلم وجبت فساله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة
وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت
فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى للملائكة اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور بيان حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة
الموت ظنونا كاذبة قل ان يخطو افيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت
الحيوانات وجفاف النبات وهذا راى الملحدين وكل من لا يومن بالله واليوم الاخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم
بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال اخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون
الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به
الايات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع
تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء الات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين
وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير الة وكذلك قد تتالم بنفسها بانواع الحزن والغم

والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الروح الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت ايضا هي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبسدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا تبطل منها الافراح والغموم ولا تبطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والآلام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن ان تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تتغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل فتارة بان يسبى الرجل عن المال والمال عن الرجل واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم اخر لا يتأتى سبب هذا العالم فان كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولو يأس الا به عظم تنعيمه وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما قد ينكشف للمنتبه ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يوشك ان يخوض غمرة النار الخالص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتمل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقة بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه انواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع اخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند عقيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحرمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يبلغه ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجنايا ته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الخيانة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها او لو البصائر بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولو يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يريد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الآيات فما ورد في الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وحين دعا قتلى صناديد قريش يوم بدر فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تلخر وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس عن النبي صلى

وسلم انه قال الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية
ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة
المقعدين من عذاب وتغليق في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي كرم الله وجهه حرام
على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات
شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا اما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا ومن
عذاب الله وقال يحيى بن الوليد كنت اسير يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما لحب لمن يحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما
الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق المؤمن من السجن وانما الحب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس لا بد
من فراقه غاية الشقاء فكل ما سوى الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمر انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه او
روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولو لم يكن له انس الا بذكر الله تعالى
وكانت شواغل الدنيا تحجبه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع الموذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من
غير عائق ولا دافع وما اجد ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا
قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالاخرة والبائع لا يلتفت
قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا راه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب
لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب للموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة
فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لمعالي لذات الجنة واعظم النعم
ان يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد
كما انقطعه نفسه من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه
وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه يوم احد فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله عز وجل قد احيى اباك واقعده بين يديه فقال تمن علي
عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى فقال
له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي لاني لو اقتل في الله الا قتلة واحدة
فكنت اشتهي ان ارد فاقتل فيه قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن او المضيق
ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفا قصاه فيه انواع الاشجار والازهار والثمار والطيور فلا يشتهي
العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له مثلا فقال لرجل مات اصحابه هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد
فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم
وقال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على فخرجه حتى اذا راى الضوء ورجع لو يحب ان يرجع
الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لو يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه
وقال ابو عمر صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس تضيرها هذا
الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده
والهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا ان لي من الدنيا الا مثل الذباب يمر في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم
تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال
ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص
عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره وقال صالح المرى بلغنى ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التى تخرج اليهم كيف كان ماواك وفى اى الجسدين كنت فى طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الى اخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الويا تكوا وما قدم عليكم فيقولون الا فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده فى قبره وروى ابو ايوب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا يقولون انظروا صاحبكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد فيسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال التى هى افصح فى تفهيم الموتى من لسان المقال فى تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك بى الم تعلم انى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى اذ كنت تمر بى فذكر فان كان مصلحا اجاب عنه مجيبا للقبر فيقول ارايت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر انى اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفداد هو الذى يقدم رجلا ويوخر اخرى هكذا فسره الراوى وقال عبيد بن عمير اللبث ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التى يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت فى حياتك لله مطيعا كنت علىك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا اليوم عليك نقمة انا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع فى قبره فعذب واصابه بعض ما يكره نادا ه جيرانه من الموتى ايها المتخلف فى الدنيا بعد اخذ الدور جيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك فى متقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت فى المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك فى بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا فهاداه احبته الى المنزل الذى لابد انه منه وقال يزيد الرقاشى بلغنى ان الميت اذا وضع فى قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجئ ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بى القيام لله عليها فيأتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظمأه لله فى دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وجج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا خلوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويوتى بقنديل من الجنة فيستضئ بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شئ الا قبره يقول ويحك ابن ادم اليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهوانى ودودى فماذا اعددت لى

بيان عذاب القبر وسوال منكر ونكير قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المومن اذا كان فى قبل من الاخرة بعث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوط وكفن فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعدت بروحه قيل اى رب عبدك فلان فيقول ارجعوا فاروه ما اعددت له من الكرامة فانى وعدتهم منها خلقتكم وفيها نعيدكم وفيها نخرجهم تارة اخرى فتفرق تعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهره انتهارا شديدا وهى اول فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى منادان قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الاية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا فى طاعة الله بطيأ عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى منادان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول

اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلى ومالى قال واما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيجتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وغلقت ابواب السماء فليس منها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نُبِذَ وقيل اى رب عبدك فلان لو تقبله سماء ولا ارض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ما اعددت له من الشر انى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا ادرى فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا فى معصية الله بطيأ عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لو يستطيعوا فيضرب بها جبل صادترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادى منادٍ ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن على ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرف عن سيئاته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضرته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجى راضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضرته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظى انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت قال اى شئ تريد فى اى شئ ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشقق الانهار قال لعلى اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها اى ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا وينضى حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر فى قبره تسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغى ان تعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هى المهلكات وهى باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى ايذاء الحية وارباب القلوب البصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعابها فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فمثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى ان ينكر ظواهرها بل اقل درجات الايمان التصديق والتسليم فان قلت فنحن نشاهد الكافر فى قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات فى التصديق بامثال هذا **احدها** وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهى تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة رضى الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحى اهم عليك وان كنت آمنت به وجوزت ان يشاهد النبى صلى الله عليه وسلم الا تشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا فى الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيوانات فالحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هى جنس اخر وتدرك بحاسة اخرى **المقام الثانى** ان تتذكر امر النائم وانه قد يرى فى نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه بصبيح فى نومه ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة فى حقه والعذاب حاصل ولكنه فى حقك غير مشاهد واذا كان العذاب فى الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد **المقام الثالث** انك تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذى يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك فى الاثر الذى يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذى يفضى اليه فى العادة فانه لو خلق فى الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لو يمكن تعريفها الا بالاضافة

ج ٤

اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات
المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون الآلام لذع الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية
يرد بيضاهي انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى تزل بالقلب من انواع العذاب
ما يتمنى معه ان لو يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار
يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله اليس يعظم
شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا اتاذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية
كلها دافعة واحدة **شعر** ما حال من كان له واحد ... غيب عنه ذلك الواحد ... فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم الى اعدائه
ثم يضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى
عليه الوفاق جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة ابدا الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذي يعذب به اذ لا يتبع
نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله وكان مشتاقا
الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن
من الزوال ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان تلدغه عقرب اثر
الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغ فاذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات
فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وبعضه
ويأس من رجوع جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك منه وهو
حي فيعظم عقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى
باسباب يشغل بها حواسه من مجالسته ومحادثته ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسد عليه طرق التسلي
وحصل اليأس فاذا كل قميص له ومنديل قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفقا في الدنيا
سلم وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم نجا المخفون وان كان مثقلا اعظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينارا اخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير
فكذلك حال صاحب الدرهم اخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم اخف حسابا من صاحب الدرهمين ومامن شيء من الدنيا تخلف عنك
عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقل فان استكثرت فلست بمستكثر الا من الحسرة وان استقللت فلست تخف الا عن ظهرك واعلم
تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر
وعقاربه وفي سائر انواع عذابه راى ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني
قال يا ابت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم
ان في الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا
بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره
فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ولم يالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد
يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد تجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو الحق فضمه في
براقيه افيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتأهب
في دفع العذاب كيفما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ
طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف او بموسى واهمل طرق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع
ان العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب فضول
محض وتضييع زمان **بيان** سوال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان لما كنت تقول في النبي فان كان مؤمنا
قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقولان انا كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا

في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان انا كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم سلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثان القبر بانيابهما فتلتاك وترتاك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال اذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان في حيوته لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في راسه مثل غارب الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان اتاه العذاب من قبل راسه جاء قراءة القرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطنا للصدقة والدعاء لا سبيل لكم علينا وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تقف الصلاة والصبر نحية فيقول اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان تجاحش عنه اعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة تردي منها حمائله وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا نا حالة فلما انتهينا الى القبر فدخله التمع وجهه صفوة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رايناك منك شانا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصائر للاستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف بذلك اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد وعمرو فلا ندري على ما ذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاح الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فالاحكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدة ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن اعين الانبياء عليهم السلام فالاجرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا عنهم ولذلك راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب بنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد اذ اخبره ان الله اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مثالية واعني بها المشاهدة في المنام وهي من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن اكثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكل ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لا يده وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة

والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا مرجع فائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى اخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما يجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغذ وورق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقرب الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كان حين يقرأه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه واللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب ما دام مستيقظا فهو مشغول بما ترده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس عليه فلا ترده على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ووقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا الخيال عن عمله وعن تحوله فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر الى هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرويا الذي لا تنحصر عجائبه ولكيف لا وهو اخ الموت وانما الموت هو عجب من العجائب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف في اثر كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فما اذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسا ما محفوفة بالاهوال والمخازي والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفة بنعيم مقيم وملك كبير لا اخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افتحوا هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون وانما لا يشاهد بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا الفكرة في خطر ذلك الحال ان الحجاب عما ذا يرتفع وما الذي ينكشف عند الغطاء من شقاوة لا زمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا وعلينا وباسبابنا وذرياتنا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من يتفرغ روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد النبيين احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مشوبا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من جملة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا لحبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الاخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته فقد صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من ملكة الغرور

وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسى لا تسعى الا فى لحظوظ العاجلة ولا تفرغ ولا تتسكن الا لعاجل الدنيا ثم تطمع فى ان تكون غدا من امته وانى لك هيهات ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افتجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع باذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات **بيان** منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة فى الاخرة فمن ذلك ما رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من رانى فى المنام فقد رانى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فرايته لا ينظر الى فقلت يا رسول الله ما شأنى فالتفت الى وقال لست بالمقبل وانت صائم قال والذى نفسى بيده لا اقبل امراة وانا صائم ابدا وقال العباس رضى الله عنه كنت وددت العهر فاشتهيت ان اراه فى المنام فما رايته الا عند رأس الحول فرايته يميط الغرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغى ان كان عرشى ليهدو الى لقيته رؤفا رحيما وقال الحسن بن على قال لى على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجى لى الليلة فى منامى فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم من هو خير لى منهم وابدلهم بى من هو شر لهم منى فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض المشايخ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله استغفر لى فاعرض عنى فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لو تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل جاء فقال غفر الله لك وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابى لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمنى امره فسألت الله تعالى حولا ان يريني اياه فى المنام قال فرايته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار فى العذاب لا يخفف عنى ولا يروح الا ليلة الاثنين فى كل الايام والليالى قلت وكيف ذلك قال ولدت فى تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتنى امينة فبشرتنى بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لى فرحا به فاثابنى الله بذلك ان رفع عنى العذاب فى كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد ابن زيد خرجت حاجا فصحبنى رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال انبئت عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعى ابى فلما انصرفنا نمت فى بعض المنازل فبينا انا كذلك اذا اتانى ات فقال قم فقد مات الله ابا ك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فدفنته ثم ذهبت ارتحل فبينا انا فى ذلك الغم اذ غلبنى عيناى فنمت فاذا على راس ابى اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذا قبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فتنحوا وجهه بيده نحوى اتانى فقال قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت له مى انت يا بى انت وامى فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابى فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضى الله عنهما جالسا ان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذا تى بعلى ومعاوية فادخلا بيتا وانصرف عليهما الباب فنظرت فاذا كان باسرع ان خرج على رضى الله عنه وهو يقول قضى لى ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معاوية على اثره وهو يقول غفر لى ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رضى الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره اصحابه فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتى بعدى قتلوا ابنى الحسين وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله تعالى فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله فى اليوم الذى راه ورؤى الصديق رضى الله عنه فقيل له انك كنت تقول ابدا فى لسانك هذا ورد على الموارد فما ذا فعل الله بك قال افقت به لا اله الا الله فاوردنى الجنة **بيان** منامات المشايخ رحمة الله عليهم اجمعين قال بعض المشايخ رايت متمم الدورقى فى المنام فقلت يا سيدى ما فعل الله بك فقال ادخلنى الجنة فقيل لى يا متمم هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدى فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلناك اليه ولو اوصلناك الى ورؤى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن عمار قال رايت عبد الله البزاز فى النوم فقلت ما فعل الله بك قال وقفنى بين يديه فغفر لى كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فانى استحييت ان اقربه فاوقفنى فى العرق حتى سقط لحمى وجهى فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فى استحسنته فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلانى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وحوله جماعة من الفقراء فبينما نحن كذلك اذ انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طشت وبيد الاخر ابريق فوضع الطشت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم اقرع حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدى فقال احدهما للاخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روى عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فانى احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم وقال الجنيد رايت فى المنام كانى اتكلم على الناس فوقف

على ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ما ذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولي الملك وهو يقول كلام موفق والله ورؤي مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والاخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رأيناك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا يقتلني وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المومن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت عطاء السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية وسئل زرارة بن ابي اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في المنام فقلت يا اباعمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى قال ما رايت هناك درجتا رفع مرج درجة العلماء ثم درجة الحزينين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حوراء قلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن اهلها وقال ابراهيم بن اسحاق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ولما مات سفيان الثوري رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى النائم جارية ما رايت احسن منها وكان بتلالاء وجهها نورا فقلت لها بماذا ضوء وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعتك فمسحت بها وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رايت الجنيد في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما في الليل ورايت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات لا اله الا الله فنيت بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي ورؤي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني ربي عز وجل وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورؤي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رايت في النوم شابا لم ار أحسن منه فقلت له من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما يكون فقلت من انت قالت انا السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يقرع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رايت ابليس في النوم يمشي عريانا فقلت الا تستحي من الناس فقال يا ايها الناس لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد استقصوا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاء لي متكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينة قال رايت سفيان الثوري في النوم كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني قال اقبل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت سفيان الثوري في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال ؎ نظرت الى ربي كفاحا فقال لي ... هنيأ رضائي عنك يا ابن سعيد ... فقلت وما اذا اظلم الدجى ... ببعرة مشتاق وقلب عميد ... فدونيك فاختاري فقصر اردتة ... وزدني فاني منك غير بعيد ... ورؤي الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك قال وقفني حتى ايست فلما راى يأسي تغمدني برحمته ورؤي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وجعلني حجة على المحبين ورأى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن ينظر الى ربه في كل يوم مرتين وروى بعضهم قال سألت عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاغفروا ورؤي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند دوية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ورؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان منادي ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ورؤي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال شعر ولا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة ان تراه ... ورأى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحي من الناس فقال أهؤلاء ناس الناس قوم في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورؤي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نودي يا ابا القاسم

البعد الانصال انفصال فقلت لا یا ذا الجلال فما وضعت فی اللحد حتی لحقت بالاحد ورای عتبة الغلام حوراء فی المنام علی صورة حسنة فقالت یا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شیئا یحال بینی وبینك فقال عتبة طلقت الدنیا ثلاثا لا ارجعة لی علیها حتی القاك وقیل رای ایوب السختیانی جنازة عامر فدخل الدار لئلا یصلی علیها فرای المیت بعضهم فی المنام فقیل له ما فعل الله بك قال غفر لی وقال قل لایوب ما قل لو انتم تملکون خزائن رحمة ربی اذا لامسکتم خشیة الانفاق وقال بعضهم رایت فی اللیلة التی مات فیها داود الطائی نورا وملائکة نزولا وملائکة صعودا فقلت ای لیلة هذه فقالوا لیلة مات فیها داود الطائی وقد ارتجت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعید الشحام رایت سهل التستری فی المنام فقلت ایها الشیخ قال دع التشییخ قلت تلك الاحوال التی شاهدتها فقال لم تغن عنا هلمت ما فعل الله بك قال غفر لی بمسائل کان یسال عنها العجوز قال ابو بکر الرشید رایت محمد الطوسی المعلم فی النوم فقال لی قال لابی سعید الصفار المؤدب **شعر** وکنا علی ان لا نحول عن الهوی ؛ فقد وحیاة الحب حلتم وما حلنا ؛ قال فانتبهت فذکرت ذلك له فقال کنت ازور قبره کل جمعة فلم ازره هذه الجمعة وقال ابن راشد رایت ابن المبارك فی النوم بعد موته فقلت الیس قد مت قال بلی قلت فما صنع الله بك قال غفر لی مغفرة احاطت بکل ذنب قلت فسفیان الثوری قال هیهات ذاك من الذین انعم الله علیهم من النبیین والصدیقین الایة وقال الربیع بن سلیمان رایت الشافعی رحمه الله علیه بعد وفاته فی المنام فقلت یا ابا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسنی علی کرسی من ذهب ونثر علی اللؤلؤ الرطب ورای رجل من اصحاب الحسن البصری لیلة مات الحسن کان منادیا ینادی ان الله اصطفی ادم ونوحا وال ابراهیم وال عمران علی العالمین واصطفی الحسن البصری علی اهل زمانه وقال ابو یعقوب القاری الدقیقی رایت فی منامی رجلا ادم طوالا والناس یتبعونه فقلت من هذا قالوا اویس القرنی فاتبعته فقلت اوصنی رحمك الله فکلمنی فی وجهی فقلت مسترشد فارشدنی ارشدك الله فاقبل علی وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصیته ولا تقطع رجاءك منه فی خلال ذلك ثم ولی وترکنی وقال ابو بکر بن ابی مریم رایت ورقاء بن نبشر الحضرمی فقلت ما فعلت یا ورقاء قال نجوت بعد کل جهد قلت فای الاعمال وجدتموها افضل قال البکاء من خشیة الله وقال یزید بن نعامة هلکت جاریتی فی الطاعون الجارف فرآها ابوها فی المنام فقال لها یا بنیة اخبرینی عن الاخرة قالت یا ابت قدمنا علی امر عظیم لم نعلم ولا نعمل وتعلمون ولا تعلمون والله لتسبیحة او تسبیحتان او رکعة او رکعتان فی تستخر علی احب الینا من الدنیا وما فیها وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رایت عتبة فی المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المکتوبة فی بیتك قال فلما اصبحت جئت الی بیتی فاذا خط عتبة الغلام فی حائط البیت مکتوب یا هادی المضلین ویا راحم المذنبین ویا مقیل عثرات العاثرین ارحم عبدك ذا الخطر العظیم والمسلمین کلهم اجمعین واجعلنا مع الاحیاء المرزوقین الذین انعمت علیهم من النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین آمین رب العالمین وقال موسی بن حماد رایت سفیان الثوری فی الجنة یطیر من نخلة الی نخلة ومن شجرة الی شجرة فقلت یا ابا عبد الله بم نلت هذا فقال بالورع قلت فما بال علی بن عاصم قال ذاك لا یجادی الاکابر یری الکوکب ورای رجل من التابعین النبی صلی الله علیه وسلم فی المنام فقال یا رسول الله عظنی قال نعم من لم یتفقد النقصان فهو فی نقصان ومن کان فی نقصان فالموت خیر له وقال الشافعی رحمة الله علیه همتی فی هذه الایام مصروفة الی المنی ولو یطلع علیه غیر الله عز وجل فلما کان البارحة اتانی ات فی منامی فقال لی یا محمد بن ادریس قل اللهم انی لا املك لنفسی نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حیاة ولا نشورا ولا استطیع ان آخذ الا ما اعطیتنی ولا اتقی الا ما وقیتنی اللهم وفقنی لما تحب وترضی من القول والعمل فی عافیة فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترجل النهار اعطانی الله عز وجل طلبتی وسهل لی الخلاص مما کنت فیه فعلیکم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها هذه جملة من المکاشفات تدل علی احوال المیت وعلی الاعمال المقربة الی الله زلفی فلنذکر بعد هذا ما بین یدی الموت من ابتداء نفخة الصور الی اخر القرار اما فی الجنة او فی النار والحمد لله حمد الشاکرین

الشطر الثانی

من کتاب ذکر الموت فی احوال اللیت من وقت نفخة الصور الی اخر الاستقرار فی الجنة او النار وتفصیل ما بین یدیه من الاهوال والاخطار وفیه بیان نفخة الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول یوم القیامة وصفة یوم القیامة ودواهیها واسامیها وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة المیزان وصفة الحسناء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها واثقالها وحیاتها وعقاربها وصفة الجنة واصناف نعیمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحیطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة حور العین والولدان وصفة النظر الی وجه الله تعالی وباب فی سعة رحمة الله تعالی وبه تختم الکتاب ان شاء الله تعالی

صفة نفخة الصور

قد عرفت فیما سبق شدة احوال المیت فی سکرات الموت وخطره فی خوف العاقبة ثم مقاساة ظلمة القبر وضیقه ثم لمنکر ونکیر وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان کان مغضوبا علیه واعظم من ذلك کله الاخطار التی بین یدیه من نفخ الصور والبعث یوم النشور والعرض علی الجبار والسؤال عن القلیل والکثیر ونصب المیزان لمعرفة المقادیر

ترجوا ان الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عنده فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال واهوال لابد لك من معرفتها لتؤمن بها
جملة على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر جملة على
قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها
مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال نعم اذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام
مسموم فقال الصاحب الذى اخبره صدقت ثم مد يده لياكل وكان مصدقا بلسانه ومكذبا بفعله وتكذيب الفعل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمنى ابن ادم وما ينبغى له ان يشتمنى وكذبنى وما ينبغى له ان يكذبنى اما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا وانا
تكذيبه فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وانما قصور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم فى هذا العالم لامثال تلك
الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمى المصور العاقل المتكلم المتصرف
لاشتد نفورا باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك
سدى الم يك نطفة من منى تمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى فمن خلق الآدمى مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اقرب
تزيد على الاعادة فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك فى صنعته وقدرته فان كان فى ايمانك ضعف فقوه بالايمان
بالنظر فى النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوى الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب
عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة تنفزع بها القبور عن
رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة
الصعقة شاخص العين نحو السماء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عليهم من الهموم و
الغموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
وقال تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة
واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدى الهول الاهول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان يبقى فانها نفخة وصيحة
يصعق بها من فى السموات والارض يعنى يموتون بها الا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور
قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال فما قائل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق
ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من فى السموات والارض الا ما شاء الله
كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت ان يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل
ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى فى البرزخ اربعين سنة ثم يحيى الله اسرافيل فيأمره ان ينفخ الثانية وذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون على ارجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعثت بعثت الى صاحب الصور فاهوى به
الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فانقوا النفخة فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه
الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت فى الدنيا من المترفين والاغنياء
المتنعمين فملوك الارض فى ذلك اليوم هم اذل اهل ارض المحشر واصغرهم واحقرهم يطؤون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تميل الوحوش من البرارى و
الجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدانست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة و
شغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذ عنت تلك
خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر فى حالك وحال قلبك هناك
صفة ارض المحشر واهله ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور لحفاة عراة غرلا الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها
عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا نبات فيه يساقون اليه زمرا
فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذا سألتهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الاولى والرادفة هى الثانية
وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة

على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ومعلم اي بناء ليستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها ومافيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر واظلمت الارض لخمود سراجها فبينما هم كذلك اذ دارت السماء من فوقهم دورة وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وارجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبته ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الادمي انكار كل ما لم يأنس به ولو لو يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي على غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عنده من لو يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف حافيا مكشوفا ذليلا مذهولا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة او بالشقاء واعظم بهذه الحالة فانها عظيمة

صفة العرق ثم تفكر في ازدحام الخلائق و اجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولو يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى للحر والشمس قد صهرته لحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدانت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث اخر قياما ما شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي فيقول يا رب ارحني من هذا الكرب ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق لا يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر معروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب لو سلم ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات هون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته

صفة طول يوم القيامة يوم تقف فيه الخلائق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امورهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قالا يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة

الا يأكلون فيه اكلة ولا يشربون فيه شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية
قد آن حرها واشتد نضجها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يتكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا
ببني الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من
طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد
ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيديك فاعمل في ايام قصار لايام طوال ترج
رجاء منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة فانك لو صبرت سبعة الاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره
خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا **صفة** يوم القيامة وداهيها واساميها فاستعدا مسكين لهذا اليوم العظيم
شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت
والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوجت والجحيم قد
سعرت والجنة قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض قد زلزلت فيه زلزالها واخرجت الارض اثقالها يومئذ
يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم تحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية و
الملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم ترج الارض
فيه رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب و
تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسال فيه عن الاجرام بل يوخذ
بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت
وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق رضي الله عنه اراك قد شبت
يا رسول الله قال شيبتني سورة هود واخواتها وهي الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القاري العاجز اما حظك
من قولك ان تعجز القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرأه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك فيما شاب منه شعر سيد المرسلين و
اذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القران فالقيامة احد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها واكثر من اساميها لتقف بكثرة
اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الاسامي تكثير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب فتحت كل اسم من اسماء القيامة
وفي كل نعت من نعوتها معنى فحوص على معرفة معانيها ونحن الان نجمع لك اساميها وهي يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم الحاقة
ويوم المساءلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة
ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الازفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق
ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء
ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم العيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل
ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير
ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المآوى
ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم الفلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق
ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الوعيد ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم معدود ويوم مشهود ويوم
لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس

لنفس شيئا ويوم يدعّون الى نار جهنم دعّا ويوم يسحبون فى النار على وجوههم ويوم تقلّب وجوههم فى النار ويوم لا يجزى والد عن ولده ويوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مردّ له من الله يومهم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الاستار يوم تخشع فيه الابصار وتسكن الاصوات ويقل فيه الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر الخطيات يوم يساق العباد ومعهم الاشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم واعلى الحميم وزفرت النار وبئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر ويقول انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسته هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر فى كثرة اوصاف هذا اليوم واسامية ولا نستعد للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذا الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع رحمته **صفة المسائلة** ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت فى كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا بنواصى المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ما بين شفرى عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبى ولا صديق ولا صالح الا ويحزن لاذقائهم خوفا من ان يكونوا هم المأخوذين بهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لعظم هولهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فنادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهموا اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق لله تعالى قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدأ بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فيالشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتتخى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم فى ذلك الوقت صادقون اذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان ابن فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن قلب كل عبد باقبال الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد انه ما يراه احد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل ائتنى بالنار فجاء ها جبريل ويقول يا جهنم اجيبى خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزنتها متبوئة الى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف امره فاخطر ببالك واحضر فى قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا حثيا على الركب ولوامدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى العصاة والظالمون بالويل والثبور وينادى الصديقون نفسى نفسى فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قوائمهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بابصارهم

ج ٤

ينظرون من طرف خاشع خفي وافحمت عندذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك
اقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا اجبتم فاذا راؤا ما قد اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة فنفر الوالد من ولده والاخ من اخيه
والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظر الامره ثم يوخذ واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع
جوارحه واعضائه قال ابوهريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في رويته الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا
قال فهل تضارون في رويته القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رويته ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك
واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك
كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب
ففيما اذا بليته الم امهل لك في العمر ففيما اذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيما اذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف
ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس رضي الله
عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني
من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من
الافتضاح على ملاء الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المومن بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا
وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ستر على ومن عورته ستر الله عورته يوم القيامة هذا انما يرجى لعبد مومن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم
يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوا فهو جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستره عن غيرك
اليس قد وقع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يوخذ باصيتك فتقاد وفوادك مضطرب ولبابك طائر
وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فتقد نفسك وانت بهذه الصفة تخطى الرقاب
وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة
حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فتوهم من ايديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق ومحزون
وجل وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم
من طلعة خفيت عن اقرانها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وحين وكم لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقف بين يديه
وباي لسان تجيبه وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح
واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل الم تكن اهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم
انعم عليك فاذا غرك شيء بي اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله الله رب العلمين
ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له
الم انعم عليك الم اوتك ما لا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار
فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر
ثم يقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر
بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد سائر الاعضاء وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله
عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا
مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك
وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والارض من
عليك لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما تعب احزنك من دنيا دنية لم تبق معك

ع ينظرون من طرف خاشع خفي وافحمت عندذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك
اقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا اجبتم فاذا راؤا ما قد اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة فنفر الوالد من ولده والاخ من اخيه
والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظر الامره ثم يوخذ واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع
جوارحه واعضائه قال ابوهريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في رويته الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب قالوا لا
قال فهل تضارون في رويته القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رويته ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك
واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد بلى فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك
كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله تعالى يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب
ففيما اذا بليته الم امهل لك في العمر ففيما اذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيما اذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف
ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال انس رضي الله
عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني
من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من
الافتضاح على ملاء الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المومن بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا
وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ستر على ومن عورته ستر الله عورته يوم القيامة هذا انما يرجى لعبد مومن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم
يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوا فهو جدير بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستره عن غيرك
اليس قد وقع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يوخذ باصيتك فتقاد وفوادك مضطرب ولبابك طائر
وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فتقد نفسك وانت بهذه الصفة تخطى الرقاب
وتخرق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة
حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فتوهم من ايديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت منه بقلب خافق ومحزون
وجل وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم
من طلعة خفيت عن اقرانها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وحين وكم لك من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقف بين يديه
وباي لسان تجيبه وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح
واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل الم تكن اهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم
انعم عليك فاذا غرك شيء بي اظننت اني لا اراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويسأله الله رب العلمين
ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له
الم انعم عليك الم اوتك ما لا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار
فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر
ثم يقول يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ما عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر
بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد سائر الاعضاء وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله
عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا
مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم سرورك
وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت السموات والارض من
عليك لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما تعب احزنك من دنيا دنية لم تبق معك

صفة الميزان ثم لا تغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى منادٍ ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم يؤمر لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن ابى الله الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتنظار الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب اتقع فى اليمين او فى الشمال ثم الى لسان الميزان ايميل الى جانب السيئات او الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق

وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيامة قال نعم والذى نفسى بيده الا فى ثلاث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم اتخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ايمينه يأخذ كتابه او بشماله او من وراء ظهره وعند الصراط وعن انس قال يؤتى بابن ادم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون بنواصيهم الى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم القيامة اذ يوم ينادى الله تعالى فيه ادم عليه السلام فيقول له قم يا ادم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذى نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بنى ادم وبنى ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فنبرى عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذى نفس محمد بيده ما انتم فى الناس يوم القيامة الا كالشامة فى جنب البعير او كالرقمة فى ذراع الدابة

صفة الخصماء وورد المظالم قد عرفت هول الميزان وخطره وان الامر شاحصته الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب فى الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حساب النفس ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصيره فى فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه وبطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم احاطت به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بثيابه هذا يقول ظلمتنى وهذا يقول شتمتنى وهذا يقول استهزأت بى وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى وهذا يقول جاورتنى فاسأت جوارك وهذا يقول عاملتنى فغششتنى وهذا يقول باعتنى فغبنتنى واخفيت عنى عيب سلعتك وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك وهذا يقول رايتنى محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتنى وهذا يقول وجدتنى مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم عنى فداهنت الظالم ومارا عيتنى فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا فى تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لو بقى فى عمرك احد عاملته على درهم او جالسته فى مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومدت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار جل جلاله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من المعصية وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله تعالى به على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمض بأعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسرتك فى ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك توخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتى من ياتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم

قلنا

هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار فانظر
الى مصيبتك فى مثل هذا اليوم اذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكائد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة فى كل مدة طويلة ابتدرها
خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضى عليك يوم الا ويجرى على لسانك
من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات وكيف ترجو الخلاص
من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا ابا ذر اتدرى فيم
ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة وقال ابو هريرة فى قوله عز وجل وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم ان يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله تعالى ان ياخذ الجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا
فذلك حين يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فكيف انت يا مسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية عن الحسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتى فيقال
نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصبك واشتد لسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه
سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه اسيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبايعة والمجاورة والمخاطبة و
المناظرة والمذاكرة والمداراة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام
بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجئ يوم القيامة بامثال الجبال
من الطاعات فيرى الفضل سينجيه فما يزال عبد يجئ فيقول رب ان فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول اخ من حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسنة
شئ وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما اراد وا وكذلك
الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله اكرر علينا ما كان بيننا فى
الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذى حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة
ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غرلا بهما
قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شئ ثم ينادهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغى لاحد من اهل الجنة
ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار عنده مظلمة حتى اقتصه منه ولا احد من اهل النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه
منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ناتى الله عز وجل عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد باخذ اموالهم و
التعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه
مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليبشر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص
بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لاحبائه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن انس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول
الله بابى انت وامى قال رجلان من امتى جثيا بين يدى رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لى مظلمتى من اخى فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب
لم يبق من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شئ قال يا رب يحمل عنى من اوزارى قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع راسك فانظر فى الجنان
فرفع راسه فقال يا رب ارى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى نبى هذا او لاى صديق هذا او لاى شهيد هذا
قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو قال اعفوك عن اخيك قال يا رب انى قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد
اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه
على ان لك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الان فى نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم
او تلطف لك حتى عفا عنك وابقت بسعادة الابد كيف يكون سرورك فى منصرفك ومن مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء و
وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء ونعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق
كما يشرق القمر ليلة البدر وفتح بينك وبين الخلائق رافعا راسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة لنسيم النعيم وبرد الرضى ينال الامن جنبيك
وخلق الاولين والاخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك ينادون

على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا اقترن هذا المنصب ليس باعظم
من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا برياءك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل
الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك ابدا وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان
خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتى يا عبد السوء لا تقبل منك عبادتك
فلا تسمع هذا النداء الا وليسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك
تتنال اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بغلاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذ وابناصيتك ليسحبوك
على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى اسوداد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم
ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا او تنادى الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضايحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى
شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلب المكانة فى قلوبهم او خوفا من الافتضاح
عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملاء العظيم
مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بايدى الزبانية الى سواء الجحيم هذه اهوالك واحوالك وانت لو تشعر بالخطر الاعظم
هو خطر الصراط **صفة الصراط** ثم تفكر بعد هذه الاهوال فى قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى
جهنم وردا وفى قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود
على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الاخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة
فى الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر فى اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الان فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته
ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت ان تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب
قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشى على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه
احدى رجليك فاحست بالحد تدواضطررت الى ان ترفع القدم الثابتة والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتدنو لهم نيران النار
بالخطا طيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف يتنكسون فتتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلوا رجلهم فيالله من منظر ما افظعه ومرتقى ما
اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت ترتجف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر بالاوزار تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون
فى النار والرسول عليه السلام قائم يقول يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق
فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فنادیت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت اخافه فيا ليتنى قدمت لحياتى يا ليتنى اتخذت
مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتنى كنت ترابا يا ليتنى كنت نسيا منسيا يا ليت امى لم تلدنى وعند ذلك تختطفك
النيران والعياذ بالله وينادى المنادى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الان عقلك
وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير موقن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار فى دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له
متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وما ذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعى فى طلب رضى الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن
بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا وروعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب
الصراط بين ظهرانى جهنم فالون اول من يجيز امته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفى جهنم كلاليب
مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تخطف
الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه
حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر
كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشى مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار الذين هم
اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيوخذون بذنوب خطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يوذن فى الشفاعة وذكر الى اخر الحديث وعن ابن مسعود
رضى الله عنه ان صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم قياما مائة اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون
فصل القضاء وذكر الحديث الى ان ذكر وقت سجود المومنين قال ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم

فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى نوره اصغر
من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضئ مرة ويطفاء مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ثم ذكر مرورهم على الصراط
على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالريح
ومنهم يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذى اعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يدا ويعلق يدا ويجر رجلا
ويعلق رجلا وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطانى الله ما لو يعطاحدا الا نجانى
منها بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط كحد
السيف امكد الشفرة وان الملائكة ينجون المومنين والمومنات وان جبريل عليه السلام لاخذ بحجزتى وانى لاقول يا رب سلم سلم فالزلون والزلات
يومئذ كثير هذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيها فكرك فان اسلم الناس من اهوال يوم القيامة من طال فيها فكره فى الدنيا فان الله لا يجمع بين خوفين
على عبد فمن خاف هذه الاهوال فى الدنيا امنها فى الاخرة ولست اعنى بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك فى حال السماع ثم تنساه
على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذاك من الخوف فى شئ بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا يخيفك الا خوف يمنعك عن
معاصى الله تعالى ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق الى السنتهم الاستعاذة فقال احدهم استعنت بالله
نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصى التى هى سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يصيده
سبع ضار فى صحراء ووراءه حصن حصين فاذا راى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه و
احكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد فى مكانه فالى يغنى ذلك عنه من السبع وكذلك اهوال الاخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله
صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق فى توحيده وهو محظر
فى نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته
ومتبركا بادعيتهم فمسالك ان تنال من شفاعته او شفاعتهم فتجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة **صفة الشفاعة** اعلم انه اذا
حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من
له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة فى اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة
وذلك بان لا تحقر ادميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته فى عباده فلعل الذى تزدريه عينك هو ولى الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله
تعالى خبأ غضبه فى معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله تعالى خبأ رضاه فى طاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمة الطيبة او الهدية
او النية الحسنة او ما يجرى مجراه وشواهد الشفاعة فى القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقول عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم
وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال امتى امتى فبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك
فاتاه جبريل فسأله فاخبره والله اعلم به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت الى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من
امتى ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبى بعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة
كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق الارض عنه وانا اول شافع
واول مشفع بيدى لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل نبى دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة
وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه
قائما بين يدى ربى منتصبا مخافة ان يبعث بى الى الجنة وتبقى امتى بعدى فاقول يا رب امتى فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع
بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت
للنار لغضب بك فى امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم انى لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون
مم ذاك يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون

ولا يحملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا ترون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بادم عليه السلام فيأتون ادم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم ادم عليه السلام ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فيأتون ابراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون انت نبى الله خليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانى كذبت ثلاث كذبات ثم يذكرها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونى فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتى تحت العرش فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فارفع رأسى فأقول امتى يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذى نفسى بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى وفى حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم وهو قوله فى الكواكب هذا ربى وقوله لأختهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاحاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا انى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتى اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة وللاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال النس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة ليشرف يوم القيمة على اهل النار فينادى رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفنى فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول انا الذى مررت بى فى الدنيا يوما فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لى بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول انى اشرفت على اهل النار فنادانى رجل من اهلها فقال هل تعرفنى فقلت لا من انت فقال انا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى بها عند ربك فشفعنى فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار وعن النس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا الواء الحمد يومئذ بيدى وانا اكرم ولد ادم على ربى ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اقوم بين يدى ربى عز وجل فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ما ذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فادخلها ومعى فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر

صفة الحوض اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى فى الدنيا علمه والآخرة ذوقه فان من حصلت له ان من شرب منه لم يظمأ بعده ابدا قال النس غفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكت فقال انه انزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتى يوم القيامة انيته عدد نجوم السماء وقال النس قال رسول

صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء او مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادله اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز الله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن رأسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء ولكوابها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة وانا ارجو ان اكون اكثرهم واردة فمن ارجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من نبت البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواع الى اوان الحصاد فامنا من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور **القول** في حنقة جهنم واهوالها وانكاها ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرقة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصغ الفكر الى موردك فانك اخبرت بان النار موردك جميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد لنجاة منه وتامل في حال الخلائق وقد قاسوا من مر وادهى القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة انبائها تشفع شفعاؤها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من اباينة قائلا اين فلان بن فلان الموسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادر ونزمقامع من حديد وليسلبونه بغتة ثم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسودت لذلك وجوه وكلحت وجوه وضاقت بالمجرمين على رحبها الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويؤبد فيها السعير وشر الهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم زبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك ومالهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات هيهات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتاسفون ولكن لا يهمهم العذاب ولا يجزعهم العقاب ولا يحزنهم الندم ولا يغيثهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسربال القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجاذبون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين عواشيها فاذا بهم النار كلما خبت زدناهم سعيرا ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما هشتم بها اصابهم فتفجر الصديد من افواههم وتنقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود دماء تتمنى عندها الموت فلا يجابون ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من

عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنشّ في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم قد اسودت وجوههم اشد اسوادا من الحمم واعميت ابصارهم وبكمت السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وحدعت انوفهم واذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم واقدامهم وهم يعيشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحدم فلهيب النار ساري في بواطن اجزائهم وحيّات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذا بعض جملة احوالهم وانظر الان في تفصيل اهوالهم لتفكر اولا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا يبقى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ وا بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعمائة مرة اعدّه الله تعالى للقراء المرائين فهذه سبعة جهنم والشعاب ودبتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الان في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي اذب من الدنيا الى ارب اعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الان حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكبل الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تتراد ف انواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا قلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الان الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عليك في الدنيا عذاب هذه النار عرفت عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها ظائعين مرتاحين فيه وعن هذا عبر بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماءا من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله نار جهنم فقال امر الله تعالى ان يوقد على النار الف عام حتى احمرت ثم اوقد عليها الف عام حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدونه في الصيف من حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال انس بن مالك يوتى بالنعيم الناس الدنيا من اهل الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويوتى باشد الناس ضرا من المؤمنين في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم نفس رجل من اهل النار او قد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم الا القمته عند اعقابهم ثم انظر هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى احدهم من ماء صديد يتجرعه لا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين انية وقال تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا افسدت على اهل الدنيا معائشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها لخبثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب

فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم
كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم
فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون
يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش بلغني انه بين دعائهم وبين اجابته مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا
ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيهم اخسؤا فيها
ولا تكلمون قال عند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا دنى منه شوى وجهه فوقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه
حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم
وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت
على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته
مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمته يعني اشداقه فيقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن
الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حمتها اربعين
خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حمتها اربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه في
الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس فمن وقي ذلك وفي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام اهل النار ان الله تعالى
يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائها دفعة واحدة على التوالي قال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته
السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه في يوم القيامة يتوطؤه الناس ومع
عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ذاقوا العذاب كلما اكلتهم النار
كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الان في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك
ليسلط عليهم في اول القائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف
ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم
كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستراح ولكنهم
يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يكلموا بعدها ابدا
يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى ولو شئنا
لاتينا كل نفس هداها ولكن حقت كلمة العذاب لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
فيجيبهم الله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن انس رضي الله عنه قال زيد
ابن اسلم في قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا اهل الجنة خلود بلا موت
ويا اهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال ليخرج من النار رجل بعد الف عام وليتمنين كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا
في زاوية وهو يبكي فقيل له لو تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها و
محنها وحسراتها لا نهاية له فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه
مع علمهم بانهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لو يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت

مكدودة منخسة فيقولون فى انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد
انقضت علينا ايامه وبقينا الان فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضى والرضوان فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم ونالوا بما نالوا به ولو بقى
معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها فوا نعيمهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لو تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى
يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم
عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون والاخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما
اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول الله تعالى ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى واجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم اذيقكم العذاب
الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال احمد بن حرب ان احدنا يوتر الظل على الشمس فكيف لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من حبيب
صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النار يصيح وقال داود الهى لاصبرى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك ولا صبرى على صوت
رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين فى هذه الاهوال واعلم ان الله تعالى خلق النار بما هو لها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا
ينقصون وان هذا امر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ولعمرى لا اشارة به الى يوم
القيمة ولكن ما قضى الامر يوم القيمة بل فى ازل الازال ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل
بمحقرات الدنيا ولست تدرى ان القضاء بماذا سبق فى حقك فان قلت فليت شعرى ماذا مودى والى ماذا مالى ومرجعى وما الذى سبق
به القضاء فى حقى فلك علامة تستدل بها وتصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد
يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه
فاعلم انك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان
الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله اعلم **القول** فى صفة الجنة واصناف نعيمها
اعلم ان تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما استقر لا محالة فى
الاخرى فاستتر الخوف من قلبك بطول الفكر فى اهوال الجحيم واستتر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك
بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر فى اهل الجنة وفى
وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من
العبقرى الاخضر متكئين على ارائك منصوبة على اطراف الانهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من
الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان عيشين فى درجات الجنان اذا اختار احدهم فى مشيها حمل
اعطافها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان كاملات
عجانات عطرات امنات من الهرم والبؤس مقصورات فى قصور من الياقوت بنيت وسطر وضات الجنان قاصرات الطرف عين لم يطمثهن
عليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا
يعملون فى مقام امين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد
اشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا تزهقهم قترة ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون امنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا
وعسلا فى انهار اراضيها من فضة وحصباؤها من در وجان وعلى ارض ترابها من مسك اذفر ونباتها زعفران ويطوفون من سحاب فيها من ماء
الكافور على كثبان من المسك الكافور ويؤتون باكواب واى اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج
السلسبيل العذب كوب تشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لو يصنعه آدمى فيقصر فى تسويته صنعته وتحسين صناعته
فى كف خادم يحكى ضياء وجه الشمس فى اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن صداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه
صفتها ويوقن بانه لا يموت هلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنتظر الاحداث لعين التغيير الى اهلها كيف يانس ببلد قد اذن الله فى خرابها ويتهنأ
بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والبؤس والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان

لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورتها كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء
العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم عليه دوام بين احسان
هذه النعم يترددون وهم من نوالها آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي منادٍ يا اهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا و
ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن تفصيلها بعد ان احطت على جملتها
وتامل الا **عدد الجنان** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما
وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى **ابواب الجنة**
فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في
سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ثمانية ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان و
من كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر رضي الله عنه والله ما على احد من ضرورة من
ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم امرها ثم ذكر الحفظة
ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احدهما
كما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير اشعارهم
بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم كأنما دهنوا بالادهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين تلقاهم الولدان
يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا قال فيطلع الامر من
اوليائك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رأيته فيقول انا رأيته وهو بأثري
فيستخفها الفرح حتى تقوم الى اسكفته بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح احمر واخضر واصفر من كل لون
ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى اقدره لاذهب بصره ثم يطأطئ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكاء فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي منادٍ تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون
فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي يوم القيامة بباب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول
محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم تأمل الآن في **غرف الجنة** واختلاف درج العلو فيها فان الآخرة اكبر درجات واكثر تفضيلا
وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى
الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او حرمانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك و
تنغص لسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها
فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر الافق من
المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال ايضا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأبينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من صفتها ظهورها من
بطونها وبطونها من ظهورها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قالت يا
رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال متى
تطيق ذلك وساخبرك عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام و
صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني
اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا

مرصع ياقوت احمر فى كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما يأتى على ذلك اجمع **صفة حائط الجنة** وارضها واشجارها وانهارها تأمل فى صورة الجنة وتفكر فى عبطة سكانها بها وفى حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك وسئل صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر فى الآخرة فليتركها فى الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا انهار الجنة تنفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به فى الآخرة افضل من حلية الدنيا جميعها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله عز وجل ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابى فقال يا رسول الله قد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت ادرى ان فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هى قال السدر فان لها شوكا فقال قد قال الله تعالى فى سدر مخضود ويخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا نطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ فاذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل ترى ما الظلمات يوم القيامة قلت لا ادرى قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر **صفة** لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارائكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير والآيات فى تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله فى الاخبار فقد روى ابو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اخلق تخلق ام نسج تنسج فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل سأل عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشق عنها ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية وفى رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى اللؤلؤة فيها تضئ ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الآخرون رواه البخارى فى الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض **صفة** طعام اهل الجنة بيان طعام اهل الجنة مذكور فى القرآن من الفواكه والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة فى مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فذكر اسئلة الى ان قال فمن اول الناس اجازة يعنى على الصراط فقال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الحوت قال فما غذاؤهم على اثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال الاصحابه اى قوكلى بما خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذى نفسى بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودى فان الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة طيرا امثال البخاتى قال ابو بكر رضى الله عنه انها لناعمة يا رسول الله قال اكلها منها من يأكلها وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف قال يطاف عليهم بسبعين صحفة

من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الاخرى مثله وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ومزاجه من تسنيم قال ممزوج لاصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء رضى الله عنه فى قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه فتوا خرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها **صفة** الحور العين والولدان قد تكرر فى القران اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه روى انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غدوة فى سبيل الله اوروحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قده من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا بما فيها يعنى الخمار وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها فى خدرها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضئ ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى دخلت الجنة فاذا انا بقباب اللؤلؤ وترابها المسك وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين قال فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس فى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى الجنة شجرة الا وهى تثمر الحلل

بهم المار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وان لهم فيها لخيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم الحور العين كالهن بيض مكنون وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة قد طهرها الله الاخلاق من السوء والاحياد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل يكر الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره ومملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب يراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى مثله ويجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وقال فيها هدان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في مملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا في يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهدت لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدع قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا وما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه غاية الحسنى وزيادة الغماء وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي ان تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى واما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى

ختم الكتاب

بباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا او في سائر كتبنا ونستغفره من ساقط النا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم لو خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل نصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم اذ ناوا واستفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم الرحمة واسعة والجود على اصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحمها عباده يوم القيامة ويروى انه اذا كان يوم القيامة اخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف

الف وعشرة آلاف الف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لو فقولون
رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة اخرجوا من النار من ذكرني
يوما وخافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا
مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر
باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذا راى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال
جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيامة
فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله عز وجل
قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال
يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويأمر بردهما الى النار فيعود
احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عاد الى النار قد حذرت من وبال المعصية ما لو
اكن اتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا ترد ني اليها بعد ما اخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينادي منادٍ من تحت العرش يوم القيامة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا
الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال
مهلا لا تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثكموه الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم
وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله
بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين
سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيأ اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك
عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط ان الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه
من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها كيف
يخرج منها شجيرة تكون منهالى الشمس اصفر وابيض وما يكون منها الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ
رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه
فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تعالى ان لكم عندي ما هو افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا
فيقول رضاي عنكم فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج الينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم فرأيت النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا
فرجوت ان تكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه فقيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لي
هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ثم تفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا
اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله هؤلاء هم ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون

ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم يارسول الله فقال انت منهم ثم قام اخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يارسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لو يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة ايام المزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يارب تبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب قال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال لبشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر وقال ابو الدرداء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يارسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يارسول الله قال وان رغم انف ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله تعالى مكانه النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفه وروى انه وقف صبي في بعض المغازي ينادي عليه فقيل يزيد في يوم صائف شديد الحر فتبتهرت به امرأة في جناء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى صدرها ثم التفت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا امامهم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فبشرهم بالخير فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها

فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله فنرجو من الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله عنده وسعة جوده ورحمته

تم الكتاب بحمد الله ومنه وكرمه وبه كمل كتاب احياء علوم الدين

فلله الحمد اولا واخرا وظاهرا وباطنا لا احصي ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه والحمد لله وحده

تمت

اخ يعقوب لختام احياء العلوم

قد تم احياء العلوم

بعون الله الوهاب

الكريم

١٣٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الحكمة والكتاب وارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وتبصرة وذكرى لاولى الالباب وجعله نورا وسراجا منيرا اهتدى به الناس فى ظلمة ليل الشك والارتياب وكشف له عن اعلى الملكوت وسناء الجبروت وعظم عليه فضله واسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة بلا مدد ولا حساب والصلوة والسلام على رسوله سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد افضل من اوتى الحكمة وفصل الخطاب وعلى اله واصحابه الذين هم لاحياء علوم الدين واماتة رسوم الكفر خير آل واصحاب **اما بعد** فيقول العبد الضعيف محمد مظهر غفر الله له وتجاوز عن سياته ان اجل الكتب فى سلوك الاخرة واكملها واحسنها ضبطا واشملها وارشق عبارة والوا شارة واعظم شانا واوفى بيانا واعلى كلاما واشرف منزلة ومقاما هو هذا الكتاب المسمى باحياء علوم الدين وانه لحرى بان يكتب بماء الذهب لا بماء العيون بل بسويداء القلوب ولسواد العيون وان وعظه اولى بان يستمع وانه لحق والحق لحق ان يتبع ولقد ابلغ فيه المصنف الفاضل العلامة العارف الفهامة ان اوجز واجزا توده لالذ وان اطنب اطنب من غير سآمة وملالة فله الفضل والثناء الجميل والمنة والثواب الجزيل ولكن بلغ من ايدى النساخ فى الاختلاط والاختلاف غاية وحدا واشتبهت الالفاظ والعبارات جدا وقد طبع هذا الكتاب مرتين فى مصر وانتسخ من ذلك المطبوع ما طبع فى مرة بالاثر ولم ينتهض ارباب هذه المطابع الى التشمر لرفع الاغلاط الذى هالهم اما لعدم اكترائهم مع وفور النسخ او عدم تيسر هالهم فدخلت فى المتن عبارات كانت فيه غير داخلة وخرجت عنه عبارات كان المتن لها شاملة ومسخت صور اللغات الغريبة ونسخ بدله هيولى الالفاظ القريبة ولا غرو فيه ففى المثل السائر كم ترك الاول للاخر ولما رايت السعى فى تصحيحها مهما واحرى اردت طبعه مرة اخرى مستخيرا الله تعالى وتقدس ومستمدا بروح مصنفه المقدس فتيسر لى بعون الله سبحانه من النسخ المكتوبة جمع ست او سبع واحدة منها كانت فى اقصى درجة الصحة قد قابلها بعض الاعلام من العلماء بنسخ عديدة وزينها بالتحشية وتحرير الاختلافات فى مدة مديدة والاخرى كانت قديمة معربة بخط حسن وهيئة معجبة فقابلت النسخة المصرية بالمكتوبات وتتبعت المقامات المشتبهات فيها بالتصفح والعرض وسويت لنسخة واحدة منها بمقابلة بعضها ببعض واثبت فى المتن ما كان عليه اكثر النسخ وابقيت ونبذت ماوراء ذلك على الحاشية والقيت الا ما فضل على اصل المطلب وزاد وكان غير مخل بالمراد فقفوت فيه بالنسخة المصرية معلما عليه لفضله وتقدمه فلو قبل مبكاها ابكيت صبابة : بسعدى شفيت النفس قبل التندم : ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا : بكاها فقلت الفضل للمتقدم وكتبت حل بعض اللغات والاشعار على الحاشية تيسير الفهم الطالبين وزيادة فى رغبة الراغبين واما ما كان سهلا غير عسير على الافهام او الذى كفت لوافهم لقلة التدبر منى والاهتمام فلم اتعرض له بالبيان ولم اقف ما ليس لى به علم وحسبان وانت ايها اللبيب لو وجدت فى موضع وستجد فى مواضع كثيرة شرحا للفظ على خلاف المرام او تغير اللفظ بما لا يلائم المقام فحمله على قصور فهمى وعدم درايتى للكلام واعلم ايضا انه ربما يتطرق الغلط من ايدى الطابعين لقلة مبالاتهم وينفصل الموصول ويتصل المفصول من مساهلاتهم سيما اذا كان المقصود طبع كتاب فى مدة يسيرة واختتام مقصور على غاية قصيرة كما اتفق فى هذا الكتاب فان ثلثة نفر من النساخ كانوا ينسخون مجلدات منتكلوا احد منهم جلدا على حدة او يكتبون كتابا او ابوابا من مجلد واحد وكل ما يكتب يطبع باسرع ما كان وقليل او ان وفى اثناء ذلك اختطف فرصة واختلس من الدهر برهة فاكتب ما يخطر ببالى من حل اللغة او شرح حديث او بيان معنى شعر يتعلق بكل جلد وكان المرجوع اليه فى هذا كله من الكتب مجمع البحار وشروح حصن الحصين والبيضاوى والكشاف والمدارك والجلالين والقاموس والمصباح للمنير والصراح وغيرها وربما نقلت الحواشى من ذلك النسخة المصححة ايضا وكان الفراغ عن هذه الحظة المجلة الاربعة من الكتاب ومقابلته وتحشيته وطبعه فى زهاء ثمانية اشهر وقد اعانتنى فى ذلك اخى وحبيبى الشاب الصالح ووريثى فى المصالح الباذل فى العلوم المولوى محمد يعقوب بن المولى الاعظم فخر علماء العجم اوستاذنا واوستاذ العالم ذى الوجه البهى والعز السمى المولوى مملوك العلى نعمه الله برحمته وافاض على العالمين من بركاته ببقاء ولده وقد الحق بالكتاب هذا الاخ المكرم مادة من تواريخ الاختتام بالسنة مختلفة واجاد فضمنا ها اخر الكتاب والله المسئول ان ينفعنا به ولاخواننا المسلمين انه خير موفق ومعين

نبذة من احوال المصنف وبعد فمؤلف هذا الكتاب هو الامام حجة الاسلام زين الدين محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى الشافعى والغزالى منسوب الى الصناعة وقيل الغزالى بالتخفيف منسوبا الى غزالة من قرى طوس اخو الامام احمد الغزالى مناقبه معروفة خارجة عن الحصر تفقه على ابى حامد الاسفرائنى وابى محمد الجوينى والد ابى المعالى وكان حافظا لمذهب الشافعى اصوله وفروعه اشتغل فى بدو حاله بطوس ثم حضر مجلس امام الحرمين ابى المعالى بنيسابور والف هذا الكتاب وهو احياء علوم الدين فى الف يوم وخمسة و

عشرين يوما بلغ الغاية فى اتقانه وتحسينه وكان يختم كل يوم ختمة ويدعو باثرها يقول اللهم ارفع من اخفق ووضع من رفعته بلغت تصانيفه الى اربعمائة مجلد مثل تفسيره اقوت التاويل فى اربعين مجلدات وكيمياء السعادة والبسيط والوسيط والوجيز والخلاصة والمستصفى وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمظنون به على غير اهله والمقصد الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى وجواهر القرآن ومشكوة الانوار وغير ذلك من الكتب وهذا الكتاب ولو لم يكن له الا هذا الكتاب لكان كافيا فى فضله وحجة بينة على تقدمه ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد وحصل له قبول عام كان اذا انقلب الى منزله تحف به خمسمائة فقيه عن يمينه وشماله وامامه وخلفه قيل لما صنف كتاب النحول وذهب به الى حضرة استاذه امام الحرمين قال الامام لقد وادتنى اى غلب تصانيفك فقال مصنفاتى ثم تزهد وترك كل ذلك وقصد الحج وراح الى الشام ولبس الخام واقام الصيام وتبرك بزيارة المقدس واحترى كلاء الارض ثم سكن دمشق زمانا ورجع بعد ذلك الى وطنه بلدة طوس واقام بها الى آخر عمره وبنى هناك مدرسة وخانقاها وقسم اوقاته فى افادة العلم والخيرات وبه رضى الله عنه بطوس سنة خمسين واربعمائة وتوفى رحمه الله بها يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الاخرى سنة خمس وخمسمائة وهو ابن خمس وخمسين سنة رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة ماواه ؛

تاریخ عربی از نتائج طبع جناب مولوی محمد یعقوب صاحب سلمه الله تعالی ؛

قد تم احياء العلوم وطبعه ؛	فى حسن تحشيه وحسن نظام ؛	تجلى العيون ملاحة ولطافة ؛	فجلاءه كالنور بين ظلام
يا زين مطبوع وحسن كتابة ؛	تحكى صفاء الورد فى الاكمام ؛	قد كانت الاحياء خير كتاب ؛	ارخ تم الخير للاتمام
۱۲۹۱			

تاریخ فارسی منه مدظله

احیا که بود علم را چشم و چراغ	از زینت طبع سنگ شد رشک باغ	چون سال شروع آن گرامی آغاز ۱۲	تاریخ فراغ گشت از لفظ فراغ ۱۲۸۱

ایضاً منه دام فیضه

چو مطبوع ولها شد احیای مطبوع	بصورت بسیرت باوصاف عالی	صحیح و محشی بخط نگارین ؛	پر از جمله لطف از همه عیب خالی
بهنگام اتمام طبعش روان شد	پی فکر تاریخ کلک خیالی	بنام مصنف چنان بست نقشی	از ان امام محمد غزالی ۱۲۸۱

تاریخ اردو منه دام ظله

طبع احیا ہوئی مکرر خوب	کیا ہی با آب و تاب تحشیہ سے	یوں کئی بار چھپ چکی ہے پہلے	اب چھپی لاجواب تحشیہ سے
فیض فیاض نول کشور سے ہی	یہ تمام اسکی آب تحشیہ سے	مجھی تاریخ تحشیہ کا ہی فکر	ہی سنے انتساب تحشیہ سے
سکے گمنام نی صلاح یہ دی	اسکا دیکھو حساب تحشیہ سے	غیب سے تب ملی عجب تاریخ	کیا ہی زیب کتاب تحشیہ سے ۱۲۸۱

ایضاً منه دام مجده

جونہی یہ احیا ہوئی جسدم تمام	فکر نے تاریخ کی لے راہ راہ	گو کہ نہیں ڈھب مجھی پر غور سے	سوجھ ہی جاتی ہی کوئی گاہ گاہ
حضرت گمنام نے سنکر کہا	ڈھونڈتا پھرتا ہی تو کیوں خواہ مخواہ	لکھ سر احیا سے یہ تاریخ خوب	خوب چھپی خوب چھپی واہ واہ ۱۲۸۱

قطعه تاریخ استاد نسخ و نستعلیق منشی اشرف علی اشرف

چون بطبع آمد درین ایام احیاء العلوم	تا عرب گشته بلند آواز از عجم	نقطه از لفظ احیا کرده کم از بهر سال	جمله اعداد حروف اشرف پاکبزه رقم ۱۲۸۱

ایضاً از نظام و خطاط قدیم منشی امیر الله تسلیم

چو این مجموعهٔ اسرار ایمان	بصحتهای کامل طبع شد زود	برای سال خضر فکر تسلیم	کتاب معرفت اندوز فرمود ۱۲۸۱

ایضاً از منشی فدا علی عیش

چون کتاب پاک غزالی فرین شد بطبع
خواندنش باشد فزایل رنج و افکار و هموم
آسمان هر صفحه اش بین السطور بین کشان
نیر اعظم دوائر نقطه هایش چون نجوم

شهر بطبعش چو در اکناف عالم شد بلند
مشتری کردند از بهر خریداری هجوم
عیش کلکم بی سر اغلاط سال ختم او
زور قم شد خوب و نیکو طبع احیاء العلوم
۱۲۸۱

ایضاً از منشی وزیر علی انجم

طبع شد اکنون چو این زیبا کتاب لاجواب
نور ایمان یافته چشم جهان حق بین شده
مصرع تاریخ گفته انجم خوش فکر این
خوب زیبا طبع احیاء العلوم این شده

۱۲ ۸۱

ایضاً از منشی کالکا پرشاد موجد

زحی لایموت آن کار فرما یافته قالب
که بهر زنده دل گشتن مسیحا یافته قالب
به احیاء العلوم احیای رسم رشم فرموده
روان پاک از معنی مهیا یافته قالب

نزاکت در حروف آمد صفا در صفحه پیدا شد
بی طبعش بجای سنگ مینا یافته قالب
تمنا کرده هر کام و دهن حلوای سنی دوده
خط شیرین آن دود چو حلوا یافته قالب

ز خضر فکر موجد یافته آب بقا سالش
حیات جاودان علم از احیا یافته قالب
۱۲ ۸۱

ایضاً منه

منشی صدر هنر صاحب دیوان علم
خلق گلستان فضل طبع دبستان علم
کرد ز انظار مهر لعل معانی پدید
آمده هر سنگ طبع کوه بدخشان علم

پایه شناسی او کرسی قالب نهاد
داشت نگه میزبان عزت مهمان علم
خاصه دوست بود و خوان خلیل و ربود
دوست و دشمن از و نعمت ایوان علم

از ره احیای علم داد چو احیا بطبع
یافت حیات ابد قالب بیجان علم
نام سمی رسول حرف چو اصحاب ثبت
چار مجلد ازان آمده ارکان علم

کلک سمن سا فشاند سنبل و ریحان خط
دامن گلچین شده جیب و گریبان علم
حسن ازل جلوه گر عمر ابد در نظر
یوسف کنعان دین خضر بیابان علم

هست مفارق سطور صف زده دندانه ها
کشت ورق شانه گیسو پیچان علم
نوح خرد ساخته کشتی قالب روان
از پی اغراق جهل خاسته طوفان علم

از کمی هر متاع بیش بود قیمتش
ارزش فراوان گرفت جنس فراوان علم
لنگ و عرق ران شده توسن یکران کلک
صفحه آن عرصه داد وسعت میدان علم

قحط جهالت گذشت فصل ذخائر رسید
ابر سیه سبز کرد مزرع دهقان علم
از سر آغاز طبع و زپی انجام آن
گفت دو مصراع سال موجد نادان علم

چشمه حیوان علم وه چه روان شد ز سنگ
وه چه برون شد ز سنگ چشمه حیوان علم
۱۲ ۸۰
۱۲ ۸۱

BIBLIOTECA
REAL
ACADEMIA

الجلد الثالث
والرابع

A. or. 91 · 2° -

Ghazzali

A. or. 91 2° - Ghazzali

BSB Bayerische StaatsBibliothek

MDZ Münchener DigitalisierungsZentrum Digitale Bibliothek

Ġazzālī, Abū-Ḥāmid Muḥammad Ibn-Muḥammad al-, 1058-1111

Iḥīyā' ʿUlūm ad-dīn

Laknau 1864

2 A.or. 91
urn:nbn:de:bvb:12-bsb10210839-3